الجامع
فيما لا يسعُ المسلمَ جهلُه

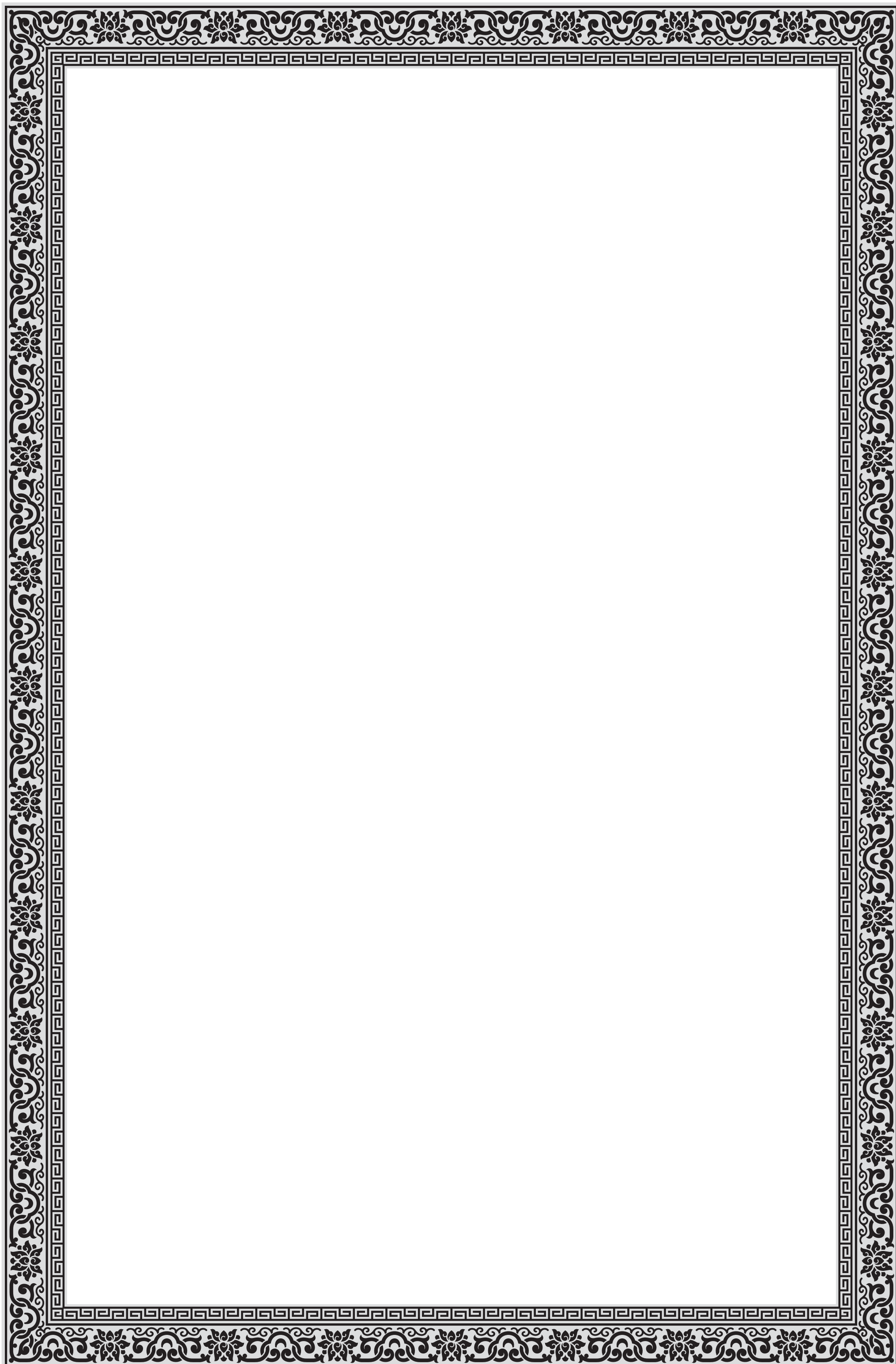
بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع

فيما لا يسعُ المسلمَ جهلُه

تـألـيـف

أحمد سالم



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذ به تعالىٰ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فإنَّ أحسَنَ الحديث كتابُ الله تعالىٰ، وأحسَن الهَدْي هدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعَةٍ ضلالَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أما بعد . .

فهذا كتاب شامل فيما لا يسع المسلم جهله من أمور الدين، ابتداء من أصول الدين ومباحث وجود الله وإثبات النبوة، وانتهاء بالدعوات والأذكار

التي ينبغي علىٰ المسلم أن يجعل لسانه رطبًا بها، مرورًا بأبواب الاعتقاد والفقه والأخلاق والآداب والحقوق.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب خير معين في رفع الجهل، وبداية رحلة معرفة دين الإسلام وفهمه والعمل به والدعوة إليه.

وقد اعتمدتُ فيه علىٰ مجموعة من المصادر الأساسية ذُكرت في آخره إضافة لما أشرتُ إليه في تضاعيف وحواشي الكتاب.

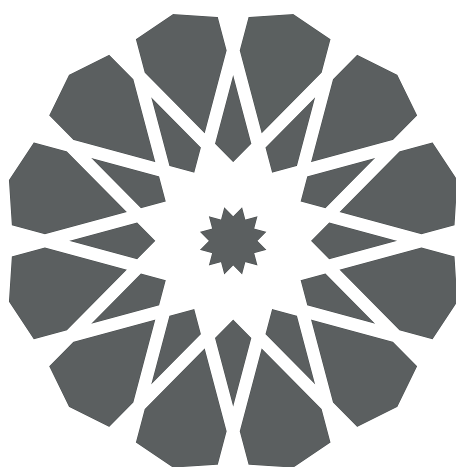
وأرجو أن يتقبله ربي بقول حسن إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

وكتب

أحمد سالم

الباب الأول

أصل الدين



الباب الأول

أصل الدين

أصل الدين هو الإيمان، والتصديقُ والإقرارُ بالله تعالىٰ، وبما أخبرَنا عن نفسه في كتابه، وأخبرنا عنه رسول الله في سنته، واقتضاه العقل والفطرة وقام عليه إجماع المسلمين، والعملُ بمقتضاهُ.

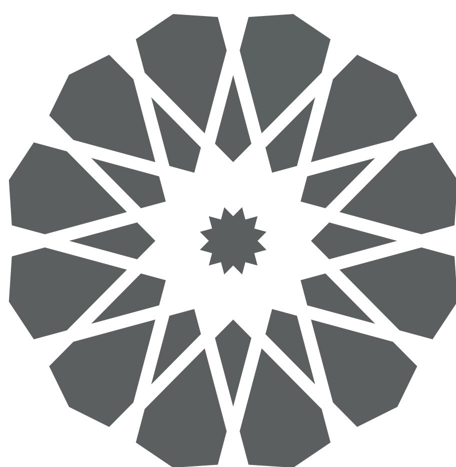
ويشملُ اعتقادَ القلبِ للمعاني الإيمانية كالتصديق بوجود الله والقبول لشرعه، والإخلاص له والانقياد لطاعته ومحبته، وقولَ اللّسانِ الذي يبدأ بنطق الشهادتين، وعملَ الجوارحِ بالتوجه لهذه الإله الخالق المعبود بسائر صنوف الطاعة والعبادة.

فيشمل ذلك ثلاثة أركان:

الأول: الإيمان بالله.

الثاني: الإيمان بضرورة الرسالة ونبوة خاتم المرسلين.

الثالث: الإيمان بدين الإسلام رسالة الله الخاتمة للناس كافة إلىٰ قيام الساعة.



معنى الشهادتين

تقوم الشهاداتان التي يدخل بنطق جملتها العبد في الإسلام، علىٰ الإيمان بوجود الله ورسالة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام.

أولًا: شهادة أن لا إله إلا الله:

معنىٰ شهادة أن «لا إله إلا الله» إجمالًا: لا معبود بحق إلا الله تعالىٰ، أي: لا أحد يستحق أن يُعبدَ إلا الله تعالىٰ، فلا يجوز أن يُدعىٰ إلا الله تعالىٰ، ولا يجوز أن يصلىٰ أو يُنذر أو يُذبح إلا لله تعالىٰ، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحقُّ أحدٌ أن تُصرف له سوىٰ الله تعالىٰ.

و«لا» نافية للجنس، و«إلهَ» اسمُها، وخبرُها محذوفٌ تقديرُه «حق».

و«إله» من ألَهَ -بالفتح- يألَهُ إلاَهةً، **والمعنىٰ**: عبدَ يعبدُ عبادة.

والإلهُ هو المعبودُ المطاع الذي تألهُه القلوبُ بالمحبةِ والتعظيم، والخضوع والخوف، وتوابع ذلك من بقية أنواع العبادة.

واسم «الله» عَلَمٌ علىٰ ذات الرب تعالىٰ المقدسة، لا يُطلق إلا عليه ﷻ، وأصلُه «إله»، حذفت الهمزة، وعوض مكانها «أل» التعريف.

فهذه الكلمةُ العظيمةُ تشتملُ علىٰ ركنين أساسيين:

الأول: النفي، وهو نفيُ الإلهيةِ عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ، ويدل عليه كلمةُ «لا إله»، فهي تنفي أن يكون غيرُ الله تعالىٰ مستحقًّا للعبادة.

الركن الثاني: الإثبات، وهو إثباتُ الإلهية لله تعالىٰ، ويدل عليه كلمة «إلا الله»، فهي تُثبِت أن الله تعالىٰ هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له،

فالله ﷻ هو المستحق للعبادة وحده لأنه هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر لجميع الأمور، فيجب علىٰ جميع العباد أن يُفردوه بالعبادة شكرًا له علىٰ نعمِه العظيمةِ عليهم.

فهذه الكلمةُ هي حقًا: كلمةُ التوحيد، والعروةُ الوثقىٰ، وكلمةُ التقوىٰ، وفي شأنها تكون السعادةُ والشقاوةُ في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة، فبالتزامها والقيامِ بحقوقها تثقل الموازين، وبها تكون النجاةُ من النار بعد الوِرد، والفوزُ بجنات النعيم، وبعدم التزامها أو التفريطِ في حقوقها تخف الموازين، ويكون العذابُ في القبر ويوم القيامة. قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وهي حق الله علىٰ جميع العباد، وهي أول واجب وآخر واجب، فهي أول ما يدخل به العبدُ في الإسلام، وآخر ما ينبغي أن يخرج به من الدنيا..

وهي سببٌ لعصمة دم المسلمِ ومالِه وعرضِه إلا بحقها، وبها انقسمت الخليقةُ إلىٰ مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار . . .

ثانيًا: شهادة أن محمدًا رسول الله:

وهي الإيمان الجازم برسالة النبي ﷺ وأنه رسول الله إلىٰ الناس كافة، من عرب ومن عجم وإنس وجن.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٦٢].

ويقول ﷺ: «**والذي نفْسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ، لا يهودِيٌّ، ولا نصرانِيٌّ، ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به، إلَّا كان من أصحابِ النارِ**».

والإيمان بالنبي ﷺ داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، **وجملة: (أشهد أن محمدا رسول الله)** هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور الذي رواه مسلم في صحيحه، والذي سأل فيه جبريل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان، فقال له النبي ﷺ: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ»: «وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلىٰ الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله».

وحين أرسل النبي ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن لدعوة أهلها إلىٰ الإسلام أوصاه ووجهه بقوله: «**إنك تقدم علىٰ قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» رواه مسلم.

. فلا تغني إحدىٰ الشهادتين عن الأخرىٰ، بل لا بدّ منهما معًا، **(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله).**

ومن معاني (أشهد أن محمدا رسول الله): أي أقرُّ وأشهد بلساني، وأصدق التصديق الجازم من صميم قلبي، بأن محمدا رسول الله ﷺ، أرسله الله ﷻ إلىٰ الناس كافة، بشيرًا ونذيرا، وأنه خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سَبَإ: ٢٨]، وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأَعۡرَاف: ١٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ

بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن معاني (أشهد أن محمدا رسول الله): أن يُطاع ويُتَّبَع، وأن قوله وأمره ونهيه مُعَظَّم، فلا يُقَدَّم عليه قول أحد كائنًا ما كان، لأنه رسول مُبَلِّغ عن الله تعالىٰ، وأنه أفضل الخلق والأنبياء والرسل، ومع كونه أفضل الخلق فهو عبد لا يُعبد، ورسول صادق لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء الله.

قال ابن تيمية: «الإيمان بالرسول: هو تصديقه، وطاعته، واتباع شريعته».

وقال الشيخ ابن عثيمين: «تعنىٰ **شهادة أن محمدًا رسول الله:** الإقرار باللسان، والاعتقاد الجازم بالقلب بأن محمدا بن عبد الله الهاشمي القرشي عبد الله ورسوله، أرسله إلىٰ جميع الخلق كافة: من الجن والإنس».

فخلاصة معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يُعْبَد الله إلا بما شرع.

ويتصل بذلك الإيمان بمعجزاته ﷺ التي هي بينات صدقه وأنه مرسل من رب العالمين، وعلىٰ رأسها القرآن الكريم.

وهذا يستلزم منا التأصيل لمباحث الإيمان بالله والنبوة والدين والرسالة، وذلك علىٰ النحو التالي:

الإيمان بالله

١- معنىٰ لفظ الجلالة «الله»:

«الله» اسم مشتق من أله يأله ألوهة، فأصل الاسم الإله فحُذفت الهمزة وأُدغمتْ اللام الأولىٰ في الثانية وجوبًا؛ فقيل: الله[١].

ومعناه: ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له، ومعنىٰ أله يأله ألوهة = عبد يعبد عبادة، فالله المألوه؛ أي: المعبود[٢].

وهذا الاسم علمٌ علىٰ ذات الله سبحانه؛ فلا يُطلق علىٰ غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

ولذلك لم يتسمّ بهذا الاسم أحد سوىٰ الله ﷻ حتىٰ الجبابرة الطغاة الذين ادَّعوا الألوهية، ومنهم فرعون عليه لعنة الله؛ فإنَّ غاية ما زعم أن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

فلم يجرؤ أحد من العالمين أن يطلق علىٰ نفسه ذلك الاسم لا حقيقة ولا مجازًا.

٢- والإيمان بالله هو:

• هو الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالىٰ، وأنه سبحانَهُ لا تدركه الأبصارُ، ولا يحيطُ بهِ الخلقُ علمًا، وأنّ أدلةَ وجودِهِ فطريةٌ قَطعيّةٌ، يتفقُ عليها العقلاءُ

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٣/ ٤٦٧).

(٢) «معارج القبول» الحكمي، (ص/ ٧٧).

حتىٰ مَن جحدَه فهو مقرٌّ به في نفسِه؛ فإنّ كلَّ مخلوقٍ لا بدّ له من خالقٍ عليمٍ قديرٍ.

• والإيمان بأنَّ الله تعالىٰ هو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالقُهُ، وهو مُدبِّرُ الكونِ، ومقدِّرُ الأمورِ، ومقسمُ الأرزاقِ، وإذا أراد شيئًا فإنّما يقولُ له: كُنْ، فيكونُ.

• والإيمانُ بأنّه سبحانَهُ موصوفٌ بصفاتِ الكمالِ والعَظمةِ والعلوِّ، وليس كَمِثلهِ شيءٌ، ولا يُتَفكَّرُ في كيفيَّتِهِ، ولا يُوصَفُ إلا بما وصفَ بهِ نفسَهُ في القرآنِ، ووصفَهُ رسولُه ﷺ في السُّنّةِ.

• والإيمانُ بأنّه مستحقٌّ للعبادةِ وحدَهُ دونَ مَنْ سِواهُ، كمَلَكٍ أو نَبيٍّ أو وَليٍّ، سَواءٌ كانت العبادُة قلبيةً؛ كالتّوكُّلِ والخشيةِ والرجاءِ والمحبةِ، وشكره والصبر علىٰ الطاعة وعن المعصية وعلىٰ المصائب، والتقوىٰ والتوبة، أو قوليةً: كالذكرِ وقراءة القرآن والدعاءِ والنَّذرِ، أو فعليةً: كالصلاةِ والحجِّ والذبحِ.

٣- أسماء الله الحسنىٰ:

هذا بيان مختصر لأسماء الله الحسنىٰ ومجمل معانيها كتبه الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

➢ «**الرب**»: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم. ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل، لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

➢ «**الله**»: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال.

➢ «**الملك، المالك**»: الذي له الملك، فهو الموصوف بصفة الملك، وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد ومماليك، ومضطرون إليه.

➢ «**الواحد، الأحد**»: وهو الذي توحَّد بجميع الكمالات، بحيث لا يُشاركُه فيها مشارك. ويجب علىٰ العبيد توحيده، عقلًا وقولًا وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

➢ «**الصمد**»: وهو الذي تقصده الخلائق كلها في جميع حاجاتها، وضروراتها، وأحوالها، لما له من الكمال المطلق في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

➢ «**العليم، الخبير**»: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ من الأشياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

➢ «**الحكيم**»: هو الذي له الحكمة العليا في خَلْقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾. فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سُدَىٰ، الذي له الحُكم في الأولىٰ والآخرة.

➢ والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

➢ «**الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب**»: هذه الأسماء تتقارب معانيها، وتدل كلها علىٰ اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلىٰ سعة رحمته ومواهبه، التي عمَّ بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر،

والحظ الأكمل، قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية. والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه. وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته.

➢ «**السميع**»: لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، علىٰ تفنن الحاجات.

➢ «**البصير**»: الذي يُبصر كلَّ شيءٍ وإن دقَّ وصغُر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء علىٰ الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السماوات السبع. وأيضًا سميعٌ بصيرٌ بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنىٰ الأخير يرجع إلىٰ الحكمة.

➢ «**الحميد**»: في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمَّها وأحسنها، فإن أفعاله تعالىٰ دائرةٌ بين الفضل والعدل.

➢ «**المجيد، الكبير، العظيم، الجليل**»: وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كلِّ شيء، وأعظم من كلِّ شيء، وأجلُّ وأعلىٰ. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد مُلئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه.

➢ «**العفو، الغفور، الغفار**»: الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كلُّ أحدٍ مضطرٌّ إلىٰ عفوه ومغفرته، كما هو مضطرٌّ إلىٰ رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتىٰ بأسبابها، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

➢ «**التواب**»: الذي لم يزل يتوب علىٰ التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلىٰ الله توبةً نصوحًا تاب الله عليه، فهو التائب علىٰ التائبين أولًا، بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم قبولًا لها، وعفوًا عن خطاياهم.

➢ «**القُدُّوس، السَّلام**»: أي: المعظَّم المنزَّه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحدٌ من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحدٌ في شيءٍ من الكمال. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾. فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقصٍ من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه؛ لأن النقص إذا انتفىٰ ثبت الكمال كله.

➢ «**العلي، الأعلىٰ**»: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر. فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهىٰ.

➢ «**العزيز**»: الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحدٌ من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته.

➢ «**القوي، المتين**»: هو في معنىٰ العزيز.

➢ «**الجبار**»: هو بمعنىٰ العليّ الأعلىٰ، وبمعنىٰ القهار، وبمعنىٰ «الرؤوف» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه.

➢ «**المتكبر**»: عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

➢ «**الخالق، البارئ، المصور**»: الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوّاها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال علىٰ هذا الوصف العظيم.

➢ «**المؤمن**»: الذي أثنىٰ علىٰ نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آيةٍ وبرهان، يدل علىٰ صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

➢ «**المهيمن**»: المطلع علىٰ خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا.

➢ «**القدير**»: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له «كن» فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها علىٰ ما يشاء ويريد.

➢ «**اللَّطيف**»: الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرقٍ لا يشعرون بها، فهو بمعنىٰ «الخبير» وبمعنىٰ «الرؤوف».

➢ «**الحسيب**»: هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

➢ «**الرَّقيب**»: المطلع علىٰ ما أكنّته الصدور، القائم علىٰ كل نفسٍ بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها علىٰ أحسن نظامٍ وأكمل تدبير.

➢ «**الحفيظ**»: الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصىٰ علىٰ العباد أعمالهم وجزاءها.

➢ «**المحيط**»: بكل شيءٍ علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا.

➢ «**القهَّار**»: لكلِّ شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلَّت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

➢ «**الْمُقيت**»: الذي أوصل إلىٰ كل موجودٍ ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها، وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

➢ «**الوكيل**»: المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولىٰ أولياءه، فيسّرهم لليسرىٰ، وجنبهم العسرىٰ، وكفاهم الأمور. فمن اتخذه وكيلًا كفاه ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

➢ «**ذو الجلال والإكرام**»: أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، المكرم لأوليائه وأصفيائه، الذين يجلونه ويعظمونه ويحبونه.

➢ «**الودود**»: الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويحبونه، فهو أحب إليهم من كلِّ شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميع الوجوه.

➢ «**الفتَّاح**»: الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعية، وأحكامه القدرية، وأحكام الجزاء، الذي فتح بلطفه بصائر الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبّب لهم الأسباب التي ينالون بها خير الدنيا والآخرة.

➢ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾.

➢ «**الرزَّاق**»: لجميع عباده، فما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقها. ورزقه لعباده نوعان:

➢ - رزقٌ عامٌّ، شمل البرّ والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

➢ - ورزقٌ خاصٌّ وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان.

➢ والرزق الحلال الذي يعين علىٰ صلاح الدين، وهذا خاصٌّ بالمؤمنين علىٰ مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته.

➢ «**الحَكَم، العدْل**»: الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمِّل أحدًا وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلىٰ أهلها، فلا يدعُ صاحب حقٍّ إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

➢ «**جامع الناس**»: ليومٍ لا ريب فيه، وجامع أعمالهم وأرزاقهم، فلا يترك منها صغيرة ولا كبيرةً إلا أحصاها، وجامع ما تفرَّق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه.

➢ «**الحيُّ، القيُّوم**»: كامل الحياة والقائم بنفسه، القيُّوم لأهل السماوات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، فـ «الحي»: الجامع لصفات الذات، و«القيوم»: الجامع لصفات الأفعال.

➢ «**النُّور**»: نور السماوات والأرض، الذي نوَّر قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونوَّر أفئدتهم بهدايته، وهو الذي أنار السماوات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه.

➢ «**بديع السماوات والأرض**»: أي خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

➢ «**القابض، الباسط**»: يقبض الأرزاق والأرواح، ويبسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبعٌ لحكمته ورحمته.

➢ «**المعطي، المانع**»: لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يُرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

➢ «**الشهيد**»: أي: المطلع علىٰ جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات، خفيّها وجليّها، وأبصر جميع الموجودات، دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلىٰ عباده بما عملوه.

➢ «**المبدئ، المعيد**»: قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

➢ ابتدأ خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ، ويجزي المسيئين بإساءتهم. وكذلك هو الذي يبدأ إيجاد المخلوقات شيئًا فشيئًا، ثم يعيدها كل وقت.

➢ «**الفعال لما يريد**»: وهذا من كمال قوته، ونفوذ مشيئته وقدرته، أنَّ كُلَّ أمرٍ يريده يفعله بلا ممانعٍ ولا معارض، وليس له ظهيرٌ ولا عوين، علىٰ أي أمرٍ يكون، بل إذا أراد شيئًا قال له «كن» فيكون. ومع أنه الفعال لما يريد، فإرادته تابعةٌ لحكمته وحمده، فهو موصوفٌ بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوفٌ بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله.

➢ «**الغني، المغني**»: فهو الغني بذاته، الذي له الغنىٰ التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات، لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها

نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاج إلىٰ أحدٍ بوجهٍ من الوجوه. فهو الغنيّ، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنًى عامًّا، والمغني لخواص خلقه بما أفاض علىٰ قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

➢ «**الحليم**»: الذي يُدرّ علىٰ خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلُم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنيبوا.

➢ «**الشاكر، الشكور**»: الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرَّب إليه بشيءٍ من الأعمال الصالحة تقرَّب الله منه أكثر.

➢ «**القريب، الْمُجيب**»: أي: هو تعالىٰ القريب من كلّ أحد، وقربه تعالىٰ نوعان:

➢ - قربٌ عامٌّ من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته.

➢ - وقربٌ خاصٌّ، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قربٌ لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده.

➢ ومن آثاره الإجابة للداعين، والإثابة للعابدين، فهو المجيب إجابةً عامةً للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلىٰ أي حالٍ كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابةً خاصةً للمستجيبين له المنقادين

لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به، طمعًا ورجاءً وخوفًا.

➢ «**الكافي**»: عبادَه جميعَ ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفايةً خاصةً من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه.

➢ «**الأول، والآخر، والظاهر، والباطن**»: قد فسَّرها النبي ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا، فقال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء».

➢ «**الواسع**»: الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحدٌ ثناءً عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه. واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

➢ «الهادي، الرشيد»: أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلىٰ جميع المنافع، وإلىٰ دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوىٰ، ويجعل قلوبهم منيبةً إليه منقادةً لأمره.

➢ وللرشيد معنىٰ بمعنىٰ الحكيم، فهو الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائعه كلها خيرٌ ورشدٌ وحكمة، ومخلوقاته مشتملةٌ علىٰ الرشد.

➢ «**الحقُّ**»: في ذاته وصفاته، فهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيءٍ من الأشياء إلا به. فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا.

➢ فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيءٍ ينسب إليه فهو حق.

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.
- ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾.
- ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾.
- ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

وتفصيل مباحث الإيمان بالله على النحو التالي:

أولًا: أدلة وجود الله

فطرية الإيمان بوجود الله:

وجود الله تعالىٰ أمر فطري ضروري اتفق عليه جميع أصحاب العقول والفطر السليمة، ولا ينكره إلا مكابر معاند، متلوث الفطرة.

ويجب علينا أن نتعامل مع هذه القضية -قضية وجود الله- علىٰ أنها قضية فطرية راسخة في النفس ابتداءً، بمعنىٰ أنَّ الانسان في الأصل لا يتوقف علمه بهذه القضية ويقينه بها علىٰ النظر والاستدلال والبحث، ولذلك لم ينقل لنا أن أحدًا من أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم أمر قومه أول ما أمرهم أن يعترفوا بوجود الله تعالىٰ أو الاقرار بوجود خالق لهذا الكون، وما ذلك إلا لأنَّها قضية مسلَّمة راسخة في النفس لا تحتاج إلىٰ نقاش وبحث.

ولكن للأسف لمَّا تلوثَّت فطر بعض الناس وضعفت عقولهم وجب علينا أن نذكِّرهم بهذه القضية الضرورية مع بيان أدلَّتها، لعلهم يتقون أو يُحدِث بهم ذِكرًا.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل المعرفة وإنْ كانت ضروية في حق أهل الفطر السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلىٰ النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال»[1].

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٣/ ٣٠٣).

ويقول: «الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريًا ضروريًا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلىٰ الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة، وأحوال تعرض لها»[١].

ولا ننكر أيضًا أن ذِكر بعض أدلة هذه القضية الضرورية مما يعزِّز اليقين في قلب المؤمن ويقوِّي إيمانه.

قال أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعَلىٰ أننا لَا ننكر النّظر قدر مَا ورد بِهِ الْكتاب وَالسّنة لينال الْمُؤمن بذلك زِيَادَة الْيَقِين وثلج الصَّدْر وَسُكُون الْقلب»[٢].

إن مسألة الإيمان بالله ليست مسألة عاطفيَّة، وليست قرارًا شعوريًّا مجردًا من أيِّ مستند عقليٍّ، وليست ميراثًا عن الآباء والأجداد نقبله ونسلِّم له دون تفكير، فعلىٰ العكس من ذلك فمسألة وجود الله تمتَّعت بأقوىٰ الأدلَّة والبراهين لإثباتها، والَّتي لم تتوافر بهذا القدر والكيف في غيرها من القضايا الَّتي شغلت العقل البشريَّ علىٰ مرِّ التَّاريخ؛ لذلك كان إنكار وجود الإله دائمًا شذوذًا ودليلًا علىٰ ضعف التَّفكير، وإنَّ من أهمِّ الأدلَّة علىٰ وجود الله تعالىٰ تلك المستندة للبرهان العقليِّ والمنطقيِّ، والَّتي تقوم حججها علىٰ الرَّبط بين الواقع المشاهد بما يمدُّنا به من معارف وبين مبادئ العقل الضَّروريَّة، وقد تعدَّدت الأدلَّة من هذا النَّوع بيد أنَّ أبرزها وأقواها وأظهرها هما دليلا الخلق والإتقان، وسنعرضهما إليك فيما يلي:

---

(١) «الرسالة الأكملية» (ص/ ٥٦).

(٢) «الانتصار لأهل الحديث» (ص/ ٦٠).

أولًا: دليل الخلق والصنع أو ما يسمىٰ دليل الاختراع.

ويقوم هذا الدليل علىٰ مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولىٰ: الحوادث موجودة.

المقدمة الثانية: الحوادث لا بد لها من مُحْدِث.

النتيجة: أن الله تعالىٰ هو محدِث الحوادث.

فالنَّتيجة: حتميَّة وجود الله ﷻ، وفي بيان المقدِّمتين نقول:

حدوث الكون من عدم وانتفاء أزليَّته مسألة بُحثت قديمًا علىٰ نحو موسَّع، وأخذت حظًّا كبيرًا من الجدل الفلسفيِّ، حيث قرَّر بعض المفكِّرين والفلاسفة أنَّ الكون قديم ليس حادثًا، وزعموا أنَّ تقدُّم الله علىٰ الكون ليس تقدُّمًا زمنيًّا، وإنَّما هو تقدُّم بالمرتبة، وقد نوقش هذا القول بتوسُّع في المدوَّنات الإسلاميَّة بخصوص، وبرزت أسماء كالغزاليِّ وفخر الدِّين الرَّازيِّ وابنِ حزم وابن تيميَّة وغيرهم ممَّن تصدَّىٰ لهذا المذهب المتهالك.

فهذا الكون وجميع تلك المخلوقات لم تخلق نفسها ولم تُخلق من العدم قطعًا بل لا بد أن يكون لها خالق قدير عليم وهو الله ﷻ.

وقد جاءت هذه الدلالة في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «فَقَالَ تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾ أَيْ: أَوُجِدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ؟ أَيْ: لَا هَذَا وَلَا هَذَا، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا»(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير، (٧/ ٤٣٧).

ثانيًا: دليل الإحكام والإتقان.

هذا واحد من أهمِّ الأدلَّة العقليَّة الَّتي تدلُّ علىٰ وجود الله ﷻ، ذلك النَّظم والإحكام المدهش الَّذي نراه حولنا في كلِّ شيء من مخلوقات الله ﷻ، وهذا الدَّليل يعتبره بعض الملاحدة أقوىٰ دليل علىٰ وجود الله، يقول دوكينز: «حجَّة التَّصميم هي الوحيدة الَّتي لا تزال تُستخدم إلىٰ اليوم علىٰ نحو احترافيٍّ، ولا تزال تبدو للكثيرين كالضَّربة القاضية في المناقشات. وقد تأثَّر بها داروين الشَّابُّ كثيرًا عندما كان طالبًا في جامعة كامبردج».

فما حقيقة هذا الدَّليل؟ وما حجَّته الَّتي يقدِّمها علىٰ وجود الإله؟

يتكوَّن دليل الإتقان من مقدِّمتين، وهما:

«١- الكون متقن محكم في خلقته.

٢- أنَّ الإتقان والإحكام لا بدَّ له من فاعل حكيم»[(١)].

يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله: «إنَّ الله ﷻ فطر عباده حتَّىٰ الحيوانَ البهيمَ علىٰ استحسان وضع الشَّيء في موضعه، والإتيان به في وقته، وحصوله علىٰ الوجه المطلوب منه، وعلىٰ استقباح ضدِّ ذلك وخلافه، وأنَّ الأوَّل دالٌّ علىٰ كمال فاعله وعلمه وقدرته وخبرته، وضدَّه دالٌّ علىٰ نقصه وعلىٰ نقص علمه وقدرته وخبرته، وهذه فطرة لا يمكنهم الخروج عن موجبها، ومعلوم أنَّ الَّذي فطرهم علىٰ ذلك وجعله فيهم أولىٰ به منهم، فهو سبحانه يضع الأشياء في مواضعها الَّتي لا يليق بها سواها، ويخصُّها من الصِّفات والأشكال والهيئات والمقادير بما هو أعلم بها من غيره، ويبرزها

---

(١) انظر: «ظاهرة نقد الدين»، سلطان العميري، (٢/ ١٨٤).

في أوقاتها وأزمنتها المناسبة لها الَّتي لا يليق بها سواها، ومن له نظر صحيح وفكر مستقيم وأعطىٰ التَّأمل حقَّه شهد بذلك فيما رآه وعلمه، واستدلَّ بما شاهده علىٰ ما خفي عنه، فإنَّ الكلَّ صنع الحكيم العليم، ويكفي في هذا ما يعلمه من حكمة خلق الحيوان وأعضائه وصفاته وهيئاته ومنافعه واشتماله علىٰ الحكمة المطلوبة منه أتمَّ اشتمال، وقد ندب سبحانه عباده إلىٰ ذلك، فقال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] إلىٰ آخرها، وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها وما بين ذلك، إذا تأمَّلها صحيح التَّأمُّل والنَّظر، وجدها مؤسَّسة علىٰ غاية الحكمة مغشَّاة بالحكمة، فقرأ سطور الحكمة علىٰ صفحاتها، وينادي عليها: هذا صنع عليم الحكيم، وتقدير العزيز العليم. فإن وجدت العقول أوفق من هذا فلتقترحه أو رأت أحسن منه فلتبده ولتوضِّحه، ذلك صنع:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، ومن نظر في هذا العالم وتأمَّل أمره حقَّ التَّأمُّل، علم قطعًا أنَّ خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان[١].

يقول داروين: «يمكنني أن أقول: إنَّه من المستحيل تصوُّر أنَّ هذا الكون الكبير والعجيب، وأنفسنا الواعية، نشأت من خلال الصُّدفة، ويبدو لي أنَّ هذا حجَّة رئيسيَّة لوجود الله»[٢].

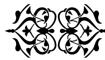
(١) «الصواعق المرسلة»، (٤/ ١٥٦٥-١٥٦٧).

(2) Charles Darwin to N. D. Doedes, 2 April 1873.

ويقول الفيزيائيُّ المخضرم هايزنبرج: «من أين جاءت القوَّة المغناطيسيَّة الَّتي وجَّهت هذه البوصلة الدَّقيقة؟ ماذا كان مصدر هذه القوَّة؟ وما النِّظام المركزيُّ الَّذي يحكمها إلَّا إرادة مركزيَّة يجب أن تكون دائمًا مسكِّنة لأشياء رهيبة قد تحدث للبشريَّة، أشياء أكثر فظاعة حتَّىٰ من معسكرات الاعتقال[١] والقنابل الذَّرِّيَّة»[٢].

ويقول بول ديراك الفيزيائيُّ الكبير وأحد مؤسِّسي ميكانيكا الكوانتم: «يبدو أنَّ واحدة من السِّمات الأساسيَّة للطَّبيعة الَّتي تصفها القوانين الفيزيائيَّة الأساسيَّة «رياضيًّا» في غاية الجمال والقوَّة، وتحتاج لمستوىٰ عالٍ جدًّا من الرِّياضيَّات يتسلَّح به الإنسان ليتمكَّن من فهمها، قد تتساءل: لماذا صُمِّمَتِ الطَّبيعةُ علىٰ طول هذه الخطوط[٣]؟ يمكن الإجابة بإجابة واحدة، وهي أنَّ معرفتنا الحاليَّة تظهر أنَّ الطَّبيعة صُمِّمَتْ علىٰ هذا النَّحو فقط! علينا ببساطة أن نقبل ذلك»[٤].

والأدلة علىٰ وجوده سبحانه لا تُحصىٰ كثرة، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.



---

(١) يشير إلىٰ معسكرات الاعتقال النازية التي كانت تقيمها ألمانيا، وتتم فيها عمليات إبادة وحشية لمئات الآلاف من الناس.

(2) Antony Flew,There Is a God 104, TO, Ferris, Timothy, The World Treasury of Physics, Astronomy and Mathematics .. (1991), P 826.

(٣) يريد خطوط المجال المغناطيسي.

(4) The Evolution of the Physicist’s Picture of Nature, By Paul Dirac-Scientific American, May 1963.

ثانيًا: ضرورة الرسالة والنبوة والدين

هل الله ﷻ يتابعنا أم يهملنا؟

خلق الله ﷻ الخلق وبعث إليهم الأنبياء والرسل وأنزل معهم الكتب؛ ليأمروا العباد بعبادة رب العباد ويدعوا الناس إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، فلم يترك الله ﷻ عباده هملًا بعد أن خلقهم، كما يدَّعي ذلك أهل الزيغ، بل إن قولهم هذا من شر الأقوال، وبيان ذلك كالآتي:

إن هذا القول الباطل الذي يقول به أهل الزيغ والضلال من أن الله تعالىٰ خلق الخلق وتركهم هكذا هملًا يلزم منه لوازم باطلة منها:

(١) جواز العبث في حق الله ﷻ، عياذًا بالله تعالىٰ من مقالة السوء.

وذلك لأن حقيقة هذا القول: إن الله تعالىٰ خلق الخلق بلا غاية ولا حكمة، وقد دلَّ العقل والفطرة والشرع علىٰ أن الله تعالىٰ متصف بصفات الكمال، ومنها صفة الحكمة، فلا يفعل الشيء سبحانه إلا وله حكمة بالغة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

ولا يجوز عليه العبث ﷻ مطلقًا، وفي ذلك يقول ﷻ لهؤلاء الكافرين الضالِّين: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾.

بل إذا وُصف هذا الضال العنيد القائل بهذا القول بالعبث وغياب الحكمة من أفعاله لضجر وغضب، فكيف يوصف به الخالق العظيم سبحانه وبحمده؟!

بل نقول: إن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه ﷻ ويقيموا العدل والقسط في الأرض، وهو سبحانه من أخبرنا في القرآن بهذه الغاية والحكمة العظيمة؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) أن الله -تعالىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا- ظالم.

وذلك لأن حقيقة هذا القول إن الله تعالىٰ يحاسب العباد يوم القيامة دون أن يكون قد أرسل إليهم الأنبياء والرسل في الدنيا مبشِّرين ومنذرين.

وإن الله تعالىٰ منزَّه عن الظلم ولا يتصف به ولا يأتيه أبدًا ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد نزَّه ربُّنا ﷻ نفسَه عن الظلم -وهو قادر عليه- وحرَّمه علىٰ نفسه، وذلك كما في صحيح مسلم عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا . . .»[(١)].

بل إنما أرسل الله ﷻ الرسل إلىٰ العباد لإقامة العدل والقسط، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَإِذَا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُ الْحَقِّ، وَقَامَتْ أَدِلَّةُ الْعَقْلِ، وَأَسْفَرَ صُبْحُهُ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ؛ فَثَمَّ شَرْعُ اللَّهِ وَدِينُهُ وَرِضَاهُ وَأَمْرُهُ»[(٢)].

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٥٧٧).

(٢) «أعلام الموقعين»، (٤/ ٢٨٤).

فكيف يظلم الله ﷻ العباد ويحاسبهم وهو لم ينذرهم؟! وعلىٰ أي أساس يُدخلهم الجنة أو النار وهو سبحانه -علىٰ زعمهم- لم يقم الحجَّة عليهم؟! بل اقتضت حكمته وعدله سبحانه أن أرسل إلىٰ عباده رسلًا مبشِّرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس علىٰ الله حُجَّة بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا(١).

ثم إنه لو سئل أحدنا: أي شيء ألصق بالكمال والعدل والحكمة وأبعد عن النقص: الاعتناء أم الإهمال؟ لقال وبلا تردد: الاعتناء.

فكيف بعد ذلك يقال إن الله تعالىٰ خلق الخلق وأهملهم؟

تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

○ لماذا يستحق العبادة؟

دلَّتْ أدلة الشرع والعقل والفطرة -كما سبق- علىٰ وجود الله ﷻ، كما أنَّها أيضًا تدل علىٰ وجوب إفراده بالعبادة، وأنه هو سبحانه المستحق للعبادة دون غيره.

وعلَّة ذلك عدة أمور، منها:

(١) كماله ﷻ المطلق؛ فهو موصوف سبحانه بكل صفة كمال ومنزَّه عن كل صفة نقص، بخلاف غيره من الآلهة الباطلة التي يعبدها الكفار المشركون؛ فهل يُعبد إله لا يفهم الخطاب ولا يرد الجواب؟! وهل يُعبد إله لا يستطيع كشف الضر عن نفسه فضلًا عن كشفه عمن يعبده؟! وهل يُعبد إله صُلِب وقُتِل ومات ودُفِن؟! لا يقبل بشيء من ذلك إلا منتكس الفطرة، ضعيف العقل، وإنما خطابنا مع العقلاء.

---

(١) راجع: «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم الأندلسي، (١/ ٦٨).

(٢) أنه هو ﷻ خالق كل هذه المخلوقات، المتفضِّل عليهم سبحانه بإخراجهم من حيِّز العدم إلىٰ حيِّز الوجود، كانوا عدمًا فجعلهم أحياءً يسمعون ويبصرون.

فهل يصح بعد ذلك أن نصرف عباداتنا وسجودنا وركوعنا إلىٰ غيره ﷻ؟! كلا والله!

ولذلك قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وفي الصَّحيحَين عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ . . .» الحديث[1].

وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنَّة التي أشارت إلىٰ هذا المعنىٰ العظيم. .

○ ماذا سيخسر الكون إذا طرحنا «الله» من المعادلة؟[2]

تقدَّم معنا أن الله ﷻ هو الخالق الصانع لهذا الكون العظيم، وهو سبحانه الذي وضع له القوانين التي يسير عليها بانتظام وإحكام؛ فالكواكب والأقمار والشمس كلٌّ يجري في فلك يسبحون دون تصادم أو حتىٰ تلامس!

وسبق أن كل شيء في هذا الكون من الحوادث المفتقرة إلىٰ الله ﷻ في أصل حدوثها؛ فلولا الله تعالىٰ لما كان هذا الكون ولما كانت السماوات والأرض لولا الله تعالىٰ لما كان شيء!

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٥٢٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٨٦).

(٢) بداية من هنا لنهاية الفصل، مستفاد من: «دلائل فصول في معرفة الإسلام»، لمحمد سمير.

وقد أشارت نصوص الكتاب والسنة إلىٰ إجابة هذا السؤال؛ فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وهكذا فإنَّ كل نعمة يتقلَّب فيها الناسُ -حتىٰ النَّفَس- هي محض فضلٍ من الله ﷻ، يعصونه ويخرجون عن أمره وهو يرزقهم ويعافيهم!

ومرَّ معنىٰ أيضًا عند كلامنا حول النزعة الأخلاقية ودلالتها علىٰ وجود الله تعالىٰ أنه لولا وجود الله تعالىٰ لما كانت للأخلاق قيمة موضوعية.

فما الذي يجعل من العدل والصدق والكرم صفات حسنة؟! وما الذي يجعل من الظلم والكذب والبخل صفات سيئة؟!

مع إنكار وجود الله ﷻ تسقط موضوعية تلك القيم كلها، وتصير الأخلاق نسبية بحتة، إذا رأيت الصدق حسنًا فاصدق، وإلا فلا شيء عليك!

إن المنهج الإلحاديُّ يقرِّر أنَّه لا إله موجود، وأنَّ الأديان مجرَّد خرافة لا أكثر، وأنَّ ما احتوت عليه من التَّشريعات لا قيمة له!، فإذا كان ذلك كذلك فما هو المعيار الضَّابط إذن لما يحقِّق ما هو أخلاقيٌّ؟ ما تمظهرات الخير وما تمظهرات الشَّرِّ؟

في النَّموذج الدِّينيِّ فإنَّ التَّشريع الإلهيَّ هو المصدر المتعالي والمعيار الثَّابت الَّذي نحاكم إليه الأمور لنتبيَّن من أخلاقيَّتها ومدىٰ تحقيقها للخير أو الشَّرِّ، في الإلحاد إلىٰ ماذا سنتحاكم؟ وبأيِّ معيار سنحدِّد ذلك؟

فإن قيل: العقل! قلنا: عقول النَّاس تختلف وقناعاتهم تتباين، فحتَّىٰ وإن اتَّفق النَّاس علىٰ حكم أخلاقيٍّ مطلق كقبح الظُّلم، فإنَّ أنظارهم تتفاوت في تحقيق مقتضىٰ هذا الأصل في الواقع، فهتلر مثلًا الَّذي أباد عشرات الملايين من البشر قد لا يرىٰ عنصريَّته ومعسكراته شيئًا لا أخلاقيّ، وقد لا تراها كذلك أيضًا جماهير ألمانيا العريضة المؤيِّدة له، فيعتبرونها تطهيرًا عرقيًّا محمودًا في سبيل تحقيق التَّطوُّر والنَّماء البشريِّ، ولا ينطوي علىٰ أيِّ نوع من الظُّلم، وكذلك ساتلين الَّذي كان ربَّما أشدَّ إجرامًا وقذارة من هتلر، قد يرىٰ أنَّ تخليص البشريَّة من الدِّين والمتديِّنين أو من الطَّبقات المتخلِّفة من الشُّعوب عن طريق المجاعات والحروب والملاحقات محققًا للتَّطوُّر الحتميِّ الَّذي تراه فلسفة ماركس للبشريَّة - شيئًا أخلاقيًّا خيِّرًا، وكذلك هو الحال في جرائم سفَّاحي القرن الماضي كماوتسي تونج وبول بوت وغيرهم، فلا يوجد معيار محدَّد أو أصل جامع تُحَاكَمُ إليه الأحكام الجزئيَّة عن مدىٰ كون الشَّيء أخلاقيًّا محققًا للمبدأ الأخلاقيِّ المطلق الَّذي يقرِّره العقل أو ليس أخلاقيًّا؛ وذلك لتفاوت العقول واختلاف الأنظار وتداخل الهوىٰ والرَّغبات والتَّحيُّزات، وهذا ليس موجودًا في الدِّين الَّذي لو ثبتت مصدريَّته الإلهيَّة فهذا يكفل له الصِّحَّة الَّتي تجعل منظومته الأخلاقيَّة معيارًا للصَّواب والخطإ، وليس تصرُّفات الأشخاص وأحكامهم العقليَّة -الفرعيَّة-.

يقول جون بول سارتر -أحد أبرز مؤسِّسي الوجوديَّة الملحدة-: «إنَّ الوجوديَّ يجد أنَّه من المؤلم للغاية أنَّ الإله غير موجود، حيث تختفي مع اختفائه أيُّ إمكانيَّة للعثور علىٰ قيم في سماء العقل، لم يعد هناك أيُّ خير بدهيٍّ بما أنَّه لا يوجد كائن مثاليٌّ ولا محدود نعتقد وجوده. لقد كُتِبَ الآن

أنَّ «الخير» موجود، وأنَّه يجب أن يكون المرء أمينًا أو لا يكذب؛ لأنَّنا الآن علىٰ متن الطَّائرة حيث يوجد رجال فقط.

كتب دوستوفيسكي ذات مرَّة: «إذا لم يكن الله موجودًا، فكلُّ شيء مباح»، وهذا -بالنِّسبة للوجوديَّة- هو نقطة الانطلاق. فكلُّ شيء مسموح به حقًّا إذا كان الله غير موجود، والإنسان أصبح يائسًا؛ لأنَّه لا يستطيع أن يجد شيئًا يعتمد عليه سواء داخل أو خارج نفسه»(١).

ولا بُدَّ أن نعلم أن الله ﷻ يوفر من الأدلة العقلية والشرعية علىٰ المعتقد ما يتناسب مع أهميته ومركزيته في البناء العقدي اللازم تصوره لدىٰ الإنسان لتحقيق العبودية المطلوبة؛ لذلك فإننا نجد الأدلة علىٰ وجود الله فطرية ضرورية تأتيك كالهواء رغما عنك ولا تحتاج منك إلىٰ بحث أو نظر، وفي الوقت ذاته نجد الأدلة علىٰ صدق الرسالات أمرًا مختلفًا نوعًا ما، فهي كالماء وليست كالهواء بمعنىٰ أن الإنسان يحتاج إليها بشدة كاحتياجه للماء ولا تصلح حياته بدونها وذلك مع توفر وجودها لكل من بحث عنها، ولكنها تحتاج إلىٰ بحث بخلاف الأدلة علىٰ وجود الله التي كالهواء لا تحتاج منا إلىٰ بحث.

يتحدث ابن تيمية رحمه الله **مؤكدًا تلك الفكرة السابقة فيقول:** «وكلما كانت حاجة الناس إلىٰ معرفة الشيء وذكره أشد وأكثر، كانت معرفتهم به وذكرهم له أعظم وأكثر، وكانت طرق معرفته أكثر وأظهر، وكانت الأسماء المعرفة له أكثر وكانت علىٰ معانيه أدل . . . ولما كانت حاجة النفوس إلىٰ معرفة ربها أعظم الحاجات كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه»(٢).

---

(1) Jean-Paul Sartre: Basic Writings، Edited by Stephen Priest، psychology press، p32.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل»، (٣/ ٣٣٠-٣٣١).

وهذا المعنىٰ هو ما عنيته بأن الله ﷻ يوفّر من الأدلة علىٰ الشيء ما يتناسب مع أهميته وضروريته.

خلاصة القول: إنه قبل الحديث والبحث عن الرسالة أو الدين الحق من بين تلك الأديان الموجودة فإنه لا بد من التأسيس لذلك السؤال الابتدائي والذي هو بمثابة القوة الدافعة والمحركة لرحلة البحث عن رسالة الإله وهو:

هل هناك بالفعل ضرورة(١) حقيقية لأجلها اقتضت حكمة الإله (خالق الكون والإنسان) بأن يُرسل الرسل والرسالات إلىٰ البشر؟

وهل هناك حاجة ملحة للبشرية إلىٰ تلك الرسالة من الخالق؟

أم أننا نستطيع تفسير الوجود والحياة والكون والإنسان بدون الحاجة إلىٰ القول بتواصل الإله مع خلقه من خلال الرسل الحاملة لرسالات الله إلىٰ البشرية؟

في الواقع هناك أسباب كثيرة تدفعنا إلىٰ القول بأن حاجة البشرية إلىٰ الرسل والرسالات حاجةٌ ضروريةٌ بحيث لا يستقيم أمرها ولا يتسق حالها إلا من خلالها، بل الأكثر من ذلك فإن ذلك فإنّ هناك ظواهر بشريّة ووجوديّة لا يمكن تفسيرها ابتداءً إلا من خلال القول بوجود تلك الرسالات، **ومن هذه الأسباب**:

١- تلك الأسئلة الوجودية التي تلح علىٰ الإنسان بشدة والتي لا تفارق

---

(١) لا أقصد بالضرورة هنا الوجوب والإلزام العقلي علىٰ الله، فليس من حق أحد أن يوجب علىٰ الله شيئًا لأن هذا يعد تجاوزا لحد العبودية ومشاركة للإله في صفات السيادة والألوهية، ولكن ما أعنيه هو أن ذلك من لوازم حكمة الله، فالله قد وصف نفسه بتمام الحكمة، ومن تمامها أنه لم يخلق الكون والإنسان عبثًا.

ذهنه أبدًا فهي مستقرة في اللاوعي الجمعي البشري بحيث تجعل الإنسان دائمًا في حالةٍ من الحيرة والقلق منتظرًا الإجابة الحقيقية عن تلك الأسئلة.

وبالتالي كانت الرسالة الإلهية الحاملة للإجابة عن تلك الأسئلة ضرورية لإخراج ذلك الإنسان (المنتظر) من مستنقع الحيرة الوجودية الواقع فيه؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

٢- تمييز الله للإنسان تحديدًا بالعقل والوظائف الإدراكية المرتبطة به، فهو الكائن الذي اختصه الله بالعقل والوعي والإرادة والقدرة علىٰ تطوير الأشياء والبحث الدائم عن الحكمة؛ لذلك كان من كمال حكمة الإله (خالق الإنسان) أن يُوجده في عالم تحكمه ثنائيات الخير والشر والحُسن والقُبح والحق والباطل والصواب والخطأ حتىٰ يقوم بتفعيل وتوظيف تلك الإرادة فيختار بها ما يُريده من تلك الثنائيات ثم يتحمّل بعدها مآل ذلك الاختيار وتبعاته وإلّا فما الفائدة إذن من وجود تلك الإرادة البشريّة إن لم يُعرض علىٰ الإنسان الخير والشر فيختار بإرادته بينهما؟! ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البَلَد: ١٠].

٣- عدم القدرة علىٰ التأسيس للأخلاق خارج المنظومة الدينية؛ فمن المعلوم لدىٰ العقلاء أن حياة البشر لا تستقيم بدون مرجعية أخلاقية ثابتة مطلقة مُؤسَس لها تأسيسًا حقيقيًّا؛ لأنّ الأخلاق لا تكتسب فاعليَّتها وقوّتَها وسلطَتها الحقيقية إلا من كونها صادرة عن مصدر مطلق ثابت وليس نسبيًّا، والملحدون مهما حاولوا الادعاء بالقدرة علىٰ التأسيس للأخلاق تأسيسًا معرفيًّا فإنّها ستظل مجرد دعوىٰ بدون بينة، **لأنه كما يقول الرئيس المفكر علي عزت بيجوفيتش في كتابه الهام الإسلام بين الشرق والغرب**: «يوجد ملحدون علىٰ أخلاق، ولكن لا يوجد إلحاد أخلاقي»[(١)].

---

(١) «الإسلام بين الشرق والغرب»، (ص١٧٥).

وما يقصده بيجوفيتش هنا هو عجز الفلسفة الماديّة الإلحاديّة عن التأسيس النظري للأخلاق تأسيسًا حقيقيًّا معرفيًّا، وأن المُلحد لا يستطيع الالتزام بمنظومته الماديّة ولوازمها في حياته العمليّة فكثيرًا ما يخالفها لا إراديًّا بما لديه من رصيد الفطرة البشرية، وهذا يؤكد أن الدافع النظري الوحيد للالتزام بالأخلاق الحقيقية الأصيلة هو الإيمان بالله، وإلّا فما معنىٰ أن يخالف الإنسان طبيعته وغريزته في حب التملك والمصلحة الشخصية والانتفاع بما عند الغير حتىٰ لو بالسرقة والخيانة والقتل؟! في الحقيقة ليس هناك دافع أو سبب علمي لذلك إلّا الإيمان بالله لأنّه حتىٰ الفطرة البشريّة السليمة التي تدفع الإنسان لفعل الخير وعدم إلحاق الضرر بالآخرين ليس لها تفسير أيضًا إلا الإيمان بالله الذي أوجدها في الإنسان وجودًا ضروريًا.

حديثنا هنا عن إمكانيّة التأسيس النظري للأخلاق من الناحية الوجودية الأنطولوجيّة (بمعنىٰ هل توجد أخلاق حقيقية أصلًا؟)، وهذه تُؤسّس لها الفطرة البشرية كالمعاني العامة من حب الخير والعدل والحق ثم يُؤكّدها الدين والوحي المُنزّل من الإله.

في الحقيقة لا شيء في النهاية سوىٰ الدين يُعطينا تلك المعايير الأخلاقيّة والجماليّة، بل حتّىٰ العلم الحديث فشل في إيجاد تلك المعايير لكونها خارج مجال البحث العلمي من الأساس. إذن هناك حاجة أكيدة لدىٰ البشر للوصول والتعرف علىٰ رسالة الله من أجل التأسيس لوجود الأخلاق المطلقة تأسيسًا علميًّا حقيقيًّا، ولتأكيد تلك المعرفة الفطرية الضرورية الكامنة في الضمير البشري، ولبيان أوجه الصواب والخطأ علىٰ نحو تفصيلي والتي لا سبيل لمعرفتها إلا من خلال مصدر مطلق واسع مجاوز لإطار الزمان والمكان الضيق يرتقي بالبشرية فوق حالة السيولة والنسبية الأخلاقية.

٤- عدم القدرة علىٰ التأسيس لأي معنىٰ للوجود والحياة بدون الدين.
إنّ مقتضىٰ ولازم الحكمة الإلهية أنه سبحانه لم يخلق هذا الكون عبثًا، ولكن خلقه لغاية وحكمة وهدف، والسؤال هو: من الذي يستطيع فهم وإدراك تلك الحكمة والغاية الإلهية من الوجود؟!

الإنسان كما قلنا هو الوحيد في هذا الكون الذي اختصه الله بوظائف العقل والإدراك العليا ومنها البحث عن الحكمة والنظرة الغائية للأشياء وبالتالي هو الذي يستطيع الوصول إلىٰ هذه الغاية الإلهية من الحياة وإدراكها ثم التفاعل معها وهو الوحيد المؤهّل لذلك التواصل والتلقّي عن الإله، لذلك كان من الضروري حدوث اتصال بين الإله والإنسان من خلال إرساله الرسالات ليُخبره فيها عن الغاية من خلقه ومعنىٰ الحياة.

وفي المقابل لو افترضنا جدلًا عدم حدوث ذلك الاتّصال مع الإله، فإنّ ذلك سيعني أن الله قد خلق الكون والإنسان بلا غاية ولا هدف ولا معنىٰ، وهذا وصفٌ صريحٌ للإله بالسفه والعبث -تعالىٰ الله عن ذلك-.
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

لذلك فإنّ معنىٰ الحياة يُمكن إدراكه من خلال الحكمة الإلهيّة المُتَصَوَّرة من خلق الكون بشكل عام والإنسان تحديدًا بشكل خاص وهي تحقيق العبودية وتفاصيلها التي بلغتنا من خلال تلك الرسالة الإلهيّة بما فيها من إخبار عن ذات الله وصفاته وقصة الوجود والحياة وغايتها ومآلها، والحياةُ بدون دين قد يكون لها صورتان مُختلفتان، إمّا أن يكون الشخص غير مؤمن بالفعل بوجود الأديان والرسل إيمانًا نظريًا، وهذا بدوره قد فقد المعنىٰ من الحياة والغاية من الوجود؛ لأن الشخص حين يُنكر التواصل الإلهي مع البشر (الدين) فإنّه يفقد الشعور بالأهميّة والمركزيّة في ذلك

الكون ويصير حينها بلا قيمة تُذكر[1] شأنه شأن سائر الحيوانات بل أكثر ضلالًا لأنه مُركّبٌ تركيبًا مغايرًا فهو مجبولٌ علىٰ التفكير والبحث عن الحكمة والتواصل والتساؤل فهو واقعٌ بذلك بين إلحاح الأسئلة الوجودية من جهة وبين نظرته العبثيّة للحياة من جهةٍ أُخرىٰ؛ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

والصورة الأخرىٰ للحياةِ بدون دينٍ هي أن يكون الشخص غير مؤمنٍ إيمانًا عمليًّا بمعنىٰ أنّه يعيش حياته بعيدًا تماما عن الدين -وكأنه إن صح التعبير إلحاد عملي- علىٰ الرغم من إقراره الداخلي وإيمانه النظري بالله والدين والغاية من الخلق إلا أنه انشغل عنها بتفاصيل الدنيا اليومية والاستغراق فيها؛ ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

٥- ضمان الحفاظ علىٰ الصّحة النّفسية للإنسان، حيث نجد أنّ المتدينين أفضل حالًا من الملحدين واللا دينيين في جانب الصحة النفسية والشعور بالاطمئنان والسلام الداخلي لأنّ مجرد الشعور بوجود قوة عليا تراقب وتعتني وتحمي وتربّي وتهدي وترشد وتتدخل في مسار الأحداث الأرضية يجعل المؤمن يشعر بمزيدٍ من الراحة والهدوء لأنّه في النهاية هناك من يلجأ إليه في النوازل مستعينًا به علىٰ قضاء الحوائج وهو قادرٌ علىٰ ذلك

---

(١) مصداقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [الحشر: ١٩]، فالإنسان حين يُنكر الخالق والدين يفقد المعنىٰ من الحياة كما يفقد أيضًا مركزيته في الكون وتفضيله علىٰ سائر الخلق وتسخير الطبيعة لخدمته فيصير -كما يدعي- الملاحدة عرضًا تطوريًا حادثا لا تعبأ به الطبيعة ولا تهتم به كالحيوان تماما وبالتالي يفقد الإنسان إنسانيته وينسىٰ نفسه.

في مقابل الفراغ الروحي لدىٰ الملحد المُسبب للإحساس المتواصل بالخوف والقلق والشعور بالوحدة أمام تلك الطبيعة الصّمّاء التي لا تسمع نداءً ولا تجيب دعاءً ولا تُدرك معاني الرحمة والشفقة والعدل. قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

إنّ الإيمان بالدين والرسالات هو الطريق الوحيد للوصول بالإنسان إلىٰ حالة التصالح النفسي الداخلي مع الذات بما تحمله من أسئلة وجودية وقلق معرفي، يقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: «الدين إحدىٰ الملكات الضرورية الطبيعية البشرية، وحسبنا القول بأن افتقار المرء للدين يدفعه إلىٰ حالة من اليأس الروحي تضطره إلىٰ التماس العزاء الديني علىٰ موائد لا تملك منه شيئًا»[(١)].

٦- حاجة الإنسان الفطرية الضرورية إلىٰ التوجه إلىٰ فاطره وإلهه ومعرفة مراده منه كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، وفي الحديث: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة**»[(٢)]، فخلق الله الإنسان خلقًا خاصًا مؤهلًا، خلقه يسمع بأذنه ويقرأ بلسانه كتاب الله المسطور، ويرىٰ بعينيه كتاب الله المنظور، ويدرك بعقله كل ذلك ويتفاعل معه ثم يختار بإرادته في النهاية ما يشاء بين طريقي الهدىٰ والضلال، فكان من لوازم حكمة الله حينها أن يُرسل رسالته المشتملة علىٰ كلامه وإخباره عن صفات كماله وآثارها في الكون وحكمته من خلق الإنسان وغير ذلك. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

---

(١) «مختصر دراسة التاريخ»، (٣/ ١٧٩).
(٢) «صحيح البخاري» برقم (١٣٨٥)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٦٥٨).

ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٧- القدرة على الوصول إلى التفاصيل الغيبية من خلال الدين فقط وليس بأي طريق آخر كالحس أو العقل أو التجربة. فإذا أراد الله ﷻ أن يُطلعنا على بعض الأمور الغيبية التي نحتاج إلى معرفتها في حياتنا الدنيا حتى تتضح لنا الحكمة والغاية من الوجود والحياة فلا سبيل إلى ذلك إلا من خلال الرسل والرسالات، وبذلك تكون الرسالة الإلهية تحمل من الأمور الغيبية ما هو من الضروري معرفته لدى الإنسان كي يصل إليه تصور أكثر اتساقًا عن الحياة.

٨- عدم تحقق واكتمال العدل في الدنيا جعل من الضروري الإيمان بوجود رسالات من الإله إلى البشر للتأكيد على وجود حياة أخرى بعد تلك الحياة حيث القصاص فيكتمل فيها العدل، وإلا فإنّ القول بعدم وجود تلك الرسالات يحمل بذلك وصفًا صريحًا للخالق بالظلم لأنه ترك الناس هكذا دون تحقق العدل ودون استرداد الحقوق والمظالم.

فلولا الرسالات التي تخبرنا عن الإله العدل الديّان الذي يحاسب الناس ويقتص للمظلوم من الظالم والتي تخبرنا أيضًا عن دار العدل في الآخرة لصار وجود الظلم في الدنيا دون سبيل لاسترداد الحقوق وصفًا للحياة بالعبثية! وكل ذلك يقتضي الإقرار اللازم المُسبق بوجود الإله، بمعنى أنه طالما هناك إلهٌ موجود، وطالما أنّ العدل لم يكتمل في تلك الحياة الدنيا بل نجد أنّ البشرية تعيش في عالم مليء بثنائيات الظالم والمظلوم، القاتل والمقتول، الطائع والعاصي الطيب والشرير، إذن لا بدّ من وجود رسالة من الإله تؤكّد كما قلنا على اكتمال العدل واسترداد الحقوق في اليوم الآخر ثم تكون بمثابة الفرقان بين الناس يبين لهم أولا الصواب والخطأ إما

تأكيدًا أو تأسيسا ثم بمثابة الميزان يُحاسبهم عليه. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١-٢٢].

هناك حُجة شهيرة استخدمها بعض الفلاسفة وعلماء الأديان الغربيين -وأشهرهم الكاتب المسيحي Lewis S.C (١٨٩٨-١٩٦٣)- وأسموها بحجة الرغبة كدليلٍ علىٰ وجود الإله واليوم الآخر، وكان لكل منهم صياغته الخاصة لتلك الحُجّة ولكنها في المجمل تعني أنّ الشعور بالمتعة أو الاحتياج أو الرغبة في شيء ما هو دليل علىٰ وجود ذلك الشيء، فمجرد شعور الرضيع الخارج لتوه من رحم الأم بالرغبة في الماء هو دليلٌ علىٰ وجود الماء، وبذلك يكون أيضًا شعور الإنسان بالرغبة في اكتمال العدل هو دليل علىٰ وجود العدل المطلق (الإله) ووجود يومٍ يكتمل فيه ذلك العدل (اليوم الآخر).

هذه الأسباب التي ذكرتها علىٰ ضروريّة الدين إنّما تُشكّل بمجموعها وتضافرها قناعةً يقينية بمدىٰ حاجة البشر المُلحة إلىٰ رسل الله الحاملين رسالة السماء إلىٰ الأرض، وهذا الاحتياج البشري يشمل كافة مستويات الاحتياج الروحي والنفسي والمعرفي والإنساني والاجتماعي والسلوكي ولذلك كان الموقف الطبيعي للإنسان السوي الذي اكتمل وعيه وإدراكه هو موقف المحتاج بشدة لرسالة الله إليه، أما ذلك الموقف الرافض المنكر لرسل الله هو في الحقيقة الموقف الذي يدعو للعجب والاستنكار. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣].

لو قمنا بملاحظة تلك الأسباب السابقة التي ذكرتها كدليل علىٰ ضرورة الدين سنجد أنها تتمحور حول فكرة مركزية الإنسان في الكون واختصاص الإله له تحديدًا بالإرادة والعقل والوعي وحب المعرفة والحكمة والبحث عنها وطرح الأسئلة، وبذلك كان من كمال حكمة الإله أن يختار هذا المخلوق (الإنسان) ويخصه باهتمام خاص من خلال التواصل معه وإرسال كلمته إليه عن طريق رسله وأنه لا يمكن بحال فهم وتفسير الظواهر والأسئلة الوجودية مثل سؤال المعنىٰ من الحياة بمعزل عن فكرة الدين والرسالات.

إنّنا نستطيع أن نصف القول بوجود رسالات إلهية بأن قدرته التفسيرية علىٰ تفسير الظواهر والألغاز الوجودية أعلىٰ بكثير جدا من الفرضية الأخرىٰ القائلة بعدم وجود تلك الرسالات الإلهية، بل إن الأمر أوضح من ذلك، فببساطة شديدة الحقيقة الأولىٰ تصلح لتفسير تلك الظواهر باتساق تام، والفرضية الثانية لا تصلح لتفسير الكثير من تلك الظواهر الوجودية!، ولذلك نجد أنّ الدين كان مكونًا أساسيًا لدىٰ جميع الحضارات البشرية علىٰ امتداد التاريخ المكتوب، فحتّىٰ وإن وُجد بعض الأفراد القلائل المُنكرين للدين إلّا أنّ جميع أهل الأرض هم من المؤمنين بالإله والأديان بشكلٍ أو بآخر كما **يقول المؤرخ الشهير (ويل ديورانت) صاحب موسوعة قصة الحضارة:** «ولا يزال الاعتقاد القديم بأنّ الدين ظاهرة تعمّ البشر جميعًا اعتقادًا سليمًا، وهذه في رأي الفيلسوف حقيقة من الحقائق النفسية والتاريخية»[١].

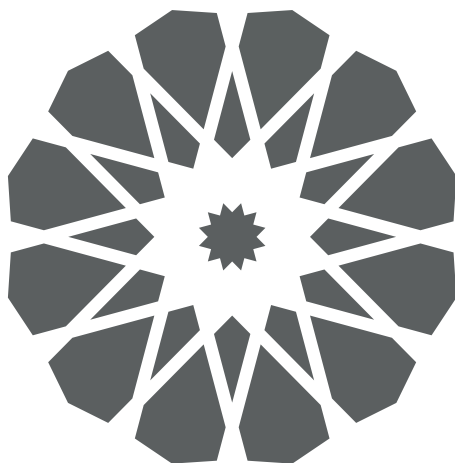
ولكن إذا كان للحياة معنىٰ ولخلق الإنسان غاية وهدف، فما هي تلك الغاية؟

---

(١) «قصة الحضارة» للمؤرخ الأمريكي ويل ديورانت، (٩٩/١).

كما ذكرنا سابقًا أنه للإجابة الصحيحة علىٰ ذلك السؤال لا بد من الاتصال أولًا مع الخالق، ولذلك نكرر ونؤكد ضرورية إرسال تلك الرسالة الإلهية إلىٰ عالم البشرية.





ثالثًا: رسول الله وأدلة صدق نبوته[(١)]

١ - ظاهرة النبوة

يتحدث المفكر الإسلامي مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية) واصفًا قضية النبوة بأنها:

«ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام بين قطبين من التاريخ، منذ إبراهيم ﵇ إلىٰ محمد ﷺ، واستمرار ظاهرة تتكرر بالكيفية ذاتها يعد شاهدًا علميًّا يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها»[(٢)].

والمراد من هذا الكلام أن هناك أمورًا وقضايا مشتركة يجتمع عليها جميع الأنبياء وهي التي تُعطي وتُشكل الملامح الأساسية المشتركة، **ولذلك يكمل مالك ابن نبي حديثه عن مبدأ النبوة قائلًا**: «فإن تكررها -أي الحالة النبوية- في ظل بعض الشروط يبرهن علىٰ الوجود العام للظاهرة بطريقة علمية، ويبقىٰ علينا أن نبحث في ماهية هذا التكرار لكي نستخلص من صفاته الخاصة القانون العام الذي يمكن أن يسيطر علىٰ الظاهرة في جملتها»[(٣)].

هذه الملامح المشتركة المميزة لظاهرة النبوة عن غيرها منها ما هو خاص بالمضمون مثل الحديث عن توحيد الله وصفاته، كما أن منها ما هو

---

(١) مستفاد من كتاب: «دلائل فصول»، للأستاذ محمد سمير.
(٢) «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، (ص: ٨٧).
(٣) المصدر السابق، (ص: ٨٧).

خاص بشخص النبي ذاته مثل تأييد الله له بالآيات والمعجزات والبشارات وأيضًا الصفات المشتركة لشخوص الأنبياء مثل الصدق والأمانة، وبالتالي يمكن قياسها واختبارها إذا ما ظهرت مرة أخرىٰ من خلال محاكمتها بالملامح والصفات المشتركة لظاهرة النبوة، ومنها نستطيع بسهولة الحكم عليها بالصحة أو البطلان.

ونستطيع أن نقول إن النبي محمد ﷺ وفق هذا المعيار الدقيق تتحقق فيه جميع الملامح والسمات المشتركة لظاهرة النبوة بدءًا من الكلام عن توحيد الله وصفاته والوحي والقيامة والجنة والنار والتأييد بالآيات والمعجزات والبشارات والنبوءات والثمرات وأيضًا الصفات الشخصية كالصدق والأمانة وحسن الخلق، وبذلك تكون ظاهرة النبوة متحققة بكافة ملامحها بشكل واضح في شخص النبي محمد ﷺ. لذلك نجد القرآن كثيرًا ما يؤكد علىٰ ذلك المعنىٰ واصفًا دعوة النبي محمد بأنها امتداد طبيعي لظاهرة النبوة ولدعوة الأنبياء من قبله. ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

وخلاصة القول: إن النبوة ظاهرة موضوعية مستقلة تمامًا عن الذات الإنسانية التي تُعبر عنها؛ فهي جزء مشترك عند جميع الأنبياء له ملامح ومحددات ثابتة، ولكنها عندما تتحقق في نبي بعينه فإنها تكتسب صفات وملامح زائدة إضافية مميزة لهذا النبي عن غيره من الأنبياء، وهذه الملامح الزائدة ليست المعيار الحاكم علىٰ ظاهرة النبوة صحة وبطلانًا، ولكن المعيار الحاكم هو هذه الصفات المشتركة لظاهرة النبوة كما ذكرت سابقًا.

٢ - صفات النبي

إن التفكر في صفات النبي محمد ﷺ وقرائن أحواله هو من أعظم الأدلة الدالة علىٰ صدقه، ولذلك أمر الله البشر جميعًا بالنظر والتفكر في

حال النبي وصفاته كدليل على صدقه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

يقوم هذا الدليل في الأساس على فكرة وضوح وسهولة التفريق بين النبي الصادق ومدعي النبوة الكاذب، ولا أقول إمكانية التفريق بل سهولته ووضوحه لكل من تفكر وتدبر قليلًا.

يقول ابن أبي العز الحنفى رَحِمَهُ اللهُ: «النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما»(١).

ومعنى هذا الكلام أن الشخص الذي يدعي أنه نبي فهو بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن يكون صادقًا في دعواه فيكون نبيًّا بحق وهذا قطعًا سيكون أصدق الصادقين طوال حياته، وستأتي جميع مواقفه وسيرته لتؤكد ذلك، وإما أن يكون كاذبًا في دعواه فهو حينها يكذب على الله في أشد ما يكون الكذب، إنه يكذب في أمر الوحي بتقَوّله على الله، فهذا سيكون أكذب الكاذبين، ولن يسلم ذلك الشخص من افتضاح أمره خاصة مع كثرة المواقف والأحداث التي يمر بها ويتفاعل معها بالإضافة إلى كونه محور اهتمام ونظر الناس من حوله لادعائه النبوة.

إن السلوك الفطري البشري للحكم على شخص معين بالصدق أو الكذب هو النظر في قرائن حال ذلك الشخص ومواقفه التي مر بها وكيف كان حاله وتعامله مع تلك المواقف، فإن كان صادقًا فيها والمواقف تشهد له بذلك فإننا نحكم بصدقه ونقبل منه الخبر.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»، (١/ ١٤٠).

وإننا إذا نظرنا في حياة النبي محمد ﷺ من بدايتها إلىٰ نهايتها ونظرنا في قرائن أحواله فإننا لن نجد فقط أنه كان صادقًا بل إنه في الحقيقة لم يُعرف عليه كذبة واحدة فقط ولو كانت مزاحًا، مع العلم أن النبي محمد هو الشخص الوحيد في تاريخ البشرية الذي نُقلت وحفظت سيرته كاملة موثقة بالأسانيد.

لا يوجد في تاريخ الدنيا بأسرها من استطاع أن يُخفي كذبه علىٰ الناس طيلة حياته لأن القرائن والمواقف والدلالات التي من خلالها نستطيع اختبار صدق الشخص أو كذبه كثيرة جدًّا خلال حياة الإنسان، ويتأكد ذلك عندما تزداد المواقف والتجارب التي يمر بها الشخص ويتعامل فيها مع غيره من الأشخاص المحيطين به، كما يتأكد أيضًا مع ازدياد شهرة الرجل وأهميته وسط قومه المحيطين به لكونه محور اهتمامهم وتحت نظرهم دائمًا يراقبون مواقفه ويتابعون أخباره لعلهم يلحظوا منه شيئًا قد يثبت لهم كذبه أو عدم أمانته؛ لأنه ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه)[(١)].

فهيا بنا نطالع طرفًا من هذه الأخبار التي تؤكّد صدق النبي ﷺ وأمانته وحُسن صفاته:

• تلقيب النّبيّ (قبل البعثة) من أهله وقومه بالأمين، فعن مجاهد عن مولاه أنه حدثه أنه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية؛ حتىٰ بلغنا موضع الحجر وما يرىٰ الحجر أحد فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءىٰ منه وجه الرجل، فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال آخرون:

---

(١) يروىٰ هذا الأثر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، (٦/٤٨٧)، و«تفسير ابن كثير»، (٧/٣٢١).

نحن نضعه فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفج، فجاء النبي ﷺ، فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له فوضعه في ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو ﷺ(١).

• موقف جبل الصفا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبيُّ ﷺ علىٰ الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» -ينادي علىٰ بطون قريش- حتىٰ اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال النبي ﷺ:

«أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تُغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»(٢).

ومحل الشاهد هنا هو قول أهل قريش المجتمعين عند جبل الصفا جميعًا: ما جربنا عليك كذبًا، فكان ذلك القول بمثابة الإجماع من أهل قريش -الذين عرفوا النّبي محمد وعايشوه- علىٰ صدقه وترفُّعه عن الكذب مع عدم وجود أي أحدٍ منهم قد اعترض علىٰ ذلك الإجماع.

• شهادة المحيطين بالنبي والملازمين له وأقرب الناس إليه سواء من أهل بيته أو أصدقائه المقربين علىٰ صدقه وحُسن صفاته، فمن المعلوم أنّ أكثر الناس معرفةً بحال الشخص وصفاته وحقيقة أمره هم أقرب الناس إليه وأكثرهم ملازمةً له سواء كانوا من أصدقائه المقربين أو من أهل بيته، ولذلك كان من المهم جدًّا عند دراسة شخص الرسول والتفكّر في حاله أن

---

(١) [إسناده صحيح] «مسند أحمد» (٢٤/ ٢٦١) برقم (١٥٥٠٤).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٤٧٧٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٠٨).

نستمع إلىٰ تلك الشهادات من أولئك المُقربين أمثال صاحبه أبي بكر الصديق وزوجاته عائشة وخديجة وخادمه أنس بن مالك الذي ظل مُلازمًا له قرابة العشر سنين وأيضًا شهادة ابن عمه وزوج ابنته وأحد المقربين منه وهو علي بن أبي طالب، وغيرهم من صحابته المُقربين.

لذلك سأعرض الآن بعض تلك الشهادات حتىٰ تتأكّد لنا تلك الصورة الذهنيّة عن حال النبي وصفاته وحقيقة أمره:

• زوجته خديجة رضي الله عنها: وهي أول زوجات النّبي ﷺ والتي ظلّ معها وحدها دون أن يتزوج عليها حتىٰ توفاها الله ﷻ في السنة العاشرة بعد البعثة.

وكانت السيدة خديجة قد شهدت مع النّبي أول نزول الوحي عليه من السماء وذلك حينما أتىٰ جبريل عليه السلام إلىٰ النبيَّ ﷺ لأول مرةٍ وهو يتعبّد وحده في غار حراء فخشي النّبي علىٰ نفسه وعاد سريعًا إلىٰ بيته ليجد زوجته خديجة رضي الله عنها في انتظاره تُطمئنه وتُهدئ من روعه وتُذكّره ببعض جميل صفاته قائلةً له: «كلا والله لن يخزيك الله أبدًا؛ إنّك لتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين علىٰ نوائب الحق»(١).

• زوجته عائشة رضي الله عنها: تقول عن أخلاقه في التعامل معها ومع غيرها: «كان خُلقه القرآن»(٢)، وتقول أيضًا: «لم يكن فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يعفو ويصفح»(٣)، وتقول عنه: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣)، و«صحيح مسلم» برقم (١٦٠).
(٢) «صحيح مسلم» برقم (٧٤٦).
(٣) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٠١٦)، وانظر: «مشكاة المصابيح»، للألباني برقم (٥٨٢٠).

حرمة الله، فينتقم الله بها»[(١)].

• **خادمه أنس بن مالك: يقول أنس**: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس»[(٢)]

ويقول أيضًا: «خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشرَ سنين فوالله ما قال لي: أُفٍّ قطُّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُهُ: لمَ فعلتَ كذا ولا لشيءٍ لم أفعله ألا فعلتَ كذا»[(٣)].

• **ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب**: يقول علي بن أبي طالب واصفًا حال النبي في موقف تظهر فيه معادن الرجال الحقيقيّة وهو موقف اشتداد القتال حيث القرب من الموت الذي يجعل المرء أقرب ما يكون من حقيقته وأبعد ما يكون عن التكلّف والتجمّل فيقول: «كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتَّقَيْنَا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنىٰ من القوم منه»[(٤)].

• **صديقه أبو بكر الصديق**، في يوم الإسراء والمعراج وبعدما حكىٰ النّبي ما رآه في رحلته العجيبة التي وقعت له ليلًا حاول الكفار استغلال الموقف كي يُظهروا كذب النبي ويصدوا الناس عن دعوته وأيضًا ليفتنوا المسلمين في دينهم.

في ذلك اليوم جاء الكفار إلىٰ أبي بكر قائلين له أنّ صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلىٰ بيت المقدس، فماذا كان رد فعل أبي بكرٍ عليهم؟!

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٥٦٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٣٢٧).
(٢) «صحيح البخاري» برقم (٢٨٢٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٣٠٧).
(٣) «صحيح البخاري» برقم (٦٠٣٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٣٠٩).
(٤) [صحيح] «مسند أحمد» برقم (١٣٤٧). صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

لقد قال لهم بثقة وثباتٍ: لئن قال ذلك لقد صدق!

فتعجبوا كثيرًا من قوله قائلين له أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلىٰ بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟

فقال الصديق ﷺ: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة[١].

وأنا سأكتفي بتلك الأقوال والمواقف التي ذكرتها فقط وإلا فإنّ كتب السيرة النّبوية مليئةٌ بالمواقف والأقوال والشهادات علىٰ كمال صفات النّبي وحسن سيرته حتّىٰ إنّ هناك كتبًا ومؤلفاتٍ قد صُنّفت خصيصًا للحديث عن الأخلاق النّبويّة والشمائل المحمدية، وقد أجمل صاحبه **وشاعره حسان بن ثابت القول في ذلك فقال**:

وَأَحْسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيْنِي ... وَأَجَمَلُ مِنكَ لَمْ تَلِدِ النِساءُ
خُلِقتَ مُبَرَءً مِن كُلِ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَمَا تَشَاءُ

- أولئك الذين آمنوا بالنبي وبدعوته وصدّقوه منذ الأيام الأولىٰ من بعثته (خاصةً في أول يوم بُعث فيه) حين قال للناس أنه رسول من عند الله:

إذ كيف لأحدٍ أن يصدق أحدًا في أمرٍ كهذا -وهو التواصل مع رب العالمين من خلال ملَكٍ عظيمٍ يأتيه بالخبر من السماء- منذ اللحظة الأولىٰ دون طلب دليلٍ علىٰ ما أخبر عنه؟!

ليس هناك تفسير علىٰ فعل هؤلاء إلّا ما وجدوه من صدق النّبي في كل أمور حياته حال عشرتهم له قبل البعثة للدرجة التي لم يرد في أذهانهم مطلقًا أنه قد يكذب عليهم في أمرٍ ما أيًّا كان ذلك الأمر مع العلم أنّ هؤلاء

---

(١) [صحيح] «مستدرك الحاكم» برقم (٤٤٠٧)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (٣٠٦).

المؤمنين الأوائل كانوا من أصحاب الرأي والعقل الراجح أمثال عبد الله بن أبي قحافة أبي بكر الصديق) وزيد بن حارثة وخديجة زوجة النّبي وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفّان والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وأبي سلمة والأرقم بن أبي الأرقم وغيرهم.

• صدق النّبي وإخلاصه وزُهده في متاع الدنيا طيلة حياته، حتىٰ بعدما حدث له التمكين وأصبح قائدًا لدولة وليدة عظيمة فقد ظل النبي علىٰ نفس حاله التي كان عليها حيث لا يُوقد في داره النار طيلة الشهور العديدة، وكان أغلب طعامه التمر والماء[١]، ووصل زهده إلىٰ الحد الذي جعله يموت ودرعه مرهونة عند يهودي[٢]!

هذا الزهد في متاع الدنيا وملذاتها وطيب عيشها علىٰ الرغم من تلك المكانة التي وصل إليها النبي والتي جاوزت كثيرًا من ملوك عصره وحكام زمانه لهو دليل علىٰ صدقه وعدم طلبه للدنيا والمال، بل إنه كان يريد ويسعىٰ إلىٰ شيء آخر، ذلك الشيء إن لم يكن هو الدنيا وزينتها فماذا يكون إذن؟!

لقد كان النبي محمد موقنا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]، كما كان مستمسكًا بذلك التوجيه الإلهي: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٥٦٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٧٢) عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت لعروة: ابن أختي إن كنا لننظر إلىٰ الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار، فقلت يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء.

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٢٥٦٧) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعًا من شعير».

مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وهكذا كما نرىٰ فإنّ النّبي محمد لم يكن له أي أطماع دنيوية خاصّة به في حياته فلقد رفض كل العروض الدنيوية التي انهالت عليه وفضّل أن يعيش زاهدًا في متاع الدنيا بل إنّه حتّىٰ لم يكن ممّن يدخرون المال من أجل تحسين الوضع المادي والاجتماعي لأبنائه من بعده فكما نرىٰ لم يترك لهم شيئًا من متاع الدنيا!

كل هذا في الحقيقة لا تفسير له إلّا أنّه كان -كما قالت عائشة رضي الله عنها- قرآنًا يمشي علىٰ الأرض، ومن ثَمّ فهو يمتثل جيدًا قول الله ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

• صبر النّبي علىٰ الأذىٰ الشديد الذي تعرّض له في حياته خاصةً عندما كان مستضعفًا في الفترة المكية وعلىٰ الرغم من أنه في ذلك الوقت كانت تنهال عليه كافة العُروض والإغراءات الدنيوية بالسلطة والمال والجاه والنساء، وكانت تُعرض عليه كل الدوافع الدنيوية المُمكنة التي قد تكون سببًا في ادعاء أحدٍ للنبوة كذبًا، وهو مع كل ذلك يرفض تلك العروض ويظل صابرًا، مع العلم أنه لم يكن هناك وقتَها أي أسباب مادية تُبشر باحتمال حدوث النصر والتمكين في يوم من الأيام!

هذا الصبر علىٰ الأذىٰ في الوقت الذي لو أراد لفتحت له الدنيا بكل ما فيها من إغراءات وملذات لهو دليل قوي علىٰ صدق ذلك الرجل في دعوته التي يدعو إليها.

• كثرة عبادة النبي ﷺ في السر، وكثرة صلاته بالليل حيث لا يراه أحد حتىٰ تورّمت قدماه كما ذكرت زوجته عائشة[١]، فقد يكون مفهومًا لدينا أن يتكلف مدعي النبوة الكاذب طولَ العبادة أمام الناس لتضليلهم وخداعهم حتىٰ يُصدقوه، ولكن الذي لا يُمكن فهمه أبدًا هو ما فعله النبي ﷺ من القيام بتلك العبادة الطويلة الشاقة -من صلاة الليل واقفًا حتىٰ تتورم قدماه، ومن صيام النهار في صحراء مكة الشديدة الحرارة حيث لا يعلم ذلك أحدٌ إلا زوجاته اللاتي نقلن ذلك عنه- إلا أن يكون نبيًّا صادقًا في دعوته موصولًا بالسماء حقًّا يلتصق به وصف النبوة ظاهرًا وباطنًا؟!

• مدىٰ اقتناع النّبي ﷺ الشخصي بفكرته ودعوته التي يدعو إليها، وهذا يجده ويلاحظه بجلاء كل من طالع سيرة النّبي ومواقفه وأخباره والتي تجلّت في صور كثيرة من البذل والتضحية من أجل تلك الدعوة حتىٰ وصل مداها وتأثيرها إلىٰ صحابته في صورة يقينٍ جازم واقتناعٍ تام بما هم هذا الأمر دفع الكثير من المستشرقين الطاعنين في الإسلام عندما نظروا في سيرة النبي إلىٰ عدم القدرة علىٰ اتهامه بالكذب في دعواه لأن سيرته واقتناعه بفكرته لا يمكن بحال أن يكون متسقًا مع فرضية كذبه، فعدلوا عن ذلك الاتهام مُرغمين إلىٰ اتهامات أخرىٰ واهية كالوحي النفسي والتي سنتكلم عنه في الباب الثاني إن شاء الله.

• حرص النّبي الشديد علىٰ الخير للنّاس وعلىٰ إيصال دعوته إليهم حتّىٰ في لحظات ضعفهم ومرضهم حيثُ لا منفعة مادية ولا مصلحة دنيوية

(١) «صحيح البخاري» برقم (٤٨٣٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٨٢٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ، إذا صلىٰ قام حتىٰ تفطر رجلاه قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا».

تُرتجي وتُنتظر حينها من وراء إيمانهم، ومن الأمثلة علىٰ ذلك أننا نجد النّبي فَرِحًا حامِدًا لله علىٰ فضله عندما ذهب لزيارة جاره الغلام اليهودي في مرضه ودعاه للإسلام فأسلم فأخذ يردد قائلًا: **الحمد لله الذي أنقذه من النار**(١).

• الموقف الثابت والعبارات الواثقة التي كان يرددها النّبي ﷺ قبل وفاته والتي تؤكّد مدىٰ صدقه وإخلاصه لدعوة التوحيد ومدىٰ حرصه علىٰ النّاس وخوفه من وقوعهم في الشرك بعد وفاته، ومن أمثلة ذلك الدعاء الذي كان يردده في آخر لحظات حياته: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد»(٢)، وأيضًا تلك الوصية التي كان يُوصي بها أصحابه من حوله بألا يُعظموه تعظيمًا قد يتجاوز به حد العبودية الله فكان يقول لهم: لا تطروني(٣)، كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، وقولوا عبد الله ورسوله»(٤).

• مطالعة حال النّبي ﷺ قبل البعثة -أي قبل بلوغه الأربعين من عمره- حيث لم تكن فكرة النبوة والرسالة حاضرة في ذهنه أصلًا ولا في ذهن أي أحد ممن حوله، وبالتالي لم يكن هناك دافع يدفع النبي لكي يتكلف الصدق والأمانة وحُسن الخلق علىٰ غير سجيته وطبيعته؛ حيث لم

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٣٥٦) عن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلىٰ أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

(٢) [صحيح] «موطأ مالك» برقم (٨٥)، و«مسند أحمد» برقم (٧٣٥٨)، وانظر: «المشكاة»، للألباني برقم (٧٥٠).

(٣) **تطروني**: من الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٤) «صحيح البخاري» برقم (٣٤٤٥).

يكن موضوعًا تحت أنظار الناس، وإنما كان يظهر منه وقتها عينُ طبيعته وسجيته التي خلقه الله عليها دون أي تكلف.

ختامًا لكل ما ذكرناه من صفات النبي وصدقه وأمانته وأخلاقه والتي شهد بها العدو والصديق فإن ذلك كله يؤكد عدم احتمال وقوع الكذب منه في الأمور الصغيرة والمعتادة بين الناس فضلًا عن أن يكون الكذب علىٰ الله والتقوّل عليه في أمر عظيم كادعاء النبوة.

خلاصة

أنّ ما ذكرناه هو حجةٌ عقليةُ علىٰ صدق الإسلام من خلال إثبات صدق الرسول وحُسن صفاته وتركه الكذب علىٰ الناس في الأمور الصغيرة وبالتالي وبقياس الأولىٰ تركه الكذب علىٰ الله في الأمر العظيم كدعوىٰ النّبوة والتواصل مع الإله.

وقبل أن نطوي صفحات هذا الفصل فإنّ هناك بعض الأسئلة التي لا بُدّ أن تُطرح لمن لا يزال في قلبه شكٌّ في أمر النبي محمد ﷺ، ولمن لا يزال يظن أنّه كاذبٌ في ادعائه النبوة، هذه الأسئلة هي:

كيف يُوفِّق الله عبدًا -يدعي النبوة كذبًا ويتقوّل علىٰ الله- كلَّ هذا التوفيق؟! كيف يجعله الإله بكل هذا الكمال في الصفات البشرية كالصدق وحسن السيرة وتواتر الأخبار عنه بذلك في الوقت الذي يكذب فيه هذا الشخص عليه في ادعاء النبوة، فهل يريد الله إضلال العباد مثلًا؟!

نحن نعلم أن الله عدل حكيم ومن لوازم عدله وحكمته أنه -قطعًا- لا يُريد التلبيس علىٰ عباده وإضلالهم وتضييع الحجة وإلا فلماذا أرسل الرُسل من الأساس؟! ومن لوازم عدله وحكمته أيضًا أن يكون الحق واضحًا والباطل واضحًا ليحيىٰ من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة. وهذه

الحجة ليست احتجاجًا بالقدر بمعناه السلبي، ولكنه احتجاج بلوازم حكمة الإله وعدله مع خلقه (لمن يؤمن به وبوجوده) وأنه يريد شرعًا هدايتهم ولا يحب إضلالهم وتلبيس الحق بالباطل عليهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال:

إن فكرة توفيق الله لمدعي النبوة الكاذب تختلف تمامًا عن فكرة توفيق الله لأحد الكافرين أو الظالمين غير المدعين للنبوة توفيقًا دنيويًّا بأن يزيد مثلًا في ملكه وسلطانه، فالأُولىٰ تتضمن قدحًا مباشرًا في عدل الله وحكمته ولا يمكن تفسيرها بأنها مجرد ابتلاء وفتنة للعباد بل لا تكون إلا تلبيسًا علىٰ الخلق، أما الثانية فقد تُفهم في إطار حكمة الله بتقديره للابتلاء والفتنة لعباده ولكن مع ظهور الحق ووضوحه وعلوه علىٰ الباطل بالحجة والبيان حتىٰ وإن لم يكن له عُلو بالسيف والسنان (أي بالتمكين).

فالنبي محمد (مع ادعائه النبوة) نجده يتصف بكمال الصدق وحسن الخلق، فهذه هي الحالة التي يحق لنا فيها الاحتجاج بالقدر؛ وذلك أن الله خلقه علىٰ تلك الهيئة من الصدق وحسن الخلق مع انعدام أي حجة أو برهان ينهض لإبطال صحة نبوته، وكل هذا من لوازم حكمة الله ببعثة الرسل لبلاغ الحق للخلق وإقامة الحجة عليهم.

مواقف من سيرته دالة علىٰ صدقه وعصمته عليه الصلاة والسلام

يقول الرافعي: «ليس في التاريخ العربي كله من جُمعت صفاته وأحصيت شمائله وتواتر النقل بذلك جميعه من طرق مختلفة علىٰ توثيق إسنادها غير النبي»(١).

(١) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، (ص٢٨٨).

إنّ الباحث الموضوعي إذا نظر بتجردٍ واستقلاليةٍ في سيرة النبي ﷺ سوف يقطع بأنها سيرةُ نبيٍ مُؤيّدٍ من السماء، والمواقف التي تُؤكد ذلك كثيرةٌ جدًا منها:

١- موقف كسوف الشمس:

في اليوم الذي مات فيه إبراهيم ابن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

فلقد كانت هناك أسطورة منتشرة قديمًا قبل الإسلام عند كثير من الأمم والشعوب تقول إن هناك علاقة ما بين الأجرام السماوية والأحداث الأرضية الهامة مثل ظهور النجوم في السماء عند مولد العظماء وأيضًا اختفاء النجوم عند موتهم!

في يوم من الأيام في جزيرة العرب مات آخر أبناء الرسول الذكور (إبراهيم)، وفي نفس اليوم حدث كسوف للشمس (والذي كان يظهر لهم وقتها أنه نوع من الغياب أو الاختفاء الجزئي لذلك الجرم السماوي العظيم).

بدأ بعض الناس يقولون ويُرددون: «كُسفت الشمس لموت إبراهيم»، فعلم النبي مقالتهم!

فيا ترىٰ ماذا كان رد فعل النبي ﷺ من ذلك؟!

بل هل يمكننا أصلًا أن نتصور أن يقوم مدعي النبوة الكاذب برفض مثل تلك الفرصة التي أتت إليه دون أي عناء وعدم استغلالها لتأكيد دعواه وإثبات أنه شخص استثنائي تتفاعل معه الأجرام السماوية؟!

أنكر عليهم النبي ﷺ هذا القول بشدة وقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما، فادعوا الله وصلوا حتىٰ ينجلي»[(١)].

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٠٦٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٩١٥).

الأعجب من ذلك أن النبي بعدما أنكر قولهم لم يعط لنفسه حتىٰ فرصة أن يكون هو محور اهتمام الناس ورعايتهم في ذلك اليوم تخفيفًا عنه في مصابه الشديد، بل إنه نقل مركزية الحديث يومها من شخصه إلىٰ ذات الله سبحانه والتفكر في اليوم الآخر فقام وصلىٰ بالناس صلاة الكسوف وخطب فيهم عن عذاب القبر.

٢- موقف حادثة الإفك:

وقد جاءت تلك القصة في صحيح البخاري من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها (صاحبة القصة) وفيها أن المنافقين كانوا قد طعنوا في عرض رسول الله ﷺ وفي أحب نسائه إليه وهي عائشة حيث اتهموها بارتكاب الفاحشة مع الصحابي صفوان بن المعطل أثناء العودة من غزوة بني المصطلق!

استمر هذا الافتراء شهرًا كاملا والمنافقون يُرددون وينشرون الشائعات والأراجيف، والرسول مُنتظر كل هذه الفترة لا يتكلم في هذا الأمر أبدًا!

بعد انقضاء كل تلك المدة الطويلة خرج النبي ﷺ إلىٰ الناس معلنًا براءة زوجته عائشة من خلال بعض آيات القرآن الكريم(١).

السؤال هو: إذا كان أحدٌ يملك دليل براءته من اتهامه في عرضه وشرفه وفي أحب نسائه إليه مع العلم أن ذلك الشخص هو أغير الناس، وبعض الناس حوله يُرددون الشائعات والأراجيف وينشرونها بين الناس، فهل يستطيع هذا الشخص أن ينتظر كل ذلك الوقت في هذه المعاناة؟! ولكن لأن محمدًا هو رسول الله حقًّا، ولأن الوحي الذي يتكلم به هو من مصدر مُستقل تمامًا عن ذات النبي، خارج عن شخصه ونفسه، فهو ينتظره حتىٰ لو تحمل وصبر علىٰ أذىٰ القوم.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٦٦١)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٧٧٠).

• الحفظ الاستثنائي للنّبي محمد ﷺ طوال فترة نزول القرآن مُفرقًا حتىٰ خرج هو بنفسه علىٰ المسلمين ليُخبرهم باكتمال الدين ثمّ يموت بعدها مُباشرةً:

فمن خلال النظر العام في سيرته خلال فترة البعثة والرسالة نلاحظ أنّه منذ أن نزل عليه وحي السماء أول مرة وهو يتلو القرآن علىٰ الناس مُنجّمًا (مُتفرقًا) طيلة ثلاثة وعشرين عامًا تقريبًا، وخلال كل هذه الفترة أخذ النبي يخوض المعارك والحروب حتىٰ كاد أن يُقتل ويتآمر عليه اليهود والكافرون ويتعرض للإيذاء الشديد وهو ما زال يتنزل عليه القرآن ويقرؤه علىٰ الناس حتىٰ مضىٰ اثنان وعشرون عامًا تقريبًا وهو علىٰ هذا الحال، ثم يقوم بعدها بجمع المسلمين في حجة الوداع ليقرأ عليهم جميعا ذلك البيان الإلهي التاريخي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المَائِدَةِ: ٣]، ثمّ ما يلبث بعدها أن يموت!

السؤال هنا: كيف حدث ذلك؟

كيف تمّ ترتيب تلك الأحداث الزمنية بهذا الشكل الذي ساهم في إكمال الدين رغم كل تلك العقبات والتّحدّيات؟!

فلو حدث أن مات النبي خلال فترة البعثة وأثناء مواجهته مع الكفار منذ أن جهر بدعوته إلىٰ أن وقف في حجة الوداع، وكان ذلك قريب الحدوث جدًّا، لكان قد مات قبل اكتمال الدين!، فحينها سيكون ذلك مدخلًا للطاعنين في دعوته.

ولكن ما حدث هو أن النبي ﷺ ظل رغم كل هذه الظروف الصعبة والعصيبة وإحاطة فرص الموت به من كل مكان حتىٰ أكمل دينه وأتم دعوته.

وههنا يطرح السؤال نفسه: كيف يُوفِّق اللهُ عبدًا يكذب ويتقوّل عليه (كما يدعي من لا يؤمن بالإسلام) كلَّ هذا التوفيق لدرجة أنه يُخضع له السنن الكونية حتىٰ يُتم دعوته؟!

إذ لا يوجد أحد يعلم موعد موته ويخطط للانتهاء من جميع أعماله ومشاريعه قبلها!

• الكم الهائل من الإنجازات الاستثنائية التي حققها النبي محمد ﷺ - والتي يعجز عنها جميع البشر بشهادة الكافرين والمسلمين في ظل تحدّيات وعقبات أيضًا استثنائية:

فبالنظر في سيرة النبي سنجد أنّ له إحدىٰ عشر زوجة وما يزيد عن مائة ألف صحابي، ونجد أنه هو الحاكم والقاضي والقائد العسكري الذي يخوض المعارك ويقود المسلمين ويضع لهم السياسات العامة، وهو أيضًا يقوم بمهام الرسالة فيبلغ عن ربه ما نزل عليه من الوحي، ويتدارس القرآن تنزيلا وتأويلا ويحفظه ثمّ يُعلّمه للناس ويتعهدهم في ذلك، ثم يخلو بربه في عباداته.

مع كل هذا الكم الهائل من المسؤوليات نجد أن حجم الإنجازات التي حققها النبي تعجز عنه جميع الهمم البشرية (غير المؤيدة من السماء)!

والإنجاز الذي حققه الرسول ليس فقط علىٰ المستوىٰ السياسي ولكنه أيضًا تحولٌ حضاري وثقافي في عالم الأفكار والمعتقدات والتصورات عن الإله والوجود وفي عالم القيم والأخلاق وأيضًا في الواقع المادي والبُنىٰ التحتية، وأقل ما يُقال فيها إنه أقام بمجموعة من رعاة الغنم حضارة عظيمة في فترة قصيرة جدًّا من عمر الزمان، وهذا الإنجاز المادي فقط هو الذي

دفع بعض كُتاب الغرب أمثال مايكل هارت أن يُصنفوا الرسول كأعظم عظماء التاريخ[(١)].

أيضًا ما زلنا نسأل ذلك السؤال الذي نصطحبه معنا دائمًا في نهاية كل فصل:

كيف يُوفِّق ويُؤيد الإلهُ رجلًا كلَّ هذا التوفيق والتأييد والنصر والتمكين (إن كان يكذب عليه)؟!

كيف يُوفقه بالحجة والبيان وأيضًا بالسيف والسنان؟!

يؤكد لنا الدكتور مصطفىٰ محمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه (محمد) هذا المعنىٰ العظيم حيث يقول:**

«وأيًا كان التفسير، فإنك إن أخذت تحسب بالورقة والقلم كيف حدثت هذه الأمور، واستعنت بالعقل الإلكتروني وكافة وسائل الحساب الحديثة فإنك لا تستطيع أن تُفسر كيف أن فردًا واحدًا مضطهَدًا مطاردًا يُؤثر هذا التأثير في أفراد قلائل يعدون علىٰ الأصابع، ثم يُؤثر هؤلاء في كثرة من مئات ثم ألوف تهزم الروم، ثم الفرس - وكانت دولتين كأمريكا وروسيا في ذلك الوقت، يحدث هذا كله في سنوات معدودة، وابتداءً من الصفر ومن

(١) الكتاب المعني هو كتاب «المائة»: ترتيب أكثر الشخصيات تأثيرًا في التاريخ للكاتب الأمريكي مايكل هارت، والذي قام بترجمته (ترجمة ناقصة وسيئة) إلىٰ اللغة العربية أنيس منصور.
والاستشهاد بالكتاب ههنا ليس إقرارًا بما فيه؛ فإنه في الحقيقة تعامل مع النبي ﷺ علىٰ أنه مجرد شخص عبقري نجح في إقامة إمبراطورية عظيمة دون الاعتبار بكون التأييد الإلهي ودلائل صدق نبوته والوحي المنزل هم ركائز انتشار دعوته وسبب فتح أقفال القلوب قبل الأقطار؛ فالنبوة في اعتقادنا هبة واصفاء من الله وليست من جنس الأمور المكتسبة بالرياضات نحو قول الفلاسفة!

بداوة مطلقة ومن عرب مشرذمين في قبائل تقتُل بعضها بعضًا بلا حضارة وبلا علم يُذكر، وإنك لن تصل أبدًا في حسابك إلىٰ تلك النتيجة الهائلة وستظل المعادلة ناقصة حتىٰ تُدخل فيها ذلك العامل الخفي -عامل الغيب- وسند المدد الإلهي من التمكين والتوفيق.

نحن إذن أمام نُبوة مؤيدة بسند الغيب ورجل انعقد له لواء التمكين الإلهي ولسنا أمام مصلح اجتماعي أو صاحب ثورة أو عظيم من عظماء الدنيا يعمل بالاجتهاد والعمل الكسبي(١).

ومن المعلوم أن كل مَن ادعىٰ النبوة كذبًا أمثال مسيلمة قديمًا ومِيرزا غلام أحمد القادياني حديثًا وغيرهما - قد فضح الله أمرهم وأظهر كذبهم للناس جميعًا حتىٰ لا تستقيم لهم حجة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يُونُس: ٦٩].

● مدىٰ الاتصال والاتساق الشديد بين الفكرة التي يحملها النبي محمد ﷺ وتطبيقها في الواقع الذي يشتبك معه، وبين النظرية التي يتبناها والممارسة المُتجليّة من الأساس النظري، وبين قوله وعمله:

فنجد النبي يدعو للعبادة وهو العابد، ويُحث علىٰ الزهد وهو الزاهد، ويُحث علىٰ البذل والتضحية والإنفاق وهو الذي يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر كما قال عنه الأعرابي(٢)، ويدعو للجهاد وهو دومًا في مقدمة الصف فما يكون أحد أقرب إلىٰ العدو منه، ويحض علىٰ الثبات وهو حين يشتد بالصحابة البأس أثناء القتال ويلقىٰ القومُ القومَ يتقوا به كما قال علي رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «محمد ﷺ- محاولة لفهم السيرة النبوية»، للدكتور مصطفىٰ محمود، (ص: ٣٨-٣٩).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٣١٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطي عطاء لا يخشىٰ الفاقة.

• **تلك الإرهاصات التي حدثت قبل مولد النّبي محمد ﷺ:**

وهي أحداث غريبة لفتت أنظار العالم كله إلىٰ مكة وجزيرة العرب التي خرج منها النبي وكأنها تنتظر قدومه بالرسالة إلىٰ العالم أجمع، ومن أمثلة تلك الإرهاصات:

- حادثة الفيل، والتي كانت في العام الذي ولد فيه النبي؛ حيث حمىٰ اللهُ بيته الحرام من جيش أبرهة الحبشي العظيم الذي كان قادمًا لهدم الكعبة، فسخَّر اللهُ الطيرَ الأبابيل التي قامت بقذف جيش أبرهة بحجارة من سجيل!

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١-٥].

- قصة النبي ﷺ مع بحيرىٰ الراهب، والتي جاء فيها أن النبي لما بلغ اثنتي عشرة سنة ارتحل به أبو طالب تاجرًا إلىٰ الشام فصادف هناك راهبًا يدعىٰ بحيرىٰ، فلما نزل الركب خرج إليهم، فجعل يتخللهم حتىٰ جاء فأخذ بيد رسول الله وقال: **هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين**(١).

• بعض المواقف التي صدرت من النبي محمد ﷺ قبل بعثته والتي تدلّ علىٰ امتلاكه حالةً استثنائية من سلامة الفطرة؛ بحيث أنّها تحمله كثيرًا علىٰ السير ضد التيار العام والثقافة السائدة لذلك المجتمع الجاهلي الذي قد انتكست أفكاره وتصوراته، كما تحمله أيضًا علىٰ نُصرةِ أي موقفٍ قد يُعزّز ويُقوي سلامة تلك الفطرة؛ **ومن هذه المواقف:**

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٣٦٢٠)، انظر: «صحيح السيرة»، للألباني برقم (ص٢٩).

- رفض النبي المشاركة في حرب الفِجار.

- مشاركة النبي في حِلف الفضول.

- مشاركة النبي أهلَ قريش في مشروع إعادة بناء الكعبة علىٰ ما كانت عليه زمان إبراهيم عليه السلام.

- عدم مشاركة النبي طوال حياته في مناسبات المجون والسهر واللغو علىٰ الرغم من أن أغلب من يشارك فيها من هم في مثل عُمْرِ النبي محمد وقتها (ما يُعرف بعمر المراهقة).

إذن حتّىٰ هذه الشبهات التي يرددها البعض هي في حقيقتها تحمل أوجهًا عديدة من الحكمة التي قد يغفل عنها البعض نتيجة كثرة التشوية الإعلامي الذي تتعرّض له فضلًا عن أنّها لا يُمكن بحالٍ أن تصمد أمام الأدلة الراسخة الثابتة الدّالة علىٰ صدق النبوة والرسالة المحمدية.

إن السيرة النبوية -بما فيها من وقائع وأخبار- مَعينٌ لا ينضب فهي مليئة بالحكم والعبر لمن أراد النظر والتدبر والاعتبار؛ ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

وما زال هناك في سيرة النبي ﷺ من المواقف والأحداث التي تدل دلالة واضحة علىٰ صدقه في دعوته، وما زال الطريق مفتوحًا للجميع لكي يُطالعوا كُتب السيرة ويستخرجوا منها تلك المواقف والأخبار التي تؤكد صدق نبوته، فإذا نظرنا فقط علىٰ سبيل المثال إلىٰ ما حدث أثناء هجرة النبي من مكة إلىٰ المدينة وما كان فيها من تمام توكله علىٰ الله وتفويض أمره الله وشدة تعلقه به وثباته في وقت لا يثبت فيه إلا من كان متصلًا بالله حقًّا، فعندما يصل الأمر إلىٰ الموت أو القتل فلا معنىٰ وقتها لثبات كاذب.

عندما يصل الأمر ويكون النّبي محمد مع صاحبه الصدّيق في الغار، فيقول له صاحبه: لو نظر أحدهم أسفل قدمه لرآنا؛ كيف يردّ عليه حينها -وفي موقف كهذا- قائلًا: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»[(١)]؟!

ما هذه الثقة التي يتكلم بها؟!، وما هو مصدرها؟!

ثمّ من هذا الذي يبث الثقة في نفس وقلب شخص مثل أبي بكر الصدّيق إلّا أن يكون نبيًّا مُرسلًا مُؤيَّدًا من السماء؟!

- **المعجزات النبوية الحسية**

إنّ الشخص العبقري هو شخصٌ يتمتع بقدرات وإمكانات عقلية تُميّزه عن غيره، ولكن هذه القدرات تدخل في حيز الإمكان البشري وتحت إطار القدرة البشرية بشكل عام، ولكننا نجد أن النبوة أمر آخر، فالنبي هو شخص مؤيد من الله تأييدًا إلهيًّا خاصًا يجعله يقوم بأشياء فوق قدرات البشر وإمكاناتهم لتكون بمثابة آية دالة علىٰ صدقه في ادعائه النبوة.

والآية -في لغة العرب- هي العلامة الدالة علىٰ الشيء، والعلامة هنا الدالة علىٰ صدق الأنبياء هي تلك الأمور الخارقة للعادة التي يجريها الله علىٰ يد الأنبياء دليلًا علىٰ صدقهم ونبوتهم.

وقد أُصطلح علىٰ تسمية تلك الآيات الخارقة للسنن الكونية المعتادة التي يُؤيد الله بها أنبياءه بالمعجزات وذلك لعجز البشر عن معارضتها أو الإتيان بمثلها؛ فالمعجزة إذن -كما يعرفها الكثير من علماء المسلمين- هي الأمر الخارق للعادة السالم من المعارضة يجريها الله علىٰ يد النبي تصديقًا وتأييدًا له بشرط أن يكون مقرونًا بالتحدي؛ ولذلك كان اللفظ الأدق للأمور الخارقة للعادة التي قام بها الأنبياء وخصوصا النبي محمد ﷺ هو

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٦٥٣)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٣٨١).

لفظ (الآية) أو (البرهان)، ولذلك يقول الدكتور عمر الأشقر: «الآية هي اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة علىٰ صدقهم سواء أقصد به التحدي أم لم يقصد»[(١)]، وبذلك تكون دلالة لفظ (الآية) أعم وأشمل من دلالة لفظ (المعجزة) التي اشترطت فيها قيام دافع التحدي في قصد النبي أو الرسول (وذلك حسب تعريف المتكلمين الشهير للمعجزة).

الأمر الآخر هو: أن استخدام ألفاظ القرآن هو الأولىٰ في التعبير عن حقائق الإيمان ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه الألفاظ - الآيات والبراهين- إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل علىٰ المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان) »[(٢)].

قال تعالىٰ حاكيًا عن معجزتي موسىٰ (العصا واليد): ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القَصَص: ٣٢]، وقال أيضًا مُطلِقًا لفظ البرهان علىٰ معجزة النبي محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النِّسَاء: ١٧٤].

وبعد ذلك التوضيح فإنه لا يزال اصطلاح المسلمين كما قلت قائمًا علىٰ تسمية تلك الخوارق للسنن المعتادة التي قام بها النبي محمد والأنبياء من قبله بالمعجزات المادية أو الحسية، فالعبرة كما يقال بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني.

والمعجزة ليست خرقًا للسببية كما قد يظن البعض، فهي علاقة أيضًا بين سبب ونتيجة، ولكن السبب هنا ليس هو السبب الطبيعي المعتاد، وإنما

(١) انظر: «الرسل والرسالات ضمن سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة»، للدكتور عمر سليمان الأشقر (ص١٢٢).

(٢) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٥/ ٤١٢).

هو التدخل والفعل الإلهي المُباشر بدون الأسباب المادية المعتادة وقوانين الكون.

يتحدث الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (المعجزة الكبرىٰ القرآن) موضحًا وجه دلالة الأمور الخارقة للعادة علىٰ صدق دعوىٰ النبوة:

«لذلك كان الأمر الخارق للعادة حجة الصدق لمن يدعي أنه يتكلم عن الخالق الحكيم الفعال لما يريد؛ لأنه لا يغير العادات سواه، وإن الصادق يعلن دعواه ويقيم ذلك برهانًا عليها، ويتحدىٰ الناس أن يفعلوا مثلها ويسمىٰ في هذا الحال أنه معجزة»[1].

عندما تمرّ علىٰ أسماعنا أسماء أنبياء مثل موسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم فإننا سُرعان ما نتذكر تلك المُعجزات التي أيدهم الله بها دليلًا علىٰ نبوتهم، فمثلًا بمجرد سماع اسم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سرعان ما نستحضر تلك العصا التي تحولت إلىٰ حية، وعندما يرد علىٰ سمعنا اسم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسرعان ما يستدعي الذهن مشهد خروجه من النار سليمًا معافّىٰ، ولكن الأمر الذي يدعو للتأمّل والعجب أنّ ذلك الارتباط الشرطي بين ذكر أولئك الأنبياء وبين الحُضور الذهني السريع لمُعجزاتهم الحسية لا يحدث نظيره عند ذكر النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ ظنّ البعض أن معجزة الإسلام الوحيدة هي القرآن، وأن النبي محمدًا غير مؤيدٍ بمعجزاتٍ حسية مثل باقي الأنبياء علىٰ الرغم من أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد أيّده بما لم يُؤيِّد به غيره فهو أكثرهم كمًّا وكيفا وعددًا وتنوعًا في تلك المعجزات، وعدم حدوث ذلك الترابط الشرطي في حال النبي محمد بين مُجرّد ذِكره وبين الاستحضار السريع لمعجزاته المادية قد يكون له عدة أسباب من أهمها قلة الحديث عن تلك المعجزات في الخطاب الإسلامي

(١) «المعجزة الكبرىٰ القرآن» للشيخ محمد أبو زهرة، (ص: ٨).

عمومًا سواء كان خطابًا وعظيًّا أو خطابًا فكريًّا نخبويًّا، بالإضافة إلىٰ طغيان النزعة المادية في العصر الحديث والتي تُريد تفسير كل شيء من داخل إطار العالم المادي ومسبباته والتي تُنكر أي أسباب خارقة من خارج قوانين الكون ونواميسه.

إن المعجزة الأولىٰ والخالدة في الإسلام التي أيد الله بها نبيه محمدًا هي معجزة القرآن، وهي معجزة تتناسب مع طبيعة رسالة الإسلام الخاتمة، فهي ليست معجزة حسية مادية مُرتبطة فقط بزمان ومكان حدوثها وبالأشخاص الذين شاهدوها وعاينوها، ولكنها معجزة خالدة علىٰ امتداد الزمان والمكان إلىٰ قيام الساعة لتنذر الناس وتذكرهم في كل وقت وحين. قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧][(١)].

لكن ما ذكرته عن أهمية ومركزية المعجزة القرآنية في الإسلام لا يعني أن الرسول ﷺ لم يكن مؤيَّدًا بمعجزات حسية مثل باقي الرسل، بل قد ثبت في القرآن نفسه وفي أحاديث متواترة[(٢)] وأحاديث صحيحة متصلة السند كثيرٌ من معجزات الرسول الحسية.

والآن سأذكر أمثلة من تلك المعجزات الحسيّة التي أيّد اللهُ بها نبيَّه ﷺ:

(١) الإسراء والمعراج:

ثبتت هذه المعجزة في القرآن والسنة الصحيحة[(٣)]؛ وتتحدث تلك

---

(١) سيأتي الحديث عن المعجزة القرآنية إن شاء الله بالتفصيل في الباب الثاني.

(٢) المتواتر هو ما رواه جمع كثير عن جمع كثير تحيل العادة تواطؤهم علىٰ الكذب ويكون مستند خبرهم الحس، والتواتر يفيد العلم اليقيني وليس مجرد الظن.

(٣) أحاديث الإسراء والمعراج كثيرة ومتواترة في دواوين السنة كلها كما في «صحيح البخاري» برقم (٣٨٨٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٦٤).

المعجزة عن سفر النبي ليلًا من مكة إلىٰ بيت المقدس، ثم عروجه من بيت المقدس إلىٰ السماء العليا وقربه من الله كما قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، كانت تلك الرحلة بالروح والجسد معًا وليست بالروح فقط، فلم تكن مُجرد رؤية وإلا لما تكلم عنها القرآن بلغة الإعجاز والإبهار حيث ابتدأها بكلمة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]؛ والتي تُشير إلىٰ عظمة الله وإعجازه، والآية أيضًا تُوضح أن ذلك الإسراء كان بالجسد حيث قال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، والتي تعني بجسده وروحه، فاللغة والسياق لا يحتمل أن يقول بعبده كناية عن روحه فقط!

ووجه الإعجاز فيه أنه لا يُمكن أن يسافر أحد في رحلة ليلِّية من مكة إلىٰ بيت المقدس ثم في رحلة كونية تتجاوز السماء ثم يعود في ليلة واحدة! هذا لا يمكن تصوره إلا من خلال سند التأييد الإلهي.

(٢) انشقاق القمر:

هي معجزة ثابتة أيضًا في القرآن والسنة الصحيحة؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وجاء في صحيحي البخاري ومسلم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين، حتىٰ رأوا حراء بينهما[١]، ووجه الإعجاز فيها أن النبي أراهم تلك الآية في نفس الوقت الذي طلبوا فيه منه أن يريهم آية فلا يمكن أن يكون ذلك مصادفة بل كان بتأييد واضح من الإله.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٨٦٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٨٠٢). حديث انشقاق القمر تواتر فيه الأخبار عن العديد من الصحابة.

وأهل قريش بعدها لم ينكروا ما حدث من انشقاق للقمر، ولكنهم قالوا إن ذلك كان سحرًا وتخييلًا وأن النبي قد أضل أعينهم! ولو أن تلك الواقعة لم تحدث لما سكت كفار وصناديد قريش الكارهين لدعوة النبي عن تكذيب القرآن الذي ذكر الواقعة.

(٣) تكثير الطعام في يد النبي ﷺ:

تواترت الأخبار عن تلك المعجزة التي حدثت مرات عديدة في مناسبات مختلفة في الهجرة ويوم الخندق وتبوك وغيرها ووسط جمع غفير من الصحابة ولم ينكر أحد وقوعها خاصة وقد انتشر الحديث عنها في الجزيرة العربية.

فقد جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم أن النبي في يوم الخندق أطعم ألف نفر من شاة صغيرة وصاع من شعير، كما يحكيه لنا جابُر بن عبد الله رضي الله عنه قائلًا: لما حُفِرَ الخندقُ رأيت برسول الله ﷺ خَمَصًا (أي جوعًا)، فانكفأت إلىٰ امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن، فذبحتها وطحنت، ففرغت إلىٰ فراغي، فقطعتها في بُرمتها، ثم وليت إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالت زوجتي: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله، إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت في نفر معك، فصاح رسول الله ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع لكم سورًا فحي هلا بكم**»، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن بُرمتكم، ولا تخبزن عجينتكم حتىٰ أجيء**»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتىٰ جئتُ امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت:

قد فعلتُ الذي قلتِ لي، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم عمد إلىٰ برمتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «**ادعي خابزة فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف، فأُقسم بالله لأكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا، وإن بُرمتنا لتغط كما هي، وإن عجينتنا لتخبز كما هو[١]. وهناك من الأحاديث والآثار الأخرىٰ الكثيرة التي تؤكد جميعها حدوث تلك المعجزة، ووجه الإعجاز فيها واضح؛ فهذا الأمر خارق للعادة ومفارق للسنن الكونية المعتادة، فلا يمكن تفسيره إلا أنه تأييد إلهي لذلك النبي وعلامة من الله علىٰ نبوته وصدقه.

(٤) نبع الماء من بين أصابعه:

قد تواترت الأخبار بتلك المعجزة الخارقة وهي نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتىٰ يشرب العدد الكثير من الصحابة، وقد تكرر ذلك مرات عديدة في وقائع مختلفة؛ منها:

- ما حكاه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه رِكْوَةٌ فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»[٢].

إذن معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي الشريفة ثابتة بأصح الأسانيد، وتكررت في مناسبات مختلفة أمام الجمع الغفير ولم ينكر ذلك

(١) «صحيح البخاري» برقم (٤١٠١)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٠٣٩).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٣٥٧٦)، و«صحيح مسلم» برقم (١٨٥٦).
(الركوة) إناء صغير من الجلد يُشرب منها الماء. (فجهش الناس) أي أسرعوا إلىٰ أخذ الماء. (يثور) أي يخرج متدفقا.

أحد، ووجه الإعجاز أن ذلك خرق واضح للنواميس الكونية والذي لا يمكن أن يحدث لأي أحد إلا بتأييد من السماء.

(٥) تسبيح الطعام في يد النبي ﷺ:

فقد سمع الصحابة صوت الطعام في حضرة النبي وهو يسبح الله، ونحن نعلم من خلال النصوص الشرعية والآيات القرآنية أن كل شيء في ذلك الوجود يسبح الله ﷻ بطريقته الخاصة التي قد لا نعلمها: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ووجه الإعجاز في تلك المعجزة هو أن الله ﷻ جعل تسبيح الطعام في الصورة البشرية المفهومة لنا ثم أسمع الصحابة ذلك الصوت، وهذا أمر خارق للسنن المعتادة.

(٦) حنين الجذع للنبي ﷺ:

فقد جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «**كان المسجد مسقوفًا علىٰ جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلىٰ جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشَار، حتىٰ جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت**»[1].

وحدثت تلك الواقعة أمام الجمع الغفير من الصحابة الذين سمعوا صوت الجذع وبكاءه وكان ذلك أيضًا آية وعلامة من الله ﷻ علىٰ صدق النبي في دعوته الاتصال بالسماء.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٥٨٥)، (العشار) جمع عشراء، وهي الناقة التي أتىٰ علىٰ حملها عشرة أشهر.

(٧) استجابة دعاء النبي ﷺ:

فقد ورد في الكثير من الآثار الصحيحة والتي تبلغ حد التواتر المعنوي أنّ ما من أحدٍ دعا له النّبي إلّا وقد تحقّقت دعوته في حياته أو بعد مماته، والأمثلة علىٰ ذلك كثيرةٌ منها:

- دعاء النّبي لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن يفقهه الله في الدين ويُعلّمه التأويل[(١)]، وبالفعل تحققت الدعوة وصار ابن عباس بعدها حَبْر الأمّة وترجمان القرآن.

- دعاء النّبي لأنس بن مالك بالبركة في المال والولد[(٢)] وقد كان، فما مات أنسٌ حتىٰ رأىٰ مائةَ ولد من صلبه[(٣)]، كما كان من أثرياء الأنصار بعدما كان خادمًا في صغره، ويُروىٰ أنّه عاش كثيرًا فوق المائة عام فهو آخر من تُوفي من صحابة رسول الله حتّىٰ قال عن نفسه: طال عمري واستحييت أهلي واشتقت إلىٰ لقاء ربي[(٤)].

---

(١) [صحيح] «مسند أحمد» برقم (٤/٢٢٥)، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني، (٦/١٧٣)، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ رسول الله وضع يده علىٰ كتفي أو علىٰ منكبي، شكّ سعيد - ثمّ قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٦٦٠)، عن أنس بن مالك دَخَلَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَما هو إِلَّا أَنَا، وَأُمِّي، وَأُمُّ حَرَامٍ خَالَتِي، فَقالَ: قُومُوا فَلِأُصَلِّيَ بِكُمْ في غيرِ وَقْتِ صَلَاةٍ، فَصَلَّىٰ بنَا.
فَقالَ رَجُلٌ لِثَابِتٍ: أَيْنَ جَعَلَ أَنَسًا منه؟ قالَ: جَعَلَهُ علَىٰ يَمِينِهِ، ثُمَّ دَعَا لَنَا أَهْلَ البَيْتِ بكُلِّ خَيْرٍ مِن خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَتْ أُمِّي: يا رَسولَ الله، خُوَيْدِمُكَ ادْعُ اللَّهَ له، قالَ: فَدَعَا لِي بِكُلِّ خَيْرٍ، وَكانَ فِي آخِرِ مَا دَعَا لي به أَنْ قالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَه فِيهِ.

(٣) «مختصر تاريخ دمشق»، لابن منظور (٢/١٢٨)، أسد الغابة، لابن الأثير (١/ ٨٠).

(٤) «الأدب المفرد»، للبخاري، (٥٠٩/٦٥٣).

- دعاء النّبي لقبيلة دوسٍ بالهداية[١]، وقد استجاب الله الدعاء وهداهم للإسلام بعدما كانوا رافضين مُعاندين.

وهكذا تُعطينا تلك الأمثلة وغيرها إشارةً واضحةً بأنّ النّبي محمدًا كان دائمًا مُجاب الدعوة ولم يكن هذا الأمر اعتباطيًا أو صُدفيًا ولكنّه يحمل دلالةً واضحةً علىٰ صدق ذلك النّبي وتأييد الله له. فالله لا ينصر الكاذبين ولا يُصلح عمل المفسدين.

(٨) إبراء المريض:

هذه المعجزة حدثت أكثر من مرة ومنها ما حدث يوم خيبر حين تَفِل النبي ﷺ في عين علي بن أبي طالب وكان يشتكي عينه يومها فبرأ، ولم يُنكر وقوع ذلك أحدٌ ممن حضروا تلك المناسبة.

ونلاحظ هنا أنّ كثيرًا من هذه المعجزات الحسيّة قد حدثت أثناء تجمّع الصحابة في أعداد كثيرة قد تصل إلىٰ المئات أو الآلاف في أوقات الحروب أو أثناء خطابات الرسول للصحابة كالجمعة وغيرها بحيث يستحيل اتفاقهم علىٰ الكذب، حتىٰ إنّ من عاش بعدها وسمع هذه الأخبار تتناقل وتُكتب وتُدوّن في الكتب لم يُنكر ذلك أو يُكذِّبه أو يقول أنّ ذلك لم يحدث.

أتعجب حقيقةً ممّن يشكّ في وقوع هذه المعجزات الحسية بعد ثبوت تواترها، فمن الثابتِ والمعلوم عند الباحثين والمهتمين بنظرية المعرفة أنّ

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٩٣٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٥٢٤)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء الطُفيلُ ابن عمرو الدوسي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: إنّ دوسًا قد عصت وأبت، فادعُ الله عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفه يده، فقال النّاس: هلكوا، فقال: اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم، اللهم اهدِ دوسًا وائتِ بهم.

هناك منهجية علمية لابد للباحث أن يلتزمها، فمن يشكّ في الخبر بعد ثبوت تواتره وتوفّر شروطه له أن يشك في كل ما نُقل إلينا من أخبار سواء كانت أخبار تاريخية أو معرفية في كل مجالات العلم والمعرفة، فنحن لم نقم بأنفسنا بكل التجارب العلمية ولم نذهب إلىٰ كل الأماكن الجغرافية ولم نشهد كل الوقائع التاريخية ولم نرَ كل الشخصيات المشهورة والمعروفة وعلىٰ الرغم من ذلك نؤمن بوجود كل ذلك إيمانًا يقينيًّا طالما نقل إلينا بالتواتر.

ونختم ذلك الفصل بقول نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) يؤكد فيه مدىٰ موثوقية تلك الأخبار الواردة عن المعجزات الحسية للنبي محمد بحيث يمكن الاعتماد عليها والوثوق فيها كدليل علىٰ صدق النبي محمد وتأييد الله له: «وهذه الأخبار منها ما هو في القرآن ومنها ما هو متواتر يعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فإن كلًّا من ذلك تواترت به الأخبار واستفاضت ونقلته الأمة جيلًا بعد جيل وخلفًا عن سلف، فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيرًا من القرآن، وقد نقلها وسمعها من الأمة أكثر ممن سمع ونقل كثيرًا من آيات القرآن وأكثر ممن سمع ونقل أنه كان يسجد في الصلاة سجدتي السهو، وممن سمع ونقل نصب الزكاة وفرائضها، بل إن مواقيت الصلاة وأعدادها إنما شاع نقلها للعمل الدائم بها.

وأما هذه الآيات فنقلتها أكثر ممن نقل مواقيت الصلاة، من جهة الأخبار المعيّنة، وذلك أن آيات الرسول كان كثيرًا منها يكون بمشهد من

الخلق عظيم، فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه و . . .»[(١)].



(١) انظر: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، (٦/ ٣٢٤).

رابعًا: الوحي إعجازه وبراهين إلهية مصدره

١ - مقدمة عن المعجزة القرآنية

إن المعجزة القرآنية هي معجزة الإسلام الخالدة الشاهدة علىٰ صدقه علىٰ مرّ الزمان والمكان، وهي معجزة تختلف في طبيعتها عن معجزات الأنبياء الحسية السابقة وذلك لاختلاف طبيعة الرسالة المحمدية الخاتمة عن رسالات الأنبياء السابقين حيث كانت الآيات والمعجزات الحسية للأنبياء مرتبطة بزمان معين ومكان معين وتحدث أمام أشخاص معينين لا تتعداهم ولم يكن من المفترض أن تتعداهم.

ولكن الرسالة المحمدية الخاتمة هي رسالة الإله إلىٰ الناس كافة إلىٰ قيام الساعة علىٰ امتداد الزمان والمكان، ولذلك كان لابد أن تكون المعجزة الخاصة بالرسالة الخاتمة الشاهدة له بصدقه هي معجزة أيضًا يمكن أن تصل إلىٰ الناس كافة إلىٰ قيام الساعة فكانت المعجزة القرآنية، ولذلك فهي في الحقيقة كافية لإثبات صحة الإسلام وصدق نبوّة محمّد ﷺ إلىٰ قيام الساعة؛ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

والمعجزة كما عرفها بعض العلماء علىٰ أنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، ولكن الأولىٰ استعمال اللفظ القرآني (الآية أو البينة) ويقصد به ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة علىٰ صدقهم سواء أقصد به التحدي أم لا؛ فهذا المعنىٰ أضبط وأعم وأشمل من التعريف الآخر الذي

يحصره في قصد التحدي. ولكني استعملت لفظ المعجزة في هذا الباب لانتشاره وقصدي منه المعنىٰ الواسع للآية والبينة[(١)].

تأتي المعجزة القرآنية الفريدة من نوعها لتشمل ذلك التصور السائد عن معجزات الأنبياء قبلها من إعجاز العقل البشري عن تفسير ما حدث وعن إيجاد العلاقة بين مُدخلات الظاهرة (حروف اللغة العربية) ومُخرجاتها (القرآن ببلاغته وفصاحته)، وبالتالي يقف العقل البشري عاجزًا عن التفكير فيخرُّ لله ساجدًا، والحَكم في هذه القضية أيضًا هم المتخصصون، والذين عَجْزُهم هو عَجْزٌ لغيرهم من باب أولىٰ (وهذا المعنىٰ سنتحدث عنه بالتفصيل في الإعجاز البلاغي للقرآن)، ولكن المعجزة القرآنية شملت نوعًا آخر حصريًا من الإعجاز وهو استثارة العقل البشري واستفزازه ليقوم من غفلته وسُباته الذي طال ليتفكر وينظر ويُكرّر التدبر بين كتاب الله المنظور (الكون) وكتاب الله المسطور (القرآن)، فيُوقِن أنّ مصدر الكتابين واحد وأنهما خرجا من مشكاة واحدة.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧].

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

حينها يدرك الإنسان أن روح التوحيد تسري في الوجود، وأن مكونات ومفردات الكون بأكمله تردد كلمة التوحيد وتقول (لا إله إلا الله)، وكأن التوحيد وَحَّدَهم وَوَحَّد طريقتَهم.

---

(١) سبق التعليق علىٰ استعمال لفظ المعجزة في الباب الأول فراجعه.

ينظر ويرىٰ القوانين تحكم كل شيء في عالم المادة، يرىٰ أن مادة الكون كله بعناصره ومفرداته المختلفة تتكون من ذرات لها نفس البنية والتركيب الذري من إلكترونات تدور حول أنوية منقادة لأمر الله.

يرىٰ الأفلاك أيضًا تدور حول بعضها سابحة في الفضاء منقادة لأمر الله.

القمر يدور حول الأرض منقادًا لأمر الله.

والأرض تدور حول الشمس منقادة لأمر الله.

والشمس تدور حول مركز المجرة منقادة لأمر الله.

وكل صغير يدور حول ما هو أكبر منه منقادًا لأمر الله؛ ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٤٠].

بعد ذلك يترك الإنسانُ عالمَ المادة ويدخل عالم الحياة، فيرىٰ التنوع المذهل في الكائنات الحية والذي شغل الكثيرَ من العقول ممن حاولوا البحث عن تفسير له داخل إطار العالم والمنظومة المادية الاختزالية فما توصلوا إلىٰ يقين!

يظل الإنسان هكذا ينظر في القرآن الذي يحثه ويستثيره للنظر في الكون مستعينًا بالعلم الذي توصل إليه ليرىٰ ما لم يكن يراه من قبل علىٰ المستويين الذري والمجري ثم يعود مرة أخرىٰ إلىٰ القرآن ويعيش المسلم هكذا يرىٰ آيات الله المتنوعة أمامه لا تغيب عنه ولا تفارقه.

يجد الناظر في القرآن أنه يخبره عن وحدانية الله ويحثه علىٰ النظر والتفكر في الطبيعة، فيتفكر فيها فتخبره أيضًا عن وحدانية الله، ثم يستعين بما توصل إليه من علم طبيعي حديث فيخبره أن الطبيعة كلها بمختلف صورها وأشكالها تتكون من وحدات بنائية صغيرة متماثلة ثم من هذا التشابه

والتناغم بين الوحدات البنائية للطبيعة تتأكد له مرة أخرىٰ وحدانية الله خالق الطبيعة.

فالكون مادته واحدة وصنعته واحدة وقوانينه واحدة وثابتة ومطردة.

وبذلك تتنوع وسائل المعرفة وتضافر الهدايات الأربع لتؤكد معنىٰ واحدًا وهو التوحيد؛ فهداية القرآن توحيد، وهداية العقل توحيد، وهداية العلم توحيد، وهداية الفطرة توحيد. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

يرىٰ الإنسان كل تلك التجليات التوحيدية، فيُدرك أنه أيضًا لا بد أن يسير مع ذلك التناسق الكوني ويدخل معه في سياق تلك العبودية الكونية الشاملة، فيصير متسقًا مع الكون.

إن القرآن قد جاء بثورة تصحيحية شاملة في المفاهيم وخاصة المفاهيم الوجودية.

جاء القرآن ليستثيرنا ويستفزنا كي نفكر في الكون والوجود والنفس والحياة.

جاء ليجعلنا نقتحم ذلك العالم المجهول الذي أرَّق الفلاسفةَ وأرهقهم علىٰ مر الزمان.

جاء ليدفعنا إلىٰ إعمال العقل والفكر في الكون ثم إلىٰ طرح التساؤلات والبحث عن الحكمة، ولكنه لا يتركنا في حيرتنا ويمضي كما يفعل الفلاسفة حين يسألون ولا يجيبون.

وهكذا يظل المسلم ينتقل بين كتاب الله المنظور وكتابه المسطور فيزداد فهمًا ووعيًا لحقائق الوجود والحياة.

القرآن يلخص قصة الوجود بأسرها في شخصك أنت!! نعم. في

شخصك أنت الذي طالما حاول الشيطان وأعوانه من الملاحدة أن يقنعوك بتفاهتك وصُدفيتك.

القرآن يخبرك أنك إذا استخدمت ذلك العقل وتلك الإرادة التي اختصك الله بها ووهبك إياها فسلكت بهما طريق العبودية لله خالق الكون فإنك في تلك اللحظة قد حققت بالفعل معادلة الوجود بأسره!!

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

تلك المعادلة التي يسعىٰ الشيطان بخيله ورَجِلِه وبكل سبيل أن يصدك عنها ويمنعك من تحقيقها مستعينًا بأعوانه من شياطين الإنس لأنه قديمًا فشل في تحقيقها بسببك أنت!!

قديمًا رفض الشيطان السجود لك -والذي كان طاعة لله وتكريمًا لآدم- عندما أمره الله بذلك.

رفض الشيطان ذلك بإرادته واختياره، ولذا فهو يعلم جيدًا ما معنىٰ الاختيار، فأصبح غايته في الحياة أن يصرفك ويمنعك عن الاختيار الصحيح.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص: ٨٢].

إن مهمة الشيطان في هذه الحياة الدنيا وقضيته الكبرىٰ أن يصرفك عن التفكير في الغاية من الوجود، وأن يجعلك تُستغرق في تفاصيل الحياة الدنيوية اليومية البغيضة التي قال عنها النبي محمد ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلِّمًا**»(١).

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٣٢٢)، و«سنن ابن ماجه» برقم (٤١١٢)، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (٢٧٩٧).

فكان من البديهيِّ بعد كل ذلك عدو أن يكون الشيطان الأول هو التفكر والتأمل والنظر وإعمال العقل للبحث عن الغاية والحكمة والهدف من خلال الكتابين الحاملين لرسائل المعنىٰ -المنظور والمسطور-، يقول أحد الحكماء: كما يُقال الميت لا يحمل الرسائل، وإنما الحي هو الحامل للرسائل والمعاني.

إن المعجزة القرآنية هي بالفعل معجزة الإله الخالدة علىٰ مر الزمان والمكان، والتي تُحيي البشرية دائمًا بالمعنىٰ والغاية من الوجود والحياة.

كثيرًا ما يقول الباحثون في المعنىٰ القرآني والمهتمون بمدلوله ومضمونه أنّ النّظرة التي ينظر بها القرآن للوجود والحياة هي نظرةٌ مجاوزةٌ لحدودِ الزمان والمكان حيث إنّها تخترق حاجز الزمن فتنتقل بك سريعًا بين عوالم الماضي والحاضر والمستقبل. ترىٰ القرآن يُحدّثك عن قصة بداية البشريّة وحديث الملأ الأعلىٰ قبلها ثمّ ينقلك إلىٰ الحديث عن الأمم والأقوام السابقة للنّبي محمد ﷺ ثم يُحدّثك عن مواقف وأحداث يحياها النّبي محمد وأصحابه في واقعهم المعاصر، كما ينتقل بك أيضًا إلىٰ الإخبار عن بعض النبوءات المستقبلية تليها أحداث النّهاية ومشاهد من يوم القيامة.

يعرض القرآن كل ذلك دون ترتيبٍ زمنيٍ ودون تسلسلٍ مُتعمّدٍ للأحداث، ولكنّ ينتقل خلالها وينتقي منها ما يشاء بما يخدم الغرض المعنيّ والحكمة المقصودة من النّص، بل بلغ تجاوز الخطاب القرآني لحواجز الزمان إلىٰ اللغة ذاتها فنجده كثيرًا ما يصف المستقبل كأحداث النّهاية ومشاهد القيامة مستخدمًا صِيغ الماضي اللغويّة مثل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

نجد القرآن أيضًا قد اخترق حاجز النطاق المكاني الضيّق حيث عاش النبي وأصحابه فنراه قد تجاوز الحديث عن بيئتهم العربية المعروفة لديهم

إلىٰ الحديث عن بيئات أخرىٰ لم يرها النّبي مُطلقًا مثل وصف البحار والأنهار وما تحويه من حيتان ولؤلؤ ومرجان، ومثل وصف الجنان والأشجار والفاكهة، ووصف الجبال بمختلف ألوانها وخطوطها الأبيض والأحمر والأسود[(١)]، وبذلك يستحيل أن يكون مصدر ذلك القرآن شخص عادي أو إنسان متزمن بحدود زمنٍ معينٍ في نطاق تاريخي ضيق بل إنّ هذه المظاهر تؤكّد تجاوز النظرة القرآنية التي ترىٰ الزمان أمامها ككتابٍ مفتوح تنتقل بين صفحاته كيفما تشاء، ولا يتأتىٰ ذلك إلّا بالنظرة الإلهية وبعين الله الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٢ – الإعجاز البلاغي:

لقد نشأ رسول الله ﷺ في قوم أهل فصاحة وبلاغة وبيان حيث كان جُلُّ شغفهم هو اللغة والشعر.

كانت المظاهر علىٰ اهتمامهم باللغة اهتمامًا خاصًّا تتجلىٰ في كل شيء حولهم فقد كانت المنافسات الشعرية والأدبية الارتجالية تُقام في الأسواق مثل سوق عُكَاظ وذي المَجَاز ومَجَنَّة وغيرها، كما أن أهل الشعر والفصاحة كانوا هم أكثر الناس وجاهة، وأعلاهم مكانةً وقدرًا، ومن يجدون منه نبوغًا وموهبةً منذ صغره يتم تأهيله ومعاملته معاملة خاصة.

إضافة إلىٰ ذلك أنهم عندما أرادوا التعبير عن أنفسهم والتسويق لمنتجهم الثقافي وخلاصة ما توصلوا إليه ليكون مُعبرًا عنهم ومحط جذب

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

أنظار السائحين إليهم، **وقد أحسن الأستاذ محمود شاكر في وصف مدىٰ تلك القدسية التي تمتع بها الشعر عند العربي القديم قائلًا**:

«ذلك الشعر الذي كان حين أنزل الله القرآن علىٰ نبيه، نورًا يضيء ظلمات الجاهلية، ويعكف أهله لبيانه عكوف الوثني للصنم، ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط، فقد كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان، وقد سمعنا من استخف منهم بأوثانهم ولم نسمع قط بأحد منهم استخف ببيانهم»(١).

ولقد كان العرب يقضون جُل وقتهم في اللغة والاهتمام بها، فيتحدثون بها عن أنفسهم، ويتفاخرون من خلالها بأنسابهم، ويصفون بها حروبهم ومعاركهم، ويقصون بها تاريخهم وأساطيرهم، فكانت اللغة هي الأداة الإعلامية التي تُعبر عن كل قبيلة وتُسوق لها بين العرب، وأيضًا هي الأداة التي تهاجم بها القبيلةُ خصومَها أو تستخدمها في المعارضات اللغوية والتحديات الشعرية والأدبية، **ولذلك نقل الشيخ محمد أبو زهرة إجماع أهل التاريخ علىٰ مآثر العرب في ذلك قائلًا**:

«ولذلك أجمع المؤرخون في القديم والحديث علىٰ أن العرب لهم مآثر في البيان، وذوق الكلام، والتفريق بين كريمه وسقيمه، وجميله وهجينه»(٢).

لذلك لا أكون مخطئًا إذا قلت إنه لم يهتم شعب من شعوب العالم عبر تاريخ البشرية المكتوب باللغة مثل اهتمام عرب الجاهلية بلغتهم، يقول المفكر مالك بن نبي:

---

(١) مقدمة الأستاذ محمود شاكر لكتاب «الظاهرة القرآنية-مالك بن نبي» والتي عنونها بـ: (فصل في إعجاز القرآن) (ص: ٤٨).

(٢) «المعجزة الكبرىٰ القرآن» للشيخ محمد أبو زهرة (ص: ٦٥).

«إن لكل شعب هواية يصرف إليها مواهبه الخلَّاقة طبقًا لعبقريته ومزاجه، فالفراعنة مثلًا كان لهم اهتمام بفنون العمارة والرياضيات يدلنا عليه ما بقي بين أيدينا من آثارهم العظيمة . . . . . ؛ أما العرب في الجاهلية فقد كانت هوايتهم في لغتهم فلم يقتصروا علىٰ استخدامها في ضرورات الحياة اليومية، شأن الشعوب الأخرىٰ، وإنما كان العربي يفنن في استخدام لغته، فينحت منها صورًا بيانية لا تقل جمالًا عما كان ينحته (فيداس) في المرمر، وما كانت ترسمه ريشة (ليوناردو دافانشي) في لوحاته المعلقة في متاحف العالم الكبرىٰ»(١).

وهنا تخيل معي أيها القارئ الكريم أن وسط كل تلك الأجواء يخرج علىٰ هؤلاء القوم رجلٌ أُمِّي لا يعرف القراءة والكتابة ولم يعهد عليه طوال أربعين عامًا منذ مولده أي سابقة اهتمام بشعر أو لغة أو بيان ثم يقول كلامًا بليغًا يتحدىٰ به هؤلاء الفُصحاء البلغاء بكل ثقة وقوة ووضوح ويخبرهم أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل كلامه هذا أبدًا في فصاحته وبلاغته: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم بمزيد من الثقة خفف عنهم التحدي إلىٰ عشر سور فقط: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ثم يعود فيخفف التحدي مرة أخرىٰ إلىٰ سورة واحدة فقط: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

---

(١) «الظاهرة القرآنية»، للمفكر مالك بن نبي (ص: ٦١).

ولكن القوم عاجزون!

عجز القوم المتخصصون أمام تحدي ذلك الرجل الأمي!

عجزوا عن تفسير تلك الظاهرة وعن إيجاد العلاقة السببيّة بين مُدخلاتها ومُخرجاتها شأنهم شأن سحرة فرعون أمام معجزة موسىٰ عليه السلام، هكذا الحال أيضًا مع النبي محمد ﷺ وقريش؛ فالسبب المُدخَل هنا هو حروف اللغة العربية التي يستخدمونها ليل نهار بطلاقةٍ وبراعةٍ فائقة، والنتيجة المُخرَجة هي القرآن العظيم ببلاغته وفصاحته، وأهل قريش هم أهل التخصص في اللغة والفصاحة المَنوُط بهم الحُكم علىٰ الظاهرة بين الإمكان البشري والإعجاز الإلهي، والذي يتحدّاهم هو النّبي محمد الأميّ (أي الذي لا يستطيع القراءة والكتابة والأهم من ذلك أنّه لا يُعرَف عنه فيها وفي غيرها من فنون الشعر أي تميزٍ أو اهتمام بين قومه)، وعلىٰ الرغم من ذلك عجز العرب الأقحاح عن التحدي وعن تفسير تلك الظاهرة، وبقياس الأولىٰ من دونهم في اللغة العربية (وهم الناس جميعًا) أعجز.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

لذلك ما كان من القوم إلا أن آمنوا وخروا لله سُجدًا بمجرد سماعهم طرفًا من آيات القرآن العظيم إلا أن البعض ظلّ جاحدًا معاندًا مستكبرًا بعدما استيقنت نفسه كما وصفهم رب العزة بقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤].

ولكن تُرىٰ ما الذي حدث بعد ذلك؟!

أهل الفصاحة والبلاغة والبيان من المعاندين المستكبرين أدركوا ومن أول وهلة أنه لا طاقة لهم بمعارضة القرآن، وأدركوا سمو هذا الكلام

ومفارقته لكلام البشر، ولكن الدافع عندهم لإبطال الدعوة المحمدية كان كبيرًا، كما كان الحرص عليه شديدًا[(١)].

فماذا إذن؟!

وما بالُ القوم عاجزون؟!

وقد أحسن الدكتور صلاح الخالدي حين قام بتعريف إعجاز القرآن البياني علىٰ أنه: «عدم قدرة الكافرين علىٰ معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر مَلَكَتهم البيانية وقيام الداعي علىٰ ذلك وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك»[(٢)].

---

(١) في رأيي أن هذا العناد والاستكبار من كفار العرب واستمرار محاربتهم للدعوة المحمدية حتىٰ بعدما عجزوا عن معارضة القرآن وتبين لهم الحق له اعتبارات كثيرة من المهم معرفتها وهي تعود جميعًا في النهاية إلىٰ سبب ودافع حقيقي وهو اتباع الهوىٰ ولكن قد يظهر ذلك الدافع من خلال صور وتجليات مختلفة ومنها:

- اعتبارات دينية عقدية: متعلقة بما ورثه العرب من معتقدات عن آبائهم وأجدادهم.
- اعتبارات قبلية: متعلقة بأمجاد القبيلة وتُراثها الذي ورثوه والذي يصعب التخلي عنه.

وقد أشار القرآن إلىٰ أثر تلك الاعتبارات الدينية والقبلية في تشكيل العقلية الرافضة للحق والمتبعة للهوىٰ حيث يقول تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣].

- اعتبارات سياسية: متعلقة باستمرار نفوذ قريش في الجزيرة العربية والمُرتبط بوجود الأصنام حول الكعبة.
- اعتبارات اقتصادية: متعلقة بما تحققه قريش من مكاسب ومصالح مادية بسبب وجود الأصنام التي تحج إليها قبائل العرب من كل مكان، والتي يصحبها حركة ونشاط تجاري وسياحي قوي.

لأجل هذه الاعتبارات خاصة السياسية والاقتصادية والقبلية قبل الدينية رفض كثير من كفار قريش الدخول في الإسلام وخاصة عِلية القوم وأصحاب النفوذ.

(٢) انظر: «إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني»، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ص: ١٧).

ثم باستمرار عجز أولئك المكذبين المعاندين عن خوض ذلك التحدي وإبطال الدعوة المحمدية بالحجة والبيان ما كان منهم إلا أن سلكوا طريقًا آخر ولكنه شاقٌّ فقد خاضوا الحروب والمعارك لإبطال تلك الدعوة بل وضحوا بأنفسهم وأهليهم وأموالهم في سبيل ذلك!، يقول الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته علىٰ شدة الإنسان، واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف علىٰ تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغةُ ما بلغتْ»(١).

لقد كانت دعوة الرسول قائمة علىٰ القرآن ومجاهدة المشركين به بالحجة والبيان ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وعلىٰ الرغم من أن قريشًا والعرب كانوا لا يؤمنون وقتها قطعًا بذلك الكتاب ولكنهم بعد ذلك آمنوا بمجرد سماعهم للقرآن وذلك لأنهم أدركوا منذ الوهلة الأولىٰ أن هذا الكلام لا يمكن بحال أن يخرج من ذات النبي محمد ولكنه قطعًا من مصدر آخر يسمو علىٰ البشر!

وقد أدرك مشركو العرب تلك البلاغة القرآنية المُعجِزة ولذلك كانوا شديدي الحرص علىٰ ألّا يسمعه أحدٌ من قبائل العرب المختلفة، وقد بيّن الله ﷻ لنا خططهم ونواياهم في ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

تلك البلاغة القرآنية هي التي أغنت لبيدَ بن ربيعة العامري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢) عن

(١) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، لمصطفىٰ صادق الرافعي، (ص: ٩٨).

(٢) هو أحد أصحاب المعلقات وأحد أساطين اللغة في الجاهلية؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل». «صحيح مسلم» برقم (٢٢٥٦).

الشعر حتىٰ **عندما قال له عمر بن الخطاب** ﵁: أنشِدني من شِعرك، رفض وعلّل رفضه قائلًا: ما كنت لأقول شعرًا بعد إذ علَّمني الله سورةَ البقرة وآل عمران(١).

بل إن صناديد قريش الذين كذَّبوا النبي حينما سمعوا القرآن أدركوا الحقيقة؛ كقول الوليد بن المغيرة في عبارته الشهيرة لكفار قريش: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلىٰ وإنه ليحطم ما تحته(٢).

فأدرك الوليد أن هذا الكلام لا يُعارَض، ولذا ما فَكَّر في هذا الخيار أصلًا علىٰ الرغم من أنه الخيار المباشر والقريب والمتبادر للذهن!!

ولكنه كما قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

ويا ليت الوليد بن المغيرة سكت؛ فكان خيرًا له أن يُقال عنه أنه قد عجز عن تحدي ومعارضة الإله الخالق من أن يُقال عنه أنّه عجز عن معارضة العبد المخلوق، فضلًا عن أن يكون ذلك العبد -كما يدعي هو كذبًا وتشويهًا- مجنونًا أو ساحرًا!

ولكن بئس للظالمين بدلًا!

لقد قال الوليد أن هذا الكلام سحر، ويا ليته قال إنه ليس بفصيح أو ليس ببليغ أو في طاقة البشر أن يأتوا بمثله إذًا لكان كلامه حينها مُستحقًا

---

(١) «الشعر والشعراء»، لابن قتيبة، (١/ ٢٦٧).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٢/ ٥٥٠) (٣٨٧٢)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط البخاري.

للبحث والرد، ولكنّ الوليد مع كل ذلك الحرص علىٰ إبطال دعوة النبي إلّا أنّه لم يجد تفسيرًا للظاهرة القرآنيّة.

تقول الكاتبة وعالمة الأديان البريطانية كارين أرمسترونج: «أمّا العرب فقد وجدوا القرآن مُدهشًا، فلم يكن كأي من تلك الأدبيات التي عرفونها من قبل، ولذلك فقد اعتنق بعضهم الإسلام فورًا لاعتقادهم أنّ ذلك الأسلوب غير العادي لابد وأن يكون مُنزّلًا، أمّا أولئك الذين رفضوا الدعوة فقد أُصيبوا بالذهول ولم يجدوا تفسيرًا لذلك التنزيل المُحيّر»[(١)].

ثم جاء بعد هؤلاء العرب الأقحاح من هم أقل منهم في اللغة خاصة بعدما اتسعت مساحة الدولة الإسلامية ودخل في الإسلام من لا يجيد اللسان العربي فلم تعد اللغة نوعًا من التذوق الفطري السليقي كما كانت، ولكنها أصبحت عِلمًا له قواعده وأصوله من بلاغة وأدب ونحو وغيرها، وأصبح العلم بإعجاز القرآن في تلك الحالة عِلمًا نظريًّا استدلاليًّا وليس علمًا ضروريًّا كما كان عند العرب الأقحاح أصحاب التذوق الفطري.

ولحدوثِ مثل ذلك العلم النظري الاستدلالي ببلاغة النص القرآني إلىٰ درجة الإعجاز فإنّ ذلك يحتاج إلىٰ دراسة وتخصص حتىٰ يصل الدارس إلىٰ التذوق العلمي للغة من خلال تطبيق قواعد البلاغة التي درسها -كالكناية والتشبيه والاستعارة- علىٰ النص القرآني.

وهذا الباب (التذوق العلمي) خاض فيه جهابذة اللغة المتخصصون علىٰ مر التاريخ الإسلامي ليروا ويدركوا ويكتشفوا بعض أسرار الإعجاز البلاغي في القرآن والذي تحدىٰ الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله.

---

(١) «سيرة النّبي محمّد»، لكارين أرمسترونج، (ص: ٧٦، ٧٧).

فإذا كنا نحن عموم العرب (فضلًا عن غيرنا في ذلك العصر الحديث الذي ضاعت فيه اللغة أيما ضياع حتىٰ صرنا أشبه بالأعاجم واستبدلنا الفصحىٰ بالعامية) لا نملك تلك السليقة التي كانت عند العربي القديم (التذوق الفطري)، ولا نملك أيضًا أدوات علوم اللغة والبلاغة والأدب ولا نعلم قواعدها التي تُكتسب بالدراسة والتعلم والممارسة (التذوق العلمي)؛ ولكن تأتينا شهادة الواقع التاريخي الذي نزل فيه القرآن عندما تحدىٰ أهلَ السليقة من العرب وقتها فعجزوا جميعًا عن معارضته وصاروا بين مؤمن متبع متواضع وبين عاجز معاند كافر محارب؛ ثم تأتينا أيضًا شهادة المتخصصين والدارسين للغة وعلومها والبلاغة وقواعدها علىٰ مرّ التاريخ الإسلامي لتؤكد ذلك الوجه من الإعجاز في القرآن ومفارقته لكلام البشر، ومعلومةٌ تلك القاعدة المستقرة عند عقلاء البشر جميعًا أنّ: (أهل كل علم وفن هم الأولىٰ بتقرير مسائله).

فكيف لنا بعد كل ذلك لا نقبل شهادة الواقع وشهادة المتخصصين؟!

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التَّكوِير: ٢٦-٢٧].

ولا شك أن إجماع المتخصصين في علم معين هو حجة علىٰ الناس جميعًا؛ فإجماع أهل الطب -مثلًا- علىٰ مسألة معينة هو حجة عند جميع عقلاء البشر يُؤخذ بها طالما أنها سالمة من المعارضة.

والذي نقل إلينا هذا الإجماع هم العلماء والمتخصصون قديمًا وحديثًا في كتبهم التي تكلموا فيها عن دلائل الإعجاز البلاغي في القرآن، والأوضحُ من ذلك هو عجزُ البشرية كلِّها علىٰ مر تاريخها عن معارضة القرآن والإتيان بمثله، وإلا لو حدث ذلك لانتشر قطعًا بين الناس يعلمه القاصي والداني وتتناقله وسائل الإعلام التي تطعن في الإسلام ليل نهار وتسعىٰ جاهدة لإسقاطه بغير وجه حق كالذي يبصق في قرص الشمس

فلا يناله إلا أن يعود بصاقه علىٰ وجهه، **أو كما وصفهم الرافعي في غرورهم وأوهامهم قائلًا**: «وإنهم وإياه -القرآن- في غرورهم وأوهامهم كالطيّارات غرّها أن تصعد في الجو فمضت حاشدة في حملة حربية إلىٰ فلك الشمس، ألا دون هذه الشمس سُنن الكون وقوانين الأقدار ونظام الأبدية»(١).

ومع كل ذلك فإذا خرج علينا رجل قليلُ الحكمة ليقول إنّه لا تعنيه شهادةُ الواقع علىٰ عجز البشرية عن معارضة القرآن، كما أنّه لا يقبل إجماع المتخصصين علىٰ إعجاز النّص القرآني في بلاغته وأنّه ليس من جنس كلام البشر، وأنّه لن يُسلّم بتحقُّقِ ذلك الإعجاز إلّا إذا استشعره هو بنفسه وتذوقه!

فمثل هذا نقول له: الطريق مفتوحٌ أمامك؛ فلتتعلّم إذن اللغة العربية (الفصحىٰ) وقواعدها كعلوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة والبيان، ولتقرأ الأدب العربي لتحصيل ملكة التكلّم حتىٰ تصير من أهل التذوق العلمي المتخصصين.

ثم انظر أنت بنفسك مرة أخرىٰ في النّص القرآني وحاول جاهدًا مُستعينًا بمن تريد أن تأتي بمثله؛ أفعل ذلك ولا تتردّد فالتحدي ما زال قائما: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

ولكن إيّاك أن تنسىٰ أنّه كما أنّ التحدي ما زال قائمًا فالجزاء أيضًا ما زال قائمًا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].



(١) «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، مصطفىٰ صادق الرافعي، (ص: ١٢).

فضل الإسلام ومحاسنه

تعريف الإسلام:

الإسلام -في اللغة- له عدةُ معانٍ تدور حول السلم، والسلام، والاستسلام، والانقياد التامِّ، والطاعة والقبول، والخضوع، والإذعان والإخلاص(١).

وأما معنىٰ الإسلام -في خطاب القرآن وسنة النبيِّ العدنان ﷺ-: فيوافق معاني اللغة كافة، ويزيد عليها بمعنيين اثنين، هما:

الأول: دين الأنبياء صلىٰ الله عليهم وسلم جميعًا، وهو الإسلام العام.

الثاني: دين نبينا محمدٍ ﷺ خاصَّةً، وهو الدين الخاتم.

الإسلام العام:

هو التعبد لله تعالىٰ بما شرعه علىٰ ألسنة رسله وأنبيائه صلىٰ الله عليهم وسلم، من لدنِ آدَمَ ﷺ وإلىٰ قيام الساعة، وهذا الإسلام العام هو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودلَّ عليه

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ص٤٣٧)، لسان العرب، لابن منظور، (١٢/ ٢٩٣-٢٩٤).

أولياءَهُ، لا يقبل غيره، ولا يجزي إلا به»[١].

وقد قال الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال -عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال علىٰ لسان يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال أيضًا علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال أيضًا علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

والإسلام العام هو توحيد الله بالعبادة لا شريك له، وعبادته بشريعة نبيٍّ ذلك الزمان.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الحديث: «**الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتِ، أُمَّهاتُهم شَتَّىٰ ودِينُهُم واحدٌ**»[٢].

فالإسلام العام دينُ أنبياءِ الله -جميعًا- وإن اختلفَتْ شرائِعُهم العمليةُ مِن نبيٍّ إلىٰ نبيٍّ، ومن زمان إلىٰ زمان.

---

(١) تفسير الطبري، (٣/ ٢١٢).

(٢) أخرجه البخاري، (٣٤٤٣)، ومسلم، (٢٣٦٥).

الإسلام الخاصُّ:

ومعناه: «الاستسلام بالتوحيد الخالص لله تعالىٰ والاتباع الكامل لرسوله ﷺ، والبراءة من الشرك وأهله»[(١)].

والإسلام -بالمعنىٰ الخاص- هو: خصوص ما أُنزل علىٰ نبيِّنا ﷺ من الدين، ومن بعد بعثته ﷺ لا يقبل الله من أحدٍ دينًا سواه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣].

وفي الحديث قال ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يَسمعُ بي أحدٌ مِن هذه الأمةِ يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرسِلْتُ به، إلا كان مِن أصحابِ النارِ**»[(٢)].

الاستسلام لله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن حيثُ بُعث محمدٌ ﷺ لم يكن الإسلام إلا ما أمر به؛ لأن الإسلام أن يستسلم العبد لله ربِّ العالمين، لا لغيره، فمن استسلم له ولغيره فجعل له ندًّا فهو مشركٌ»[(٣)].

فلا يثبت إسلامٌ بغير استسلام وتسليم**!** قال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٥٤]، **قال أهل التفسير:** «أسلموا له: استسلموا له، واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيف، وأخلِصوا له التوحيد»[(٤)].

---

(١) درة البيان، لمحمد يسري، (ص٦).

(٢) أخرجه مسلم، (١٥٣).

(٣) الصفدية، لابن تيمية، (٢/ ٣١٤-٣١٥).

(٤) تفسير الطبري، (١١/ ١٧)، تفسير ابن كثير، (٤/ ٦٠).

الاتباع الكامل لرسول الله ﷺ:

حقيقة اتباع النبيِّ ﷺ -بعد الشهادة له بالرسالة- تصديقُهُ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزَجَر، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إلا بِمَا شرع، وَأَلَّا يُعَارَضَ أَمْرُهُ ونهيُهُ بترخُّصٍ جافٍ ولا بتشدُّدٍ غالٍ، ولا بحملِهِ علىٰ عِلَّةٍ تُوهن الانقياد.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعُهم إلا رسولَ الله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ، فهو الذي يجب تصديقُهُ في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أَمَر، وليس هذه المنزلة لغيره من الأئمة، بل كلُّ أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ»(١).

وفي الحديث: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا مَن أبىٰ! قيل: يا رسول الله ومَن يأبىٰ؟! قال: مَن أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبىٰ**»(٢).

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله: «نجاة أهل الإسلام في اتباعِ الرسول، ولزومِ ما جاء به من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ»(٣).

والاتباع للكتاب وللأصحاب لا ينافيان الاتباعَ للرسول ﷺ بل يوافقانه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

---

(١) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، (٣/٣٤٦).
(٢) أخرجه البخاري، (٧٢٨٠).
(٣) إيثار الحق علىٰ الخلق، لابن الوزير اليماني، (١/١٠٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

البراءة من الشرك وأهله:

البراءة: قطعُ الموالاة، وارتفاعُ العصمة، وزوالُ الأمان(١).

وقد يقال: هي التجافي مع البغضِ والعداوةِ لكلِّ ما يُعبَدُ من دون الله ومن عابديه.

وهي براءةٌ من العمل: وهو الشرك، وكل معصية وذنب، وبراءةٌ من العامل: وهو كلُّ كافرٍ ومشركٍ بالله، ومثله المنافقُ والزنديقُ.

وقد جمع القرآن البراءة من كلا النوعين في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤].

وقد يقعُ التَّبَرِّي من العبادة الباطلة والمعبودات الباطلة والعباد المبطلين، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦].

«فعبادة المشرك كلُّها باطلة، لا يقال: نصيبُ الله منها حقٌّ، والباقي باطلٌ، بخلاف معبودهم؛ فإن الله إلهٌ حقٌّ، وما سواه آلهةٌ باطلةٌ؛ فلما تبرَّأ الخليلُ من المعبودين احتاج استثناءَ رَبِّ العالمين، ولما كان في هذه تبرُّؤُهُ من أن يَعبَد ما يعبدون، فكان المنفيُّ هو العبادة، تبرَّأ من عبادة المجموع الذين يَعبدهم الكافرون»(٢).

---

(١) زاد المسير، لابن الجوزي، (٣/ ٣٩٢).

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، (١٦/ ٥٩٩).

والبغض والبراءة من الكفر والشرك لا تقدحان في سماحة الإسلام؛ لأن الإحسانَ والعدلَ والبرَّ حقٌّ لكل من لم يُقاتِل أهلَ الإسلام أو يُظَاهِرُ عليهم من أهل الكتاب، ولأن الإسلامَ يحفظ لأهلِ الذِّمَّةِ حقوقًا كثيرة، ويوصي بهم وصيةً خاصةً في أعراضِهم وأموالهم ودمائهم، واختلاف الدينِ لا يُلغي حقوق الوالدين وذوي القربىٰ، كما لا يلغي المواثيقَ والعهودَ المبرمةَ مع غير المسلمين.

وكما وجبتِ البراءةُ من أهل الشركِ والكفرانِ وجبتِ الولايةُ لأهلِ الإسلام والإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التَّوۡبَة: ٧١]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٠].

فالمسلمُ عالَمَيٌّ بعقيدتِهِ ورسالتِهِ ليس له حدودٌ يُسميها وطنه! ولا قومٌ يعتز بانتمائه إليهم إذا أشركوا بالله، بل نَسَبُهُ الإسلامُ وإليه ينتمي! قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٣].

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أو تَمِيمِ

وكل أرضٍ دخلها الإسلامُ فهي أرضُ المسلمين:

الصِّينُ لنا والعُربُ لنا والهندُ لنا والكُلُّ لَنَا

أضْحَىٰ الإسلامُ لنا دينًا وجميعُ الكونِ لنا وَطَنا

توحيدُ الله لنا نورٌ أعدَدْنَا الرُّوحَ له سَكَنَا

من أجل ذلك كلِّهِ كانت الأمةُ المسلمة أمةً واحدةً وموحَّدَةً عبرَ ثلاثةَ عشرَ قرنًا من الزمان.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وهذه الأمة الواحدة هي مَن حَقَّقَتِ الإسلامَ بمعنييه: العامِّ، والخاصِّ، فآمَنَتْ بجميعِ النبيين، وآمَنَتْ بنبيِّنَا محمَّدٍ ﷺ.

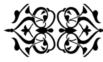
ومع أن جميع رسل الله أمروا أتباعهم بالإسلام العامِّ إلا أنهم أمروهم أيضًا بالإسلام الخاصِّ إن بُعث فيهم نبينا ﷺ.

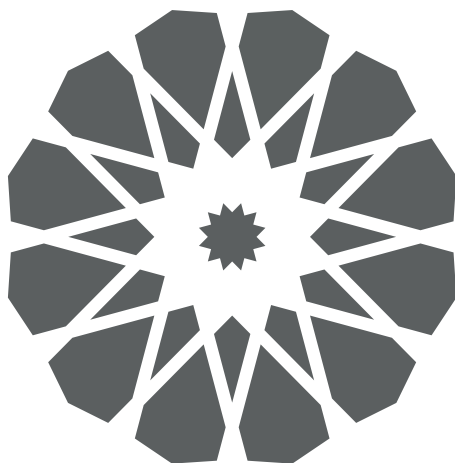
وذلك ثابت بما أخذ الله من الميثاقِ علىٰ الأنبياء والمرسلين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فالحمد الله علىٰ ما شَرَّفَ به أمةَ النبيِّ ﷺ من اختيارِ خيرِ دين لخيرِ نبيٍّ، وخيرِ كتابٍ لخيرِ أمةٍ.

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].





خصائص الإسلام

للإسلام خصائصُ تميزه عن كل ما سواه، وفضائلُ لم تجتمع لرسالة قبله، فقد خصه الله بما لم يشاركه فيه دينٌ آخرُ، ولا تحقق لأمة ما تحقق للأمة الإسلامية من أسباب الخيرية، وفيما يأتي ذكرٌ لأهم خمسِ خصائصَ لدينِ الإسلامِ.

أولًا: الـرَّبَّـانـيَّـةُ:

الرَّبَّانيَّةُ هي خصيصة الإسلام الكبرىٰ، وقاعدته العظمىٰ، وروحه السارية في مصادره، وعينه الجارية في كل عقائده وتشريعاته وتوجيهاته؛ لأن دين الإسلام دين الحق الذي أنزله الحق بعلمه، والذي لا يأتيه باطل، ولا يتسرب إليه من بين يديه، أو من خلفه؛ فكتابه موصوف بقوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]، ليس لهذا الدين من مصدرٍ أو مُنشئٍ دون الله تعالىٰ وما علىٰ رسول الله ﷺ في هذا الدين سوىٰ البلاغ فحسب!

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

وقال ﷺ: «**وإنَّما كان الذي أُوتيتُ وحيًا أوحاه اللهُ إلي**»[١].

(١) أخرجه البخاري، (٤٩٨١)، ومسلم، (١٥٢).

ولأنه دينٌ رَبَّانِيُّ المضمونِ؛ فقد تربَّع علىٰ عرش الكمال، وجمع معاني التمام، كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وهذه الرَّبَّانِيَّةُ كما كانت في المصادر والأصول الأولىٰ فهي تحفظها إلىٰ أن يرثَ الله الأرض ومن عليها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فالدين الحق هو الدين والمذهب الوحيد في العالم بأسره الذي حُفظت مصادره فلم يعترِها تحريف، ولم تمتدَّ إليها يدُ تبديلٍ، ولم يختلط بدينٍ آخرَ، ولم تدخله أوهام البشر، أو تتلاعب به أهواؤهم!

ولأنه رَبَّانِيُّ المصدر فإنه يربط الإنسان في كل زمان ومكان، وفي كل عمل أو سعي برب الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فكما هو دين رَبَّانِيُّ المصدر فهو رَبَّانِيُّ الغاية والوِجهة.

وهو رَبَّانِيُّ الدعوة والقدوة والبذل، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ﴾ [الرعد: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وعن هذه الرَّبَّانِيَّةِ تفرعت فروعٌ، وأثمرت ثمارٌ زاكيةٌ، وتحققت مصالحُ عاليةٌ، فالدين الرباني محفوظ من التناقض، ومعصوم من الميل لطائفة من بني الإنسان، ومبرًّا من الظلم، وينحاز إلىٰ الإنسان فيحرِّره من أسر كلِّ عبودية ويحميه من كل نزوةٍ أو شهوةٍ، ويُسعده في الدنيا والآخرة بإخراجه

من الظلمات إلىٰ النور، ويصبغه بصبغة الرَّبَّانِيَّةِ في أقواله، وأعماله، وأخلاقه[1].

ثانيًا: الفطرية:

لقد خلق الله الخلقَ علىٰ هيئة سوية، تَقبَلُ الإسلامَ وتُقِرُّ بالوحدانية، وتميل إلىٰ الحقِّ، وتنأىٰ عن الباطل، وتحب الصدق والعدل، وتَكره الكذب والظلم والبغي، تجنح نحو السهولةِ والبساطةِ، وتركِ التكلُّفِ والتعقيدِ.

فهذه خلقة الله للبشرية جمعاءَ، ودين الإسلام أمرُ الله للبشرية جمعاءَ، ولا تَعَارُضَ أو تناقُض بين خلقه وأمره- جل في علاه.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، فوصف الإسلامَ بأنه دينُ الفطرة، وأنه دين فطريٌّ، ومعنىٰ هذا: «أن أصل الاعتقاد فيه جارٍ علىٰ مقتضىٰ الفطرة العقلية.

وأما تشريعاته وتفريعاته؛ فهي: إما أمور فطرية أيضًا أي: جارية علىٰ وفق ما يدركه العقل، ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته.

وقوانين المعاملات فيه هي راجعة إلىٰ ما تشهد به الفطرة؛ لأن طلب المصالح من الفطرة»[2].

فدينُ الإسلام بعقيدته وشريعته وأخلاقه وآدابه أقربُ ما يكون للخلقة والجبلَّة التي خلق الله الناسَ عليها، وذلك يتضح من خصائص عقيدته

---

(١) معالم في أصول الدعوة، لمحمد يسري، (ص١٧-١٩).

(٢) تفسير التحرير والتنوير، (٢١/ ٩).

وشريعته، ومنهاج عبادته، وطريقة تزكيته للنفوس، وإقامة الحجج والبراهين علىٰ المخالفين والمعاندين، وعموم دعوته للبشر أجمعين، وقرب تشريعاته من التطبيق والتنفيذ، ورأفة تعاليمه بالخلق، ورعايتها لمصالحهم، وتسيرها عليهم، وتسويتها في التكاليف بينهم، ورعايتها لخصوصيات المرأة، وتقديرها لأصحاب الحاجات وحسمها لأسباب الانحراف والفساد، وكل ذلك إنما شرعه وأنزله العليم الخبير بفطرة الإنسان قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤][(١)].

ثالثًا: العَالَمِيَّةُ:

عالمية الإسلام مِن أظهر خصائصه؛ فهو ليس دينَ طائفةٍ دون أخرىٰ، ولا أُنزل لعصر دون عصر، ولا يختُّص بمكان دون مكان!

تؤكد تعاليم هذا الدين عالميةَ الإسلام، فهي إنسانية عالمية، تلبي حاجة كلِّ المجتمعات علىٰ اختلاف الأزمان والبلدان.

فنطاقه المكانيُّ الدنيا بأسرها، ونطاقه الإنساني الناس جميعًا! فَنَبِيُّهُ ﷺ عالميُّ الرسالة!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سَبَإ: ٢٨]. وقال -عن نفسه ﷺ-: «... وأُرْسِلْتُ إلىٰ الخلق كافَّةً ...»[(٢)].

وكتابه القرآن الكريم عالميُّ الهداية والذكر.

قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٨٧].

ومن عالمية هذا الدين: أنه يقيم الأواصرَ الاجتماعية علىٰ أساس من التوحيد والإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات: ١٠]، فهم

---

(١) طريق الهداية، لمحمد يسري، (ص٢٥٠).

(٢) أخرجه مسلم، (٥٢٣).

إخوةٌ، وإن تعددتُ أعرافهم، وتبانيتْ لغاتهم ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وهو يحمل عالمية الدعوة منذ فجره، ولحظات انطلاقته علىٰ يد أصحاب نبيِّهِ ﷺ، وفي هذا يقوم خطيبهم ربعيُّ بن عامر رضي الله عنه قائلًا: «ابتعثنا اللهُ لِنُخرجَ الناسَ من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام»(١).

ومن عالمية تشريعاته: رعايتَها الثوابتَ والمحكماتِ في كل ميدان، وتعاملها مع قضايا ومسائل الاجتهاد بحسب معطياتها ومقدماتها، فلا تقف علىٰ رأي لا يتغير في هذا الباب أو ذاك، ولا تجمد علىٰ أسلوب أو وسيلة لا ترىٰ سواها، كما لا تتبنَىٰ مذهبًا فقهيًّا، ثم تُنزله منزلةَ المحكماتِ والقطعياتِ في كلِّ فروعِهِ ومسائلِهِ(٢).

رابعًا: الشُّمُولِيَّةُ:

إن دين الإسلام أعمُّ وأشملُ مِن أن يهتمَّ بالآخرة، ويهملَ الدنيا، أو يشرعَ في جانب العقيدة والعبادة، ويهملَ جانب المعاملات أو العقوبات، أو يعتنيَ ببناء الروح، ويهملَ جانب الجسد، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، إن الإسلام تشريعات وتوجيهات وتوصيات؛ تشمل الدنيا والآخرةَ، وله في كل بابٍ من أبواب الحياة أوامرُ ونواهٍ، يُطلَبُ مِن كلِّ مسلم أن يَمتَثِلَها كافَّةً، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

---

(١) تاريخ الطبري، (٢/٤٠١).

(٢) معالم في أصول الدعوة، (ص١٨٦-١٨٨)، الإسلام لمحمد إبراهيم الحمد، (ص٣٧٦)، عطاء الإسلام الحضاري، لأنور الجندي، (ص٣٣).

فالإسلام «دين شامل، يشتمل علىٰ مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم؛ فهو عبادة وقيادة! يكون عابدًا، ويكون قائدًا للجيش.

عبادة وحكم: يكون مصليًا صائمًا، ويكون حاكمًا بشرع الله منفذًا لأحكامه.

عبادة وجهاد: يدعو إلىٰ الله، ويجاهد في سبيل الله مَن خرج عن دين الله.

مصحف وسيف: يتأملُ القرآنَ ويتدبَّرُه، وينفذ أحكامه بالقوة، ولو بالسيف إذا دعت الحاجة.

سياسة واجتماع: فهو يدعو إلىٰ الأخلاق الفاضلة، والأخوة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم»(١).

وكما أن الإسلام شامل متكامل يمثل منهجَ الحياةِ الأمثلَ، فكذا الدعوة إليه وبلاغة لأهله والعمل به، يجب أن يكون شاملًا لشرائعه وعقيدته وأحكامه، وتنظيماته، مقيمًا للدين والدولة معًا.

خامسًا: الوسطيةُ:

وسطية الإسلام تنطلق مِن وسطية عقيدته وشريعته، وأنظمته ورؤيته للإنسان والحياة والكون، ولأجل تلك الوسطية في مبادئه كانت الأمة الإسلامية هي الأمة الوسط.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالوسطية هي الخيرية والعدالة إذا

(١) مجموع فتاوي ابن باز، (١/ ١٤٧).

اجتمعا، وقد قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهي خيرية عقيدة، وشريعة، وعلم، وعمل، وخلق.

فعقيدة المسلمين وسط بين عقائد أصحاب الأديان المحرفة والديانات الوضعية، فهي وسط بين باطل الملاحدة وباطل الوثنيين المشركين، وهي وسط بين مَن عبد الأنبياء وقدَّسهم وبين مَن أهانوهم وقتلوهم!

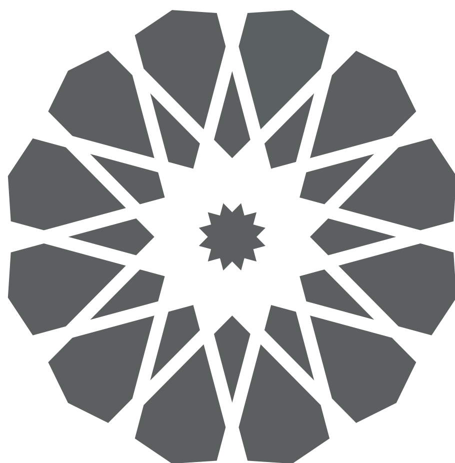
وعبادة المسلمين وسط بين مَن غلا في العبادة وترهبن وانقطع عن الحياة، وبين من جفا عنها وألغىٰ الرَّبَّانِيَّةَ، وَتَرَكَ التألُّهَ والتنسُّكَ.

وشريعة المسلمين وسط بين مَن أباح المحرمات واستباح المنكرات، وبين مَن حرَّم الحلالَ الطيبَ بزعم التقرُّبِ إلىٰ الله! فهي وسطٌ بين غلوٍّ مُفْرِطٍ وتفريطٍ متهاونٍ.

وأنظمة المسلمين وسطٌ بين من يُنَحِّي عنها الدينَ جملةً، ولا يُقيم لها من الدين أحكامًا، وبين من يدَّعي حكمًا وتحكمًا بحقٍّ إلهي، أو بفكرة دينية مخترعة، فأنظمة الإسلام تراعي الثابت والمتغير معًا.

وهكذا فإن الإسلام وأهله وسط بين الأديان جميعًا، وبين الفِرَقِ والطوائفِ كافَّةً.





محاسن الإسلام

والحديث عن محاسن الإسلام في كل ميدان، هو حديث عن معدن الحسن وأصله، ومنبته وأسه، محاسنه ذاتيه تُشِعُّ جمالًا وبهاءً، وتظهر في عقيدته ستمًا وعنوانًا، وتتبدَّىٰ من شريعته نورًا وبرهانًا وتترآىٰ من عبادته جلالًا وكمالًا، وتسطع من أخلاقه وآدابه إحسانًا وعرفانًا، وتلوح من دعوته هدايةً وإشعاعًا، وتُطِلُّ من أنظمته تسديدًا وإحكامًا، فإلىٰ محاسن الإسلام الدينية الذاتية، ومحاسن عقيدته، وشريعته، وعبادته، ودعوته، إلىٰ ما يتبدَّىٰ من مظاهر اكتماله وحُسنه بالمقارنة بواقع غيره من الأديان والمذاهب والملل، وفيما يأتي حديث وافٍ عن محاسن الإسلام الذاتية وفي كل مجال من مهمات الدين.

أولًا: محاسن الإسلام الدينية الذاتية:

١- الإسلام هو الدين الحق المطلق المعصوم في أصليه:

لا يخرج الإسلام أن يكون وحيًا من القرآن أو السنة، وقد قال الله -عنه-: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وما دام الإسلامُ وحيًا؛ فهو حق معصوم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

فهذا الدين الحق: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

ولقد قرَّرَ النبي ﷺ هذا المعنىٰ، فقال: «**وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

وقال -أيضًا-: «**اكتبْ؛ فوالذي نفسي بيدِهِ ما خرج منه إلا حَقٌّ**»(٢).

وأشار بيده إلىٰ فمه الشريف ﷺ.

٢- الإسلام دين الهدىٰ والرحمة:

فالهدىٰ والرحمة شعاره وعنوانه، قال الله -عن كتاب الإسلام-: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال الله عن نبي الإسلام ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال عن نفسه ﷺ: «**إني لم أُبعثْ لعَّانًا، وإنما بُعثتُ رحمةً**»(٣).

ودعوة الإسلام هي دعوة الهداية، وفي الحديث قال ﷺ: «**مَن دَعَا إلىٰ هدًى كان له من الأجر مثلُ أجورِ مَن تَبِعَهُ، لا ينقص ذلك مِن أجورِهِم شيئًا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، (٤٩٨١)، ومسلم، (١٥٢).
(٢) أخرجه أحمد (٦٨٠٢)، وأبو داود (٣٦٤٦)، والحاكم، (١/ ١٠٤-١٠٥)، وصححه.
(٣) أخرجه مسلم، (٢٥٩٩).
(٤) أخرجه مسلم، (٢٦٧٤).

٣- الإسلام دينٌ وهويةٌ، وجنسيةٌ عالميةٌ:

فليس عند المسلمين إلا جنسية الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال ﷺ: (يا أيَّها الناسُ، أَلَا إنَّ رَبَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لعربيٍّ علىٰ عجميٍّ، ولا لعجميٍّ علىٰ عربيٍّ، ولا أحمرَ علىٰ أسودَ ...»(١).

أبي الإسلامُ لا أَبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمٍ

فليس للمسلمِ أرضٌ يُسميها بلادَهُ، ولا حدود تقيد ولاءه.

ولست أبغي سوىٰ الإسلام لي وطنًا الشام فيه ووادي النيل سيّان

وحيثما ذكر اسم الله في بلد عددت ذاك الحمىٰ من لبّ أوطاني

قال الشاعر:

أضحىٰ الإسلامُ لنا دينًا وجميعً الكونِ لنا وطنَا

ورسول الإسلام وكتاب الإسلام للناس كافة: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال -عن نفسه ﷺ-: «**وأُرسلتُ إلىٰ الخلقِ كافَّةً**»(٢).

وقال -أيضًا-: «**كان النبيُّ يُبعثُ إلىٰ قومِهِ خاصَّةً وبُعثتُ إلىٰ الناسِ عامَّةً**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد، (٢٣٤٨٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء، (٣/ ١٠٠).
(٢) أخرجه مسلم، (٥٢٣).
(٣) أخرجه البخاري، (٣٣٥).

٤- الإسلام دين شامل ومفصَّل:

فهو دين يَمتَدُّ طولًا حتىٰ يشملَ الزمنَ كلَّه وإلىٰ قيام الساعة، ويمتَدُّ عرضًا ليستوعبَ الخلْقَ في بقاع الأرض كافَّةً، ويمتَدُّ عمقًا حتىٰ يشمل الدنيا والآخرة.

وهو دين يتناول في كتابه وسنة نبيه ﷺ كل شأن تفصيلًا، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: ٨٩].

وفي الحديث قال ﷺ: «**أيُّها الناسُ، إنه ليس من شيءٍ يُقَرِّبُكم من الجنةِ، ويُبعِدُكم من النارِ إلَّا قد أَمَرْتُكم به، وليس شيءٌ يُقَرِّبُكم من النارِ، ويُبعِدُكم من الجنة إلَّا قد نهيتُكم عنه**»(١).

وفي الحديث قال ﷺ: «**الحلالُ بَيِّنٌ والحرامُ بَيِّنٌ**»(٢).

٥- الإسلام دين السماحة واليسر:

فما عرفت البشرية دينا أسمح ولا أيسر من الإسلام الذي أنزل علىٰ خير الأنام ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٨].

وقد قال ﷺ: «**بُعثتُ بالحنيفيةِ السَّمحةِ**»(٣).

وعن سماحته ويسره ﷺ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين -أحدهما أيسر من الآخَرِ- إلا اختار أيسرَهما، ما لم يكن إثًما»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٣٥٤٧٣)، والحاكم، (٢/ ٥).

(٢) أخرجه البخاري، (٥٢)، ومسلم، (١٥٩٩).

(٣) أخرجه أحمد، (٢٢٢٩١).

(٤) أخرجه البخاري، (٦٧٨٦)، ومسلم، (٢٣٢٧).

وقال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: «**فإنَّما بُعثتم ميسِّرينَ، ولم تُبعَثوا مُعَسِّرِينَ**»[(١)].

٦- الإسلام دين السَّعَةِ والمرونة:

أ- فهو يُبيحُ المحرمات عند الاضطرارِ:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

ب- والأعمالُ الشرعية فيه مقيَّدةٌ بالاستطاعة:

قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال ﷺ: «**صَلِّ قائمًا، فإنْ لم تستطِعْ فقاعدًا، فإنْ لم تستطِعْ فعلىٰ جنبٍ**»[(٢)].

وقال -أيضًا-: «**ما نهيتُكم عنه، فاجتنبوه، وما أمرتُكم به فافعلوا منه ما استطعتُم**»[(٣)].

جـ- ويَشرَعُ الرُّخَصَ عند المشقَّاتِ:

فشرعَ القصرَ في السفر، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١].

---

(١) أخرجه البخاري، (٢٢٠، ٦١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

ويُبيح الفطرَ في السفرِ وعند المرضِ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ويخفف من صفة صلاة الخوف، ويضع الرواتب عن الإنسان في السفر.

د- لا يؤاخِذُ الإنسانَ عند عذر قاهر:

وهذا مما اختص الله به أمة الإسلام وشريعتها، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ وضعَ عن أمتي الخطأَ، والنسيانَ، وما اسْتُكْرِهوا عليهِ**»(١).

وفي الحديث -أيضًا-: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلُ أَوْ تَكَلَّمْ**»(٢).

٧- الإسلام دين المثالية والواقعية:

فالإسلام يتعامل مع الضعف البشري، ويُقِرُّ بتفاوت الخلق في الاستقامة علىٰ طريق الحق.

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

وفي التشريعات تفريق بين الفرائض الواجبة، والنوافل المستحبة، وفي الحديث القدسي: «**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والطبراني في الأوسط (٨٢٧٣)، والدارقطني (٤٣٥١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (١٢٧).

وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ»(١).

والإسلام تستجيب شريعته للحاجات الغزيزية، وتضبطها، وتَحثُّ علىٰ القيم العليا، وتدعو إلىٰ الأكمل دومًا:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

شهادات غربية علىٰ محاسن الإسلام الذاتية:

وبهذه الحقائق الظاهرة وتلك المحاسن شَهِدَ المنصفون من الغربيين من علماء ومفكرين، **يقول مونتجمري وات**: «لقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقلٍّ عن الدينين الأقدمين (اليهودية والمسيحية) ونقول عن حق: إنه بالفعل كان يفوقهما، أو أنه فعلًا كان متفوقًا عليهما أو أرقىٰ منهما»(٢).

ويقول تولستوي: «ستعم الشريعة الإسلامية كلَّ البسيطة لائتلافها مع العقل، وامتزاجها بالحكمة والعدل»(٣).

ويقول توماس كارليل: «لقد ظلت الرسالة التي دعا إليها هذا النبيُّ سراجًا منيرًا منذ اثني عشرَ قرنًا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، وهل

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).
(٢) الإسلام والمسيحية، لمونتجمري وات، (ص٣٣، ١٩١).
(٣) حكم النبي محمد، لتولستوي، (ص٤٢).

من المعقول أن تكون هذه الرسالةُ التي عاشت عليها هذه الملايين، وماتت عليها، أكذوبةَ كاذبٍ أو خديعةً مخادعٍ؟!»[١].



(١) نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، د. عز الدين فراج، (ص٣٠).

محاسن العقيدة الإسلامية

للإسلام مقومات متعددة؛ علىٰ رأسها: العقيدة الإسلامية، وهي عقيدة متحدة مع عقيدة كل نبيٍّ ورسولٍ؛ لأنها تقوم علىٰ دعائمَ واحدةٍ ثابتة في أصولها وقواعدها، ولها خصائصُ تميزها عن غيرها من عقائدَ منحرفةٍ أو باطلة.

دعائم العقيدة الإسلامية:

١- توحيد الله تعالىٰ:

فالتوحيدُ أولُ واجبٍ وأعظمُهُ، وأهمُّ تكليفٍ وآكده، وبه أرسل الله كل رسول، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

فهو القاسم المشترك بين كل دين مُنَزَّلٍ، وهو أول ما يخاطبُ به المخالفون من أهل الكتاب وغيرهم عند الدعوة، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقد قال ﷺ لصاحبه معاذ حين أرسله إلىٰ اليمن: «**إنك تقدُمُ علىٰ قوم أهلِ كتابٍ؛ فليكُن أوَّلَ ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله،**

فأخبرهم أن الله قد فرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومِهِم وليلتِهِم . . .» الحديث[(١)].

والتوحيد هو سب النجاة في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

والتوحيد إفراده تعالىٰ بالألوهية والربوبية، وبما له تعالىٰ من الأسماء والصفات الفعلية:

فكما هو اعتقاد الوحدانية: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فهو تنزيه الله عن التثليث، وعن الصاحبة والولد، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فهو أيضًا إفراد لله تعالىٰ بالعبادة من غير شريكٍ، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهو أيضًا أفراد الله تعالىٰ بكلماته وأسمائه وصفاته العلا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكل ما نقل عن الله تعالىٰ علىٰ لسان أهل الشرك والأوثان، أو مِن قول مَن نَسَبَ إليه صاحبةً، أو ولدًا، أو جعل الإلهَ الواحد آلهةً؛ فكلُّ ذلك عقيدةُ الإسلامِ منه بَرَاءٌ.

---

(١) أخرجه البخاري، (١٤٥٨)، ومسلم، (١٩).

٢- اعتقاد أركان الإيمان:

وقد مرت أصول الإيمان الخمسة بعد الإيمان بالله تعالىٰ؛ فهي بمثابة أركان وأصول عقيدة أهل الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

وهذه الأركان تتضمن الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة، والرسل، واليوم الآخِر، وبالقدر خيره وشره.

وما يرتبط بذلك من تفصيلات وأحكام عقدية.

خصائص العقيدة الإسلامية

وللعقيدة الإسلامية خصائصُ تُميزها، وتُعلي من شأنها، وتحفظ عليها ربانيتها، ومن أهم تلك الخصائص والمميزات ما يلي:

١- أثرية العقيدة:

فهي عقيدة تقوم علىٰ المأثور من كتاب ربنا، وصحيح سنة نبينا ﷺ، وهي عقيدة تؤثر أصحاب رسول الله، وعنهم تُؤخذ، ومنهم تُنقل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضلَّ ما تمسكنا بالأثر»[1].

ولذا فهي العقيدة الحق؛ لاستمدادها من كلام الحق سبحانه وتعالى، وليس للبشر أن يخترعوها بأقوال، أو نظريات، أو فلسفات.

وهي عقيدة ثابتة لا يعتريها تَغَيَّرُ ولا تَبَدُّلٌ، ولا زيادة ولا نقصان،

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة، (٩٦/١).

ولا تحريف أو تبديل، وكل إحداث فيها علىٰ صاحبه مردود، وقد قال ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمرِنَا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»(١).

وهي عقيدة كاملة؛ لكمال هذا الدين وتمامه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وإذا كان القول علىٰ الله بغير علم من الكبائر؛ فإن القول عليه في ذاته، أو أسمائه، أو صفاته بغير علم هو من أشدِّ الكبائر إثمًا، قال تعالىٰ: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وهي عقيدة تُبنَىٰ علىٰ التسليم لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ من غير تعرُّضٍ لنصوص الوحيين بتحريف، أو تعطيل أو إقامة التعارض بين صحيح النقل، وصريح العقل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢].

وقد قال بعض السلف: «**قَدَمُ الإسلام لا تثبتُ إلا علىٰ قنطرة التسليم**»(٢).

فالحاصل أن العقيدة مأثورة عن الصحابة الذين قال الله -لهم ولمن بعدهم-: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ [البقرة: ١٣٧].

٢- شمولية العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية لا تقتصر علىٰ جانب دون جانب، ولا تطرق بابًا دون باب فهي عقيدة تُعنَىٰ بتحقيق العبودية لله تعالىٰ في أكمل صورها، وأجلىٰ معانيها، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري، (٢٦٩٧)، ومسلم، (١٧١٨).

(٢) العين والأثر في عقائد أهل الأثر، لعبد الباقي الحنبلي، (ص٦٢).

فكما تُعنَىٰ بذكر توحيد الله في ألوهيته وعبادته تُعنَىٰ -كذلك- بذكر توحيده في ربوبيته وكما تُخَلِّصُ العقل والفكر من الشبهات والأهواء في باب أسماء الله وصفاته؛ فهي تُخَلِّصُ الأخلاق والسلوك من الآفات التي تنشئها الغفلة عن مدلولات الأسماء والصفات.

وتُعنَىٰ بالجانب العمليِّ التعبديِّ منها، كما عُنِيتْ بالجانب العلميِّ النظريِّ.

وكما تأمر أتباعها بالارتباط بعقيدة الولاء والمحبة والنصرة بين المؤمنين تنهىٰ عن اعتقاد التقديس أو العصمة في حق أحد من المؤمنين.

وكما تأمر بالبراء من كل من خالف صحيح الاعتقاد ممن كان علىٰ غير الملة، أو كان علىٰ غير السنة؛ فإنها تنهىٰ عن الجور أو الظلم، وتأمر -علىٰ كلِّ حال- بالإقساط والعدل.

وكما تأمرُ برعاية الآخرة؛ فإنها لا تنسىٰ عمارةَ الدنيا، وحيث نهتْ عن منكرات وبدع في باب؛ فإنها لا تُهمل بقية الأبواب، قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٣- عقلانية العقيدة وغيبيتها:

إن عقيدة المسلمين لا تُناقِضُ العقلَ ولا تُعانده ولا تُكابره، بل هي تُوافقه وتهديه، وتأخذ به إلىٰ مراشد الأمر وتسدده؛ فهي عقيدة برهانية تقوم علىٰ أساسٍ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

فلا مجال فيها للشطح، أو الإيمان بالخزعبلات، أو الأساطير، ولا مجال فيها للتقليد الذي يبعد عن الحق، ويُغلق بابَ الفهم.

وهي عقيدة تحترم العقل الصريح فلا تصادمه أبدًا؛ لأن مصدرها النقل الصحيح، وكلاهما من الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فليس فيها ما يَحكم العقلُ باستحالته أو امتناعه، وإن كان فيها ما قد يحار فيه العقل مع التسليم به وله.

وهي عقيدة تحترم العقل ولا تقدسه؛ فهي وسط بين عقيدة المهملين للعقل الذي ضلُّوا باعتقاد الواحدِ ثلاثةً، وبين المقدِّسين للعقل الذين عبدوه علىٰ نقصه من دون الله!

ولأجل هذا فهي عقيدة غيبية، تسلم بوجود ما غاب عن الحواس، وتعتقد وجوده، فالله غيب، والملائكة غيب، والجن غيب، والجنة والنار غيب.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البَقَرَة: ٣].

وقال أنس رضي الله عنه: «الذين يؤمنون بالغيب: آمنوا بالله، وملائكته ورسله، واليوم الآخر، وجنته وناره، وآمنوا بالحياة بعد الموت؛ فهذا كله غيب»(١).

قال ابن مسعود: «إنَّ أَمْرَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم كان بَيِّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب»(٢).

وذلك أن الإيمان بالغيب حاجة فطرية، كما أن طلب البرهان حاجة فطرية.

ولهذا آمن المسلمون بعذاب القبر ونعيمه، وبالبعث والجزاء، وبرؤية الله تعالىٰ يوم القيامة، وبالجنة والنار.

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٠١).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٨٦)، وصححه.

٤- فطرية العقيدة ووضوحها:

عقيدة الإسلام هي الفطرة ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يولَدُ علىٰ الفطرةِ، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنصِّرانه، أو يُمجِّسانه**»(١).

فدلَّ هذا علىٰ أن الإسلام هو الفطرة، فلا يحتاج إلىٰ تلقين الأبوين، أما الأديان الأخرىٰ، فهي من تلقين الآباء والأمهات، وفي الحديث الآخر: «**وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم**»(٢).

ومن فطرية العقيدة: سهولتها ووضوحها، فلا عسر ولا تعقيد، ولا غموض فيها، بعيدة عن التكلف والتشدد.

كما قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد ترجم البخاري باب: الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ الدينِ إلىٰ الله الحنيفيةُ السمحةُ**»(٣).

وقال أيضًا ﷺ: «**إن خيرَ دينِكم أيسرُهُ**»(٤).

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦].

وكان عمر رضي الله عنه ينهىٰ عن التكلف(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، (١٣٨٥)، ومسلم، (٢٦٥٨).
(٢) أخرجه مسلم، (٢٨٦٥).
(٣) أخرجه البخاري، (١/١٦).
(٤) أخرجه أحمد، (١٨٩٧٦، ١٥٩٣٦).
(٥) أخرجه البخاري، (٧٢٩٣).

٥- الوسطية:

عقيدة الإسلام هي الوسطية؛ لأن أمة الإسلام هي الأمة الوسط، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: خيارًا عدولًا، فهم الحق بين باطلين، وهم العدلُ بين جورين.

قال شيخ الإسلام: «إن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة . . . فالمسلمون في صفات الله تعالىٰ وسط بين اليهود الذين شبَّهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الخالق بالصفات التي تختصُّ بالمخلوق وهيٰ صفات النقص فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لمَّا خلق العالم فاستراح، وبين النصارىٰ الذين شبَّهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصَّة بالخالق فقالوا: هو الله، والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونَّزهوه عن صفات النقص، ونزَّهوه أن يكون شيء كفوًا له في شيء من صفات الكمال، فهو منزَّه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزَّه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وكذلك هم في الأنبياء وسط؛ فإن اليهود، كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، وكذلك كانوا يقتلون الأنبياء، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارىٰ غَلَوا فأشركوا بهم من هو دونهم، قال الله فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، والمسلمون آمنوا بهم كلِّهم، ولم يفرقوا بين أحد منهم؛ فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومَن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلِّهم، ومن سبَّ نبيًّا من الأنبياء فهو كافر يجب قتلُهُ باتفاق

العلماء، وفي استتابته نزاع، قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وكذلك في الشرائع كالحلال والحرام؛ فإن اليهود حُرِّمْت عليهم طيباتٌ أُحِلَّتْ لهم عقوبةً لهم، وعليهم تشديد في النجاسات يجتنبون أشياءَ كثيرةً طاهرة مع اجتناب النجاسة، والنصارىٰ لا يحرمون ما حرمه الله ورسوله؛ بل يستحلون الخبائث، ويباشرون النجاسات، وكلَّما كان الراهب أكثر ملابسة للنجاسات والخبائث كان أفضلَ عندهم، والمسلمون أباح الله لهم الطيباتِ وحرَّم عليهم الخبائث، وهم وسط في سائر الأمور»(١).

٦- الإيجابية والعملية:

إن العقيدة الإسلامية ليست فقط تبني معانيَ أو تصوراتٍ نظريةً، بل هي عقيدة إيجابية عملية متحركة، ودافعة للبذل والتضحية، فلا يقف أثرها عند مجرد التصديق النظري، بل يتعدَّىٰ ذلك لِيُنشئَ واقعًا عمليًّا، فهي تربط صاحبها بعبادة مستقيمة، وبأخلاق عالية، وبسلوكيات راقية، وبتوجه لله تعالىٰ في كل أمر، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ويتضح أثرها في دعوة الداعية إليها، والمجاهد في سبيل تحققيها ونصرتها، كما يظهر أثرها في اتقاد جذوة التضحية في سبيلها، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فهي تُنشِئُ في قلب معتقدِها معانى عمليةً عظيمةَ الأثر والنفع.

---

(١) الرسالة الصفدية، لابن تيمية، (٢/ ٣١٠-٣١٣).

محاسن الشريعة الإسلامية وخصائصها

الشريعة التي جاء بها الدين الخاتم -لتبقىٰ بين الناس إلىٰ أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها- هي شريعة تجمع بين دفتيها كلَّ معاني الخلود والبقاء والعظمة، والإيمان والقدرة علىٰ امتداد العطاء وإصلاح الحياة والأحياء.

وللشريعة خصائصُ تتفق وتتحد مع خصائص الإسلام ذاته؛ ذلك أن الشريعة هي الإسلام وهي الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

إن الإسلام هو الدين، والدين هو الشريعة، فالإسلام إذن هو الشريعة. ق

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالدين هو الإسلام.

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: ١٨].

فالدين هو الشريعة، والشريعة هي الإسلام، وكل من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا فقد رضي بالشريعة دستورًا وآمن بها منهجًا للحياة.

قال ﷺ: «**ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا**»(١).

(١) أخرجه مسلم، (٣٤).

وسوف نشير إلىٰ طرَفٍ من محاسنها -مما لم يذكر في خصائص الإسلام ومحاسنه السابقة- بعد التأكيد علىٰ أن خصائصها كثيرة عظيمة، تتفق وخصائص الدين الإسلامي جملة، هذه المحاسن التي تختصُّ بها الشريعة الإسلامية:

١- الصلاحية والإصلاحية:

هذه أهم خصيصة؛ لأن ما بعدها فرع عنها، وتفصيل لبعض مظاهرها.

إن شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، وهي مصلحة للإنسان علىٰ مرِّ الزمان وتنوع المكان، وهذا يؤكد إنسانيتها وعالميتها وشمولها وخلودها، وهي حق ووحي، ومحكمة محفوظة، وواضحة ونظرية، واتباعها فريضة والاحتكام إليها عقيدة، وردُّها رِدَّةٌ ونفاقٌ.

والأدلة علىٰ صلاحها وإصلاحها وصلاحيتها أكثر من أن تُحصر، وأظهر من أن تُذكر، وتكفي شهادة الله تعالىٰ وملائكته لها، قال تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقد قال ﷺ في حقِّها: «**لقد تركتُكم علىٰ مثلِ البيضاءِ، ليلها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ**»(١).

وليس أدلَّ علىٰ صلاحيتها من أنها حكمت كلَّ البيئات والمجتمعات والحضارات -علىٰ تنوع الثقافات- أكثر من اثني عشرَ قرنًا من الزمان، فواجهت تنوعًا وتفاوتًا في مجتمعات كثيرة، وتعاملت مع أنظمة متعارضة ومتباعدة، ماليًّا وإداريًّا وسياسيًّا ومنهجيًّا، وواجهت مشكلاتٍ وتحدياتٍ

---

(١) أخرجه أحمد، (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم، (١/ ١٧٥).

معقدةً، فلم يَضِقْ لها أفق، ولم تعجز عن إيجاد حلٍّ، ولم تتعثَّرْ في ظلِّ أحكامِها الحياةُ، بل سعدت ونعمت، وبهذا الحق فإن الأعداء قد شهدت، والحق ما شهدت به الأعداء!

فهي حضارة إنشاءِ الإنسان الصالح المصلح.

قال ول ديورانت -وهو يؤرخ للحضارة وما قدَّمه المسلمون-: «قد وضعوا النظم الصالحة الموفقة للحياة الإسلامية في رقعة واسعة من العالم، وأنهم كانوا من أقدر الحكام في التاريخ كله . . .»(١).

وقال جورج سيل: «لقد صادفت شريعة مُحَمَّد ترحيبًا لا مثيلَ له في العالم . . . وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحدِّ السيف إنما ينخدعون انخداعًا عظيمًا»(٢).

وقال ر.ف بودلي: «لقد كان مُحَمَّد علىٰ نقيض مَن سبق مِن الأنبياء؛ فإنه لم يكتفِ بالمسائل الإلهية، بل تكشَّفت له الدنيا ومشاكلها فلم يُغفِل الناحية العملية الدنيوية في دينه، فَوَفَّقَ بين دنيا الناس ودينِهم، وبذلك تَفَادَىٰ أخطاءَ مَن سبقوه مِن المصلحين الذين حاولوا خلاصَ الناس عن طريقٍ غيرِ عمليٍّ»(٣).

لهذا كلِّه يتأتىٰ القول هنا -بشهادة الواقع والتاريخ-: أنها شريعة الصلاح والإصلاح، وأنها حرب علىٰ الفساد والإفساد.

قال تعالىٰ علىٰ لسانِ بعضِ أنبيائِهِ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هُود: ١٨٨].

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، (٤/ ١٥٠).

(٢) الفاتيكان والإسلام، د. محمد عمارة، (ص٦٩)، الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، (ص٨١).

(٣) نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، د. عز الدين فراج، (ص٦٦).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولهذا أتت الشريعة بتحصيلِ المصالح، ودفعِ المفاسد، وبُنيت علىٰ هذا المعنىٰ في نصوصها وقواعدها ومقاصدها.

قال جوستاف لوبون: «فرسولٌ كهذا جدير باتِّباع رسالته، والمبادرة إلىٰ اعتناق دعوته؛ إذ إنها دعوة شريفة، قوامها معرفة الخالق، والحضُّ علىٰ الخير، والردع عن المنكر، بل كل ما جاء فيها يرمي إلىٰ الصلاح والإصلاح، والصلاح أنشودة المؤمن، وهو الذي أدعو إليه جميع النصارىٰ»[١].

٢- التحرُّرُ والحرية:

الشريعة الإسلامية وحدها هي محرِّرةُ العباد مِن ظلم وطغيان كلِّ مادية استعبدت البشرية، وهي محرِّرةُ العباد من أَسْرِ كلِّ شهوة مادية مالية أو سلطوية، وهي الضمان الأوحد والكفالة الحقيقية لحريات بني الإنسان في ممارسة حقوقهم الشرعية، والاستمتاع بالحياة الإنسانية، والانتفاع بما وهب الله لهم مما يحقق مصلحة الأفراد، ورُقي المجتمعات، وانتظام الدول في وقت واحد[٢].

---

(١) جوستاف لوبون، حضارة العرب، (ص٦٧).

(٢) حضارة العرب، (ص٦٧).

لقد سطَّر القرآن الكريم من مهام الرسول العظيم ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

مع تكريمه لبني آدم كلِّهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وتحرير الإنسان من الخضوع لغيره من بني الإنسان في معصية ربه الرحمن، قال فيه النبي ﷺ: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ**»[١]، وهذا ما ترجمه ربعيُّ بن عامر رضي الله عنه في خطابه لرستم حين قال: «إنَّ اللهَ ابتعثنا لِنُخرجَ مَن شاء مِن عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلىٰ سَعَتها، ومَن جَوْرِ الأديان إلىٰ عدل الإسلام»[٢].

والشريعة كفلت حريات غير المسلمين في ممارسة عباداتهم وشرائعهم، فلقد كتب النبيُّ ﷺ لنصارىٰ نجران كتابًا فيه: «...... **وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهَا جِوَارُ اللَّهُ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النبيِّ ﷺ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، وَأَرَاضِيهِمْ، وَمِلَّتِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَحَاشِيَهِمْ، وَعِبَادَتِهِمْ، وَغَائِبِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ، وَأَسَاقِفَتِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيْلٍ أَوْ كَثِيْرٍ** ....»[٣].

وفي عهد عمرَ رضي الله عنه إلىٰ أهل إيلياء: «هذا ما أعطىٰ عبدُ الله عمرُ أميرُ المؤمنين أهلَ إيلياءِ من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملَّتِها -لا تُسكَن كنائسهم، ولا تُهدَم، ولا يُنتقَص منها، ولا من حيزِّها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرَهون علىٰ دينهم، ولا يضار أحد منهم ...»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (٣٨١).
(٢) تاريخ الطبري، (٣/ ٥١٨).
(٣) أخرجه ابن زنجويه في الأموال، (٧٣٢).
(٤) تاريخ الطبري، (٣/ ٦٠٩).

كما عصمت الشريعة دماءهم وأموالهم، وقد قال ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[(١)].

وفي وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لخليفته من بعده، قال: «وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أن يُوفِّيَ لهم بعهدهم، وأن يقاتِلَ من ورائهم، وأن لا يُكلَّفوا فوق طاقتهم»[(٢)].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «**إنَّما بَذلوا الجزيةَ لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا**»[(٣)].

وقال جوتيه -في كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم)-: «ولقد ثبت أن الفاتحين من العرب كانوا علىٰ غاية في فضيلة المسامحة التي لم تكن تُتَوقع من أناس يحملون دينًا جديدًا، وما فكَّر العربيُّ قط في أشدِّ أطوار تحمسه لدينه الجديد أن يُطفئ بالدماء دينًا منافسًا لدينه»[(٤)].

ويقول توماس أرنولد: «إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامحَ وحريةَ الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرىٰ»[(٥)].

وهي شريعة ترفع الظلم عنهم بكل حال، وقد قال ﷺ: «**ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا، أو انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيْبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيْجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري، (٣١٦٦، ٦٩١٤).
(٢) أخرجه البخاري، (١٣٩٢).
(٣) المغني، لابن قدامة، (٩/ ٢٢٣).
(٤) بينات الحل الإسلامي، للقرضاوي، (ص٢٣٢).
(٥) توماس أرنولد، الدعوة إلىٰ الاسلام، (ص١٠٢).
(٦) أخرجه أبو داود، (٣٠٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ، (٩/ ٢٠٥).

ومن العجب أنه ولشدة عناية المسلمين بالتسامح دخل عليهم الظلم من تلك الطوائف!!

وقال دوجو فارا -صاحب كتاب (مائة مشروع لتقسيم تركيا) فيما نقله عند الأمير شكيب أرسلان-: «إن الدولة المسيحية ظلت مدة ستة قرون **(٦٩٩-١٢٩٩هـ)** تهاجم الدولة العثمانية الإسلامية رغم تسامح المسلمين، وحسن معاملتهم لرعاياها من المسيحيين، إنَّ من أعظم أسباب انحلال هذه الدولة الإسلامية هو مشربها من إعطاء الحرية المذهبية والمدرسية للأمم المسيحية التي كانت خاضعة لها؛ لأن هذه الأمم -بواسطة هاتين الحريتين المذهبية والمدرسية- كانت تَبُثُّ دعايتها القومية للانفصال عن السلطة العثمانية»[١].

كما رعت الشريعة حرية العمل والكسب المباح، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: ١٥].

وقال ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ** عليه السلام**، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[٢].

وفي الحديث أيضًا ﷺ: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُوْمَ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا**»[٣].

كما رعت الشريعة حرية الرأي بضوابطها، فأمرت بالنطق بالحق والصدق والإحسان، قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سُورَةُ قٓ: ١٨].

---

(١) مؤامرة فصل الدين عن الدولة، لمحمد كاظم حبيب، (ص٧٥).
(٢) أخرجه البخاري، (٢٠٧٢).
(٣) أخرجه أحمد، (١٢٩٨١)، والبخاري في الأدب المفرد، (٤٧٩).

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال ﷺ: «**إن العبدَ لَيَتَحَرَّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عندَ الله صِدِّيقًا**»[١].

وقال ﷺ: «**مَن رأىٰ منكم منكرًا فَلْيُغَيِّرهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه** . . . .» الحديث[٢].

وقال أيضًا: «**أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سلطانٍ جائرٍ**»[٣].

وقال أيضًا: «**من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخِر فَلْيَقُلْ خيرًا، أو لِيَصْمُتْ**»[٤].

وهكذا؛ فإن الشريعة حرَّرت الفكرَ والرأيَ وجعلتهما ينضبطان بضابط من الدين القويم، والمسلك الكريم!

يقول جوستاف لوبون: «إن العرب هم الذين علَّموا العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين»[٥].

٣- الاجتماعية:

الشريعة الإسلامية عنوان العدالة الاجتماعية، ورعاية الألفة بين فئات المجتمع ومكونات الأسرة الواحدة رسالة الشريعة الاجتماعية، فهي تضبط الأخلاق الاجتماعية، وتحوط العلاقات بسياج من الحقوق والحريات

---

(١) أخرجه مسلم، (١٦٠٧).

(٢) أخرجه مسلم، (٤٩).

(٣) أخرجه أحمد، (١١١٤٣)، وأبو داود، (٤٣٤٤)، والترمذي، (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١).

(٤) أخرجه البخاري، (٦٠١٨)، ومسلم، (٤٧).

(٥) سيكولوجيا الجماهير، لجوستاف لوبون، (ص٢٧٦، ٤٣٠).

والآداب القويمة، بحيث لا يقع جورٌ أو ظلمٌ علىٰ فئة من الفئات.

فالشريعة تبدأ بتكريم الإنسان -كل الإنسان- قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقال تعالىٰ مبينًا ميزان التفاضل بين بني آدمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي رعاية العدالة والحقوق الاجتماعية يقول ﷺ: «**إِنَّهُ لَا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لَا يَأْخُذُ الضَّعِيفُ حَقَّهُ فِيهَا غَيْرَ مُتَعْتَعٍ**»(١)، فما أحسن هذا الكلام وأشرفه!

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيْهِمُ الشَّرِيْفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»(٢).

والشريعة الاجتماعية تحقق العدل والمساواة معًا بين الرجال والنساء.

فقد قال ﷺ: «**إنما النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(٣)، وقال أيضًا: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٤).

وتُعنَىٰ الشريعة بالأسرة عنايةً عظيمة في بنائها وتكوينها وصِلاتها المالية والمعنوية.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، (٢٤٢٦)، وأبو يعلىٰ، (١٠٩١)، وابن أبي شيبة في المصنف، (٢٢١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري، (٣٤٧٥)، ومسلم، (١٦٨٨).

(٣) أخرجه أحمد، (٢٦١٩٥)، وأبو داود، (٢٣٦).

(٤) أخرجه البخاري، (٥١٨٥)، ومسلم، (١٤٦٨).

قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

وفي جماع الخير الاجتماعي يقول ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**»[١].

وكان من شأنه ﷺ في بيته -**كما قالت عائشة** رضي الله عنها: «كان يكون في مهنة أهله -تعني: خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاةُ خرج إلىٰ الصلاة»[٢].

وغير هذا من النصوص والتشريعات الكثيرة في حق المرأة- زوجةً وبنتًا وأمًّا.

ولهذا وأمثاله قال تولستوي: «لا ريب أن هذا النبيَّ من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة»[٣].

وقال ليوبولد فايس: «جاء النبيُّ ﷺ بما لم يُسمع به من قبل من أن الرجال والنساء سواءٌ أمام الله، وأن جميع الواجبات الدينية مفروضةٌ علىٰ الرجل والمرأة علىٰ حَدٍّ سواء، والحق أنه ذهب إلىٰ أبعدَ من ذلك فأعلن: أن المرأةَ شخصٌ بملءِ حقِّها، وليس لمجرَّدِ صلتها بالرجل كأمٍّ أو زوجة، أو أخت أو بنت، وأنها لذلك من حقِّها أن تقتَنِيَ مُلْكًا، وأن تتعاطَىٰ التجارة علىٰ حسابها ومسئوليتها»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي، (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) أخرجه البخاري، (٦٧٦، ٦٠٣٩).
(٣) نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، (ص٧٦).
(٤) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، (ص٤٢٢).

وقال ريفيل: «لو رجعنا إلىٰ زمن هذا النبيِّ لَمَا وجدنا عملًا أفاد النساَ أكثرَ مما فعله هذا الرسولُ؛ فالنساءُ مَدِيناتٌ لنبيِّهِنَّ بأمور كثيرة رفعَتْ مكانتهن بين الناس»(١).

٤- الأخلاقية:

الشريعة أخلاق ربانية تنبع من عقيدة إيمانية، وممارسات شرعية، تدعو إلىٰ معالي الأمور، وتنهىٰ عن سفسافها، وتجازي علىٰ الأخلاق المستقيمة في الدنيا بسعة الخير وكثرة البركة والتوفيق، وفي الآخرة بثقل الموازين، ورجحان كفة الصالحات.

ومما يشهد لأخلاقية الشريعة المطهرة: أوامرها ونواهيها التي ربطت بين الأخلاق والأحكام، وبين السلوكيات والثواب والعقاب، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢] مع ثنائها علىٰ صاحب الخلق العظيم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وفي الحديث قوله ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(٢).

وقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٣).

وقوله ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي مِيْزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»(٤).

---

(١) نبي الإسلام في مرآة الفكر الغربي، (ص٨٢).

(٢) أخرجه البزار، (٨٩٤٩)، والبيهقي في الكبرىٰ، (١٠/ ١٩١)، والقضاعي، (١١٦٥).

(٣) أخرجه أحمد، (١٠١٠٦)، وأبو داود، (٤٦٨٢)، والترمذي، (١١٦٢)، والحاكم، (١/ ٤٣)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٢٦)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد، (٢٧٥١٧)، والترمذي، (٢٠٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة، (٧٨٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فالشريعة تقوىٰ واستقامةٌ وحُسنُ خُلقٍ! وفي الحديث: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

والشريعة ترعىٰ مكارم الأخلاق مع العدو قبل الصديق، وحال الحرب والسلم، وأخلاق الحرب في الإسلام تُنبئ عن حقيقة هذه الشريعة المثالية الواقعية.

وقال ﷺ معلمًا لقائد جيشه: «... **عَلَىٰ رِسْلِكَ، حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهُ لَأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(٢).

وفي الحديث: «**مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا قَطُّ إِلَّا دَعَاهُمْ**»(٣).

ومن أخلاق الإسلام في الجهاد: الإعذارُ والإنذارُ قبلَ القتالِ، قال ﷺ: «**وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُم إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُم أَنَّهُمْ إِن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيهِمْ مَا عَلَىٰ الْمُهَاجِرِينَ؛ فَإِنْ أَبَوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا. فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الذِي يَجْرِي عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيْمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أبوا فَسَلَهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلَ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبُوا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ**»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد، (٢١٣٥٤)، والترمذي، (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، (٢٩٤٢)، ومسلم، (٢٤٠٦).

(٣) أخرجه أحمد، (٢١٠٥).

(٤) أخرجه مسلم، (١٧٣١).

لهذا كان الجهاد والسياسية في الإسلام شديدَي الارتباطِ بالأخلاق المستقيمة.

لقد شهد منصفو الغرب بأخلاقية هذه الشريعة الربانية، وفي النقول الآتية برهان ساطع علىٰ ذلك:

قال لامبتون: «إنَّ الدين في الإسلام لم يكن منفصلًا عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق»[١].

وقال مارسيل بوازار: «فالسلطة في الإسلام تفرض عددًا من المعايير الأخلاقية، ينما تسمح في الطابع الغربي أن يختار الناسُ المعاييرَ حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم»[٢].

وقال دافيد دي سانتيلانا: «لا شكَّ أن المستوىٰ الأخلاقيَّ الرفيعَ الذي يَسِمُ الجانب الأكبر من شريعة العربِ قد عمل علىٰ تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضلُ هذه الشريعة الباقي علىٰ مَرِّ الدهور»[٣].

ولكمال الشريعة في هذا الجانب فلا يمكن أن تقارَنَ تشريعاتها مع غيرها من الشرائع الإلهية أو الوضعية- علىٰ حدٍّ سواء.

وعلىٰ الصعيد العمليِّ رَحَّبَ الأوروبِيُّون بأخلاقِ الإسلامِ، وسماحةِ أهلِهِ وفَضَّلُوا نظامَ حكمِ العثمانيين الأتراكِ الأخلاقيَّ علىٰ نظامِ حكمِ أتباعِ دِينِهِم من الكاثوليكِ، أو الأرثوذكس.

---

(١) الفكر السياسي عند المسلمين، لامبتون، (ص٣٣-٣٤).

(٢) الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، (ص٩٠).

(٣) القانون والمجتمع، دافيد دي سانتيلانا، دراسة منشورة في كتاب: تراث الإسلام، بإشراف توماس أرنولد، نقلًا عن: شهد شاهد من أهلها، د. راغب السرجاني (ص٢٤)، دار نهضة مصر للنشر، ط٣.

قال رودنسون: «ففي إيطاليا عَبَّرَتْ كثيرٍ من الأقاليم لحكوماتِها المستبدَّةِ عن أنها تُرحِّبُ -من كلِّ قلبها- بغزوٍ تركيٍّ مثلما فَعَلَ بعضُ البَلْقَانِيِنَ المسيحيينَ»[١].

٥- السَّعة والمرونة:

الشريعة الإسلامية أوسع من كل المذاهب الفقهية، فهي نصوصٌ شرعية وقواعدُ تأصيليةٌ ومقاصدُ مرعيةٌ، ولها روافدُ هائلةٌ من الاجتهادات والتراث الفقهي والمدارس العلمية منذ عصر الصحابة ﵃، باب الاجتهاد فيها مفتوح غير موصد دون أهله الذين يُصدَرُ عن اجتهادهم ويُنزَلُ علىٰ رأيهم! فهو اجتهاد منضبط لا فوضىٰ فيه، ولا تسيبَ، وتجديد منضبط لا دعاوَىٰ لا زمامَ لها ولا خطامَ، في الشريعة ثوابتُ وقطعياتٌ وإجماعاتٌ ليست موردًا للاجتهاد، وفيها مجال رحب للاجتهاديات الظنيات الفقهيات والعقوبات، وكل ما لم يَرِدْ فيه دليل من نقل صحيح صريح، أو إجماع منعقد فهو من مسائل الاجتهاد، فلا يُثَرَّبُ علىٰ المجتهد فيها، وإن أخطأ، إذا كان الحق قصده واجتهد في طلبه، وفي التشريع مساحة للعفو المسكوت عنه للتوسعة علىٰ العباد، كما في قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَفَرَضَ أَشْيَاءَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ؛ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**»[٢].

وجعل الفتاوىٰ المبنيةَ علىٰ الأعراف قابلةً للتغير بتغير هذه الأعراف،

---

(١) الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية، دراسة منشورة بكتاب: تراث الإسلام، (ص٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، (٥٨٩)، وفي الأوسط، (٧٤٦١)، وفي الصغير (١١١١)، والدارقطني، (٤٣٩٦)، والحاكم، (٤/ ١٢٩).

فلا يُنكَرُ تغيُّرُها بتغيِّرِ الزمان، أو المكان أو الأشخاص، وهذا من أسرار صلاحيتها وخلودها، وملاءمتها لكل زمان.

وقد وعىٰ عدد من الغربيين المتخصصين حقائق السعة والمرونة مع الثبات والاستمرار في الشريعة وعبَّروا عن ذلك.

فقال إنساباتو: «إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائعَ الأوربية، بل هي التي تُعطِي للعالم أرسخَ الشرائعِ ثباتًا»[١].

وقال د. شبرل -عميد كلية الحقوق بجامعة (فيينا)-: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمُحَمَّد إليها؛ إذ إنه رغم أُمِّيته استطاع قبل بضعةَ عشرَ قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون -نحن الأوربيين- أسعدَ ما نكون لو وصلنا إلىٰ قمته بعد ألفي سنة»[٢].

ويقرر القانوني فمبري: «أن الفقه الإسلامي واسع إلىٰ درجة أنني أعجبُ كلَّ العجبِ كلَّما فكَّرتُ في أن المسمين لم يستنبطوا منه الأنظمةَ والاحكام الموافقة لزمانهم وبلادهم!»[٣].



(١) فارس الخوري وأيام لا تنسىٰ، محمد الفرحاني، (ص٢٦٩).
(٢) شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، د. يوسف القرضاوي، (ص٦٧-٦٨).
(٣) الإسلام دين وعقيدة ودعوة حضارة، مقال لمحمد الشقيري، صحيفة (سبق)، ٢٦ رمضان ١٤٣٢هـ.

محاسن العبادة الإسلامية وخصائصها

التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بالعبادة في الإسلام هو مهمة الحياة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبالعبادة تعمر الأرض، وتتحقق الخلافة لآدمَ وبنيه في هذه البسيطة، وغاية العبادة العظمىٰ تحصيل التقوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

والتقوىٰ من أسباب سعادة الإنسان في هذه الحياة، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالىٰ عن الأمم والمجتمعات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

خصائص العبادة الإسلامية

العبادة غايتها تحصيل السعادة العاجلة والآجلة، ولها خصائصُ كثيرةٌ، وجوانبُ عديدةٌ، نَجتزِئُ منها علىٰ ما يلي:

١- الشمولية:

العبادة تستوعب كلَّ عملٍ يحبه اللهُ ويرضاه، وتحوِّل كلَّ مباح يراد به وجه الله إلىٰ طاعة يُثابُ عليها الإنسان بنيته، فهي بهذا تشمل كل واجب

ومندوب أمر بهما الله تعالىٰ كما تشمل كل مباح يتحول بالنِّية إلىٰ عبادة، كما تشمل تَرْكَ كلِّ منهيٍّ عنه تحريمًا أو كراهةً بنية التقرُّبِ إلىٰ الله بتركِ المنهيات.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا؛ فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**»[(٣)].

وعليه؛ فإن العبادة تشمل فروض الأعيان والكفايات، والفرائض والنوافل، وشعائر النسك والأخلاق، والأعمال البدنية التعبدية، وأعمال القلب التعبدية، فالدين كلُّه عبادة، والعبادةُ تسعُ الحياةَ بأنشطتها المختلفة، وجوانبها المتنوعة، متىٰ ما قُصِدَ بذلك وجهُ الله، وكان العمل من أصله مشروعًا، وأُدِّي علىٰ وجه الاتباع لرسول الله ﷺ، ولم يشغَلْ عما هو أوجبُ أو ألزمُ.

فإذا كانت التجارة عبادةً -مثلًا- بالضوابط السابقة؛ فإن مِن شرطِها: ألَّا تصدَّ عما هو أهمُّ منها من العبادات.

قال تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

---

(١) أخرجه مسلم، (١٠٠٦).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده، (٤٣٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٤٩٢٩).

(٣) أخرجه مسلم، (١٥٥٢).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة: ٩].

٢- الاستمرارية:

العبادة وظيفة العمر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فلا غاية زمنية تنتهي إليها حتىٰ تبلغ الروحُ منتهاها، وقد وُصِفَ نبيُّنا ﷺ بأنه كان عمله ديمةً[١].

وكان ﷺ إذا عمل عملًا أثبته[٢].

وكان ﷺ يقول: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللَّهُ أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**»[٣].

وكان يقول ﷺ: «**القصدَ القصدَ تبلغوا**»[٤].

فالعبادات لا تنقطع بالقلب توحيدًا وتعظيمًا لله تعالىٰ، ولا تنقطع باللسان ذكرًا ودعاءً وصلاةً وتلاوةً، ولا تنقطع بالجوارح صلاةً في اليوم والليلة للفرائض، وما شاء الله من النوافل الرواتب وغيرها، وفي كل أسبوع جمعة، وفي كل سنة عيدان. وصيامًا في كل سنة شهر، وفي كل شهر ثلاثة أيام نفلًا، وفي كل أسبوع يومان (الاثنين والخميس). وزكاةً كلَّ عام مرةً بشروطها، وصدقةً للفطر كل عام مرةً، وأبواب نوافل الصدقات بعد ذلك مُشْرَعة. والحج والعمرة في العمر مرةً فرضًا، وما عداه كان نفلًا، وهكذا لا تُترَكُ العبادةُ- بمعنىٰ شعائر التعبد والتنسك والتأله لله تعالىٰ بل هي

(١) أخرجه البخاري، (٦٤٦٦)، ومسلم، (٧٨٣).
(٢) أخرجه مسلم، (٧٤٦).
(٣) أخرجه البخاري، (٦٤٦٤، ٦٤٦٥)، ومسلم، (٧٨٣).
(٤) أخرجه البخاري، (٦٤٦٣).

مستمرة كل يوم وليلة؛ من غيرِ فتورٍ عن الفرائضِ، أو تهاونٍ بالواجباتِ، وتراجعٍ عن فعل النوافل والمستحبات، وفي هذا قال الله -في الحديث القدسي-: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»(١).

وكان ﷺ ينهىٰ عن الإخلال بالمداومة علىٰ النافلة فضلًا عن الفريضة، فيقول -لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما-: «**عبدَ الله، لا تكن مثلَ فلانٍ كان يقومُ الليلَ، فترك قيامَ الليل**»(٢).

مَن لي بمثلِ سَيرِكِ المدَلَّلِ ... تمشي رويدًا وتجي في الأولِ

وهي بهذا الاستمرار تربط القلبَ بالربِّ، وتغسل عن النفس أدرانها: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَٰلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرنِهِ**»؟ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «**فَذَٰلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا**»(٣).

٣- التوقيفية:

لا تكون العبادةُ عبادةً حتىٰ تكون مشروعةٌ، ولا تُشرع العبادةُ إلا عن طريق الوحي المطهَّر -قرآنًا وسنةً- فإن لم تكن العبادة مشروعةً فهي ممنوعةٌ.

قال ﷺ: «**لتأخذوا عني مناسِكَكم**»(٤).

وقال أيضًا: «**صَلُّوا كما رأيتُمُونِي أُصَلِّي**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، (٦٥٠٢).
(٢) أخرجه البخاري، (١١٥٢).
(٣) أخرجه البخاري، (٥٢٨).
(٤) أخرجه مسلم، (١٢٩٧).
(٥) أخرجه البخاري، (٦٣١).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال ﷺ -في بيان أن العبادة المتبدَعة مردودة-: «**مَن عملَ عملًا ليس عليه أمرُنَا فهو رَدٌّ**»[(١)].

ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أُمِرْنَا أن نقتدِيَ ولا نبتديَ، ونتبعَ ولا نبتدعَ»[(٢)]. **وقال أيضًا** رحمه الله: «**أصول السنة -عندنا-: التمسكُ بما كان عليه أصحاب رسول الله، والاقتداءُ بهم، وتركُ البدعِ؛ وكل بدعة ضلالة**»[(٣)].

فالأصل في العبادة الحظرُ والتوقفُ حتىٰ يَرِدَ دليلُ الشرعِ المطهرِ؛ فمستندُ المشروعيةِ موافقتهُ الشريعةِ المطهَّرةِ، بفهمِ وتطبيقِ الصحابةِ البررةِ، وأهلِ الحديثِ المَهَرَةِ[(٤)].

ولا تسلَمُ العبادة من الابتداع حتىٰ توافِقَ الشرعَ في أمورٍ ستةٍ، هي: السببُ، والقَدْرُ، والجنسُ، والصفةُ، والزمانُ، والمكانُ.

فالبدعة ما لم يشرعه الله من الدين، فكلُّ مَن دان بشيء لم يشرعه الله فذلك بدعة، وإن كان متأوِّلًا فيه[(٥)].

فكلُّ عبادة لم تستنِدْ إلىٰ دليلٍ شرعيٍّ معتبرٍ، أو خالفَ مقاصِدَ الشرع فهي بدعة، وكل عبادة حُدِّدَتْ مِن قِبَلِ الشارع فتغيُّرُ حدودِهَا بدعة[(٦)].

---

(١) أخرجه مسلم، (١٧١٨)، وعلَّقه البخاري، (٣/ ٦٩).
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد، لعبد الغني المقدسي، (ص٢١٤).
(٣) أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل، (ص١٤).
(٤) درة البيان، لمحمد يسري، (ص٨٧).
(٥) الاستقامة، لابن تيمية، (١/ ٤٢).
(٦) القواعد النافعة في تمييز البدع الواقعة، لمحمد يسري، (ص٧٧-٨٠).

فأصل الدين أن يُعبَدَ الله وحده، وأن يُعبَدَ الله بما شرع، وألَّا يُعبَدَ بالبدع، سواء نُقِلت بعقيدة أو بعمل.

٤- الوسطية:

الوسطية في العبادة هي الحق المحمود بين طرفين مذمومين، وهي التوازن المنشود بين إفراط في العبادة ينتهي إلىٰ غلوٍّ، وتفريط فيها يُفضي إلىٰ تسيبٍ وانحلال.

فالعبادة والشعائر الإسلامية وسط بين من يغلو فيها غلوَّ الرهبانية المبتدعة عند النصارىٰ، فتتعطل معه الحياة، وتَفسد الفطرةُ، وبين مَن يجعل الشعائر التعبدية هملًا لا التفاتَ إليه، اعتمادًا علىٰ الجانب الأخلاقي أو الفلسفي، فتتعطل القلوبُ عن التأله لله بها، والأبدانُ عن القيام بواجبات عبادة ربِّها.

والعبادة الإسلامية وسط فهي تُقِرُّ بحاجات الإنسان وترعاها، لكنها تقدم العبادة في أوقاتها من غير تأخير أو تعطيل.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

ووازنت العبادةُ الإسلامية بين رعاية وإقامة العبادات القلبية، وإقامة العبادات الظاهرة والعملية.

وهي عبادة وسطية بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله! فهي تُعَلِّمُ أربابَهَا طَلَبَ مرضاةِ الله، وطلب ثوابه، والهرب من غضبه، ومن عقابه.

وهي عبادة تعترف بحاجات الإنسان الغريزية المتنوعة؛ فتشرع النكاحَ، وتثيب عليه، وتفتح باب التعدد لمن احتاجه، وقدر عليه.

وفي الحديث: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»(١).

وقال أيضًا ﷺ: «... **وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

وهي وسطية في الإلزام والتخيير، فهي تجعل من العبادة ما لابدَّ منه في كل حالٍ ولا تُسقط باقي التكاليف، وفي نفس الوقت تفتح بابًا للمنافسة والمسابقة في الدرجات العلا بنوافلَ متأكِّدةٍ وراتبةٍ، وأخرىٰ غير متأكدة، وثالثة مطلقة لمن أراد الاستزادةَ والترقيَ في مدارج الفضل والكمال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البَقَرَةِ: ١٠٥].

٥- اليسرُ ورفعُ الحرجِ:

روحُ العبادة في الإسلام اليسرُ ورفعُ كلِّ الحرج.

قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَةِ: ١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجِّ: ٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٨].

وفي الحديث: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**»(٣).

وقال أيضًا ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»(٤).

ومن تيسيرها: ربطُ العبادات الشرعية والتكاليف بالقدرة والاستطاعة.

---

(١) أخرجه مسلم، (١٠٠٦).

(٢) أخرجه البخاري، (٥٠٦٣)، ومسلم، (١٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري، (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري، (٦٩، ٦١٢٥)، ومسلم، (١٧٣٤).

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وفي الحديث: «**صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**»(١).

قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وَشَرَعَتِ الرُّخَصَ عند المشقَّاتِ؛ كالقصرِ في الصلوات، والفطرِ في الأسفار، وحالَ المرضِ. وعند الخوف والمطر الشديد والوحل يُرَخَّصُ في ترك الجماعات.

وفي الأعذار القهرية -كالنومِ، والصغرِ، والجهل، والنسيان، والخطأ- تُرفَعُ آثامُ الأخطاءِ وأوزارُ التقصيرِ.

وفتَحَتْ أبواب البدائل الشرعية عند التعذر في أحوال عدة؛ فالتَّيَمُّمُ بدل الوضوء، والإطعامُ بدل الصيام

ولهذا استقرَّت في الشريعة قاعدةٌ كلية كبرىٰ هي: «المشقةُ تَجلُبُ التيسيرَ» وتَفَرَّعَ عنها قاعدة: «إذا ضاق الأمرُ اتَّسع»(٢).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

ومن قواعدِ الشريعةِ: التيسيرُ   في كلِّ أمرٍ نابَهُ تعسيرُ

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «سمَّىٰ الدينَ يسرًا مبالغةً بالنسبة إلىٰ الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصرَ الذي كان علىٰ مَن قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له: أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم»(٣).

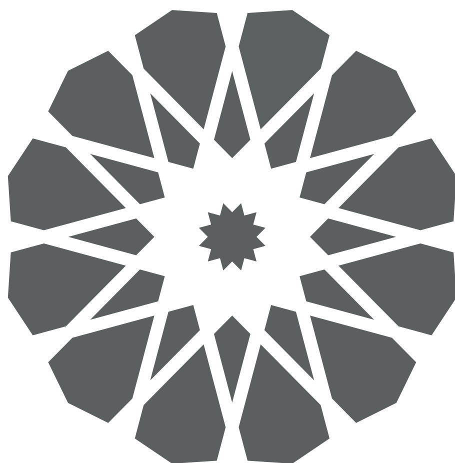
---

(١) أخرجه البخاري، (١١١٧).
(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي، (ص٧، ٨٣).
(٣) فتح الباري لابن حجر، (١/ ١١٦).

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يتخرج علىٰ هذه القاعدة جميعُ رخص الشرعِ وتخفيفاته. واعلم أن أسباب التخفيف في العبادات وغيرها سبعةٌ: السفر، والمرض، والإكراه، والنسيان، والجهل، والعسر وعموم البلوىٰ، والنقص؛ فإنه نوعٌ من المشقة؛ إذ النفوس مجبولة علىٰ حُب الكمال، فناسبه التخفيفُ في التكليفات»(١).



(١) الأشباه والنظائر للسيوطي، (ص١٦٢).



محاسن الدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية دعوة إلىٰ الله وهي دعوة إلىٰ الحق، قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [الرعد: ١٤].

فهي دعوة إلىٰ الله قال تعالىٰ: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ [الحج: ٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهي تستمد مادتها من الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

وهي ربانية في غايتها: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٢٩].

وهي دعوة أصولها راسخة، ومنطلقاتها ثابتة، وملامحها ظاهرة وبينة، تهتدي بهدي وتقتفي أثرَ سيدِ النبيين -صلوات الله وسلامه عليه- تنشر الخير، وتنشر الهدىٰ، وتدعو إلىٰ الصلاح، وتصبغ الحياة بصبغة الإسلام، ومن معالم محاسنها نتخير ما يلي:

١- دعوة الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص:

إذ الإيمان والتوحيد هما أول حقِّ الله علىٰ العبيد، والعقيدة الرَّبَّانية هي أولُ ما يُدْعَىٰ إليه الناسُ لِتُحَرِّرَهم من عبادة كلِّ معبود من دون الله، ولتكون العبادة لله وحده بما شرع، لا بما ابتُدِع.

وهذه العقيدة الرَّبَّانية هي عقيدة شمولية تعتني بعبادات القلب والقالب، وباستقامة الظاهر، وإخلاص الباطن، تسعىٰ لتأصيل عرض

تفاصيلها، وتفصيل الرد علىٰ مخالفيها.

وهذه العقيدة الربانية هي عقيدة فعَّالة مؤثرة، فليست مجردَ قول يقال، ولا دعوىٰ تُدَّعىٰ من غير فِعال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

فهي عقيدة تُحيىٰ القلبَ بالإيمان بالله، وتشغل البدنَ بمرضاة الله، وتفتدي بالأرواح دينَ الله، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وهي عقيدة تربط بين أبنائها بوشيجة فريدة لأجلها هجر الأنبياءُ أوطانَهم، وتركوا أرضَهم وديارَهم، وعاشوا غرباءَ مع أتباعهم، تلكم الوشيجةُ هي الحبُّ في الله.

٢- دعوة الاجتماع علىٰ الاتباع:

الأصل اللَّاحِبُ: أن المسلمين أمة واحدة، تتكافأ دماؤهم، وهم يدٌ علىٰ من سواهم، كما يسعىٰ بذمتهم أدناهم، لا فضل لعربيٍّ علىٰ عجميٍّ، ولا لأبيضَ علىٰ أسودَ إلا بالتقوىٰ، وأساسُ وحدة الأمة الإسلامُ، وتحكيمُ شريعته، علىٰ منهج أهل السنة والجماعة وأصولهم القويمة.

وعليه؛ فإن الدعوة إلىٰ الله علىٰ منهج أهل السنة والجماعة، تعني -أول ما تعني-: الاعتصام بالسنة، والمحافظة علىٰ الجماعة؛ فـ «الجماعةُ رحمةٌ، والفُرْقَةُ عذابٌ»[(١)] قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، (١٨٤٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٨٦٩٨).

فالاعتصام والاجتماع لا يكون إلا علىٰ منهج الاتِّباع للنبيِّ ﷺ:

قال شيخ الإسلام: «إن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعُهُم إلا رسولَ الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ، فهو الذي يجب تصديقُهُ في كل ما أخبر، وطاعتُهُ في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة؛ بل كل أحدٍ من الناس يؤخَذُ من قوله ويُترَكُ إلا رسولَ الله ﷺ»(١).

والاتباع في شأن الدعوة إلىٰ الله أمرٌ واجب وحتمٌ لازم قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، والمخالفة في ذلك مخالفة لسبيل المؤمنين وتعرُّضٌ للفتنة أو العذاب الأليم، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ولن يَصْلُحَ آخِرُ هذه الأمةِ إلا بما صلح به أوَّلُها.

فسبيلُ البدعِ والشبهاتِ والضلالاتِ مِن أخطرِ ما يُهَدِّدُ الحركات والدعوات، فلا يملك الدعاةُ في منهج الدعوة وأصولها ومسالكها إلا أن يأخذوا بسنن الهدَىٰ وأن يتجنبوا سبل الرَّدَىٰ.

وتتأكد العناية بالاتباع في وسائل الدعوة، فلا يُقلَّدُ الكفار في وسائلهم التي هي من شعار دينهم، ولا تعتمد وسيلة أهدرتها نصوص الوحي فمنعتها، أو نفرَّت عنها، وكل وسيلة بعدُ فهي مباحة، متىٰ ما حققت المقصودَ الشرعيَّ؛ إذ ليست وسائِلُ الدعوة توقيفيةً بإطلاقٍ، ولا مطلقةً من كل قيدٍ، وكما أن الغايات يجب أن تكونَ شرعية فالوسائل كذلك، و«الوسيلةُ إلىٰ أفضلِ المقاصدِ أفضلُ الوسائلِ، وإلىٰ

(١) مجموع الفتاوي، (٣/ ٣٤٦) بتصرف.

أقبحِ المقاصدِ أقبحُ الوسائلِ»[١].

فالحاصل أنه: «ليس للوسائل حدٌّ شرعيٌّ، فكلُّ ما أدَّىٰ إلىٰ المقصود فهو مقصود، ما لم يكن منهيًّا عنه بعينه، فإن كان منهيًّا عنه بعينه فلا نُقِرُّ به . . . وليس من اللازم أن يَنُصَّ الشرعُ علىٰ كلِّ وسيلة بعينها، فيقول: هذه جائزة، وهذه غير جائزة؛ لأن الوسائل لا حصرَ لها، ولا حدَّ لها، فكل ما كان وسيلةً لخيرٍ فهو خيرٌ»[٢].

٣- دعوة التربية والتزكية:

إن الدعوة الإسلامية ليست مجردَ كلماتٍ تُلقَىٰ أو علومٍ تُنشَرُ، وإنما هي معايشة ومخالطة للخلق بالحق، وتربيةٌ للنفوس بصالحِ الأقوال والأعمال، وتهيئةٌ للأشبال ليرتقوا ذرىٰ الكمال.

فالتربية دعامة مهمة في الدعوة إلىٰ الله، وهي جزء أصيلٌ من عمل المرسَلين والصالحين، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

والتربية هي التي تحوِّلُ العقيدةَ المستكِنَّةَ في الضمائر يقينًا إلىٰ حقيقة سلوكية في الواقع، ترسِّخُ معاني الألوهية في القلب، لتصبحَ يقينًا لا تزلزله محنةٌ وابتلاء، كما لا تغيره نعمة ورخاء، وهذه التربية تحتاج إلىٰ ترسيخ لأخلاق، وتقويم السلوك، وتعميق الوعي، ولا يتحقق هذا إلا بعمل مستمِرٍّ دائبٍ، وعزمٍ لا يلين.

وأخيرًا؛ فإنه: «لا يُصلِحُ آخِرَ هذا الأمرِ إلا ما أَصلحَ أوَّلَهُ»[٣].

---

(١) الفروق، للقرافي، (٢/ ٣٢).
(٢) لقاءات الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، (١/ ٤٤٩).
(٣) من كلام مالك. انظر: التمهيد، لابن عبد البر، (٢٣/ ١٠).

ولم تُرَ الأمة الإسلامية بحالة من الضعف كهذه الحالة اليوم، حين استبدلت شريعتها، واستوردت مناهجها، وسقطت في التبعية لأعدائها، والقيام بواجب التربية والتزكية للنفوس عامة؛ هو في الحقيقة تهيئة للأمة للمطالبة بتحقيق وتطبيق شرع الله في الأرض، **وما أحسنَ مقولةَ من قال**: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم علىٰ أرضكم!»(١).

وإن العناية بالتربية لطائفة مخصوصة من الأمة يهيئُ لها فئاتٍ فذَّةً قادرةً علىٰ البذل والعطاء، وتحقيق الآمال، والمرابطة علىٰ الثغور العلمية والعملية حمايةً للدين من كيد الكائدين، وعبث العابثين.

وصفوة القول: أن الواجب التربوي هو طريق الخلاص، وأسُّ التمكين.

وللتربية أسبابٌ ومعالم، فهي تقوم علىٰ الربانية التي تعني: تحقُّقًا بالصلة الوثيقة بالله تعالىٰ أداءً للفرائض، واجتنابًا للمحارم، واستدامةً للذكر، وعنايةً بالشكر، وعلينا بالصبر.

كما يقوم الواجب التربوي علىٰ وسطيةٍ مَرْعِيَّةٍ بين الإفراط في جانب، والتفريط في جانب؛ فهي تربيةُ توازنٍ؛ عبادةٌ في جهة، وعملية من جهة أخرىٰ، إيمانية من باب، وجهادية من بابٍ آخَرَ.

وهي تربية إيجابية، تعني: المبادرة إلىٰ الصالحات علىٰ وجه السداد والمقاربة لا المثالية المعقدة، وإنما الواقعية المؤثرة، وهي قصدٌ في الأمر كلِّه، وفي الحديث: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**»(٢).

---

(١) من كلام الأستاذ حسن الهضيبي، ونقلها عنه الشيخ الألباني في رسالته: التصفية والتربية، (ص٣٣)، ط: مكتبة المعارف.

(٢) أخرجه البخاري، (٦٤٦٣).

والخلل التربوي هو ممكَنُ الدَّاءِ في كلِّ إخفاقاتِ الدعواتِ -إلا ما شاء الله-؛ إذ تارةً يكون بسببِ ضعفِ التربية، وتارةً أخرىٰ بسبب عدمِ تَدَرُّجِها، أو ضعفِ تكامُلِها، وانضباطِها وجدِّيَّتِها.

والدعوة التي لا تعتمد التربية طريقًا ومنهجًا لا تنتج في الواقع، ولا تُغير فيه- إلا ما شاء الله.

٤- دعوة البلاغ العام الشامل المتكامل:

إن الدعوة الإسلامية تستفرغُ كلَّ وسعٍ، وتَبذلُ كلَّ جهدٍ في البلاغ العام العالمي الشامل لكل الناس، ولكل أبواب الإسلام العظيم، فليس لها زمان تتقيدُ به، قال تعالىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥].

ولا تلتزم سرًّا ولا جهرًا فحسب في طريق بلاغها: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٨-٩].

ولا تختصُّ بحال من أحوال الداعية دون حالٍ؛ فقد قال ﷺ -في مرض موته-: «**الصلاة الصلاةَ وما ملكَتْ أيمانُكم**»[١].

ولما حضرت معاذًا رضي الله عنه الوفاةُ قال: سمعتُ رسول الله يقول: «**مَن شَهِدَ أن لا إله إلا اللهُ مخلصًا من قلبه دخل الجنةَ**»[٢].

كما لا تختصُّ بحال للمدعو دون حالٍ، فقد دعا نبينا ﷺ غلامًا من يهود حالَ احتضارِهِ فأسلم، فحمد النبيُّ الله[٣].

كما أمر بالدعوة قبل لقاءِ العدو، وإذا اصطفوا للقتال[٤] وكذا فعل

(١) أخرجه أحمد، (٢٦٤٨٣)، وأبو داود، (٥١٥٦).
(٢) أخرجه ابن حبان، (٢٠٠)، والطبراني في الكبير، (٦٣).
(٣) أخرجه البخاري، (١٣٥٦).
(٤) أخرجه مسلم، (١٧٣١).

أبو عبيدة رضي الله عنه حين التقىٰ أميرَ جيشِ الروم قبيلَ اليرموك[١]، ومثله فعل عمرو بن العاص رضي الله عنه قبيل فتح مصر[٢].

وليس للدعوة مكان يخصُّها فهي في كل مكان، فهي دعوة في القصور، قال تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وقد دعا جعفر بن أبي طالب النجاشيَّ في بلاطه بالحبشة[٣].

وكذا فعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه في بلاط المقوقس بمصر[٤].

وهي تمارس أيضًا عند القبور، فكثيرًا ما وعظ صلى الله عليه وسلم عندها، وتعوَّذَ بالله من فتنتها، ومن فتنة الدجال[٥].

وكما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حضرًا دعا سفرًا، ذهابًا وإيابًا، وسافر لأجل الدعوة، كما في سفره لأهل الطائف، وهاجر لأجلها، وهاجر أصحابه، كما في هجرتي الحبشة، وفي الهجرة إلىٰ المدينة.

وأرسل سفراءَهُ بالدعوة إلىٰ الأمصار مبلِّغين عنه، ودخل الأسواق بنفسه داعيًا إلىٰ ربه.

وهذه الدعوة شاملة كما تتجه إلىٰ أمة الدعوة من غير المسلمين تتجه أيضًا إلىٰ أمة الإجابة من المسلمين سواء بسواء، وكما تتقصد المنكرات العامة تتقصد المنكرات الخاصة بالإنكار، وتعتني بمنكراتِ العصر قبل المنكرات التاريخية التي لم تعد موجودةً.

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، (٩/ ٥٥٧).
(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، (١٠/ ٩٨).
(٣) أخرجه أحمد، (١٧٤٠).
(٤) فتوح مصر وأخبارها، لابن أبي الحكم، (ص٧٥).
(٥) أخرجه مسلم، (٢٨٦٧).

والدعوة تعتني بإبلاغ الإسلام كلِّه إلىٰ الناس كافةً، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ومن حيث الوسائل فهي دعوة شاملة في وسائلها، فلا تقتصِرُ علىٰ دعوة جماعية عامة، ولا تنحصِرُ في دعوة فردية خاصة، لا تقتصر علىٰ مؤسسات خيرية، أو هيئات اجتماعية، بل كل وسيلة تحقق أهدافَ الإسلام ومقاصدَهُ من غير أن تعارِضَ الشرعَ فهي مطلوبة.

٥- دعوة واقعية علىٰ بصيرة:

فهي تنطلق من إدراك حاجات الواقع، ومعرفة تفاصيله التي تؤثر في مسيرة الدعوة إلىٰ الله، وتتهيأ له بما يناسبه من الوسائل والأدوات؛ لتتحقق لها البصيرة، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن لم يعرف الواقعَ في الخلق، والواجبَ في الحق لم يعرف أحكام الله في عباده!

يقول ابن القيم: «لا يتمكن المفتي ولا الحاكمُ من الفتوىٰ والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع، والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتىٰ يحيط به علمًا.

النوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبق أحدَهما علىٰ الآخَرِ، فمن بذل جهدَهُ واستفرغ وسعَهُ في ذلك لم يَعْدِمْ أجرين،

أو أجرًا، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلىٰ معرفة حكم الله ورسوله ﷺ»[(١)].

ومعرفة الواقع تفيد الدعوة واقعيًّا في إدراك السنن الربانية في الدعوة والإصلاح، وأن التغيير المرجوَّ يجب أن يمضِيَ وفق سننِ الله الجاريةِ لا سننِ الله الخارقةِ.

وهذا يُفيد في اعتبار المراحل في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ مع التسديد والمقاربة، ورعاية التدرج في التحول من الإلف المعتاد إلىٰ مراد الله تعالىٰ ومراد رسوله ﷺ.

وبمراعاة جانب الواقعية في أهداف الدعوة ووسائلها وأساليبها تنضبط مسيرتها، وتنتظم المصالح في مسالكها، ويتحقق الرشد، وينتفي الاضطراب والتعثر في مراحلها.

وبإغفال هذا الأصلِ المهمِّ وقعَتِ الدعوةُ إلىٰ الله في مآزِقَ مختلفةٍ، وعلىٰ مستوياتٍ عِدَّةٍ، فعلىٰ سبيل المثال: قد يقال -فيما يتعلق بأهداف الدعوة-: إن هدف الدعوة هو إقامة حكم الله في الأرض، وتغيير الواقع القائم. يقال ذلك من غير تفريقٍ بين هدف بعيد وقريب، فتتجه الدعوةُ صوب هذا الهدف مباشرةً باحثةً عن وسائله، ومتمحورَةً حول مقدماتِهِ، ومتخليةً عن أصول أخرىٰ ومنطلقاتٍ وأعمال مهمة، مختزِلَةً مسألةَ التغيير في محو نظامٍ بعينه، فتمرُّ السنون فلا الهدفُ يتحقَّقُ ولا الواقعُ يتغيَّرُ؛ بل ويلحق بعضَ الدعاةِ فتورٌ؛ حيث عالج الهدف مرارًا فكان نصيبه الفشل.

ومكمن الخلل: أن الهدف لم تُراعَ الواقعيةُ في رسمه ولا ظرفه، من حيث الزمان والمكان، وكفاية العدة، ونحو ذلك.

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، (١/ ١٢٨).

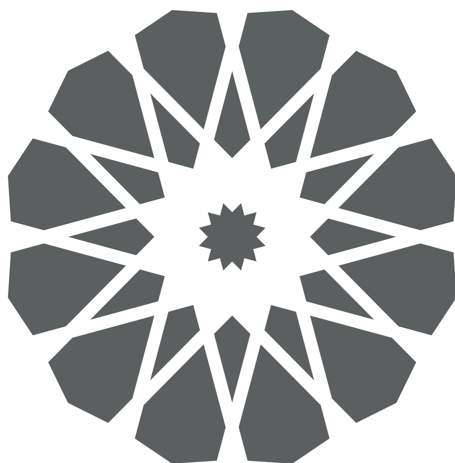
ولو قيل: إن هدفَ الدعوة تعبيدُ الناس لربِّهم -جل وعلا- وهدايتهم إلىٰ الصراط المستقيم، وأن هذا الهدفَ الشامل لا يتمُّ إلا عبرَ مراحلَ وأهدافٍ قريبةٍ، تستوجب انشغالًا بالعلمِ والتربية، والأمرِ والنهي، ونحو ذلك، وتنتهي بإعلان سيادة الشريعة وهيمنتها- لكان أولىٰ وأنفعَ[1].



(١) معالم في أصول الدعوة، لمحمد يسري، (ص١٧٤-١٧٦)، **وفصل المحاسن كله مستفاد من كتابه**: «إن الدين عند الله الإسلام».

الباب الثاني

العقيدة الإسلامية



تمهيد

علم العقيدة

العقيدة لغة: الربطُ والإيثاق والثبوت والإحكام، وعَقد الحبل: شَدُّ بعضه ببعض، نقيض حله، وفي القرآن: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩]، وتعقيدُ الأيمان إنما يكون بقصد القلبِ وعزمِه، بخلاف لغو اليمين التي تجري علىٰ اللسان بدون قصد.

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدىٰ معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد(١).

وخلاصته: ما عَقَدَ الإنسان عليه قلبه جازمًا به؛ فهو عقيدة؛ سواء كان حقًا، أم باطلًا.

العقيدة اصطلاحًا: (العقيدةُ) في الاصطلاح العام هي: **الإيمانُ الجازمُ والحكمُ القاطعُ، الذي لا يتطرَّقُ إليه الشكُّ لدىٰ المعتَقِد**، وهذا معنىٰ (العقيدة) في الاصطلاح العام، بصرفِ النظرِ عن نوع الاعتقاد: حقٍّ أو باطلٍ. وسمِّيَ (عقيدةً) لأن الإنسانَ يعقِدُ عليها قلبَه.

وقد شاع مصطلحُ (العقيدة) في دراسات علماء المسلمين علىٰ المباحث المتعلِّقةِ بالله تعالىٰ، من حيث وجودُه، وربوبيّته، وألوهيّته،

(١) انظر معاجمَ اللُّغةِ: «لسانُ العرب»، «القاموسُ المحيط»، «المعجمُ الوسيط»: «مادَةُ عَقَدَ».

وأسماؤه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوصُ الصحيحةُ من أصول الدين، وأمورِ الغيب، وأخبارِه، وما أجمع عليه السلفُ الصالحُ، والتسليمُ لله تعالىٰ في الحكم والأمر، والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعةِ والتحكيمِ والاتباع.

فالمراد بالعقيدة هنا: هو الإيمانُ الجازمُ بالله تعالىٰ، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكتِه وكتبِه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خيرِه وشَرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين.

والفرق بين العقيدة والاعتقاد، أن العقيدة هي ما أخبرت به النصوص الشرعية عن الموضوعات السابقة، والاعتقاد هو نفس الإيمان بمقتضىٰ هذا الذي أخبرت به النصوص.

أما علم الكلام فهو زيادة التدليل علىٰ العقيدة، والدفاع عنها ضد شبهات المخالفين.

وموقف أهل السنة من علم الكلام أنه إذا كان مؤسسًا علىٰ النقل الصحيح والعقل الصريح ولم يصادم النصوص، وكان للحاجة عند وجود المخالفين وشبههم وانتشارها وتأثيرها علىٰ العامة= أنه مطلوب شرعي لا حرج فيه، أما الكلام المذموم عندهم فهو ما فقد شرطًا من الشروط السابقة.

وللعقيدة الإسلامية:

أسماءٌ أخرىٰ عند أهل السنة والجماعة؛ ترادفها، وتدل عليها، منها: «التوحيد» و«السنة» و«أصول الدين» و«الفقه الأكبر» و«الشريعة» و«الإيمان». هذه أشهر إطلاقات أهل السنة والجماعة علىٰ علم العقيدة.

والعقائد إذًا علىٰ قسمين:

١- **عقائد صحيحة**: كعقيدة التوحيد، وعقيدة ختم النبوة بنبوة سيد المرسلين ﷺ، وعقيدة البعث بعد الموت.

٢- **عقائد فاسدة**: كعقيدة التثليث، وعقيدة التناسخ، وعقيدة وحدة الوجود.

موضوع العقيدة:

العقيدة من حيث هي يختلف موضوعها باختلاف الملل، ويختلف كذلك باختلاف الفرق! فكل ملة لها عقيدة تخصها، وكل فرقة لها تصور تنفرد به عن غيرها والمقصود هنا: **تعريف العقيدة الإسلامية، وتحديد موضوعها علىٰ طريقة السلف الصالح**؛ فالعقيدة عند السلف ترادف الإيمان حال الاقتران(١)؛ وهو الذي فسره النبي ﷺ بقوله:

«الإِيمانُ أَنْ تُؤمنَ باللَّه وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشره»(٢)؛ وهذه الأصول تدور حول ثلاثة أمور؛ تنتظم جميع مسائل الاعتقاد، وهي:

---

(١) الإيمان حال الإفراد اسم للدين كله؛ ظاهره وباطنه؛ وهو الذي فسره علماء السلف بقولهم: الإيمان قول وعمل، وللإيمان حال الإفراد أمثلة كثيرة؛ كحديث وفد عبد القيس: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم؛ ففسره بما يعم الأعمال الظاهرة؛ لأنه ذكر مفردًا، لم يذكر معه الإسلام كما في حديث جبريل، ولا التقوىٰ أو العمل الصالح، كما في كثير من النصوص؛ فإذا قرن الإيمان بالإسلام أو التقوىٰ أو العمل الصالح كان اسمًا لما في القلب من الإيمان، وهو ما عرف باسم الاعتقاد أو العقيدة.

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٥٠)، و«صحيح مسلم» برقم (١).

أولًا: التوحيد.

ثانيًا: النبوة.

ثالثًا: الغيبيات.

والتوحيد يشمل الإيمان بالله تعالىٰ، والإيمان بالقدر، والنبوة تشمل الإيمان بالكتب والرسل، والغيبيات تشمل الإيمان بالملائكة واليوم الآخر.

والإيمان بالقدر يعني الإيمان بعلم الله السابق، وكتابة المقادير، وعموم المشيئة والخلق؛ وهذا يعني أنه داخل في توحيد الربوبية، وفي توحيد الصفات، ويمكن كذلك أن يقال: إنه داخل في توحيد الألوهية؛ أن هذا التوحيد متضمن لتوحيد الربوبية والصفات بما في ذلك الإيمان بالعلم والكتابة وعموم المشيئة والخلق

أهمية العقيدة والعلم بها والعمل بمقتضاها:

للعقيدة أهمية بالغة، ومكانة عالية بين العلوم الإسلامية؛ **يمكن بيان معالمها الرئيسة من خلال الوجوه التالية:**

١- أن شرف العلم بشرف موضوعه؛ وموضوع العقيدة هو العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله وحقوقه، وهذه أشرف المطالب وأهمها علىٰ الإطلاق؛ ولهذا كانت ضرورة العباد إليها فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب إلا بمعرفة ربها وعبادته وحده.

قال ابن أبي العز الحنفي: «علم أصول الدين أشرف العلوم؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلىٰ فقه الفروع؛ ولهذا سمىٰ الإمام أبو حنيفة رحمة الله عليه ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين الفقه الأكبر، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب، ولا نعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها

ومعبودها وفاطرها، بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه»[١].

٢- أن العلم بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وحقوقه وجزائه هي الحكمة في خلق الله وأمره؛ فقد دلت النصوص علىٰ أن حكمة مفعولات الرب ومأموراته **تتضمن ثلاثة أمور**:-

الأول: معرفة الرب بأسمائه وصفاته؛ قال تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

الثاني: عبادة الله وحده لا شريك له؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

الثالث: صدق وعد الله ووعيده؛ قال تعالىٰ:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤][٢].

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية»، (ص: ٦٩).

(٢) انظر: «شفاء العليل»، لابن القيم، ص(٤٣٨، ٤٣٩)، و«بدائع الفوائد»، لابن القيم، (٤/ ١٦٤).

٣- أن العقيدة أساس قبول الأعمال؛ فالعمل مهما كثر ونفع فإنه لا يُقبل إذا كان علىٰ عقيدة غير سليمة، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤]، روىٰ مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[1]؛ ولهذا كانت العقيدة من الدين بمنزلة القلب أو الروح.

١- أن التوحيد ركن العقيدة الأعظم؛ وأصل الإسلام الأكبر؛ والأمر بالتوحيد مبتدأ الأوامر، والنهي عن الشرك مبتدأ النواهي؛ لأن التوحيد أعظم الواجبات، والشرك أعظم المحرمات[2]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]؛ وقال:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ

(١) «صحيح مسلم» برقم (٣٦٥).
(٢) انظر: «حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم، (ص: ١٤، ١٦).

يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

ويترتب علىٰ مكانة التوحيد الكبرىٰ في الإسلام أمور عظيمة جليلة؛ منها:

(١) أن من فرط في حق الله الخالص علىٰ عباده حتىٰ أضاع أعظم الواجبات، ولقي الله تعالىٰ بأعظم المحرمات فإن الله تعالىٰ لا يغفر له هذا التفريط العظيم، ولو فعل من الخير ما فعل؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وروىٰ مسلم بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «**بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا أَخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ**»[1].

(٢) أن من لقي الله علىٰ التوحيد الخالص فإن الله تعالىٰ يكفر خطاياه مهما كثرت أو عظمت[2]؛ روىٰ الترمذي بسنده عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه

---

(١) **متفق عليه**: «صحيح البخاري» برقم (٥٩٦٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٣٠).

(٢) انظر: «فتح المجيد»، لعبد الرحمن بن حسن، (ص: ٦١).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١)، وروىٰ ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَىٰ. إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: «**فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»(٢).

قال شيخ الإسلام: «هذه حال من قالها بإخلاص وصدق؛ كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم علىٰ سيئاتهم، كما ترجح قول صاحب البطاقة، وكذلك في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ**

---

(١) [إسناده حسن] «سنن الترمذي» برقم (٣٥٤٠). انظر: «صحيح الجامع الصغير»، للألباني برقم (٤٣٣٨).

(٢) [سنده صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤٣٠٠). انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (١٣٥).

يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَىٰ الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(١).

وفي لفظ في الصحيح: «إن امرأة بغيا رأت كلبًا في يوم حار، يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها، فسقته به فغفر لها»(٢).

وفي لفظ في الصحيحين: أنها كانت بغيًا من بغايا بني إسرائيل، وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَرِيقِ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . . .**»(٣)

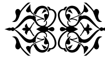
فهذه سقت الكلب **بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها**، وإلا فليس كل بغىٰ سقت كلبًا يغفر لها، وكذلك هذا الذي نحىٰ غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص، وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك؛ فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وليس كل من نحىٰ غصن شوك عن الطريق يغفر له، قال الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾؛ فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا، والله لا يناله الدم المهراق، ولا اللحم المأكول والتصدق به، لكن يناله تقوىٰ القلوب فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب، وما في القلوب

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦٠٠٩)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٤٤).
(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٢٤٥).
(٣) «صحيح البخاري» برقم (٦٥٢)، و«صحيح مسلم» برقم (١٩١٤).

يتفاضل، لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله، عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق ولم يضرب بعضه ببعض»[١].

(٣) أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب؛ وتحقيق التوحيد قدر زائد علىٰ ماهيته؛ وهو كمال الإخلاص في الأقوال والأعمال[٢]؛ روىٰ مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . . .»[٣].

فوصف أهل هذه المنزلة العالية بما يدل علىٰ كمال الإخلاص؛ وهو صدق الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في جلب المنافع ودفع المضار؛ وهذا الصدق في التوكل هو الذي أورثهم ترك طلب الرقية والاكتواء والتطير.



(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٢١٩-٢٢٢).

(٢) انظر: «القول السديد»، لابن سعدي، (ص: ٢٥)، و«حاشية كتاب التوحيد»، لابن قاسم، (ص: ٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٣٧٤).

مصادر العقيدة الإسلامية

إنَّ مصادر التلقِّي عند أهل السُّنَّة والجماعة تنقسم إلىٰ قسمين:

١- مصادر رئيسة: وهي الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

٢- مصادر ثانوية: وهي العقل الصحيح -الفطرة السليمة- وهي تابعة للقرآن والسُّنَّة؛ فلذا يتضح أن المصادر الأساسية لأهل السُّنَّة والجماعة هي القرآن والسُّنَّة والإجماع المبني عليها[١].

المصدر الأول: القرآن

فأهل السُّنَّة والجماعة اعتمدوا علىٰ كتاب الله ﷻ وجعلوه مصدرًا أساسيًّا وأوليًّا في استمداد المعتقد والاستدلال عليه، فلا ترد مسألةٌ في العقيدة ولا غيرها ولها دليل من القرآن إلا ويوردونه أولا ويقدمونه علىٰ غيره، ومما ساعدهم علىٰ ذلك، أن الله ﷻ قد يسَّر مفهومه، فلا خلل في أسلوبه، ولا غرابة في تعبيره بحيث ينفر منها صاحب الذوق السليم.

ومن هنا كانت معرفة مقاصده مقدورة لكل البشر لا يختص بها أحد دون أحد، بل لكل أحد حظٌّ من فهمه وإدراك مراد الله ﷻ منه . . .

وبذلك يظهر بطلان زعم أهل البدع وكذبهم وقولهم بالتعارض بين الأدلة النقلية والعقلية[٢].

---

(١) ينظر: الفتاوىٰ ٣/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: المدخل لدراسة العقيدة، البريكان، ص١٨.

المصدر الثاني: السُّنَّة

إن السلف رحمهم الله يجعلون كلام الله وكلام رسوله ﷺ هو الأصل الذي يُعتمد عليه، وإليه يُرد ما تنازع الناس فيه، فما وافقهما كان حقًّا وما خالفهما كان باطلًا[1].

يقول ابن حزم رحمه الله: «فلم يسمع مسلمًا يقرُّ بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلىٰ غير القرآن والخبر عن رسول الله صلىٰ الله ﷺ ولا أن يأبىٰ عمَّا وجد فيهما، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجَّة عليه فهو فاسق، وأمَّا فعله مستحلًا للخروج عن أمرهما وموجبًا لطاعة أحد دونهما فهو كافر»[2].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو يُحَمِّلَهُ شبهة، أو شكًّا، أو يقدِّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم، والتسليم، والانقياد والإذعان»[3]، فالسُّنَّة عند السلف وحيٌ لا يعارض القرآن أبدًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[4].

وهي تفسِّر القرآن وتبيِّنه، وتفصِّل ما أجمل من أحكامه[5]

قال ابن القيم رحمه الله: «ونحن نقول قولًا كُليًّا نُشهد الله تعالىٰ عليه وملائكته، أنه ليس في حديث رسول الله ﷺ ما يخالف القرآن، ولا يخالف

(1) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ١/ ٢٧٧.
(2) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ص٩٨٨.
(3) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق التركي ١/ ٢٨٨.
(4) سورة النجم، آية ٤.
(5) ينظر: الإحكام، لابن حزم ١/ ٩٨-١٠٠.

العقل الصريح، بل كلامه بيانٌ للقرآن وتفسيرٌ له وتفصيلٌ لما أجمله»[١].

وقال: «وأصل كلِّ فتنة إنما هو من تقديم الرأي علىٰ الشرع والهوىٰ علىٰ العقل»[٢].

المصدر الثالث: الإجماع

وهو في اللغة يعود إلىٰ أمرين:

١- الاجتماع والتضام والاتفاق، قال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصلٌ واحد، يدلُّ علىٰ تضامِّ الشيء، يقال: جمعتُ الشيء جمعًا ... وَجمْعُ مكَّة[٣]، سُمِّيَ لاجتماع الناس به، وكذلك يوم الجمعة، وأجمعت علىٰ الأمر إجماعًا وأجمعته»[٤].

٢- العزيمة علىٰ الأمر، نقل الجوهري عن الكسائي، يقال: أجمعت الأمر وعلىٰ الأمر: إذا عزمت عليه، والأمر مُجمعٌ، ويقال: اجمع أمرك ولا تدعه منتشرًا»[٥].

وفي الاصطلاح: هو اتفاقُ مجتهدي الأُمَّة بعد وفاة الرسول ﷺ في عصرٍ من العصور علىٰ أيِّ أمرٍ كان[٦].

فخرج بقولنا (اتفاق مجتهدي الأُمَّة): اتفاقُ العوام، فلا عبرة بوفاقهم ولا خلافهم، واتفاق بعض المجتهدين، واتفاق الأمم السابقة، وقولنا: (بعد

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية ٢/ ٤٤١.

(٢) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، ابن القيم ٢/ ١٦٧.

(٣) المقصود به مزدلفة.

(٤) مقاييس اللغة ١/ ٤٧٩-٤٨٠.

(٥) الصحاح ٣/ ١١٩٩، تهذيب اللغة ١/ ٢٥٣، المحصول للرازي ٤/ ١٩، لسان العرب ٨/ ٥٣.

(٦) ينظر: روضة الناضر وجنَّة المناظر ١/ ٣٧٦، وشرح مختصر الروضة ٣/ ٥.

وفاة الرسول ﷺ) قيدٌ لا بدَّ منه؛ لأن الإجماع لا ينعقد في زمانه ﷺ، وقولنا: في (في عصرٍ من العصور)؛ لرفع وهم من يتوهَّم أن المراد بالمجتهدين من يوجد إلىٰ يوم القيامة، وهذا التوهَّم باطلٌ، فإنه يؤدي إلىٰ عدم تصوُّر الإجماع.

ومن كان من أهل الاجتهاد في الوقت الذي حدثت فيه المسألة وظهر الكلام فيها، فهو من أهل ذلك العصر، ومن بلغ هذا بعد حدوثها فليس من أهل ذلك العصر(١).

والإجماعُ حجَّةٌ عند الجمهور خلافًا للنظَّام، والشيعة، والخوارج(٢).

ودونك إقامة الحجة علىٰ حجية الإجماع من الكتاب والسُّنَّة والعقل:

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان الرَّبُّ ﷻ قد جعلهم شهداء، لم يشهدوا بباطل، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقد أمر به، وإذا شهدوا أن الله نهي عن شيءٍ فقد نهىٰ عنه»(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٦).

---

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه ٦/ ٣٧٩.
(٢) ينظر: منهاج السُّنَّة النبوية ٨/ ٣٤٠.
(٣) سورة البقرة آية ١٤٣.
(٤) الفتاوىٰ، ١٧/ ١٧٧-١٧٨.
(٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(٦) سورة النساء، آية ١١٥.

فهاتان الآيتان توجبان اتباع سبيل المؤمنين وتثبتان الوعيد علىٰ المخالفة لهم، ووجه الاستدلال أن الله ﷻ جمع بين مشاقة الرسول ﷺ وبين مخالفة المؤمنين في الوعيد، فلو كان اتباع غير سبيل المؤمنين مباحًا لما جمع بينه وبين المحظور، ومتابعة غير سبيلهم تقع بمخالفة أقوالهم وأفعالهم[(١)].

وأمَّا السُّنَّة فقد تظافرت الرواية عن رسول الله ﷺ بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنىٰ في عصمة هذه الأمة من الخطأ، بل قد تواترت عنه ﷺ أنه قال: «**لاتزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرة علىٰ الحق حتىٰ تقوم الساعة**»[(٢)].

وأخبر ﷺ «**أنَّ الله لا يجمع هذه الأمة علىٰ ضلالة**»[(٣)].

وأما الأدلة من العقل علىٰ حجية الإجماع فقد ثبت قطعا أنَّ نبيَّنا ﷺ خاتم الأنبياء وأن شريعته دائمة إلىٰ قيام الساعة، ثم وقعت حوادث ليس فيها نصٌّ قاطعٌ من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ، لكن أجمعت الأمة علىٰ حكمها، فلو قيل إن إجماعهم ليس بحجة وإن الحق قد خرج عنهم، أو أنهم أجمعوا علىٰ الخطأ، للزم أن تكون شريعته غير دائمة وهذا يؤدي إلىٰ انقطاعها وعدم بقائها واستمرارها[(٤)].

---

(١) ينظر: الإبهاج شرح المنهاج، يعلىٰ بن عبد الكافي وولده ٢/ ٣٥٣، ومفتاح الجنَّة في الاحتجاج بالسُّنَّة، السيوطي، ص٢٤-٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي، ١٣/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٧)، ٤/ ٤٦٦، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، وللحديث شواهد في مستدرك الحاكم، ١/ ١١٥-١١٦، وأخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة رقم ٨٠، ٨٣-٨٤-٨٥)، ٣٩، ٤١-٤٢، وصحَّحه السيوطي في الجامع الصغير، ١/ ٢٧٨، رقم ١٨١٨، وقال: حديثٌ حسن.

(٤) ينظر: المستصفي من علم الأصول ١/ ١٧٥-١٧٦، روضة الناظر وجنَّة المناظر ١/ ٣٤١-٣٤٢.

المصادر الثانوية

• **وهي الفطرةُ والعقلُ السليمُ**: وهما رافدان مؤيدان لا يَستَقِلَّان بتقرير تفصيلاتِ العقيدةِ وأصولِ الدين، فهما يوافقان الكتابَ والسنةَ ولا يعارضانهما، **وقد رأيت مثالًا للاستدلال بهما في مبحث أدلة وجود الله.**

• **والوحي ليس مجرد أخبار بل ينطوي بداخله علىٰ حجاج عقلي كما تراه في قوله تعالىٰ**: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

• **وإذا وردَ ما يوهِمُ التعارضَ بين النقل الصحيح القطعي والعقل الظني**: اتهمنا عقولَنا؛ فإن النقلَ الثابتَ مقدَّمٌ ومُحكَّمٌ في الدين، فتقديمُ عقول الناس وآرائهم الناقصة والمتضاربة علىٰ كلام الله تعالىٰ ورسولِه ﷺ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه: ضلالٌ وتعسف، وهو سببُ ضلال كثيرٍ من الفرق الكلاميةِ وغيرِها.

٢- ما صحَّ عن رسول الله ﷺ وإن كان من أخبار الآحاد: وجبَ قبولُه واعتقادُه، والعملُ به سواء كان من المسائل العقدية أو الفقهية.

٣- ما اختُلِف فيه من أصول الدين: فمردُّه إلىٰ الله تعالىٰ ورسولِه ﷺ (الكتاب والسنة) كما فهمَهما الصحابةُ ﭫ والتابعون، والتابعون لهم من أئمة الدين.

٤- أصول الدين والعقيدة توقيفيةٌ قد بيّنها رسولُ الله ﷺ بالقرآن والسنة، وعليه: فكلُّ محدثةٍ في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، كما صحَّ عن الرسول ﷺ.

فليس لأحد أن يُحدِثَ أمرًا من أمور الدين زاعمًا أنه يجب التزامُه أو اعتقادُه؛ فإن الله تعالىٰ أكملَ الدين وانقطع الوحي، وختمت النبوة؛

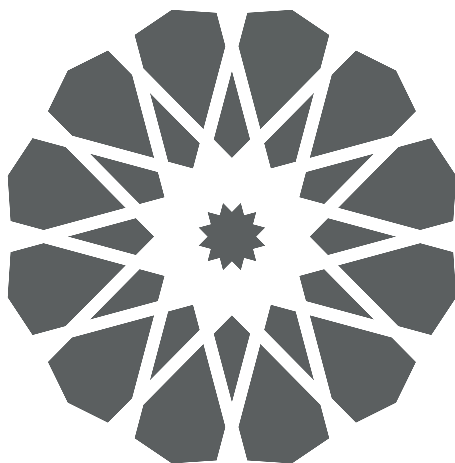
لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، وقولِه ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[(١)]، وهذا الحديثُ قاعدةٌ من قواعد الدين، وأصلٌ من أصول العقيدة.

٥- لا يجوز تأويلُ نصوص العقيدة، ولا صرفُها عن ظاهرها بغير دليل شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ.

ولا خصوصيَّةَ لنصوص العقيدة في عدم جواز التأويل المذموم، بل هذا الحكم عامٌّ في جميع نصوص الشرع، ولكن وجَبَ التنبيهُ عليه هنا لِما أنّ هذا الباب قد عمَّت فيه بليَّةُ التحريف بأشكال مختلفة.



(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/٢٦٩٧)، ومسلم (ح/١٧١٨) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

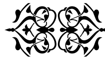


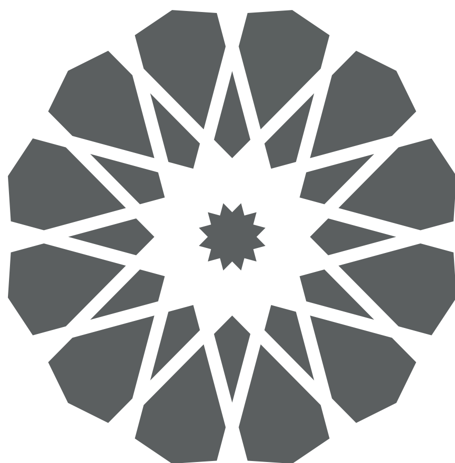
الباب الثالث

الإيمان بالله

الإيمان بالله ﷻ هو أهم أصول الإيمان، وبقيةُ الأصول متفرعةٌ منه، وهو الإيمان بوجوده ﷻ، وبوحدانيته سبحانه؛ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والدين الإسلامي سُمِّي توحيدًا؛ لأن مبناه علىٰ أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائلُ كثيرةٌ من الكتاب والسنة، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم وأخبار الأنبياء والسابقين في دعوتهم للتوحيد.





الفصل الأول: توحيد الربوبية

المسألة الأولىٰ: معناه:

هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب علىٰ العبد أن يؤمن بذلك كله.

وَخُلاَصَتُهُ هُوَ: «**تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرَادُهُ بِأَفْعَالِهِ**».

وَقَدْ قَامَتِ الأَدِلَّةُ الشَّرعِيَّةُ عَلَىٰ وجُوبِ الإِيمَانِ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالقُرآنُ الْعَظِيمُ مَلِيءٌ بِذِكْرِ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَىٰ، وَلاَ تَكَادُ سُورَةٌ مِنْ سُوَرِهِ تَخْلُو مِنْ ذِكْرِهِ، أَوِ الإِشَارَةِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ الأَسَاسُ بِالنِّسْبَةِ لأَنْواعِ التَّوحِيدِ الأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ تعالىٰ: قال تعالى ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]. وَقَالَ تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] وَقَولُهُ تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وَقَولُهُ تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وَقَولُهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وَقَولُهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وَهَذَا النَّوعُ مِنَ التَّوحِيدِ **أَقَرَّ بِهِ فِي الْجُمْلَةِ** كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ وَالدِّيَانَاتِ، وَالْمُشْرِكُونَ القُدَامَىٰ الَّذِينَ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ؛ فَكُلُّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَمَنْ فِيهِ، وَرَازِقَ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا؛ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

المسألة الثانية: دلالة العقل عليه.

والعقل يدل علىٰ وجود الله تعالىٰ وانفراده بالربوبية وكمال قدرته علىٰ الخلق وسيطرته عليهم.

ولذلك طرق كثيرة، أهمها طريقان:

الأول: النظر في خلق النفس البشرية وأنها آية من آيات الله العظيمة الدالة علىٰ تفرد الله وحدَهُ بالرُّبوبية: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، فالإنسان لا يستطيع أن يخلق النطفة التي كان منها، أو أن يحولها إلىٰ علقة، أو يحول العلقة لمضغة، أو المضغة لعظام، أو يكسو العظام لحمًا.

الثاني: النظر في الآفاق، وما في هذا الكون من سماء وأرض، وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار، وما يكتنف ذلك من ليل ونهار وتسيير هذا الكون كله بهذا النظام الدقيق، كل ذلك يدلُّ علىٰ أن هناك خالقًا لهذا الكون، موجدًا له مدبرًا لشئونه.

وقد جاء في بعض الآثار أن قومًا أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير توحيد الربوبية، **فقال لهم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دِجْلة تذهب فتمتلئ من الطعام وغيره بنفسها وتعود

بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد»؟

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدًا.

فقال لهم: «إذا كان هذا محالًا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله».

المسألة الثالثة: توحيد الربوبية وحده لا ينجي من العذاب.

لا يصح إيمان أحد إلا إذا وحَّد الله في ربوبيته، لكن هذا النوع من التوحيد ليس هو الغاية من بعثة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولا ينجي وحده من عذاب الله، ما لم يأتِ العبدُ بلازِمِهِ؛ توحيد الألوهية . . . ولقد كان المشركون زمنَ النبي ﷺ مُقرِّين بالله ربًّا خالقًا رازقًا مدبرًا، وكان شركُهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تُنزل الغيث وتَرزق العالم وتُدبر شئونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ومع هذا الإقرار العام من المشركين بالربوبية لم يُدْخلهم ذلك في الإسلام، بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون.

المسألة الرابعة: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.

وعلىٰ الرغم من أن توحيد الربوبية مركوز في الفطرة مجبولة عليه النفوس فإن هناك من الخلق مع جحده، ومنهم من جحد بعض صفات الربوبية، كمن جحد قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ، ومنهم من أعطىٰ بعض خصائص الربوبية لغير الله ﷻ **كغلاة المتصوفة الذين يعتقدون** بوجود متصرف في الكون والإحياء والإماتة والرزق مع الله ﷻ، ومن اعتقد ذلك

في مخلوق من أنه يملك إيجادًا أو إعدامًا أو إحياءً أو إماتةً أو جَلْبَ خيرٍ أو دَفْعَ شَرٍّ فهو مشرك بالله العظيم، ومن الخلق من يثبت خلق الله للعالم لكنه ينزع عنه تصرفه في الكون وإرساله للرسل وشرعه للدين.



الفصل الثاني: توحيد الألوهية

المسألة الأولىٰ: معناه.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المألوه المعبود الذي يجب أن تألَهَهُ القلوبُ وتخضع له وتذل وتنقاد؛ لأنه سبحانه الرب العظيم الخالق لهذا الكون المدبر لشئونه، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص.

وتوحيد الألوهية هو إفراد الله وحده بالعبادة الظاهرة والباطنة.

وَالْعِبَادَةُ الَّتِي تُصْرَف للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ؛ لاَ تَصِحُّ إلاَّ بِشَرْطَيْنِ:

الأَوَّلُ: الإِخْلاَصُ، أَيْ: أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزُّمَر: ١٤].

الثَّانِي: الْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْ: أَنْ يُعْبَدَ اللهُ بِمَا شَرَعَ، وَأَنْ يُطَاعَ فِيْمَا أَمَرَ، وَأَنْ يُصَدَّقَ فِيمَا أَخْبَرَ، وَأَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ مُوافِقَةً -مَكَانًا وَزَمَانًا وَكَيْفِيَّةً- لِمَا أَمَرَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لاَ نَتَحَاكَمَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَلاَ نَرْضَىٰ بِحُكْمِ غَيْرِهِ، قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحَشر: ٧].

فيقوم العبد بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام، ويقوم بأصوله الباطنة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يقصد بذلك شيء من ذلك غرضًا من الأغراض، غير رضا ربه وطلب ثوابه.

وَخُلاَصَتُهُ أنهُ: «تَوحِيدُ اللهِ تَعَالَىٰ وَإِفْرادُهُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ» وَيُسَمَّىٰ أَيْضًا «**تَوحِيدُ الْعِبَادَةِ**».

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَمِنْ أَجْلِ تَوحِيدِ الْعِبَادَةِ؛ خَلَقَ اللهُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ وَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا، وَلأَجْلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَسُلَّتْ سُيوفُ الْجِهَادِ، وَفُرِّقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وَهُوَ مَا دَعَا إِلَيْهِ جَمِيعُ الرُّسُلِ، وَإِنْكَارُهُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَ الأُمَمَ السَّابِقَةَ مَوارِدَ الهَلاَكِ، قَالَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

المسألة الثانية: بيان أهميته وأنه أساس دعوة الرسل.

لا ريب أن توحيد الألوهية هو أعظم الأصول علىٰ الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق اللهُ الجنَّ والإنسَ لأجله، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولهذا كان هذا التوحيد زبدةَ دعوة الرسل وغايةَ رسالتهم وأساسَ دعوتهم قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

المسألة الثالثة: بيان أنه محور الخصومة بين الرسل وأممهم.

توحيد العبادة أو الألوهية هو مفتتح دعوات الرسل جميعهم، فما من رسول بعثه الله إلا وكان أول ما يدعو قومَهُ إليه هو توحيد الله، ولذا كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم في ذلك، فالأنبياء يدعونهم إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة له، والأقوام يصرون علىٰ البقاء علىٰ الشرك وعبادة الأوثان؛ فالخصومة بين الأنبياء وأقوامهم إنما كان دخول توحيد العبادة والدعوة إلىٰ إخلاص الدين لله.

المسألة الرابعة: معنىٰ العبادة والأركان التي تبنىٰ عليها.

العبادة: هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي تبنىٰ علىٰ ثلاثة أركان:

(١) **كمال الحب** للمعبود سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

(٢) **كمال الرجاء**، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإِسْرَاء: ٥٧].

(٣) **كمال الخضوع والخوف** من الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإِسْرَاء: ٥٧].

المسألة الخامسة: شروط قبول العبادة وبيان أقسامها.

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

(١) **الإخلاص لله تعالىٰ**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

(٢) **المتابعة للرسول** ﷺ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق

لهدي الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالىٰ في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالتصديق الجازم بأخبار الوحي، وكالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

- **المسألة السادسة: حماية المصطفىٰ ﷺ جناب التوحيد.**

والمقصود من ذلك قيامه ﷺ بحماية حمىٰ التوحيد وسده كل طريق يفضي إلىٰ الشرك والباطل، ومن ذلك:

(١) **تحريمه ﷺ التمائم**، وهي ما علق علىٰ العنق وغيره من تعويذات أو خرزات لجلب نفع أو دفع ضرٍّ، قال ﷺ: «**إنَّ الرُّقَىٰ والتَّمَائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[١]، وقال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق وَدَعَةً فلا وَدَعَ الله له**»[٢].

---

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٣٨٨٣). انظر: «مشكاة المصابيح»، للألباني برقم (٤٥٥٢).

(٢) [حسن] «مسند أحمد» برقم (١٧٤٠٤).

واختلف العلماء إذا كان المعلَّق من القرآن الكريم، فأجازه بعضهم، ومنعه البعض وهو الصواب؛ لوجوه أربعة:

١- عموم النهي عن تعليق التمائم.

٢- سدًّا للذريعة، أن تؤدي للشرك أو اعتقاد سببية ما لم يجعله الله سببًا، وهو هنا (أي ما ليس سببًا) التعليق وليس القرآن نفسه.

٣- أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن، فيمنع لذلك.

٤- أن الاستشفاء بالقرآن ورد علىٰ صفة معينة، وهي القراءة علىٰ المريض فلا يتجاوز لغيره إلا بدليل.

(٢) منعه ﷺ وتحريمه لبس الحلقة والخيط ونحوها:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه، **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «رَأَىٰ رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الْحَلْقَةُ؟» قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ. قَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»**[1] رواه أحمد.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأىٰ رجلًا في يده خيط من الحمَّىٰ فقطعه وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][2].

(٣) بيانه ﷺ أن التبرك بالأشجار والأحجار والقبور والقباب هو الشرك:

فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: **«خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ**

---

(١) [ضعيف] «مسند أحمد» برقم (٢٠٠٠٠). انظر: «ضعيف الترغيب والترهيب»، للألباني برقم (٢٠١٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤٢).

اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ﴿لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[(١)]. رواه الترمذي وصححه.

وهناك تبرك مشروع، كالتبرك بالقرآن قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، فمن بركته هدايته للقلوب وشفاؤه للصدور وإصلاحه للنفوس وتهذيبه للأخلاق، إلىٰ غير ذلك من بركاته الكثيرة.

(٤) النهي عن أعمال تتعلق بالقبور:

كان الأمر في أول الإسلام لقرب العهد بالجاهلية والشرك علىٰ المنع من زيارة القبور، ثم أُذن فيها لتذكر الآخرة بشروط منها تجنب كل أمر محظور شرعًا وأول ذلك الشرك، ومنها النهي عن اتخاذ القبور مساجد، واللعن لليهود والنصارىٰ لفعلهم ذلك، ومنها منع الذبح والنحر عند القبور حتىٰ وإن كان الذبح لله، فإن كان لغيره فهو شرك أكبر، ومنها النهي عن تجصيص القبور والكتابة عليها والبناء عليها، والقعود عليها، وكذلك النهي عن الصلاة إلىٰ القبور أو بناء المساجد عليها، واتخاذها عيدًا أو أشد الرحال إليها.

(٥) التوسل:

والمراد به التوصل إلىٰ رضوان الله والجنة، بفعل ما شرعه وترك ما نهىٰ الله عنه، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢١٨٠) انظر: «مشكاة المصابيح»، للألباني برقم (٣/ ١٤٨٨) يرقم (٥٤٠٨).

تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، والمراد بها في الآيتين، أي: القربة إلىٰ الله بالعمل بما يرضيه.

والتوسل قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

أولًا: **التوسل المشروع**. هو التوسل إلىٰ الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، وطريق ذلك الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة، والتوسل المشروع يندرج تحته **ثلاثة أنواع**:

الأول: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، كأن يقول المسلم: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن والرحيم أن تعافيني.

الثاني: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بعمل صالح قام به العبد، كأن يقول: اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي . . . وكما في قصة أصحاب الغار الثلاثة المشهورة.

الثالث: التوسل إلىٰ الله بدعاء الرجل الصالح الذي تُرجَىٰ إجابةُ دعائه، كأن يذهب المسلم إلىٰ رجل يرىٰ فيه الصلاح والتقوىٰ والمحافظة علىٰ طاعة الله، فيطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج كربته وييسر أمره.

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

ثانيًا: **التوسل الممنوع**. هو التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض، منها:

١- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الموتىٰ والغائبين والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحوائج، فهذا من الشرك الأكبر الناقل عن الملة.

٢- التوسل إلىٰ الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة، وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مؤدية إلىٰ الشرك الأكبر، فالأمر يبدأ بالتوسل بجاههم عند الله وهذا بحد ذاته ليس شركًا واختُلف في تحريمه، لكنه يؤدي في كثير من الأحيان إلىٰ التوسل بهم علىٰ معنىٰ الاستغاثة بهم في قضاء الحوائج وليس بجاههم عند الله وهذا صرف للعبادة لغير الله وهو محرم بالاتفاق، ثم هو شرك أكبر.(١)

٣- التوسل إلىٰ الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، وليس كفرًا، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله ولم يأذن به، وقد أجازه بعض الفقهاء والصواب تحريمه؛ لعدم الدليل من الوحي أو من أفعال الصحابة علىٰ جواز فعله.

(٦) **الغلو**: وهو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة، وهو محرم؛ لما ورد من النصوص في النهي عنه والتحذير منه، ومن ذلك: نهيه ﷺ عن المبالغة في مدحه هو ﷺ كما فعلتِ النصارىٰ بعيسىٰ ابن مريم عليه السلام، فقال ﷺ: «**لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْن مَرْيَم إِنَّمَا أَنا عبد الله وَرَسُوله**»(٢) رواه البخاري.

والمراد: لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غَلَتِ النصارىٰ في عيسىٰ فادَّعَوْا فيه الربوبية والألوهية، وإنما أنا عبدٌ فصفوني بما وصفني به ربي.

(٧) **وأما الرقية**: فهي القراءة والنفث طلبًا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

---

(١) **انظر في تفصيل ذلك كتاب**: «الاستغاثة والرد علىٰ البكري»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، **وكتابه**: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة».

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٣٤٤٥).

وهي جائزة مشروعة بثلاثة شروط:

الأول: ألا يعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهي محرَّمة، بل هي شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: ألا تكون بما يخالف الشرع، كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم والشعوذة فإنها لا تجوز.

الرقية الممنوعة: كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أنها تنفع بذاتها، وأن تكون مشتملة علىٰ ألفاظ شركية أو بدعية، أو تكون بألفاظ غير مفهومة.

• المسألة السابعة: الشرك: معناه وأنواعه.

يطلق الشرك في اللغة علىٰ التسوية بين الشيئين، وله في الشرع معنيان: عام وخاص.

المعنىٰ العام: تسوية غير الله بالله فيما هو مِن خصائصه سبحانه، ويندرج تحته الشرك في الربوبية، وفي الألوهية، وفي الأسماء والصفات.

والخاص: أن يتخذ لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، وهذا هو المعنىٰ المتبادر من كلمة الشرك إذا أُطْلِقَتْ في القرآن أو السنة.

وقد أخبر سبحانه أنه الذنب الذي لا يغفره إلا بالتوبة منه قبل الموت، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٨، ١١٦]، ووصفه بأنه أظلم الظلم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ

عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وأخبر أنَّ من مات عليه يكون مخلدًا في نار جهنم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأصل الشرك وسبب وقوعه في بني آدم هو الغلو في الصالحين المعظَّمين، وتجاوز الحد في إطرائهم ومدحهم والثناء عليهم، وكان ذلك في قوم نوح عليه السلام.

وينقسم الشرك إلىٰ قسمين: أكبر وأصغر:

(١) **الشرك الأكبر**: هو اتخاذ ندٍّ مع الله يُعْبَدُ كما يعبد الله، وهو ناقلٌ من ملة الإسلام، محبطٌ للأعمال كلها، وصاحبه إن مات عليه يكون مخلدًا في نار جهنم، لا يُقضىٰ عليه فيموت ولا يُخفَّف عنه من عذابها.

وينقسم الشرك الأكبر إلىٰ أربعة أنواع:

الأول: شرك الدعاء، وذلك أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو لُبُّ العبادة كما قال ﷺ: «**الدُّعَاءُ هَوَ الْعِبَادَةُ**»[1] رواه أحمد والترمذي، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ولما ثبت أن الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، فمن دعا نبيًّا أو ملكًا أو وليًّا أو قبرًا أو حجرًا أو غير ذلك من المخلوقين فهو مشرك كافر.

الثاني: شرك النية والإرادة والقصد، وذلك أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة **إرادة كلية ليس لله فيها نصيب** كأهل النفاق الخلّص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشركٌ الشركَ الأكبر.

الثالث: شرك الطاعة، كمن أطاع المخلوقين في تحليل الحرام

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٩٦٩)، و«مسند أحمد» برقم (٨٧٤٩).

المجمع عليه ضرورة أو تحريم الحلال المجمع عليه ضرورة، أو يعتقد ذلك بقلبه؛ أي أنه يسوغ لهم أن يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم ويسوغ له ولغيره طاعته في ذلك.

الرابع: شرك المحبة، والمراد محبة العبودية المستلزمة للإجلال والتعظيم والذل والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتىٰ صَرَفَ العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر.

(٢) الشرك الأصغر:

هو كل ما كان ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه أو ما جاء في النصوص تسميته شركًا ولم يصل إلىٰ حد الأكبر، وهو يقع في هيئة العمل وأقوال اللسان.

حكمه: من وقع فيه فهو تحت المشيئة، كحكم مرتكب الكبيرة.

ومن أمثلته:

١- يسير الرياء، كقيام العبد للصلاة يتقرب بها لله ثم هو يلاحظ مدح الناس له في أنفسهم علىٰ عبادته وصلاته.

٢- **قول**: ما شاء الله وشئت، ولكن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان.

٣- **قول**: لولا الله وفلان، أو قول: لولا الكلب لأتانا اللصوص؛ وهذا في حالة إيمانه بأنها مجرد أسباب وإنما غفل قلبه حال هذا القول عن أنها أسباب، فإن قال هذه العبارات مع اعتقاد وحضور قلب أنها أسباب سببها الله فلا حرج فيها، لكن التحرز منها وذكر تسبيب الله لها أفضل، فيقول مثلًا: **لولا أن الله يسر لي فلانًا**.

- **مسألة: ما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر؟**

الجواب: بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، **أهمها**:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبطٌ لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، محرمةٌ عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

المسألة الثامنة: الكفر: معناه وأنواعه.

الكفر ضد الإيمان، وهو عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شَكٍّ ورَيْبٍ، أو إعراض عن ذلك حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة.

- **وينقسم الكفر إلىٰ قسمين: أكبر وأصغر.**

(١) **الكفر الأكبر**: هو الموجِبُ للخلود في النار.

وهو خمسة أنواع:

الأول: كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام.

الثاني: كفر الإباء والاستكبار: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يُذعِنُ لأمره، استكبارًا وعنادًا.

الثالث: كفر الشك: وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له: كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين، وطلب مزيد من الأدلة لمزيد من الطمأنينة ليس شكًا.

الرابع: كفر الإعراض: والمراد الإعراض الكلي عن الدِّين، بأن يُعْرِضَ بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، فلا يسمع له، ولا يتعلمه، ولا يعمل به.

الخامس: كفر النفاق: والمراد النفاق الاعتقادي بأن يُظْهِرَ الإيمان ويُبْطِنَ الكفر.

- **والنفاق علىٰ ضربين**:

١- **نفاق اعتقاد**: وهو كفر أكبر ناقل من الملة، وهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول.

٢- **ونفاق عملي**، وهو كفر أصغر لا ينقل من الملة، إلا أنه جريمة كبيرة وإثم عظيم، ومنه ما ذكره النبي ﷺ في الحديث حيث قال:

«**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1] متفق عليه.

(٢) الكفر الأصغر: وهو لا يخرج صاحبه من الملة، ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلىٰ حد الكفر الأكبر.

ومن الأمثلة عليه: ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وفي

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٤)، و«صحيح مسلم» برقم (٥٨).

قوله ﷺ: «**اثنتان في الناس هُمَا بِهِمْ كُفرٌ: الطَّعْنُ في النسب، والنياحةُ علىٰ الميت**» فهذا وأمثاله كفرٌ دون كفر، وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.

المسألة التاسعة: ادعاء علم الغيب وما يلحق به.

الغيب: كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٢٦]، فلا يعلم الغيبَ أحدٌ إلَّا الله، لا مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسَلٌ فضلًا عمن هو دونهما.

والله سبحانه قد يُطْلِع بعضَ خلقه علىٰ بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، وهذا من **الغيب النسبي** الذي غاب علمه عن بعض المخلوقات دون بعض، **أما الغيب المطلق** فلا يعلمه إلا هو سبحانه، ومن ذا الذي يدعي علمه وقد استأثر الله به؟!

ولهذا فإن الواجب علىٰ كل مسلم أن يَحْذَرَ من الدجاجلة والكذابين المُدَّعِين لعم الغيب المُفْتَرِين علىٰ الله، الذين ضلوا في أنفسهم وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، كالسحرة والكذابين والمنجمين، وغيرهم.

ومن أعمال مدعي علم الغيب:

١- **السحر**: وهو عزائم ورقىٰ وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيُمْرِض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق.

ومنه النفث في العقد.

٢- **التنجيم**: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية التي لم تقع.

٣- **زجر الطير والخط في الأرض**: فعن قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العِيَافَةُ والطِّيَرَةُ والطَّرْقُ من الجِبْتِ**»[1] رواه أحمد وأبو داود.

والجبت: أي: السحر، **والعيافة**: زَجْرُ الطير والتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها، **والطَّرْقُ**: الخَطُّ يخطُّ في الأرض، أو الضرب بالحصىٰ وادعاء علم الغيب.

٤- **الكهانة**: وهي ادعاء علم الغيب، والأصل فيها: استراق الجنِّ السمعَ من كلام الملائكة فتلقيه في أذن الكاهن.

٥- **كتابة حروف أبا جاد**: وذلك بأن يجعل لكل حرف منها قدرًا معلومًا من العدد، ويجري علىٰ ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة، ثم يحكم عليها بالسعود أو النحوس وغير ذلك.

٦- **القراءة في الكف والفنجان**: ونحو ذلك مما يدعي به بعضُ هؤلاء معرفة الحوادث المستقبلة من موت وحياة، وفقر وغنًى، وصحة ومرض ونحو ذلك.

٧- **تحضير الأرواح**: ويزعم أربابه أنهم يستحضرون أرواح الموتىٰ ويسألونها عن أخبار الموتىٰ من نعيم وعذاب وغير ذلك، وهو نوع من

---

(١) [إسناده ضعيف] «سنن أبي داود» برقم (٣٩٠٧)، و«مسند أحمد» برقم (٢٠٦٠٣) انظر: «ضعيف الترغيب والترهيب»، للألباني برقم (٢/ ٢٧٢) (١٧٩٤)، لكن معناه مندرج تحت أصل منع ما كان من أعمال الكهان ومدعي علم ما لم يُعلمنا الله إياه بدليل صحيح؛ لذلك جاز أن نستأنس به هنا.

الدَّجَل والشعوذة الشيطانية، ويراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس علىٰ الجهال، وأكل أموالهم بالباطل، والتوصل إلىٰ دعوىٰ علم الغيب.

٨- **التطير**: وهو التشاؤم بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها، وهذا باب من الشرك وهو من إلقاء الشيطان وتخويفه.



الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات

المسألة الأولىٰ: معنىٰ توحيد الأسماء والصفات.

هو إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبته له رسول ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، ونفاه عنه رسول ﷺ من الأسماء والصفات، والإقرار لله تعالىٰ بمعانيها الصحيحة ودلالتها واستشعار آثارها ومقتضياتها في الخلق، وفهم معاني هذه النصوص بقدر طاقة فهمنا لعربية الوحي، فلا ننكر ما أثبته الله، ولا ننفي ما نفاه الله، ولا نحرف المعاني العربية للنصوص، أو ننفي علمنا بهذه المعاني.

المسألة الثانية: المنهج الصحيح في إثبات الأسماء والصفات.

القاعدة في باب الأسماء والصفات تقوم علىٰ آيتين كريمتين قَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَقَوْلُهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالمنهج الحق في الإيمان بأسماء الله وصفاته:

يقوم علىٰ الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

قَالَ الإِمَامُ -التَّابِعِيُّ الْفَقِيهُ- مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، رحمه الله تعالىٰ: «مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَىٰ الرَّسُولِ الْبَلاَغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ»[١].

وقَالَ الإِمَامُ -الْحَافِظُ الْحُجَّةُ- سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَا وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ نَفْسَهُ فِي القُرآنِ؛ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيْرُه، لاَ كَيْفَ، وَلاَ مِثْلَ»[٢].

وهناك العديد من الآيات تدل علىٰ ما جاء من أسماء الله وصفاته، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: ٥٥] وقوله تعالىٰ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة: ١٤] وقوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وَغَيْرُهَا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ.

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ: «آمَنْتُ بِاللهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ، وَآمَنْتُ بِرَسُولِ اللهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَىٰ مُرَادِ رَسُولِ اللهِ»[٣].

وَقَالَ -إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ- مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، رحمه الله تعالىٰ: «إِيَّاكُمْ وَالْبَدَعَ!!» قِيلَ: وَمَا الْبِدَعُ؟ قَالَ، رَحِمَهُ اللهُ: «أَهْلُ الْبِدَعِ؛ هُمُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» الإمام الذهبي: (٥/ ٣٣٧).
(٢) رواه الإمام اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٤/ ٤٧٨).
(٣) انظر: «لُمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» للإمام ابن قدامة المقدسي، (ص: ٧).

أَسْمَاءِ اللهِ، وَصِفَاتِهِ، وَكَلاَمِهِ، وَعَلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَلاَ يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ»(١).

وَسَأَلَ رَجُلٌ الإِمَامِ مَالِكًا رَحِمَهُ اللهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ فَقَالَ: «الاسْتِوَاءُ غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ! وَمَا أَرَاكَ إِلاَّ ضَالاًّ!!». وَأَمَرَ بِهِ؛ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَجْلِس!(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ، رحمه الله تعالىٰ:

«لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَنْطِقَ فِي ذَاتِ اللهِ بِشَيْءٍ؛ بَلْ يَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يَقُولُ فِيهِ بِرَأْيِهِ شَيْئًا؛ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»(٣).

وَقَالَ: «مَنْ أَنْكَرَ أَنَّ اللهَ- عَزَّ وَجَلَّ- فِي السَّمَاءِ؛ فَقَدْ كَفَرَ»(٤).

وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ صِفَّةِ النُّزُولِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «يُنْزِلُ بِلَا كَيْفَ»(٥).

وَقَالَ الْوَلِيْدُ بْنُ مُسْلِمٍ الْقُرَشِي: «سَأَلْتُ الأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ؛ عَنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصِّفَاتِ وَالرُّؤْيَةِ، فَقَالُوا: «أَمَرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ؛ بِلاَ كَيْفٍ»(٦).

وَقَالَ -الإِمَامُ الْحَافِظُ- نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ الْخُزاعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ

---

(١) أخرجه الإمام البغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ٢١٧).

(٢) رواه الإمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» (٣/ ٤٤٠).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام ابن أَبي العز الحنفي، (ص: ٣١٣).

(٤) أخرجه الإمام الذهبي في «العُلو للعليِّ الغفار» (٢/ ٤٢٧).

(٥) «الاقتصاد في الاعتقاد»، لعبد الغني المقدسي، (ص: ١٠٩).

(٦) «شرح السُّنَّة»، للبغوي، (١/ ١٧١)، و«أُصول الاعتقاد»، لللالكائي، (٣/ ٥٨٢) (٩٣٠).

فِيمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلاَ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا»(١).

وَقَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللهُ تعالىٰ: «قَدَمُ الإِسْلاَمِ لاَ تَثْبُتُ إِلاَّ عَلَىٰ قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ»(٢).

والتحريف: هو التغيير وإمالة الشيء عن وجهه، وهو قسمان:

١- تحريف لفظي: وذلك بالزيادة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة، كتحريف (استوىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إلىٰ (استولىٰ).

٢- **تحريف معنوي**: وذلك بتفسير اللفظ علىٰ غير مراد الله ورسوله منه كمَنْ فَسَّر اليد لله تعالىٰ بالقوة أو النعمة.

والتعطيل: هو نفي صفات الله تعالىٰ كمن زعم أن الله تعالىٰ لا يتصف بصفة.

- **مسألة: وما الفرق بين التحريف والتعطيل؟**

الجواب: الفرق بينهما: هو أن **التحريف** نفي المعنىٰ الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنًى آخر غير صحيح، أما **التعطيل** فهو نفي المعنىٰ الصحيح من غير استبدالٍ بمعنًى آخر.

والتكييف: تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يُكَيِّفُون صفات الله فيقولون: كيفية يده: كذا وكذا، وكيفية استوائه علىٰ هيئة كذا وكذا، وهذا باطل؛ إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده، وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه.

---

(١) «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة»، للالكائي، (٤/ ٥٨٧).

(٢) «شرح السُّنَّة»، للبغوي (١/ ١٧١).

والتمثيل: كمن يقول: لله سمع كسمعنا ووجه كوجوهنا -تعالىٰ الله عن ذلك-.

- **وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول مَنْ حَقَّقَهَا سَلِمَ مِنَ الانحراف في هذا الباب، وهي:**

الأصل الأول: تنزيه الله ﷻ عن أن يشبه شيءٌ من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.

الأصل الثاني: الإيمان بما سَمَّىٰ ووصف اللهُ به نفسه، وبما سماه ووصفه به رسولُهُ ﷺ علىٰ الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالىٰ؛ لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

وينبغي للعاقل أن يعلم أن للعقل حدًّا يصل إليه ولا يتعداه كما أن للسمع والبصر حدًّا ينتهيان إليه، فمن تكلف ما لا يمكن أن يدرك بالعقل كالتفكر في كيفية صفات الله، فهو كالذي يتكلف أن يبصر ما وراء الجدار أو يسمع الأصوات في الأماكن البعيدة جدًّا عنه، **فغاية ما ندركه من نصوص الصفات هو المعنىٰ العام الكلي المشترك أن لله يد تليق بجلاله، موصوفة هذه اليد بما وصفها الله به في كتابه، ووصفها به رسول الله في سنته، من أن الله يقبضها ويبسطها مثلًا، أما كيفيتها فلا يعلم حقيقتها سواه سبحانه.**

المسألة الثالثة: أمثلة تطبيقية لإثبات الأسماء والصفات في ضوء الكتاب والسنة:

حفلت نصوص الوحي كتابًا وسنة، بذكر أسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ ﷻ، حتىٰ لا تخلو سورة من سور القرآن ولا بابًا من أبواب كتب

الحديث من ذكر مقصود أو عرضي لأسماء الله وصفاته، ولا عجب فإن الله يعرف عباده عليه، ويدلهم علىٰ سمته وصفته وجلاله وجماله ودلائل عظمته.

فمن أسماء الله تعالىٰ:

الحي والقيوم: وقد دَلَّ عليهما الكتاب والسنة، فمن الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢].

ومن السنة: حديث أنس رضي الله عنه قال: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ تَشَهَّدَ وَدَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا بِاسْمِ اللهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ»**[1] رواه الترمذي وابن ماجه.

الحميد: وقد دَلَّ عليه قول الله ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومن السنة: حديث كعب بن عُجْرة في التشهد أن النبي ﷺ علمهم أن يقولوا: «**اللهم صَلِّ عَلَىٰ محمَّدٍ وعلىٰ آل محمَّدٍ كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[2] متفق عليه.

الرحمن الرحيم: وقد دَلَّ عليهما قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣].

---

(١) «سنن ابن ماجه» برقم (٣٨٥٧)، و«مسند أحمد» (٥/ ٣٦٠). انظر: «صحيح ابن ماجه»، للألباني برقم (٣١١١).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٣٣٧٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٤٠٥).

ومن السنة: أمر النبي ﷺ كاتبه يوم الحديبية عند كتابة الصلح بينه وبين المشركين أن يكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»(١) رواه البخاري.

الحليم: ودليله من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله العظيم الحليم**» متفق عليه.

• **ومن صفات الله:**

القدرة: وهي صفة ذاتية لله تعالىٰ ثابتة بالكتاب والسنة، ومعنىٰ ذاتية: أي ملازمة لذات الله لا تنفك عنه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، آل عمران: ١٦٥، النحل: ٧٧، النور: ٤٥، العنكبوت: ٢٠، فاطر: ١، الطلاق: ١٢].

ومن السنة: حديث عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلىٰ النبي ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ:

«**ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُل: باسْم اللهِ ثَلاثًا، وَقُلَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتهِ مِنْ شَر مَا أجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(٢) رواه مسلم.

الحياة: وهي من صفات الله الذاتية، وهي مشتقة من اسمه الحي، وقد تقدم ذكر الأدلة عليها.

العلم: صفة ذاتية لله تعالىٰ وثبوتها بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ومن السُّنة حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في الاستخارة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٧٣١).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٢٢٠٣).

بِعِلْمِكَ، وَاسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ»[1].

الإرادة: وهي صفة ذاتية فعلية ثابتة بالكتاب والسنة، **والصفات الفعلية هي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها**.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ**»[2] متفق عليه.

العلو: وهي صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

ومن السنة حديث أبي هريرة وفيه: «.... **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[3] رواه مسلم.

الاستواء: وهو صفة فعلية له تعالىٰ ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لما فرغ الله من خلقه استوىٰ علىٰ عرشه**»[4]. رواه أبو بكر الخلال، وقال الذهبي: رواته ثقات.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١١٦٢).
(٢) «صحيح البخاري» برقم (٧١٠٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٨٧٩).
(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٧١٣).
(٤) «العلو» (١/ ٥٢).

ومعنىٰ **الاستواء في لغة العرب**: العلو والارتفاع والاستقرار والصعود، واستواء الله تعالىٰ علىٰ عرشه هو استواء يليق بجلاله.

الكلام: وهو صفة ذاتية باعتبار النوع، فعلية باعتبار أفراد الكلام؛ فهو سبحانه يتكلم متىٰ شاء وكيف شاء بكلام مسموع **بحروف وأصوات صادرة عن الله، ولا يعلم كيفيتها إلا الله**، وقد دل الكتاب والسنة علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ومن السنة حديث: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِكَ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَىٰ، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ**»(١) متفق عليه.

الوجه: وهو صفة ذاتية خبرية ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ومن السنة حديث جابر قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**». فقال: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ فقال النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**».

قال: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: ٧٤] فقال النبي ﷺ: «**هَذَا أَيْسَرُ**»(٢). رواه البخاري.

اليدان: وهي صفة ذاتية خبرية (أي علمناها بالخبر ولا يقتضيها العقل كما يقتضي صفة الحياة مثلًا) فهي ثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [سورة ص: ٧٥].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦٦١٤).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٤٦٢٨).

ومن السنة: حديث أبي موسىٰ الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

العينان: وهي صفة خبرية ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] ومن السنة حديث ابن عمر في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيسَ بِأَعْوَرَ -وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ عَينَيهِ- وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّال أَعْوَرُ الْعَينِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّ عَينَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(٢).

القَدَم: وهي صفة خبرية ذاتية ثابتة بالأحاديث الصحيحة، ومن ذلك حديث أبي هريرة في تَحَاجُج الجنةِ والنارِ وفيه: «**فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ اللَّهُ تبارك وتعالىٰ فِيهَا رِجْلَهُ، تَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ ... فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ**»(٣)، وفي بعض الروايات في الصحيحين: «**فَيَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهَا**»(٤).

• **وهذه الصفات نؤمن بها ونثبتها كما جاءت معتقدين معناها المجمل الذي يتناسب مع ذات الله العلية ولا نعلم كيفيتها لأنه لا يعلم كيفية صفات الله إلا من علم كيفية الله ورآه.**

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٧٥٩).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٧٤٠٧).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٨٤٦).

(٤) «صحيح مسلم» برقم (٢٨٤٦).

وعلىٰ هذا جرىٰ السلف الصالح رضوان الله عليهم:

قال وكيع: «إذا سئلتم: هل يضحك ربنا؟ فقولوا: كذلك سمعنا»[(١)].

وعن حنبل بن إسحاق قال: سألتُ أبا عبد الله أحمدَ بن حنبل عنِ الأحاديثِ التي تُروىٰ عنِ النبيِّ ﷺ أن الله يَنزلُ إلىٰ السماءِ الدنيا؟ فقال أبو عبدِ الله: «نُؤْمِنُ بها، ونُصدِّق بها، ولا نَرُدُّ شيئًا منها إذا كانت أسانيدَ صِحاحٍ، ولا نردُّ علىٰ رسولِ الله ﷺ قوله، ونَعْلم أنَّ ما جاء به الرسولُ حَقٌّ. قلتُ لأَبي عبدِ الله: يَنزلُ الله إلىٰ سماءِ الدنيا؟ قال: نعم. قلتُ: نزولُ بِعِلمهِ أو بماذا؟ فقال لي: اسْكُتُ عن هذا، ما لكَ ولهذا؟! أَمْضِ الحديثَ علىٰ ما رُوي بِلا كَيفٍ ولا حَدٍّ علىٰ ما جاءتْ به الآثارُ وبما جاء بهِ الكِتابُ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، يَنزلُ كيف شاء بِعِلمهِ وقُدرتهِ وعَظَمتهِ، أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، لا يَبْلغُ قَدْرَهُ واصفٌ، ولا يَنْأَىٰ عنه هَرَبُ هاربٍ».

وقال الوليد بن مسلم: «سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا: أمروها بلا كيف»[(٢)].

وعن أحمد بنِ عليٍّ الأَبَّارِ: «أَنَّ عبدَ الله بنَ طاهرٍ قال لإسحاقَ بنِ راهويه: ما هذه الأحاديث التي تحدِّثُ أنَّ الله ﷻ يَنزلُ إلىٰ سماءِ الدنيا، والله يَصعدُ ويَنزلُ؟! قال: فقال له إسحاقُ: تقولُ: إنَّ الله يَقْدِرُ علىٰ أن ينزلَ ويصعدَ ولا يَتحرَّكَ؟ قال: نَعَم. قال: فَلم تُنْكِرُ؟!»[(٣)].

---

(١) راجع «السنة» لعبد الله (٤٩٥) «الصفات» (٦٣) للدار قطني.

(٢) «الصفات» للدارقطني (٦٧).

(٣) «مجموع الفتاوي» (٥/ ٣٧٦).

* **وعنِ الفُضيلِ بنِ عياضٍ**: «إذا قال لك الجهميُّ: أنَا كفرتُ بِرَبٍّ ينزلُ ويزولُ، فَقُلْ: أنَا أُوْمِنُ بربٍّ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ»(١).

* **وعن يحيىٰ بنِ مَعينٍ قال**: «إذا سمعت الجهميَّ يقولُ: أنَا كفرتُ بِرَبٍّ ينزلُ، فَقُلْ: أنَا أُؤمِنُ بِرَبٍّ يفعلُ ما يريد»(٢).

المسألة الرابعة: قواعد في باب الأسماء والصفات.

القاعدة الأولىٰ: القول في الصفات كالقول في الذات.

الله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا أفعاله، فإذا كان الله ذاتٌ حقيقةً لا تُماثل الذواتِ بلا خلاف؛ فكذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات، فالقول في الذوات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقَشُ بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات، فإن إثبات الذات للرب ﷻ محل إجماع الأمة.

---

(١) «خلق أفعال العباد» (ص١٧ رقم ٤٦).

- وقال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٣٧٧): أراد الفضيل بن عياض رحمه الله مخالفة الجهمي الذي يقول: إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية فلا يتصور منه إتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به .. فأمره أن يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء من الأفعال القائمة بذاته التي يشاؤها، لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه، ومثل ذلك ما يروىٰ عن الأوزاعي وغيره من السلف أنهم قالوا في حديث النزول يفعل الله ما يشاء. اهـ.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوي» (٥/ ٣٧٨).

القاعدة الثانية: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وهذه القاعدة يخاطَب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر، فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر، ثم ينازع في صفة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا، فيقال له: لا فرق بين ما أثبَّتهُ وبين ما نفيتَهُ، فالقول في أحدهما كالقول في الآخر.

القاعدة الثانية: الأسماء والصفات توقيفية.

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلىٰ هذا فيجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات فوجب الوقوف علىٰ النص.

القاعدة الرابعة: أسماء الله كلها حسنىٰ.

أي: بالغة في الحسن غايته، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذلك لدلالتها علىٰ أحسن مُسمَّىٰ وأشرف مدلول؛ وهو الله ﷻ، ولأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

والحسنُ في أسماء الله تعالىٰ يكون باعتبار كل اسم علىٰ انفراد، ويكون باعتبار جمعه إلىٰ غيره فيحصل بجمع الاسم إلىٰ آخر كمال فوق كمال.

مثال ذلك: العزيز الحكيم فإن الله تعالىٰ يجمع بينهما في القرآن كثيرًا فيكون كل منهما دالًّا علىٰ الكمال الخاص الذي يقتضيه؛ وهو العزة في

العزيز، والحُكم والحِكمة في الحكيم، والجمع بينهما دال علىٰ كمال آخر وهو أن العزة لله تعالىٰ مقرونة بالحكمة فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا كما يكون من بعض أعزاء المخلوقين فإن بعضهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور، وكذلك حكمه تعالىٰ وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل.



الفصل الرابع: ثمرات الإيمان بالله وتوحيده

نشير هنا إلىٰ جملة من الفوائد والثمرات التي يجنيها المسلم بتحقيقه لهذا الأصل العظيم وهو الإيمان بالله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن ذلك:

١- تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، فحظ العبد منها بحسب حظه من إيمانه بربه وأسمائه وصفاته ألوهيته.

٢- الخوف من الله سبحانه وخشيته وتحقيق طاعته، فكلما كان العبدُ بربه أعرفَ كان إليه أقربَ، ومنه أخشىٰ، ولعبادته أطلب، وعن معصيته ومخالفته أبعد.

٣- أن العبد ينال بذلك طمأنينة القلب، وراحة النفس، وأنس الخاطر، والأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

٤- أن نيل ثواب الآخرة متوقف علىٰ الإيمان بالله وصحته.

٥- الإيمان بالله هو الذي يصحح الأعمال ويجعلها مقبولة، فبفقده لا تقبل بل تُرد علىٰ صاحبها وإن كثرت وتنوعت.

٦- الإيمان الصحيح بالله يحمل صاحبه علىٰ التزام الحق واتباعه علمًا وعملًا، ويكسب العبد الاستعداد التام لتلقي المواعظ النافعة والعبر المؤثرة، ويوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، والمبادرة إلىٰ الخيرات ومجانبة المحرمات والمنكرات، ولزوم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، والآداب النافعة.

٧- أن الإيمان بالله ملجأ المؤمنين في كل ما يلم لهم من شرور وحزن وأمن وخوف وطاعة ومعصية وغير ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم وملجؤهم إلىٰ الإيمان بالله وحده.

٨- أن معرفة الله تعالىٰ بأسمائه وصفاته توجب محبة الله في القلوب، إذ إن أسماء الله وصفاته كاملة من كل وجه والنفوس قد جبلت علىٰ حب الكمال والفضل فإذا تحققت محبة الله في القلوب انقادت الجوارح بالأعمال لطاعته وعبادته وترك مخالفته.

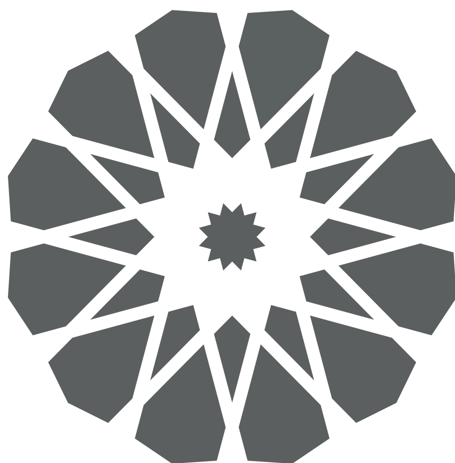
٩- العلم بالأسماء والصفات يورث قوة اليقين بانفراد الله تعالىٰ بتصريف شئون الخلق وانفراده بذلك لا شريك له.

١٠- إحصاء الأسماء الحسنىٰ والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له تعالىٰ أو أمرًا، وهي إما علم بما كَوَّنَهُ، وإما علم بما شَرَعَهُ، ومصدرُه الخلق والأمر عن أسمائه الحسنىٰ وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضىٰ بمقتضيه، فمن أحصىٰ أسماء الله كما ينبغي للمخلوق أحصىٰ جميع العلوم.



الباب الرابع

بقية أركان الإيمان



الركن الثاني

الإيمان بالملائكة

• **تقدم الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله، والآن نسوق الكلام علىٰ بقية أركان الإيمان الستة التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام:**

المسألة الأولىٰ: تعريف الملائكة، وأصل خلقتهم، وصفاتهم، وخصائصهم.

تعريفهم: **الملائكة**: جمع مَلك. أخذ من (الأَلُوكِة) وهي الرسالة.

وهم خَلْقٌ من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة علىٰ التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوىٰ عظيمة.

ولا يعلم عددهم إلا الله، اصطفاهم الله لعبادته والقيام بأمره، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

أصل خِلقتهم: المادة التي خلق الله منها الملائكة هي النور.

صفاتهم: قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها، فمن ذلك: أنهم موصوفون بالقوة والشدة، وموصوفون بعظم الأجسام والخلق، ومن صفاتهم أنهم يتفاوتون في الخلق والمقدار فهم ليسوا علىٰ درجة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح.

• **ومن صفاتهم أيضًا الحُسن والجمال فهم علىٰ درجة عالية من ذلك.**

وهم كرام أبرار، ومن صفاتهم الحياء والعلم إلىٰ غير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة علىٰ علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

• **خصائصهم**: للملائكة خصائص وصفات قدِ اختصهم الله بها عن الجن والإنس، فمنها:

١- أن مساكنهم في السماء وإنما يهبطون إلىٰ الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شئونهم.

٢- وأنهم لا يوصفون بالأنوثة.

٣- لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طَبَعَهُم الله علىٰ طاعته، والقيام بأمره.

٤- لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون.

فهذه بعض خصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن.

وبالجملة فالملائكة جنس آخر، يتميزون في أصل خلقتهم وتكوينهم عن الإنس والجن، كما أن لكل من الإنس والجن خصائصهما التي يتميز بها أحد الجنسين عن الآخر، والله أعلم.

المسألة الثانية: منزلة الإيمان بالملائكة وكيفيته.

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به، وقد نص الله علىٰ ذلك في كتابه، وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥]، وفي حديث

جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب قال ﷺ:

«الإِيمانُ أَنْ تُؤمنَ باللَّه وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خيرهِ وشره»(١)، فالحديث ذكر الملائكة وأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وهو المقصود هنا.

● **وأما كيفية الإيمان بالملائكة**: فيتضمن عدة أمور لا بد للعبد من تحقيقها:

١- الإقرار بوجودهم والتصديق بهم.

٢- الإيمان بأنهم خَلْقٌ كثيرٌ جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالىٰ.

٣- الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده.

٤- اعتقاد تفاضلهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، وأن أفضل الملائكة هم المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل: **«اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ»**(٢).

وأفضل الثلاثة جبريل عليه السلام وهو الموكل بالوحي.

٥- موالاتهم والحذر من عداوتهم، لشرفهم، فوجبت موالاة الملائكة علىٰ المؤمنين لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم، وقد حذر الله تعالىٰ من عداوة الملائكة فقال: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٧٧٠).

وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٩٨]، فأخبر أن عداوة الملائكة موجِبَةٌ لعداوة الله وسخطه، وذلك لأنهم إنما يصدرون عن أمره وحكمه، فمن عاداهم فقد عادىٰ ربه.

٦- الاعتقاد بأن الملائكة خَلْقٌ من خَلْقِ الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالىٰ هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك.

٧- الإيمان المفضل بن جاء التصريح بذكرهم من الملائكة علىٰ وجه الخصوص في الكتاب والسنة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، وهاروت، وماروت، ورضوان، ومنكر ونكير، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم.

وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف: كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته: كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة، كحملة العرش، والكرام الكاتبين والموكلين بحفظ الخلق، والموكلين بحفظ الأجنة والأرحام، وطواف البيت المعمور، والملائكة السياحين، إلىٰ آخر من أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

المسألة الثالثة: وظائف الملائكة.

هم جند من جنود الله، أسند الله إليهم كثيرًا من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة، وأعطاهم القدرة علىٰ تأديتها علىٰ أكمل وجه.

فمنهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر والنبات وهو ميكائيل عليه السلام، ومنهم الموكل بالصُّور وهو إسرافيل عليه السلام وهو ثالث الملائكة المفضلين، وهو أحد حملة العرش.

والصُّور قَرْنٌ عَظِيمٌ ينفخ فيه إسرافيلُ ثلاثَ نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك

الموت، ولملك الموت أعوان من الملائكة يأتون العبد بحسب عمله، فإن كان محسنًا ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة، ومنهم الموكل بالجبال وهو ملك الجبال، ومنهم الموكل بالرحم.

ومنهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، ومنهم مالك خازن النار، وقد جاء في السنة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، ومنهم زوار البيت المعمور يدخله في كل يوم منهم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، وثبت أنهم يُبَلِّغون النبي ﷺ من أمته السلام، ومنهم الكرام الكاتبون، وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم، ومنهم الموكلون بفتنة القبر وسؤال العباد في قبورهم وهما منكر ونكير.

فهؤلاء الملائكة جميعًا هم أشهر من جاءت النصوص بذكر وظائفهم وأسمائهم من الملائكة ممن يتعين علىٰ العبد الإيمان بهم والتصديق بمدلولات النصوص في حقهم والله تعالىٰ أعلم.

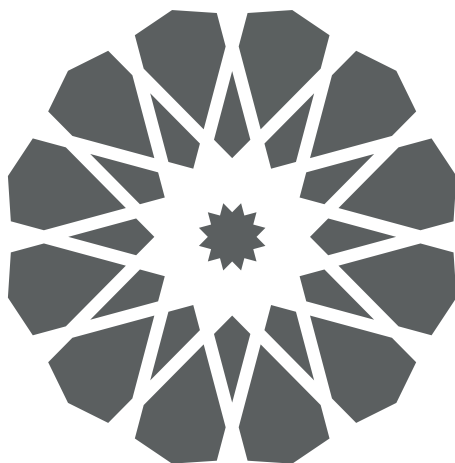
المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان بالملائكة.

١- العلم بعظمة خالقهم ﷻ وكمال قدرته وسلطانه.

٢- شكر الله تعالىٰ علىٰ لطفه وعنايته بعباده حيث وَكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تحقق به مصالحهم.

٣- محبة الملائكة علىٰ ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله علىٰ الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.





الركن الثالث

الإيمان بالكتب المنزلة

المسألة الأولىٰ: الوحي لغة وشرعًا وبيان أنواعه.

الوحي لغة: الإعلام السريع الخفي.

ويطلق علىٰ: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام.

وكل ما ألقيتَهُ علىٰ غيرك حتىٰ عَلِمَهُ فهو وحي كيف كان، وهو لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله تعالىٰ.

- **والوحي بمعناه اللغوي يتناول:**

(١) الإلهام الفطري للإنسان كالوحي لأم موسىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧].

(٢) الإلهام الغريزي للحيوان كالوحي إلىٰ النحل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨].

(٣) الإشارة السريعة علىٰ سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه؛ قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

(٤) وسوسة الشيطان وتزيين الشر في نفوس أوليائه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(٥) ما يلقيه الله تعالىٰ إلىٰ ملائكته من أمر ليفعلوه؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢].

وأما الوحي شرعًا: فهو إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب، بواسطة أو غير واسطة.

أنواع الوحي:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فأخبر أن تكليمه ووحيه للبشر يقع علىٰ ثلاث مراتب:

الأولىٰ: الوحي المجرد وهو ما يقذفه الله في قلب الموحىٰ إليه مما أراد بحيث لا يشك فيه أنه من الله، وأَلْحَقَ بعضُ أهل العلم بهذا القسم رؤىٰ الأنبياء في المنام.

الثانية: التكليم من وراء حجاب بلا واسطة، كما ثبت ذلك لبعض الرسل والأنبياء، كتكليم الله تعالىٰ لموسىٰ علىٰ ما أخبر الله به في أكثر من موضع من كتابه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وكتكليم الله لآدم، قال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وكتكليم الله تعالىٰ لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء كما ثبت في السنة.

الثالثة: الوحي بواسطة الملك، وهذا كنزول جبريل عليه السلام بالوحي من الله علىٰ الأنبياء والرسل، والقرآن كله نزل بهذه الطريقة تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ وبلغه جبريل لمحمد ﷺ.

ولجبريل عليه السلام في تبليغه الوحي لنبينا ﷺ ثلاثة أحوال:

١- أن يراه الرسول ﷺ علىٰ صورته التي خُلق عليها.

٢- أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، فيذهب عنه وقد وعىٰ الرسول ﷺ ما قال.

٣- أن يتمثل له جبريل في صورة رجل ويخاطبه بالوحي كما مر في حديث جبريل السابق في سؤاله النبي ﷺ عن مراتب الدين.

المسألة الثانية: حكم الإيمان بالكتب.

الإيمان بكتب الله التي أنزل علىٰ رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به، وتقرر في الكتاب والسنة وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالىٰ أنزلها علىٰ رسله بالحق والهدىٰ والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئًا منها فهو كافر خارج من الدين.

المسألة الثالثة: كيفية الإيمان بالكتب.

الإيمان بكتب الله يشتمل علىٰ عدة جوانب دلت النصوص علىٰ وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، وهي:

(١) التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من الله ﷻ وأنها كلام الله تعالىٰ لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلىٰ الوجه الذي أراد سبحانه.

(٢) الإيمان بأنها دعت كلها إلىٰ عبادة الله وحده، وقد جاءت بالخير والهدىٰ والنور والضياء.

(٣) الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضًا فلا تناقضَ بينها ولا تعارضَ.

(٤) الإيمان بما سمىٰ الله ﷻ من كتبه علىٰ وجه الخصوص، والتصديق بها، وبإخبار الله ورسوله عنها، وهذه الكتب هي:

أ- **التوراة**: وهي كتاب الله الذي آتاه موسىٰ عليه السلام وقد ألقىٰ الله التوراة علىٰ موسىٰ مكتوبة في الألواح، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهي أعظم كتب بني إسرائيل وفيها تفصيل شريعتهم وأحكامهم التي أنزلها الله علىٰ موسىٰ، وقد كان علىٰ العمل بها أنبياء بين إسرائيل الذين جاؤوا من بعد موسىٰ، وقد أخبر الله في كتابه عن تحريف اليهود للتوراة وتبديلها.

ب- **الإنجيل**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، وقد أنزل الله الإنجيل مصدقًا للتوراة وموافقًا لها.

قال بعض العلماء: لم يخالف الإنجيلُ التوراةَ إلا في قليل من الأحكام مما كانوا يختلفون فيه كما أخبر الله عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصًّا علىٰ البشارة بنبينا محمد ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة[(١)].

ج-**الزَّبور**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ داود عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

قال قتادة: «كنا نحدث أنه دعاء علَّمه الله داود وتحميد وتمجيد لله ﷻ ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود»[(٢)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» برقم (٢/ ٣٦).

(٢) «معجم الطبراني» برقم (٨/ ٩٤) (٢٢٣٧٢).

د-**صُحُف إبراهيم وموسىٰ**: وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله، الأول في سورة النجم في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٣٩].

والثاني في سورة الأعلىٰ، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٩] فأخبر الله ﷻ عن بعض ما جاء في هذه الصحف من وحيه الذي أنزله علىٰ رسوليه إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام.

هـ - **القرآن العظيم**: وهو كتاب الله الذي أنزله علىٰ نبينا محمد ﷺ مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولًا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب، ودعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن، **وهو آية النبي العظمىٰ التي يثبت بها صدقه؛ لأنه إذا عجز البشر عن مثله فلم يبق إلا أنه من عند الله وأن ناقله نبي مرسل من الله.**

وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتنزيل، والذكر.

• فيجب الإيمان بهذه الكتب علىٰ ما جاءت به النصوص، من ذكر أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ عنها، وما قُصَّ علينا من أخبار أهلها.

(٥) الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف التي أنزلها الله علىٰ رسله بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحدًا من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير

ما جاء فيه أو يتحاكموا إلىٰ غيره، والأدلة علىٰ ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ آمرًا نبيه ﷺ أن يحكم بين أهل الكتاب بالقرآن: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

المسألة الرابعة: بيان أن الكتب السابقة دخلها التحريف، وسلامة القرآن من ذلك.

قال تعالىٰ في حق اليهود: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالىٰ مخبرًا عن النصارىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرىٰ، فدليل الزيادة قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ

عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]، ودليل النقص قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

- **سلامة القرآن من التحريف وحفظ الله له وأدلة ذلك:**

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ علىٰ الكتب السابقة من التحريف والتبديل، وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله بل وصيانته إياه، كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

قال الطبري: «قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل؛ ليس منه، أو ينقص منه؛ ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»(١).

وعبر القرون المتطاولة ورغم الجهود الحثيثة لناقدي الإسلام لم يستطيعوا إثبات وجود تحريف واحد حقيقي في نص الوحي.

وقد نبه العلماء في هذا المقام إلىٰ سر لطيف ونكتة بديعة تتعلق بتحريف التوراة وعدم تحريف القرآن علىٰ ما روىٰ أبو عمرو الداني عن أبي الحسن ابن المنتاب قال: «كنت يومًا عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق فقيل له: لم جاز التبديل علىٰ أهل التوراة ولم يجز علىٰ أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله ﷻ في أهل التوراة: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فوكل الحفظَ إليهم فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩] فلم يَجُزِ التبديل عليهم، قال:

(١) «تفسير الطبري»، (١٧/ ٦٨).

فمضيت إلىٰ أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلامًا أحسن من هذا»[(١)].

المسألة الخامسة: الإيمان بالقرآن وخصائصه.

(١) تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفرق بينهما:

القرآن الكريم: هو كلام الله، منه بَدَا بلا كيفية قولًا، وأنزله علىٰ رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون علىٰ ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل ونزل به علىٰ خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقولُ بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوبُ في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل.

الحديث القدسي: هو ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربِّه باللفظ والمعنىٰ ونُقل إلينا آحادًا أو متواترًا ولم يبلغ تواتر القرآن.

والحديث النبوي: ما أضيف إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

• **والفرق بينهم**: أن القرآن متعبَّدٌ بتلاوته معجزٌ في نظمه متحدًّى به، يحرم مسه لمحدِثٍ، وتلاوته لنحو جنب، وروايته بالمعنىٰ، وتتعين قراءته في الصلاة، ويؤجر قارئه بكل حرف منه حسنة والحسنة بعشر حسنات، بخلاف الحديث القدسي والحديث النبوي؛ فإنهما ليسا كذلك.

والفرق بين الحديث القدسي والنبوي: أن الحديث القدسي من كلام الله بلفظه ومعناه بخلاف الحديث النبوي فهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لفظًا

(١) «تاريخ قضاة الأندلس»، (ص: ٣٣).

ومعنًى، وأن الحديث القدسي أفضل من الحديث النبوي وذلك لفضل كلام الله علىٰ كلام المخلوقين.

- **خصائص الإيمان بالقرآن:**

(١) اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحدًا منهم إلا الإيمان به ولا أن يعبدوا الله إلا بما شرع فيه.

(٢) اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره، فلا دين إلا ما جاء به، ولا عبادة إلا ما شرع الله فيه، ولا حلال إلا ما أحل فيه، ولا حرام إلا ما حرم فيه.

(٣) سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويُسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة، فقد كانت مشتملة علىٰ كثير من الآصار والأغلال التي فرضت علىٰ أصحابها.

(٤) أن القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفَّل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي.

(٥) أن القرآن الكريم مشتمل علىٰ وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمىٰ وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلىٰ قيام الساعة.

ومن صور الإعجاز: حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته، وقد وقع التحدي للإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثله أو ببعضه فما استطاعوا.

(٦) أن الله تعالىٰ بيَّن في القرآن كلَّ شيءٍ مما يحتاج له الناس في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم.

(٧) أن الله تعالىٰ يسر القرآن للمتذكر والمتدبر وهذا من أعظم خصائصه.

(٨) أن القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل.

(٩) أن القرآن مشتمل علىٰ أخبار الرسل والأمم الماضية وتفصيل ذلك بشكل لم يسبق إليه كتاب قبله.

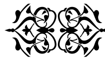
(١٠) أن القرآن هو آخر كتب الله نزولًا وخاتمها والشاهد عليها.

المسألة السادسة: ثمرات الإيمان بالكتب.

١- شكر الله تعالىٰ علىٰ لطفه بخلقه وعنايته بهم بحيث أنزل إليهم الكتب المتضمنة إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة.

٢- ظهور حكمة الله حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم الكتب وهو القرآن مناسبًا لجميع الخلق في سائر العصور.

٣- إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ، وأن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، وعجز المخلوقين عن الإتيان بمثله.



الركن الرابع
الإيمان بالرُّسل

المسألة الأولىٰ: حكم الإيمان بالرسل وأدلته.

الإيمان بالرسل واجب من واجبات هذا الدِّين وركن عظيم من أركان الإيمان، وقد دلت علىٰ ذلك الأدلة من الكتاب والسُّنة، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وبيَّن الله في كتابه حكم من ترك الإيمان بالرسل، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وفي السنة أن النبي ﷺ أجاب لما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»[١].

فتقرر وجوب الإيمان بالرسل وأنه من أعظم دعائم هذا الدين ومن أكبر خصال الإيمان وأن من كذَّب بالرسل أو بأحد منهم فإنه كافر بالله العظيم كفرًا صريحًا بجحده هذا الركن العظيم من أركان الإيمان.

---

(١) سبق تخريجه.

المسألة الثانية: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما.

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، وقيل: النبي مشتق من النباوة: وهو الشيء المرتفع.

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، قال تعالىٰ مخبرًا عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٥].

وقد اختلف العلماء في تعريف كلٍّ من النبي والرسول في الشرع علىٰ أقوال؛ أرجحها:

أنَّ النبيَّ: هو من أوحىٰ الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين، وقد لا يؤمر بتبليغه.

والرسول: هو من أوحىٰ الله إليه وأرسله إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغ رسالة الله.

والفرق بينهما: أن النبي هو من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم.

وأما الرسول فهو من أرسل إلىٰ الكفار والمؤمنين ليبلغهم رسالة الله ويدعوهم إلىٰ عبادته.

- **وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف علىٰ ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا علىٰ شريعة التوراة وكلهم رسل.**

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ [غافر: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ

إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤].

وقد يطلق علىٰ النبي أنه رسول كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] فذكر الله ﷻ أنه يرسل النبي والرسول، وبيان ذلك أن الله تعالىٰ إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلىٰ أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد، وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلىٰ عامة الخلق من الكفار والمؤمنين.

المسألة الثالثة: كيفية الإيمان بالرسل.

هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه وأخبر به النبي ﷺ في سنته إجمالًا وتفصيلًا.

فالإيمان المجمل: هو التصديق الجازم بأن الله تعالىٰ بعث في كل أمة رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وبأنهم جميعًا صادقون، بارُّون، راشدون، كرام بررة، أتقياء أمناء، هداة مهتدون، وبأنهم علىٰ الحق المبين، والهدىٰ المستبين جاؤوا بالبينات من ربهم إلىٰ أقوامهم.

وبأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلىٰ توحيد الله، وأما شرائعهم فمختلفة، وبأنهم قد بلَّغوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة علىٰ الخلق.

ويجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة.

ومما يجب اعتقاده أيضًا في حق الرسل أنهم منصورون مؤيدون من الله، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم.

وأما الإيمان المفصل: وهو الإيمان التفصيلي علىٰ نحو ما جاءت به النصوص من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦] وورد ذكر الباقين في مواضع أخرىٰ من القرآن.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾ [الأعراف: ٦٤]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٤]، وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩] فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة علىٰ ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

• ويجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ إبراهيم ومحمدًا ﷺ خليلين، وكتكليم الله

تعالىٰ موسىٰ وآدم ومحمدًا ﷺ، وتسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، وإلانة الحديد لداود، وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، وتعليم سليمان منطق الطير.

• ويجب كذلك الإيمان علىٰ وجه التفصيل بما قضىٰ الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرىٰ بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم، وكذلك ما جاءت في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

المسألة الرابعة: ما يجب علينا نحو الرسل.

يجب علىٰ الأمة تجاه الرسل حقوق عظيمة بحسب ما أنزلهم الله ﷻ من المنازل الرفيعة في الدين، ومن هذه الحقوق:

١- تصديقهم جميعًا فيما جاؤوا به، وأنهم مرسلون من ربهم، مبلغون عن الله ما أمرهم الله بتبليغه لمن أرسلوا إليهم وعدم التفريق بينهم في ذلك، فيجب تصديق الرسل فيما جاؤوا به من الرسالات وهذا مقتضىٰ الإيمان بهم.

ويجب معرفة أنه لا يجوز لأحد من الثقلين متابعة أحدٍ من الرسل السابقين بعد مبعث محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، فشريعته ناسخة للشرائع السابقة.

٢- موالاتهم جميعًا ومحبتهم والحذر من بغضهم وعداوتهم.

٣- اعتقاد فضلهم علىٰ غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحدٌ من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوىٰ، إذ الرسالة اصطفاء من الله، ولا تنال بالاجتهاد في العمل.

٤- اعتقاد تفاضلهم فيما بينهم وأنهم ليسوا علىٰ درجة واحدة بل فضل الله بعضهم علىٰ بعض، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فإنزال كل واحد منهم منزلته في الفضل والرفعة بحسب دلالات النصوص من جملة حقوقهم علىٰ الأمة.

٥- الصلاة والسلام عليهم فقد أمر الله الناس بذلك وأخبر الله بإبقائه الثناء الحسن علىٰ رسله وتسليم الأمم عليهم من بعدهم، قال تعالىٰ عن نوح: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الصافات: ١٠٨-١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١].

ونقل الإمام النووي إجماع العلماء علىٰ جواز الصلاة علىٰ سائر الأنبياء واستحبابها[1].

المسألة الخامسة: أولو العزم من الرسل.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] هم: ذوو الحزم والصبر.

واختلف أهل العلم فيهم، فقيل: المراد بأولي العزم هم جميع الرسل و(من) لبيان الجنس، وقيل: هم خمسة: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ، وقد ذكر هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطنين من كتاب الله، الأول في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]،

(١) «الأذكار»، (ص: ١١٨).

والثاني في سورة الشورىٰ، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

● وهؤلاء الخمسة هم أفضل الرسل وخيار بني آدم، وأفضلهم محمد ﷺ.

المسألة السادسة: خصائص نبينا ﷺ وحقوقه علىٰ أمته مع بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

أولًا: خصائصه.

(١) عموم رسالته لكافة الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه والإيمان برسالته.

(٢) أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين كما دلت علىٰ ذلك النصوص، والأمة مجمعة علىٰ هذا، وأجمعت علىٰ تكفير من ادعىٰ النبوة بعده ﷺ، ووجوب قتل مدعيها إن أصر علىٰ ذلك.

(٣) أن الله أيده بأعظم معجزة وأظهر آية وهو القرآن العظيم، كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، الباقي في الأمة إلىٰ أن يأذن الله برفعه إليه.

(٤) أن أمته خير الأمم وأكثر أهل الجنة.

(٥) أنه ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة.

(٦) أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمىٰ، وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(٧) أنه ﷺ صاحب لواء الحمد، وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعًا له وتحت رايته واختص به؛ لأنه ﷺ حمد اللهَ بمحامد لم يحمده بها غيره.

(٨) أنه صاحب الوسيلة، وهي أعلىٰ درجات الجنة، ولا تكون إلا لعبد واحد.

ثانيًا: حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته.

حقوق النبي ﷺ علىٰ أمته كثيرة، وقد تقدم ذكر بعضها فيما يجب علىٰ الأمة من حقوق عامة تجاه الرسل قاطبة، وفيما يلي عرضٌ لبعض حقوقه الخاصة علىٰ أمته، وهي:

(١) الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة، ومقتضىٰ ذلك؛ من تصديقه ووجوب طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

(٢) وجوب الإيمان بأن الرسول ﷺ بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ورغبها فيه، وما من شر إلا ونهىٰ الأمة عنه وحذرها منه.

(٣) محبته ﷺ وتقديم محبته علىٰ النفس وسائر الخلق، والمحبة وإن كانت واجبة لعموم الأنبياء والرسل إلا أن لنبينا ﷺ مزيد اختصاص بها، ولذا وجب أن تكون محبته مقدَّمة علىٰ محبة الناس كلهم من الأبناء والآباء وسائر الأقارب بل مقدَّمة علىٰ محبة المرء نفسه.

(٤) تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله.

(٥) الصلاة والتسليم علىٰ النبي ﷺ والإكثار من ذلك كما أمر الله بذلك، والصلاة والسلام وإن كانت مشروعة في حق الأنبياء كلهم كما تقدم

فهي متأكدة في حق نبينا ﷺ، ومن أعظم حقوقه علىٰ أمته وهي واجبة عليهم، ولذا ذكرناها هنا من جملة حقوقه الخاصة علىٰ أمته.

وقد صرح العلماء بوجوب الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ونقل بعضُهم الإجماعَ علىٰ ذلك.

قال القاضي عياض: «اعلم أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ فرض علىٰ الجملة، غير محدد بوقت؛ لأمر الله تعالىٰ بالصلاة عليه، وحَمَلَهُ الأئمةُ والعلماءُ علىٰ الوجوب وأجمعوا عليه»(١).

(٦) الإقرار له بما ثبت في حقه من المناقب الجليلة والخصائص السامية والدرجات العالية الرفيعة علىٰ ما تقدم بيانه.

(٧) تجنب الغلو فيه والحذر من ذلك، فإن في ذلك أعظم الأذية له ﷺ، قال تعالىٰ آمرًا نبيه أن يخاطب الأمة بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

كما حذَّر النبيُّ ﷺ أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه، ففي صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«لَا تطروني كَمَا أطرت النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْن مَرْيَم إِنَّمَا أَنا عبد الله وَرَسُوله»(٢)، والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

---

(١) «الشفا»، (٢/ ٦١).

(٢) سبق تخريجه.

ومن صور الغلو في النبي ﷺ التي تصل إلىٰ حد الشرك، التوجه له بالدعاء، فيقول القائل: يا رسول الله افعل كذا وكذا، فإن هذا دعاء، والدعاءُ عبادةٌ لا يصحُّ صرفها لغير الله.

ومن صور الغلو فيه ﷺ الذبح له أو النذر له أو الطواف بقبره أو استقبال قبره بصلاة أو عبادة فكل هذا محرم؛ لأنه عبادة وقد نهىٰ الله عن صرف شيء من أنواع العبادة لأحد من المخلوقين، فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

(٨) ومن حقوق النبي ﷺ محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء فإن الله قد أوجب علىٰ هذه الأمة موالاة أصحاب نبيِّه، وندب من جاء بعدهم إلىٰ الاستغفار لهم وسؤال الله ألا يجعل في قلوبهم غِلًّا لهم، وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليهم كلمتهم محبة أصحاب رسول الله ﷺ وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال.

قال الإمام أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل يتنقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق»[(١)].

وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أي بسوء فاتهمه علىٰ الإسلام»[(٢)].

ثالثًا: بيان أن رؤية النبي ﷺ في المنام حق.

دلَّت السنة علىٰ إمكانية رؤية النبي ﷺ في المنام، وأن من رآه في

---

(١) «الكفاية»، للخطيب، (ص: ٤٩).

(٢) «مناقب الإمام أحمد»، (ص: ٢٠٩).

المنام فقد رآه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[(١)] متفق عليه.

وينبغي أن يتنبه إلىٰ أن الرؤية الصحيحة لرسول الله ﷺ هو أن يُرىٰ علىٰ صورته الحقيقية المعروفة من صفاته، وإلا فلا تكون الرؤية صحيحة.

وأما قول النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»[(٢)] متفق عليه، فللعلماء في تفسير الرؤية في اليقظة أقوال، أشهرها ثلاثة:

الأول: أنها علىٰ التشبيه والتمثيل، وقد دل علىٰ هذا ما جاء في رواية مسلم من حديث أبي هريرة، وفيها: «**فكأنما رآني في اليقظة**».

الثاني: أنها خاصة بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثالث: أنها تكون يوم القيامة، فيكون لمن رآه في المنام مزيد خصوصية علىٰ من لم يره في المنام.

• المسألة السابعة: ختم الرسالة وبيان أنه لا نبي بعده.

النبي ﷺ خاتم النبيين، ولهذه العقيدة أثر علىٰ دين المسلمين، فمن ثمارها:

(١) استقرار التشريع وكمال الدين لدىٰ الأمة، وأثر ذلك الكبير في حياة الأمة، ولذا امتن الله علىٰ هذه الأمة بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(٢) ثقة الأمة بعدم نسخ هذا الدين وشريعة محمد ﷺ ببعثه نبيًّا آخر، ومعنىٰ ختم النبوة بنوته عليه الصلاة والسلام أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته، وأما نزول عيسىٰ عليه السلام وكونه متصفًا بنبوته السابقة

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦١٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٦٦).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٦٩٩٣)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٦٦).

فلا ينافي ذلك، علىٰ أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا نزل إنما يتعبد بشريعة نبينا ﷺ دون شريعته المتقدمة، لأنها منسوخة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولًا وفروعًا.

(٣) القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده عليه الصلاة والسلام دون نظرٍ أو تأمل، فبذلك تحدث العصمة للأمة من اتباع من ادعىٰ النبوة من الدجالين والكذابين.

(٤) ظهور فضل الأمراء والعلماء من هذه الأمة حين جعل سياسة الأمة في الدين والدنيا لهم بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**». **قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:** «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»[(١)] متفق عليه.

فكان مقام الخلفاء من هذه الأمة مقام الأنبياء في بني إسرائيل في سياسة الناس وقيادتهم، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:

«**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»[(٢)] رواه أبو داود والحاكم.

وواقع الأمة يشهد بهذا فلا يزال أمر الدين والدنيا محفوظًا بالخلفاء والأمراء والعلماء الذين يسوسون الناس بالشرع.

وعلىٰ كل حال فعقيدة ختم النبوة وآثارها في الدين من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القيام في الثبات عليه، إلىٰ أن يأتي أمر الله.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٤٥٥)، و«صحيح مسلم» برقم (١٨٤٢).

(٢) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٢٩١)، و«مستدرك الحاكم» برقم (٨٨٠٥) انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، للألباني برقم (٥٩٩).

المسألة الثامنة: الإسراء بالرسول ﷺ حقيقته وأدلته.

الإسراء لغة: من السرىٰ وهو: سير الليل أو عامته، وقيل: سير الليل كله.

والإسراء في الشرع: يراد به: الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلىٰ بيت المقدس ورجوعه من ليلته.

والإسراء آية عظيمة أيد اللهُ بها النبيَّ ﷺ قبل الهجرة حيث أسرىٰ به ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ راكبًا علىٰ البراق بصحبة جبريل عليه السلام حتىٰ وصل بيت المقدس، فربطه بحلقة باب المسجد، ثم دخل المسجد وصلَّىٰ فيه بالأنبياء إمامًا، ثم جاءه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار النبيُّ ﷺ اللبن علىٰ الخمر، فقال له جبريل: «**هُدِيتَ لِلْفِطْرَةِ**»(١).

وقد دل عليه الكتاب والسنة، واتفقت كلمة علماء المسلمين سلفًا وخلفًا وانعقد إجماعهم علىٰ صحة الإسراء برسول الله ﷺ وأنه حق.

والإسراء كان بروح النبي ﷺ وجسده، يقظة لا منامًا، هذا الذي دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه عامة الصحابة وأئمة أهل السنة والمحققون من أهل العلم.

وأما المعراج: مفعال من العروج. أي الآلة التي يعرج فيها، أي: يصعد، وفي الشرع فهو: صعود النبي ﷺ بصحبة جبريل عليه السلام من بيت المقدس إلىٰ السماء الدنيا ثم باقي السموات إلىٰ السماء السابعة ورؤية الأنبياء في السماوات علىٰ منازلهم وتسليمه عليهم وترحيبهم به، ثم صعوده

---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٣٠٣١).

إلىٰ سدرة المنتهىٰ، ورؤيته جبريل عندها علىٰ الصورة التي خلقه الله عليها، ثم فرض الله عليه الصلوات الخمس تلك الليلة وتكليم الله له بذلك ثم نزوله إلىٰ الأرض، وكان المعراج ليلة الإسراء علىٰ الصحيح.

والإسراء والمعراج من الآيات العظيمة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ، والواجب علىٰ المسلم اعتقاد صحَّتها وأنهما منقبتان عظيمتان اختص الله بها نبيّنا ﷺ من بين الرسل.

ولا يشرع للمسلم الاحتفال بذكرىٰ الإسراء والمعراج كما لا تشرع لهما صلاة خاصة كما يفعله بعض عوام المسلمين، بل كل ذلك بدع منكرة لم يشرعها النبي ﷺ ولم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد ممن يقتدىٰ به في العلم، **وتذاكر أخبار الإسراء والمعراج في هذا التوقيت والتذكير بها لا حرج فيه.**

وقد بين العلماء من أهل السنة أن صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب من البدع المحدثة باتفاق أئمة الإسلام، ولا ينشأ مثل هذا إلا من جاهل مبتدع، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(١)؛ أي: مردود عليه.

المسألة التاسعة: القول في حياة الأنبياء عليهم السلام.

دلت الأدلة علىٰ موت الأنبياء إلا ما وردت النصوص باستثنائه كعيسىٰ عليه السلام فإنه لم يمت بَعْدُ وإنما رُفع إلىٰ الله تعالىٰ حيًّا، ودلت النصوص علىٰ أنهم عليهم السلام يموتون كما يموت بقية البشر إلا ما أخبر به الله ﷻ عن عيسىٰ عليه السلام من رفعه إليه كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٧١٨).

﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥] فدلت الآية علىٰ رفع الله تعالىٰ لعيسىٰ بجسده وروحه إلىٰ السماء وأنه لم يمت.

وأما الوفاة المذكورة في الآية في قوله تعالىٰ: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ فقد جاء في تفسير الآية أن: توفيه هو رفعه إليه، وإلىٰ ذلك ذهب ابن جرير الطبري، وأكثر المفسرين علىٰ أن الوفاة المذكورة هي النوم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾.

فتقرر بهذا أن عيسىٰ حي الآن في السماء لم يمت، وقد أخبر الله عن موته قبل قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] والموت المذكور هنا هو موت عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان بعد أن ينزل من السماء، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، كما دلت علىٰ ذلك الأحاديث الصحيحة في نزول عيسىٰ في آخر الزمان، وقد جاءت تلك الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وممن قيل إنه لم يمت من الأنبياء إدريس عليه السلام، وإنما رفع كما رفع عيسىٰ عليه السلام، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦-٥٧]، وقيل: رفع إلىٰ السماء فمات بها، **وقيل**: رفع إلىٰ السماء الرابعة، والقصد حصول الخلاف بين أهل العلم في موت إدريس من عدمه، هذا مع القطع بأنه إن لم يمت فلا بد أن يموت، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وأمَّا ما عدا عيسىٰ وإدريس عليهما السلام من الرسل فلم يقل أحدٌ من أهل العلم المعتد بقولهم في الأمة بحياة أحد منهم لما تقدم من النصوص والواقع المشاهد من موتهم.

وما ما ورد من رؤية النبي ﷺ للأنبياء عليهم السلام في أحاديث المعراج، فالذي عليه المحققون من أهل السنة أنه ﷺ رأىٰ أرواحَ الرسل مصورةً في صور أبدانهم، وأما أجسادهم فهي في الأرض إلَّا من جاءت النصوص برفعهم.

وينبغي أن يقرر هنا أن الله تعالىٰ كما أكرم رسله برفع أرواحهم إلىٰ السماء فإنه حفظ أجسادهم في الأرض، وحرم علىٰ الأرض أن تأكل أجسادهم، لما ثبت أن النبي ﷺ قال:

«**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ أي: يقولون: قد بليت -. قال: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**».

المسألة العاشرة: معجزات الأنبياء والفرق بينها وبين كرامات الأولياء.

المعجزة: أمر خارق للعادة يجري علىٰ أيدي الأنبياء للدلالة علىٰ صدقهم مع سلامة المعارضة، **وتعبير الوحي عن المعجزة كان بلفظ: الآية، فمعجزات الرسل آيات الرسل وبينات صدقهم.**

- **ومعجزات الأنبياء كثيرة:**

فمن معجزات صالح عليه السلام أن قومه طلبوا منه أن يخرج لهم من صخرةٍ عَيَّنوها له ناقةً، ثم حددوا صفات الناقة فدعا ربَّه بذلك فأمر الله تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة علىٰ الوجه الذي طلبوا.

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام جَعْلُ الله النارَ التي أشعلها قومه لتعذيبه وإهلاكه ثم ألقوه فيها بردًا وسلامًا عليه.

ومن معجزات موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ العصا، التي كانت تتحول إلىٰ حية عظيمة إذا ألقاها إلىٰ الأرض، ومن معجزاته أيضًا أنه كان يدخل يده في درع قميصه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ كالقمر من غير سوء.

ومن معجزات عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثم ينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله، ويمسح الأكمه -وهو الأعمىٰ- والأبرص فيبرأ بإذن الله، وينادي الموتىٰ في قبورهم فيجيبون بإذن الله.

ومن معجزات نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن العظيم وهو أعظم معجزات الرسل علىٰ الإطلاق، ومن معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انشقاق القمر عندما سأل أهلُ مكة النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيةً فانشقَّ القمر شِقَّين فرآه أهل مكة ورآه غيرهم، ومنها-أيضًا-الإسراء والمعراج.

ومعجزات الرسل كثيرة، خصوصًا معجزات نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله أيَّده بكثير من الآيات والبراهين التي لم تجتمع لنبي قبله.

● **وأما الكرامة**: فهي أمر خارق للعادة مقرونٌ بدعوىٰ النبوة لا هو مقدمة لها تظهر علىٰ يد عبدٍ ظاهِرِ الصلاحِ، مصحوبٌ بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

وكرامات الأولياء كثيرة منها ما ثبت في حق بعض الصالحين من الأمم الماضية، منها ما أخبر الله به عن مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، ومنها ما أخبر الله به عن أهل الكهف علىٰ ما قص الله ذلك في كتابه.

ومن كرامات الأولياء من هذه الأمة ما ثبت في حق أُسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقرأ سورة الكهف، فنزل من السماء مثل الظُّلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته، وكانت الملائكة تسلم علىٰ عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سلمان وأبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يأكلان في صحفة

فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها، وخُبيب بن عدي رضي الله عنه كان أسيرًا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالىٰ وكان يُؤتىٰ بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .... وغير ذلك كثير مما هو منقول في كتب السير والتاريخ.

الفرق بين المعجزة والكرامة: الفرق بينهما أن المعجزة تكون مقرونة بدعوىٰ النبوة، وإنما الكرامة وقعت لصاحبها باتباعه النبي والاستقامة علىٰ شرعه، فالمعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

وذهب بعض العلماء إلىٰ أن كرامات الأولياء في الحقيقة تدخل في معجزات الأنبياء؛ لأن الكرامات إنما حصلت للولي باتباع الرسول، فكلُّ كرامة لوليٍّ هي من معجزات رسوله الذي يعبد الله بشرعه.

والإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء أصلٌ من أصول الإيمان دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والواقع المشاهد فيجب علىٰ المسلم اعتقاد صحة ذلك وأنه حق، وإلا فالتكذيب بذلك أو إنكار شيء منه ردٌّ للنصوص ومصادمة للواقع وانحراف كبير عما كان عليه أئمة الدِّين وعلماء المسلمين في هذا الباب، والله تعالىٰ أعلم.

المسألة الحادية عشرة: الولي والولاية في الإسلام.

الولاية ضد العداوة، وهي في الشرع معناها: القرب من الله بطاعته، والولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان: الإيمان والتقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

• **تفاضل الأولياء**: بحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالىٰ، فمن كان أكمل إيمانًا، فالناس يتفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوىٰ.

وأفضلُ أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضلُ أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضلُ المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ، وأفضلُ أولي العزم: محمدٌ ﷺ ثم إبراهيم عليه السلام، ثم اختلف الناس في المفاضلة بين الثلاثة الباقين.

• **أقسام الأولياء: أولياء الله علىٰ قسمين:**

(١) سابقون مقربون.

(٢) أصحاب يمين مقتصدون.

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالىٰ بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمستحبات، ولا الكف عن فضول المباحات، وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالىٰ بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات.

• **لا يختص أولياء الله بلباسٍ ولا هيئةٍ**: وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئة؛ علىٰ ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة.

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحًا، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صديق في قباء، وكم من زنديق في عباء، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن، وأهل العلم، يوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في

التجار والصناع والزراع[١].

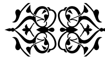
• **بطلان ما قد يعتقد فيهم من الغلو**: وأولياء الله ليسوا معصومين ولا يعلمون الغيب وليس لهم قدرة علىٰ التصرف في الخلق والرزق ولا يدعون الناس إلىٰ تعظيمهم أو صرف شيء من الأموال والعطايا لهم ومن فعل ذلك فليس بولي الله، بل كذَّاب أفَّاك وليٌّ للشيطان، والله تعالىٰ أعلم.

المسألة الثانية عشر: ثمرات الإيمان بالرسل.

١- العلم برحمة الله تعالىٰ وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢- شكر الله علىٰ هذه النعمة.

٣- أنه به تقوم في القلب محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله خلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحهم لأقوامهم وصبرهم علىٰ أذاهم.



(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (١١/ ١٩٤).

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

المسألة الأولىٰ: أشراط الساعة وأنواعها.

الأشراط: جمع شرط، وهو العلامة، وقيل: أشراط الشيء: أوائله.

وسُمِّي ذلك اليوم بالساعة؛ لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة.

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها، وتنقسم أشراط الساعة وأماراتها إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول ﷺ، وانشقاق القمر، ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ، وقد خرجت هذه النار في مستهل جمادىٰ الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأىٰ ضوءها أهل الشام، ورأىٰ أهلُ بصرىٰ-وهي إحدىٰ قرىٰ دمشق -، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي ﷺ بقوله: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرىٰ**»(١) متفق عليه.

القسم الثاني: **الأمارات المتوسطة**: وهي التي ظهرت ولم تَنْقَضِ بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدًّا.

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧١١٨)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٠٢).

منها: أن تلد الأَمَةُ ربَّتها (أي: تلد الأمة المملوكة من سيدها، وولدها من سيدها بمنزلة سيدها)، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان وخروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة، ومنها: انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرىٰ: وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت، وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال: «**اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: مَا تَذَاكَرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ. فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»[١] رواه مسلم.

وجاء في بعض الأحاديث الأخرىٰ ذِكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمىٰ هي هذه الثلاث: المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوىٰ الخسوف، فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمىٰ، وهي مقدمة لها، وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة:

العلامة الأولىٰ: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن علي رضي الله عنه يخرج وقد ملئت الأرض جورًا وظلمًا فيملؤها قسطًا

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٩٠١).

وعدلًا يوافق اسمُهُ اسمَ النبي ﷺ واسمُ أبيه اسمَ أبي النبي ﷺ علىٰ ما روىٰ أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي لا تذهبُ الدنيا حتىٰ يملكَ العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلِئَتْ جورًا وظلمًا**»(١).

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يُجري الله علىٰ يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله علىٰ المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة، فنارُهُ جنةٌ وجنتُهُ نارٌ.

العلامة الثالثة: نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام من السماء إلىٰ الأرض حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقضي علىٰ الدجال.

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خَلْقٌ كثير لا يَدَينِ لأحد بقتالهم، قيل: إنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها علىٰ يد ذي السويقتين من الحبشة كما صَحَّتْ بذلك السنة.

فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**»(٢).

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشىٰ الناس ويعمهم.

---

(١) [حسن صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٢٣٠)، و«المعجم الطبراني الكبير» (١٠/ ١٣٣) (١٠٢١٤).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (١٥٩١)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٠٩).

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلىٰ السماء فلا يبقىٰ منه آية في سطر ولا صدر إلا رفعت.

وقد دلت علىٰ ذلك السنة فقد أخرج ابن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّىٰ لَا يُدْرَىٰ مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَىٰ فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ**»[1].

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها.

العلامة التاسعة: خروج الدابة، وهي مخلوق عظيم، قيل: إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة، تخرج من عدن تحشر الناس إلىٰ محشرهم وهي آخر العلامات العظام.

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها، فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالىٰ، وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتتابع الخرز في النظام، فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرىٰ.

روىٰ الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خُرُوجُ الآياتِ بَعْضُها علىٰ أَثَرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتابَعُ الخَرَزُ فِي النِّظامِ**»[2].

---

(١) [حسن صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤٠٤٩).

(٢) [صحيح] «مصنف عبد الرزاق» برقم (٤٠٣٩٩). قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح.

المسألة الثانية: نعيم القبر وعذابه.

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقًّا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فدلت الآية علىٰ تثبيت الله تعالىٰ للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من النعيم، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»[1] رواه البخاري.

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

قال ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور».

وأما ما جاء في السنة من الأدلة علىٰ نعيم القبر وعذابه فكثير جدًّا، من ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ، عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّىٰ يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2]. متفق عليه.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٣٦٩).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (١٣٧٩)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٨٦٦).

وفي «**صحيح مسلم**» من حديث أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَلَّا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعَنِيْ**»[(١)].

ونعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعًا، كما أنه قد تنعم الروح أو تعذب أحيانًا منفصلة عن البدن، فيكون النعيم أو العذاب للروح منفردًا عن البدن، خلافًا لمن زعم أن عذاب القبر ونعيمه يكون للروح فقط علىٰ كل حال ولا يتعلق بالبدن.

قال بعض الأئمة المحققين في السنة في تقرير هذه المسألة: والعذاب والنعيم علىٰ النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن.

منكر ونكير: دلت الأحاديث الصحيحة علىٰ وصف هذين الملكين وسؤالهما أهل القبور بعد الدفن، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: « «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ» - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَلِلْآخَرِ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ**

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٨٦٨).

يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

فيجب الإيمان بما دَلَّت عليه الأحاديث من اسم الملكين ووصفهما وسؤالهما المَقْبُورِين، وكيفية ذلك، وما يجيب به المؤمن، وما يجيب به المنافق، وما يعقب ذلك من النعيم أو العذاب علىٰ التفصيل الذي جاءت به الأحاديث.

• وقد اختلف العلماء هل السؤال في القبر خاص بهذه الأمة كما ذهب لذلك البعض؟ أم أنه عام في كل الأمم كما هو قول فريق آخر من أهل العلم، والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة به بل هو عام في كل الأمم وعلىٰ هذا أكثر المحققين من أهل العلم، والله تعالىٰ أعلم.

المسألة الثالثة: الإيمان بالبعث.

معنىٰ البعث وحقيقته:

البعث في لغة العرب يأتي علىٰ وجهين:

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٣] أي: أرسلنا.

الثاني: الإثارة والتحريك، تقول: بعثت البعير فانبعث، أي: أثرته فثار، ومنه بعث الموتىٰ وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦] أي: أحييناكم.

---

(١) [حسن] «سنن الترمذي» برقم (١٠٧١).

• **والبعث في الشرع**: هو إحياء الله للموتىٰ وإخراجهم من قبورهم.

• **وحقيقة البعث**: أن الله تعالىٰ يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها، ويسوقهم إلىٰ محشرهم لفصل القضاء.

ودلت النصوص علىٰ أن الله تعالىٰ يعيد الأجساد نفسها، ويجمع رفاتها المتحلل حتىٰ تعود كما كانت فيعيد إليها أرواحها، فسبحان من لا يعجزه شيء وهو علىٰ كل شيء قدير.

وثبت في السنة بيان كيفية البعث وأن الله يُنْزِل إلىٰ الأرض ماء فينبت به أهل القبور كما ينبت العشب، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبِيتُ، قَالَ: «ثُمَّ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ بِهِ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)] متفق عليه.

فقد دلَّ الحديث علىٰ كيفية البعث، وأن أهل القبور يبقون في قبورهم أربعين بين النفختين وهما نفخة الإماتة ونفخة البعث، ولم يجزم الراوي بتحديد الأربعين ما هي؟ وهل المراد أربعون يومًا أو شهرًا أو سنة؟ علىٰ أنه جاء في بعض الروايات أنها أربعون سنة، ثم إذا أراد الله بعث الخلائق أنزل مطرًا من السماء، جاء في بعض الروايات أنه مثل مني الرجال فينبت أهل القبور من ذلك الماء كما ينبت العشب، بعد أن فنيت أجسادهم إلَّا عجب الذنب، **وهذا بخلاف الأنبياء فإن أجسادهم لا تبلىٰ كما تقدم تقريره.**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٤٩٣٥)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٩٥٥).

ودلَّ الكتاب والسنة علىٰ بعث الله تعالىٰ للأموات، وجاء تقريره في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

كما دلَّ النظر الصحيح علىٰ تقرير البعث، وذلك أن البعث هو إعادة للخلق، ومعلوم لكل عاقل أن الإعادة للشيء أهون من إنشائه وابتدائه؛ ولهذا قال الله تعالىٰ في كتابه مقررًا للبعث ووقوعه بإبداء خلق الإنسان ونشأته الأولىٰ، وبأن القادر علىٰ الابتداء قادر علىٰ الإعادة من باب أولىٰ، فقال المعترض علىٰ البعث كما حكىٰ الله عنه: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] فهذا دليل شرعي عقلي من كتاب الله للرد علىٰ كل معاند مكذب بالبعث، وهو دليل لا يستطيع رده.

ودلت النصوص علىٰ حشر العباد بعد بعثهم إلىٰ أرض المحشر حفاة عراة غرلًا، وهذا الحشر عام لجميع الخلائق، وقد دلت النصوص أن هناك حشرًا آخر إما في الجنة وإما في النار، فيحشر المؤمنون إلىٰ الجنة وفدًا، وأما الكفار فإنهم يحشرون إلىٰ النار علىٰ وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا.

• **الحوض:**

هو مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يَرِدُه هو وأمته، جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلىٰ من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

وقد دَلَّ علىٰ ثبوت الحوض وأنه حقٌّ كثير من الأحاديث الصحيحة ذكر بعض المحققين أنها تبلغ حد التواتر.

والحوض كون في أرض المحشر، ويمد ماؤه من الكوثر، وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا ﷺ في الجنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

واختلف العلماء في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، والصحيح: أن الحوض قبل.

قال القرطبي: «والمعنىٰ يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم»).

- **الميزان:**

هو مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر.

والذي يوزن في الميزان ثلاثة أمور:

١- **الأعمال:** فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان.

٢- صحف الأعمال.

٣- العامل نفسه.

- **الشفاعة:**

وهي لغة: الوسيلة والطلب، وفي العرف: سؤال الخير للغير.

والشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثار للغير، والله ﷻ بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة فيها لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

• **ولا تصح الشفاعة عند الله تعالىٰ إلا بشرطين:**

(١) **أحدهما**: إذن الله تعالىٰ للشافع أن يشفع.

(٢) **الثاني**: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه، وقد دلت النصوص أن الله لا يرضىٰ أن يشفع إلا في أهل التوحيد.

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جدًّا، وقد صرح الأئمة المحققون بتواترها واشتهارها في كتب الصحاح والمسانيد.

• **أقسام الشفاعة:**

الشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلىٰ قسمين:

مردودة وهي ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة، **ومقبولة** وهي ما تحققت فيها شروط الشفاعة.

وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهي:

١- الشفاعة العظمىٰ، وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم، وهي المقام المحمود، وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ علىٰ غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣- شفاعته ﷺ في أقوام استحقوا النار ألا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥- شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

٧- شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخولها.

٨- شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة علىٰ هذه الأنواع كلها، وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد، وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي ﷺ كالشفاعة العظمىٰ وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها، ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرىٰ علىٰ اختلافٍ بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه.

• **الصراط:**

الصراط لغة: الطريق الواضح.

وفي الشرع: جسر ممدود علىٰ متن جهنم يَرِدُه الأولون والآخرون، وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور علىٰ الصراط وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار وغيرهم.

وقد جاء وصف الصراط في نصوص كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدقُّ من الشعر وأَحَدُّ من السيف، دحض مزلة، لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله، وأنه يُنصب في ظلمة فيعطىٰ الناس أنوارًا علىٰ قدر إيمانهم، ويمرون فوقه علىٰ قدر إيمانهم.

• **ومما يجب اعتقاده والإيمان به: الجنة والنار.**

• **والجنة**: هي دار الثواب لمن أطاع الله، وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهىٰ، وهي مائة درجة بين كل درجة والأخرىٰ كما بين السماء والأرض، وأعلىٰ الجنة الفردوس الأعلىٰ وفوقه العرش ومنه تنفجر أنهار الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، وقد أَعَدَّ الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

• **وأما النار**: فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلىٰ الجنة، وموضعها في الأرض السابعة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وللنار دركات بعضها أسفل من بعض.

قال عبد الرحمن بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوًّا ودرجات النار تذهب سفولًا، وأسفل الدركات هي دار المنافقين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، وللنار سبعة أبواب، ونار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم.

والإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

(١) الاعتقاد الجازم بأنها حق، وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين.

(٢) اعتقاد وجودهما الآن.

(٣) اعتقاد دوامهما وبقائهما، وأنهما لا تفنيان ولا يفنىٰ من فيهما.

المسألة الرابعة: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:

(١) الحرص علىٰ طاعة الله رغبةً في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

(٢) تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

(٣) استشعار كمال عدل الله تعالىٰ حيث يجازي كلًّا بعمله مع رحمته بعباده.



الركن السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

المسألة الأولىٰ: تعريف القضاء والقدر، وأدلة ثبوتهما مع بيان الفرق بينهما.

القضاء لغة: الحكم الفصل.

وشرعًا: هو ما قضىٰ به الله ﷻ في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر لغة: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

وفي الشرع: هو ما قدره الله تعالىٰ في الأزل أن يكون في خلقه بناء علىٰ علمه السابق بذلك.

الفرق بين القضاء والقدر:

ذكر العلماء في التفريق بينهما، أن القدر: هو تقدير الشيء قبل قضائه.

والقدر: هو الفراغ من الشيء.

قال ابن الأثير: «فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[١].

---

(١) «النهاية»، (٤/٧٨).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنىٰ فأصبح لكلٍّ منهما معنًى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنىٰ الآخر.

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ إثباته وتقريره، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وفي حديث أركان الإيمان: «**الإيمان بالقدر خيره وشره**».

- **والإيمان بالقدر محل إجماع الأمة من الصحابة ومن بعدهم.**

قال الإمام النووي: «تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف علىٰ إثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ»[(١)].

المسألة الثانية: مراتب القدر.

للقدر أربع مراتب دلت عليها النصوص وقرَّرها أهل العلم، وهي:

(١) مرتبة العلم: أي علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا، فَعَلِمَ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

(٢) مرتبة الكتابة: أي كتابة الله تعالىٰ لكل شيء مما هو كائن إلىٰ قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) «شرح مسلم»، (١/ ١٥٥).

وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ»[1].

(٣) مرتبة المشيئة: فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

(٤) مرتبة خلق الله تعالىٰ للأشياء: فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

• فالله سبحانه يعلم ما نحن فاعلين قبل أن يخلقنا، فيكتبه لنا، ثم إذا شاء أمضاه فخلقه ففعلناه، فالاختيار لنا والخلق من الله، والاختيار هو الذي بني عليه التكليف والثواب والعقاب، وما يقع لنا من خير أو شر لم تعمله أيدينا فنحن متعبدون فيه بالصبر علىٰ الضراء والشكر علىٰ السراء.

المسألة الثالثة: ثمرات الإيمان بالقدر.

(١) الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ عند فعل الأسباب، لأنه مقدر بالأسباب والمسببات.

(٢) راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

(٣) طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

---

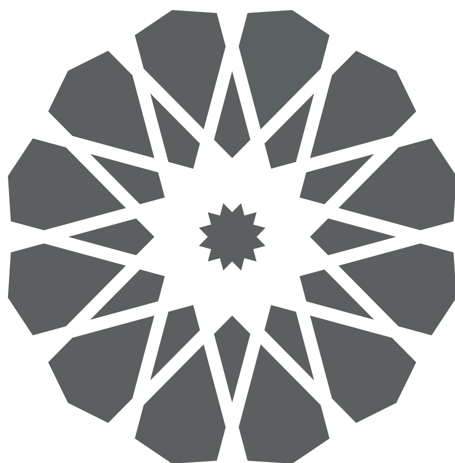
(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٦٥٣).

(٤) طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر علىٰ ذلك ويحتسب.



الباب الخامس

أصول في السنة والاعتقاد



الأصل الأول

مراتب الدين

الإسلام والإيمان والإحسان

المسألة الأولىٰ: الإسلام.

لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع

شرعًا: هو الاستسلام بالله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك ومعاداة أهله.

وأركان الإسلام خمسة بَيَّنَهَا رسولُ الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

- **معنىٰ الشهادتين:**

معنىٰ شهادة ألا إله إلا الله: أي: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

ومعنىٰ شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

(١) «صحيح البخاري» برقم (٨)، و«صحيح مسلم» برقم (١٦).

المسألة الثانية: الإيمان وأركانه، وبيان حكم مرتكب الكبيرة.

الإيمان لغة: التصديق والإقرار.

وشرعًا: اعتقاد بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

وأركان الإيمان ستة؛ لما جاء في قول النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإيمان فقال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» فقال له جبريل: صَدَقْتَ[١].

ودَلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن السنة: قوله ﷺ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ لله فَقَدِ اِسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) [صحيح] «سنن أبي داود» (٤٦٨١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة»، للألباني (٣٨٠).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

وَقَالَ ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(٢) متفق عليه، وكذلك قوله ﷺ:

«**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٣) رواه مسلم.

وَهَكَذَا تَعَلَّمَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ ﷺ وَفَهِمُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الإِيمَانَ؛ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ يَزِيدُ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَبِقَوْلِ اللِّسَانِ؛ كَالطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ. وَيَنْقُصُ بِأَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَبِقَوْلِ اللِّسَانِ؛ كَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَأَنَّ أَهْلَهُ مُتَفَاضِلُونَ؛ مِنْهُمُ السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهُمُ الْمُقْتَصِدُ، وَمِنْهُمُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُحْسِنُ، وَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ، وَمِنْهُمُ الْمُسْلِمُ؛ لَيْسُوا عِنْدَ اللهِ سَوَاءً؛ بَلْ فَضَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه: «**الصَّبْرُ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، مِنْ لاَ صَبْرَ لَهُ لاَ إِيمَانَ لَهُ**»(٤).

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ؛ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه:

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٤٤)، و«صحيح مسلم» برقم (١٩٣).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٣٥) «صحيح مسلم» برقم (٣٥).

(٣) «صحيح مسلم» برقم (٣٥).

(٤) أَخرجَ هذه الآثارَ بأَسانيدَ صحيحةٍ الإمامُ اللالكائي في كتابه القيّم «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين».

«**اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفُقْهًا**»(١).

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةٍ، وَأُبو الدَّرْدَاءِ ﷺ يَقُولُونَ: «**الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**»(٢).

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةٍ، رضي الله عنه: «**الإِيمَانُ نَزِهٌ؛ فَمَنْ زَنَا فَارَقَهُ الإِيمَانُ، فَإِنْ لاَمَ نَفْسَهُ وَرَاجَعَ؛ رَاجَعَهُ الإِيمَانُ**»(٣).

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، رضي الله عنه:

«**مَا الإِيمَانُ إِلاَّ كَقَمِيصِ أَحِدكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخْرَىٰ، وَاللهَ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَىٰ إِيمَانِهِ إِلاَّ سُلِبَهُ فَوَجَدَ فَقْدَهَ**»(٤).

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ حَبْرِ الأُمَّةِ؛ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يَدْعُوا غِلْمَانَهُ غُلاَمًا غُلاَمًا، فَيَقُولُ لَهُمْ:

«**أَلاَ أُزَوِّجُكَ؟ مَا مِنْ عَبْدٍ يَزْنِي؛ إِلاَّ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ نُورَ الإِيمَانِ**»(٥).

وَسَأَلَهُ عَكْرِمَةُ رحمه الله كَيْفَ يُنْزَعُ مِنْهُ الإِيمَانَ؟ قَالَ: «**هَكَذَا** -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا- **فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا**، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(٦) (٧).

---

(١) أَخرجَ هذه الآثارَ بأَسانيدَ صحيحةٍ الإِمامُ اللالكائي في كتابه القيّم «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإِجماع الصحابة والتابعين».

(٢) أَخرجَ هذه الآثارَ بأَسانيدَ صحيحةٍ الإِمامُ اللالكائي في كتابه القيّم «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإِجماع الصحابة والتابعين».

(٣) أَخرجهما الإِمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة».

(٤) أَخرجهما الإِمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة».

(٥) انظر: «فتح الباري»، (١٢/ ٥٩).

(٦) رواه البخاري.

(٧) يقولُ الإِمامُ البُخاريُّ، رحمه الله: «لقيتُ أَكثرَ من أَلفِ رجلٍ من أَهلِ العلم؛ أَهلِ الحجازِ ومكَّةَ والمدينةِ والكوفةِ والبصرةِ وواسطَ وبغدادَ والشَّامِ ومصرَ: لقيتُهم كراتٍ قرنًا بعدَ =

وَقَالَ الإِمَامُ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ، رحمه الله تعالىٰ:
«أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ»(١).

وَقَالَ -إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ- أَحْمِدُ بْنُ حَنْبَلٍ، رحمه الله تعالىٰ:
«الإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَزِيَادَتُهُ بِالْعَمَلِ، وَنُقْصَانُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ»(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ: «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلاَ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَّقَتْهُ الأَعْمَالُ»(٣).

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:
«الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيْدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾»(٤).

وَقَالَ الإِمَامُ الْحَافِظُ عَبْدُ اللهِ الْحُمِيْدِيُّ، رحمه الله تعالىٰ:
«الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيْدُ وَيَنْقُصُ، لاَ يَنْفَعُ قَوْلٌ إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلٌ وَقَوْلٌ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ بِنِيَّةٍ إِلاَّ بِسُنَّةٍ»(٥).

= قرنٍ، ثمَّ قرنًا بعد قرنٍ، أدركتُهم وهم متوافرون منذُ أكثرَ من ستٍ وأربعينَ سنةً -ويذكرُ أَسماءَ العلماء، وهم أكثر من خمسينَ عالمًا، ثمَّ يقولُ، رَحِمَهُ اللهُ: -واكتفينا بتسميةِ هؤلاءِ كي يكونَ مختصرًا، وأن لا يطول ذلك، فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأَشياء: **أَنَّ الدِّين قولٌ وعملٌ**، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥] . . . ثـمَّ يسرُدُ بقيـةَ اعتقـادِهـم» انظـر: «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة» للإمام اللالكائي.

(١) أخرجَ هذه الآثارَ بأَسانيدَ صحيحةٍ الإِمامُ اللالكائي في كتابه القيّم «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإِجماع الصحابة والتابعين».

(٢) أَخرجَ هذه الآثارَ بأَسانيدَ صحيحةٍ الإِمامُ اللالكائي في كتابه القيّم «شرحُ أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإِجماع الصحابة والتابعين».

(٣) «اقتضاء العلم العمل» للخطيبِ البغداديِّ، رقم (٥٦).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١/ ٦٢).

(٥) «أُصُولُ السُّنَّة» للإمام الحُميديِّ: مطبوعة في آخر «مسنده» (٢/ ٥٤٦).

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، رحمه الله تعالىٰ:

«أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَالإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالطَّاعَاتِ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ»[(١)].

الاستثناء في الإيمان:

• وَالاستثناء في اليمين أن يقول العبد: أنا مسلم إن شاء الله، وأهل العلم يَمْنَعُونَ الاسْتِثْنَاءَ إِذَا كَانَ عَلَىٰ وَجْهِ الشَّكِّ فِي الإِيمَانِ؛ لأَنَّ شَكَّ الْعَبْدِ فِي إِيمَانِهِ كُفْرٌ.

• أما من قصد أنه لا يدري بما يُختم له، فلا حرج إن استثنىٰ بهذا القصد، وَالأَدِلَّةُ عَلَىٰ قَوْلِهِمْ فِي جَوَازِ الاسْتِثْنَاءِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَآثَارَ السَّلَفِ، وَأَقْوَالَ الأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ.

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ حِينَ يَدْخُلُ الْمَقْبَرَةَ:

«السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»[(٢)].

وَقَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه: **«مَنْ شَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ»**[(٣)].

(١) «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

(٢) «صحيح مسلم» برقم (٩٧٥).

(٣) أَخرجها الإِمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة».

وَقَالَ جَرِيرٌ، رَحِمَهُ اللهُ: سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ، وَالْمُغِيرَةَ، وَالأَعْمَشَ، وَاللَّيْثَ، وَعَمَارَةَ بْنَ القَعْقَاعِ، وَابْنَ شُبْرُمَةَ، وَالعَلَاءَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَيَزِيدَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ، وَسُفْيَانَ الثَّورِيَّ، وَابْنَ الْمُبَارَكِ، وَمَنْ أَدْرَكْتُ: «**يَسْتَثْنُونَ فِي الإِيمَانِ، وَيَعِيبُونَ عَلَىٰ مِنْ لاَ يَسْتَثْنِي**»(١).

وَسُئِلَ الإِمَامُ أَحْمدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «**قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ**». قِيلَ لَهُ: فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: مُؤْمِنٌ أَنْتَ؟ قَالَ: «**هَذِهِ بِدْعَةٌ**». قِيلَ لَهُ: فَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يَقُولُ: «**مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٢).

• حكم مرتكب الكبيرة:

كبائر الذنوب نوعان: مكفِّر وغير مكفِّر؛ **فأما المكفر**: فهو الشرك بالله؛ لأنه أعظم ذنب عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحو ذلك.

النوع الثاني: **كبائر غير مكفِّرة**: ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلها؛ وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك، **مما كان فيه حد شرعي دنيوي أو تغليظ للعقوبة والوعيد عليه**.

• وقد دَلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة غير المكفِّرة مؤمن ناقص الإيمان، ويُسمَّىٰ فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله، وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلىٰ الجنة بما معه من التوحيد والإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

---

(١) أَخرجها الإِمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة».

(٢) أَخرجها الإمام اللالكائي في «شرح أُصول اعتقاد أَهل السُّنَّة والجماعة».

• وهذا المذكور في حكم مرتكب الكبيرة هو الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم علىٰ الخير والهدىٰ، وهو المنهج الوسط بين الغلو في هذا الباب وهو مذهب الخوارج قديمًا وحديثًا الذين يكفرون مرتكب الكبيرة ويخرجونه من الملة ويستبيحون دمه ويعتقدون أنه يوم القيامة خالد مخلد في النار، وبين أهل التقصير الذين يرون أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يفرقون بين مرتكب الكبيرة وبين المؤمن الكامل الذي أدَّىٰ الطاعات وتجنب المحرمات كما هو مذهب غلاة المرجئة.

وقد دلَّ الكتاب والسنة علىٰ أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر، فمن القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

ووجه الدلالة: هو أن الله أثبت الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين والباغي من بعض الطوائف علىٰ بعض وهي من الكبائر وجعلهم إخوة، وأمر المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهم في الإيمان.

ومن السنة ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُدْخِلُ أهلَ الجنة الجنةَ، يُدْخِلُ مَن يشاءُ بِرَحْمَته، ويُدْخِلُ أهلَ النَّارِ النَّارَ ثم يقول: انظروا من وجدتم في قَلْبِهِ مثقال حبَّةٍ مِنْ خَرْدَل مِنْ إيمَان فَأَخْرِجُوهُ**»[1].

وقال النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[2].

(١) «صحيح البخاري» برقم (٢٢).
(٢) [صحيح] «سنن ابن ماجه» برقم (٤١٧٣).

ووجه الدلالة من الحديثين: هو عدم تخليد مرتكبي الكبائر في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنىٰ شيء من الإيمان، كما يدل الحديث علىٰ تفاوت أهل الإيمان علىٰ حسب أعمالهم، وأنه يزيد وينقص بحسب ما يترك المؤمن من واجبات أو يرتكب من محظورات.

- **نواقض الإيمان:**

النواقض التي يخرج بها المسلم من دين الإسلام، يمكن حصرها في عشرة أصول كبرىٰ:

الأول: لنواقض المتعلقة بالأصول الكبرىٰ، كإنكار وجود الله أو جحد نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، أو عدم الالتزام بالإيمان بدين الإسلام دينًا خاتمًا للناس كافة مهيمنًا علىٰ سائر الشرائع، أو إنكار معلوم من الدين بالضرورة، تتابعت عليه النصوص القطعية وأجمع عليه المسلمون.

الثاني: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢] ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح له، ومن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا، ولم تحدث هذه الشركيات الوثنية إلا بعد قرون طويلة من الإسلام فما كان أحد يتصور أن يعود الناس لعبادة الأولياء يتقربون بهم إلىٰ الله كما كان عبدة الأوثان في الجاهلية يفعلون.

الثالث: من لم يكفر المشركين **المجمع علىٰ كفرهم** أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم

غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]

السابع: السحر فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم في حربهم علىٰ المسلمين؛ بما فيه نصرة الكفر علىٰ دين الإسلام والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر. لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: تجاهل دين الله ووحيه ورسالة نبيه، والإعراض عن الإسلام لا يتعلمه ولا يعمل به، مع قدرته علىٰ ذلك، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، **إلا المكره، والجاهل والمتأول**، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها بلا ضرورة، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرىٰ.

ويدخل في الرابع أيضًا: من يرىٰ أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعًا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

- **قول الرجل لأخيه: «يا كافر»**.

وقوع المسلم في أحد النواقض لا يلزم منه أنه يُكفر بعينه وتطبق عليه أحكام الكفار فهذه طريقة الغلاة الذين لا ينضبطون بأصول الشرع والدين.

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدٌ أَحَدًا دُونَ بُرْهَانٍ، فَقَالَ ﷺ: **«أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ،**

وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[١].

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ! وَلَيْسَ كَذلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ**»[٢].

وَقَالَ ﷺ: «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ؛ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»[٣].

وَقَالَ ﷺ: «**وَمَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»[٤].

وَقَالَ ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهُ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»[٥].

وَأَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحُكْمِ الْمُطْلَقِ عَلَىٰ أَصْحَابِ الْبِدَعِ بِالْمَعْصِيَةِ، أَوِ الْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْحُكْمِ عَلَىٰ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ -مِمَّنْ ثَبَتَ إِسْلاَمُهُ بِيَقِينٍ- صَدَرَتْ عَنْهُ بِدْعَةٌ مِنَ الْبِدَعِ، أو مكفر من المكفرات؛ بِأَنَّهُ عَاصٍ، أَوْ فَاسِقٌ، أَوْ كَافِرٌ؛ فَلاَ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ حَتَّىٰ يُبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، وَذَلِكَ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ وَلاَ يُكَفِّرُونَ الْمُعَيَّنَ؛ إِلاَّ إِذَا تَحَقَّقَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتِ الْمَوانِعُ.

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مُتآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَىٰ الآخَرَ عَلَىٰ الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَىٰ ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ:**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٦١٠٤)، و«صحيح مسلم» برقم (٦٠)

(٢) «رواهما مسلم» برقم (١١٢).

(٣) «رواهم البخاري» برقم (٦٠٤٥).

(٤) «رواهم البخاري» برقم (٦١٠٥).

(٥) «صحيح البخاري» برقم (٦١٠٤).

وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ -أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ!- فَقُبِضَ أَرْواحُهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: كُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَىٰ مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ النَّارِ».

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ**»(١).

«**مَنْ ثَبَتَ إِسلامهُ بيقينٍ فلا يزول بشك**»: علىٰ هذه القاعدةِ الدينية العظيمة اتَّفقَ أَئمَّةُ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وساروا عليها، وتميَّزوا بها عن غيرهم؛ فكانوا أَعظمَ النَّاسِ ورعًا في باب التكفير؛ لأَنَّ التَّكفيرَ من الأَحكام الشرعيَّة التوقيفيَّة؛ التي يجبُ التقيُّدُ بها، وهو من حقِّ الله تعالىٰ وحق رسُولِهِ ﷺ يثبتُ بأَدلَّة الكتابِ والسُّنَّة؛ فلا ينبغي إِطلاقُهُ علىٰ أَحدٍ إِلاَّ بدليلٍ شرعيٍّ واضحٍ وثابتٍ، ولا يُطلق حُكم التَّكفير بمجرَّدِ الهوىٰ، أَو جهلٍ، أَو قياسٍ عقليٍّ، أَو ظَنِّيٍّ، أَو نُطْلِقُهُ علىٰ مَن خالفنا، وإن كان المخالف مُكَفِّرًا لنا؛ لأَنَّ الإِسلام نهىٰ عن تكفير المسلم من دون برهانٍ واضحٍ، ودليلٍ ساطعٍ نهيًا شديدًا، وحذَّرَ من الوقوع بذلك تحذيرًا عظيمًا.

فأَهلُ السُّنَّة والجماعة: يُطلقونَ القول في التكفير، فيقولونَ: مَن قال كذا، أَو فعل كذا؛ فهو كافرٌ، وعندما يتعلَّقُ الأَمرُ بالشَّخصِ المعيَّن الذي قالَه أَو فعلَه، لا يحكمونَ بكُفره إِطلاقًا؛ حتىٰ تجتمعَ فيه الشُّروطُ، وتنتفيَ عنه الموانع، فعندئذٍ تقومُ عليه الحجَّةُ التي يُكفَّرُ بها؛ لأَنَّ التكفيرَ ليس حقًّا لأَحد، يحكمُ به علىٰ مَن يشاءُ وَفْقَ هواه؛ بل التكفيرُ حكمٌ شرعيٌّ، فيجبُ

---

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» (٤٩٠١). انظر: «صحيح الجامع الصغير وزياداته» للأَلباني، (٤٤٥٣).

الرجوعُ في ذلك إِلىٰ الضوابطِ الشَّريعةِ الحكيمَةِ؛ فمن كفَّرهُ اللهُ تعالىٰ ورسولُهُ ﷺ وقامت عليه الحجَّةُ من أهل العلم بإقامة الحجج؛ فهو كافرٌ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالىٰ: «فقد يكون الفعلُ أَو المقالةُ كفرًا، ويطلقُ القولُ بتكفير من قال ذلك؛ فهو كافرٌ. لكنَّ الشخص المعيَّن الذي قال ذلك القول أَو فعل ذلك الفعل لا يحكمُ بكفره حتىٰ تقوم عليه الحجَّةُ التي يُكَفَّرُ تاركُها. وهذا الأَمرُ مطَّردٌ في نصوص الوعيد عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فلا يُشهدُ علىٰ معيَّنٍ من أَهل القبلة بأَنَّه من أَهل النَّار؛ لجواز ألا يلحقه، لفوات شرطٍ أَو لثبوت مانع»[(١)].

وقالَ أَيضًا: «وليس لأَحدٍ أَن يكفِّر أَحدًا من المسلمين، وإِن أَخطأَ وغلط؛ حتىٰ تُقام عليه الحجَّة، وتُبيَّن له المحجَّةُ، ومَن ثبتَ إِسلامُهُ بيقين لم يزل ذلك عنه بشكٍّ؛ بل لا يزولُ إلاّ بعد إِقامةِ الحجَّة، وإِزالةِ الشُّبهة»[(٢)].

إِذن من الضَّرُورِيِّ أَن نفرِّق بين النوع والعين في التكفير؛ ذلك أَنَّه ليس كلُّ ما هو كفرٌ يكفر به شخصٌ بعينه؛ فينبغي التفرقةُ بين الحكم علىٰ القول بأَنَّه كفرٌ، والحكم علىٰ صاحبه المعيَّن بأَنَّه كافرٌ.

قال شيخ الإِسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمتأَوِّلُ الجاهلُ والمعذورُ ليسَ حكمُهُ حكمُ المعاندِ والفاجرِ؛ بل قد جعل لكلِّ شيء قدرًا»[(٣)].

وقال أَيَضًا: «وإِذا عُرِفَ هذا فتكفيرُ المعيِّنِ من هؤلاء الجهَّالِ وأَمثالهم -بحيثُ يحكمُ عليه بأَنَّه مع الكفار- لا يجوزُ الإِقدامُ عليه إِلاَّ بعدَ أَن تقومَ

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، (٣٥/ ١٦٥).
(٢) «مجموع الفتاوىٰ»، (٢/ ٤٤٦).
(٣) «المصدر السابق»، (٣/ ٢٨٨).

علىٰ أَحدِهِمُ الحجَّةُ الرساليَّةُ التي يُبَيَّنُ بها لهم أَنَّهم مخالفونَ للرُّسُل، وإِن كانت مقالتُهُم هذه لا ريبَ أَنَّها كفرٌ، وهكذا الكلامُ في جميع تكفير المعيَّنين»[(١)].

المسألة الثالثة: الإحسان.

الإحسان معناه: عبادة الله ﷻ عبادة قربة واتصال، وألا تكون العبادة مجرد طقس يؤدىٰ لا روح فيه، ومنه: مراقبة الله تعالىٰ في السر والعلن، مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة علىٰ الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات، والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

أدلته من الكتاب: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

ومن السنة: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان. فقال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(٢)] رواه مسلم.

فالإحسان ثالث مراتب الدين وأعلاها، فهو إحسان الإسلام والإيمان معًا، قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

والإحسان بمثابة المكمل للإسلام والإيمان، فإذا عدم الإحسان في الأعمال الظاهرة تطرق إليها الرياء، وإذا عدم في الأعمال الباطنة تطرق إليها النفاق! ولهذا اقترن بالإسلام تارة وبالإيمان أخرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ

(١) «المصدر السابق»، (١٢/ ٥٠٠).
(٢) «صحيح البخاري» برقم (٥٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٨).

مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟﴾ [المائدة: ٩٣].

وحقيقة الإحسان «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[١]، وفيه رتبتان عليتان:

الأولىٰ: رتبة المشاهدة، وهي أن يغلب علىٰ القلب تعظيم الرب كأنه يشاهده بعيني رأسه في كل أحواله!

الثانية: رتبة المراقبة، وهي أن يغلب علىٰ القلب استحضار رقابة الرب ونظره إلىٰ عبده في كل أحواله!

وقد قيل في جمع الرتبتين: «من عمل لله علىٰ المشاهدة فهو عارف، ومن عمل علىٰ مشاهدة الله إياه فهو مخلص!»[٢].

واستحضار قرب الرب بعلمه وإجابته لدعاء عبده عقيدة كل مؤمن، قال تعالىٰ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦].

قال ابن القيم: وقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلوب وفروعها كلها في كلمة، وهو قوله: «**الإحسان، أن تعبد الله**» فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب تجد هذا أصله ومنبعه[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، (٨).

(٢) صفة الصفوة، لابن الجوزي، (٤/ ١٢٤).

(٣) إعلام الموقعين، لابن القيم، (٤/ ٢٠٣).

قال أحد المحسنين: ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا أحلىٰ من الخلوة بمناجاة سيدهم، ولا أحسب لهم في الآخرة من عظيم الثواب أكبر وألذ في قلوبهم من النظر إليه(١).

وهذه رتبة عظيمة لا يبلغها إلا من أقبل علىٰ الله بكلِّيته، فلم يرج إلا ربه، ولم يخف إلا ذنبه، أطاع الله يطلب رضاه، واعتمد بقلبه علىٰ ربه ومولاه!

المسألة الرابعة: العلاقة بين الإسلام والإيمان والإحسان:

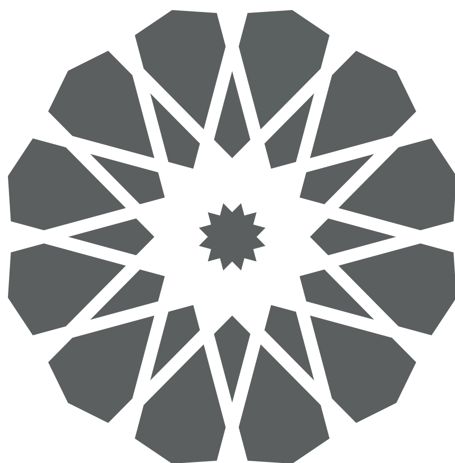
جاء ذكر الإسلام والإيمان والإحسان في حديث جبريل ومجيئه إلىٰ النبي ﷺ وسؤاله عن هذه الأمور الثلاثة فأجاب عن الإسلام بامتثال الأعمال الظاهرة: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

وعن الإيمان بالأمور الباطنة الغيبية، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وعن الإحسان: بمراقبة الله في السر والعلانية، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فإذا ذُكِرَت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنىٰ خاص، فيقصد بالإسلام: الأعمال الظاهرة، ويقصد بالإيمان: الأمور الغيبية، ويقصد بالإحسان: أعلىٰ درجات الدين، وإذا انفرد الإسلام دخول فيه الإيمان، وإذا انفرد الإيمان دخل فيه الإسلام، وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (١/ ١٣٣).



الأصل الثاني

الولاء والبراء معناه وضوابطه

المسألة الأولىٰ: تعريفه.

الولاء: مصدر وَلِيَ بمعنىٰ قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم علىٰ أعدائهم والسكن معهم.

والبراء: مصدر برىٰ، بمعنىٰ قطع، ومنه: برىٰ القلم بمعنىٰ قطعه، والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

المسألة الثانية: حكمه.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد فيجب علىٰ المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم، ويعادي الكافرين ويبغضهم لأجل دينهم ويتبرأ منهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويتضح من هذه الآيات وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير، ووجوب معاداة الكافرين والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر، وموالاتهم هي نصرتهم ومعاونتهم في أمر دينهم، **والمظاهرة أن تكون ظهرًا حاميًا لهم في عدائهم وحربهم للمسلمين.**

المسألة الثالثة: مكانته في الدين.

للولاء والبراء مكانة عظيمة في الإسلام، فهو أوثق عرىٰ الإيمان، ومعناه: توثيق عرىٰ المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام، وفي الحديث: «**أوثق عرىٰ الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**»(١) رواه أحمد.

المسألة الرابعة: الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما في الولاء والبراء.

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا، والتنازل عما يجب علىٰ المسلم من الغيرة علىٰ الدين، ومثاله: الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم علىٰ معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه.

وأما المداراة: فهي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له، كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلىٰ تأليفه، وقد فعله النبي ﷺ مع أقوام، فدلَّ علىٰ أن المداراة لا تتنافىٰ مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كفِّ الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، ومن ذلك: مداراة

(١) [حسن] «مسند أحمد» برقم (١٨٥٢٤).

النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًا لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لأهل المصلحة دينية وإنما لأجل الدنيا.

المسألة الخامسة: حكم موالاة العصاة والمبتدعين.

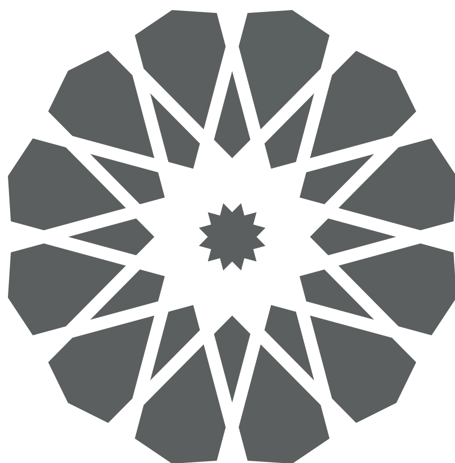
إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة العقاب بحسب ما فيه من الشر، فقد يجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته ويتصدق عليه، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة.

المسألة السادسة: هل يدخل في الموالاة معاملة الكفار في الأمور الدنيوية؟

دلت النصوص الصحيحة علىٰ جواز التعامل مع الكفار في المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء، والإيجار والاستعانة بهم في أمور الدنيا، وهذا كله لا يؤثر علىٰ الولاء والبراء علىٰ أن يلتزم الكفار الذين يقيمون بين المسلمين بالآداب العامة وأن لا يدعوا إلىٰ دينهم.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾.

● ولا مانع من وجود محبة دنيوية بين كافر ومسلم؛ مبنية علىٰ وجود خير وحسن وخلق ومعاملة وإحسان في هذا الكافر، طالما لا يقترن هذا بمحبة دينه أو تزيينه أو نصرته علىٰ مسلم نصرة دينية، والله يقول لنبيه عن عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، فأثبت محبة النبي لأبي طالب وما ذلك إلا لإحسانه لرسول الله ونصرته له.



الأصل الثالث

حقوق الصحابة وما يجب نحوهم

المسألة الأولىٰ: الصحابة، ووجوب محبتهم وموالاتهم.

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات علىٰ ذلك.

وتجب محبة الصحابة وموالاتهم؛ فالصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، فيجب علينا أن نتولاهم، ونحبهم ونترضىٰ عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة علىٰ كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقُربىٰ إلىٰ الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان، والطعن فيهم طعن في الدين فهم حملته، وقد نقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله علىٰ أيديهم بلاد الدنيا فدخل الناس في دين الله أفواجًا.

وقد دل الكتاب والسنة علىٰ وجوب موالاة الصحابة ومحبتهم وأنها دليل صدق إيمان الرجل، فمن الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن السنة: حديث أنس عن النبي ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[1] متفق عليه.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٢٨).

والصحابة درجات في الفضل والخير بحسب قربهم لرسول الله وما قدموه للإسلام.

المسألة الثانية: الآثار الطيبة لموالاتهم في الدنيا والآخرة.

(١) من آثار موالاتهم الطيبة في الدنيا الفلاح والغلبة والنصر كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

قال ابن كثير: «كل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور في الدنيا والآخرة»[١].

(٢) ومن ثمار محبتهم في الآخرة ما يُرجىٰ لُمحبِّهم من الحشر معهم؛ لقول النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» متفق عليه.

ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتقربون إلىٰ الله بمحبة أبي بكر وعمر، ويعدون ذلك من أفضل أعمالهم وأرجاها عند الله.

روىٰ الإمام البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».

قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ.

قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٣٦٨٨).

المسألة الثالثة: وجوب اعتقاد فضلهم وعدالتهم والكف عما حدث بينهم من الخلاف.

لأصحاب رسول الله فضلهم ومكانتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فقد دلَّت الآيات الكريمة علىٰ فضل الصحابة، والثناء عليهم من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكل من حصل علىٰ شرف الصحبة، ووصف الذين جاؤوا من بعدهم بأنهم يستغفرون لمن سبقهم من الصحابة ويدعون الله تعالىٰ ألَّا يجعل في قلوبهم غِلًّا للذين آمنوا.

وقد أثنىٰ عليهم رسول الله ﷺ بأحاديث كثيرة منها:

ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(١)، وقد جاءت أحاديث بعضها عامة في فضل

(١) «صحيح مسلم» برقم (١١٠).

جميع الصحابة، وبعضها في فضل أهل بدر، وبعضها في أفرادٍ بخصوصهم.

فالواجب علىٰ المسلمين تطبيق هذه النصوص وتولي الصحابة جميعًا، ومحبتهم والترضي عنهم، وذكرهم بكلِّ جميلٍ، والاقتداء بهم والسير علىٰ نهجهم.

- **وجوب الكف عما شجر بين الصحابة وحكم سبهم.**

عرفنا أن أصحاب رسول الله ﷺ هم الصفوة المختارة من هذه الأمة بعد نبينا ﷺ، فهم السابقون إلىٰ الإسلام، وهم أعلام الهدىٰ ومصابيح الدجىٰ، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأبلوا بلاء حسنًا في الذَّوْدِ عن حياض الإسلام حتىٰ مَكَّنَ الله لهذا الدين في الأرض علىٰ أيديهم.

وقد وقعت بينهم نزاعات أرادوا فيها أكثر ما أرادوا وجه الله ونصرة الحق، فمن تنقصهم بسببها أو سبَّهم أو نال من أحدٍ منهم فهو من شر الخليقة؛ لأن عمله هذا اعتداء علىٰ الدين كله.

ومن كَفَّرَهُم جميعهم أو أكثرهم أو اعتقد ردتهم فهو أولىٰ بالكفر والردة، وقد دَلَّتِ الأحاديث علىٰ تحريم سَبِّ أصحاب رسول الله ﷺ، والتأكيد علىٰ أنه لن يبلغَ أحدٌ مبلغهم مهما قَدَّمَ من عمل.

فالواجب علىٰ المسلمين اعتقاد عدالتهم، والترضِّي عنهم، والكف عما شجر بينهم، وعدم الخوض فيما جرىٰ بينهم من خلاف، وترك سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أولئك قوم طهَّر الله أيدينا من دمائهم، فلنطهِّر ألسنتَنا من أعراضِهم».

وخلاصة القول: أن أهل السنة يوالون الصحابة كلهم ويُنْزِلُونَهُمْ منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوىٰ والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد.

• المسألة الرابعة: أهل بيت النبي ﷺ.

التعريف بهم: أهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ.

أدلة فضلهم: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[1] رواه مسلم.

• دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم الذي لا يشك فيه مَنْ تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾، أي: واعملن بما يُنْزِلُ الله تبارك وتعالىٰ علىٰ رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغير

---

(١) «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٨).

واحد: واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين النساء[١]. اهـ.

- **الوصية بأهل البيت:**

تقدم حديث: «**أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[٢] رواه مسلم.

فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين علىٰ الملة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليٍّ وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم علىٰ الدِّين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت، فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول لا ينفعه شيئًا حتىٰ يستقيم علىٰ دين الله.

فقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤].

فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**» متفق عليه، ولحديث: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[٣] رواه مسلم، ومعنىٰ بطَّأ: أي تأخر.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) «تفسير ابن كثير»، (٦/ ٤١٥).
(٣) «صحيح مسلم» برقم (٢٦٩٩).

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من الذين يغلون في بعض أهل البيت ويدعون لهم العصمة، ومن الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعين والخرافيين الذي يتوسلون بأهل البيت ويتخذونهم أربابًا من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره علىٰ المنهج المعتدل والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

المسألة الخامسة: الخلفاء الراشدون.

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (الفاروق)، وذو النورين عثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب ﵃ وأرضاهم.

مكانتهم ووجوب اتباعهم:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، الذين أمر رسول الله ﷺ باتباعهم، والتمسك بهديهم، كما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية ﵁ الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال:

«أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(١)] رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.

وأجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن التفضيل بين الخلفاء بحسب

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢٦٧٦)، و«سنن ابن ماجه» برقم (٤٢).

ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة.

المسألة السادسة: العشرة المبشرون بالجنة.

عرفنا فيما سبق فضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول، وأنهم يتفاضلون في الصحبة، وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم مَنْ هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بَعْدُ وقاتلوا وكلًّا وعد الله الحسنىٰ.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب، ثم عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين.

روىٰ أحمد وأصحاب السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس رضي الله عنه عن سعيد بن زيد قال: أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول: «**عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ**»[١].

---

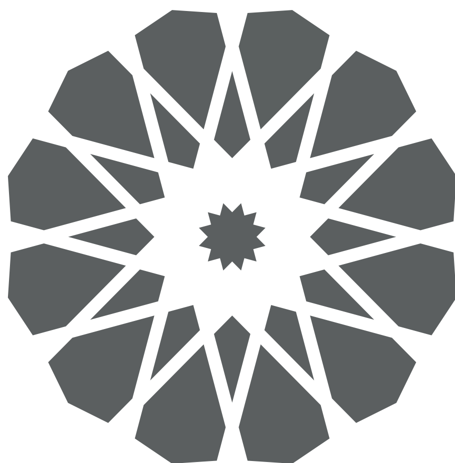
(١) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٦٤٩).

وقد بشر النبي ﷺ آخرين غير هؤلاء العشرة بالجنة، مثل عبد الله بن مسعود، وبلال بن رباح، وعكاشة بن محصن، وجعفر بن أبي طالب، وغيرهم كثير.

وأهل السنة يَنُصُّون علىٰ مَنْ وَرَدَ النَّصُّ من المعصوم فيه باسمه فيشهدون له بالجنة لشهادة رسول الله ﷺ له، ومن عداهم يرجون لهم الخير لوعد الله لهم جميعًا بالجنة كما قال تعالىٰ بعد ذكر الصحابة وبيان فضل بعضهم علىٰ بعض: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠] والحسنىٰ هي: الجنة.

كما أن مذهب أهل السنة في عموم المسلمين عدم القطع لأحد منهم بجنة أو نار، وإنما يرجون للمحسنين الثواب ويخافون علىٰ المسيئين العقاب مع القطع لمن مات علىٰ التوحيد بعدم تخليده في النار، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].





الأصل الرابع

الواجب نحو أئمة المسلمين وعامتهم ولزوم جماعتهم

روىٰ مسلم عن أبي رقية تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: « «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[١].

فالنصيحة لله: إفراده تعالىٰ بالعبادة وتعظيمه، وخوفه ورجاؤه ومحبته، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

والنصيحة لرسوله ﷺ: تصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، واتباع سنته، والاهتداء بهديه ومحبته، وألَّا نعبد الله إلَّا وفق ما جاء به ﷺ.

وأمَّا النصيحة لأئمة المسلمين فهي الدعاء لهم ومحبتهم، وطاعتهم في حدود طاعة الله تعالىٰ.

وأمَّا النصيحة لعامة المسلمين فهو أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وحبُّ الخير لهم كما نحب لأنفسنا، وبذل الخير لهم ومساعدتهم بقدر ما نستطيع.

- **الواجب نحو ولاة الأمور:**

دَلَّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة علىٰ وجوب طاعة الإمام الذي يقيم الدين في الناس بكتاب الله وسنة نبيه وإن وقع منه جور وظلم

(١) «صحيح مسلم» برقم (٥٥).

ومعصية، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما تجب الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المصالح الخاصة، كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعته وعدم الخروج عليه.

• فولي الأمر القائم بأمر الله وحكمه وشريعته إن عصىٰ وفسق وظلم، تبقىٰ طاعته واجبة لمصالح تفوق أخطاءه، قالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بن أَبي طالبٍ، رضي الله عنه: «لابُدَّ للنَّاسِ؛ من إِمارةٍ برةً كانت أَو فاجرةً، قيلَ لَهُ: هذِهِ البرَّةُ عرفناها؛ فما بال الفاجرة؟! قال: يُؤمنُ بها السُّبُل، وتُقامُ بها الحدودُ، ويُجاهدَ بها العدو، ويُقسَمُ بها الفيءُ»

• ونستخلص من النصوص في الكتاب والسنة أنها تأمر بطاعة الأئمة وولاة الأمور في غير معصية، ونلخص ذلك فيما يلي:

(١) أن السمع والطاعة واجبة في كل الأحوال في غير معصية.

(٢) عدم الخروج علىٰ ولاة الأمر إذا لم يقبلوا النصيحة.

(٣) أن من نصح لولاة الأمر وأنكر عليهم بالطريقة المشروعة فقد برئ من الذنب.

(٤) النهي عن إثارة الفتن وأسباب إثارتها.

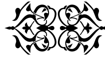
(٥) عدم الخروج علىٰ الولاة ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أي: الظاهر الذي لا يحتمل التأويل، ولا يجوز هذا الخروج **إن وجد شرطه**، إن غلبت مفسدته مصلحته.

(٦) وجوب لزوم جماعة المسلمين الذين يسيرون علىٰ هدي الكتاب والسنة قولًا وعملًا واعتقادًا، وموالاتهم واتباع سبيلهم والحرص علىٰ جمع كلمتهم علىٰ الحق وعدم مفارقتهم أو الانشقاق عليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥]، وقال رسول الله ﷺ:

«**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، ومَنْ شَذَّ شذَّ في النَّارِ**»(١) رواه الترمذي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

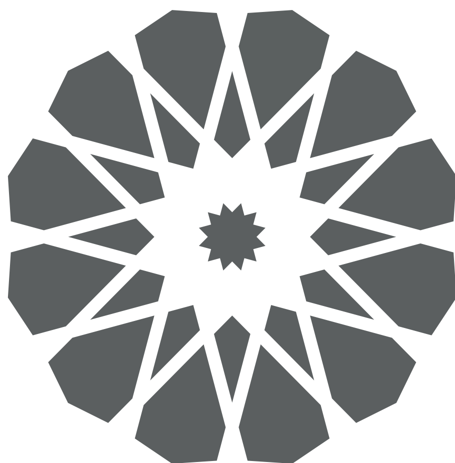
«**مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجماعة شبرا فمات، فميتته جَاهِلِيَّةٌ**»(٢) متفق عليه.

فدلت هذه النصوص علىٰ وجوب لزوم الجماعة وعدم منازعة الأمر أهله، والوعيد الشديد لمن يخالف ذلك؛ إذ إن الجماعة رحمة والفرقة عذاب.



(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢١٦٥).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٧٠٥٤)، و«صحيح مسلم» برقم (١٨٤٩).



الأصل الخامس

وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه.

أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف علىٰ أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهىٰ عن التفرق وبيَّن خطورته علىٰ الأمة في الدارين؛ ولتحقيق ذلك أُمرنا بالتحاكم إلىٰ كتاب الله تعالىٰ في الأصول والفروع، ونُهينا عن كل سبب يؤدي إلىٰ التفرق.

فالطريق الصحيح إلىٰ النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فأمر الله بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله، والعهد الذي أخذه الله علىٰ المسلمين هو الاعتصام بالكتاب والسنة، فقد أمر الله تعالىٰ بالجماعة، ونهىٰ عن التفرق والاختلاف.

وما جاء به الرسول ﷺ يتعيَّن علىٰ العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأنَّ نَصَّ الرسول علىٰ حكم الشيء كنَصِّ الله تعالىٰ لا رخصة لأحدٍ ولا عذرَ له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله، وفي

كتاب الله آيات كثيرة، وكذلك في السنة أحاديث كثيرة وردت في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.

وقد بشر النبي ﷺ المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن، ويسعىٰ إلىٰ تحقيقه مَنْ كان في قلبه أدنىٰ مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة.

جاءت هذه البشرىٰ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»[(١)] رواه البخاري.

وأي إباءٍ ورفضٍ للسنة أعظم من مخالفة أمره ﷺ؟ وذلك بالإحداث والابتداع في الدِّين.

ومعلوم أن الفرقة الناجية هي التي كانت علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهي الجماعة.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد علىٰ سبيل وسنة ذَكَرَ الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة»[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٢٨٠).

(٢) [إسناده ضعيف] «مصنف عبد الرزاق» برقم (٣٨٢٦٤).

المسألة الثانية: التحذير من البدع.

• **تعريف البدعة:**

لغةً: هي الاختراع علىٰ غير مثال سابق، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مخترعها.

وشرعًا: ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة في الدين.

• **خطر البدع:**

إن البدع والمحدثات في الدين لها خطورة عظيمة، وآثار سيئة علىٰ الفرد والمجتمع بل وعلىٰ الدين كله أصوله وفروعه.

فالبدع: إحداث في الدين، وقولٌ علىٰ الله بغير علم وشرع في الدين بما لم يأذن به الله.

والبدعة سبب في عدم قبول العمل وتفريق الأمة، والمبتدع يحمل وزره، ووزر من تبعه في بدعته.

والبدعة سبب في الحرمان من الشرب من حوض النبي ﷺ، فعن سهل بن سعد الأنصاري، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي!!»[1] متفق عليه.

(١) «صحيح البخاري» برقم (٧٠٥٠)، و«صحيح مسلم» برقم (٢٢٨٩).

والبدعة تشويه للدين، وتغيير لمعالمه، ولا تشيع بدعة إلا وتُنسىٰ وتهجر معها سنة ثابتة.

والخلاصة: أن البدعة خطر عظيم علىٰ المسلمين في أمر دينهم ودنياهم.

- **أسباب البدعة:**

للبدع أسباب كثيرة أعظمها البعد عن كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، الأمر الذي يؤدي إلىٰ الجهل بمصادر التشريع.

ومن أسباب انتشار البدع، التعلق بالشبهات والاعتماد علىٰ العقل المجرد وجلساء السوء، والاعتماد علىٰ الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدل بها المبتدعة علىٰ بدعهم، والتشبه بالكفار، وتقليد أهل الضلال ونحو ذلك من الأسباب الخطيرة.

تحريم البدع، وبيان التفاوت في ذلك:

من تأمَّل الكتاب والسنة وجد أن البدع في الدِّين محرمة ومردودة علىٰ أصحابها مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بين بدعة وأخرىٰ، وإن كانت تتفاوت درجات التحريم بحسب نوعية البدعة.

ومن المعلوم أن النهي عن البدع قد ورد علىٰ وجه واحد في قول النبي ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[1] رواه مسلم، وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

(١) «صحيح مسلم» برقم (٨٦٧).

فدلَّ الحديثان علىٰ أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنىٰ ذلك: أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوع البدعة فمنها ما هو كفر صراح كالطواف بالقبور تقربًا إلىٰ أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء علىٰ القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق ومعصية كإقامة الأعياد الدينية التي لم ترد في الشرع، والأذكار المبتدعة والتعبد بترك الزواج والصيام قائمًا في الشمس.

المسألة الثالثة: ذم التفرق والاختلاف.

الأدلة علىٰ ذم التفرق:

لقد ذَمَّ الله التفرق ونهىٰ عن الطرق والأسباب المؤدية إليه، وقد جاءت النصوص التي تحذر منه وتبين سوء عاقبته وأنه من أعظم الأسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ومن السنة: حديث معاوية رضي الله عنه أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ،**

وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»(١) رواه أبو داود وأحمد.

الاختلاف والتفرق سبب هلاك الأمم السابقة:

إذا تأملنا القرآن والسنة وجدنا أن سبب هلاك الأمم السابقة هو التفرق وكثرة الاختلاف لا سيما الاختلاف في الكتاب المنزل عليهم.

عن أنس رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: **«أنَّ حُذَيْفةَ قدِمَ علىٰ عثمانَ بنِ عفَّانَ، وَكانَ يغازي أَهْلَ الشَّامِ في فتحِ أرمينيةَ وأذربيجانَ معَ أَهْلِ العراقِ، فرأىٰ حُذَيْفةُ اختلافَهُم في القُرآنِ، فقالَ لعُثمانَ بنِ عفَّانَ: يا أميرَ المؤمنينَ، أدرِكْ هذِهِ الأمَّةَ قبلَ أن يختلِفوا في الكتابِ كما اختلفتِ اليَهودُ والنَّصارَىٰ، فأرسلَ إلىٰ حفصةَ أن أرسِلي إلينا بالصُّحفِ ننسخُها في المصاحفِ ثمَّ نردُّها إليكِ، فأرسلَت حفصةُ إلىٰ عثمانَ بنِ عفَّانِ بالصُّحفِ، فأرسلَ عثمانُ إلىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ وسعيدِ بنِ العاصِ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ أنِ انسخوا الصُّحفَ في المصاحفِ، وقالَ للرَّهطِ القرشيِّينَ الثَّلاثةِ: ما اختلفتُمْ فيهِ أنتُمْ وزيدُ بنُ ثابتٍ فاكتبوهُ بلسانِ قُرَيْشٍ، فإنَّما نزلَ بلِسانِهِم، حتَّىٰ نسَخوا الصُّحفَ في المصاحِفِ، بعثَ عثمانُ إلىٰ كلِّ أفقٍ بمصحَفٍ من تلكَ المصاحفِ الَّتي نسَخوا»**(٢).

ومن السنة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**(٣) متفق عليه.

---

(١) [صحيح] «سنن أبي داود» برقم (٤٥٩٧).

(٢) «صحيح البخاري» برقم (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» برقم (١٧١٨).

(٣) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٣١٠٤).

فقد أمرهم الرسول ﷺ في هذا الحديث بالإمساك عما لم يؤمروا به معللًا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال، ثم الاختلاف علىٰ الرسل بالمعصية، أي: بمخالفتهم لما أمرتهم به أنبياؤهم.

- **هل الاختلاف رحمة؟**

- إِنَّ النَّاظر في الاختلافات المتعلّقة بالمسائل الشَّرعيَّة الموجودة في تراثنا الإسلامي يجد أَنَّها ليست علىٰ وزان واحد؛ بل يجد بينها تفاوتًا كبيرًا، وذلك لأسباب، من أهمّها: نوع المسألة المختلف فيها، والشّخص النَّاظر في تلك المسألة، ولذا قال الشَّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض محاورة بينه وبين سائل: «قال: إنّي أجد أهل العلم قديمًا وحديثًا مختلفين في بعض الأمور، فهل يسعهم ذلك؟ قال: فقلت له: الاختلاف علىٰ وجهين: أحدهما محرّمٌ، ولا أقول ذلك في الآخر . . .»(١).

- **فبيَّن الشَّافعيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أنَّ من الاختلاف**: ما هو محرّم لا يجوز الإقدام عليه، ومنه ما هو جائز مباح، **وكذلك قرر الجصَّاص** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ من الاختلاف ما يوجب البراءة والعداوة ويحرم الولوج فيه، وذلك لكون الدَّليل عليه قائمًا بارزًا، ومنه ما لا يوجب ذلك بحيث تبقىٰ معه مودّة الإيمان وأخوّة الإسلام(٢).

- وعليه فيمكن تقسيم الخلاف باعتبار القَبول والردّ إلىٰ نوعين، هما:
- **النَّوع الأَوَّل**: الخلاف المذموم.
- **النَّوع الثَّاني**: الخلاف السَّائغ.
- **النَّوع الأَوَّل: الخلاف المذموم:**

---

(١) انظر: الرِّسالة للشَّافعيّ، فقرة ١٦٧١ ص٥٦٠.

(٢) انظر: الفصول في الأصول للجصَّاص (٤/٥٦-٥٨).

• ويدخل تحت هذا النَّوع صور، منها:

١ - الصّورة الأولىٰ: خلاف الكفَّار.

• وهو أقبح صور الخلاف المذموم؛ ذلك أنَّ الكفَّار خالفوا في أصل الدِّين، وذلك بتركه كلّه، حيث انقسم النَّاس أمام هذا الدِّين والإيمان به قسمين: قسم آمن بالله ورسله وكتبه وقسم آخر خالفهم واختلف معهم؛ وهم من كفر بالله ورسله وكتبه، ولذا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

٢ - الصّورة الثَّانية: خلاف أهل الأهواء والبدع.

• من المنتسبين إلىٰ الإسلام، وقد جاء ذمّهم علىٰ لسان النَّبيِّ ﷺ كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: «أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: **أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[(١)]. وسبب ذلك مخالفتهم للكتاب والسنّة، واتّباع أهوائهم وتقديمها علىٰ الشّرع، فأهل الأهواء لم يأخذوا الأدلّة الشَّرعيَّة مأخذ الافتقار إليها والتَّعويل عليها؛ حتَّىٰ يصدروا عنها، بل قدّموا أهواءهم واعتمدوا علىٰ آرائهم، ثمَّ جعلوا الأدلّة الشَّرعيَّة منظورًا فيها من وراء ذلك[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنّة برقم (٤٥٩٧)؛ وصحّحه الألباني في السلسة الصَّحيحة برقم (٢٠٤)؛ وصحّحه الأرناؤوط. أنظر: جامع الأصول لابن الأثير، تحقيق الأرناؤوط (١٠/ ٣٢).

(٢) انظر: الاعتصام للشَّاطبيّ (٢/ ٦٨٣).

• **قال الخطّابيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاختلاف في الدِّين ثلاثة أقسام: **أحدها**: في إثبات الصَّانع ووحدانيّته، وإنكار ذلك كفر، **والثَّاني**: في صفاته ومشيئته، وإنكارها بدعة، **والثَّالث**: في أحكام الفروع المحتملة وجوهًا، فهذا جعله الله تعالىٰ رحمة وكرامة للعلماء، وهو المراد بحديث اختلاف أمّتي رحمة»[(١)].

• **٣- الصّورة الثَّالثة: الخلاف الواقع في المسائل الَّتي لا مجال للاجتهاد فيها.**

• كأن يكون الدَّليل فيها بيّنًا منصوصًا عليه، أو كانت المسألة مجمعًا عليها، فالخلاف فيها مذموم، **قال الإمام الشَّافعيّ**: «كلّ ما أقام الله به الحجَّة في كتابه، أو علىٰ لسان نبيّه منصوصًا بيّنًا؛ لم يحِلّ الاختلاف فيه لمن علمه»[(٢)]، وقال في موطن آخر: «وهذا العلم العام[(٣)] الَّذي لا يمكن فيه الغلط من الخبر، ولا التأويل، ولا يجوز فيه التنازع»[(٤)].

• **ويقول الشِّيرازي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي لا يسوغ فيه الاجتهاد ضربان: علم من دين الله تعالىٰ ضرورة، كوجوب الصَّلوات والزَّكاة والحجّ وتحريم الزِّنا واللِّواط والخمر، فهذا وأمثاله فقد تعيَّن الحقّ فيه من الخطأ؛ فيجب الأخذ بما ثبت، ومن خالف في شيء منها مع العلم بها يحكم بكفره؛ لأنّ ذلك معلوم من دين الله تعالىٰ ضرورة، فمن خالف مع العلم فقد كذّب الله تعالىٰ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنَّوويّ (١١/٢٥٨). وسيأتي تخريج حديث: «اختلاف أمّتي» في ص٨٣.

(٢) انظر: الرِّسالة للشافعي، فقرة ١٦٧٣-١٦٧٤ ص٥٦٠.

(٣) يقصد به الشَّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علم العامّة، وهو العلم الموجود نصًّا في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وموجودًا عامّة عند أهل الإسلام؛ ينقله عوامّهم عمنَ مضىٰ من عوامّهم.

(٤) انظر: الرِّسالة للشَّافعيّ، فقرة ٩٦٥ ص٣٥٩.

ورسوله في خبرهما، وذلك يوجب الكفر. وضرب لا يعلم من دين الله تعالىٰ ضرورة غير أنَّ عليه دليلًا قاطعًا وهو ما أجمع عليه الصَّحابة، وما سواه باطل، ومن خالف ذلك حكم بفسقه وينقض حكم الحاكم بخلافه»[(١)].

• **ويقول السمعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ القول المختلف في الحادثة الواحدة علىٰ ضربين:

• ١ - ضرب لا يسوغ فيه الاختلاف.

• ٢- وضرب يسوغ فيه الاختلاف، فأمّا الضّرب الَّذي لا يسوغ فيه الاختلاف كأصول الدِّيانات من التَّوحيد وصفات الباري عزّ اسمه، وهي تكون علىٰ وجه واحد لا يجوز فيه الاختلاف، وكذلك فروع الديانات الَّتي يعلم وجوبها بدليل مقطوع به، مثل الصَّلاة والزَّكاة والصّوم والحجّ، وكذلك المناهي الثَّابتة بدليل مقطوع به، فلا يجوز اختلاف القول في شيء من ذلك»[(٢)].

• وممَّا يلحق بهذا النَّوع: المسائل الَّتي وقع الخلاف فيها بين الصَّحابة ثمَّ ارتفع هذا الخلاف ولم يستقرّ، مثل اختلاف عمر بن الخطّاب مع أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في حكم قتال المرتدّين[(٣)]، وخلاف زيد بن ثابت وابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُم في حكم طواف الوداع للمرأة الحائض[(٤)] . . . وغيرها من المسائل الَّتي حصل فيها اختلاف لم يستقر، بل ارتفع هذا الخلاف بين الصَّحابة لوجود نصّ قاطع يحسم النِّزاع، أو انعقاد إجماع بعده علىٰ أحد القولين. وعليه فإِنَّ بعث الخلاف مرّة أخرىٰ في تلك المسائل والاحتجاج

(١) انظر: شرح اللّمع للشِّيرازي (٢/ ١٠٤٥-١٠٤٦).
(٢) انظر: قواطع الأدلّة للسمعاني (٥/ ٦١-٦٢).
(٣) انظر: صحيح مسلم مع شرح النَّووي (١/ ١٦٤)، رقم الحديث (٣٢).
(٤) انظر: صحيح مسلم مع شرح النَّووي (٩/ ٤٤٧) رقم الحديث (٣٨١).

بأنّ الصَّحابة اختلفوا فيها مردود؛ وذلك لأنّ الخلاف فيها ارتفع، ولم يعد هنالك قائل بتلك الأقوال(١).

• **٤- الصّورة الرَّابعة: الخلاف في المسائل الَّتي فيها مجال للاجتهاد ولكن صاحبَ ذلك الخلاف بغي أو هوىٰ أو عصبيّة.**

• فأمّا البغي فقد قال الله تعالىٰ فيه: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيَۢا بَيْنَهُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، فدلّت الآيتان الكريمتان علىٰ أنَّ سبب اختلافهم هو البغي والظلم الَّذي يحمل كلّ فريق علىٰ مخالفة الفريق الآخر في أقوالِهِ أو أفعاله، وإن كانت حقًّا.

• وأمَّا الهوىٰ فقد ورد ذمّه في القرآن كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]؛ وذلك لأنَّ مخالطة الهوىٰ للقلب تورث اتّباع ما تهواه النّفس من باطل، وترك الحقّ ومعاداة أهله، فيقع صاحب الهوىٰ في الاختلاف المذموم مع أهل الحقّ.

• وأمَّا التعصّب لغير الحقّ بأن يتعصّب لرأيه أو مذهبه أو إمامه ويقدِّمه علىٰ الدَّليل الشَّرعيّ؛ فصاحب هذا الفعل مذموم وخلافه كذلك، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا المتعصِّب الَّذي جعل قول متبوعه عيارًا علىٰ الكتاب والسنّة وأقوال الصَّحابة يَزِنُها به، فما وافق قول متبوعه منها قبله، وما خالفه

---

(١) للاستزادة من الأمثلة أنظر: شرح صحيح مسلم للنَّوويّ (٨/ ٢٦٩) و(٨/ ٣٢٨-٣٢٩) و(٨/ ٤٨٧) و(١٣/ ٢٣٤).

ردّه، فهذا إلىٰ الذمّ والعقاب أقرب منه إلىٰ الأجر والصَّواب»[(١)].

• وممَّا يحسن التنبيه إليه هنا أنَّ المختلفين خلافًا مذمومًا قد يكونوا مذمومين جميعًا، وقد يكون الذمّ منصبًّا علىٰ طائفة لاتّباعها الباطل، وتحمد الطائفة الأخرىٰ لاتّباعها الحقّ وآثار الأنبياء، يقول ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاختلاف علىٰ ما ذكره الله في القرآن قسمان: أحدهما: يذمّ الطائفتين جميعًا كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [البَقَرَة: ١٧٦]، وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين سببه تارة: فساد النيّة لما في النّفوس من البغي والحسد وإرادة العلوّ في الأرض، ويكون سببه تارة جهل المختلفين بحقيقة الأمر الَّذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدّليل الَّذي يرشد به أحدهما الآخر، وأمَّا القسم الثَّاني: فهو ما حمد فيه إحدىٰ الطائفتين وهم المؤمنون وذمّ فيه الأخرىٰ»[(٢)].

• وسيأتي مزيد إيضاح للخلاف المذموم في الفصل الثَّالث بإذن الله تعالىٰ.

• **النَّوع الثَّاني: الخلاف السَّائغ.**

• **وهو نوعان:**

• **الأول: خلاف تضاد،** بأن اختلف العلماء خلاف تصويب وتخطئة، وكانت أدلة المسألة ظنية فهو خلاف سائغ مباح.

• وهو اختلاف المجتهدين في المسائل الَّتي ليس فيها دليل قطعيّ، وهي ما يسمّيها العلماء بالمسائل الاجتهادية، فهذا النَّوع من الخلاف سائغٌ.

---

(١) انظر: إعلام الموقّعين لابن القيِّم (٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تَيْمِيَّة (١/ ١٤٦-١٥٤) بتصرّف، الصواعق المرسلة لابن القيِّم (٢/ ٥١٤).

• **يقول الشَّافعيّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسًا، فذهب المتأوّل أو القايس إلىٰ معنىً يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره؛ لم أقل إنّه يضيّق عليه ضيق الخلاف في المنصوص»(١).

• **وقال السمعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمَّا الَّذي يسوغ فيه الاختلاف -وهي فروع الديانات إذا استخرجت أحكامها بأمارات الاجتهاد ومعاني الاستنباط- فاختلاف العلماء فيه مسوَّغ، ولكلّ واحد منهم أن يعمل فيه بما يؤدي إليه اجتهاده»(٢).

• **ويقول الزركشي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا الَّتي يسوغ فيه الاجتهاد فهي المختلف فيها؛ كوجوب الزَّكاة في مال الصَّبيّ، ونفي وجوب الوتر، وغيره ممَّا عُدمت فيها النّصوص في الفروع، وغمضت فيها الأدلّة، ويرجع فيها إلىٰ الاجتهاد، فليس بآثم»(٣).

• وهذا النَّوع من الخلاف هو الغالب فيما يقع بين علماء أهل السنّة، حيث إنه موطن عُدم فيه التَّصريح في النّصوص أو غمضت فيها الدلالات.

• **الثاني**: اختلاف التنوّع، وليس خلافًا علىٰ الحقيقية وبالتالي فهو أولىٰ بالإباحة من خلاف التضاد السائغ، **يقول ابن تَيْمِيَّة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**واختلاف التنوّع علىٰ وجوه**:

• **منه**: ما يكون كلّ واحد من القولين أو الفعلين حقًا مشروعًا، كما في القراءات الَّتي اختلف فيها الصَّحابة، حتَّىٰ زجرهم عن الاختلاف رَسُولُ الله ﷺ، وقال: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ**»، ومثله اختلاف الأنواع في صفة

---

(١) انظر: الرِّسالة للشَّافعيّ، فقرة ١٦٧٥ ص٥٦٠.
(٢) انظر: قواطع الأدلّة للسمعاني (٥/ ٦١-٦٢).
(٣) انظر: البحر المحيط للزّركشي (٦/ ٢٤٠).

الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهّدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنازة، إلىٰ غير ذلك ممَّا قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إنَّ بعض أنواعه أفضل.

• **ومنه**: ما يكون كلّ من القولين هو في معنىٰ الآخر؛ لكنِ العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من النَّاس في ألفاظ الحدود، وصيغ الأدلّة، والتعبيرات عن المسمّيات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك.

• **ومنه**: ما يكون المعنيان غَيْرَين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنىٰ أحدهما هو معنىٰ الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدًّا.

• **ومنه**: ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلكوا هذه الطَّريق، وآخرون قد سلكوا الأخرىٰ، وكلاهما محسن في الدِّين»[(١)].

• **فهذه الوجوه الأربعة** كلّها تدخل في اختلاف التنوّع كما يرىٰ ذلك الإمام ابن تَيْمِيَّة، وأنها في حيّز الجواز والقبول.

• **يقول ابن تَيْمِيَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فكلّ ما ثبت عن النَّبيِّ ﷺ من ذلك فهو سائغ وجائزه**»[(٢)].

• وأمَّا ما يسمّيه ابن تَيْمِيَّة «اختلاف تضادّ»[(٣)] فمنه ما هو سائغ جائز، ومنه ما هو مذموم مردود.

• وهذا النَّوع الَّذي اصطلح شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة علىٰ تسميته

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تَيْمِيَّة (١/ ١٤٩-١٥٠) بتصرّف يسير، مهناج السنة النَّبويّة له (٦/ ١٢١)؛ مجموع الفتاوىٰ له (١٣/ ٣٣٣).

(٢) انظر: منهاج السنة النَّبويّة لابن تَيْمِيَّة (٦/ ١٢٣).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٤٩).

اختلاف التنوّع خالفه فيه تلميذه ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يعتبر ابن القيِّم أنَّ هذا النَّوع من الخلاف هو في الحقيقة اتّفاق.

• **يقول ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهنا نوع آخر من الاختلاف -وهو وفاق في الحقيقة- وهو اختلاف في الاختيار والأَوْلىٰ، بعد الاتّفاق علىٰ جواز الجميع كالاختلاف في أنواع الأذان والإقامة، وصفات التشهّد، وأنواع النُّسك الَّذي يُحرم به قاصد الحجّ والعمرة، وأنواع صلاة الخوف، والأفضل من القنوت أو تركه، ومن الجهر بالبسملة أو إخفائها، ونحو ذلك، فهذا وإن كان صورته صورة اختلاف فهو اتّفاق في الحقيقة»[(١)].

• فيرىٰ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّه لا خلاف حقيقة: علىٰ جواز جميع الصّور، فإذا حصل الاتّفاق علىٰ الجواز فلا خلاف إذن، أمَّا إذا كان النّظر إلىٰ ما هو الأفضل من هذه الصّور فيوجد خلاف حقيقي.

• **وكذلك الشَّاطبيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يري أَنَّه لا خلاف في الحقيقة وإن كان الظَّاهر يشعر بوجود الخلاف، يقول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنّة، فتجد المفسِّرين ينقلون عن السَّلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالًا مختلفة في الظَّاهر، فإذا اعتبرتها؛ وجدتها تتلاقىٰ علىٰ العبارة كالمعنىٰ الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال بمقصد القائل؛ فلا يصحّ نقل الخلاف فيها عنه، وهكذا يتّفق في شرح السنّة، وكذلك في فتاوىٰ الأئمّة وكلامهم في مسائل العلم، وهذا الموضع ممَّا يجب تحقيقه؛ فإِنَّ نقل الخلاف في مسألة لا خلاف فيها في الحقيقة خطأ، كما أَنَّ نقل الوفاق في موضع الخلاف لا يصحّ»[(٢)].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيِّم (٢/ ٥١٨-٥١٩).

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٥/ ٢١٠).

فالخلاصة: أن اختلاف فقهاء المسلمين في المسائل الفقهية الفرعية، **رحمة وسعة**، كما سماها الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما جاءه رجل بكتاب في اختلاف الفقهاء فقال له: «**سمه كتاب السعة**»، ووجه الرحمة أن للمسلم أن يقلد من شاء منهم، من غير أن يتعمد التيسير دائمًا أو التشديد دائمًا، بعكس ما لو ضُيق عليه بقول واحد يجعل عليه الحرج، والحرج مرفوع في دين الله.

أما الاختلاف الذي يجلب التنازع والفرقة والسباب والشتم والشحناء والبغضاء، فهو مذموم سواء كان في مسائل الاعتقادات أو الفقهيات، ولا يكون ذلك إلا من بغي الإنسان وظلمه، فاعتبر بذلك، واجعل موالاتك للمسلمين، وأحسن الظن بهم أنهم ما أرادوا إلىٰ معرفة الدين الحق الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام.

- **طريق الخلاص من الفرقة والاختلاف.**

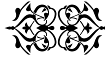
من المعلوم أن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي الجماعة، والجماعة هم الذين يسيرون وفق منهج النبي ﷺ وأصحابه لا يعدلون عن ذلك ولا يحيدون عنه يمينًا أو شمالًا.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الاعتصام»: إن الجماعة ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.

فطريق الخلاص: هو اتباع منهج أهل السنة والجماعة قولًا وعملًا واعتقادًا، وعدم مخالفتهم أو الشذوذ عنهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

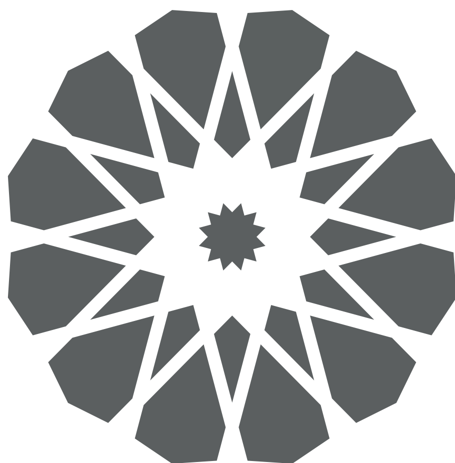
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وفي الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة** -أو قال: **أمة محمد علىٰ ضلالة- ويد الله علىٰ الجماعة**»(١).

وبهذا نختم القول بأن طريق الخلاص وعنوان السعادة التمسك بكتاب الله تعالىٰ، ذلك الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ . . . وأي منهج خالف هذا الطريق فإنه منهج خاسر، وهذا هو المنهج الذي يحفظ الله به الأمة من البدع، وهو الطريق الذي صلحت به أحوال الأمة في صدر الإسلام.



---

(١) [صحيح] «سنن الترمذي» برقم (٢١٦٧). انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، للألباني برقم (١٨٤٨).



الأصل السادس

أخلاق القائمين بعقيدة أهل السنة والجماعة

من أخلاق المعتنقين للعقيدة الإسلامية:

• إِخْلَاصُهُمْ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَخَوْفُهُمْ مِنَ الرِّيَاءِ؛ لِأَنَّهُمْ يُخْلِصُونَ دِينَهُمْ للهِ تَعَالَىٰ، وَيَعْبُدُونَ اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ أَحَدًا كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَيُخْلِصُونَ نِيَّاتِهِمْ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، خَالِصَةً مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ وَدَرَنِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَاتِّبَاعِ الْهَوَىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.

وَإِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ! لَا يَقُومُ إِلَّا عَلَىٰ أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ؛ هُمَا:

• أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، أَيْ: تَجْرِيدُ الْإِخْلَاصِ.

• أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَا شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، أَيْ: تَحْقِيقُ الْمُتَابَعَةِ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْإِخْلَاصِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَحَذَّرَ -سُبْحَانَهُ- مِنَ الرِّيَاءِ وَالشِّرْكِ؛ فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٢).

---

(١) سورة النساء: الآية، ١٤٦.

(٢) سورة البينة: الآية، ٥.

• تَحَلِّيْهِمْ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيْهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا الَّتِي تَحِيقُ بِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالصَّبْرُ عَنْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ الْعُبُودِيَّةِ لَهَ -جَلَّ وَعَلَا- وَالصَّبْرُ عَلَىٰ مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَمَا يَحُفُّ بِهِ مِنْ مَتَاعِبَ وَآلَامٍ؛ تَضْعُفُ عَنْ حَمْلِهَا صَفْوَةُ الرِّجَالِ؛ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّبْرَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مِنْ صِفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمَدَارِ نَجَاحِ دَعْوَتِهِمْ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ وَشَرْعِهِ وَأَمْرِهِ وَحُكْمِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ضَرُورَةٌ لَازِمَةٌ لِلْعَبْدِ لِيَبْلُغَ آمَالُهُ؛ وَتَنْجَحَ مَقَاصِدُهُ؛ لأَنَّهُمْ يَنْشُدُونَ جَنَّةَ النَّعِيمِ، وَهَيَ سِلْعَةُ اللهِ الْغَالِيَةُ؛ فَلَابُدَّ لَهَا مِنَ الثَّمَنِ؛ فَمَنْ صَبَرَ ظَفَرَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾(٢).

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٣).

• تَعْظِيمُهُمْ لِحُرُمَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَغَيرَتُهُمْ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَاتُهُ -جَلَّ وَعَلاَ- وَمَحَبَّتُهُمْ لِحُكْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَنُصْرَتُهُمْ لِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَتَسْلِيمُهُمُ التَّامُّ لِشَرْعِهِ الْحَكِيمِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَكَثْرَةُ تَعْظِيمِهِمْ لِحُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَحَبَّةُ الْخَيْرِ لَهُمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ:

(١) سورة آل عمران: الآية، ٢٠٠.
(٢) سورة الأحقاف: الآية، ٣٥.
(٣) سورة البقرة: الآية، ١٥٣.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

لِأَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا سِوَاهُ -سُبْحَانَهُ- وَلَا تَأْخُذُهُمْ رَأْفَةٌ فِي إِقَامَةِ حُدودِ اللهِ ﷻ وَأَنَّهُمْ صَادِقُونَ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي عَهْدِهِمْ لِنَصْرَةِ الدِّينِ، قَوْلًا وَعَمَلًا.

وَمِنْ أَعْظُمِ صِفَاتِهِمْ، أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ ﷺ مَحَبَّةً قُوِّيَّةً، لَا تَعْدِلُهَا مَحَبَّةُ أحَدٍ غَيْرِهِ كَائِنًا مِنْ كَانَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا يُؤَمِّنُ أحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُوْنَ أَحُبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعَيْنِ»(١).

• السَّعْيُ عَلَىٰ تَرْكِ النِّفَاقِ بِحَيْثُ تَتَسَاوَىٰ سَرِيرَتُهُمْ وَعَلَانِيَّتُهُمْ فِي الْخَيْرِ، وَتَقْلِيلِ أَعْمَالِهِمْ فِي عُيُونِهِمْ مِنْ حَيْثُ كَسْبُهُمْ لَهَا، وَتَقْدِيمُ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ دَائِمًا عَلَىٰ أَعْمَالِ الدُّنْيَا.

• رِقَّةُ قُلُوبِهِمْ، وَكَثْرَةُ بُكَائِهِمْ عَلَىٰ تَفْرِيطِهِمْ فِي حَقِّ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَعَلَّ اللهَ يَرْحَمُهُمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

• كَثْرَةُ الْاعْتِبَارِ وَالْبُكَاءِ بِأَمْرِ الْمَوْتِ وَالْاهْتِمَامِ بِهِ خُصُوصًا إِذَا رَأَوْا جَنَازَةً، أَوْ تَذْكَّرُوا الْمَوْتَ وَسَكْرَاتِهِ وَسُوءِ الْخَاتِمَةِ؛ حَتَّىٰ تُزَلْزِلَ قُلُوبُهُمْ.

• زِيَادَةٌ فِي التَّوَاضُعِ؛ كُلَّمَا تَرَقَّىٰ أَحَدُهُمْ فِي دَرَجَاتِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

• كَثْرَةُ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ، وَالْاسْتِغْفَارِ لَيْلًا وَنَهَارًا؛ لِشُهُودِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَسْلَمُونَ مِنَ الذَّنْبِ حَتَّىٰ فِي طَاعَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ فَيَسْتَغْفِرُونَ مِنْ نَقْصِهِمْ فِيهَا، وَمُرَاقِبَةُ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِيهَا، وَعَدَمُ الْعُجْبِ بِشَيْءٍ مِنْ

---

(١) «رواه البخاري»

أَعْمَالِهِمْ، وَكَرَاهِيَتُهُمْ لِلشُّهْرَةِ؛ بَلْ يَرَوْنَ النَّقْصَ وَالْقُصُورَ فِي طَاعَتِهِمْ، فَضْلًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

- شِدَّةُ تَدْقِيقِهِمْ فِي التَّقْوَىٰ، وَعَدَمُ دَعْوَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ مُتَّقٍ.
- شِدَّةُ خَوْفِهِمْ مِنَ الْخَاتِمَةِ السَّيِّئَةِ.
- كَثْرَةُ خَوْفِهِمْ مِنَ اللهِ ﷻ وَعَدَمُ غَفْلَتِهِمْ عَنْ ذِكْرِهِ تَعَالَىٰ.
- عَدَمُ الْفَرَحِ بِشَيْءٍ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَهَوَانُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عِنْدَهُمْ، وَشِدَّةُ رَفْضِهِمْ لَهَا وَلِفِتَنِهَا، وَذَلِكَ لِكَمَال عُقُولِهِمْ.
- عَدَمُ اعْتِنَائِهِم بِبِنَاءِ الدُّورِ الْفَاخِرةِ؛ إِلَّا مَا اِقْتَصَرَ مِنْهَا عَلَىٰ مَا يَدْفَعُ الْحَاجَةَ؛ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، أَوْ زَخْرَفَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**وَاللهِ! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟**»[(١)].

- يُشَدِدُّونَ عَلِيَّ أَنفْسِهِمْ فِي مَقَامِ الْوَرَعِ، وَلَا يَرْضَوْنَ الْخَطَأَ الَّذِي يَمَسُّ الدِّينَ أَلْبَتَّةَ، أَوْ يَمَسُّ أَهْلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ بَلْ يَرُدُّونَهُ، وَيَلْتَمِسُونَ الْعُذْرَ لِمَنْ قَالَ بِهِ، إِنْ كَانَ مِمَّنْ يَعْتَذِرُ لَهُ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ سِتْرِهِمْ عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ.

وَلَا يُحِبُّونَ أَنَّ تَظْهَرَ لِأَحدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَوْرَةٌ، وَهُمْ يَشْتَغِلُونَ بِعِيُوبِهِمْ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي سَتْرِ عُيُوبِ الْآخِرِينَ، وَيَكْتُمُونَ الْأَسْرَارَ، وَلَا يُبَلِّغُونَ أَحَدًا مَا يَسْمَعُونَهُ فِي حَقِّهِ، وَيَتْرُكُونَ مُعَادَاةَ النَّاسِ لِهَوًى فِي النَّفْسِ، إِلَّا عَلَىٰ أَسَاسِ الدِّينِ، وَيُكْثِرُونَ مِنْ مُدَارَاتِهِمْ، وَعَدَمِ مُقَابَلَةِ أَحَدٍ بِسُوءٍ؛ فَهُمْ لَا يُعَادُونَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[(٢)]. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «**نَمَّامٌ**».

---

(١) «رواه مسلم».

(٢) «رواه البخاري».

• سَدُّ بَابِ الْغَيْبَةِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَحِفْظُ أَلسِنَتِهُمْ مِنْهَا؛ لِئَلَّا تُصْبِحَ مَجَالِسُهُمْ مَجَالِسِ إِثْمٍ، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

• كَثْرَةُ الْحَيَاءِ، وَالْأَدَبِ، وَالتَّوَدُّدِ، وَالسِّكِينَةِ، وَالْوَقَارِ، وَالأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَقِلَّةُ الْكِلَامِ، وَقِلَّةُ الضَّحِكِ، وَكَثْرَةُ الصَّمْتِ وَالنُّطْقِ بِالْحُكْمَةِ تَسْهِيلًا عَلَىٰ الطَّالِبِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

وَقَال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»(٢).

• كَثْرَةُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنْ كُلِّ مَنْ آذَاهُمْ بِضَرْبٍ، أَوْ أَخْذِ مَالٍ، أَوْ وُقُوعٍ فِي عَرْضٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؛ اسْتِجَابةً لِقَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

• عَدَمَ الْغَفْلَةِ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ الأَكْبَرِ لابْنِ آدَمَ؛ إِبْلِيسَ -وَأَعْوَانِهِ مِنِ شيَاطِينِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ- وَالاِجْتِهَادُ لِمَعْرِفَةَ مَكَايِدِهِ وَمَصَايِدِهِ.

• عَدَمَ وَسْوَسَتِهِمْ فِي الْعِبَادَاتِ؛ كَالْوَضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِنَ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

• كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ عَنْ أَحْوَالِ أَصْحَابِهِمْ لِمَعْرِفَةِ أَخْبَارِهِمْ؛ لِأَجْلِ أَنْ يُوَاسُوهُمْ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ، وَالثِّيَابِ وَالْمَال.

• كَثْرَةَ الصِّدْقَةِ بِكُلِّ مَا فَضَّلَ عَنْ حَاجَتِهِمْ؛ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ؛ لَيْلًا وَنَهَارًا، وسرا وَجِهَارًا.

---

(١) «متفق عليه».

(٢) «صحيح سنن الترمذي» للألباني.

• عَدَمَ إِسْرَافِهِمْ فِي الْمَالِ الْحَلَالِ إِذَا وَجَدُوهُ؛ لأَنَّ اللهَ -تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.

• ذَمُّ الْبُخْلِ، وَكَثْرَةَ السَّخَاءِ، وَالْجُودِ، وَبَذْلُ الْمَالِ، وَبَشَاشَةُ الْوَجْهِ وَمُوَاسَاةُ الْإِخْوَانِ فِي حَالِ سَفَرِهِمْ، وَفِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الأَعْمَالَ الْجَلِيلَةَ؛ يَقُعُّ بِهَا التَّعَاضُدُ فِي نَصْرَةِ الدِّينِ الَّذِي هُوَ غَايَتُهُمْ الْمَنْشُودَةُ.

• شِدَّةَ مَحَبَّتِهِمْ لِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ إِلَىٰ الْإِخْوَانِ، وَإِدْخَالِ بَعْضُهُمُ السُّرُورَ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقْدِيمِ إِخْوَانِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَنْفُسُهُمْ.

• إِكْرَامُ الضَّيْفِ؛ لأَنَّهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَخِدْمَتُهُ بِأَنْفُسِهِمْ -إِلَّا بِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ- ثُمَّ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ كَافَؤُوهُ بِإِطْعَامِهِ وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِالْإِقَامَةِ عِنْدَهُمْ.

• إِجَابَتَهُمْ لِدَعْوَةِ إِخْوَانِهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ طَعَامُهُ حَرَامًا، أَوْ إِذَا خُصَّ الْأَغْنِيَاءُ بِالدَّعْوَةِ دُونَ الْفُقَرَاءِ، أَوْ كَانَ فِي مَكَانِ الْوَلِيمَةِ شَيْءٌ مِنَ الْمَعَاصِي.

• حُسْنُ أَدَبِهِمْ مَعَ الصَّغِيرِ فَضْلًا عَنِ الْكَبِيرِ، وَمَعَ الْبَعِيدِ فَضْلًا عَنِ الْقَرِيبِ، وَمَعَ الْجَاهِلِ فَضْلًا عَنِ الْعَالَمِ.

• إِصْلَاحُ ذَاتُ الْبَيْنِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَجْوَدِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَقِمَّةِ الْمَعْرُوفِ، وَلِأَنَّ إِصْلَاحَ ذَاتِ الْبَيْنِ يُفْسِدُ خُطَطُ الشَّيْطَانِ

وَغَايَاتِهِ مِنْ إِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِفْسَادِ ذَاتِ بَيْنَهُمْ.

• النَّهْيُ عَنِ الْحَسَدِ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ يُورِثُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، وَضِعْفَ الْإِيمَانِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عَلَنْ غَيْرِ قَصدٍ شَرْعِيٌّ،

وَلِأَنَّ الْحَاسِدَ لَا يُؤْمِنُ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ، إِذْ يَحْسُدُ النَّاسَ عَلَىٰ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ جَلِّ وَعُلَا.

• الْأَمْرُ بِبَرِّ الْوَالِدِينِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا وَإِكْرَامِهِمَا، وَالْعَمَلِ عَلَىٰ كَسْبِ رِضَاهُمَا، وَالْإِنْفَاقِ عَلَيْهُمَا، وَعَدَمَ إِيذَائِهِمَا، أَوْ نَهْرِهِمَا، وَخُصُوصًا

عِنْدَ الْكِبَرِ، لِأَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ يُرْضِي اللهُ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَبَارُكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ﴾ [الأحقاف: ١٥].

• الْأَمْرُ بِحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالرِّفْقَ مَعَ الْعِبَادِ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ، وَإِفْشَاءَ السُّلَامِ، وَرَحْمَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ.

• النَّهْيُ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ، وَالْكِبْرِ، وَالْعَجَبِ، وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَةَ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِلُزُومِ الْعَدْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

• عَدَمُ التَّهَاوُنِ بِشَيْءٍ مِنَ فَضَائِلِ الأَعْمَالِ والأَقْوَالِ؛ الَّتِي رَغَّبَ الشَّرْعُ فِي فِعْلِهَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«لَا تَحْقِرَنْ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(١).

• النَّهْيُ عَنْ سُوءِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَاتِّبَاعِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ الْعَلَاَّقَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، وَيَزْرَعُ الْفَسَادَ.

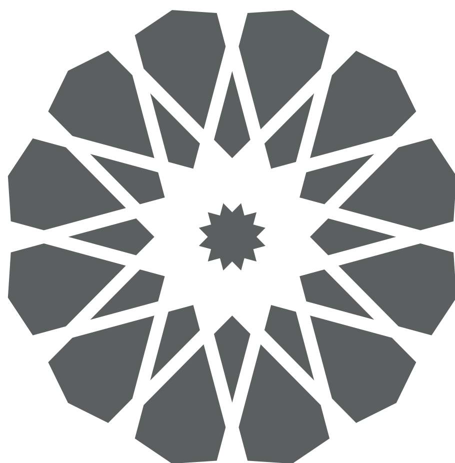
• لَا يُغْضِبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ فِقْهَ الْغَضَبِ، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ الْفَاضِلَة وَالْكَرِيمَةِ؛ عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.



---

(١) «رواه مسلم».

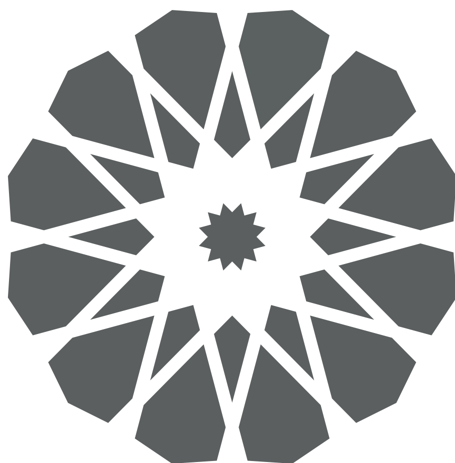


الباب السادس

الأحكام الشرعية الفقهية في العبادات وفقه الأسرة

أولًا: فقه العبادات.

ثانيًا: فقه الأسرة.



التمهيد

- **ويشتمل علىٰ النقاط التالية:**

- تعريف الفقه لغةً واصطلاحًا.

- مصادره.

- موضوعه.

- ثمرته.

- فضله.

- **معنىٰ الفقه لغةً واصطلاحًا:**

- **الفقه في اللغة**: الفهم، ومنه قول الله تعالىٰ عن قوم شعيب: ﴿مَا نَفۡقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هُود: ٩١]. وقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

- **والفقه في الاصطلاح**: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وقد يطلق الفقه علىٰ الأحكام نفسها.

- **مصادر الفقه «الأساسية»:**

(١) القرآن الكريم.

(٢) السُّنة المطهرة.

(٣) الإجماع وهو اتفاق علماء المسلمين في عصر من العصور علىٰ حكم شرعي بعد وفاة النبي ﷺ.

(٤) القياس، وهو إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة بينهما، كإعطاء الحشيش حكم الخمر من التحريم للاتفاق بينهما في علة الإسكار.

- **موضوع الفقه:**

موضوع الفقه أفعال المكلفين من العباد علىٰ نحوٍ عام وشامل؛ فهو يتناول علاقات الإنسان مع ربه، ومع نفسه، ومع مجتمعه.

ويتناول الأحكام العملية، وما يصدر عن المكلف من أقوال، وأفعال، وعقود وتصرفات. وهي علىٰ نوعين:

الأول: أحكام العبادات: من صلاة، وصيام، وحج، ونحوها.

الثاني: أحكام المعاملات: من عقود، وتصرفات، وعقوبات، وجنايات، وضمانات وغيرها مما يقصد به تنظيم علاقات الناس بعضهم مع بعض.

- **وهذه الأحكام يمكن حصرها فيما يلي:**

(١) **أحكام الأسرة من بدء تكوينها إلىٰ نهايتها.** وتشمل: أحكام الزواج، والطلاق، والنسب، والنفقة، والميراث ونحوها.

(٢) **أحكام المعاملات المالية (المدنية)**: وهي المتعلقة بمعاملات الأفراد، ومبادلاتهم من: بيع، وإجارة، وشركة ونحوها.

(٣) **الأحكام الجنائية**: وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم وتعديات، وما يستحقه عليها من عقوبات.

(٤) **أحكام المرافعات والقضاء**: وهي المتعلقة بالقضاء في الخصومات، والدعوىٰ، وطرق الإثبات ونحوها.

(٥) **الأحكام الدولية**: وهي التي تتعلق بتنظيم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم والحرب، وعلاقة غير المسلمين المواطنين بالدولة.

وتشمل الجهاد والمعاهدات.

• ثمرة علم الفقه:

معرفة الفقه، والعمل به، تثمر صلاح المكلف، وصحة عبادته، واستقامة سلوكه.

وإذا صلح العبد صلح المجتمع، وصارت النتيجة في الدنيا السعادة والعيش الرغد، وفي الأخرىٰ رضوان الله وجنته.

• فضل الفقه في الدين والحث علىٰ طلبه وتحصيله:

إنَّ التفقه في الدين من أفضل الأعمال، ومن أطيب الخصال. وقد دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة علىٰ فضله، والحث عليه. منها: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١)، فقد رتب النبي ﷺ الخير كله علىٰ الفقه في الدين، وهذا ممَّا يدل علىٰ أهميته، وعظم شأنه وعلوّ منزلته، وقوله ﷺ: «**الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»(٢).

(١) رواه «البخاري»، برقم: (٧١)، و«مسلم»، برقم: (١٠٣٧).

(٢) رواه «البخاري»، برقم: (٣٣٨٣)، واللفظ له، و«مسلم»، برقم: (٢٦٣٨).

فالفقه في الدين منزلته في الإسلام عظيمة، ودرجته في الثواب كبيرة؛ لأنَّ المسلم إذا تفقه في أمور دينه، وعرف ما له، وما عليه من حقوق وواجبات، يعبد ربه علىٰ علم وبصيرة، ويُوَفَّق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

أثر التفقه في قبول العمل:

حيث يُشترط لقبول العمل: الإخلاص والمتابعة، فإن التفقه في دين الله هو وسيلة الإخلاص لله في العمل، وطريق المتابعة للرسول ﷺ، لأن الفقه في الدين يحمي العامل من أن يتوجه بعمله لغير الله، ويضمن له العمل الصحيح، فيخلص لله في جميع أعماله، ويؤدي عبادته، ويتعامل مع غيره علىٰ وفق ما جاء عن رسول الله ﷺ من القرآن الكريم والسنة المطهرة، فتكون أعماله لله، مبنيّة علىٰ تعاليم الإسلام وآدابه.



أحكام الطهارة

* **الطهارة**: **لغة**: النظافة والخلاص من الأوساخ والأدناس.

شرعًا: زوال المانع الذي تسبب الحدث أو الدنس في وجوده.

والطهارة علىٰ قسمين:

١- **طهارة معنوية**؛ أي: طهارة القلب من الشرك والمعاصي، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[1] [التوبة: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]

٢- **طهارة حسية**؛ أي: رفع الحدث، وزوال الخبث. والخبث هو النجاسة، والتي يتوجب إزالتها لأداء العبادة، كخلوها من بدن المصلي، وثوبه، ومكانه.

* **والحدث -فقهيا- هو**: وصف يوصف به البدن؛ يمنع من الصلاة ونحوها من سائر العبادات التي يشترط لها الطهارة. **وهو نوعان**:

- **حدث أصغر**: وهو ما يجب له الوضوء لإزالته؛ كالبول، والغائط، والريح.

- **حدث أكبر**: وهو ما يلزم له الغسل لزواله والتخلص منه؛ كالجنابة، والحيض، والنفاس.

---

(١) المراد نجاسة الاعتقاد أو اجتنابهم كالنجس، لا نجاسة الأبدان.

أقسام الماء:

الأصل في المياه الطهارة، والماء ثلاثة أقسام:

(١) طَهُور: وهو الماء الطاهر في نفسه، والمطهر لغيره، ويكون باقيا علىٰ أصل خلقته التي نشأ عليها[١]: كماء المطر، والبرد، وذوب الثلج، والأنهار، والعيون، والآبار، والبحار. وهذا النوع يجوز استعماله في الطهارة والشرب. قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقوله ﷺ عن ماء البحر: «**هو الطَّهورُ ماؤهُ، الحلُّ ميتتُه**»[٢].

• ويلحق به الباقي علىٰ أصل خلقته حكمًا، مثل الماء الطهور الذي تغير بمكثه، وبما يمر به، وبما يقع فيه مما يشق صون الماء عنه كورق الشجر، وبما ينبت فيه من الطحلب، والمسخن بالشمس أو بطاهر.

• وما تغير بغير ممازج كقطع كافور أو سخن بنجاسة أو بماء بمقبرة أو ماء زمزم لإزالة النجس= فهو طهور إلا أنه مكروه.

• والطهور المغصوب أو غير بئر الناقة من آبار ثمود هو طهور لكن يحرم استعماله في رفع حدث ويجوز إزالة النجس به.

(٢) طاهر: **هو** الماء الطاهر في نفسه لم تلحق به نجاسة، لكنه غير مطهر لغيره؛ كالماء الذي اختلط بشيء آخر طاهر لا يلازمه في العادة، كالخل والشاي، أو الذي استخدم في إزالة حدث ما، كالماء المستعمل في وضوء أو غسل، وهذا النوع لا يجوز استعماله في الطهارة من الحدث ولا في إزالة النجس.

---

(١) **إما حقيقة**: بأن لم يطرأ عليه شيء ولم يتغير، **وإما حكمًا**: بأن يكون قد تغير ولكن بما لم يسلبه الطهورية. ولا يرفع الحدث ولا يزيل الخبث غير الماء الطهور.

(٢) أخرجه أبو داود (**٨٣**).

(٣) نجس: الماء القليل الذي خالطته نجاسة ما (بول، أو غائط، أو ميتة، أو دم) حتىٰ ولو لم تُغير النجاسة أحد أوصافه، أو الكثير الذي وقعت فيه نجاسة غيرت أحد أوصافه.

وضابط الكثرة: أن يبلغ الماء قلتين والقلتان يساويان **١٩١** لترًا وربع اللتر.

(٤) تطهير الماء النجس:

يتم تطهيره بطرق منها:

١- زيادة ماء طهور كثير حتىٰ تزول علة النجاسة منه.

٢- نزح أو التخلص من الكثير من الماء النجس حتىٰ تزول الأوصاف المتغيرة منه.

٣- تنقية مياه الصرف الصحي بالطرق الحديثة؛ حتىٰ لا يبقىٰ فيها طعم ولا لون ولا رائحة.

(٥) ما يحرم علىٰ المُحدث:

* **المحدث حدثًا أكبر أو أصغر يحرم عليه**: مس المصحف وتجوز القراءة بدون مس، الصلاة فريضة كانت أو نافلة؛ لقوله ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ**»[1]، الطواف بالكعبة لقوله ﷺ: «**الطَّوافُ بالبيتِ صلاةٌ، إلّا أنَّ اللهَ أباحَ فيهِ الكلامَ**»[2].

***المُحدث حدثًا أكبر**: مس المصحف وقراءة القرآن، المكث في المسجد بلا وضوء لقوله ﷺ: «**لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ**»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٢٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٢).

أحكام الآنية

الآنية أو الأواني هي: الأوعية التي يحفظ فيها الماء وغيره.

وأحكامها كما يلي:

(١) لا يحرم أي إناء ولو كان ثمينًا إلا آنية الذهب والفضة.

(٢) آنية الذهب والفضة: يحرم استعمالها في الأكل والشرب والطهارة وأي استعمال آخر؛ لما رواه البخاري ومسلم عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: «**وَلَا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، ولَا تَأْكُلُوا في صِحَافِهَا . . .**»، وقوله ﷺ: «**الَّذِي يَشْرَبُ في إناءِ الفِضَّةِ إنَّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ**»[١].

(٣) ويحرم ما كان مضببًا بهما إلا ضبة يسيرة من فضة تم اتخاذها لحاجة غير الزينة كأن تكون لُحمة مكان كسر.

(٤) يصح التطهر من ماء في إناء ذهب أو فضة علىٰ الراجح من أقوال أهل العلم؛ لعدم وجود علاقة بين الطهارة وبين تحريم الإناء، فالإناء ليس من شروط الوضوء حتىٰ تتوقف صحة الوضوء علىٰ استعماله.

(٥) آنية الكفار الذين لا يعرف عنهم استعمال الأشياء النجسة في أطعمتهم، فجميع آنيتهم مباحة، وكذلك ثيابهم ولو لامست عوراتهم، ما لم تعلم نجاستها، لحديث جابر رضي الله عنه قال: «كنَّا نغزو معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ،

---

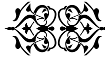
(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤).

فنُصيبُ من آنيةِ المشرِكينَ وأسقيتِهِم، فنَستمتِعُ بِها فلا يعيبُ ذلِكَ عليهِم»[١].

(٦) آنية الكفار الذين يعرف عنهم التعامل مع الأشياء النجسة في أوانيهم؛ فالأولىٰ التنزه عنها، لكن إذا لم يجد غيرها فيغسلها ويستخدمها، لحديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن وجدتُمْ غيرَ آنيَتِهم فلا تأكُلوا فيها. فإن لم تجِدوا فاغسِلوها وَكُلوا فيها**»[٢].

(٧) وإذا كانت الآنية من جلد فليُعلم أنه لا يطهر جلد ميتة بدباغ، فلا يجوز اتخاذ جلدها ظرفًا للماء، وما دبغ من جلدها يجوز استعماله في اليابسات فحسب.

(٨) وجلد الميتة وعظمها وظفرها نجس، أما الشعر والصوف فلا ينجس طالما تم أخذه بالمقراض لا بالنزع لأنه مع النزع يخرج شيء من لحمها ودمها وهما نجسان.



(١) أخرجه أبو داود (٣٨٣٨) واللفظ له، وأحمد (١٥٠٥٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٤٧٨) بنحوه.

أحكام قضاء الحاجة

(١) **الاستنجاء لغة**: من نجوت الشجرة أي قطعتها، والمراد به **شرعًا**: إزالة ما خرج من السبيلين (كالبول والغائط) بماء طهور، أو إزالة ما في حكمه بطريقة أخرىٰ كالاستنجاء بحجر ونحوه أو بخِرقة نظيفة. والاستنجاء ليس واجبًا علىٰ الفور، وإنما يجب إذا أراد الصلاة ونحوها فقط.

(٢) يشترط لصحة الاستنجاء:

١- أن يكون بسبع غسلات.

٢- أن تنقي تلك الغسلات محل الفرج قُبُلًا كان أو دُبُرًا.

٣- وأن يكون بماء طهور.

• **الاستجمار**: إزالة أثر الخارج من القبل أو الدبر بحجارة ونحوها، من ورق أو قماش أو مناديل، ويسن أن يكون الاستجمار وترًا لقوله ﷺ: «**من استجمر فليوتر**» **متفق عليه.**

• **وضابط الإنقاء في الاستجمار**: أن يتبقىٰ أثر لا يزيله إلا الماء. **وضابط الإنقاء بالماء**: أن يعود المحل خشنًا نظيفا كما كان، مع العلم بأن ظن إنقاؤه كاف لإتمام التطهر.

(٣) آداب قضاء الحاجة:

- يستحب له أن يقول عند إرادة الدخول **للخلاء**: «**باسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث**» لحديث: «**سَتْرُ ما بينَ أَعْيُنِ الجِنِّ وعَوْرَاتِ**

بَنِي آدمَ إذا دخلَ أحدُهُمْ الخلاء أنْ يقولَ: بسمِ اللهِ»[١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ: إذا دخل الخلاء قال: «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»، وعند الخروج أن يقول: «**غفرانك**»، أو «**الحمد لله الذي أذهب عني الأذىٰ وعافاني**».

- يستحب تغطية الرأس، ولبس النعل.

- ويستحب أن يقدم رجله اليسرىٰ عند الدخول واليمني عند الخروج، علىٰ قاعدة الشرع في تقديم اليمنىٰ في باب التكريم، واليسرىٰ في عكس ذلك.

- يعتمد علىٰ رجله وقدمه اليسرىٰ - بأن يكون باطنها ملاصقا للأرض - وينصب اليمنىٰ: بأن يقيمها علىٰ أطراف أصابعها ويرفع باطنها عن الأرض حال جلوسه؛ لأنه أسهل لخروج الخارج، وقد ثبت طبيًا أنه يسهل خروج الغائط.

- يُكره أن يدخل بشيء فيه ذكر الله، ويحرم بالمصحف.

- يُكره أن يمس فرجه بيمينه، لقوله ﷺ: «**إذا بال أحدُكم فلا يمَسَّ ذكرَه بيمينِه، وإذا دخل الخلاءَ فلا يتمسَّحْ بيمينِه**»[٢].

- يكره أن يتكلم، لقوله ﷺ: «**لا يَخرُجُ الرَّجُلانِ يضرِبانِ الغائطَ كاشِفَينِ عن عورتِهما يتحدَّثانِ، فإنَّ اللَّهَ تبارك وتعالىٰ يمقُتُ علىٰ ذلِكَ**»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١)، وأحمد (٢٢٧٠٨) باختلاف يسير.

(٣) خلاصة الأحكام للنووي: ١/ ١٥٩.

قضاء الحاجة في الفضاء:

- يستحب البعد عن الناس، والاستتار والتواري.

- ويحرم قضاء الحاجة في الأماكن التي ينتفع الناس بها لقوله ﷺ: «**اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قالوا: وَما اللَّعَّانَانِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: الذي يَتَخَلَّىٰ في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ**»[1].

- يكره استقبال القبلة حال الاستنجاء أو الاستجمار، ولكن لا يكره استدبارها، ويحرم استقبال القبلة أو استدبارها أثناء قضاء الحاجة؛ لقوله ﷺ: «**إذا أَتَيتُمُ الغائِطَ فلا تَستَقبِلوا القِبلةَ بغائِطٍ ولا بَولٍ، ولكنْ شَرِّقوا أو غَرِّبوا**» متفق عليه.

والراجح من الأقوال: أنه يكفيه أن ينحرفَ عن القِبْلةِ ولو يَسيرًا، ويكفي الحائلُ ولو بإرخاءِ ذَيله -أي مؤخرة ثوبه الذي عليه- في الصحراءِ مثلًا، ولا يَحْرُم الاستقبالُ ولا الاستدبارُ في البُنْيانِ.

- يجب التحرز من رشاش البول.

(٤) **أحكام الانتهاء من قضاء الحاجة:** تنظيف المخرج بالاستنجاء بالماء، أو الاستجمار بالأحجار وما يقوم مقامها كالورق الخشن ونحوه، ويشترط فيه ثلاث مسحات منقية فأكثر، فيضع إصبع يده اليسرىٰ الوسطىٰ تحت الذكر والإبهام فوقه، ويمسح، ويفعل هذا ثلاثًا. وبعبارة أكثر بيانا: يبدأ المسح من الدبر إلىٰ الأنثيين (الخصيتين)، ثم يمسح بإصبع يده اليسرىٰ الوسطىٰ .. إلخ كما تقدم، وهي مفيدة لمن به سلس البول المتقطع.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٩).

ولا يجوز الاستجمار بالعظم ولا بالرجيع لقوله ﷺ: «**لا تستنْجُوا بالرَّوْثِ، ولا بالعِظامِ، فإِنَّهُ زادُ إخوانِكمْ من الجِنِّ**»[(١)].



(١) رواه الترمذي (١٨).

خصال الفطرة

خصال الفطرة هي الأفعال التي ترد المسلم إلىٰ الفطرة التي خلقه الله عليها من التنظف والزينة، ومنها:

(١) **السواك**: اسم للعود الخشبي الذي يتسوك به، ويطلق السواك أيضًا علىٰ الفعل نفسه أي دلك الفم بالعود لإزالة تغيراته ورائحته، ويسمىٰ بالتسوك كما في كتاب الكشاف.

وهو مستحب عند كل صلاة، فرضًا كانت أو نافلة، وعند الانتباه من النوم، وتغير رائحة الفم، وعند دخول المسجد والمنزل؛ لقوله ﷺ: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**»(١). إلا أنه يكره للصائم بعد الزوال (دخول وقت صلاة الظهر والعصر) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ**»(٢). وقبل الزوال: يسن للصائم السواك بعود يابس، ويباح برطب (وهذا في أول النهار حيث لم تتكون بعد رائحة خلوف فم الصائم التي يكره تغييرها).

ويسن أن يمسك السواك باليد اليسرىٰ. ويكون السواك في ثلاثة أمور -علىٰ المذهب-: علىٰ الأسنان واللثة واللسان، أما الأسنان: فإنه يستاك بالعرض خلافًا لما يقوله أهل الطب الآن، ويبتدئ بجانب فمه الأيمن، وأما اللسان: فيستاك بالطول.

---

(١) صحيح ابن حبان (١٠٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤).

(٢) الاستحداد: (حلق العانة) وهي الشعر النابت حول الفرج، وقص الشارب أو حفه، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وغسل البراجم. لقول أنس رضي الله عنه قال: «**وَقَّت لنا رَسولُ اللهِ ﷺ حَلْقَ العانةِ، وتَقليمَ الأظفارِ، وقَصَّ الشَّارِبِ، ونَتْفَ الابْطِ- أربعينَ يومًا مَرَّةً**»[١]، وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ» قَالَ مُصْعَبٌ: «وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ**»[٢].

(٣) إعفاء اللحية: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ: وَفِّرُوا اللِّحَىٰ، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ: «**إِذَا حَجَّ أَوِ اعْتَمَرَ قَبَضَ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ، فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ**»[٣].

(٤) الختان: يكون في الذكر: بأخذ جلدة الحشفة، وختان الأنثىٰ: يكون بأخذ جلدة فوق محل الإيلاج تشبه عرف الديك، وليس هو الأخذ من البظر كما يُتوهم، وذلك للحديث: «**إِذَا الْتَقَىٰ الْخِتَانَانِ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**»[٤]، وفيه دليل علىٰ أن النساء كن يختتن. والختان واجب علىٰ الذكر والأنثىٰ، وفي المذهب قول باستحبابه للأنثىٰ.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٢).
(٤) صحيح ابن ماجه (٦٠٨).

الوضوء

(١) **معنىٰ الوضوء**:

الوضوء لغة: مشتق من الوضاءة، وهي الحسن والنظافة.

وشرعًا: استعمال الماء في الأعضاء الأربعة -وهي الوجه واليدان والرأس والرجلان- علىٰ صفة مخصوصة في الشرع، علىٰ وجه التعبد لله تعالىٰ.

(٢) **حكمه**: واجب علىٰ المحدث إذا أراد الصلاة وما في حكمها من العبادات، كالطواف ومس المصحف. لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ﴾ [المائدة: ٦].

(٣) **شروطه**: الإسلام، العقل، التمييز، النية، أن يكون الماء مباحًا، وأن يكون طاهرًا، وأن يزال ما يمنع من وصول الماء إلىٰ الجلد.

(٤) **فروضه**: غسل الوجه مع المضمضة والاستنشاق، غسل اليدين مع المرفقين، مسح بعض الرأس، غسل الرجلين مع الكعبين، مع ترتيبهم؛ [لأن الله تعالىٰ ذكر أحكام الوضوء في كتابه مرتبة، وهكذا رسوله ﷺ ذكرها مرتبة]، والموالاة؛ بأن لا يؤخر غسل عضو حتىٰ ينشف الذي قبله.

(٥) سننه:

- **استقبال القبلة**

- **السواك**؛ لقوله ﷺ: «**لولا أن أشُقَّ علىٰ أمتي لأمرْتُهم بالسواكِ مع كلِّ وضوءٍ**»(١).

- **البُدَاءَةُ**؛ أن يبدأ بغسل يديه إلا أن يكون قائما من نوم بليلٍ.

- **التسمية**؛ لقوله ﷺ: «**ولا وضوءَ لمَن لَم يذكرِ اسمَ اللَّهِ عليهِ**»(٢).

- **غسل الكفين ثلاثًا قبل البدء في الوضوء**؛ عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَىٰ عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ، رَأَىٰ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَىٰ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مِرَارٍ، فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ.

• والقائم من نوم ليل ناقض لوضوء يجب عليه غسل يديه ثلاثًا بنية وتسمية قبل غمسها في الإناء فإن لم يفعل أثم وصار الماء الذي في الإناء طاهرًا غير طهور، وهذا الغسل غير غسلها ثلاثًا الذي هو من سنن الوضوء.

- **المضمضة والاستنشاق قبل غسل الوجه**؛ لقوله: «فَمَضْمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا».

- **المبالغة في الاستنشاق**؛ لحديث: «**بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**».

- **تخليل شعر اللحية الكثيفة بالماء**؛ عَنْ أَنَسٍ يَعْنِي ابْنَ مَالِكٍ، «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا تَوَضَّأَ، أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ فَأَدْخَلَهُ تَحْتَ حَنَكِهِ فَخَلَّلَ بِهِ لِحْيَتَهُ**»، **وَقَالَ**: «**هَكَذَا أَمَرَنِي رَبِّي** ﷻ».

---

(١) الألباني: صحيح الجامع: (٥٣١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥)، وأحمد (٢٧١٤٥) واللفظ له.

- **التيامن**؛ لحديث عائشة ﵂: «كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله».

- **الزيادة علىٰ الغسلة الواحدة إلىٰ ثلاث غسلات في الوجه واليدين والرجلين**؛ فقد ثبت أن النبي ﷺ توضأ مرة مرة، ومرتين مرتين.

- **الذكر بعد الوضوء**؛ قَالَ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أَوْ فَيُسْبِغُ- الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**».

- **رفعُ بَصَرِه إلىٰ السَّمَاءِ**، وقولِ مَا وَرَدَ وهو: «**ما منكم من أحدٍ يتوضَّأُ فيُحسنُ الوضوءَ، ثم يقولُ: أشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، اللَّهمَّ اجعلْني من التَّوابين، واجعلني من المتطهِّرين، إلَّا فُتِحَتْ له أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ، يدخلُ من أيِّها شاء**»[(١)].

(٦) نواقضه:

- كل ما خرج من السبيلين كالبول، الغائط، الريح، المني، المذي، الحيض، النفاس؛ قال تعالىٰ: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ [المائدة: ٦]. وقوله ﷺ: «**لا يقبلُ اللَّهُ صلاةَ أحدِكُم إذا أحدَثَ حتَّىٰ يتوضَّأ**»[(٢)].

- اليسير الذي يخرج من غير السبيلين عدا البول والغائط فينقضان الوضوء من أي مكان خرجا.

- زوال العقل، والنوم. **ويستثنىٰ من النوم**: ما عُدَّ نومًا يسيرًا عُرفًا سواء أكان قائمًا أو قاعدًا، فلا ينقض، ما لم يكن القائم والقاعد مستندًا أو متكئًا أو محتبيًا فينقض حتىٰ لو كان يسيرًا. وينقضه أيضا: الإغماء؛

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤).

(٢) رواه أبو داود: (٦٠).

الجنون؛ فَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَنْ لاَ نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ، إِلاَّ مِنْ جَنَابَةٍ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ»(١).

- أكل لحم الإبل؛ لحديث: «**من أكل لحم جزور فليتوضأ**».

- الردة؛ وهي ما يخرج به صاحبُه عن الإسلام نطقًا كان أو اعتقادًا أو شكًا.

- ومس فرج آدمي متصل، أو حلقة دبره بيد.

- مس المرأة لبشرة الرجل والعكس بغير حائل.

(٧) ما يحرم فعله علىٰ المحدث حدثًا أصغر:

ويحرم علىٰ المحدث مس المصحف بغير حائل والصلاة والطواف.



(١) رواه الترمذي: (٩٦).

المسح على الخفين

(١) معنىٰ الخف:

الخف هو: ما يلبس في الرجل من جلد رقيق ونحوه: كالجوربين **وهما**: ما يلبس علىٰ القدمين من غير الجلد، ويكون ساترًا للكعبين فأكثر.

(٢) مشروعية المسح علىٰ الخفين:

- يجوز المسح علىٰ الخف لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المَائِدَة: ٦] علىٰ قراءة الجر للمسح علىٰ الخفين.

- تواترت الأحاديث بذلك عن النبي ﷺ، فقد ورد فيه أربعون حديثًا.

(٣) وهي رخصة يستحب الأخذ بها، ومن أحكامه:

١- **مدته**: يوم وليلة للمقيم ومن سافر سفرا لا يباح له فيه أن يقصر الصلاة، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر سفرا يقصر فيه. وتبدأ مدة المسح من أول حدث يحدثه بعد لبس الخف أو الجورب، فالمسح -علىٰ المذهب- يبدأ من الحدث بعد اللبس، فلو لبس خفه فجرًا ثم أحدث الساعة العاشرة وتوضأ ظهرًا، فإن مدة المسح تبدأ من الساعة العاشرة إلىٰ مثلها في اليوم الثاني. عَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ، «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ فِي الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ**». وإن مسح في سفر ثم أقام، أو فعل عكس ذلك بأن يكون مقيما ثم سافر، ففي الحالتين يأخذ في المسح حكم المقيم.

٢- شروطه:

١) أن يكون الخفان طاهرين: فإن كانا نجسين فإنه لا يجوز المسح عليهما، **ودليل ذلك:** «أن رسول الله ﷺ صلىٰ ذات يوم بأصحابه وعليه نعلان، فخلعهما أثناء صلاته، وأخبر أن جبريل أخبره بأن فيهما أذىٰ أو قذرًا». رواه الدارمي، وفيه دلالة علىٰ أنه لا تجوز الصلاة فيما فيه نجاسة.

٢) أن يكون ساترًا للرجل مغطيًا لما يجب غسله.

٣) أن يلبس علىٰ طهارة من الحدث؛ لقول النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «**دعهما -أي الخفين- فإني أدخلتهما طاهرين**».

٤) أن يكون الجورب صفيقًا ساترًا للرجل.

٥) أن يكون مسحهما في الحدث الأصغر لا الأكبر؛ لقول صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْرًا أَوْ مُسَافِرِينَ أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ**».

٦) أن يكون المسح في الوقت المحدد شرعًا؛ فَعَنْ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ فِي الْمَسْحِ عَلَىٰ الْخُفَّيْنِ لِلْمُقِيمِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلِلْمُسَافِرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ**».

٧) أن يكون الخف أو ما في حكمه ثابتا بنفسه، لا بالشد أو الربط، ويصح المسح علىٰ جورب يثبت بنعلين، لكن لا ينزع النعلين وإنما يمسح عليهما، فإن نزع نعليه بطل وضوؤه. فعَنْ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَسَحَ عَلَىٰ الْجَوْرَبَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ**».

(٤) المسح علىٰ العمامة والجبيرة: جائز كالخف بشرط أن تكون العمامة ساترة للرأس، سواءا كانت محنكة أو ذات ذؤابة (شكلان لربط

ولف العمائم)، فَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: «**بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَأَصَابَهُمُ الْبَرْدُ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ شَكَوْا إِلَيْهِ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَرْدِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْسَحُوا عَلَىٰ الْعَصَائِبِ وَالتَّسَاخِينِ**».

- **وأن توضع الجبيرة علىٰ طاهرة وألا تجاوز موضع الحاجة.**

- **ملحوظة**: يمسح علىٰ الخفين والعمامة في الطهارة من الحدث الأصغر، أما في الأكبر فلا بُدّ من الغسل، والجبيرة يُمسح عليها في الحدثين الأصغر والأكبر.



الغُسل

(١) معنىٰ الغسل:

الغسل لغة: سيلان الماء علىٰ البدن مع الدلك.

شرعًا: إفراغ الماء الطهور علىٰ جميع البدن بنية رفع الحدث.

(٢) موجبات الغسل:

١- **خروج المني من الذكر والأنثىٰ حال النوم أو اليقظة بلذة**؛ لقول النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ**»، ولحديث: أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: «قَالَتْ أُمُّ سُلَيْم يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**». فإن كان يقظة بدون لذة فلا غسل فيه.

٢- **الإيلاج ولو لم يحدث إنزال**؛ لقول رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**».

٣- **الموت**؛ عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَتِ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: «**اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا -أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ- فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي**»، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ، فَقَالَ: «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**» تَعْنِي إِزَارَهُ.

٤- **الحيض**؛ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي حُبَيْشٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لاَ أَطْهُرُ، أَفَأَدَعُ الصَّلاَةَ؟ فَقَالَ لَهَا

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا ذلِكَ عِرْقٌ، وَلَيْسَ بِالْحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ فَاتْرُكِي الصَّلاَةَ. فَإِذَا ذَهَبَ قَدْرُهَا، فَاغْسِلِي الدَّمَ عَنْكِ وَصَلِّي**».

٥- **النفاس**؛ وهو نوع من أنواع الحيض؛ ولهذا أطلق النبي ﷺ اسم النفاس علىٰ الحيض؛ بقوله لعائشة رضي الله عنها لما حاضت «**مَا لَكِ؟ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ**».

٦- **إسلام الكافر علىٰ خلاف بين أهل العلم**؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ثمامة بن أثال رضي الله عنه لما أسلم أَمَرَهُ النبي ﷺ أَنْ يَغْتَسِلَ فَاغْتَسَلَ، وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ.

٧- **بعد تغسيل الميت**؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، فَلْيَغْتَسِلْ**».

٨- **من أفاق من إغماء**؛ عَنْ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: حَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَثَقُلَ، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَأَفَاقَ، فَقَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ؟**»، قَالَتْ: فَفَعَلْنَا، قَالَتْ: فَاغْتَسَلَ، فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «**ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ**»، فَاغْتَسَلَ.

٩- **من أفاق من جنون**؛ قياسًا علىٰ الإغماء؛ فإذا شرع الاغتسال للإغماء؛ فالجنون من باب أولىٰ.

(٣) صفة الغسل:

١- النية.

٢- غسل كفيه ثلاثًا.

٣- غسل الفرج.

٤- الوضوء، كوضوئه للصلاة.

٥- الحثو علىٰ رأسه ثلاثًا وتخليل أصول شعره.

٦- تعميم البدن بالماء بدءًا بالشق الأيمن، ثم الأيسر.

٧- وتنقض المرأة شعرها (في الحيض والنفاس وليس في الجنابة) إذا استوعبت وروت منابته.

والأصل في ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَىٰ شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي أُصُولِ الشَّعْرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ أَنْ قَدْ اسْتَبْرَأَ حَفَنَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ثَلَاثَ حَفَنَاتٍ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَىٰ سَائِرِ جَسَدِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ».

(٤) سنن الغسل:

- **في غسل يوم الجمعة**: يسن من طلوع الفجر لذَكَرٍ يحضر الصلاة، لا لأنثىٰ؛ وعليه فهو مسنون لصلاة الجمعة لا لليوم فقط فمن لم يغتسل قبل الصلاة فلا يسن له الاغتسال بعدها؛ لأنها سنة فات محلها. والأفضل: أن يغتسل عند المضي إلىٰ صلاة الجمعة، ومن الجماع.

- **غسل العيد**: يسن الاغتسال لصلاة العيد في يومه لحاضر الصلاة إن صلىٰ، ويشمل الأنثىٰ والذكر.

- ويسن الغسل أيضا عند الكسوف، والاستسقاء، والجنون والإغماء لا احتلام فيهما، والاستحاضة (عند كل صلاة)، والإحرام، ودخول مكة وحرمها، وعند الوقوف بعرفة، وفي طواف الزيارة، وطواف الوداع، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار، **ويجمع بينها أنها مواطن يجتمع فيها الناس فيُجتنب إيذاؤهم.**

- ويسن التوضؤ بالمد (قدر ملء الكف بالماء)، والاغتسال بصاع (قدر أربعة أمداد).

التيمم

(١) معنىٰ التيمم:

التيمم لغة: القصد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

التيمم شرعًا: مسح الوجه واليدين بصعيد (تراب) علىٰ وجه مخصوص تعبدًا لله تعالىٰ، لحديث: «**وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»[١]، وحكم التيمم علىٰ المذهب: عزيمة، فيجوز في سفر المعصية. وهو مبيح لفعل العبادة، ولكن لا يرفع الحدث، بل إن نوىٰ رفع حدثه لم يصح تيممه.

(٢) أسبابه:

١- إذا عدم الماء، أو كان الماء قليلًا واحتاج إليه لشرب أو حاجته إليه لعطش حيوان محترم.

٢- إذا كان يتضرر باستعمال الماء، أو عجز عن استعمال الماء لمرض ونحوه.

والدليل؛ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]. ولحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إنَّ الصعيدَ الطيبَ طهورُ المسلمِ وإن لم يجدِ الماءَ عشرَ سنين فإذا وجد الماءَ فليمسَّه بشرتَه فإن ذلك خيرٌ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٤٢).

(٢) صحيح الترمذي (١٢٤).

٤- إذا كان الجو باردًا ولا سبيل إلىٰ تدفئته؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

(٣) صفته: يضرب الأرض بيديه مفرجتي الأصابع ضربة واحدة، ثم يمسح وجهه بباطن أصابعه، ويمسح كفيه براحتيه ويعمم الوجه والكفين بالمسح.

(٤) شروط التيمم: يصح التيمم بأربعة شروط:

(الأول) كونه بتراب فلا يصح برمل مثلًا، ويشترط في هذا التراب أربعة شروط:

١- كونه طهورًا، فلا يصح بما تُيمم به، أي: ما تساقط بعد التيمم من أعضاء التيمم، **٢**- كونه مباحًا، فلا يصح بمغصوب، **٣**- أن يكون له غبار يعلق باليد. **٤**- غير محترق.

(الثاني) أن يعدم الماء حسًا بفقده، أو حكمًا بأن يجده لكن لا يستطيع استعماله.

(الثالث) دخول وقت الفرض، أو إباحة غيره كصلاة الضحىٰ، فهي طهارة ضرورة. فلا يصح التيمم لصلاة حاضرة ولا لصلاة عيد ما لم يدخل وقتُهما، ولا لفائتة إلا إذا ذكرها وأراد فعلها، ولا لكسوف قبل وجوده، ولا لاستسقاء ما لم يجتمعوا، ولا لجنازة إلا إذا غُسِّل الميت أو يمم لعذر، ولا لنفل يصلىٰ في وقت النهي.

(الشرط الرابع) طلب الماء في متاعه ورحله وما قرُب منه عادة ومن رفيقه ما لم يتحقق من عدمه. وهذا الشرط مقيد: بكونه بعد دخول وقت الصلاة، ومقتضىٰ الشرط أنه إن نسي قدرته عليه وتيمم أعاد.

(٥) فروضه:

١- النية.

٢- مسح الوجه.

٣- مسح الكفين، اليمين أولًا، ثم الشمال لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٣]، وفي حديث عمار رضي الله عنه: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا. ثم ضرب بيديه ضربة واحدة ثم مسح الشمال علىٰ اليمين، وظاهر كفيه ووجهه».

٤- الترتيب: لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾ [النِّسَاءِ: ٤٣] فقدم الوجه علىٰ اليدين.

٥- الموالاة: بأن لا يؤخر مسح اليدين بحيث يجف الوجه لو كان مغسولًا.

- **ملحوظة:** من وجد ماءًا يكفي بعض طهره، أو كان به جرح يتضرر بغسله أو مسحه؛ فإنه يغسل ما يكفي الماء ثم يتيمم عن الباقي، ومن عدم الماء والتراب، أو لم يمكنه استعمالهما صلىٰ الفرض فقط، علىٰ حسب حاله ولا إعادة، ويقتصر علىٰ مجزئ. ولا يقرأ في غير صلاة إن كان جنبًا.

(٦) مبطلات التيمم:

١- نفس مبطلات الوضوء، ويزيد عليها:

٢- وجود الماء مع القدرة علىٰ استعماله.

٣- خروج الوقت: أي: يبطل التيمم بخروج وقت التيمم، ويجب عليه الوضوء إن وجد الماء أو يتيمم من جديد.



النجاسات وإزالتها

(١) **النجاسة**: هي كل عين مستقذرة أمر الشارع باجتنابها.

(٢) **أقسامها**: (نجاسة حكمية، نجاسة عينية).

النجاسة الحكمية؛ المراد بها: كل نجاسة جفت وذهب أثرها، ولم يبق لها أثر من لون أو ريح، وذلك مثل بول أصاب ثوبًا ثم جف، ولم يظهر له أثر. وتطهر هذه النجاسة بأي طريقة تزيلها.

النجاسة العينية؛ والمراد بها: أن تكون العين نجسة كالكلب أو الخنزير، وهذه النجاسة لا تطهر أبدًا.

(٣) **كيف يحصل تطهير محل النجاسة:**

ينقسم محل النجاسة إلىٰ قسمين: القسم الأول: نجاسة الكلب تغسل سبع مرات أولاهن بالتراب، ولا يلحق به الخنزير، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، أُولَاهُنَّ بِالتُّرَابِ**».

القسم الثاني: ما عدا الكلب: يجزئ في هذا القسم غسلةٌ واحدةٌ تذهب بعين النجاسة، فإن لم تذهب عين النجاسة بالغسلة الأولىٰ غسلت مرة ثانية وثالثة ورابعة.

وتطهير النجاسات يختلف باختلاف نوعها، وهي ثلاثة أنواع: مخففة، ومتوسطة، ومغلظة. وتطهير النجاسة لا يفتقر إلىٰ نية بل يحتاج إليها.

النجاسة (المخففة): فتطهُر الأرض ونحوها أي: كحيطان وصخور تنجست بمائع -ولو كانت هذه النجاسة من كلب أو خنزير- بغمرها بالماء حتىٰ تزول عين النجاسة، ولا يشترط فيها عدد.

ويلحق بالنجاسة المخففة بول غلام لم يأكل الطعام -غير الحليب- بشهوة أي: باختيار وطلب. أما إذا طلب الطعام وفقده واشتهاه، فإن بوله كسائر النجاسات. ومثل البول القيء يطهر -إن كان الغلام لا يأكل الطعام بشهوة- بغمره بالماء، ولا يشترط العصر ولا تقاطر الماء منه، ولا يشترط فيه عدد.

(تنبيه) بول الغلام نجس، لكن خفف في تطهيره، وهو خاص بالغلام الذكر.

النجاسة (المتوسطة): لا بُدَّ أن تغسل بسبع غسلات حتىٰ يحكم بطهارة المحل كالبول والغائط والدم، وقد قاس الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك علىٰ غسل نجاسة الكلب.

قَالَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي طَائِفَةِ المَسْجِدِ، فَزَجَرَهُ النَّاسُ، «**فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا قَضَىٰ بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ**».

قال النبي ﷺ: «**يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ، وَيُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الْغُلَامِ**».

النجاسة (المغلظة): تغسل سبعًا إحداهن بتراب ونحوه كصابون في نجاسة كلب أو خنزير. والنص إنما ورد في نجاسة الكلب، وقيس عليه الخنزير؛ لأنه أخبث منه. وكون التراب في الغسلة الأولىٰ أولىٰ، ولا يكفي ذر التراب، بل لا بُدَّ من استعمال الماء الطهور معه لكي يوصله إلىٰ المحل النجس، ويشترط أن يستوعب المحل.

ملحوظة: ويعفىٰ عن يسير طين شارع عرفًا إن علمت نجاسته وإلا فطاهر. فيرجع في ذلك إلىٰ العرف، فيعفىٰ عن يسير تيقنت نجاسته، أما مع الشك أو الظن فيحكم بطهارته.



أحكام الحيض والنفاس والاستحاضة

(١) معنىٰ الحيض:

الحيض لغة؛ السيلان.

شرعًا: دم طبيعة وجبلة، يخرج من قعر الرحم في أوقات معلومة، حال صحة المرأة، من غير ولادة.

(٢) سن الحيض: لا حيض قبل تمام تسع سنين؛ لأنه لم يثبت في الوجود لامرأة حيض قبل ذلك، ولا حيض بعد خمسين سنة في الغالب. وأيضًا الحامل لا تحيض-: فلو رأت الحامل دمًا، فهو دم فساد، وأحكامها كالمستحاضة، فتتوضأ لكل صلاة وغير ذلك.

دم الحيض والنفاس نجس باتفاق العلماء، والأدلة علىٰ نجاسته كثيرة منها؛ عَنْ أَسْمَاءَ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: إِحْدَانَا يُصِيبُ ثَوْبَهَا مِنْ دَمِ الْحَيْضَةِ؟ قَالَ: «**تَحُتُّهُ، ثُمَّ لِتَقْرُصْهُ بِالْمَاءِ، ثُمَّ لِتَنْضَحْهُ، ثُمَّ تُصَلِّي فِيهِ**».

(٣) أقل الحيض وأكثره:

أقل الحيض: يوم وليلة.

أكثره: خمسة عشر يومًا في قول أكثر الفقهاء، فما زاد علىٰ خمسة عشر ليس بحيض وإنما هو استحاضة.

غالبه: ستة، أو سبعة أيام. وأقل طهر بين حيضتين ثلاثة عشر، ولا حد لأكثره أي الطهر.

(٤) أحكام النفساء:

النفاس: الدم الخارج من رحم المرأة بسبب الولادة، وهو بقية الدم الذي احتبس في مدة الحمل، وصفته كصفة دم الحيض غالبًا.

أقل مدة النفاس: لحظة أي: دفعة، وقد يمتد أيامًا كثيرة، وأكثره ستون يومًا بلياليها، وغالبه أربعون يومًا بلياليها، فما زاد عليه فهو استحاضة. والدم الذي يخرج قبل الولادة بيومين أو ثلاثة إذا كانت معه علامة علىٰ الولادة كالألم، فإنه يأخذ حكم النفاس إلا أن هذه الأيام لا تحسب من الأربعين.

(٥) ما يحرم علىٰ الحائض والنفساء:

١- **الوطء في الفرج**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقول النبي ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**».

٢- **الصيام**؛ لقول النبي ﷺ: «**أَليسَ إذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ ولَمْ تَصُمْ؟**»[(١)].

٣- **الصلاة**؛ لقول النبي ﷺ: «**فإذا أقبلَتِ الحَيضَةُ فدَعي الصَّلاةَ**»[(٢)].

٤- **الطلاق**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. وقول النبي ﷺ لعمر لما طلق عبد الله امرأته في الحيض: «**مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا، أو حاملًا**».

٥- **الطواف**؛ لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها لما حاضت: «**افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتىٰ تطهري**».

---

(١) صحيح البخاري (١٩٥١).

(٢) صحيح أبي داود (٢٨٢).

٦- **مس المصحف**؛ لقول النبي ﷺ «**لا يمس القرآن إلا طاهر**».

٧- **دخول المسجد واللبث فيه**؛ لأنه ﷺ «كان يدني رأسه لعائشة، وهي في حجرتها، فترجله -أي: تمشطه- وهي حائض».

(٦) الاستحاضة: سيلان الدم من قُبُل المرأة في غير أوانه، فإذا كان الدم ينزل باستمرار، أو أغلب الوقت **فللمستحاضة ثلاث حالات**:

-**من لها عادة معلومة**: تجلس قدر عادتها فتدع فيها الصلاة والصيام، ثم تغتسل وتصلي.

-**من ليس لها عادة معلومة ولها دم متميز**: يعتبر الدم المتميز حيضًا، والباقي استحاضة.

-**من ليس لها عادة معلومة ولا دم متميز**: تحيض ستة أيام، أو سبعة، وتعتبر الباقي استحاضة.



الأذان

(١) معنىٰ الأذان:

الأذان لغة: الإعلام، **شرعًا**: الإعلام بدخول وقت الصلاة أو في حالة قرب دخول وقت الفجر فقط.

والإقامة: مصدر أقام، **شرعًا**: إعلام للقيام إلىٰ الصلاة بذكر مخصوص. والأذان في المذهب أفضل من الإقامة، وهو أيضًا أفضل من الإمامة للحديث: «**الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين**»، رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، فالأمانة أعلىٰ من الضمان، والمغفرة أعلىٰ من الإرشاد.

(٢) حكم الأذان والإقامة:

هما فرض كفاية علىٰ الرجال الأحرار المقيمين للخمس صلوات المؤداة وصلاة الجمعة، والأذان خمس عشرة كلمة، والإقامة إحدىٰ عشرة كلمة.

(٣) شروط صحة الأذان:

١- دخول الوقت.

٢- الترتيب والموالاة.

٣- أن يكون الأذان باللغة العربية، وبالألفاظ التي وردت بها السنة.

(٤) شروط المؤذن:

أن يكون مسلمًا، بالغًا، عاقلًا، ذكرًا، عدلٍ ولو ظاهرًا؛ فلا يصح من الكافر، والمجنون، والسكران، وغير المميز، ولا من المرأة للرجال.

(٥) الصفات المستحبة في المؤذن:

١- أن يكون عدلًا أمينًا؛ لأنه مؤتمن يرجع إليه في الصلاة والصيام.

٢- أن يكون بالغًا، ويصح أذان الصبي المميز.

٣- أن يكون عالمًا بالأوقات؛ ليتحراها فيؤذن في أولها.

٤- أن يكون حسن الصوت.

٥-أن يكون متطهرًا من الحدث الأصغر والأكبر.

٦- أن يؤذن قائمًا مستقبل القبلة.

٨- أن يتمهل في الأذان، ويسرع في الإقامة.

(٦) التثويب:

يستحب أن يقول في أذان الصبح بعد (حَيَّ علىٰ الفلاح): (الصلاة خيرٌ من النوم) مرتين؛ لما روي عَنْ بِلَالٍ، قَالَ: «**أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أُثَوِّبَ فِي الْفَجْرِ، وَنَهَانِي أَنْ أُثَوِّبَ فِي الْعِشَاءِ**».

(٧) متابعة المؤذن:

يستحب لمن سمع النداء أن يقول مثل ما يقول المؤذن؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**».

والصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد فراغه، وقول ما ورد فيقول الدعاء المشهور الذي عند البخاري: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته**».



الصلاة

(١) معنىٰ الصلاة:

الصلاة: لغة: الدعاء. قال تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]

وشرعًا: أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، وهي واجبة، من جحدها كفر، ومن تركها تهاونًا أو كسلًا كفر علىٰ الصحيح من قولي العلماء.

(٢) فضلها:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا**».

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَىٰ الْجُمْعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ**».

(٣) متىٰ فرضت؟

فرضت الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة، وقيل: بستة أشهر.

حكمها: الصلوات الخمس واجبة علىٰ كل مسلم، بالغ، عاقل، ذكرًا كان أو أنثىٰ إلا حائضًا ونفساء.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وبعث النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن فقال له: «**أعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**».

(٤) حكم تاركها:

من ترك الصلاة جاحدًا وجوبها كفر بالإجماع؛ لأنه مكذب بالله ورسوله ﷺ وإجماع الأمة.

أما من تركها كسلًا وتهاونًا مع إقراره بوجوبها ففيه خلاف، والراجح أنه يكفر. **والدليل علىٰ ذلك:**

قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]. وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». وحديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

• ويثبت كفره بأن يدعوه الإمام أو نائبه إلىٰ الصلاة فيستتيبه الداعي ثلاثًا فإن تاب وصلىٰ وإلا ضربت عنقه كفرًا.



أحكام الصلاة

أولًا: شروطها.

١- **النية**: لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**».

٢- **الإسلام**: لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]. فالكفر بالله محبط للأعمال.

٣ - **العقل والبلوغ**: فلا تجب علىٰ المجنون والصبي لقول النبي ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن الصبي حتىٰ يحتلم، وعن المجنون حتىٰ يعقل**».

٤- **الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر**: لقوله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتىٰ يتوضأ**».

٥- **دخول الوقت**: لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. ولحديث جبريل عليه السلام حين أمَّ النبي ﷺ في الصلوات الخمس، ثم قال: الوقت بين هذين.

٦- **ستر العورة**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقوله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**». وقوله ﷺ: «**لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس علىٰ عاتقه منه شيء**».

٧- **اجتناب النجاسة في الثوب والبدن ومكان الصلاة مع القدرة**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وقوله ﷺ: «**تنزهوا عن البول؛ فإن**

عامة عذاب القبر منه»، ولقوله ﷺ لأسماء في دم الحيض يصيب الثوب: «**تحته، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه، ثم تصلىٰ فيه**». ولقوله ﷺ لأصحابه وقد بال الأعرابي في المسجد: «**أريقوا علىٰ بوله سجلًا من ماء**».

٨- **استقبال القبلة**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]. ولقوله ﷺ: «**إذا أقمت الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة**».

ثانيًا: أركانها.

١- **القيام مع القدرة في الفريضة**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله ﷺ: «**صلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ**».

٢- **تكبيرة الإحرام**؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ**».

٣- **قراءة الفاتحة**؛ لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**».

٤- **الركوع في كل ركعة**؛ لقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ﴾ [الحج: ٧٧] ولقوله ﷺ: للمسيء في صلاته: «**ثم اركع حتىٰ تطمئن راكعًا**».

٥- **الرفع من الركوع حتىٰ الاعتدال**؛ ولقوله ﷺ: «**ثم ارفع حتىٰ تعتدل قائمًا**».

٦- **السجود**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْجُدُواْ﴾. ولقوله ﷺ: «ثم اسجد حتىٰ تطمئن ساجدًا».

٧- الرفع من السجود، الجلوس بين السجدتين؛ ولقوله ﷺ: «ثم ارفع حتىٰ تطمئن جالسًا».

٨- التشهد الأخير والجلوس له؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَىٰ فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَىٰ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو».

٩- الصلاة علىٰ النبي ﷺ في التشهد الأخير؛ لقوله ﷺ: قولوا: «اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد».

١٠- التسليم؛ لقوله ﷺ: «وتحليلها التسليم».

١١- الترتيب بين الأركان؛ لأن النبي ﷺ فعلها مرتبة، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي». وعلمها ﷺ المسيء في صلاته بقوله: «ثم» التي تدل علىٰ الترتيب.

١٢- الطمأنينة في جميع الأركان؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّىٰ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا».

ثالثًا: واجباتها.

- التكبيرات غير تكبيرة الإحرام؛ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ، فَيُكَبِّرُ كُلَّمَا خَفَضَ وَرَفَعَ. فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَشْبَهُكُمْ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

- التسبيح في الركوع والسجود؛ لقوله ﷺ: ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، . . .ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ».

- قول سمع الله لمن حمده، قول ربنا ولك الحمد، قول سبحان ربي العظيم مرة واحدة، قول سبحان ربي الأعلىٰ مرة واحدة، قول رب اغفر لي بين السجدتين مرة واحدة، التشهد الأول، الجلوس له.

رابعًا: سننها.

١- رفع اليدين: وهو في أربعة مواضع، مع تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من التشهد، عن ابن عمر: قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ «إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّىٰ يُحَاذِيَ مَنْكِبَيْهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَرْكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ، وَلَا يَرْفَعُهُمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ».

٢- وضع اليمين علىٰ الشمال حال قيامه؛ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ؛ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَىٰ عَلَىٰ ذِرَاعِهِ الْيُسْرَىٰ فِي الصَّلاَةِ.

٣- الاستفتاح؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ سَكَتَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، أَخْبِرْنِي مَا تَقُولُ؟، قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ

خَطَايَايَ كَالثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالْبَرَدِ وَالثَّلْجِ». وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَفْتِحُ صَلَاتَهُ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

٤- التعوذ: قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

٥- **البسملة**: يسن للمصلي قراءة البسملة سرًا قبل الفاتحة، وفي كل قراءة تلىٰ الفاتحة؛ لكن لا يسن الجهر بها عند القراءة في الصلاة.

٦- **التأمين**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

٧- **قراءة ما تيسر بعد الفاتحة**: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فِي كُلِّ صَلَاةٍ قِرَاءَةٌ فَمَا أَسْمَعَنَا النَّبِيُّ ﷺ، أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَىٰ مِنَّا، أَخْفَيْنَاهُ مِنْكُمْ، وَمَنْ قَرَأَ بِأُمِّ الْكِتَابِ فَقَدْ أَجْزَأَتْ عَنْهُ، وَمَنْ زَادَ فَهُوَ أَفْضَلُ».

٨- **الجهر والإسرار بالقراءة**: فيسن الجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء، والإسرار في صلاتي الظهر والعصر. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فِي كُلِّ صَلَاةٍ قِرَاءَةٌ فَمَا أَسْمَعَنَا النَّبِيُّ ﷺ، أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَىٰ مِنَّا، أَخْفَيْنَاهُ مِنْكُمْ».

٩- **قبض الركبتين باليدين مفرجتي الأصابع في الركوع، ومد الظهر، وجعل الرأس في مستواه**: لقوله ﷺ: «**فَإِذَا رَكَعْتَ فَضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْكَ ثُمَّ فَرِّجْ بَيْنَ أَصَابِعِكَ**».

١٠- **مجافاة اليدين عن الجنبين حال الركوع والسجود**: لما جاء في حديث أبي حميد رضي الله عنه قال: «ووتَّرَ يديهِ فَتجافىٰ عن جنبيهِ».

١١- **جلسة الافتراش**: لقول ابن عمر: إنما سنة الصلاة أن تنصب رجلك اليمنىٰ، وتثنىٰ اليسرىٰ.

١٢- **جلسة الإقعاء علىٰ القدمين**: فعن طاوس قال: قلنا لابن عباس في الإقعاء علىٰ القدمين، فقال: هي السنة فقلنا له إنا لنراه جفاءً بالرجل فقال ابن عباس: بل هي سنة نبيك ﷺ.

١٣- **جلسة التورك**: مسنونة في التشهد الأخير في صلاة ذات تشهدين.

١٤- **الإشارة بالسبابة في التشهد**: عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَىٰ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ الْيُسْرَىٰ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ عَلَىٰ رُكْبَتِهِ الْيُمْنَىٰ، وَعَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ».

١٥- **النظر نحو السبابة حال التشهد**: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ رَأَىٰ رَجُلًا، يُحَرِّكُ الْحَصَىٰ بِيَدِهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «**لَا تُحَرِّكِ الْحَصَىٰ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَكِنِ اصْنَعْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ**»، قَالَ: وَكَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ؟، قَالَ: «**فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ عَلَىٰ فَخِذِهِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَمَىٰ بِبَصَرِهِ إِلَيْهَا، أَوْ نَحْوَهَا**» ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ.

١٦- **الدعاء بعد التشهد قبل السلام**: فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عُلِّمَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ، وَجَوَامِعَهُ، وَخَوَاتِمَهُ، فَقَالَ: «**إِذَا قَعَدْتُمْ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَقُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَلْيَدْعُ بِهِ رَبَّهُ** ﷻ».

١٧- **أن يتعوَذ فيقول: «أعُوذُ باللهِ مِن عذابِ جَهَنَّم، ومن عذابِ القَبرِ، ومن فِتنةِ المَحيا والمَمَاتِ، ومِن فتنةِ المسيحِ الدَّجالِ، اللهُمَّ إِنِي أعوذُ بِك مِن المَأثمِ والمَغْرَمِ».**

١٨- الالتفات في التسليم يمينًا ويسارًا: فَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «**كُنْتُ أَرَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ، حَتَّىٰ أَرَىٰ بَيَاضَ خَدِّهِ**».

- **الفرق بين الشرط والركن والواجب:**

- **الشرط**: ما تتوقف الصحة عليه مع الإمكان.

- **الركن**: ما لا يقوم الشيء إلا به، ولا يتحقق بدونه، وذلك مثل: الركوع والسجود والقراءة بالنسبة للصلاة، وتركه يبطل الصلاة، سواء أكان تركه سهوًا أم عمدًا، أو يبطل الركعة التي هو فيه وتقوم التي بعدها مقامها.

- **الواجب**: هو ما أمر الشرع به علىٰ سبيل الجزم؛ ولذلك فإنه يثاب علىٰ فعله ويعاقب علىٰ تركه. وتركه عمدًا يبطل الصلاة، وتركه سهوًا لا يبطلها، ويُجبر بسجود السهو.

خامسًا: مباحات الصلاة.

* **ما يُباح في الصلاة**: لبس ثوب ونحوه، حل شيء ووضعه، فتح الباب، التنبيه علىٰ أمر بالتسبيح للرجل والتصفيق للمرأة، رد السلام بالإشارة لا باللفظ، قتل حية أو عقرب وذلك لضرورة.

سادسًا: مكروهاتها.

١- **الالتفات اليسير بلا حاجة**؛ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الِالْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ؟ فَقَالَ: «**هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ**».

٢- **افتراش الذراعين في السجود**: لقوله ﷺ: «**اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلاَ يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الكَلْبِ**».

٣- **كف الشعر والثوب**: لقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَىٰ سَبْعَةٍ، ولاَ أَكُفَّ شَعَرًا وَلاَ ثَوْبًا**».

٤- **التخصر**: «لنهيه ﷺ: أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا».

٥- **تغطية الفم في الصلاة**: «لنَهَيه ﷺ أَنْ يُغَطِّيَ الرَّجُلُ فَاهُ فِي الصَّلَاةِ».

٦- **تشبيك الأصابع**؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَلَا يُشَبِّكَنَّ يَدَيْهِ، فَإِنَّهُنَّ فِي صَلَاةٍ**».

٧- **كثرة الحركة في الصلاة**: لقوله ﷺ: «**اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ**».

٨- **الصلاة بحضرة الطعام**: لقوله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**».

سابعًا: آداب المشي إلىٰ الصلاة.

المشي بسكينة ووقار، التبكير لإدراك تكبيرة الإحرام، الدخول بالرجل اليمنىٰ وقول: «بسم الله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»، وعند الخروج يقدم رجله اليسرىٰ ويقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» صلاة تحية المسجد، الانشغال بالذكر، سد الفُرج في الصف، والاستقامة فيه.

ثامنًا: مبطلات الصلاة.

١- بطلان الطهارة.

٢- اتصال بالنجاسة بالمصلىٰ، مع العلم بها.

٣- كشف العورة.

٤- استدبار القبلة عمدًا.

٥- الكلام عمدًا؛ فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَهُوَ إِلَىٰ جَنْبِهِ فِي الصَّلَاةِ حَتَّىٰ نَزَلَتْ ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الْكَلَامِ».

٦- الضحك بصوت.

٧- مرور المرأة البالغة أو الحمار، أو الكلب الأسود بين يدي المصلي دون موضع سجوده؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ**».

٨- ترك ركن من أركانها أو شرط من شروطها أو واجب من واجباتها عمدًا بدون عذر.

٩- الأكل والشرب عمدًا؛ قال ابن المنذر: «وأجمعوا علىٰ أن من أكل وشرب في صلاة الفرض عامدًا أن عليه الإعادة».

١٠- تعمد زيادة ركن أو تقديم بعض الأركان علىٰ بعض.

١١- فسخ النية.



وصف رحلة الصلاة

(١) يسن خروجه إلىٰ الصلاة متطهرًا بسكينة ووقار مع قول ما ورد ومنه: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي قبري نورًا . . .**» وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**أن النبي ﷺ خرج إلىٰ الصلاة وهو يقول: اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل فوقي نورًا ومن تحتي نورًا وأعطني نورًا**» رواه مسلم.

(٢) وإذا أقيمت الصلاة يقوم المصلي عند قول المقيم: «**قد قامت الصلاة**».

(٣) وكان رسول الله ﷺ إذا صلىٰ الفريضة استقبل القبلة وهو قائم ورفع يديه حذو منكبيه، ويقول: الله أكبر، ويضع يمينه علىٰ شماله ويجعلهما تحت سرته، ثم يستفتح، ويتعوذ، ويبسمل سرًا ويقرأ الفاتحة، ويقول بعدها آمين، ثم يقرأ سورة، ثم يرفع يديه ويكبر ويخر راكعًا، ويضع يديه علىٰ ركبتيه مفرجتي الأصابع ويسوي ظهره ويقول: سبحان ربي العظيم ثلاثًا وهو أدنىٰ الكمال، ثم يرفع رأسه ويديه معه ويقول: سمع الله لمن حمده، فإذا اعتدل قال: ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، ثم يكبر ويخر ساجدًا ولا يرفع يديه، ويسجد علىٰ سبعة أعضاء: (**الجبهة والأنف واليدين والركبتين وأطراف القدمين**) لا يحول بينها وبين الأرض إلا فُرُش الصلاة المعتادة، فلا تصح الصلاة علىٰ الأثاث.

(٤) ويقول: سبحان ربي الأعلىٰ ثلاثًا وهو أدنىٰ الكمال، ثم يكبر ويرفع، ويفترش رجله ويجلس عليها ويقول: اللهم اغفر لي وارحمني، ثم يكبر ويسجد،

(٥) ثم ينهض مكبرًا معتمدًا علىٰ كلتا ركبتيه بيديه، فإن شق ذلك فيعتمد علىٰ الأرض ثم يأتي بركعة مثلها ولكن من غير النية وتكبيرة الإحرام ودعاء الاستفتاح والتعوذ عند قراءة الفاتحة إن كان قد تعوذ.

(٦) ثم يجلس مفترشًا عند التشهد، ويضع يديه علىٰ فخذيه ويقبض الخنصر والبنصر من يده اليمنىٰ، ويحلق إبهامها مع الوسطىٰ، ثم يشير بالسبابة أثناء التشهد -ويسن ذلك عند الدعاء وعند ذكر الله مطلقًا- ويبسط يده اليسرىٰ علىٰ فخذه كما تقدم.

(٧) ويقول في التشهد: «**التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**».

(٨) ثم ينهض مكبرًا إذا كان يصلي المغرب أو صلاة فريضة رباعية، لكنه يصلي الركعات المتبقية سرًا مقتصرًا علىٰ قراءة الفاتحة، ثم في نهاية الصلاة يجلس متوركًا ويقول كما في التشهد الأول ويزيد عليه: «**اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ**».

(٩) ثم يسلم ويقول عن يمينه ثم عن يساره: السلام عليكم ورحمة الله»، مرتبًا بأل التعريف، وهذا واجب، والتسليمة الثانية عن يساره سنة، ولا يجوز أن يسبق المأموم فينصرف من صلاته أو يقوم لفائتته قبل التسليمة الثانية.

(١٠) والمرأة تصلي كالرجل -كما تقدم-، لكن تجمع نفسها وتجلس متربعةً أو مسدلةً رجليها عن يمينها وهو أفضل.

صلاة التطوع

صلاة التطوع -أو النوافل- نوعان:

- **نوافل مقيدة:** وهي التي لها وقت معين، كصلاة الكسوف، والاستسقاء، والتراويح، والوتر.

- **نوافل مطلقة:** ليس لها وقت معين، كالصلاة في جوف الليل، وفي الأوقات غير المنهي عنها.

النوافل المقيدة:

بمعنىٰ أداء الصلوات الغير واجبة، ويطلق عليها لفظ: السنة، والمستحب، والرغيبة، والفضيلة. قال ﷺ -في الحديث القدسي-: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلىٰ بالنوافل حتىٰ أحبه . . .**».

الحكمة من مشروعيتها:

١- **رفعة درجات المؤمنين:** عَنْ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**».

٢- **كثرة النوافل من أعظم أسباب دخول الجنة:** عَنْ رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ

لِي: «**سَلْ**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».

٣- تكميل ما نقص من الفرائض. فَعَنْ أَنَسِ بْنِ حَكِيمٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: إِذَا أَتَيْتَ أَهْلَ مِصْرِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، فَإِنْ أَتَمَّهَا، وَإِلَّا قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أُكْمِلَتِ الْفَرِيضَةُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ يُفْعَلُ بِسَائِرِ الْأَعْمَالِ الْمَفْرُوضَةِ مِثْلُ ذَلِكَ**».

السنن الرواتب:

- يسن للمسلم أن يحافظ علىٰ اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة؛ لقول النبي ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالىٰ في كل يوم ثنتي عشرة ركعة، إلا بنىٰ الله له بيتًا في الجنة**».

وهي علىٰ هذا النحو:

ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل **الفجر وهما آكد تلك السنن.**

لقوله: «حفظت من رسولِ اللهِ ﷺ عشرَ ركعاتٍ سِوىٰ الفريضةِ ركعتينِ قبلَ الظهرِ وركعتين بعدَ الظهرِ وركعتين بعد المغربِ وركعتين بعدَ العشاءِ وركعتين قبلَ الغداةِ»، وقوله ﷺ: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، وقوله ﷺ: «**رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّىٰ قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا**»، وقوله ﷺ: «**بَيْنَ كُلِّ آذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ آذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ آذَانَيْنِ صَلَاةٌ لِمَنْ شَاءَ**»، وقوله ﷺ: «**صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: «**لِمَنْ شَاءَ**».

* **الوتر**: وهو آكد أنواع التطوع، لكن اختلف في وجوبه، ويبدأ من بعد صلاة العشاء الآخرة حتىٰ طلوع الفجر، وأدنىٰ الكمال ثلاث ركعات بسلامين، وأعلىٰ الكمال إحدىٰ عشرة ركعة، ويجزئ ركعة واحدة. قال ﷺ: «**إن الله وتر يحب الوتر**».

* **التراويح**: سنة مؤكدة، ولم يثبت في عدد ركعاتها شيء، فتصلىٰ إحدىٰ عشرة ركعة أو عشرين ركعة مثنىٰ مثنىٰ، وذلك من بعد العشاء.

تنبيه: **التراويح**، صلاة معينة تكون بعد العشاء - وذلك في رمضان - يرتاح المصلي فيها بين ركعاتها قليلا.

والتهجد: كل صلاة تطوع تُصلىٰ ليلا في رمضان أو غيره.

قيام الليل: كل طاعة تفعل ليلا -سواء كانت صلاة أو غيرها-، فالقيام قد يكون بالصلاة وقد يكون بالدعاء والاستغفار وقراءة القرآن ونحو ذلك، وقيام الليل عكس رقوده ونومه.

قال في المراقي: «مَعْنَىٰ الْقِيَام أَنْ يَكُونَ مُشْتَغِلًا مُعْظَمَ اللَّيْل بِطَاعَةٍ، وَقِيل سَاعَةً مِنْهُ، يَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَوْ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ أَوْ يُسَبِّحُ أَوْ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كُل وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ يَسْبِقُهُ نَوْمٌ بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ وَقَدْ لاَ يَسْبِقُهُ نَوْمٌ».

بعبارة أخرىٰ:

التراويح: قيام وتهجد خاص برمضان.

التهجد: قيام بالصلاة خاصة يفعل في رمضان ويسمىٰ تراويح ويفعل في غير رمضان.

قيام الليل: كل طاعة تفعل ليلا.

فكل تراويح هي تهجد وقيام، وكل تهجد هو قيام، أي أنه ليس كل قيام يكون تهجدا أو تراويح لأن القيام قد يكون بغير الصلاة كما تقدم.

ملاحظة: تسمية الناس للصلاة التي تكون بعد التراويح من آخر الليل من رمضان تهجدا وتمييزها بهذا الاسم عن التراويح= مجرد اصطلاح وطريقة تعبير فقط، وكان بعض السلف يسمي هذا التعقيب، **قال ابن قدامة**: «التعقيب: وهو أن يصلي بعد التراويح نافلة أخرىٰ جماعة أو يصلي التراويح في جماعة أخرىٰ.

فعن أحمد: أنه لا بأس به».

* **الضحىٰ**: أقلها ركعتان، وأكثرها ثماني ركعات، ووقتها من ارتفاع الشمس إلىٰ قبيل الزوال، قال ﷺ: «**صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ**».

* **الكسوف**: وهو ذهاب نور الشمس أو القمر أو بعضه، ويجوز استعمال لفظ الكسوف والخسوف للشمس أو للقمر، وإن كان الشائع استعمال لفظ الكسوف للشمس والخسوف للقمر. وهو سنة مؤكدة، ووقتها من الكسوف إلىٰ التجلي، وهي ركعتان في كل ركعة بقيامين وركوعين، وتكون الركعة الأولىٰ أطول من الثانية وكذلك السور المقروءة فيهما.

* **الاستسقاء**: تشرع إذا أجدبت الأرض وقحط المطر، وهي سنة مؤكدة، ليس لها وقت معين، بخلاف صلاة العيد، وتصلىٰ ركعتين يكون بعدهما خطبة. وتفتتح الخطبة بالتكبير كخطبة العيد، ويكثر فيها الاستغفار وقراءة الآيات التي فيها الأمر به، ويرفع يديه وظهورهما نحو السماء فيدعو بدعاء النبي ﷺ ومنه: «**اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا**» إلىٰ آخره.

وإن كثر المطر حتىٰ خيفت كثرته فيسن قول: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الظراب والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر**»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦].



سجود السهو

*** يُشرع سجود السهو لأحد ثلاثة أمور:**

- **الزيادة في الصلاة سهوًا:** إذا كان زاد في الصلاة فعلا بسهو؛ فيسجد لهذا السهو بعد السلام.

- **النقص من الصلاة سهوًا:** إذا كان قد سها وترك تكبيرة الإحرام فلا تنعقد الصلاة، ولم يغن سجود السهو، وإن كان السهو في غير تكبيرة الإحرام وتذكره قبل القراءة في الركعة التالية وجب الرجوع، وإن ذكره بعد القراءة بطلت الركعة الأولىٰ وقامت الثانية مكانها، وإن نسي التشهد الأول عاد إليه إذا لم يستتم قائمًا، ويسجد للسهو قبل السلام.

- **الشك في الزيادة أو النقص:** الشاك يبني علىٰ الأقل ثم يسجد للسهو قبل السلام.

*** سجود السهو له ثلاثة أحكام:** واجب، وسنة، ومباح.

الحكم الأول: (واجب): لما تبطل الصلاة بتعمده: أي: كل فعل تبطل الصلاة بتعمده، فإنه إن فعله سهوًا وجب أن يسجد للسهو.

الحكم الثاني: (سنة): فيسن سجود السهو في حالتين:

١- إذا أتىٰ بقول مشروع ولكن في غير محله سهوًا: كما لو قرأ في ركوعه أو سبّح في قيامه، فإن تعمد فعله لم تبطل صلاته، كما لا يسن له السجود. ويستثنىٰ من ذلك: السلام، فلو أتىٰ به في غير محله، فإنه يخرج من الصلاة، ويلزمه أن يعود.

٢- لو نوىٰ المسافر قَصْرَ الصلاة فأتمها سهوًا، فيسن له أن يسجد للسهو، ولا تبطل الصلاة بتعمد ذلك، كما لا يسن لهذا التعمد السجود.

الحكم الثالث: (مباح): إذا ترك سنة من سنن الصلاة قولية كانت أو فعلية أبيح له أن يسجد للسهو، ولا يسن.

- وموضع فعل سجود السهو يكون قبل السلام ندبًا، إلا إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر فيكون بعد السلام وجوبًا.



باب صلاة الجماعة

حكم صلاة الجماعة:

واجبةٌ وجوبًا عينيًّا للصوات الخمس المُؤدَّاة، حضرًا وسفرًا، وهي شرطٌ في الجمعة والعيد.

علىٰ مَنْ تجب صلاة الجماعة؟

تجب علىٰ الرجال، الأحرار، القادرين، ويجوز للمرأة حضورها وصلاتها في بيتها أفضل، وتحصيل الرجل للجماعة بصلاته مع زوجته التي لا أحد يجمع معها أولىٰ.

بماذا تُدرك صلاة الجماعة؟

بتكبيرةِ الإحرام قبل تسليمة الإمام الأولىٰ.

أَقَلُ الجماعة:

اثنان: إمامٌ ومأموم، في غير الجمعة والعيد.

أعذار ترك الجمعة والجماعة:

يعذر بترك الجمعة والجماعة:

١- المريض، ومَنْ يَخشىٰ حدوث المرض، أو زيادته، أو تأخر بُرْئهِ.

ويستثنىٰ من ذلك حالتان:

أ- إذا كان في المسجد أو الجامع؛ فتلزمه الجمعة والجماعة.

ب- إذا لم يتضرر بإتيان الجامع راكبًا أو محمولًا؛ فتجب الجمعة دون الجماعة.

٢- والمُدافع أحد الأخبثين،

٣- ومَنْ له مال ضائع يرجوه،

٤- ومَنْ يخافُ ضياع مالِهِ، أو فواتَهُ، أو ضررًا فيه،

٥- ومَنْ يخاف علىٰ مالٍ استؤجر لحفظِهِ،

٦- والأذىٰ بالمطر،

٧- والوَحَل،

٨- والريح الباردة في الليلة المُظْلِمَة،

٩- وتطويل الإمام،

١٠- والخوف،

١١- وحضرة الطعام المحتاج إليه،

١٢- وغلبة النعاس،

١٣- ومَنْ عليه قَوَدٌ يرجو العفو عنه،

١٤- وأكل البصل والثوم والفجل ونحوها حتىٰ يذهب ريحها.



بابُ الإمامةِ

شروطُ صحة الإمامة:

يشترط لصحة الإمامة ثمانية شروطٍ؛ هي:

١- الإسلام،

٢- والعدالة،

٣- والعقل،

٤- والنُّطق،

٥- والتمييز،

٦- والبلوغ إن أمَّ بالغًا في فرض،

٧- والذكورية إنْ أمَّ ذكرًا،

٨- والقدرة علىٰ شرطٍ وركنٍ وقولٍ واجبٍ إنْ أمَّ قادرًا عليها.

شروط اقتداء المأموم بالإمام:

يشترط لاقتداء المأموم بالإمام عشرة شروطٍ؛ هي:

١- ألَّا يتقدم المأموم علىٰ إمامه،

٢- وألَّا يتأخر المأموم عن إمامه إذا كان لوحده، أو كونه عن يساره **بشرط** شغل يمينه بآخر،

٣- ونية الإمام والمأموم،

٤- وعلم المأموم بانتقالات إمامه،

٥- ومتابعة المأموم إمامه بتكبيرة الإحرام،

٦- ورؤية المأموم إمامه، أو رؤيته من وراءه إن كان خارج المسجد،

٧- وعدم حاجز بينهما من طريق أو نهر،

٨- وتوافق صلاتيهما اسمًا في فرضٍ،

٩- وعدم اعتقاد المأموم الإجماع علىٰ بطلان صلاة إمامه،

١٠- وتعيين الإمام.

الأولىٰ بالإمامة:

الأقرأ العالم فقه صلاتِهِ،

ثم الأفقه،

ثم الأسن،

ثم الأشرف،

ثم الأقدم هجرة،

ثم الأتقىٰ،

ثم مَنْ قَرَعَ.

أقسام الناس في الإمامة:

القسم الأول: مَنْ تصح إمامته بكلِّ حال؛ وهو الرجل، المسلم، العدل، القائم بأركان الصلاة وشرائطها.

القسم الثاني: مَنْ لا تصحُّ إمامَتُهُ مطلقًا؛ **وهم نوعان**:

النوع الأول: مَنْ لا تصحُّ صلاتُهُ لنفسِهِ؛ كالكافر، والمجنون، ومَنْ أَخلَّ بشرطٍ أو واجبٍ لغير عذر.

النوع الثاني: مَن تصحُّ صلاتُهُ لنفسه، ولا تصحُّ صلاته بغيره مطلقًا؛ **وهو**: الفاسق إما بالأفعال، أو ببدعةٍ لا تُكَفِّرُهُ. وتستثنىٰ الجمعة والعيد إذا تعذّرت صلاتهما خلف عدل.

القسم الثالث: مَنْ تصحُّ إمامتُهُ بمثلِهِ ولا تصحُّ بغيرِهِ؛ ومنهم: المرأة، والأُمِّي.



صلاة الجمعة والعيدين

أولًا: الجمعة: فرض عين علىٰ كل مسلم ذكر حر مكلف مستوطن ببناء، وهي ركعتان يقرأ في الأولىٰ بعد الفاتحة سورة الجمعة وفي الثانية سورة المنافقين، ويشترط لصحتها:

١- **الوقت**: وهو أول وقت العيد إلىٰ آخر وقت الظهر، والغالب علىٰ عمل المسلمين صلاتها في وقت صلاة الظهر.

١- حضور أربعين بالإمام ويكونوا من أهل وجوبها.

وتتقدمهما خطبتان، ومن أدرك ركعة مع الإمام فقد أدركها، وإن أدرك أقل من ذلك صلاها ظهرًا.

ثانيًا: العيدان: وصلاة العيدين الفطر والأضحىٰ فرض كفاية علىٰ الرجال والنساء، ويخرج إليها الحائض والنفساء فيشهدن الصلاة دون دخول موضع الصلاة، ووقتها كصلاة الضحىٰ، وآخره الزوال. وتصلىٰ في المصلىٰ ويجوز في المسجد، وتكون ركعتين بلا أذان أو إقامة قبل الخطبة، ولا يكون هناك صلاة بعدهما ولا قبلهما، يكبر في الأولىٰ بعد الاستفتاح وقبل التعوذ والقراءة ستًا غير تكبيرة الإحرام، وفي الثانية قبل القراءة خمسًا غير تكبيرة الانتقال، ويرفع يديه مع كل تكبيرة، ويقول بين كل تكبيرتين: «**الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلم تسليمًا كثيرًا**».

• ويسن التكبير المطلق ليلتي العيدين، وليلة الفطر أوكد، أما في الأضحىٰ فيكون من أول ذي الحجة إلىٰ فراغ خطبة صلاة العيد، ويكون

التكبير المقيد في الأضحىٰ عقب كل فريضة في جماعة من أول فجر عرفة إلىٰ عصر آخر أيام التشريق، أما تكبير المحرم بالحج فيكون من ظهر يوم النحر (أول أيام عيد الأضحىٰ) إلىٰ عصر آخر أيام التشريق، ولا توجد صيغة ملزمة للتكبير.



صلاة الجنازة

الجنائز: بفتح الجيم: جمع جنازة، والمفرد جنازة بكسرها، والفتح ممكن في بعض اللغات. وقيل: الجنازة بالفتح تطلق علىٰ الميت، وبالكسر علىٰ النعش إذا كان عليه ميت.

* **صلاة الجنازة: فرض كفاية، وأحكامها**:

- **أركانها**: القيام، التكبيرات الأربع، يقرأ بعد التكبيرة الأولىٰ والتعوذ الفاتحة وذلك بلا استفتاح، ثم يصلي علىٰ النبي بعد الفاتحة في الثانية، ثم يدعو للميت بعد الفاتحة في الثالثة، ويقف بعد القراءة في الرابعة قليلًا، ثم يسلم ويرفع يديه مع كل تكبيرة.

- **سننها**: رفع اليدين مع كل تكبيرة، الاستعاذة قبل القراءة، الدعاء للنفس وللمسلمين، الإسرار بالقراءة، وضع اليد اليمني علىٰ اليسرىٰ، والالتفات علىٰ اليمين فقط عند التسليم.



الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

* **الأوقات المنهي عن الصلاة فيها هي خمسة أوقات:**

١- من طلوع الفجر الثاني إلىٰ طلوع الشمس.

٢- من طلوع الشمس حتىٰ ترتفع قدر رمح.

٣- عند قيام الشمس في كبد السماء حتىٰ تزول.

٤- من صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس.

٥- إذا شرعت الشمس في الغروب حتىٰ تغيب.

* **ما يجوز فعله في أوقات النهي**: قضاء الفرائض الفائتة، أداء ركعتي الطواف، صلاة الجنازة، تحية المسجد، صلاة الكسوف، قضاء سنة الفجر.

ويستثنىٰ من النهي عن الصلاة في أوقات النهي ثمان صلوات؛ هي:

١- قضاءُ الفرائض.

٢- وفعلُ المنذورة.

٣- وسنةُ الفجر قبلها.

٤- وسنة الظهر إذا جَمَعَ.

٥- وركعتا الطواف.

٦-وإعادة جماعةٍ أقيمت وهو في المسجد.

٧- والصلاة علىٰ الجنازة بعد طلوع الفجر، وبعد صلاة العصر إذا خافَ عليها.

٨- وتحية المسجد حال خطبة الجمعة وقت الزوال فقط.

فقه الزكاة

* **الزكاة: لغة**: النماء والطهارة، **وشرعًا**: حق واجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص يجب صرفه لأصناف مخصوصة بشروط معينة.

وهي ركن من أركان الإسلام، فرضت في السنة الثانية من الهجرة.

* **فضلها**: ثالث أركان الإسلام، وهي علامة علىٰ التقوىٰ، وسبب مضاعفة الأجر والأمن يوم القيامة، من أداها برضىٰ ذاق طعم الإيمان.

دليل مشروعيتها:

* **من القرآن**: قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ [التوبة: ١٠٣].

* **من السنة**: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُم الَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْم وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ ﷻ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ ﷻ حِجَابٌ**».

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا**

الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ».

* **الإجماع**: وقد انعقد الإجماع علىٰ وجوبها، قال ابن قدامة: وقد أجمع المسلمون في جميع الأمصار علىٰ وجوبها، واتفق الصحابة علىٰ قتال مانعيها.

* **شروطها**:

١- **الإسلام**؛ فلا تجب علىٰ الكافر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]، فإذا كانت لا تقبل منهم فلا فائدة في إلزامهم بها.

٢- **الحرية**؛ فلا تجب علىٰ العبد؛ لأن العبد لا يملك شيئًا، ما في يده ملك لسيده، فتجب زكاته عليه.

٣- **امتلاك النصاب**، واستقرار ملكيته.

٤- **مُضي الحول علىٰ المال في غير الخارج من الأرض**؛ لقوله ﷺ: «**لا زكاة في مال حتىٰ يحول عليه الحول**».

* **مصارفها**: الفقراء، المساكين، العاملون عليها، المؤلفة قلوبهم، الرقاب (المكاتبون)، الغارم (من عليه دين)، في سبيل الله (الغزاة، طلبة العلم، طباعة الكتب) ابن السبيل.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]،

س: هل يشترط استيعاب الأصناف الثمانية المذكورة عند تفريق الزكاة؟

ج: لا يشترط استيعاب الأصناف الثمانية المذكورة عند تفريق الزكاة علىٰ القول الصحيح، بل يجزئ دفعها لأي صنف من الأصناف الثمانية، لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وقوله ﷺ: «**تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ**». ويجوز الاقتصار علىٰ واحد من الصنوف المذكورة، والأفضل تعميمهم والتسوية بينهم، وتسن إلىٰ من لا تلزمه مؤونته من أقاربه، ولا تدفع لبني هاشم ومواليهم، ولا لأصل وفرع وعبد وكافر، فإن دفعها لمن ظنه أهلًا لها فلم يكن كذلك أو بالعكس لم تجزئه إلا لغني ظنه فقيرًا.

* **منعها**: من منعها جحودًا مع العلم بوجوبها كفر، ومن منعها جهلًا أو بخلًا لا يكفر.

الحكمة من إيجاب الزكاة:

١- تطهير المال وتنميته، وإحلال البركة فيه.

٢- تطهير المزكي من الشح والبخل وأرجاس الذنوب والخطايا.

٣- تدريب الشخص علىٰ البذل والإنفاق في سبيل الله.

٤- مواساة الفقراء وسدُّ حاجاتهم.

٥- تحقيق التكافل والتعاون والمحبة بين أفراد المجتمع.

٦- شكر الله تعالىٰ علىٰ ما أسبغ علىٰ المسلم من نعمة المال.

ما تجب فيه الزكاة:

١- النقدان.

٢- الخارج من الأرض (يشمل الثمار والحبوب والركاز والمعدن).

٣- سائمة الأنعام.

٤- عروض التجارة.

أولًا: زكاة النقدين (الذهب والفضة):

* **تجب الزكاة في النقدين وهما**: الذهب، والفضة، وما يقوم مقامهما من العملات، إذا بلغ الذهب عشرين مثقالًا أي: ما يُعادل (٨٥ جرامًا) من عيار (٢٤) و(٩٧ جرامًا) من عيار (٢١)، و(١١٣) جرامًا من عيار (١٨).

• وإذا بلغت الفضة مئتي درهم إسلامي (٥٩٥ جرامًا)، وفيها ربع العشر.

• وزكاة العملة الورقية تُقدر بنصاب الفضة فإذا بلغ ما معه من مال قيمة ٥٩٥ جرامًا من الفضة بسعر اليوم الذي حال فيه الحول= وجبت فيها الزكاة، وهي ربع العشر.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]. وقوله ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ**».

* **زكاة الحُليّ**: اتفق أهل العلم علىٰ وجوب الزكاة في الحلي المعد للادخار، وفي الحلي المحرم؛ كالرجل يتخذ خاتمًا من ذهب، أو المرأة تتخذ حليًا صنع علىٰ صورة حيوان، أو فيه صورة حيوان، فتجب فيها الزكاة.

• أما الحلي المعد للاستعمال المباح فقد وقع فيه الخلاف، والراجح من قولي أهل العلم وجوب الزكاة فيه؛ لعموم النصوص الواردة في وجوب الزكاة في الذهب والفضة.

فعن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَىٰ فِي يَدَيَّ فَتَخَاتٍ مِنْ وَرِقٍ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟**»، فَقُلْتُ: صَنَعْتُهُنَّ أَتَزَيَّنُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**أَتُؤَدِّينَ زَكَاتَهُنَّ؟**»، قُلْتُ: لَا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: «**هُوَ حَسْبُكِ مِنَ النَّارِ**».

* **ما يباح من الحلي**: يباح للنساء ما جرت العادة بلبسه من الذهب والفضة، ويباح للرجال من الفضة الخاتم وحلية السيف والمِنطقة (الخصر) ونحوها.

ثانيًا: زكاة الخارج من الأرض:

* **الزروع والثمار**: كل ما يُكال ويُدخر للقوت من شعير وقمح وغيرهما من الثمار إذا بلغ خمسة أوسق وهي ثلاثمئة واثنان وأربعون رطلًا وستة أسباع رطل بالدمشقي (٦١٢ كجم تقريبًا)، وكانت ممتلكة وقت وجوب الزكاة: كالبُر، والشعير، والأرز، والذرة، والزبيب، والتمر، ونصابها: العُشر وذلك فيما يسقىٰ بالمطر، ونصف العشر فيما سقي بكلفة (وسائل السقي الأخرىٰ)، وثلاثة أرباعه فيما سقي بهما جميعا، فإن تفاوتا اعتبر الأكثر في السقيا، فإذا جهل أيهما أكثر فالعشر، علما بأنه تجب زكاة الحبوب حين تشتد، والثمار حين يبدو صلاحها بأن تحمر أو تصفر.

قال الله ﷻ: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وقوله ﷺ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا** [أي: يشرب بعروقه من غير سقي] **العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ**».

* **زكاة العسل**: وهي العشر سواء أخذه من موات أو امتلكه إذا بلغ مئةً وستين رطلًا عراقية، والراجح أنه لا زكاة فيه، وهو قول الجمهور؛ لأنه

ليس في الكتاب ولا في السنة دليل صحيح صريحٌ علىٰ وجوبها، والأصل براءة الذمة؛ حتىٰ يقوم دليل علىٰ الوجوب إلا إن كان عروض تجارة.

* **المعادن هي**: كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها، من غير وضع واضع، مما له قيمة كالذهب والفضة والنحاس، وغير ذلك، ولا يخلو من حالتين: (الأولىٰ) إن كان ذهبًا أو فضة، ففيه ربع عشر عينه في الحال، (الثانية) وإن كان غيرهما كالحديد، ففي ربع عشر قيمته من الذهب أو الفضة في الحال، ولا يجزئ الإخراجُ من عينه. ولمعرفة نصاب المعدن الذي ليس ذهبًا ولا فضة: يقوِّمه بالأحظ للفقراء منهما، والتقويم بالفضة هو الأحظ للفقراء، فإذا بلغ نصابًا بقيمة الفضة أخرجنا ربع عشر قيمته من عين الفضة أو عين الذهب بقسمتها علىٰ العدد (٤٠).

والركاز: ما وجد مدفونًا في الأرض من أهل الجاهلية، وفيه الخمس في قليله وكثيره؛ لقوله ﷻ: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، ولقوله ﷺ: «**وفي الركاز الخمس**».

* **ملحوظة**: لا زكاة في الزروع التي لا تُكال، ولا تُدخر، كالتفاح، والخوخ، والخضروات، والبقول، إلا إذا بيعت ومضىٰ علىٰ ثمنها الحول.

ثالثًا: زكاة بهيمة الأنعام:

بهيمة الأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم، وتجب الزكاة فيها **بشرطين**:

١- أن تكون معدة للدّر والنسل لا للعمل.

٢- أن تكون سائمة (ترعىٰ في المرعىٰ المباح الحول أو أكثره أما التي تعلف أو يُجتلب لها الطعام فلا زكاة فيها).

زكاة الإبل:

الإبل	زكاتها	الإبل	زكاتها
٥	شاة	١٠	شاتان
١٥	ثلاث شياه	٢٠	أربع شياه
٢٥	بنت مخاض	٣٦	بنت لبون
٤٦	حِقة	٦١	جَذَعة
٧٦	بنتا لبون	٩١	حِقتان
١٢١	ثلاث بنات لبون		

* **ملحوظة**: ما زاد علىٰ **١٢٠** ففي كل **٤٠** بنت لبون، وفي كل **٥٠** حقة.

تعريفات:

- **بنت مخاض**: التي أتمت سنة ودخلت في الثانية.
- **بنت لبون**: التي تم لها سنتان.
- **حقّة**: التي تم لها ثلاث سنوات.
- **جذعة**: التي تم لها أربع سنوات.

زكاة البقر:

* في كل **٣٠** من البقر تبيع أو تبيعة، والتبيع ما تم له سنة ودخل في الثانية، وفي كل **٤٠** بقرة مسنة وهي التي تم لها سنتان.

البقر	زكاتها	البقر	زكاتها
٣٠	تبيع أو تبيعة	٤٠	بقرة مسنة
٦٠	تبيعان	٧٠	تبيع ومسنة

زكاة الغنم:

* لا زكاة في الغنم إذا نقص عددها عن **٤٠** من الضأن أو المعز، فإن بلغت **٤٠** ففيها شاة واحدة جَذَع من الضأن، أو ثني من المعز، والجَذَع ما تم له ستة أشهر، والثني ما تم له سنة.

الغنم	زكاتها	الغنم	زكاتها
٤٠	جَذَع أو ثَنيّ	**١٢١**	شاتان
٢٠١	ثلاث شياه	**٤٠٠**	أربع شياه
٥٠٠	خمس شياه	**٦٠٠**	ست شياه

رابعًا: زكاة عروض التجارة:

* العُروض ما أعد لبيع وشراء لأجل الربح.

* **شروط وجوبها**: أن تكون مملوكة بفعله، وأن تكون بنية التجارة، وأن تبلغ قيمتها نصاب أحد النقدين، وأقل نصاب ذهب عشرون مثقالًا، والفضة مائتا درهم، وأن يحول عليها الحول.

* **كيفية إخراجها**: تقوم التجارة عند تمام الحول بأحد النقدين، بسعر البيع، ثم يخرج من قيمتها ربع العشر، فيقسم ما لديه علىٰ أربعين ويخرج الناتج.

ملحوظات:

- العمارات والسيارات المعدة للإيجار لا زكاة في ذواتها، بل في إيجارها إذا حال عليه الحول.

- العمارات والبيوت المعدة للسكنىٰ والسيارات المُعدَّة للركوب لا زكاة فيها.

• **حكم نقل الزكاة من بلد المزكي إلىٰ بلد آخر؟**

يحرم نقلها إلىٰ مسافة قصر فأكثر -لا دونها- من بلد المال، ولو كان لرحم أو أشد حاجة. فإن فعل أجزأت مع الإثم. وإن لم يجد المزكي أهلَ الزكاة في بلده فرقها -علىٰ أهلها- في أقرب البلاد إليه، ويستثنىٰ من تحريم نقل الزكاة من بلد المال: ما إذا ترتب علىٰ جعل الزكاة في فقراء بلد كل مال تشقيص زكاة الحيوان السائمة، فإنها تجعل في بلد واحد، كما لو كان له عشرون مختلطة مع عشرين لآخر في بلد، وعشرون أخرىٰ مختلطة مع عشرين لآخر في بلد آخر أيضًا بينهما مسافة قصر؛ فإن عليه في كل خلطة نصف شاة فبالتالي يخرج شاة في أي البلدين شاء.

صدقة الفطر:

* فُرضَت زكاة الفطر في رمضان طهرة للصائم، وطُعمة للمساكين، وشكرًا لله علىٰ النعمة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

* **شروط وجوبها**: تجب علىٰ كل مسلم صغير أو كبير، ذكر أو أنثىٰ، حر أو عبد، يخرجها المسلم عن نفسه وعمن يعول، إذا كانت فاضلة عن نفقة واجبة يوم العيد وليلته وعن حوائج أصلية، فيخرج نفسه ومسلم يمونه، ويستحب إخراجها عن الجنين لفعل عثمان رضي الله عنه.

* **وقت إخراجها**: تجب من غروب شمس ليلة العيد إلىٰ قبيل صلاة العيد، ويجوز تقديمها قبل العيد بيوم أو يومين، فإن أخر إخراجها عن صلاة العيد وجب إخراجها قضاء ويكون آثمًا بتأخيرها. وتقضىٰ وجوبًا.

* **مقدارها وجنسها**: صاع من غالب قوت البلد: بُر، أو شعير، أو تمر، أو زبيب، أو أقط، أو غيرها مما اعتاد الناس علىٰ أكله في البلد

وغلب استعمالهم له. والأفضل إخراجها تمرٌ ثم زبيب ثم بر ثم الأنفع، فإن عدمت هذه الأصناف أجزأ كل صنف آخر من حب يقتات، ويجوز إخراج قيمتها مالًا إن رأىٰ حاجة الناس لذلك علىٰ ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية. ويجوز إعطاء الجماعة ما يلزم الواحد والعكس.



فقه الصيام

* **الصيام**: **لغة**: الإمساك، **وشرعًا**: التعبد لله ﷻ بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس مع النية.

* **حكمه**: صوم رمضان فرض علىٰ كل مكلف؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

وقال ﷺ: لما سأله طلحة بن عبيد الله أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ قَالَ: «**صِيَامُ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا**».

وأجمعت الأمة منذ عهد النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا علىٰ فرضية الصيام.

* **حكمته**: صوم رمضان ركن من أركان الإسلام، شُرع لتزكية النفس وتطهيرها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة، إذ فيه تجتمع ثلاثة أنواع من أنواع الصبر:

١- صبر علىٰ طاعة الله؛ لأن الإنسان يصبر علىٰ الجوع والعطش وشدة الحر.

٢- صبر علىٰ معصية الله سبحانه؛ لأنه يتجنب ما يحرم علىٰ الصائم.

٣- صبر علىٰ أقدار الله تعالىٰ؛ لأن الصائم يصيبه ألم العطش، والجوع، والكسل، وضعف النفس؛ فلهذا كان الصوم من أعلىٰ أنواع الصبر؛ لأنه جامع بين الأنواع الثلاثة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

* **دخول رمضان**: يعلم دخول رمضان بإحدىٰ ثلاث طرق: رؤية الهلال، أو شهادة عدل مكلف برؤية الهلال، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**». وقوله ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعَدَدَ**».

* **شروط وجوب الصيام:**

١- الإسلام.

٢- البلوغ، والعقل؛ لقوله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّىٰ يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ**».

٣- الإقامة؛ فلا يجب علىٰ المسافر.

٤- القدرة علىٰ الصوم؛ فلا يجب علىٰ المريض؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٥- خلو المرأة من الحيض والنفاس؛ لقوله ﷺ: «**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**».

* **من أحكام الصيام**: يبدأ الصيام من طلوع الفجر الثاني إلىٰ غروب الشمس، ويبيت الصائم نية الصيام من الليل، ويستحب للصائم أن يتسحر ولو بجرعة ماء، ويجوز تأخير الغسل للجنب إلىٰ ما بعد طلوع الفجر، ويستحب تأخير السحور، وتعجيل الإفطار.

* **مستحبات الصوم:**

١- السحور؛ لقوله ﷺ: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً**». وقوله ﷺ: «**السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ، فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ**

اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِينَ».

٢- تعجيل الفطر؛ لقوله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ، مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**».

٣- الإفطار علىٰ رطبات؛ عن أنس بن مالك قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُفْطِرُ عَلَىٰ رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ، فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ**».

٤- الإكثار من أعمال البر؛ قَال ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**».

٥- الدعاء؛ لقوله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: ... الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ ...**».

* **مفسدات الصيام:**

١- الأكل والشرب عامدًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومن أكل أو شرب ناسيًا فصومه صحيح، ولا شيء عليه؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**».

٢- الجماع: يبطل الصيام، وعليه القضاء والكفارة، وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا لكل مسكين نصف صاع من طعام البلدة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «**مَا**

لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا**». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ -وَالعَرَقُ المِكْتَلُ- قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «**خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ**» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَىٰ أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**».

٣- **إنزال المني بشهوة**: لقوله ﷻ علىٰ لسانه ﷺ: «**يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**»، فإنزاله بشهوة يبطل الصيام ويلزمه القضاء، أما من احتلم فصومه صحيح.

٤- **الحيض والنفاس**: فإذا حاضت المرأة، أو نفست فسد صومها؛ لقوله ﷺ في المرأة: «**أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**».

٥- **السعوط**: إدخال الماء إلىٰ الجوف عبر الأنف.

٦- **إخراج الدم بالحجامة**؛ لقول ﷺ: «**أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ**»، أما الدم القليل بتحليل أو خلع ضرس أو التبرع بالدم ونحوه فلا يبطل الصيام.

٧- **القيء عمدًا**: إخراج ما في المعدة عمدًا، فمن تعمد القيء فسد صومه وعليه القضاء، ومن غلبه القيء فصومه صحيح ولا شيء عليه، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ ذَرَعَهُ القَيْءُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ**».

٨- **الردة**: فإذا ارتد المسلم -عياذًا بالله- بطل صومه؛ لأن الكافر لا تصح منه العبادة، ولقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

- **في مفطرات معاصرة:**

١- **التبرع بالدم**: التبرع بالدم لا يفطر علىٰ المذهب؛ لأن الفطر بالحجامة تعبديّ، فلا يقاس عليه الفصد والشرط والتبرع. والمفتىٰ به من قِبَل علمائنا المعاصرين كالشيخين ابن باز وابن عثيمين -رحمهما الله تعالىٰ- أن التبرع يفطر.

٢- **الإبر المغذية وغير المغذية**: الإبر التي تكون في اليد أو الفخذ أو الرجل لا تفطر؛ لأنها ليس بينها وبين المعدة منفذ مفتوح. أما التي تكون في البطن أو الصدر أو الظهر، فإن تحقق وصول شيء منها إلىٰ المعدة فإنها تفطر؛ لما فيها من الماء.

٣- **الغسيل الكلوي**: الظاهر أنه يفطر.

٤- **المنظار**: الظاهر أنه يفطر علىٰ المذهب إن كان عن طريق الحلق ووصل إلىٰ الحلق وإن لم يكن عليه شيء من دهن ونحوه، وبعض المشايخ يرىٰ أنه إن كان عليه شيء كزيت ونحوه فإنه يفطر، وإلا فلا وهذا أصح، وما كان من المهبل فلا يفطر سواء كان عليه شيء أو لا.

٥- **القسطرة**: القسطرة كالمنظار، لكنها إن كانت من غير الحلق ولم تصل إلىٰ المعدة -وهذا الغالب فيها-، فالأظهر: أنها لا تفطر، والله أعلم.

٦- **التطيب بالبخور**: إن تعمد استنشاقه ووصل إلىٰ حلقه، فإنه يفطر، وإلا فلا.

٧- **معجون الأسنان**: الذي يظهر لي من مذهب الحنابلة تحريمه، قياسًا علىٰ تحريمهم للعلك المتحلل، لكن لا يفطر بالمعجون إلا إذا وصل طعمه إلىٰ الحلق. أما استعمال فرشاة الأسنان بدون معجون، فالذي يظهر

أنها مباحة ما لم تكن بعد الزوال، فالظاهر الكراهة؛ لأنها تزيل أثر الصيام من الفم، والله أعلم.

٨- **التحاميل والحقن التي تؤخذ عن طريق الدبر**: كلاهما مفطر علىٰ المذهب؛ لأن الدبر منفذ للمعدة علىٰ المذهب، وقد صرحوا به.

٩- **قطرة العين والأنف والأذن**: للأطباء طريقة للتقطير في الأنف والعين بحيث لا يصل إلىٰ الحلق منها شيء، لكن إن وصل شيء من القطرة -سواء كانت قطرة العين أو الأنف أو الأذن- إلىٰ الحلق أو الدماغ، فإن الصوم باطل، وإلا فلا، وهذا الحكم الوضعي. ودليل الفطر حديث: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**» أخرجه الأربعة. أما الحكم التكليفي في جواز التقطير أو عدم جوازه -سواء وصل إلىٰ الحلق أو الدماغ أو لم يصل-، فلم أقف علىٰ كلام صريح للحنابلة فيه، ثم وقفت علىٰ كلام شيخ الإسلام في شرح العمدة حيث قال: (الصحيح أنه إذا غلب علىٰ ظنه أنه لا يصل إلىٰ حلقه لم يكره).

١٠- **دواء الغرغرة للفم**: يقال فيه ما قيل في قطرة العين والأنف والأذن، فإن وصل شيء منها إلىٰ الحلق أفطر بها الصائم وإلا فلا، وقد يقال فيه: هي كالمضمضة، فلا تفطر، والله أعلم.

١١- **بخاخ الربو**: يفطر علىٰ المذهب قياسًا علىٰ البخور؛ لأنه يصل إلىٰ الحلق، والله أعلم.

١٢- **البنج**: إن كان عن طريق الأنف أو الفم ويكون بالاستنشاق، فإنه يفطر إن وصل للحلق، وهذا الأصل أنه يمر بالحلق، وأهل الطب يقولون إن له طعمًا يكون في الحلق. وأما إن كان عن طريق الإبرة في اليد أو الوَرِك، فالأظهر: أنه لا يفطر، والله أعلم.

- **مكروهات الصيام:**

١- **المبالغة في المضمضة والاستنشاق**؛ لقوله ﷺ: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**».

٢- **تقبيل الزوجة لمن لا يملك نفسه**؛ لأن ذلك قد يؤدي إلىٰ نزول المني، أو يجره إلىٰ الجماع.

٣- **ذوق الطعام لغير الحاجة**؛ فإن كان لحاجة فلا بأس، مع الحذر من وصول شيء من ذلك إلىٰ حلقه.

٤- **وصال الصوم ليومين فأكثر**؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ»، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ**».

- **ما يحرم من الصيام:**

- **صيام يوم الشك احتياطًا لرمضان، وهو يوم الثلاثين من شعبان**؛ لقوله ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ**».

-**صوم يومي العيدين**؛ «لنَهيِه النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الفِطْرِ وَالنَّحْرِ».

-صوم أيام التشريق وهي: ثلاثة بعد أيام لنحر؛ لقوله ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللهِ**».

• أحكام قضاء الصوم:

من أفطر في رمضان وجب عليه القضاء، ويستحب المبادرة في القضاء، والتتابع، والإسراع فيه قبل دخول رمضان الآخر إبراءً للذمة.

تأخير القضاء: إن كان التأخير بعذر فعليه القضاء فقط، وإن كان بغير عذر فعليه القضاء وإطعام مسكين عن كل يوم.

من مات وعليه قضاء: إن مات قبل دخول رمضان آخر فلا شيء عليه، وإن مات بعد دخوله فإن كان لعذر فلا شيء عليه، وإن كان بغير عذر فعلىٰ ورثته الكفارة في التأخير عن كل يوم مسكين.

من مات وعليه صوم كفارة: يطعم عنه من تركته عن كل يوم مسكين، ولا يصام عنه.

من مات وعليه صوم نذر: استحب لوليه القضاء عنه.

* أحكام أصحاب الأعذار:

تدور أحوالهم بين الأحكام التالية:

- الكبير الهرم، والمريض الذي لا يرجىٰ برؤه، يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا.

- المسافر والمريض الذي يرجىٰ برؤه يفطران وعليهما القضاء.

- الحامل والمرضع إذا خافتا علىٰ أنفسهما، أو علىٰ ولديهما، والحائض والنفساء يفطرن وعليهن القضاء، ومن أفطرت لخوفها علىٰ ولدها يجب عليها مع القضاء إطعام مسكين عن كل يوم.

* **صوم أصحاب الأعذار**: المسافر أو المريض الذي يشق عليه الصيام صح صومه مع الكراهة، أما الحائض والنفساء فيحرم صومهما ولا يصح منهما.

- **فضل صيام التطوع:**

- أفضل الصيام بعد الفريضة شهر الله المحرم وآكده العاشر ثم التاسع، وأفضل الصيام صيام داود عليه السلام كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

- من صام رمضان وأتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر.

- صيام يوم عرفة يكفر سنتين، ولا يستحب صومه للحاج، وصوم عاشوراء يكفر السنة الماضية.

- يستحب صيام الأيام البيض من كل شهر، ويومي الاثنين والخميس من كل أسبوع.

- نهىٰ رسول الله ﷺ عن صيام يومي الفطر والأضحىٰ، وصيام أيام التشريق إلا للحاج المتمتع الذي لم يجد الهدي، ويكره إفراد يوم الجمعة بصوم.



الاعتكاف

- **معنىٰ الاعتكاف لغة**؛ لزوم الشيء، وحبس النفس عليه برًا كان أو غيره، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

- **شرعًا**؛ لزوم المسجد لطاعة الله تعالىٰ علىٰ صفة مخصوصة، وهو سنة في كل وقت، ولا يصح إلا في مسجد تقام فيه الجماعة، ويصح من المرأة في كل مسجد.

- دليل مشروعيته؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ**».

- **حكمه:**

سنة مؤكدة عن النبي ﷺ.

- **شروطه:**

١- النية

٢- الطهارة من الحدث الأكبر.

٣- أن يكون في مسجد تقام فيه صلاة الجماعة.

- **مدة الاعتكاف**: يصح الاعتكاف سواء كانت المدة كثيرة أو قليلة؛ لأنه لم يرد ما يدل علىٰ التحديد فيه.

- **وقته**: أفضل أوقاته العشر الأواخر من رمضان؛ لفعله ﷺ كما تقدم في حديث عائشة.

ويبدأ قبل غروب الشمس من يوم العشرين إلىٰ غروب شمس آخر يوم من رمضان.

- **مستحباته:**

يستحب للمعتكف الانشغال بفعل القربات، واجتناب ما لا يعنيه من قول وفعل، ولا يخرج إلا لما لا بُدّ له منه، أو لأمر عارض، ولا يباشر امرأته.

- **ما يباح فيه:**

١- الخروج من المسجد لما لا بُدَّ منه.

٢- الخروج لقضاء الحاجة، والوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة.

٣- استقبال الأهل والأقارب، وله أن يخرج من معتكفه لتوديعهم؛ لِما جاء عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي [أي ليردني إلىٰ أهلي]، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**» فَقَالاَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**».

٤- ترجيل الشعر وحلق الرأس وتقليم الأظافر؛ فَعَنْ عَائِشَةَ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اعْتَكَفَ يُدْنِي إِلَيَّ رَأْسَهُ أُرَجِّلُهُ**».

- **مبطلاته:**

١- الخروج من المعتكف لما ليس فيه حاجة؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «وَكَانَ لَا يَدْخُلُ بَيْتَهُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ».

٢- الجماع ولو خارج المسجد؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال ابن المنذر: «أجمعوا علىٰ أن من جامع امرأته وهو معتكف عامدًا لذلك أنه يفسد اعتكافه»، ويقاس عليه الاستمناء.

٣- الحيض والنفاس؛ للخبر: «أليست إذا حاضت لم تصل ولم تصم».

٤- الردة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].



فقه الحج

* **الحج**: **لغة**: القصد إلىٰ من تعظمه، **وشرعًا**: التعبد لله تعالىٰ بقصد البيت الحرام، والمشاعر العظام، في وقت مخصوص، علىٰ وجه مخصوص.

حكمه: هو واجب علىٰ كل مسلم مكلف مستطيع مرة واحدة في العمر علىٰ الفور.

وقد فرض الحج في أواخر السنة التاسعة من الهجرة، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]، علىٰ رأي أكثر العلماء.

وقال النبي ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**».

وأجمعت الأمة منذ عهد النبي ﷺ إلىٰ يومنا هذا بفرضية الحج، وكونه ركن من أركان الإسلام.

الدليل علىٰ وجوبه مرة في العمر: لما روي أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّىٰ قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**» ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ**

بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَدَعُوهُ».

شروطه:

١- الإسلام.

٢- العقل.

٣- البلوغ. لقوله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّىٰ يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ**».

٤- الحرية.

٥- القدرة المالية والبدنية.

الحج المبرور:

ما توفرت فيه الشروط التالية: أن يكون الحاج مخلصًا، متبعًا للرسول ﷺ، ونفقته حلالًا، وأن يجتنب فيه المعاصي، قال ﷺ: «**الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**»[1]، وقال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[2].

مواقيت الحج:

* **المواقيت**: جمع ميقات. والميقات **لغة**: الحد، **وشرعًا**: موضع أو زمن معين لعبادة مخصوصة. والمواقيت قسمان: مكانية وزمانية:

- **مواقيت زمانية**: وهي أشهر الحج: (شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة). قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَشْهُرُ الحَجِّ: شَوَّالٌ، وَذُو القَعْدَةِ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الحَجَّةِ».

---

(١) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (١٥٢١).

- **مواقيت مكانية**: والمراد بها: الحدود التي لا يجوز للحاج ولا المعتمر أن يتجاوزها إلا بإحرام، ويجب الإحرام علىٰ من مر بها قاصدًا الحج أو العمرة، وهي: ذو الحليفة -أبيار علي- ميقات أهل المدينة، الجحفة ميقات أهل الشام والمغرب ومصر، يلملم ميقات أهل اليمن، قرن المنازل ميقات أهل نجد، ذات عرق ميقات أهل المشرق كالعراق.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ ذَا الحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّأْمِ الجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ المَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ اليَمَنِ يَلَمْلَمَ، هُنَّ لَهُنَّ، وَلِمَنْ أَتَىٰ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الحَجَّ وَالعُمْرَةَ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، فَمِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ حَتَّىٰ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ**». متفق عليه.

* **مجاوزة الميقات بدون إحرام**: من كان قاصدًا الحج أو العمرة وتجاوز الميقات وجب عليه الرجوع، فإن عاد فأحرم فلا شيء عليه، وإن لم يرجع فعليه دم.

* **ميقاتُ المِيقاتيِّ**: الميقاتي هو من يسكن بين أحد المواقيت والحرم وميقاته موضعه: كأهل جدة. وقديد، وعسفان، ومر الظهران، فإن جاوزه فعليه دم.

* **ميقات المكي**: ساكن الحرم يكون إحرامه من منزله؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «وكذلك أهل مكة يهلون منها»، متفق عليه. وإحرامه للعمرة من الحِل. لما في الحديث الذي رواه مسلم: «**أمر النبي ﷺ عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمر عائشة ويحرم بها من التنعيم**»، وهو أدنىٰ الحِل.

أنواع النسك: من تيسير الله لعباده أن شرع لهم فريضة الحج علىٰ ثلاث صور، رفقًا بهم، ودفعًا للحرج، وهذه الأنساك الثلاثة هي: التمتع، والقران، والإفراد.

وأفضل هذه الأنواع التمتع؛ لأن النبي ﷺ أمر أصحابه به وحثهم عليه، وقال ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولأحللت**»؛ ولأن التمتع أيسر علىٰ الحاج حيث يتمتع بالتحلل بين الحج والعمرة، وهذا موافق لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

صفة التمتع: أن يحرم بالعمرة وحدها في أشهر الحج، ثم يفرغ منها، ويحل من إحرامه، ثم يحرم بالحج من نفس العام.

صفة القران: أن يحرم بالعمرة والحج جميعًا، أو يحرم بالعمرة أولًا، ثم يدخل الحج عليها قبل الشروع في طوافها، فإذا وصل إلىٰ مكة طاف طواف القدوم، وسعىٰ بين الصفا والمروة للعمرة والحج سعيًا واحدًا، ثم استمر علىٰ إحرامه حتىٰ يحل منه يوم العيد، ويجوز أن يؤخر السعي عن طواف القدوم إلىٰ ما بعد طواف الإفاضة.

القران له ثلاث صور:

(الصورة الأولىٰ): أن يحرم بهما معًا، فيقول سرًا: لبيك حجًا وعمرة، أو: نويت حجًا وعمرة، أو: إني أريد حجًا وعمرة، هذا هو المذهب.

(الصورة الثانية): أن يحرم بالعمرة أولًا، فيقول: لبيك عمرة مثلًا، ثم يدخله -أي: الحج- قبل الشروع في طوافها. أما بعد الشروع في طوافها فلا يصح إدخال الحج ما لم يكن معه هدي، فإن كان معه هدي فيصح أن يدخل الحج عليها ولو بعد السعي، ويصير بهذا قارنًا.

(الصورة الثالثة): أن يحرم بالحج ثم يدخل عليه العمرة، وهذه الصورة لا تصح علىٰ المذهب؛ لأنه لا يستفيد منها شيئًا؛ لأننا لو صححنا

القران لم تختلف أفعاله عن أفعال المفرد، أما الشيخ ابن عثيمين فيرىٰ صحتها، ويقول: إنه يستفيد نسكًا آخر، أي: العمرة، فيرجع بحج وعمرة بخلاف من أحرم بالحج فقط.

صفة الإفراد: أن يحرم بالحج مفردًا، فإذا وصل مكة طاف طواف القدوم، وسعىٰ للحج، واستمر علىٰ إحرامه حتىٰ يحل منه يوم العيد، ويجوز أن يؤخر السعي إلىٰ ما بعد طواف الحج كالقارن.

وعلىٰ كل متمتع وقارن إذا كان قادمًا من خارج مكة دم نسك بشرطه. أي: يجب علىٰ المتمتع أو القارن إذا كان أفقيًا -أي: من غير أهل المسجد الحرام- دم نسك. وإنما يجب علىٰ المتمتع بشروط سبعة وهي:

أحدها: ألا يكون من حاضري المسجد الحرام، وهم: أهل الحرم ومن دونه مسافة قصر من الحرم، فلو استوطن مكة أفقي فبذلك يصير حاضرا.

الثاني: أن يعتمر في أشهر الحج، والاعتبار بالشهر الذي أحرم بها فيه لا بالشهر الذي حل منها فيه، فلو أحرم بالعمرة في رمضان ثم حل في شوال لم يكن متمتعًا.

الثالث: أن يحج من عامه.

الرابع: ألا يسافر بين الحج والعمرة مسافة قصر فأكثر، فإن فعل فأحرم بالحج، فلا دم عليه نصًا.

الخامس: أن يحل من العمرة قبل إحرامه بالحج، فإن أحرم به قبل حله منها صار قارنًا.

السادس: أن يحرم بالعمرة من الميقات أو من مسافة قصر فأكثر من مكة.

السابع: أن ينوي التمتع في ابتداء العمرة أو أثنائها.

أركان الحج وواجباته وسننه:

من ترك ركنًا لم يتم حجه إلا بالإتيان به وهي: (الإحرام، الوقوف بعرفة، طواف الإفاضة، السعي بين الصفا والمروة).

واجباته: من ترك واجبًا جبره بدم وهي: (الإحرام من الميقات، الوقوف بعرفة إلىٰ الغروب لمن وقف نهارًا، المبيت بمزدلفة إلىٰ نصف الليل، المبيت بمني ليالي التشريق، رمي الجمار، الحلق أو التقصير، طواف الوداع).

سننه: السنن كثيرة ومنها: (المبيت في ليلة عرفة، التلبية، الإكثار من الذكر، الترتيب في رمي الجمار، استقبال القبلة حال الرمي).

أركان الحج: (الإحرام، الوقوف بعرفة، طواف الإفاضة، السعي بين الصفا والمروة)

الركن الأول: الإحرام:

* **الإحرام**: **لغة**: الدخول في الحرمة، **وشرعًا**: نية الدخول في النسك، وهو فرض في الحج أو العمرة، وليس له صلاة مخصوصة، ولا يشترط كونه من مسجد الميقات.

صفة الإحرام:

يلبس الحاج أو المعتمر ملابس الإحرام إزارًا ورداء، ثم ينوي الدخول في النسك، ويستحب له التلفظ بالنية فيقول: «اللهم لبيك حجًا»، ونحوه، ويستحب له الاشتراط فيقول: «اللهم إني أريد الحج أو العمرة فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني»، وبهذا إن عرض له ما يمنعه من إتمام نسكه تحلل من مكانه، ولا شيء عليه.

* **مستحباته**: الاغتسال، أخذ ما يشرع أخذه من الشعر، التنظف بإزالة الشعور: من حلق عانة، ونتف إبط، وقص شارب؛ لئلا يحتاج إلىٰ ذلك وهو محرِم. التطيب في البدن، التجرد من المخيط للذكر.

محظوراته:

المحظورات: جمع محظور. **والمحظور لغة**: الممنوع، **وشرعًا**: يحرم علىٰ المحرم فعله بسبب الإحرام **وعددها تسعة هي**:

١- **الأخذ من الشعر**: فإن حلق شعره لمرض، فعليه فدية صوم ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، أو ذبح شاة، وتقليم الأظافر بلا عذر.

٢- **تغطية الرأس**؛ لقوله ﷺ: « . . .**وَلاَ العِمَامَةَ** . . .».

٣- **لبس القفازين والنقاب**؛ لقوله ﷺ: «**لَا تَنْتَقِبُ الْمَرْأَةُ الْحَرَامُ وَلَا تَلْبَسُ الْقُفَّازَيْنِ**».

٤- **قتل الصيد في البر واصطياده**؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

٥- **عقد النكاح لنفسه**؛ لقوله ﷺ: «**لاَ يَنْكِحِ الْمُحْرِمُ، وَلاَ يُنْكِحْ، وَلاَ يَخْطُبْ**».

٦- **الوطء**؛ فمن جامع قبل التحلل الأول فسد نسكه ولزمه إتمامه وقضاؤه في العام المقبل.

٧- **المباشرة فيما دون الفرج**؛ بشرط كونها: بشهوة. والمباشرة لغة: مس البشرة للبشرة، والمراد بها عرفًا: مقدمات الجماع بوطء دون الفرج أو قبلة أو لمس، وكذا نظر لشهوة.

٨- **لبس المخيط المذكر**؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ: مَا يَلْبَسُ المُحْرِمُ؟ فَقَالَ: «**لاَ يَلْبَسُ القَمِيصَ، وَلاَ العِمَامَةَ، وَلاَ السَّرَاوِيلَ، وَلاَ البُرْنُسَ**».

٩- التطيب؛ لقوله ﷺ: «**وَلاَ ثَوْبًا مَسَّهُ الوَرْسُ أَوِ الزَّعْفَرَانُ**».

ما يباح للمحرم فعله:

-لبس النعلين.

- عقد إزار الإحرام وربطه بخيط.

- لبس ساعة اليد.

- غسل ملابس الإحرام، أو تبديلها بمثلها عند الحاجة.

- الاغتسال بالماء، وغسل الرأس والبدن.

الركن الثاني:

الوقوف بعرفة: لقوله ﷺ: «**الحج عرفة**».

ووقته: عند الحنابلة: من فجر عرفة إلىٰ فجر النحر ودليلهم حديث عروة بن مضرس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من شهد صلاتنا هذه -يعني: بالمزدلفة- فوقف معنا حتىٰ ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلًا أو نهارًا، فقد تم حجه وقضىٰ تفثه**» وقال الجمهور: من زوال شمس يوم عرفة إلىٰ طلوع فجر يوم النحر.

مكان الوقوف: عرفة كلها موقف، إلا بطن عرنة؛ لقوله ﷺ: «**وَقَفْتُ هَاهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ**».

شروط صحة الوقوف بعرفة:

(١) كونه في وقت الوقوف: من فجر يوم عرفة إلىٰ فجر يوم النحر.

(٢) كونه مسلمًا.

(٣) كونه محرمًا بالحج.

(٤) العقل: بألا يكون سكرانَ، ولا مجنونًا، ولا مغمىٰ عليه إلا أن يفيقوا وهم بها قبل خروج وقت الوقوف، أو بعد الدفع إن عادوا فوقفوا بها في الوقت.

ومن فاته الوقوف فاته الحج وتحلل بعمرة وهدىٰ إن لم يكن اشترط.

يترتب علىٰ فوات الحج أربعة أمور:

١- الحكم علىٰ المحرِم بأنه قد فاته الحج؛ ليأخذ أحكامه.

٢- وجوب التحلل بعمرة، فيطوف ويسعىٰ ويحلق أو يقصر، وسواء كان قارنًا أو غيره، ولا تسقط عنه ولا اشترط خلافًا لجمع.

٣- لزوم الهدي، ويؤخره إلىٰ القضاء، فلا يذبحه في السنة التي فاته فيها الحج، فإن عدمه زمن الوجوب -وهو طلوع فجر يوم النحر في السنة التي فات فيها الحج-، صام عشر أيام ثم حل.

٤- لزوم قضاء النسك الذي فاته، ولو كان نفلًا. فإن اشترط تحلل مجانًا، ولا شيء عليه سوىٰ التحلل بعمرة، فتجب عليه ليتحلل من إحرامه الذي لم يوجد ما يمنعه من التحلل منه، وهذه فائدة استحباب الاشتراط مطلقًا عند الحنابلة.

الركن الثالث:

طواف الإفاضة ويسمىٰ طواف الزيارة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْبَرَتْهُمَا أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَاضَتْ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَحَابِسَتُنَا هِيَ**» فَقُلْتُ: إِنَّهَا قَدْ أَفَاضَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَطَافَتْ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَلْتَنْفِرْ**».

ويبدأ وقته:

بعد منتصف ليلة النحر، ولا حد لآخر وقته، والأفضل ألا يؤخر عن شهر ذي الحجة، وفعله يوم النحر أفضل؛ لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «**أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أَفَاضَ يَومَ النَّحْرِ**»[(١)].

شروطه:

(١) الطهارة من الخبث والحدث.

(٢) ستر العورة.

(٣) أن يكون الطواف سبعة أشواط.

(٤) أن يكون الطواف داخل البيت ولو بعيدًا عن الكعبة.

(٥) أن يكون البيت علىٰ يسار الطائف.

(٦) أن يوالي بين الأشواط، فلا يفصل بينها لغير حاجة، كأن تقام الصلاة، أو يجلس لراحة يسيرة.

سنن الطواف:

١- **الرمل وهو**: أن يسارع الطائف في مشيه مع تقارب خطاه.

٢- **الاضطباع وهو**: كشف الكتف الأيمن، ولا يسن إلا في العمرة، أو القدوم خاصة.

٣- **تقبيل الحجر الأسود** عند بدء الطواف.

٤- **قول بسم الله والله أكبر**، اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك، ووفاءً بعهدك، واتباعًا لسنة نبيك ﷺ.

٥- **صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف** خلف مقام إبراهيم عليه السلام يقرأ فيهما بسورتي: (الكافرون، والإخلاص) بعد الفاتحة.

---

(١) صحيح مسلم (١٣٠٨).

٦- **الرجوع لاستلام الحجر الأسود** قبل الخروج إلىٰ المسعىٰ.

٧- **الدعاء أثناء الطواف**: وهو غير محدد ولا معين.

الركن الرابع:

السعي بين الصفا والمروة؛ لقوله ﷺ: «**اسْعَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ**». وَعَنْ عَائِشَةَ قالت: «مَا أَتَمَّ اللهُ حَجَّ امْرِئٍ وَلَا عُمْرَتَهُ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ».

شروط السعي:

١- الموالاة بين أشواطه.

٢- إكمال العدد سبعة أشواط، فلو نقص شوطٌ، أو بعض شوط لم يجزئ.

٣- وقوعه بعد طواف نسك صحيح، سواء كان الطواف واجبًا، أم مسنونًا.

سنن السعي:

١- **الخبب وهو**: سرعة المشي بين الميلين الأخضرين في المسعىٰ، وهو سنة للرجال القادرين دون الضعفة والنساء.

٢- الذكر والدعاء.

واجبات الحج:

وهي سبعة لا يجوز تركها، فمن ترك شيئًا منها متعمدًا أو ناسيًا لزمه دم.

١- **الإحرام من الميقات.**

٢- **استمرار الوقوف بعرفة إلىٰ غروب الشمس**، ومن وقف ليلًا ولو لحظة أجزأه.

٣- المبيت بمزدلفة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨].

٤- المبيت بمنىٰ ليالي التشريق؛ لأن الرسول ﷺ بات بها.

٥- رمي الجمار؛ سبع حصيات ليوم النحر، وإحدىٰ وعشرين لكل الأيام الثلاثة التي تليه.

شروط صحة الرمي تسعة:

١- الحجم: بأن تكون الجمار أكبر من الحمص ودون البندق، وإلا لم تجزئ، **٢- العدد**: سبع لكل جمرة، **٣- كونها من الحصىٰ لا من غيرها، ٤- كون الرمي متعاقبًا لا دفعة واحدة، ٥- أن يرمي في الوقت المعتبر شرعًا**، وهو لجمرة العقبة من نصف ليلة النحر إلىٰ الغروب، وفي بقية الأيام من الزوال إلىٰ الغروب لكل الجمرات، **٦- أن يقصد الرمي، ٧- الترتيب بين الجمرات، ٨- ألا يكون الحصىٰ قد رُمي به من قبل، ٩- كونه رميًا لا وضعًا.**

٦- الحلق أو التقصير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَم الْمُحَلِّقِينَ**». قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْمُحَلِّقِينَ**». قَالُوا: وَالْمُقَصِّرِينَ، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَالْمُقَصِّرِينَ**».

٧- طواف الوداع واجب يفعله، ثم يقف في الملتزم داعيًا بما ورد، وتدعو الحائض والنفساء علىٰ باب المسجد؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ الحَائِضِ».

صفة الحج:

- **أعمال يوم الثامن (التروية)**: التوجه إلىٰ مني، والسنة أن يصلي بها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وفجر يوم عرفة، وبعد طلوع الشمس يسير إلىٰ عرفة، وعرفة كلها موقف إلا بطن عُرنة.

- **أعمال اليوم التاسع (عرفة)**: صلاة الظهر والعصر بنمرة جمعًا وقصرًا بأذان واحد وإقامتين، الوقوف بعرفة والدعاء إلىٰ غروب الشمس، الدفع من عرفة إلىٰ مزدلفة وصلاة المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا، المبيت بمزدلفة ثم الدفع إلىٰ منىٰ قبل طلوع الشمس.

- **أعمال اليوم العاشر (النحر)**: قطع التلبية، ورمي الجمرة الكبرىٰ بسبع حصيات، نحر الهدي، الحلق أو التقصير، وبهذا يحل له كل شيء إلا النساء، طواف الحج والسعي للمتمتع ومن لم يطف، ويجوز تأخيره إلىٰ وقت آخر، فإذا طاف وسعىٰ حل له كل شيء حتىٰ النساء، الرجوع إلىٰ مني والمبيت بها.

- **أعمال أيام التشريق**: المبيت بمني ثلاث ليالٍ، رمي الجمرات الثلاث كل مرة بسبع حصيات في كل يوم من أيام التشريق بعد الزوال وقبل الصلاة، يبتدئ بالأولىٰ، ثم الوسطىٰ، ثم الكبرىٰ، أما المتعجل فيرمي اليوم الثاني عشر، ويخرج من منىٰ قبل الغروب، فإذا غربت الشمس وهو بمنىٰ لزمه المبيت والرمي من غد، إلا إذا كان تأخر لعذر كزحام أو مطر.



العمرة

معناها لغة؛ الزيارة. **شرعًا:** زيارة بيت الله الحرام في أي وقت لأداء مناسك مخصوصة.

مشروعيتها:

من القرآن: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

من السنة: قوله ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا**».

والإجماع منعقد علىٰ مشروعيتها.

حكمها: واجبة في العمر مرة واحدة.

* **أركانها:** الإحرام، الطوف، السعي.

* **واجباتها:** الإحرام من الميقات، الحلق أو التقصير.

صفتها:

يلبس المعتمر كما يلبس الحاج، ثم يحرم المعتمر بالعمرة إذا مر بالميقات، ثم يأتي البيت فيطوف سبعة أشواط، ثم يصلي ركعتين بمقام إبراهيم، ثم يسعىٰ بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثم يحلق أو يقصر، وبذلك تكون عمرته قد انتهت.



الهدي والأضحية والعقيقة

* **الذبائح التي يتقرب بها إلىٰ الله تعالىٰ هي:**

- **الهَدْي**: ما يهدىٰ إلىٰ الحرم من بهيمة الأنعام، وأفضله الإبل ثم البقر ثم الغنم، وهو واجب علىٰ الحاج المتمتع والقارن ويستحب الأكل منه، فإذا كان الهدي هدي جبران وهو: الذي يكون بسبب فعل محظور، أو ترك واجب فلا يأكل الحاج منه، ويذبح الهدي في منىٰ يوم النحر، فمن لم يستطع الهدي فعليه صيام عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلىٰ بلده.

أنواع الهدي:

١- **هدي الشكران وهو**: هدي التمتع والقران، وهو واجب علىٰ من لم يكن حاضر المسجد الحرام، وهو دم نسك وشكر لله تعالىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٢- **هدي الجبران وهو**: الفدية الواجبة لترك واجب، أو ارتكاب محظور من محظورات الإحرام، أو بسبب الإحصار عند وجود سببية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا النوع لا يجوز الأكل منه، بل يتصدق به علىٰ فقراء الحرم.

شروط الهدي:

١- أن يكون من بهيمة الأنعام: (الإبل، البقر، الغنم).

٢- أن يكون خاليًا من العيوب التي تمنع الإجزاء.

٣- أن يبلغ السن المشروعة؛ فالإبل: خمس سنوات، والبقر: سنتان، والمعز: سنة، والضأن: ستة أشهر.

- **الأضحية**: ما يذبح يوم العيد وأيام التشريق تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، وسميت بذلك لأنها تذبح ضحىٰ يوم العيد.

- **حكمها**: سنة مؤكدة علىٰ الأرجح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛ ولِما جاء عن أنس أن النبي ﷺ ضحىٰ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده، وسمّىٰ وكبر، ووضع رجله علىٰ صفاحهما؛ ولأن الصحابة تركوها مع القدرة؛ خشية أن يعتقد وجوبها كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم، وتتعين الأضحية بقوله -بعد أن يتملك شاة ونحوها-: هذه أضحية، أو: لله، ونحوه من ألفاظ النذر كقوله: هذه صدقة. ومما يترتب علىٰ هذا التعيين: أنه لا يجوز بيع ما عيَّنه، إلا أن يبدله بخير منه ولو ببيعه وشراء خير منه، ومنها: له جز صوفها والتصدق به، ومنها: لو بانت مستحقة لزمه بدلها.

أما مجرد نية التضحية فقط -أي: بدون أن يقول: هذه أضحية، ونحو ذلك- مع الشراء، فلا تتعين به الأضحية.

وتجزئ الشاة في الهدي عن واحد، وفي الأضحية تجزئ عن الرجل وأهل بيته، وتجزئ البدنة والبقرة عن سبعة، عَنْ أبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه: «**كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَيَأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ**». رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ

عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ**».

وقت الذبح:

يبدأ وقت الذبح -للأضحية وللهدي سواء كان تمتع أو قران- لمن في البلد: بعد أسبق صلاة عيد في البلد -أي أول صلاة عيد تمت صلاتها-. أما من هو خارج البلد أو كان في بلد لا تصلىٰ فيه صلاة العيد: فبعد مرور قدر صلاة العيد، ولا تحسب الخطبة في ذلك؛ لكن بعدها أفضل.

أيام الذبح في المذهب ثلاثة فقط: يوم النحر -وهو أفضلها، فما يليه- ويومان بعده، فإن فاتت الصلاة بالزوال: ذبح بعد الزوال في اليوم الأول ويجوز الذبح نهارًا، وكذلك ليلًا؛ مع الكراهة.

(تتمة) إذا فات وقت الذبح قضي الواجب كالأضحية المعينة ودم المتعة والقران، وسقط التطوع كما لو اشترىٰ شاة ناويًا التضحية بها ولم يعيِّنها حتىٰ فات وقت الذبح.

شروط الأضحية:

١- أن تكون من بهيمة الأنعام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

٢- أن تبلغ السن المعتبر شرعًا؛ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ يُعْسِرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ**».

٣- خلوها من العيوب المانعة من الإجزاء.

العيوب المانعة من الإجزاء:

١- العوراء البين عورها.

٢- العجفاء: وهي التي ذهب مخ عظمها.

٣- العرجاء البين عرجها.

٤- المريضة البين مرضها، وهي التي ظهر عليها آثار المرض.

٥- البتراء من الضأن.

والدليل: قوله ﷺ: «**أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِيِّ -فَقَالَ-: الْعَوْرَاءُ بَيِّنٌ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ بَيِّنٌ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ بَيِّنٌ ظَلْعُهَا، وَالْكَسِيرُ الَّتِي لَا تَنْقَىٰ**».

العيوب التي تجزئ معها الأضحية مع الكراهة:

١- **العضباء وهي**: ما قطع من أذنها أو قرنها النصف فأكثر.

٢- **المقابلة وهي**: التي شقت أذنها عرضًا من الأمام.

٣- **المدابرة وهي**: التي شقت أذنها عرضًا من الخلف.

٤- **الشرقاء وهي**: التي شقت أذنها طولًا.

٥- **الخرقاء وهي**: التي خرقت أذنها.

٦- **المستأصلة وهي**: التي ذهب قرنها كله.

٧- **البخقاء وهي**: التي ذهب بصرها، وبقيت العين بحالها.

٨- **ما قطع من أليته أقل من النصف**، فإن قطع النصف فأكثر، فجمهور أهل العلم: أنها لا تجزئ.

٩- **ما قطع ذكره.**

١٠- **ما سقط بعض أسنانها**، فإن فقد بأصل الخلقة لم تكره.

يشترط للتذكية أربعة شروط:

١- **أهلية المذكي**، بأن يكون عاقلًا مسلمًا، ولا بأس في غير الأضحية أن يكون كتابيًا.

٢- **الآلة**؛ فتباح الذكاة بكل محدد إلا السنَّ والظفر؛ لقوله ﷺ: «**ما أنهر الدم فكل، ليس السن والظفر**».

٣- **قطع الودجين**، والأكمل قطع الحلقوم والمريء معهما.

٤- **أن يقول الذابح عند الذبح (بسم الله)**، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. ولقول النبي ﷺ: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا**».

- **العقيقة**: ما يذبحه الوالد عن ولده تقربًا إلىٰ الله، وهي سنة مؤكدة علىٰ الصحيح في حق الأب، فلا يفعلها غيره، حتىٰ الابن لو كبر لا يُسَنُّ له أن يعق عن نفسه، وهي عن الذكر شاتان، وعن الأنثىٰ شاة واحدة، تذبح يوم السابع فإن فات ففي أربعة عشر، فإن فات ففي أحد وعشرين، ثم لا تعتبر الأسابيع، ولا يجزئ فيه الاشتراك.

ويتبع حكمها حكم الأضْحِيةِ: فيما يجزئ وما لا يجزئ، وما يستحب فيها ويكره في الأكل والهديةِ والصدقةِ؛ إلا **أن هناك فروقًا بين الأضحية والعقيقة، ومنها**:

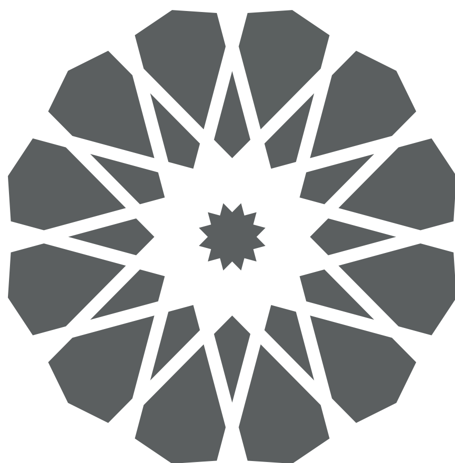
١- أنه لا يجزئ فيها شرك في دم، أي: لا يجزئ فيها سُبع بدنة ولا سُبع بقرة، لكن تجزئان كاملتين.

٢- **ومنها**: أنه لا يشترط فيها التمليك، فيجوز أن يدعو الناس فيأكلوا منها مطبوخة، بخلاف الأضحية، فيجب أن يملك الفقير فيعطيه لحمًا نيئًا ولا يطعمه مطبوخًا.

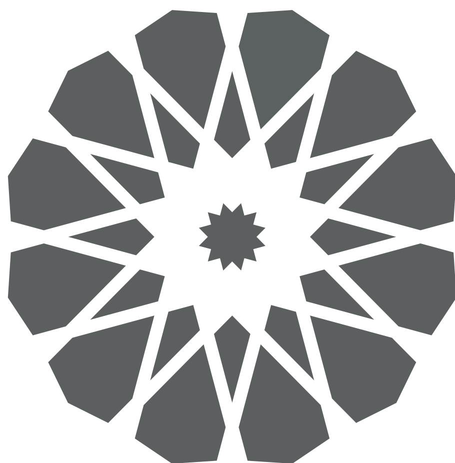
٣- **ومنها**: أنه يستحب أن ينزع أعضاءها نزعًا ولا يكسر عظمها، فتؤخذ اليد مثلًا من المفصل، وهكذا.

- **شروطها**: يشترط فيما يهدىٰ إلىٰ الله تعالىٰ ما يلي: السلامة من المرض والنقص والهزال، فلا تجزئ العوراء بينة العور، ولا العمياء، ولا العجفاء، ولا العرجاء، ولا الهتماء، ولا المريضة البين مرضها كما تقدم بيانه.





فقه الأسرة



النكاح

تعريف النكاح:

النكاح: **لغة**: الضم والجمع.

وشرعًا: عقد يتضمن إباحة وطءٍ بلفظ إنكاح أو تزويج، وإن لم يحصل مس ولا خلوة.

مشروعية النكاح:

والنكاح مشروع بالكتاب والسنة والإجماع:

قال تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النِّسَاءِ: ٣]، وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**». وقد تزوج النبي ﷺ وقال: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

قال ابن قدامة: «أجمع المسلمون علىٰ أن النكاح مشروع».

حكمه:

* الأصل في النكاح الإباحة، وقد يكون واجبًا؛ إن كان الشخص عنده شهوة، ويخاف علىٰ نفسه الحرام.

* ويكون مستحبًا؛ إن كان عنده شهوة، ولا يخاف علىٰ نفسه الحرام.

الحكمة من مشروعيته:

لله الحكمة البالغة في تشريعاته وأحكامه، وقد ذكر أهل العلم أوجهًا كثيرةً في الحكمة من تشريع النكاح منها:

١- بقاء النسل البشري.

٢- تكثير عدد المسلمين.

٣- أن يكون للمسلم والمسلمة من يؤانسهما في رحلة الحياة.

٤- الإعانة علىٰ غض البصر.

٥- إعفاف الفروج.

٦- حماية للمجتمع من الوقوع في الفواحش.

٧- حصول السكن والأنس بين الزوجين.

الشروط في النكاح:

الشروط في النكاح ثلاثة أنواع:

- **شروط صحيحة**: هي اشتراط ما فيه مصلحة غير محرمة؛ كاشتراط أن تكون الزوجة بكرًا، أو اشتراط الزوجة ألا يتزوج عليها زوجها، وألا يخرجها من بلدها، وألا يفرق بينها وبين أبويها، وهي شروط جائزة والوفاء بها واجب.

- **شروط فاسدة لا تفسد النكاح**: كاشتراط إسقاط حق من حقوق الزوجة كالمهر والنفقة، واشتراط أن تكون الزوجة مسلمة.

- **شروط فاسدة تفسد النكاح**: كنكاح الشغار وهو: أن يزوج كل واحد موليته للآخر ولا مهر بينهما، ونكاح المُحَلل وهو: التيس المستعار، وتعليق عقد النكاح علىٰ شرط مستقبل كقوله: زوجتك إذا جاء رأس الشهر.

شروط صحته:

١- **تعيين الزوجين في العقد**: لتصح الشهادة عليهما.

٢- **رضا المرأة**: لقوله ﷺ: «**لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّىٰ تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّىٰ تُسْتَأْذَنَ**».

٣- **الولي**: فلا تنكح المرأة إلا بولي، ولو كانت ثيبًا علىٰ الراجح؛ لقوله ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي**»، وقوله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ**»، وقوله ﷺ: «**لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا**».

٤- **الإشهاد علىٰ العقد**: لقوله ﷺ: «**لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ**».

٥- **وشروطه ستة:**

١- **كونه مكلفًا**، أي: بالغًا عاقلًا، فلا ولاية للصبي والمجنون.

٢- **وكونه ذكرًا**؛ للحديث.

٣- **وكونه حرًا**.

٤- **وكونه رشيدًا**، والرشد هنا: معرفة الكفء ومصالح النكاح، وأصله لشيخ الإسلام، كما في شرح ابن النجار للمنتهىٰ.

٥- **واتفاق دين الولي وموليته**، ويستثنىٰ: السلطان المسلم يزوج كافرة لا ولي لها؛ لعموم ولايته علىٰ أهل دار الإسلام.

٦- **وكون الولي عدلًا ولو ظاهرًا**، فيكفي مستور الحال، ولا ولاية لمن ظاهره الفسق، ولا يصح تزويجه موليته.

أركانه:

- **الزوجان**: الخاليان من موانع النكاح.

- **الإيجاب**: لفظ التزويج الصادر من ولي الأمر. أو من يقوم مقامه، ولا بد في عقد النكاح من لفظ «أنكحت» أو «زوجت»، وهما اللذان وردا في القرآن الكريم.

- **القبول**: وهو اللفظ الصادر من الزوج أو من يقوم مقامه، فيقول: «قبلت» أو «رضيت» ويسكت، أو يضيف إليهما «هذا النكاح» فيقول: «قبلت هذا النكاح» أو «رضيت بهذا النكاح»، أو يقول: «تزوجتها».

● **عادات محرمة**: الإجبار، العضل أي: (المنع من الزواج)، تحجير ابن العم علىٰ ابنة عمه، والعكس.

المحرمات في النكاح نوعين:

١- اللاتي يحرمن تحريمًا مؤبدًا، وأسبابه: (النسب - الرضاع - المصاهرة).

أ- أولًا: من يحرمن بالنسب «القرابة»؛ وهن: (الأم وإن علت، البنات وإن نزلن، الأخوات مطلقًا، بنات الأخ، وبنات الأخت، العمات والخالات دون بناتهن)؛ لقول الله ﷻ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٣]. ويحل ما سوىٰ ذلك من النساء لقول الله ﷻ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٤].

ب- ثانيًا: من يحرمن بالرضاع: يحرم من الرضاع كل امرأة حرمت بالنسب؛ للآية السابقة، ولقوله ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»، ولكي يكون الرضاع محرمًا **لا بُدَّ من توافر شرطين**:

-أن يكون الرضاع في الحولين.

- أن يكون الرضاع خمس رضعات مشبعات متفرقات.

ج- ثالثًا: من يحرمن بالمصاهرة وهن أربع:

- **أم الزوجة وإن علت**: لقوله تعالىٰ: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٣]

- **الربائب**: وهن بنات الزوجة، ولا تحرم الربيبة إلا بالدخول بأمها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٣].

- **حلائل الأبناء**: أي: زوجات أبناء الرجل، أو أبناء أبنائه، وإن نزلوا؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٣].

- **زوجات الأب وإن عَلا، من نسب أو رضاع**: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاءِ: ٢٢]، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَقِيتُ خَالِي وَمَعَهُ الرَّايَةُ، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**بَعَثَنِي ﷺ إِلَىٰ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ أَنْ أَقْتُلَهُ، أَوْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ**».

القسم الثاني: من يحرمن تحريمًا مؤقتًا وهن نوعان:

الأول: من تحرم لأجل الجمع، وهو كالآتي:

- الجمع بين الأختين، سواء كانتا من النسب أو الرضاع؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٣].

- الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها؛ لقوله ﷺ: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**».

- الجمع بين أكثر من أربع نسوة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النِّسَاءِ: ٣]. وقد انعقد الإجماع علىٰ ذلك.

الثاني: ما كان التحريم لعارض يزول، وبيانه كالآتي:

- المعتدة من الغير: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٣٥].

- الزانية إذا علم زناها حتىٰ تتوب وتنقضي عدتها: لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

- المطلقة ثلاثًا، فتحرم علىٰ زوجها الذي طلقها ثلاثًا، حتىٰ يطأها زوجٌ غيره بنكاح صحيح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٠]؛ يعني: الثالثة ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

- المحرمة حتىٰ تحل من إحرامها: لقوله ﷺ: «**لاَ يَنْكِحِ الْمُحْرِمُ، وَلاَ يُنْكِحْ، وَلاَ يَخْطُبْ**».

النكاح المنهي عنه:

الأول: نكاح الشغار: لأن النبي ﷺ نهىٰ عن الشغار. قال ابن عمر: والشغار أن يزوج الرجل ابنته علىٰ أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق.

الثاني: نكاح المحلل: وهو أن يتزوج الرجل المطلقة ثلاثًا، ليحللها للأول، ثم يطلقها؛ لقوله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ**»، قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**هُوَ الْمُحَلِّلُ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**».

الثالث: نكاح المتعة: لقوله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وهو محرم بالإجماع، لم يبحه ممن ينتسب إلىٰ الإسلام إلا الروافض. وله صور، ومنها: أن يتزوج إلىٰ مدة كأن يقول الولي: زوجتك ابنتي شهرًا، فهو نكاح فاسد محرم. ومن الأنكحة الشبيهة بالمتعة -وهي محرمة علىٰ المذهب-: أن يتزوج الغريب بنية الطلاق إذا خرج من البلد -وإن كان

حكي الإجماع علىٰ جوازه-، وقد وقع فيه كثير من المسلمين الآن، ويقولون: لم نشترط مدة في العقد، لكن يقول: المعروف كالمشروط، فالأحرىٰ أن يسمىٰ زنًا مقننًا.

الرابع: تعليق النكاح علىٰ شرط مستقبل، وذلك كقول الولي: زوجتك ابنتي إذا جاء رأس الشهر، فيحرم ولا يصح. أما لو علقه علىٰ شرط ماض كـ: زوجتك بنتي إذا انقضت عدتها، وهما يعلمان أن عدتها انقضت، أو علىٰ شرط حاضر كـ: زوجتكها إن شئت، فقال: شئت، صح النكاح، وكذا يصح لو علقه علىٰ مشيئة الله تعالىٰ.



الخِطبة وأحكامها

تعريف الخطبة:

الخِطبة: هي عرض الرجل رغبته في الزواج من امرأة معينة.

من أحكام الخِطبة:

- يباح للخاطب الذي غلب علىٰ ظنه إجابته أن ينظر إلىٰ ما يظهر من المخطوبة، ولا يجوز الخلوة بها.

- من استشير في خاطب أو مخطوبة وجب ذكر ما فيهما من عيوب.

- يحرم التصريح بخطبة المعتدة.

- لا يجوز خطبة الرجل علىٰ خطبة أخيه.

*** وليمة العُرس، والعشرة بين الزوجين، والنفقة**:

* الوليمة تجزئ بأي طعام؛ كما قال بعض العلماء، وهي سنة، ويجب علىٰ من دُعي الحضور لها، ولا يجوز الإسراف فيها، ولا التساهل في الاحتشام.

وتجب الإجابة إليها بشروط:

١- **كون الداعي مسلمًا**، فإن كان ذميًا كُرهت إجابته، وكذلك الرافضي وأَولىٰ، لكن لا تحرم إجابته.

٢- **تعيين الداعي المدعو**، فلو كتب علىٰ بطاقة الدعوة الاسم فهو تعيين، أما إذا وزعت الظروف بلا اسم فليس ذلك بتعيين، وكذلك لو أرسل

له رسالة بالهاتف النقال فهو تعيين ما لم تدل قرينة علىٰ أنها من الرسائل الجماعية التي يقصد بها الدعوة العامة، ومن باب أَولىٰ إذا أرسل له من يدعوه، أو أن يدعوه الداعي بنفسه.

٣- **كون الوليمة في اليوم الأول**، أما الوليمة بعدها في اليوم الثاني من الزواج فتستحب الإجابة إليها ولا تجب، وأما الدعوة في اليوم الثالث فيكره حضورها.

٤- **كون الداعي يحرم هجره**، وهو: المسلم الذي لم يرتكب معصية جاهر بها وهناك مصلحة في هجره ليكف عنها.

٥- **ألا يكون في الدعوة منكرٌ لا يقدر علىٰ تغييره.**

٦- **ألا يكون للمدعو عذر من نحو مرض.**

٧- **ألا يكون في مال الداعي حلال وحرام**، وإلا كرهت إجابته.



الحقوق الزوجية

أ- حقوق الزوجة:

١- **المهر**: ويسمىٰ الصداق، والأجر، والنِحْلة، والفريضة، قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النساء: ٤]. وهو المال الواجب للمرأة علىٰ الرجل بالنكاح أو الوطء، والمهر يجب علىٰ الرجل لزوجته في العقد الصحيح دخل بها أم لم يدخل.

والصدَّاق: عِوض يسمىٰ في عقد النكاح أو بعده، وهو واجبٌ، ويستحب تسميته في العقد، وقد كان صداق بنات النبي ﷺ أربعمئة درهمًا. **ويسن فيه أربعة أمور:**

١- تسميته في العقد، أي: ذكره فيه؛ لأنه يقطع النزاع.

٢- وتخفيفه، أي: كونه قليلًا.

٣- وألا ينقص عن عشرة دراهم خروجًا من خلاف من قدّره بذلك، ولا حد لأكثر الصداق بالإجماع.

٤- وكونه من **٤٠٠** إلىٰ **٥٠٠** درهم؛ لأنه صداق النبي ﷺ لزوجاته رضي الله عنهن رواه مسلم، والدرهم يساوي **٣** جم تقريبًا، فإن كان الجرام يقوم بـ **٢** ريال مثلًا، فتكون قيمة الدرهم **٦** ريال، وتكون إذَن قيمة **٥٠٠** درهم= **٣٠٠٠** ريال.

ونوعه: الأصل فيه المال، ويجوز أن يكون بتعليم شيء من القرآن، أو العلوم الشرعية، وليس لأقله وأكثره حد معين.

* إذا طلقت المرأة قبل الدخول فلها نصف المهر، ويجوز تعجيله وتأخيره، أو العفو من أحد الطرفين.

شروط صحة الصداق:

١- **أن يكون معلومًا**، ولكن لا يضر جهلٌ يسير كقميص من قمصانه، ولا غرر يرجىٰ زواله.

٢- **أن يكون مما يتمول عادة**، أي: له قيمة مالية عند الناس، فلا يصح أن يكون حبة شعير مثلًا؛ لأنها لا مالية لها عند الناس.

٣- **أن يكون مباحًا** فلا صداق بمحرم كخمر أو خنزير.

٢- **النفقة**: وتجب النفقة للزوجة علىٰ زوجها بمقتضىٰ العقد، سواء أكانت غنية أم فقيرة، فالنفقة حق من حقوق عقد الزواج الصحيح، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ويقصد بها توفير كل ما تحتاج إليه الزوجة في معيشتها من طعام، وكسوة، وسكن، وعلاج، وخدمة.

٣- **المعاشرة بالمعروف وهو**: أن يحسن الزوج لزوجته القول، والفعل، والخُلُق، بأن يكرمها ويتلطف معها، ويضاحكها ويداعبها؛ تطييبًا لقلبها، وإشعارًا بمكانتها عنده، ويتجنب إيذاءها قولًا وفعلًا، ويناديها بأحب الأسماء إليها، وينصت لحديثها ويحترم رأيها، فقد أخذ النبي ﷺ برأي أم سلمة في صلح الحديبية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

٤- **عدم الإضرار بالزوجة**: إذا أضر الزوج زوجته بقول، أو فعل، أو خُلُق، لها أن ترفع أمرها للقاضي ليزجره ويعزره، وإذا اختارت الفراق فلها طلب التطليق بالضرر البين.

٥- **العدل بين الزوجات؛** لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**».

ب- حقوق الزوج:

١- **الطاعة:** أوجب الإسلام علىٰ الزوجة طاعة زوجها، ومنشأ هذه الطاعة قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

ولا يوجد خلاف بين أهل العلم في أن طاعة الزوجة لزوجها ليست مطلقة، ولا يخصون تقييدها بأنها تكون شاملة في غير معصية، هذا غلط، وإنما هي متعلقة بمحل عقد الزواج، كالاستمتاع وإذن الخروج إن علمت أنه قد لا يأذن، وإذن التصرف في مال الزوج (أما مالها فحقها) وحفظ الفراش وتفاصيل تربية الولد تحت مظلة الشرع، وإنما ترد الإطلاقات في عباراتهم توكيدا للحق وتعظيمًا له كما توجد إطلاقات الوحي لنفس المقصد.

وفي نص خطبة الوداع الجامع، لم يذكر النبي ﷺ هذه الطاعة المطلقة بل قال: «**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**».

قال ابن نجيم الحنفي: «المرأة لا يجب عليها طاعة الزوج في كل ما يأمر به إنما ذلك فيما يرجع إلىٰ النكاح وتوابعه».

وتعريف المالكية للنشوز يبين موضع الطاعة عندهم، **قال في الشرح**

الصغير: «خرجت عن طاعته بمنعها التمتع بها أو خروجها بلا إذن لمكان لا يجب خروجها له، أو تركت حقوق الله كالطهارة والصلاة، أو أغلقت الباب دونه أو خانته في نفسها أو ماله».

وعند الشافعية: «حقوق الزوج عليها طاعته وملازمة المسكن، وحقوقها عليه المهر والقسم والنفقة ونحوها، وأما المعاشرة بالمعروف فهي حق لكل منهما علىٰ الآخر».

وفهم سياق الطاعة الواجبة ظاهر في كتب الحنابلة **فيقول صاحب الممتع**: «الزوج له الاستمتاع بالزوجة ما لم يشغلها عن الفرائض ولم يضر بها؛ فلأن المقصود من النكاح الاستمتاع. فإذا لم يشغلها عن الفرائض ولم يضر بها وجب عليها التمكين منه. وقد نبه علىٰ ذلك النبي ﷺ حيث حث علىٰ طاعة الزوج، وقد روي عنه أنه قال: «**من باتتْ مهاجرةً فراشَ زوجها لعنتْها الملائكةُ حتىٰ ترجع**».

وفهم الطاعة أنها مطلقة في كل باب= فهم معاصر فاسد لم يقل به أحد من أهل العلم، وإنما يستعمل العلماء عبارات مطلقة في توكيد الطاعة علىٰ طريقة اللسان العربي، بل حتىٰ أبواب الطاعة هذه يشترطون فيها عدم التعسف وألا تضر بحق المرأة علىٰ الرجل، ومثال ذلك أن الحنابلة تبعًا لقول الإمام وللدليل الوارد يرون جواز أن يمنع الرجل زوجته من عيادة أبيها المريض، فهل يقصدون منعها مطلقًا من كل عيادة، أم المنع الذي قد يقع أحيانًا لحاجة أو معنىٰ يراعيه الرجل؟

الجواب في عبارة **ابن قدامة** رحمه الله **حين قال**: «طاعة الزوج واجبة، والعيادة غير واجبة، فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب؛ ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه، ولكن لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها، وزيارتهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما، وحملا لزوجته علىٰ مخالفته، وقد

أمر الله تعالىٰ بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف».

قال ابن نجيم الحنفي: «ولو كان أبوها زمنا (مريضا) مثلا وهو يحتاج إلىٰ خدمتها والزوج يمنعها من تعاهده فعليها أن تعصيه مسلما كان الأب أو كافرا».

- **القوامة والمسؤولية وهي**: مسئولية يُسأل عنها يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته**».

- **الطاعة فيما يرضي الله**، ويشترط في الطاعة أن تكون في المعروف، فإذا أمرها بمعصية فلا تطيعه، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومما هو آكد في حدود طاعة المرأة لزوجها، أن تمكنه من نفسها متىٰ أراد؛ لقوله: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلىٰ فراشه، فتأبىٰ عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتىٰ يرضىٰ عنها**».

- **الاستئذان بصوم التطوع**: لقوله ﷺ: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه**».

٢- المكوث في بيت الزوجية: قال تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فلا تخرج من بيته إلا بإذنه، والإذن هنا لا يعني التسلط والاستبداد، وإنما هو أمر تمليه طبيعة القوامة التي جعلها الشارع للرجال، وفي القوامة ما فيها من مظاهر التنظيم وحسن الإدارة.

ج - الحقوق المشتركة بين الزوجين:

١- حسن العشرة: قال تعالىٰ: ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فعلىٰ الزوجين أن يحسنا عشرتهما، ويتحمل أحدهما الآخر فيما يصدر عنه من أذىٰ.

٢- حق الاستمتاع للزوجين حق استمتاع كل منهما بالآخر، إلا لعذر شرعي.

٣- التوارث: يثبت بعقد الزواج الصحيح التوارث بين الزوجين، فإذا مات أحد الزوجين بعد العقد، أو خلال فترة العدة من طلاق رجعي، وَرِثَهُ الآخر.

ومجمل الحقوق الزوجية يتلخص في النقاط التالية:

أولًا: حقوق الزوج علىٰ زوجه	
الأول: تعظيم حق الزوج علىٰ زوجه.	
الثاني: طاعة الزوجة لزوجها بالمعروف.	
الثالث: إرضاء الزوجة لزوجها.	
الرابع: شكر الزوجة نعمة زوجها عليها.	
الخامس: ألا تأذن الزوجة لأحد في بيت زوجها أو تتصرف في ماله إلا بإذنه.	
السادس: ألا تصوم إلا بإذن زوجها.	
السابع: ألا تخرج الزوجة إلا بإذن زوجها.	
الثامن: حق الزوج في تأديب زوجه.	
التاسع: خدمة الزوجة زوجَها بالمعروف.	
العاشر: أن تحفظ الزوجة مال زوجها.	
الحادي عشر: أن تحفظ الزوجة نفسها وغيبة زوجها.	
الثاني عشر: حق الزوج في شكوىٰ زوجه لأهلها.	
الثالث عشر: حق الزوج علىٰ زوجه في أن تبر قَسَمه.	
الرابع عشر: تمكين الزوجة زوجها من نفسها.	
ثانيًا: حقوق الزوجة علىٰ زوجها.	

الأول: حق الزوجة علىٰ زوجها في حسن المعاشرة والعفو عن التقصير.	
الثاني: حق الزوجة علىٰ زوجها في تمكينها من حضانة ولدها.	
الثالث: حق الزوجة علىٰ زوجها في النفقة علىٰ ما تعارف الناسُ عليه من وجوه الإنفاق.	
الرابع: حق الزوجة علىٰ زوجها في السكنىٰ اللائقة بها.	
الخامس: حق الزوجة علىٰ زوجها في الاختصاص بأيام عند الزواج.	
السادس: حق الزوجة علىٰ زوجها في العدل بينها وبين ضرائرها.	
السابع: حق الزوجة علىٰ زوجها في المهر اللائق بها.	
الثامن: حق الزوجة علىٰ زوجها في حسن الظن وإعطائها الوقت الكافي لتحضير نفسها لاستقباله إذا جاء من	غياب.
التاسع: حق الزوجة علىٰ زوجها في الخلع.	
العاشر: حق الزوجة علىٰ زوجها في الاستشارة.	
الحادي عشر: حق الزوجة علىٰ زوجها في تمكينها من الخروج لقضاء حوائجها.	
الثاني عشر: حق الزوجة علىٰ زوجها في الاستشارة للعزل في الجماع وتأجيل الإنجاب (كلاهما لشريكه).	
الثالث عشر: حق الزوجة علىٰ زوجها في عدم الاعتداء علىٰ مالها.	
الرابع عشر: حق الزوجة علىٰ زوجها في عدم الاعتداء علىٰ بدنها.	
ثالثًا: حقوق مشتركة بين الزوجين.	
الأول: حق الزوجين علىٰ بعضهما في حفظ سرهما.	
الثاني: حق الزوجين علىٰ بعضهما في الصدقة.	
الثالث: حق الزوجين علىٰ بعضهما في الوفاء بالشروط.	
الرابع: حق الزوجين علىٰ بعضهما في الاستمتاع والترفيه.	

الخامس: حق الزوجين علىٰ بعضهما في الإعانة علىٰ العبادة والتواصي بها.	
السادس: حق الزوجين علىٰ بعضهما في كف الأذىٰ واحتمال النقص.	
السابع: حق الزوجين علىٰ بعضهما في رعاية بيتهما وأبنائهما.	



الطلاق

تعريف الطلاق:

الطلاق لغة: التخلية والإرسال. **وشرعًا**: حل قيد النكاح بلفظ من ألفاظ الطلاق ونحوه.

مشروعيته: الطلاق مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٩]. وقوله ﷺ: «**لِيُرَاجِعْهَا، فَإِذَا طَهُرَتْ فَإِنْ شَاءَ فَلْيُطَلِّقْهَا**». **وقال ابن قدامة**: «أجمع الناس علىٰ جواز الطلاق».

وأحكامه تدور بين الأحكام التكليفية الخمسة فهو إما:

- **مكروه**: إذا كان بلا سبب وحاجة.
- **مباح**: إذا كان لحاجة وضرر.
- **مستحب**: في حالة تضرر المرأة بالشقاق.
- **واجب**: في حال الإيلاء (الهجر) ورفض الزوج الفيئة (الرجوع).
- **حرام**: إن كان الطلاق بدعيًا، كطلاق الزوجة وهي حائض.

صحة الطلاق:

- **من يصح طلاقه**: الزوج، أو وكيله، بشرط أن يكون مكلفًا، مختارًا.
- **من لا يصح طلاقه**: المكرَه، الصغير، المعتوه، المجنون، المغمىٰ عليه، من أغلق عقله الغضب.

- **الحكمة من تشريع الطلاق:**

جاء في بدائع الصنائع: «إن شرع الطلاق في الأصل لمكان المصلحة؛ لأن الزوجين قد تختلف أخلاقهما، وعند اختلاف الأخلاق يبقىٰ النكاح مصلحة؛ لأنه لا يبقي وسيلة إلىٰ المقاصد فتنقلب المصلحة إلىٰ الطلاق؛ ليصل كل واحد منهما إلىٰ زوج يوافقه، فيستوفي مصالح النكاح فيه» وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

أنواع الطلاق وألفاظه:

الطلاق نوعان:

- **سُني:** أن يطلق الزوج زوجته طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه، أو حال كونها حاملًا.

لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. ولقوله ﷺ: «**مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا، أَوْ حَامِلًا**».

وقد أجمع العلماء علىٰ أن المطلق للسنة هو الذي يطلق امرأته في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة.

- **بدعي:** ويكون بالإخلال بسنة الطلاق **في أحد أمرين:**

١- عدد الطلاق: كأن يطلقها أكثر من طلقة بلفظ واحد، أو بطلقات متفرقات قبل انقضاء العدة، كقوله: أنت طالق ثلاثًا.

٢- وقت الطلاق: كأن يطلقها وهي حائض، أو في طهر جامعها فيه، ولم يتبين حملها.

وقد اختلف أهل العلم في وقوع الطلاق في الحيض، والجمهور علىٰ وقوعه.

واختار ابن تيمية أنه لا يقع واختار أن الطلاق ثلاثًا يقع واحدة واختار أن من علَّق الطلاق علىٰ شرط بقصد التهديد أنه يكفر كفارة يمين إن حدث ما علَّق الطلاق عليه.

أقسام الطلاق باعتبار الرجعة فيه:

ينقسم الطلاق بهذا الاعتبار إلىٰ قسمين:

الأول: طلاق رجعي وهو ما يمكن أن يُرجع فيه الزوج امرأته خلال العدة ولو بغير موافقتها.

الثاني: طلاق بائن، لا رجعة فيه خلال العدة. وهو نوعان: (بينونة صغرىٰ يجوز لهما الرجوع لبعضهما بعقد جديد ومهر جديد، وبينونة كبرىٰ لا يحل لهم الرجوع حتىٰ تكون قد تزوجت رجلًا آخر زواجًا كاملا ثم طلقت وانقضت عدتها ويكون بعقد جديد ومهر جديد أيضًا).

ألفاظ الطلاق نوعان:

- **صريح**: لفظ الطلاق وما تصرف منه كطلقتك وطالق، وهو واقع إلا إذا ادعىٰ الجهل بمعناه.

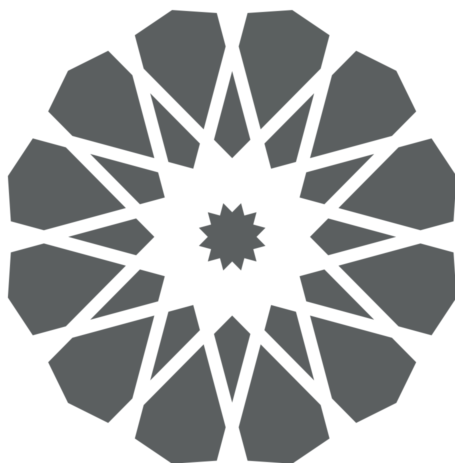
- **كناية**: ألفاظ محتملة كأنت بائن، وحرة، وبرية، وخلية، أعتقتك، واعتزلي، وهو غير واقع إلا إذا نواه.

- **الطلاق المُعَلَّق**: تعليق الطلاق علىٰ شيء حاصل بأن الشرطية، أو إحدىٰ أخواتها، مثل: إن خرجت فأنت طالق، والأصل وقوع الطلاق إذا تحقق المعلق عليه، ويذهب ابن تيمية، وابن القيم إلىٰ أنه إذا قصد الزوج الطلاق طلقت زوجته، وإن قصد التهديد كان يمينًا، وعليه كفارة يمين.

* **ملحوظة**: لا يقع الطلاق بالنية بل لا بُدّ من التلفظ به، ويستثنىٰ إشارة الأخرس المفهومة، والكتابة الصريحة.

الباب السابع

الأخلاق والآداب والحقوق



أولًا: الأخلاق الإسلامية

أكمل المؤمنين إيمانًا وأزكاهم نفسًا وأطهرهم قلبًا؛ هو أحسنهم أخلاقًا وأحلاهم أدبًا وأقومهم بأداء ما عليه من واجبات وما لغيره من حقوق.

لأجل ذلك كانت الأخلاق والآداب والحقوق من أعظم ميادين تزكية النفس وإصلاحها وتطهير عيوبها.

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا ما ترك خيرًا إلا تمثل به وما ترك شرًا إلا هجره وكان قدوة حسنة في جميع أبواب الخير وخصال الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**». رواه أحمد. وقال أنس رضي الله عنه: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**». متفق عليه. وقد أثنىٰ عليه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وكان ﷺ يتمثل أخلاق القرآن الفاضلة كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**». رواه أحمد.

وكان ﷺ كلامه وألفاظه من أطيب الكلام قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**لَمْ يَكُنْ رسولُ اللَّه ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا**». متفق عليه. وكان ﷺ من أصدق الناس حديثًا وأعظمهم أمانة ووفاء بالعهد قال هرقل لسفيان: «**وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللَّهِ**». رواه البخاري.

وكان ﷺ من أشجع الناس قال علي رضي الله عنه: «**كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنى مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ**». رواه أحمد. وكان ﷺ لين الجانب مع أصحابه متوددًا لهم قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان ﷺ رحيمًا بالضعفاء والنساء والخدم والأسرىٰ تغلب عليه الرحمة والإحسان في سائر أحواله عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**». رواه البخاري. وكان ﷺ رفيقًا بأهله وولده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**». رواه الترمذي. وكان ﷺ رفيقًا بخادمه قال أنس رضي الله عنه: «**خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟**». متفق عليه.

وكان ﷺ حليمًا مع الجهال قال أنس رضي الله عنه: «**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نجْرَانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ**».

وكان ﷺ متواضعًا غاية التواضع يمشي في حاجة المساكين ويسلم علىٰ الصبيان ويقوم بخدمة نفسه ويعيش عيش المساكين قال أنس رضي الله عنه: (**كَانَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَضَعُ طَعَامَهُ عَلَىٰ الأَرْضِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ المَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ**). رواه الحاكم. وكان ﷺ من أكرم الناس عطاء وأسخاهم نفسًا وأنداهم يدًا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ**». متفق عليه.

وكان ﷺ زاهدًا في حطام الدنيا لا ينازع الناس في دنياهم وحظوظهم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «**نَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَلَىٰ حَصِيْرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَللدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**». رواه الترمذي.

وكان ﷺ متفانيًا في هداية الخلق لربهم وكان حريصًا علىٰ هداية الكفار إلىٰ الحق قال أنس رضي الله عنه: «**كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: أَسْلِمْ. فَنظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهْوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ. فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهْوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**». رواه البخاري.

وكان ﷺ حكيمًا رفيقًا في إرشاد الجاهل والفاسق لا يعنف إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُم النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**».

وكان ﷺ لا ينتقم لنفسه فإذا انتهكت محارم الله انتقم لله نصرة لدينه قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما انْتَقَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ في شيءٍ قَطُّ، إلَّا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بهَا لِلَّهِ**». متفق عليه.

وكان ﷺ عادلًا مع أوليائه وأعدائه قالت عائشة رضي الله عنها: قال ﷺ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُم أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». متفق عليه.

والحاصل أن الله حباه وجبله ووفقه لمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات فينبغي للمسلم أن يتخذ حياته ﷺ وشمائله وفضائله مدرسة وقدوة حسنة للتربية علىٰ حسن الخلق وأن يجتهد في نشرها بين الناس قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومن منهج أهل السنة وخصائصهم العناية بمحاسن الأخلاق والتخلق بها **قال ابن تيمية**: «يأمرون بالصبر عند البلاء والشكرِ عند الرخاء ويدعون إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنىٰ قوله ﷺ: **(أَكْمَلُ الْمُؤمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)**. ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها».

وفي الصفحات القادمة؛ فصول مما ينبغي أن تكون عليه نفس المسلم إذا طهرها بشعب الإيمان المتصلة بتلك الميادين.



فِي حسنِ الخُلقِ وبيانهِ

الخُلقُ هيئةٌ راسخةٌ فِي النَّفسِ تصدرُ عنهَا الأفعالُ الإراديَّةُ الاختياريَّةُ منْ حسنةٍ وسيِّئةٍ، وجميلةٍ وقبيحةٍ، وهيَ قابلةٌ بطبعهَا لتأثيرِ التَّربيةِ الحسنةِ والسَّيِّئةِ فيهَا، فإذَا مَا رُبِّيتْ هذهِ الهيئةُ علَىٰ إيثارِ الفضيلةِ والحقِّ، وحبِّ المعروفِ، والرَّغبةِ فِي الخيْر، وروِّضتْ علَىٰ حبِّ الجميلِ، وكراهيةِ القبيحِ، وأصبحَ ذلكَ طبعًا لهَا تصدرُ عنهُ الأفعالُ الجميلةُ بسهولةٍ ودونَ تكلُّفٍ؛ قيلَ فيهِ: خلقٌ حسنٌ. ونعتتْ تلكَ الأفعالُ الجميلةُ الصَّادرةُ عنهُ بدونِ تكلُّفٍ بالأخلاقِ الحسنةِ، وذلكَ كخلقِ الحلمِ والأناةِ، والصَّبرِ والتَّحمُّلِ، والكرمِ والشَّجاعةِ، والعدلِ والإحسانِ، ومَا إلَىٰ ذلكَ منَ الفضائلِ الخلقيَّةِ، والكمالاتِ النفسيَّةِ.

كمَا أنَّهَا إذَا أُهملتْ فلمْ تهذَّبِ التَّهذيبَ اللَّائقَ بهَا، ولمْ يُعنَ بتنميةِ عناصرِ الخيرِ الكامنةِ فيهَا، أوْ ربِّيتْ تربيةً سيِّئةً حتَّىٰ أصبحَ القبيحُ محبوبً لهَا والجميلُ مكروهًا عندهَا، وصارتِ الرَّذائلُ والنَّقائصُ منَ الأقوالِ والأفعالِ تصدرُ عنهَا بدونِ تكلُّفٍ؛ قيلِ فيهَا: خلقٌ سيِّئٌ، وسمِّيتْ تلكَ الأقوالُ والأفعالُ الذَّميمةُ الَّتِي تصدرُ عنهَا بالأخلاقِ السَّيِّئةِ، وذلكَ كالخيانةِ والكذب، والجزع والطَّمع، والجفاءِ والغلظةِ والفحشِ والبذاءِ، ومَا إليهَا.

ومنْ هنَا نوَّهَ الإسلامُ بالخلقِ الحسنِ ودعَا إلَىٰ تربيتهِ فِي المسلمينَ، وتنميتهِ فِي نفوسهمْ، واعتبرَ إيمانَ العبدِ بفضائلِ نفسهِ، وإسلامهُ بحسنِ خلقهِ، وأثنَىٰ اللهُ تعالَىٰ علَىٰ نبيِّهِ بحسنِ خلقهِ فقالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[القلم: ٤]. وأمرهُ بمحاسنِ الأخلاقِ فقالَ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] وجعلَ الأخلاقَ الفاضلةَ سببًا تنالُ بهِ الجنَّةُ العاليةُ فقالَ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وبعثَ رسولهُ ﷺ بإتمامهَا فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**»(١).

وبيَّنَ ﷺ فضلَ محاسنِ الأخلاقِ فِي غيرِ مَا قولٍ فقالَ: «**مَا منْ شيءٍ فِي الميزانِ أثقلُ منْ حسنِ الخلق**»(٢).

وقالَ: «**البرُّ حسنُ الخلقِ**»(٣).

وقالَ: «**أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنهمْ أخلاقًا**»(٤).

وقالَ: «**إنَّ منْ أحبِّكمْ إليَّ وأقربكمْ منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنكمْ أخلاقًا**»(٥)

وسُئلَ عنْ أيِّ الأعمالِ أفضلُ؟ فقالَ: «**حسنُ الخلقِ**». وسئلَ عنْ أكثرِ مَا يدخلُ الجنَّةَ فقالَ: «**تقوَىٰ اللهِ وحسنُ الخلقِ**»(٦). وقالَ: «**إنَّ العبدَ ليبلغُ**

(١) ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ١٩٢). وذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٧١).
(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٣).
(٣) رواه مسلم (١٤) كتاب البر والصلة.
(٤) رواه أبو داود (٤٦٨٢). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧).
(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨).
(٦) ذكره الهيثمي في موارد الظمآن (١٩٢٣، ٢٠٠٤).

بحسن خلقهِ عظيمَ درجاتِ الآخرةِ وشرفَ المنازلِ وإنَّهُ لضعيفُ العبادةِ»[(١)].

كلامُ السَّلفِ فِي بيانِ حسنِ الخلقِ:

قالَ الحسنُ: حسنُ الخلقِ بسطُ الوجهِ، وبذلُ النَّدَىٰ، وكفُّ الأذَىٰ.

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ: حسنُ الخلقِ فِي ثلاثِ خصالٍ: اجتنابِ المحارمِ، وطلبِ الحلالِ، والتَّوسعةِ علَىٰ العيالِ.

وقالَ آخرُ: حسنُ الخلقِ أنْ يكونَ منَ النَّاسِ قريبًا، وفيمَا بينهمْ غريبًا.

وقالَ آخرُ: حسنُ الخلقِ كفُّ الأذَىٰ واحتمالُ المؤمنِ.

وقالَ آخرُ: حسنُ الخلقِ أنْ لَا يكونَ لكَ همٌّ غيرُ اللهِ تعالَىٰ.

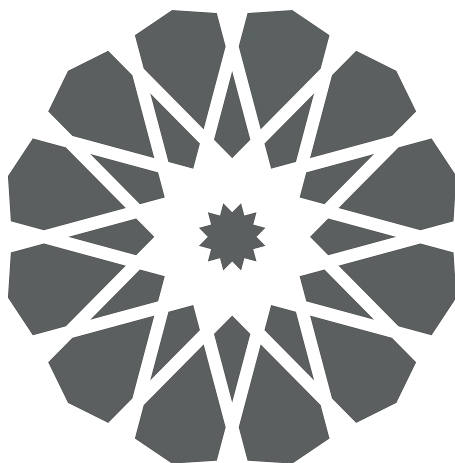
وهذَا كلُّهُ تعريفٌ لحسن الخلق ببعضِ جزئيَّاتهِ، وأمَّا تعريفهُ باعتبارِ ذاتهِ وحقيقتهِ، فهوَ كمَا تقدَّمَ سابقًا.

وقالُوا فِي علامةِ ذِي الخلقِ الحسنِ: أنْ يكونَ كثيرَ الحياءِ، قليلَ الأذَىٰ، كثيرَ الصَّلاحِ، صدوقَ اللِّسانِ، قليلَ الكلامِ، كثيرَ العملِ، قليلَ الزَّللِ، قليلَ الفضولِ، برًّا وصولًا، وقورًا، صبورًا شكورًا، رضيًّا حليمًا، وفيًّا عفيفًا، لاَ لعَّانًا ولاَ سبَّابًا، ولاَ نمَّامًا ولاَ مغتابًا، ولاَ عجولًا ولَا حقودًا، ولاَ بخيلًا ولَا حسودًا، بشَّاشًا هشَّاشًا، يحبُّ فِي اللهِ ويبغضُ فِي اللهِ ويرضَىٰ فِي اللهِ، ويسخطُ فِي اللهِ. وهذَا أيضًا منهمْ تعريفٌ لذِي الخلقِ الحسنِ ببعضِ صفاتهِ.

وفِي الفصولِ الآتيةِ كلُّ صفةٍ منْ صفاتِ الخلقِ الحسن علَىٰ حدةٍ، وباستيفاءِ مجموعِ تلكَ الصِّفاتِ يتشخَّصُ الخلقُ الحسنُ باعتبارِ أجزائهِ، ويظهرُ ويتميَّزُ ذُو الخلقِ الحسنِ باعتبارِ صفاتهِ.

---

(١) أورده الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٣) بسند جيد.



فِي خلقِ الصَّبـرِ، واحتمالِ الأذَى

منْ محاسنِ أخلاقِ المسلمِ الَّتِي يتحلَّىٰ بهَا: الصَّبرُ، واحتمالُ الأذَىٰ فِي ذاتِ اللهِ تعالَىٰ، أمَّا الصَّبرُ فهوَ حبسُ النَّفسِ علَىٰ مَا تكرهُ، أوِ احتمالُ المكروهِ بنوعٍ منَ الرِّضَا والتَّسليم.

فالمسلمُ يحبسُ نفسَهُ علَىٰ مَا تكرههُ منْ عبادةِ اللهِ وطاعتهِ، ويلزمهَا بذلكَ إلزامًا، ويحبسهَا دونَ معاصِي اللهِ ﷻ فلَا يسمحُ لهَا باقترابهَا، ولَا يأذنُ لهَا فِي فعلهَا مهمَا تاقتْ لذلكَ بطبعهَا، وهشَّتْ لهُ، ويحبسهَا علَىٰ البلاءِ إذَا نزل بهَا فلَا يتركهَا تجزعُ، ولاَ تسخطُ؛ إذِ الجزعُ -كمَا قالَ الحكماءُ -علَىٰ الفائتِ آفةٌ، وعلَىٰ المتوقَّعِ سخافةٌ، والسُّخطُ علَىٰ الأقدارِ معاتبةٌ للهِ الواحدِ القهَّارِ، وهوَ فِي كُلِّ ذلكَ مستعينٌ بذكرِ وعدِ اللهِ بالجزاءِ الحسنِ علَىٰ الطَّاعاتِ، ومَا أعدَّ لأهلهَا منْ جزيلِ الأجرِ، وعظيمِ المثوباتِ، وبذكرِ وعيدهِ تعالَىٰ لأهلِ بغضتهِ وأصحابِ معصيتهِ، منْ أليم العذابِ، وشديدِ العقابِ، ويتذكَّرُ أنَّ أقدارَ اللهِ جاريةٌ، وأنَّ قضاءَهُ تعالَىٰ عدلٌ، وأنَّ حكمَهُ نافذٌ، صبرَ العبدُ أمْ جزعَ، غيرَ أنَّهُ معَ الصَّبرِ الأجرُ، ومعَ الجزعِ الوزرُ.

ولمَّا كانَ الصَّبرُ وعدمُ الجزعِ مِنَ الأخلاقِ الَّتِي تكتسبُ وتنالُ بنوعٍ منَ الرِّياضةِ والمجاهدةِ؛ فالمسلمُ بعدَ افتقارهِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ أنْ يرزقهُ الصَّبرَ، فإنَّهُ يستلهمُ الصَّبرَ بذكرِ مَا وردَ فيهِ من أمرٍ، ومَا وعدَ عليهِ منْ أجرٍ، كقولهِ تعالَىٰ: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

وقولهِ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقولهِ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقولهِ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]. وقولهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]. وقولهِ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وقولهِ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وكقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**الصَّبرُ ضياءٌ**»(١).

وقولهِ: «**ومنْ يستعففْ يعفَّهُ اللهُ ومنْ يستغنِ يغنهِ اللهُ ومنْ يتصبَّرْ يصبِّرهُ اللهُ، ومَا أعطىٰ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ منَ الصَّبْر**»(٢).

وقولهِ: «**عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرهُ كلَّهُ لهُ خيرٌ وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ، إنْ أصابتهُ سرَّاءُ شكرَ فكانَ خيرًا لهُ وإنْ أصابتهُ ضرَّاءُ صبرَ فكانَ خيرًا لهُ**»(٣).

وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لابنتهِ وقدْ أرسلتْ إليهِ تطلبُ حضورَهُ، إذْ ولدُهَا قدِ احتضرَ فقالَ لرسولِهَا: «**أقرئها السَّلامَ، وقلْ لهَا: إنَّ للهِ مَا أخذَ ولهُ مَا أعطَىٰ، وكلُّ شيءٍ عندهَ بأجلٍ مسمًّى، فلتصبرْ ولتحتسبْ**»(٤).

وقولهِ: «**يقولُ اللهُ ﷻ: إذَا ابتليتُ عبدِي بحبيبتيهِ (عينيهِ) فصبر عوَّضتهُ منهمَا الجنَّةَ**»(٥).

---

(١) رواه مسلم (١) كتاب الطهارة.
(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٨) كتاب الزكاة.
(٣) رواه مسلم (٦٣) كتاب الزهد.
(٤) رواه البخاري (٢/ ١٠٠)، (٧/ ١٥٢).
(٥) رواه البخاري. وذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٣٧٥).

وقولهِ: «**مَنْ يردِ اللهُ بِهِ خيرًا يصبْ منهُ**»(١).

وقولهِ: «**إنَّ عظمَ الجزاءِ معَ عظمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ تعالَىٰ إذَا أحبَّ قومًا ابتلاهمْ فمَنْ رضيَ فلهُ الرِّضَا، ومَن سخطَ فلهُ السُّخطُ**»(٢).

وقولهِ ﷺ: «**مَا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ فِي نفسِهِ وولدِهِ ومالهِ حتَّىٰ يلقَىٰ اللهَ ومَا عليه خطيئةٌ**»(٣).

وأمَّا احتمالُ الأذَىٰ فهوَ الصَّبرُ ولكنَّهُ أشقُّ، وهوَ بضاعةُ الصِّدِّيقين، وشعارُ الصَّالحينَ؛ وحقيقتهُ أنْ يؤذَىٰ المسلمُ فِي ذاتِ اللهِ تعالَىٰ فيصبرَ ويتحمَّلَ، فلَا يردَّ السَّيئَةَ بغيرِ الحسنةِ، ولَا ينتقمَ لذاتهِ، ولاَ يتأثَّرَ لشخصيَّتهِ مَا دامَ ذلكَ فِي سبيلِ اللهِ، ومؤدِّيًا إلَىٰ مرضاتِ اللهِ، وأسوتهُ فِي ذلكَ المرسلونَ الصَّالحونَ إذْ يندرُ منْ لمْ يؤذَ منهمْ فِي ذاتِ اللهِ، ولمْ يُبتلَ فِي طريقهِ إلَىٰ الوصولِ إلَىٰ اللهِ. قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: كأنِّي أنظرُ إلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ يحكِي نبيًّا منَ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهمْ ضربَهُ قومُهُ فأدموهُ وهوَ يمسحُ الدَّمَ عنْ وجههِ ويقولُ: «**اللَّهمَّ اغفرْ لقومِي فإنَّهمْ لَا يعلمونَ**»(٤).

هذهِ صورةٌ منْ صورِ احتمالِ الأذَىٰ كانتْ لرسولِ الله ﷺ. وصورةٌ أخرَىٰ لهُ: قسمَ يومًا مالًا، فقالَ أحدُ الأعرَاب: قسمةٌ مَا أريدَ بهَا وَجْهُ اللهِ، فبلغَ ذلكَ رسولَ اللهِ ﷺ فاحمرَّتْ وجنتاهُ، ثمَّ قالَ: «**يرحمُ اللهُ أخِي موسَىٰ لقدْ أُوذيَ بأكثرَ منْ هَذَا فصبرَ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٤٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٩٩).

(٤) رواه البخاري (٥٤) كتاب الأنبياء ومسلم (١٠٤) كتاب الجهاد.

(٥) رواه البخاري (١/ ٤٢)، (٤/ ١٩١). وورواه مسلم (١٤٠) كتاب الزكاة.

وقالَ خبَّابُ بنُ الأرتِّ رضي الله عنه: شكونَا إلَىٰ رسولِ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وهوَ متوسِّدٌ بردةً لهُ فِي ظلِّ الكعبةِ، فقلنَا: ألَا تستنصرُ لنَا، ألَا تدعُو لنَا فقالَ: «**قدْ كانَ منْ قبلكمْ يؤخذُ الرَّجلُ فيحفرُ لهُ فِي الأرضِ فيجعلُ فيهَا، ثمَّ يؤتَىٰ بالمنشارِ، فيوضعُ علَىٰ رأسهِ فيجعلُ نصفينِ، ويمشَّطُ بأمشاطِ الحديدِ مَا دونَ لحمهِ وعظمهِ مَا يصدُّهُ ذلكَ عنْ دينِ اللهِ**»(١).

وقصَّ اللهُ لنَا عنِ المرسلينَ وحكَىٰ عنهمْ قولهمْ وهمْ يتحمَّلونَ الأذَىٰ فقالَ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]. وكانَ عيسَىٰ ابنُ مريمَ عليه السلام يقولُ لبنِي إسرائيلَ: «**لقدْ قيلَ لكمْ منْ قبلُ إنَّ السِّنَّ بالسِّنِّ والأنفَ بالأنفِ، وأنَا أقولُ لكمْ: لَا تقاومُوا الشَّرَّ بالشَّرِّ بلْ مَنْ ضربَ خدَّكَ الأيمنَ فحوِّلْ إليهِ الخدَّ الأيسرَ، ومنْ أخذَ منكَ رداءكَ فأعطهِ إزاركَ**»(٢). وكانَ بعضُ أصحابِ رسولِ اللهُ ﷺ يقولونَ: ما كنَّا نعدُّ إيمانَ الرَّجلِ إيمانًا إذَا لمْ يصبرْ علَىٰ الأذَىٰ!

علَىٰ ضوءِ هذهِ الصُّورِ النَّاطقةِ، والأمثلةِ الحيَّةِ منَ الصَّبرِ والتَّحمُّلِ يعيشُ المسلمُ صابرًا محتسبًا متحمِّلًا، لَا يشكُو ولاَ يتسخَّطُ، ولاَ يدفعُ المكروهَ بالمكروهِ، ولكنْ يدفعُ السَّيِّئةَ بالحسنةِ ويعفُو ويصبرُ ويغفرُ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].



(١) رواه البخاري (٩/٢٦).
(٢) ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين.

فِي خلقِ التَّوكُّلِ علَى اللهِ تعالَى والاعتمادِ علَى النَّفسِ

المسلمُ لَا يرَىٰ التَّوكُّلَ علَىٰ اللهِ تعالَىٰ فِي جميع أعمالهِ واجبًا خلقيًّا فحسبُ، بلْ يراهُ فريضةً دينيَّةً، ويعدُّهُ عقيدةً إسلاميَّةً، وذلكَ لأمرِ اللهِ تعالَىٰ بهِ فِي قولهِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقولهِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]. لهذَا كانَ التَّوكُّلُ المطلقُ علَىٰ اللهِ ﷻ جزءًا منْ عقيدةِ المؤمنِ باللهِ تعالَىٰ.

والمسلمُ إذْ يدينُ للهِ تعالَىٰ بالتَّوكُّلِ عليهِ، والاطِّراحِ الكاملِ بينَ يديهِ، لَا يفهمُ منَ التَّوكُّلِ مَا يفهمهُ الجاهلونَ بالإسلامِ وخصومِ عقيدةِ المسلمينَ، منَ أنَّ التَّوكُّلَ مجرَّدُ كلمةٍ تلوكهَا الألسنُ، ولَا تعيهَا القلوبُ، وتتحرَّكُ بهَا الشِّفاهُ ولَا تفهمهَا العقولُ، أوْ تتروَّاهَا الأفكارُ، أوْ هوَ نبذُ الأسبابِ، وتركُ العملِ، والقنوعُ والرِّضَا بالهونِ والدُّونِ تحتَ شعارِ التَّوكُّلِ علَىٰ اللهِ، والرِّضَا بمَا تجرِي بهِ الأقدارُ.. لَا أبدًا! بلِ المسلمُ يفهمُ التَّوكُّلَ الَّذِي هوَ جزءٌ منْ إيمانهِ وعقيدتهِ أنَّهُ طاعةُ اللهِ بإحضارِ كافَّةِ الأسباب المطلوبة لأيِّ عملٍ منَ الأعمالِ الَّتِي يريدُ مزاولتهَا والدُّخولَ فيهَا، فلَا يطمعُ في ثمرةٍ بدونِ أنْ يقدِّمَ أسبابهَا، ولاَ يرجُو نتيجةً مَا بدونِ أنْ يضعَ مقدِّمتهَا، غيرَ أنَّ موضوعَ إثمارِ تلكِ الأسبابِ، وإنتاجِ تلكَ المقدِّماتِ يفوِّضهُ إلَىٰ اللهِ ﷻ؛ إذْ هوَ القادرُ عليهِ دونَ سواهُ.

فالتَّوكُّلُ عندَ المسلمِ إذًا هوَ عملٌ وأملٌ، معَ هدوءِ قلبٍ وطمأنينةِ نفسٍ، واعتقادٍ جازمٍ أنَّ مَا شاءَ اللهُ كانَ، ومَا لمْ يشأْ لمْ يكنْ، وأنَّ اللهَ لَا يضيعُ أجرَ منْ أحسنَ عملًا.

والمسلمُ إذْ يؤمنُ بسننِ الله فِي الكونِ فيعدُّ للأعمالِ أسبابهَا المطلوبةَ لهَا، ويستفرغُ الجهدَ فِي إحضارهَا وإكمالهَا؛ لَا يعتقدُ أبدًا أنَّ الأسبابَ وحدهَا كفيلةٌ بتحقيقِ الأغراضِ، وإنجاحِ المساعِي .. لَا، بلْ يرَىٰ وضعَ الأسبابِ أكثرَ منْ شيءٍ أمرَ اللهُ بهِ، يجبُ أنْ يطاعَ فيهِ كمَا يطاعُ فِي غيرهِ ممَّا يأمرُ بهِ وينهَىٰ عنهُ، أمَّا الحصولُ علَىٰ النَّتائجِ، والفوزُ بالرَّغائبِ فقدْ وكَّلَ أمرهمَا إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ؛ إذْ هوَ القادرُ علَىٰ ذلكَ دونَ غيرهِ، وأنَّ ما شاءَ كانَ ومَا لمْ يشأْ لمْ يكنْ فكمْ منْ عاملٍ كادحٍ لمْ يأكلْ ثمرةَ عملهِ وكدحهِ، وكمْ منْ زارعٍ لمْ يحصدْ مَا زرعَ.

ومنْ هنَا كانتْ نظرةُ المسلمِ إلَىٰ الأسبابِ: أنَّ الاعتمادَ عليهَا وحدهَا واعتبارهَا هيَ كلُّ شيءٍ فِي تحقيق المطلوبِ كفرٌ وشركٌ، يتبرَّأُ منهُ، وأنَّ تركَ الأسبابِ المطلوبةِ لأيِّ عملٍ وإهمالهَا وهوَ قادرٌ علَىٰ إعدادِها وإيجادها فسقٌ ومعصيةٌ يحرِّمهمَا ويستغفرُ اللهَ تعالَىٰ منهمَا.

والمسلمُ فِي نظرتهِ هذهِ إلَىٰ الأسبابِ مستمدٌّ فلسفتَها منْ روحِ إسلامِهِ، وتعاليمِ نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ. فرسولُ اللهِ كانَ فِي حروبهِ الطَّويلةِ العديدةِ لَا يخوضُ معركةً حتَّىٰ يعدَّ لهَا عدَّتهَا ويهيِّئَ لهَا أسبابهَا، فيختارَ حتَّىٰ مكان المعركةِ وزمانهَا، فقدْ أُثِرَ عنهُ ﷺ أنَّهُ كانَ لاَ يشنُّ غارةً فِي الحرِّ إلَّا بعدَ أنْ يبردَ الجوُّ، ويتلطَّفَ الهواءُ منْ آخرِ النَّهارِ، بعدَ أنْ يكونَ قدْ رسمَ خطَّتهُ، ونظَّمَ صفوفهُ، وإذَا فرغَ منْ كلِّ الأسبابِ المادِّيَّةِ المطلوبةِ لنجاحِ المعركةِ؛ رفعَ يديهِ سائلًا اللهَ ﷻ: «**اللَّهمَّ منزلَ الكتابِ ومجريَ السَّحابِ وهازمَ الأحزابِ اهزمهمْ وانصرنَا عليهمْ**»(١).

(١) رواه البخاري (٤/ ٥٣، ٦٢). ورواه مسلم (٢٠، ٢١) كتاب الجهاد. ورواه الترمذي (١٦٧٨).

وكذلكَ كان هديهُ ﷺ فِي الجمعِ بينَ الأسبابِ المادِّيَّةِ والرَّوحيَّةِ، ثمَّ يعلِّقُ أمرَ نجاحهِ علَىٰ ربِّهِ وينوطُ فلاحهُ وفوزهُ بمشيئةِ مولاهُ. هذا مثالٌ!

ومثالٌ آخرُ: فقدِ انتظرَ ﷺ أمرَ ربِّهِ فِي الهجرةِ إلَىٰ المدينةِ بعدَ أنْ هاجرَ إليهَا جلُّ أصحابهِ، وجاءهُ الإذنُ منَ اللهِ تعالَىٰ بالهجرةِ، فمَا هِي التَّرتيباتُ الَّتِي اتَّخذهَا رسولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لهجرتهِ؟.

إنَّهَا:

١- إحضارُ رفيقٍ منْ خيرةِ الرُّفقاءِ ألَا وهوَ صاحبهُ أبُو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه ليصحبَهُ فِي طريقهِ إلَىٰ دارِ هجرتهِ.

٢- إعدادُ زادِ السَّفرِ منْ طعامٍ وشرابٍ، ربطتهُ أسماءُ بنتُ أبِي بكرٍ بنطاقهَا حتَّىٰ لُقِّبتْ بذاتِ النِّطاقينِ.

٣- إعدادُ راحلةٍ ممتازةٍ للرُّكوبِ عليهَا فِي هذَا السَّفرِ الشَّاقِّ الطَّويلِ.

٤- إحضارُ خرِّيتٍ (جغرافيٍّ) عالمٍ بمسالكِ الطَّريقِ ودروبهَا الوعرةِ ليكونَ دليلًا وهاديًا فِي هذهِ الرِّحلةِ الصَّعبةِ.

٥- ولمَّا أرادَ أنْ يخرجَ منْ بيتهِ الَّذِي طوَّقهُ العدوُّ وحاصرَهُ فيهِ حتَّىٰ لَا ينفلتَ منهُ، أمرَ ﷺ ابنَ عمِّهِ عليَّ بنَ أبِي طالبٍ رضي الله عنه أنْ ينامَ علىٰ فراشهِ تمويهًا علَىٰ العدوِّ الَّذِي مَا برحَ ينتظرُ خروجهُ منَ المنزلِ ليفتكَ بهِ، ثمَّ خرجَ وتركَ العدوَّ ينتظرُ قومتهُ منْ فراشهِ الَّذِي يتراءَىٰ لهمْ منْ خلالِ شقوقِ البابَ.

٦- لمَّا طلبهُ المشركونَ واشتدُّوا وراءهُ يبحثونَ عنهُ وعنْ صاحبهِ أبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ الَّذِي فرَّ معهُ، أوَىٰ إلَىٰ غارِ ثورٍ فدخَل فيهِ ليستترَ عنْ أعينِ طالبيهِ النَّاقمينَ الحاقدينَ عليهِ.

٧- لمَّا قالَ لهُ أبُو بكرٍ: لوْ أنَّ أحدهمْ نظرَ تحتَ قدمهِ لأبصرنَا يَا رسولَ اللهِ قالَ لهُ: «**مَا ظنُّكَ يَا أبَا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا؟!**»[(١)].

فمنْ خلالِ هذهِ الحادثةِ الَّتِي تجلَّتْ فيهَا حقائقُ الإيمانِ والتَّوكُّلِ معًا يشاهدُ أنَّ الرَّسولَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ لَا ينكرُ الأسبابَ، ولاَ يعتمدُ عليهَا، وأنَّ آخرَ الأسبابِ للمؤمنِ اطِّراحهُ بينَ يديِ اللهِ، وتفويضهُ أمرَهُ إليهِ فِي ثقةٍ واطمئنانٍ .. إنَّ الرَّسولَ ﷺ لمَّا استنفدَ جميعَ الوسائلِ فِي طلبِ النَّجاةِ حتَّىٰ حشرَ نَفسَهُ الَّتِي طلبَ النَّجاةَ لهَا فِي غارٍ مظلمٍ تسكنهُ العقاربُ والحيَّاتُ؛ قالَ فِي ثقةِ المؤمنِ ويقينِ المتوكِّلِ لصاحبهِ لمَّار ساورَهُ الخوفُ: «**لاَ تخزنْ إنَّ اللهَ معنَا، مَا ظنُّكَ يَا أبَا بكرٍ باثنينِ اللهُ ثالثهمَا؟!**».

ومنْ هذَا الهدي النَّبويِّ والتَّعليم المحمَّديِّ اقتبسَ المسلمُ نظرتَه تلكَ إلَىٰ الأسبابِ، فليسَ هوَ فيهَا مبتدعًا ولَا متنطِّعًا، وإنَّمَا هوَ مؤتسٍ ومقتدٍ.

أمَّا الاعتمادُ علَىٰ النَّفسِ: فإنَّ المسلمَ لَا يفهمُ منهُ مَا يفهمهُ المحجوبونَ بمعاصيهمْ عنْ أنفسهِمْ منْ أنَّهُ عبارةٌ عنْ قطع الصِّلةِ باللهِ تعالَىٰ، وأنَّ العبدَ هوَ الخالقُ لأعمالهِ، والمحقِّقُ لكسبهِ وأرباحهِ بنفسهِ، وأنَّهُ لاَ دخلَ للهِ فِي ذلكَ!! تعالَىٰ اللهُ عمَّا يتصوَّرونَ.

وإنَّمَا المسلمُ إذْ يقولُ بوجوبِ الاعتمادِ علَىٰ النَّفسِ فِي الكسبِ والعملِ يريدُ بذلكَ أنَّهُ لَا يُظهرُ افتقارَهُ إلَىٰ أحدٍ غيرِ اللهِ، ولَا يبدِي احتياجَه إلَىٰ غيرِ مولاهُ، فإذَا أمكنهُ أنْ يقومَ بنفسهِ علَىٰ عملهِ فإنَّهُ لَا يسندهُ إلَىٰ غيرهِ، وإذَا تأتَّىٰ لهُ أنْ يسدَّ حاجتهُ بنفسهِ فلَا يطلبُ معونةَ غيرهِ، ولَا مساعدةَ أحدٍ سوَىٰ اللهِ؛ لمَا فِي ذلكَ منْ تعلُّقِ القلبِ بغيرِ اللهِ، وهوَ مَا لاَ يحبُّهُ المسلمُ ولا يرضاهُ.

---

(١) رواه البخاري (٤/٢٤٦)، (٥/٤).

والمسلمُ فِي هذَا هوَ سالكٌ دربَ الصَّالحينَ، وماضٍ علَىٰ سَننِ الصِّديقينَ، فقدْ كانَ أحدهمْ إذَا سقطَ سوطهُ منْ يدهِ وهوَ راكبٌ علَىٰ فرسهِ ينزلُ إلَىٰ الأرضِ ليتناولهُ بنفسهِ ولَا يطلبُ منْ أحدٍ أنْ يناولهُ إيَّاهُ، وقدْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يبايعُ المسلمَ علَىٰ إقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ، وأنْ لَا يسألَ أحدًا حاجتهُ غيرَ اللهِ تعالَىٰ.

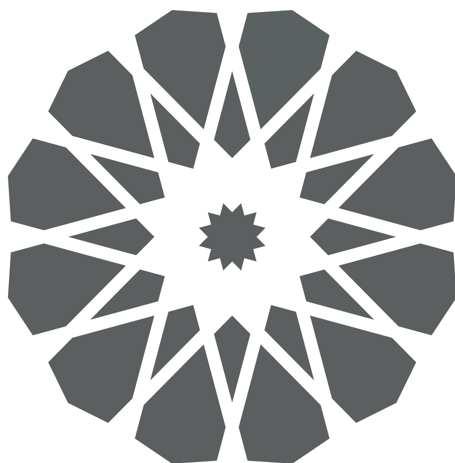
والمسلمُ إذْ يعيشُ علَىٰ هذهِ العقيدةِ منَ التَّوكُّلِ علَىٰ اللهِ والاعتمادِ علَىٰ النَّفسِ يغذِّي عقيدتهُ هذهِ وينمِّي خلقهَ ذاكَ بإيرادِ خاطرهِ منَ الوقتِ إلَىٰ الوقتِ علَىٰ هذه الآياتِ النُّورانيَّةِ، والأحاديثِ النَّبويَّةِ الَّتِي استمدَّ منهَا عقيدتهُ، واستوحَىٰ منهَا خلقهُ، وذلكَ كقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وَقَولِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وكقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لوْ أنَّكمْ تتوكَّلونَ علَىٰ اللهِ حقَّ توكُّلهِ لرزقكمْ كمَا يرزقُ الطَّيرَ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا**»[1].

وقولهِ إذَا خرجَ منْ بيتهِ: «**بسمِ اللهِ توكَّلتُ علَىٰ اللهِ ولَا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا باللهِ**»[2]

وقولهِ فِي السَّبعينَ ألفًا الَّذينَ يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولَا عذابٍ: «**همُ الَّذينَ لَا يسرقونَ، ولَا يكتوونَ، ولَا يتطيَّرونَ، وعلَىٰ ربِّهمْ يتوكَّلونَ**»[3].



(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه مسلم (١٩٨). ورواه الإمام أحمد (١/ ٣٢١، ٤٥٤).



فِي الإيثارِ وحب الخيـرِ

منْ أخلاقِ المسلمِ الَّتِي اكتسبهَا منْ تعاليمِ دينهِ، ومحاسنِ إسلامهِ: الإيثارُ علَىٰ النَّفسِ، وحبُّ الغيرِ . . فالمسلمُ متَىٰ رأَىٰ محلًّا للإيثارِ آثرَ غيرهُ علَىٰ نفسهِ، وفضَّلهُ عليهَا، فقدْ يجوعُ ليشبعَ غيرُهُ، ويعطشُ ليروي سواهُ، بلْ قدْ يموتُ فِي سبيلِ حياةِ آخرينَ، ومَا ذلكَ ببعيدٍ ولَا غريبٍ علَىٰ مسلمٍ تشبَّعتْ روحهُ بمعانِي الكمالِ، وانطبعتْ نفسُهُ بطابعِ الخيرِ وحبِّ الفضيلةِ والجميلِ . . تلكَ هيَ صبغةُ اللهِ ومنْ أحسنُ منَ اللهِ صبغةً؟

والمسلمُ فِي إيثارهِ وحبِّهِ للخيرِ ناهجٌ نهجَ الصَّالحينَ السَّابقينَ وضاربٌ فِي دربِ الأوَّلينَ الفائزينِ الَّذينَ قالَ اللهُ فيهمْ فِي ثنائهِ عليهمْ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشر: ٩]. إنَّ كلَّ خلائقِ المسلمِ الفاضلةِ، وكلَّ خصالهِ الحميدةِ الجميلةِ؛ إنَّمَا هيَ مستقاةٌ منْ ينابيع الحكمةِ المحمَّديَّةِ، أوْ مستوحاةٌ منْ فيوضاتِ الرَّحمةِ الإلهيَّةِ، فعلَىٰ مثلِ قولِ الرَّسولِ الكريمِ المتَّفقِ عليهِ: «لاَ يؤمنُ أحدُكمْ حتَّىٰ يحبَّ لأخيهِ مَا يحبُّ لنفسهِ» تزدادُ أخلاقُ المسلمِ سموًّا وعلوًّا، وعلَىٰ مثلِ قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ كانَ شعورُ المسلم بحبِّ الخير والرَّغبةِ فِي الإيثار علَىٰ النَّفس والأهل والولدِ يزدادُ قوَّةً ونموًّا.

إنَّ عبدًا كالمسلمِ يعيشُ موصولًا باللهِ، لسانُهُ لا يفتأُ رطبًا بذكرهِ، وقلبهُ لَا يبرحُ عاكفًا علَىٰ حبِّهِ، إنْ سرَّحَ فِي ملكوتِ النَّظرِ جنَىٰ العبرَ، وإنْ

أوردَ الخاطرَ علَىٰ مثلِ آياتِ المزَّمِّلِ وفاطرٍ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]

احتقرَ الدُّنيَا وازدراهَا واصطفَىٰ الآخرةَ واجتباهَا، ومنْ كانَ هذَا حالهُ فكيفَ لاَ يبذلُ بسخاءٍ مالهُ .. ولمَ لَا يحبُّ الخيرَ ولَا يؤثرُ الغيرَ مَنْ علمَ أنَّ مَا يقدِّمهُ اليومَ يجدهُ غدًا هوَ خيرًا وأعظمَ أجرًا، **وها هي ذي خمسٌ منْ آياتِ إيثارِ المسلمِ وحبِّهِ للخيرِ نتلوهَا بالحقِّ لقومٍ يعقلونَ:**

١- فِي دارِ النَّدوةِ، وافقَ مجلسُ شيوخِ قريشٍ بإجماعِ الآراءِ علَىٰ اقتراحٍ تقدَّمَ بهِ أبُو مرَّةَ -لعنةُ اللهِ عليهِ- يقضِي بقتلِ النَّبيِّ ﷺ واغتيالهِ فِي منزلهِ، وبلغَ رسولَ اللهِ ﷺ القرارُ الجائرُ، وقدْ أُذِنَ لهُ بالهجرةِ، فعزمَ عليهَا، وبحثَ علَىٰ من ينامُ علَىٰ فراشهِ ليلًا؛ ليموِّهَ علَىٰ المتربِّصينَ لهُ ليبطشُوا بهِ، فيغادرَ المنزلَ ويتركهمْ ينتظرونَ قيامهُ منْ فراشهِ، فوجدَ ابنَ عمِّهِ الشَّابَّ المسلمَ عليَّ بنَ أبِي طالبٍ رضي الله عنه أهلًا للفداءِ والتَّضحيةِ، فعرضَ عليهِ الأمرَ فلمْ يتردَّدْ عليٌّ فِي أنْ يقدِّمَ نفسَهُ فداءً لرسول اللهِ ﷺ فينامُ علَىٰ فراشٍ لَا يدرِي متَىٰ تتخطَّفهُ الأيدِي منهُ لترميَ بهِ إلَىٰ المتعطِّشينَ إلَىٰ الدِّماءِ يلعبونَ بهِ بسيوفهمْ لعبَ الكرةِ بالأرجلِ، ونامَ عليٌّ وآثرَ رسولَ اللهِ بالحياةِ فضربَ بذلكَ علَىٰ حداثةِ سنِّهِ أروعَ مثلٍ فِي التَّضحيةِ والفداءِ، وهكذَا يؤثرُ المسلمُ علَىٰ نفسهِ ويجودُ حتَّىٰ بنفسهِ والجودُ بالنَّفسِ أقصَىٰ غايةِ الجودِ.

٢- **قالَ حذيفةُ العدويُّ**: «انطلقتُ يومَ اليرموكِ أطلبُ ابنَ عمٍّ لِي ومعِي شيءٌ منْ ماءٍ **وأنَا أقولُ**: إنْ كانَ بهِ رمقٌ سقيتُهُ، ومسحتُ بهِ وجهَهُ، فإذَا أنَا بهِ فقلتُ: أسقيكَ؟ فأشارَ إليَّ أنْ نعمْ، فإذَا رجلٌ يقولُ: آه! فأشارَ

ابنُ عمِّي إليَّ أنِ انطلقْ بهِ إليهِ، فجئتهُ فإذَا هوَ هشامُ بنُ العاصِ، **فقلتُ**: أسقيكَ؟ فسمعَ بهِ آخرُ، **فقالَ**: آه! فأشارَ هشامٌ أنِ انطلقْ بهِ إليهِ، فجئتهُ فإذَا هوَ قدْ ماتَ، فرجعتُ إلَىٰ هشامٍ فإذَا هوَ قدْ ماتَ، فرجعتُ إلَىٰ ابنِ عمِّي فإذَا هوَ قدْ ماتَ، رحمةُ اللهِ عليهمْ أجمعينَ».

وهكذَا يضربُ هؤلاءِ الشُّهداءُ الثَّلاثةُ الأبرارُ أعلَىٰ مثالٍ فِي الإيثارِ، وتفضيلِ الغيرِ علَىٰ النَّفسِ، وهذَا هوَ شأنُ المسلمِ فِي هذهِ الحياةِ.

٣- رويَ أنَّهُ اجتمعَ عندَ أبِي الحسنِ الأنطاكيِّ نيِّفٌ وثلاثونَ رجلًا لهمْ أرغفةٌ معدودةٌ لاَ تكفيهمْ شبعًا، فكسَّروهَا وأطفأوا السِّراجَ وجلسُوا للأكلِ، فلمَّا رفعت السُّفرةُ فإذَا الأرغفةُ بحالهَا لمْ ينقصْ منهَا شيءٌ؛ لأنَّ أحدًا منهمْ لمْ يأكلْ إيثارًا للآخرينَ علَىٰ نفسهِ حتَّىٰ لمْ يأكلُوا جميعًا، وهكذَا آثرَ كلُّ مسلمٍ جائعٍ منهمْ غيرَهُ، فكانوا مِنْ أهلِ الإيثارِ جميعًا.

٤- روَىٰ الشَّيخانِ أنَّهُ نزلَ برسولِ اللهِ -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- ضيفٌ فلمْ يجدْ عندَ أهلهِ شيئًا، فدخلَ عليهِ رجلٌ منَ الأنصارِ فذهبَ بالضَّيفِ إلَىٰ أهلهِ، ثمَّ وضعَ بينَ يديهِ الطَّعامَ وأمرَ امرأتَهُ بإطفاءِ السِّراجِ، وجعلَ يمدُّ يدَهُ إلَىٰ الطَّعامِ كأنَّهُ يأكلُ ولَا يأكلُ، حتَّىٰ أكلَ الضَّيفُ إيثارًا للضَّيفِ علَىٰ نفسهِ وأهلهِ، فلمَّ أصبحَ قَال لهُ رسولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لقدْ عجبَ اللهُ منْ صنيعكُم اللَّيلَة بضيفكمْ**» ونزلتْ آيةُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

٥- حكيَ أنَّ بشرَ بنَ الحارثِ أتاهُ رجلٌ فِي مرضهِ الَّذِي توفِّي فيهِ، فشكَا إليهِ الحاجةَ فنزعَ بشرٌ قميصَهُ الَّذِي كانَ عليهِ، فأعطاهُ إيَّاهُ، واستعارَ قميصًا ماتَ فيهِ.

هذهِ خمسُ صورٍ تشكِّلُ أنموذجًا حيًّا لخلقِ المسلمِ فِي الإيثارِ وحبِّ الخيرِ ذكرناهَا هنَا ليوردَ المسلمُ عليهَا خاطرَهُ فيعودَ مشبَّعًا بروحِ حبِّ الخيرِ والإيثارِ ويواصلُ أداءَ رسالتِهِ المثاليةِ فِي الحياةِ وهوَ المسلمُ قبلَ كلِّ شيءٍ!



فِي خلقِ العدل والاعتدالِ

المسلمُ يرىٰ أنَّ العدلَ بمعناهُ العامِّ منْ أوجبِ الواجباتِ وألزمِهَا، إذْ أمرَ اللهُ تعالَىٰ بهِ فِي قولِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. وأخبرَ تعالَىٰ أنَّهُ يحبُّ أهلَهُ فِي قولهِ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. والإقساطُ: العدلُ، والمقسطونَ: العادلونَ؛ وأمرَ بهِ تعالَىٰ فِي الأقوالِ، كمَا أمرَ بهِ فِي الأحكامِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النساء: ٥٨].

ولهذَا يعدلُ المسلمُ فِي قولِهِ وحكمِهِ، ويتحرَّىٰ العدلَ فِي كلِّ شأنِهِ حتَّىٰ يكونَ العدلُ خلقًا لهُ، ووصفًا لَا ينفكُّ عنهُ، فتصدرُ عنهُ أقوالُهُ وأعمالُهُ عادلةً بعيدةً منَ الحيفِ والظُّلمِ والجورِ، ويصبحُ بذلكَ عدلًا لَا يميلُ بهِ هوًى، ولَا تجرفُهُ شهوةٌ أوْ دنيا، ويستوجبُ محبَّةَ اللهِ ورضوانَهُ وكرامتَهُ وإنعامَهُ، إذْ أخبرَ تعالَىٰ أنَّهُ يحبُّ المقسطينَ، وأخبرَ رسولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنْ كرامتهمْ عندَ ربِّهمْ بقولِهِ: «**إنَّ المقسطينَ عندَ اللهِ علَىٰ منابرَ منْ نور، عنْ يمينِ الرَّحمنِ ﷻ وكلتَا يديهِ يمينٌ؛ الَّذينَ يعدلونَ فِي حكمهمْ وأهليهمْ ومَا ولوْا**»(١). وقالَ: «**سبعةٌ يظلُّهمُ اللهُ فِي ظلِّهِ يومَ لَا ظلَّ إلَّا ظلُّهُ: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأَ فِي عبادةِ اللهِ تعالَىٰ، ورجلٌ معلَّقٌ قلبهُ فِي المساجدِ، ورجلانِ تحابَّا فِي اللهِ اجتمعَا عليهِ وتفرَّقَا عليهِ، ورجلٌ دعتهُ**

---

(١) رواه مسلم (١٨) كتاب الإمارة.

امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاهَا حتَّىٰ لَا تعلمَ شمالَهُ ما تنفقُ يمينُهُ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضَتْ عيناهُ»[(١)].

وللعدلِ مظاهرُ كثيرةٌ يتجلَّىٰ فيهَا، منهَا:

١- العدلُ معَ اللهِ تعالَىٰ بأن لَا يشركَ معهُ فِي عبادتهِ وصفاتهِ غيرَهُ، وأنْ يطاعَ فلَا يعصَىٰ ويذكرَ فلَا يُنسَىٰ، ويُشكرَ فلَا يكفرَ.

٢- العدلُ فِي الحكمِ بينَ النَّاسِ بإعطاءِ كلِّ ذِي حقٍّ حقَّهُ، ومَا يستحقُّهُ.

٣- العدلُ بينَ الزَّوجاتِ والأولادِ فلَا يفضَّلُ أحدٌ علَىٰ آخرَ ولَا يؤثرُ بعضهمْ علَىٰ بعضٍ.

٤- العدلُ فِي القولِ فلَا يُشهدُ زورٌ، ولاَ يقالُ كذبٌ أوْ باطلٌ.

٥- العدلُ فِي المعتقدِ فلَا يُعتقَدُ غيرُ الحقِّ والصِّدقِ، ولَا يُثنَىٰ الصَّدرُ علَىٰ غيرِ مَا هوَ الحقيقةُ والواقعُ.

ثمرةٌ طيِّبةٌ للعدلِ:

منْ ثمراتِ العدلِ فِي الحكمِ إشاعةُ الطُّمأنينةِ فِي النُّفوسِ . . رويَ أنَّ قيصرَ أرسلَ إلَىٰ عمرَ بنِ الخطَّابِ رسولًا لينظرَ أحوالَهُ ويشاهدَ أفعالَهُ، فلمَّا دخلَ المدينةَ سألَ عنْ عمرَ وقالَ: أينَ ملككمْ؟ فقالُوا: مَا لنَا ملكٌ بلْ لنَا أميرٌ قدْ خرجَ إلَىٰ ظاهرِ المدينةِ، فخرجَ فِي طلبهِ فرآهُ نائمًا فوقَ الرَّملِ، وقدْ توسَّدَ درَّتهُ -وهِي عصًا صغيرةٌ كانتْ بيدهِ يغيِّرُ بهَا المنكرَ- فلمَّا رآهُ علَىٰ هذهِ الحالِ وقعَ الخشوعُ فِي قلبهِ وقالَ: رجلٌ يكونُ جميعُ الملوكِ لَا يقرُّ

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٦٨)، (٢/ ١٣٨).

لهمْ قرارٌ منْ هيبتهِ، وتكونُ هذهِ حالتهُ، ولكنَّكَ يَا عمرُ عدلتَ فنمتَ، وملكنَا يجورُ، فلَا جرمَ أنَّهُ لاَ يزالُ ساهرًا خائفًا!

وأمَّا الاعتدالُ فإنَّهُ أعمُّ منَ العدلِ، فهوَ ينتظمُ كلَّ شأنٍ منْ شؤونِ المسلمِ فِي هذهِ الحياةِ، والاعتدالُ هوَ الطَّريقُ الوسطُ بينَ الإفراطِ والتَّفريطِ وهمَا الخلقانِ الذَّميمانِ؛ فالاعتدالُ فِي العباداتِ أنْ تخلوَ منَ الغلوِّ والتَّنطُّعِ والإهمالِ والتَّفريطِ، وفِي النَّفقاتِ الحسنةُ بينَ السَّيِّئتَينِ: فلَا إسرافَ ولَا تقتيرَ، ولكنَّ القوامَ بينَ الإسرافِ والتَّقتير. قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وفِي اللِّباسِ، حدٌّ بينَ الفخرِ والمباهاةِ، ولباسِ الخشنِ والمرقَّعاتِ، وهوَ فِي المشيِ حدٌّ وسطٌ بينَ الاختيالِ والتَّكبُّرِ، وبينَ المسكنةِ والتَّذلُّلِ، وهوَ فِي كلِّ مجالٍ وسطٌ لا تفريطَ ولَا شطَطَ.

والاعتدالُ أخُو الاستقامةِ، وهِي منْ أشرفِ الفضائلِ وأسمَىٰ الخلائقِ؛ إذْ هيَ الَّتِي توقفُ صاحبهَا دونَ حدودِ اللهِ فلَا يتعدَّاهَا، وتنهضُ بهِ إلَىٰ الفرائضِ فلاَ يقصِّرُ فِي أدائهَا، أوْ يفرِّطُ فِي جزءٍ منْ أجزائهَا، وهيَ الَّتِي تعلِّمهُ العفَّةَ فيكتفِي بمَا أُحلَّ لهُ عمَّا حُرِّمَ عليهِ.

ويكفِي صاحبهَا شرفًا وفخرًا قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. وقولُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

ومن ذلك: الاعتدال في المشاعر

الإنسان فطر علىٰ الحب والبغض والفرح والحزن وغير ذلك من المشاعر الإنسانية والإسلام قد راعىٰ هذه الاحتياجات والرغبات النفسية

ووقف منها موقف الوسط فلم يبطلها ويهملها ولم يتركها بلا قيود وضوابط بل اعتنىٰ بها ووضع لها ضوابط وآدابًا.

والإنسان يباح له شرعًا إظهار هذه المشاعر من حب وبغض وفرح وحزن تجاه الأشخاص والمواقف والأحوال لكنه مأمور دائمًا بالاعتدال في إظهار هذه المشاعر وعدم مجاوزة الحد المشروع فيها لأن المبالغة فيها تؤدي إلىٰ الظلم والإثم وتعود علىٰ صاحبها بالحرمان **قال عمر بن الخطاب** ﷺ: (يا أسلم لا يكن حبك كلفًا ولا يكن بغضك تلفًا. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه وإذا أبغضت فلا تبغض بغضًا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك). **قال الحسن البصري**: «أحبوا هونًا وأبغضوا هونًا فقد أفرط أقوام في حب أقوام فهلكوا وأفرط أقوام في بغض أقوام فهلكوا لا تفرط في حبك ولا تفرط في بغضك».

وفي المقابل عدم إظهار هذه المشاعر بالكلية وعدم الاكتراث بها يدل علىٰ قلة الإحساس والجفاء وخلل في النفس ونقص في الرحمة والشفقة قال أبو هريرة ﷺ: **(قَبَّل النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ ﵄، وَعِنْدَهُ الأَقْرعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ)**. متفق عليه. وعن عائشة ﵂ قالت: **«قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَقَالُوا: أَتُقبِّلونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمْ الرَّحمَةَ»**. **متفق عليه. فالتوسط والاعتدال أمر حسن لا إفراط ولا تفريط.**

ويروىٰ في جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ: **(أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ**

حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا). فهذا الحديث قاعدة عامة في الاعتدال في جميع المشاعر يندرج تحتها كثير من المشاعر والصور والأمثلة وهذا بيان شيء منها:

١- **شعور الحب**: ينبغي علىٰ العبد إذا أحب إنسانًا أو قبيلة أو وطنًا أن يكون معتدلًا ولا يبالغ في ذلك وإذا حصل منه غلو في محبته فينبغي له أن يذكر مساوئه ومعائبه حتىٰ يكون عنده اعتدال في ذلك المحبوب ولذلك نهىٰ الشرع عن مبالغة الرجل في إظهار محبته لامرأة دون المرأة الأخرىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٢٩] **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: (يقول: لا تستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت). فلا يؤاخذ الرجل علىٰ ميله القلبي لإحدىٰ زوجاته كما كان الرسول ﷺ يميل بمودته ومحبته إلىٰ زوجه عائشة رضي الله عنها ويروىٰ في مسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيْمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي، فِيْمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ**). وإنما يحرم عليه تفضيله امرأة علىٰ باقي النساء في النفقة والمبيت. وكذلك نهىٰ الشرع الوالد عن تفضيل ولد علىٰ باقي الأولاد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: (**تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَىٰ حتَّىٰ تُشْهِدَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَىٰ النبيِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَىٰ صَدَقَتِي، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلكَ الصَّدَقَةَ**). متفق عليه.

٢- **شعور البغض**: ينبغي علىٰ العبد إذا أبغض أحدًا أن يكون معتدلًا في ذلك ولا يبالغ وإذا حصل منه مبالغة في بغضه فينبغي عليه أن ينظر إلىٰ محاسنه حتىٰ يكون عنده اعتدال في ذلك المبغوض ولذلك نهىٰ الشرع عن

هجر المسلم فوق ثلاث ليال عن أبي أيوب الأنصاري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**). متفق عليه. وهذا خاص في الخصومة لأمر الدنيا وقد وقته الشرع بثلاثة أيام أما إذا كان الهجر لأجل الفسق أو الابتداع فيجوز أكثر من ثلاثة أيام ولو طالت المدة إذا اقتضت المصلحة ذلك لهجر النبي ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه خمسين يومًا كما ورد في الصحيحين. وكذلك نهىٰ الشرع الرجل عن المبالغة في بغض امرأته لصفة سيئة فيها بل يوازن بين حسناتها وسيئاتها ويتفكر في أخلاقها الطيبة عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**). رواه مسلم. وقال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] فإذا نظر العاقل إلىٰ كثير من صفاتها الحسنة من عفة ودين وجمال وحسن تبعل غفر لها ذلك الخلق السيئ وتغافل عنه لأنه مغفور في بحر حسناتها وكذلك المرأة لا ينبغي لها أن تبغض زوجها لخلق سيئ فيه وإنما تنظر إلىٰ كثرة شمائله وحسن صفاته من دين وكرم وشهامة وغيرة ورفق فتنسىٰ هذا الخلق وتتجاوزه ولا تتضجر منه وتحسن عشرته لتدوم الحال.

٣- **شعور الفرح**: ينبغي علىٰ العبد إذا فرح لأمر من الدنيا حصول مال أو وظيفة أو ولد أو قدوم غائب أن يكون فرحه عابرًا معتدلًا في فرحه ولا يجاوز في فرحه حدود الشرع فيسرف ويبذر ويستعمل نعمة الله في معاصيه فالإنسان يباح له إظهار السرور عند حدوث نعمة ولكن ينهىٰ عن البطر والأشر والخيلاء ولذلك أباح الشرع الفرح في العيد والعرس وغيرهما كما نهىٰ الشرع عن الخروج في الفرح عما أباحه الله قال تعالىٰ في قصة

قـــارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القَصَص: ٧٦] **قال مجاهد**: (يعني الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله علىٰ ما أعطاهم). فنهىٰ الله في هذه الآية عن الفرح الذي يوقع في البطر والأشر وينسي العبد شكر الله والقيام بطاعته بل يستعمل نعمه في معصيته. وإذا بالغ الإنسان في الفرح فينبغي له أن يتفكر في سرعة زوال الفرح وأن عاقبته حزن وأن هذه الدنيا جبلت علىٰ الأفراح والأحزان وأن الفرح الكامل الذي لا ينغصه شيء إنما هو في الجنة.

٤- **شعور الحزن**: ينبغي علىٰ العبد إذا حزن لفوات شيء من الدنيا أو وقوع مصيبة من موت عزيز أو فقد ولد أو مرض وغيره أن يكون معتدلًا في حزنه ويصبر ويحتسب ولا يخرج عن الحدود التي حدها الله في المصيبة ولذلك أباح الشرع للإنسان أن يظهر الحزن قال نبينا ﷺ حين مات ابنه إبراهيم: (**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَىٰ رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**). متفق عليه. ونهىٰ الشرع عن مجاوزة الحد في الحزن وملازمته بحيث يوهن القلب ويقعد عن العمل قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التَّوۡبَة: ٤٠] ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ من الهم والحزن كما ورد في الصحيحين والشيطان حريص علىٰ إدخال الحزن علىٰ قلب المؤمن قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المُجَادلَة: ١٠] وإذا بالغ الإنسان في الحزن فينبغي له أن يتفكر في سرعة انقضاء الحزن وتغير الحال إلىٰ فرح وأن الله قدر له المصيبة لحكمة بالغة وأن هذه الدنيا دار أحزان لا ينبغي للمؤمن أن يحزن لفقدها ولا يأسف عليها لزوالها قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا

فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٣] فينبغي للمؤمن ألا يداوم علىٰ الحزن لأجل الدنيا لأن ذلك يمرض قلبه ويشغله بالأماني ويمنعه عن العمل الصالح. أما الحزن المصاحب للندم لفوات فضيلة أو تقصير في فريضة أو تذكر لأهوال القيامة فحسن ما لم يلازمه لأنه يثمر الإنابة والتوبة والاجتهاد في العمل الصالح قال تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] وينبغي أن يغلب علىٰ حال المؤمن شعور الفرح بالطاعة والذكر قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

٥- **البكاء**: من الأشياء التي تطرأ علىٰ المؤمن عند المصائب البكاء وقد رخص الشرع في البكاء ولم يشدد فيه إذا كان في حدود الشرع وليس ذلك من الجزع المنهي عنه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ**). متفق عليه. والبكاء يكون من الرجال كما يكون من النساء ولا يعاب الرجل علىٰ البكاء لأنه من مقتضىٰ الرحمة ولا ينكره إلا أهل الجفاء وينبغي للمؤمن أن يكون معتدلًا فيه فلا يبالغ فيه بعلو الصوت وتمزيق الثياب والنياحة كحال أهل الجاهلية لأن ذلك من التسخط المنهي عنه وقد تبرأ النبي ﷺ من ذلك كما ورد في الصحيحين قال أبو موسىٰ رضي الله عنه: (**إِنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ: بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ والحَالِقَةِ والشَّاقَّةِ**). وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ**). متفق عليه. وإنما يبكي بالدمع والصوت المنخفض ولا يرك البكاء مطلقًا كحال أهل الجفاء لأن ذلك يعد من قسوة القلب وقلة الرحمة ونقصًا في الطبيعة.

٦- **شعور العداوة**: البراءة من الكفار من فرائض الدين التي اتفق عليها أئمة السلف قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وينبغي للمؤمن أن يكون معتدلًا في عداوته فلا يتجاوز شرع الله فيمن يعاديه من الكفار قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] فيفرق بين المحارب والمعاهد في تعامله فيحفظ ذمة المعاهدين ولا يستبيح أموالهم ودمائهم ويعاملهم بالعدل والانصاف ولا يتولاهم كما يتولىٰ أهل الإيمان فيتبرأ من دينهم وعاداتهم مع معاملتهم بالحسنىٰ. وكذلك من الاعتدال أن يفرق بين أهل الكفر فلا يعامل أهل الكتاب كمعاملة الوثنيين ويلزم ما ورد في الشرع من التخفيف في معاملتهم فيأكل ذبائحهم وينكح نسائهم ولا يلحقهم بسائر الكفار. ومن اعتدال النبي ﷺ وعدله حسن رده علىٰ أهل الكتاب وعدم مجاراتهم علىٰ إساءتهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ علَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يا عَائِشَةُ، فإنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فقَدْ قُلتُ: وعلَيْكُم)**. متفق عليه.

٧- **شعور المحبة**: المسلم له حرمة يثبت له عقد الإخوة الإيمانية مهما ارتكب من الذنوب ما دام باقيًا علىٰ إسلامه قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] وينبغي للمؤمن أن يكون معتدلًا في محبة المسلمين فيتولىٰ الصالح منهم ولاية كاملة ويتولىٰ الفاسق منهم ولاية ناقصة يحبه لإيمانه ويبغضه لفسقه فلا يسوي بين أهل

الإيمان الكامل وأهل الكبائر فلا يرفع حال الفساق يزكيهم ويخالطهم حال تلبسهم بالمعاصي كصنيع المرجئة مع الفساق ولا يتبرأ بالكلية من أهل الكبائر فيكفرهم كصنيع الخوارج مع الفساق وإنما يكون معتدلًا والناس في هذا الباب طرفان ووسط منهم المتساهل جدًا ومنهم المتشدد جدًا وخيرهم الوسط المعتدل المتبع لهدي النبي ﷺ ويروىٰ في مسند أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: **(أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيْمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ، والْبُغْضُ فِي اللهِ)**. **وقال ابن تيمية**: (ومن كان فيه ما يوالىٰ عليه من حسنات وما يعادىٰ عليه من سيئات عومل بموجب ذلك كفساق أهل الملة إذ هم مستحقون للثواب والعقاب والموالاة والمعاداة والحب والبغض بحسب ما فيهم من البر والفجور).



في خلقِ الرَّحمةِ

المسلمُ رحيمٌ، والرَّحمةُ خلقٌ منْ أخلاقهِ، إذْ منشأُ الرَّحمةِ صفاءُ النَّفسِ وطهارةُ الرُّوحِ، والمسلمُ بإتيانهِ الخيرَ، وعملِهِ الصَّالحِ، وابتعادِهِ عنِ الشَّرِّ، واجتنابِهِ المفاسدَ هوَ دائمًا فِي طهارةِ نفسٍ وطيبِ روحٍ، ومنْ كانَ هذَا حالهُ فإنَّ الرَّحمةَ لاَ تفارقُ قلبَهُ، ولهذَا كانَ المسلمُ يحبُّ الرَّحمةَ ويبذلهَا ويوصِي بهَا، ويدعُو إليهَا مصداقًا لقولهِ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البَلَد: ١٧، ١٨].

وعملًا بقولِ المصطفَىٰ ﷺ: «**إنَّمَا يرحمُ اللهُ مِن عبادِهِ الرُّحماءَ**»(١). وقولهِ: «**ارحمُوا منْ فِي الأرضِ يرحمكمْ منْ فِي السَّماء**»(٢). واسترشادًا بقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**منْ لَا يَرحمُ لَا يُرحمُ**»، ومنْ قولهِ: «**لَا تُنزعُ الرَّحمةُ إلَّا منْ شقيٍّ**»(٣). وتحقيقًا لقولهِ: «**مثلُ المؤمنينَ فِي توادِّهمْ وتراحمهمْ وتعاطفهمْ كمثلِ الجسدِ إذَا اشتكَىٰ منهُ عضوٌ تداعَىٰ لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّىٰ**»(٤).

والرَّحمةُ، وإنْ كانتْ حقيقتهَا رقَّةُ القلبِ وانعطافُ النَّفسِ المقتضِي للمغفرةِ والإحسانِ، فإنَّهَا لنْ تكونَ دائمًا مجرَّدَ عاطفةٍ نفسيَّةٍ لاَ أثرَ لهَا فِي

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٠٠)، (٨/ ١٦٦).
(٢) ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٤١).
(٣) رواه الترمذي (١٩٢٣). ورواه أبو داود (٤٩٤٢). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣١٠، ٤٤٢).
(٤) رواه مسلم (٦٦) كتاب البر والصلة.

الخارجِ، بلْ إنَّهَا ذاتُ آثارٍ خارجيَّةٍ، ومظاهرَ حقيقيَّةٍ تتجسَّمُ فيهَا فِي عالمِ الشَّهادةِ . . ومنْ آثارِ الرَّحمةِ الخارجيَّةِ العفوُ عَن ذِي الزَّلَّةِ، والمغفرةُ لصاحبِ الخطيئةِ، وإغاثةُ الملهوفِ، ومساعدةُ الضَّعيفِ، وإطعامُ الجائعِ وكسوةُ العارِي ومداواةُ المريضِ ومواساةُ الحزينِ . . كلُّ هذهِ منْ آثارِ الرَّحمةِ وغيرهَا كثيرٌ.

ومِنْ صورِ مظاهرِ الرَّحمةِ الَّتِي تتجلَّىٰ فيهَا وتبرزُ للحسِّ والعيانِ مَا يلِي:

١- روَىٰ البخاريُّ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قالَ: دخلنَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ علَىٰ أبِي يوسفَ القيِّنِ، وكانَ ظئرًا لإبراهيمَ فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ إبراهيمَ ولدهُ وقبَّلهُ وشمَّهُ ثمَّ دخلنَا عليهِ بعدَ ذلكَ وإبراهيمُ يجودُ بنفسهِ فجعلتْ عينَا رسولِ اللهِ تذرفانِ، فقالَ لهُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ رضي الله عنه: وأنتَ يا رسولَ الله؟! فقالَ: «**يَا ابنَ عوفٍ إنَّهَا الرَّحمةُ!**». ثمَّ قالَ: «**إنَّ العينَ تدمعُ والقلبَ يحزنُ، ولَا نقولُ إلَّا مَا يرضِي ربَّنَا، وإنَّا بفراقكِ يَا إبراهيمُ لمحزونونَ**»[١].

فزيارةُ رسولِ اللهِ ﷺ لطفلِهِ الصَّغيرِ وهوَ فِي بيتِ مرضعهِ، وتقبيله إيَّاهُ وشمُّهُ، ثمَّ عيادتهُ لهُ وهوَ مريضٌ يجودُ بنفسهِ، ثمَّ مَا أرسلَ عليهِ منْ دموعِ الحزنِ. كلُّ ذلكَ منْ مظاهرِ الرَّحمةِ فِي القلبِ.

٢- روَىٰ البخاريُّ عنْ أبِي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «بينمَا رجلٌ يمشِي فاشتدَّ عليه العطشُ فنزلَ بئرًا فشربَ منهَا ثمَّ خرجَ فإذَا هوَ بكلبٍ يلهثُ يأكلُ الثَّرىٰ منَ العطشِ، فقالَ: لقدْ بلغَ بهذَا مثل الَّذِي بلغَ بِي فملأَ خفَّهُ ثمَّ أمسكهُ بفيهِ، ثمَّ رقَىٰ فسقَىٰ الكلبَ فشكرَ اللهُ له فغفرَ لهُ» قالُوا:

(١) رواه البخاري (٢/ ١٠٥).

يَا رسولِ اللهِ وإنَّ لنَا فِي البهائمِ أجرًا؟ قالَ: «**فِي كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»[١].

فنزولُ الرَّجلِ فِي البئرِ وتحمُّلهُ مشقَّةَ إخراجِ الماءِ وسقيهُ الكلبَ العطشانَ، كلُّ هذَا منْ مظاهرِ رحمتهِ فِي قلبهِ، ولولَا ذلكَ لمَا صنعَ الَّذِي صنعَ.

وبعكسِهِ مَا رواهُ البخاريُّ عنْ أبِي هريرةَ ﵁ عنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**عُذِّبتِ امرأةٌ فِي هرَّةٍ حبستهَا حتَّىٰ ماتتْ فدخلتْ فيهَا النَّارَ، وقيلَ لهَا: لَا أنتِ أطعمتيهَا ولَا سقيتيهَا حينَ حبستيهَا ولَا أنتِ أرسلتيهَا فأكلتْ منْ خشاشِ الأرضِ**»[٢].

إنَّ صنيعَ هذهِ المرأةِ مَظهرٌ منْ مظاهر قسوةِ القلوبِ وانتزاعِ الرَّحمةِ منهَا، والرَّحمةُ لَا تُنزعُ إلَّا منْ قلبِ شقيٍّ.

٣- روَىٰ البخاريُّ عنْ أبِي قتادةَ ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إنِّي لأدخلُ فِي الصَّلاةِ فأريدُ إطالتهَا فأسمعُ بكاءَ الصَّبيِّ فأتجوَّزُ ممَّا أعلمُ منْ شدَّةِ وجدِ أمِّهِ منْ بكائهِ**»[٣].

فعدولهُ ﷺ عنْ إطالةِ صلاتهِ الَّتِي عزمَ علَىٰ إطالتهَا، ووَجْدُ الأمِّ منْ بكاءِ طفلهَا، مظهرٌ منْ مظاهرِ الرَّحمةِ الَّتِي أودعهَا اللهُ فِي قلوبِ الرُّحماءِ منْ عبادهِ.

٤- رويَ أنَّ زينَ العابدينَ عليَّ بنَ الحسينِ ﵁ كانَ فِي طريقهِ إلَىٰ المسجدِ فسبَّهُ رجلٌ فقصدهُ غلمانهُ[٤] ليضربوهُ ويؤذوهُ، فنهاهمْ وكفَّهمْ عنهُ

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٧٤)، (٨/ ١١).

(٢) رواه البخاري (٥٤) كتاب الأنبياء، ومسلم (١٥١، ١٥٢) كتاب السلام.

(٣) رواه البخاري (٧٠٩).

(٤) جَمْعُ غُلاَم، وَهُوَ الْخَادِمُ.

رحمةً بهِ ثمَّ قالَ: يا هذَا! أنَا أكثرُ ممَّا تقولُ، ومَا لا تعرفهُ عنِّي أكثرُ ممَّا تعرفهُ، فإنْ كانَ لكَ حاجةٌ فِي ذلكَ ذكرتهُ، فخجلَ الرَّجلُ واستحيَا فخلعَ عليهِ زينُ العابدينَ قميصَهُ، وأمرَ لهُ بألفِ درهمٍ.

فهذَا العفوُ وهذَا الإحسانُ لمْ يكونَا إلَّا مظهرًا منْ مظاهرِ الرَّحمةِ الَّتِي فِي قلبِ حفيدِ رسولِ اللهِ ﷺ.



في خلقِ الحياءِ

المسلمُ عفيفٌ حييٌّ، والحياءُ خلقٌ لهُ. إنَّ الحياءَ منَ الإيمانِ، والإيمانُ عقيدةُ المسلمِ وقوامُ حياتهِ، يقولُ الرَّسولُ ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ -أوْ بضعٌ وستُّونَ- شعبةً فأفضلهَا لاَ إلهَ إلَّا اللهُ، وأدناهَا إماطةُ الأذَىٰ عنِ الطَّريقِ، والحياءُ شعبةٌ منَ الإيمانِ**»[١].

ويقولُ: «**الحياءُ والإيمانُ قرناءُ جميعًا فإذَا رُفعَ أحدهمَا رفعِ الآخرُ**»[٢]. وسرُّ كونِ الحياءِ منَ الإيمانِ أنَّ كلًّا منهمَا داعٍ إلَىٰ الخيرِ صارفٌ عنِ الشَّرِّ مبعِدٌ عنهُ، فالإيمانُ يبعثُ المؤمنَ علَىٰ فعلِ الطَّاعاتِ وتركِ المعاصِي، والحياءُ يمنعُ صاحبَهُ منَ التَّقصيرِ فِي الشُّكرِ للمنعمِ، ومنَ التَّفريطِ فِي حقِّ ذِي الحقِّ، كمَا يمنعُ الحييَّ منْ فعلِ القبيحِ أوْ قولهِ اتِّقاءً للذَّمِّ والملامةِ. ومنْ هنَا كانَ الحياءُ خيرًا، ولَا يأتِي إلَّا بالخير كمَا صحَّ ذلكَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ فِي قولهِ: «**الحياءُ لاَ يأتِي إلَّا بخيرٍ**»[٣]. وقولهِ فِي روايةِ مسلمٍ: «**الحياءُ خيرٌ كلُّهُ**».

ونقيضُ الحياءِ البذاءُ، والبذاءُ فحشٌ فِي القولِ والفعلِ، وجفاءٌ فِي الكلامِ، والمسلمُ لَا يكونُ فاحشًا ولَا متفحِّشًا، ولَا غليظًا ولاَ جافيًا؛ إذْ هذهِ صفاتُ أهلِ النَّارِ، والمسلمُ منْ أهلِ الجنَّةِ -إنْ شاءَ اللهُ- فلَا يكونُ منْ

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٨).

(٢) رواه الحاكم (١/ ٢) وصححه علىٰ شرط الشيخين.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٣٥). ورواه مسلم في الإيمان (٦٠).

أخلاقهِ البذاءُ ولَا الجفاءُ، وشاهدُ هذَا قولُ الرَّسولِ ﷺ: «**الحياءُ منَ الإيمانِ والإيمانُ فِي الجنَّةِ، والبذاءُ والجفاءُ فِي النَّارِ**»[١].

وأسوةُ المسلِم فِي هذَا الخلقِ الفاضلِ الكريمِ رسولُ اللهِ سيِّدُ الأوَّلينَ والآخرينَ. إذْ كانَ ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراءِ فِي خدرهَا كمَا روَىٰ ذلكَ البخاريُّ عنْ أبِي سعيدٍ وقالَ فيهِ: فإذَا رأىٰ شيئًا يكرههُ عرفناهُ فِي وجههِ.

والمسلمُ إذْ يدعُو إلَىٰ المحافظةِ علَىٰ خلق الحياءِ فِي النَّاسِ وتنميتهِ فيهمْ إنَّمَا يدعُو إلَىٰ خيرٍ ويرشدُ إلَىٰ برٍّ؛ إذِ الحياءُ منَ الإيمانِ والإيمانُ مجمعُ كلِّ الفضائلِ، وعنصرُ كلِّ الخيراتِ. وفِي الصَّحيحِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّ برجلٍ يعظُ أخاهُ فِي الحياءِ، فقالَ: «**دَعْهُ فإنَّ الحياءَ منَ الإيمانِ**»[٢]. فدعَا بذلكَ ﷺ إلَىٰ الإبقاءِ علَىٰ الحياءِ فِي المسلمِ، ونهَىٰ عنْ إزالتهِ، ولوْ منعَ صاحبهُ منَ استيفاءِ بعضِ حقوقهِ؛ إذْ ضياعُ بعضِ حقوقِ المرءِ خيرٌ لهُ منْ أنْ يفقدَ الحياءَ الَّذِي هوَ جزءُ إيمانهِ وميزةُ إنسانيَّتهِ، ومعينُ خيريّتهِ.

وخلقُ الحياءِ فِي المسلمِ غيرُ مانعٍ لهُ أنْ يقولَ حقًّا أوْ يطلبَ علمًا، أوْ يأمرَ بمعروفٍ أوْ ينهَىٰ عنْ منكرٍ، فقدْ شفعَ مرَّةً عندَ رسولِ اللهِ ﷺ أسامةُ بنُ زيدٍ -حِبُّ رسولِ اللهِ وابنُ حِبِّهِ- فلمْ يمنعِ الحياءُ رسولَ اللهِ ﷺ أنْ يقولَ لأسامةَ فِي غضبٍ: «**أتشفعُ فِي حدٍّ مِن حُدودِ اللهِ يَا أسامةُ؟! واللهِ لوْ سرقتْ فلانةُ لقطعتُ يدهَا**»[٣].

ولمْ يمنعِ الحياءُ أمَّ سليمٍ الأنصاريَّةَ أنْ تقولَ: يَا رسولَ اللهِ، إنَّ اللهَ لَا يستحِي منَ الحقِّ فهلْ علَىٰ المرأةِ مِنْ غسلٍ إذَا هيَ احتلمتْ؟ فيقولُ لهَا

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٩). ورواه الإمام أحمد (٩١٢، ٥٠١) بسند صحيح. ومعنىٰ الجفاء في النار: أن صاحبه في النار كما أن صاحب الإيمان في الجنة.

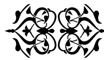
(٢) رواه البخاري (١/ ١٢)، (٨/ ٣٥). ورواه أبو داود (٤٧٩٥). ورواه النسائي (٨/ ١٢١).

(٣) رواه البخاري (٤/ ٢١٣). ورواه أبو داود (٤٣٧٣). ورواه الترمذي (١٤٣٠).

الرَّسولُ ﷺ -ولمْ يمنعهُ الحياءُ-: «**نعمْ إذَا رأتِ الماءَ**»[(١)].

وخطبَ عمرُ مرَّةً فِي المسلمينَ وعليهِ ثوبانِ فأمرَ بالسَّمعِ والطَّاعةِ فنطقَ أحدُ المسلمينَ قائلًا: فلاَ سمعَ ولاَ طاعةَ يا عمرُ، عليكَ ثوبانِ وعلينَا ثوبٌ واحدٌ. فنادَىٰ عمرُ بأعلَىٰ صوتهِ: يَا عبدَ اللهِ بنَ عمرَ! فأجابهُ ولدُهُ: لبَّيكَ أبتاهُ! فقالَ لهُ: أنشدكَ اللهَ أليسَ أحدُ ثوبيَّ هوَ ثوبكَ أعطيتنيهِ؟ قالَ: بلَىٰ واللهِ، فقالَ الرَّجلُ: الآنَ نسمعُ ونطيعُ يَا عمرُ.. فانظرْ كيفَ لمْ يمنعِ الحياءُ الرَّجلَ أنْ يقولَ، ولَا عمرَ أنْ يعترفَ.

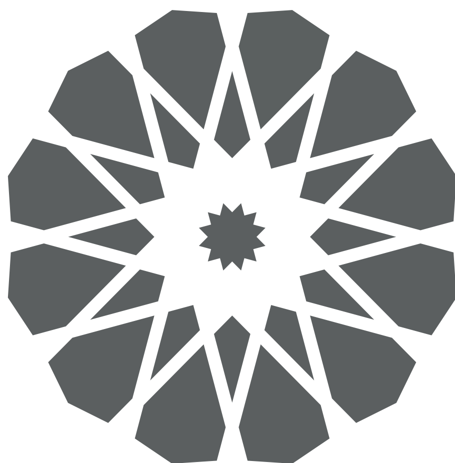
والمسلمُ كمَا يستحِي منَ الخَلقِ فلَا يكشفُ لهمْ عورةً، ولاَ يقصِّرُ فِي حقٍّ وجبَ لهمْ عليهِ، ولاَ ينكرُ معروفًا أسدوهُ إليهِ.. لاَ يخاطبهمْ بسوءٍ ولاَ يجابههمْ بمكروهٍ، فهوَ يستحِي منَ الخالقَ فلَا يقصِّرُ فِي طاعتهِ، ولَا فِي شكرِ نعمتهِ، وذلكَ لمَا يرَىٰ منْ قدرتهِ عليهِ، وعلمهِ بهِ، متمثِّلًا قولَ ابنِ مسعودٍ: استحيُوا منَ اللهِ حقَّ الحياءِ فاحفُظوا الرَّأسَ ومَا وعَىٰ، والبطنَ ومَا حوَىٰ، واذكرُوا الموتَ والبلَىٰ[(٢)]. وقولَ الرَّسولِ ﷺ: «**فاللهُ أحقُّ أنْ يستحيَا منهُ منَ النَّاسِ**»[(٣)].



(١) رواه البخاري (١/ ٧٨)، (٤/ ١٦٠).

(٢) أخرجهُ المنذريُّ مرفوعًا ورجَّحَ وقفهُ علَىٰ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه.

(٣) الحديث رواه أبُو داودَ (٤٠١٧). والتِّرمذيُّ (٢٧٩٤) وتمامُ الحديثِ: عنْ أبِي هريرةَ قالَ: قلتُ: يَا رسول الله عوراتنَا ما نأتِي منهَا ومَا نذرُ؟ قالَ: «احفظْ عورتكَ إلَّا منْ زوجتكَ أوْ مَا ملكتْ يمينكَ، قلتُ: يَا نبي الله إذا كان القومُ بعضهمْ فِي بعضٍ؟ قالَ: «إنِ استطعتَ أنْ لاَ يراهَا أحدٌ فلَا يرينَّهَا» قلتُ: إذَا كانَ أحدنَا خاليًا؟ قالَ: «فاللهُ أحقُّ أنْ يستحيَا منهُ منَ النَّاسِ».



في خلق الإحسان

المسلمُ لَا ينظرُ إلَىٰ الإحسانِ، وأنَّهُ خلقٌ فاضلٌ يجملُ التَّخلُّقُ بهِ فحسبُ، بلْ ينظرُ إليهِ وأنَّهُ جزءٌ منْ عقيدتهِ، وشقصٌ كبيرٌ منْ إسلامهِ؛ إذِ الدِّينُ الإسلاميُّ مبناهُ علَىٰ ثلاثةِ أمورٍ وهيَ: الإيمانُ، والإسلامُ، والإحسانُ، كما جاءَ ذلكَ فِي بيانِ رسولِ اللهِ ﷺ لجبريلَ عليه السلام في الحديثِ المتَّفق عليهِ لمَّا سألهُ عنِ الإيمانِ والإسلامِ والإحسانِ وقالَ عقبَ انصرافهِ: «هذَا جبريلُ أتاكمْ ليعلِّمكمْ أمرَ دينكمْ» فسمَّىٰ الثَّلاثةَ دينًا، وقدْ أمرَ اللهُ سبحانهُ بالإحسانِ فِي غيرِ موضعٍ منْ كتابهِ الكريم إذْ قالَ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]. وقالَ سبحانهُ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. وقالَ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ علىٰ كلِّ شيءٍ، فإذَا قتلتمْ فأحسنُوا القتلةَ وإذَا ذبحتمْ فأحسنُوا الذِّبحةَ، وليحدَّ أحدُكمْ شفرتَهُ، وليرحْ ذبيحتَهُ**»[1].

والإحسانُ فِي باب العباداتِ: أنْ تؤدَّى العبادةُ أيًّا كانَ نوعهَا منْ صلاةٍ، أوْ صيامٍ، أوْ حجٍّ أوْ غيرهَا أداءً صحيحًا، باستكمالِ شروطهَا وأركانهَا واستيفاءِ سننهَا وآدابهَا، وهذَا مَا لاَ يتمُّ للعبدِ إلَّا إذَا كانَ حالَ

(١) رواه مسلم (٥٧) كتاب الذبائح.

أدائهِ للعبادةِ يستغرقُ فِي شعورٍ قويٍّ بمراقبةِ اللهِ ﷻ حتَّىٰ لكأنَّهُ يراهُ تعالَىٰ ويشاهدهُ، أوْ علَىٰ الأقلِّ يُشعرُ نفسهُ بأنَّ اللهَ تعالَىٰ مطَّلعٌ عليهِ ناظرٌ إليهِ. فبهذَا وحدهُ يمكنهُ أنْ يحسنَ عبادتهُ ويتقنهَا، فيأتيَ بهَا علَىٰ الوجهِ المطلوبِ، والصُّورةِ الكاملةِ لهَا، وهذَا مَا أرشدَ إليهِ الرَّسولُ ﷺ فِي قولهِ: «**الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لمْ تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ**»(١).

وأمَّا الإحسانُ في بابِ المعاملاتِ: فهوَ للوالدينِ: ببرِّهمَا الَّذِي هوَ طاعتهمَا، وإيصالُ الخيرِ إليهمَا، وكفُّ الأذَىٰ عنهمَا، والدُّعاءُ والاستغفارُ لهمَا، وإنفاذُ عهدهمَا، وإكرامُ صديقهمَا.

وهوَ للأقاربِ: ببرِّهمْ ورحمتهمْ، والعطفِ والحدبِ عليهمْ، وفعلِ مَا يجملُ فعلهُ معهمْ، وتركِ مَا يسيءُ إليهمْ، أوْ يقبحُ قولهُ أوْ فعلهُ معهمْ.

وهوَ لليتامَىٰ: بالمحافظةِ علَىٰ أموالهمْ، وصيانةِ حقوقهمْ، وتأديبهمْ وتربيتهمْ وتركِ أذاهمْ، وعدمِ قهرهمْ، وبالهشِّ فِي وجوههمْ، والمسحِ علَىٰ رؤوسهمْ.

وهوَ للمساكين: بسدِّ جوعتهمْ، وسترِ عورتهمْ؛ بالحثِّ علَىٰ إطعامهمْ وعدمِ المساسِ بكرامتهمْ فلَا يُحتقرونَ ولَا يُزدرونَ، ولَا يُنالونَ بسوءٍ أوْ يمسُّونَ بمكروهٍ.

وهوَ لابنِ السَّبيلِ: بقضاءِ حاجتهِ، وسدِّ خلَّتهِ، ورعايةِ مالهِ، وصيانةِ كرامتهِ، وبإرشادهِ إنِ استرشدَ، وهدايتهِ إنْ ضلَّ.

وهوَ للخادمِ: بإتيانهِ أجرَهُ قبلَ أنْ يجفَّ عرقُهُ، وبعدمِ إلزامهِ مَا لَا يلزمهُ أوْ تكليفهِ بمِا لَا يطيقُ، وبصونِ كرامتهِ، واحترامِ شخصيَّتهِ، فإنْ كانَ منْ خدمِ البيتِ فبإطعامهِ ممَّا يطعمُ أهلهُ، وكسوتهِ ممَّا يكسونَ، وهوَ

(١) رواه البخاري (٦/ ١٤٤).

لعمومِ النَّاسِ بالتَّلطُّفِ فِي القولِ لهمْ، ومجاملتهمْ فِي المعاملةِ والمخاطبةِ بعدَ أمرهمْ بالمعروفِ ونهيهمْ عنِ المنكرِ، وبإرشادِ ضالِّهمْ، وتعليم جاهلهمْ وبإنصافهمْ مِنَ النَّفسِ، والاعترافِ بحقوقهمْ، وبكفِّ الأذَىٰ عنهمْ وبعدم ارتكاب مَا يضرُّهمْ أوْ فعل مَا يؤذيهمْ.

وهوَ للحيوانِ: بإطعامهِ إنْ جاعَ، ومداواتهِ إنْ مرضَ، وبعدمِ تكليفهِ ما لَا يطيقُ وحملهِ علَىٰ مَا لَا يقدرُ، وبالرِّفقِ بهِ إنْ عملَ، وإراحتهِ إنْ تعبَ.

وهوَ في الأعمال البدنيَّةِ: بإجادة العمل، وإتقانِ الصَّنعةِ، وبتخليصِ سائرِ الأعمالِ مِنَ الغشِّ وقوفًا عندَ قول الرَّسولِ ﷺ فِي الصَّحيحِ: «**مَنْ غشَّنَا فليسَ منَّا**»[١].

ومنْ مظاهرِ الإحسانِ مَا يلِي:

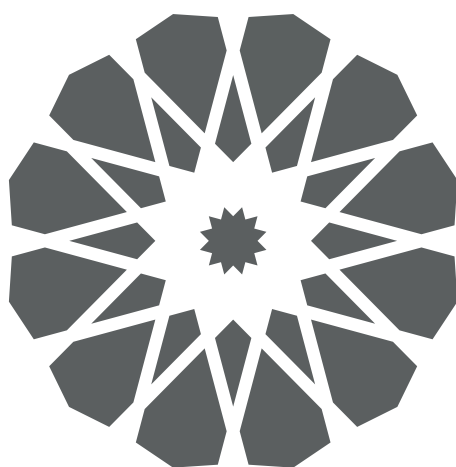
١- لمَّا فعلَ المشركونَ بالنَّبيِّ ﷺ مَا فعلُوا يومَ أُحُدٍ منْ قتلِ عمِّهِ والتَّمثيلِ بهِ، ومِنْ كسرِ رباعيَّتهِ، وشجِّ وجههِ طلبَ إليهِ أحدُ الأصحابِ أنْ يدعوَ علَىٰ المشركينَ الظَّالمينَ فقالَ: «**اللَّهمَّ اغفرْ لقومِي فإنَّهمْ لَا يعلمونَ**».

٢- **قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يومًا لجاريتهِ**: روِّحينِي حتَّىٰ أنامَ فروَّحتهُ فنامَ، وغلبهَا النَّومُ فنامتْ فلمَّا انتبهَ أخذَ المروحةَ يروِّحهَا، فلمَّا انتبهتْ ورأتهُ يروِّحهَا صاحتْ! فقالَ: إنَّمَا أنتِ بشرٌ مثلِي أصابكِ مِنَ الحرِّ مَا أصابنِي فأحببتُ أنْ أروِّحكِ كمَا روَّحتنِي.

٣- **غاظَ أحدَ السَّلفِ غلامٌ لهُ غيظًا شديدًا فهمّ بالانتقامِ منهُ. فقالَ الغلامُ**: والكاظمينَ الغيظَ، فقالَ الرَّجلُ: كظمتُ غيظِي، فقالَ الغلامُ: والعافينَ عن النَّاسِ، فقالَ: عفوتُ عنكَ، فقالَ الغلامُ: واللهُ يحبُّ المحسنينَ، فقالَ: اذهبْ فأنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ تعالىٰ.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (١٦٤) ومسند أحمد (٣/ ٤٩٨).



في خلقِ الصدِّقِ

المسلمُ صادقٌ، يحبُّ الصِّدقَ ويلتزمهُ ظاهرًا وباطنًا فِي أقوالِهِ وفِي أفعالِهِ؛ إذِ الصِّدقُ يهدِي إِلَىٰ البرِّ، والبرُّ يهدِي إِلَىٰ الجنَّةِ، والجنَّةُ أسمَىٰ غاياتِ المسلمِ وأقصَىٰ أمانيهِ، والكذبُ -وهوَ خلافُ الصِّدقِ وضدُّهُ- يهدِي إِلَىٰ الفجورِ، والفجورُ يهدِي إِلَىٰ النَّارِ، والنَّارُ منْ شرِّ مَا يخافهُ المسلمُ ويتَّقيهِ.

والمسلمُ لَا ينظرُ إِلَىٰ الصِّدقِ كَخُلُقٍ فاضلٍ يجبُ التَّخلُّقُ بهِ لَا غيرَ، بلْ إنَّهُ يذهبُ إِلَىٰ أبعد منْ ذلكَ، يذهبُ إِلَىٰ أنَّ الصَّدقَ منْ متمِّماتِ إيمانهِ، ومكمِّلاتِ إسلامهِ، إذْ أمرَ اللهُ تعالَىٰ بهِ، وأثنَىٰ علَىٰ المتَّصفينَ بهِ، كمَا أمرَ بهِ رسولهُ وحثَّ عليهِ ودعَا إليهِ قالَ تعالَىٰ فِي الأمر بهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقالَ فِي الثَّناءِ علَىٰ أهلهِ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وقالَ: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقالَ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقالَ رسولهُ ﷺ فِي الأمرِ بهِ: «**عليكمْ بالصِّدقِ فإنَّ الصِّدقَ يهدِي إِلَىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدِي إِلَىٰ الجنَّةِ، ومَا يزالُ الرَّجلُ يصدقُ، ويتحرَّىٰ الصِّدقَ، حتَّىٰ يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا، وإياكمْ والكذبَ فإنَّ الكذبَ يهدِي إِلَىٰ الفجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدِي إِلَىٰ النَّارِ، ومَا يزالُ الرَّجلُ يكذبُ ويتحرَّىٰ الكذبَ حتَّىٰ يكتبَ عندَ اللهِ كذَّابًا**»[(١)].

(١) رواه مسلم (١٠٥) كتابُ البرِّ والصِّلةِ.

هذَا وإنَّ للصِّدقِ ثمراتٌ طيِّبةٌ يجنيهَا الصَّادقونَ وهذهِ أنواعهَا:

١- راحةُ الضَّميرِ، وطمأنينةُ النَّفسِ، لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «الصِّدقُ طمأنينةٌ»(١).

٢- البركةُ فِي الكسبِ، وزيادةُ الخيرِ، لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «البيِّعانِ بالخيارِ مَا لَمْ يتفرَّقَا فإِنْ صدقَا وبيَّنَا بورِكَ لهمَا فِي بيعهمَا، وإنْ كتَما وكذبَا محقتْ بركةُ بيعهمَا»(٢).

٣- الفوزُ بمنزلةِ الشُّهداءِ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**منْ سألَ اللهَ الشَّهادةَ بصدقٍ بلَّغهُ اللهُ منازلَ الشُّهداءِ وإنْ ماتَ علَىٰ فراشهِ**»(٣).

٤- النَّجاةُ منَ المكروهِ، فقدْ حكيَ أنَّ هاربًا لجأ إلَىٰ أحدِ الصَّالحينَ وقالَ لهُ: أخفنِي عنْ طالبِي. فقالَ لهُ: نمْ هنَا، وألقَىٰ عليهِ حزمةً منْ خوصٍ، فلمَّا جاءَ طالبوهُ وسألُوا عنهُ قالَ لهمْ: هَا ذَا تحتَ الخوص، فظنُّوا أنَّهُ يسخرُ منهمْ فتركوهُ، ونجَا ببركةِ صدقِ الرَّجلِ الصَّالحِ.

هذَا وللصِّدقِ مظاهرُ يتجلَّىٰ فيهَا، منهَا:

١- فِي صدقِ الحديثِ . . فالمسلمُ إذَا حدَّثَ لَا يحدِّثُ بغيرِ الحقِّ والصِّدقِ، وإذَا أخبرَ فلَا يخبرُ بغيرِ مَا هوَ الواقعُ فِي نفسِ الأمرِ، إذْ كذبُ الحديثِ منَ النِّفاقَ وآياتهِ، قالَ ﷺ: «**أيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذَا حدَّثَ كذبَ، وإذَا وعدَ أخلفَ، وإذَا اؤتمنَ خانَ**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٨) وصحَّحهُ بلفظِ: «دعْ مَا يريبكَ إلَىٰ مَا لَا يريبكَ، فإنَّ الصَّدقَ طمأنينةٌ والكذبَ ريبةٌ».

(٢) رواه البخاري (٣/ ٧٦، ٧٧، ٨٤، ٨٥).

(٣) رواه مسلم (١٥٧) كِتَابُ الإِمارة.

(٤) رواه البخاري (١/ ١٥)، (٣/ ٢٣٦). وورواه مسلم (١٠٧، ١٠٩) كتاب الإِيمان. ورواه الإمام أحمد (١/ ٣٥٧).

٢- فِي صدقِ المعاملةِ . . فالمسلمُ إِذَا عاملَ أحدًا صدقَهُ فِي معاملتِهِ فلَا يغشُّ ولاَ يخدعُ، ولاَ يزوِّرُ، ولَا يغرِّرُ بحالٍ منَ الأحوالِ.

٣- فِي صدقِ العزمِ . . فالمسلمُ إِذَا عزمَ علَىٰ فعلِ مَا ينبغِي فعلَهُ لَا يتردَّدُ فِي ذلكَ بلْ يمضِي فِي عملهِ غيرَ ملتفتٍ إِلَىٰ شيءٍ، أوْ مبالٍ بآخرَ حتَّىٰ ينجزَ عملَهُ.

٤- فِي صدقِ الوعدِ . . فالمسلمُ إِذَا وعدَ أحَدًا أنجزَ لهُ مَا وعدهُ بهِ؛ إِذْ خلفُ الوعدِ منْ آياتِ النِّفاقِ كمَا سبقَ فِي الحديثِ الشَّريفِ.

٥- فِي صدقِ الحالِ . . فالمسلمُ لَا يظهرُ فِي غيرِ مظهرِهِ، ولَا يظهرُ خلافَ مَا يبطنهُ، فلا يلبسُ ثوبَ زورٍ، لَا يرائِي، ولاَ يتكلَّفُ مَا ليسَ لهُ لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**المتشبِّعُ بمَا لمْ يعطَ كلابسِ ثوبيْ زورٍ**»[1]. ومعنَىٰ هذَا أنَّ المتزيِّنَ والمتجمِّلَ بمَا لَا يملكُ ليرَىٰ أنَّهُ غنيٌّ يكونُ كمنْ يلبسُ ثوبينِ خلقينِ ليتظاهرَ بالزُّهدِ وهوَ ليسَ بزاهدٍ ولَا متقشِّفٍ.

ومنْ أمثلةِ الصِّدقِ الرَّفيعةِ مَا يأتِي:

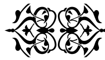
١- روَىٰ التِّرمذيُّ عنْ عبدِ اللهِ بنِ الحمساءِ قالَ: بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ببيع قبلَ أنْ يبعثَ، وبقيتْ لهُ بقيَّةٌ فوعدتهُ أنْ آتيهِ بهَا فِي مكانهِ فنسيتُ ثمَّ ذكرتُ بعدَ ثلاثةِ أيَّام فجئتُ فإِذَا هوَ فِي مكانهِ فقالَ: «**يَا فتَىٰ لقدْ شققتَ عليَّ أنَا هَا هنَا منذُ ثلاثٍ أنتظركَ**».

ومثلُ هذَا الَّذِي حصلَ لنبيِّنَا عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قدْ حصلَ لجدِّهِ الأعلَىٰ إسماعيل بنِ إبراهيمَ الخليل حتَّىٰ أثنَىٰ اللهُ تعالَىٰ عليهِ فِي كتابهِ العزيزِ بقولهِ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مَرْيَمَ: ٥٤].

(١) رواه مسلم (١٢٦، ١٢٧) كتاب اللباس.

٢- خطبَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ يومًا، فأطالَ الخطبةَ فقالَ أحدُ الحاضرينَ: الصَّلاةَ! فإنَّ الوقتَ لَا ينتظركَ، والرَّبُّ لاَ يعذركَ، فأمرَ بحبسهِ. فأتاهُ قومهُ وزعَموا أنَّ الرَّجلَ مجنونٌ. فقالَ الحجَّاجُ: إنْ أقرَّ بالجنونِ خلَّصتهُ منْ سجنهِ، فقالَ الرَّجلُ: لاَ يسوغُ لِي أنْ أجحدَ نعمةَ اللهِ الَّتِي أنعمَ بهَا عليَّ وأثبتُ لنفسِي صفةَ الجنونِ الَّتِي نزَّهنِي اللهُ عنهَا، فلمَّا رأَىٰ الحجَّاجُ صدقهُ خلَّىٰ سبيلهُ.

٣- روَىٰ الإمامُ البخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ تعالَىٰ، أنَّه خرجَ يطلبُ الحديثَ منْ رجلٍ فرآهُ قدْ هربتْ فرسهُ، وهوَ يشيرُ إليهَا برداءٍ كأنَّ فيهِ شعيرًا فجاءتهُ فأخذهَا، فقالَ البخاريُّ: «أكانَ معكَ شعيرٌ؟» فقالَ الرَّجلُ: «لَا. ولكنْ أوهمتهَا»، فقالَ البخاريُّ: «لَا آخذُ الحديثَ ممَّنْ يكذبُ علَىٰ البهائم». فكانَ هذَا مِنَ البخاريِّ مثلًا عاليًا فِي مجالِ الصَّدقِ.



فِي خلقِ السَّخاءِ والكرمِ

السَّخاءُ خلقُ المسلمِ، والكرمُ شيمتُهُ، والمسلمُ لَا يكونُ شحيحًا ولَا بخيلًا، إذِ الشُّحُّ والبخلُ خلقانِ ذميمانِ منشؤهمَا خبثُ النَّفسِ وظلمةُ القلبِ، والمسلمُ بإيمانهِ وعملهِ الصَّالحِ نفسهُ طاهرةٌ وقلبهُ مشرقٌ، فيتنافَىٰ معَ طهارةِ نفسهِ، وإشراقِ قلبهِ وَصْفُ الشُّحِّ والبخلِ فلَا يكونُ المسلمُ شحيحًا ولَا بخيلًا.

والشُّحُّ وإنْ كانَ مرضًا قلبيًّا عامًّا لَا يسلمُ منهُ البشرُ؛ إلَّا أنَّ المسلمَ بإيمانهِ وعملِهِ الصَّالحِ كالزَّكاةِ والصَّلاةِ يقيهِ اللهُ تعالَىٰ شرَّ هذَا الدَّاءِ الوبيل ليعدَّهُ للفلاحِ، ويهيِّئَهُ للفوزِ الأخرويِّ. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ١٩-٢٥]. وقالَ تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقالَ سبحانهُ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ولمَّا كانتِ الأخلاقُ الفاضلةُ مكتسبة بنوعٍ منَ الرِّياضةِ والتَّربيةِ فإنَّ المسلمَ يعملُ علَىٰ تنميةِ الخلقِ الفاضلِ الَّذِي يريدُ أنْ يتخلَّقَ بهِ بإيرادِ خاطرهِ علىٰ مَا وردَ فِي الشَّرعِ الحكيمِ منْ ترغيبٍ فِي ذلكَ الخلقِ، وترهيبٍ منْ ضدِّهِ، فلتنميةِ خلقِ السَّخاءِ فِي نفسهِ يعكفُ قلبهُ متأمِّلًا متدبِّرًا عَلَىٰ مثلِ قولهِ تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] وقولهِ سبحانهُ:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ٥-١١]. وقولهِ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]. وقولهِ سبحانهُ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقولِ الرَّسولِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ جوادٌ يحبُّ الجودَ، ويحبُّ مكارمَ الأخلاقِ ويكرهُ سفسافَهَا»**(١).

وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«لَا حسدَ إِلَّا فِي اثنتينِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فسلَّطهُ علَىٰ هلكتهِ فِي الحقِّ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ فهوَ يقضِي بهَا ويعلِّمهَا»**(٢).

وقولهِ: **«أيُّكمْ مالُ وارثهِ أحبُّ إليْه منْ مالهِ؟ قالُوا: يَا رسولَ اللهِ ما منَّا أحدٌ إِلَّا مالهُ أحبَّ إليهِ، قالَ: فإنَّ مالَهُ مَا قدَّمَ ومالَ وارثهِ مَا أخَّرَ»**(٣).

وقولهِ: **«اتَّقُوا النَّارَ ولوْ بشقِّ تمرةٍ»**(٤). وقولهِ: **«مَا منْ يومٍ يصبحُ العبادُ فيهِ إِلَّا ملكانِ ينزلانِ فيقولُ أحدهمَا: «اللَّهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا ويقولُ الآخرُ: اللَّهمَّ أعطِ ممسكًا تلفًا»**(٥).

وقولهِ: **«اتَّقُوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلكَ منْ كانَ قبلكُم، حملهمْ علَىٰ أنْ سفكُوا دماءَهُم واستحلُّوا محارمهمْ»**(٦).

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١/ ٣٠). وذكر في كنز العمال (٣٧٥٠٧). وذكره السيوطي في جمع الجوامع (٤٧٨٤).
(٢) رواه البخاري (١/ ٢٨)، (٢/ ١٣٤).
(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٦٠). وذكر في الترغيب والترهيب (٢/ ٧).
(٤) رواه البخاري (٢/ ١٤٦)، (٤/ ٢٤).
(٥) رواه البخاري (٢/ ١٤٢).
(٦) رواه مسلم (٤).

وقولهِ: «**بقيَ كلُّهَا إِلَّا كتفهَا**» قالهُ لعائشةَ ﵂ لمَّا سألهَا عمَّا بقيَ مِنَ الشَّاةِ الَّتِي ذبحوهَا، فقالتْ: مَا بقيَ منهَا إِلَّا كتفُهَا، تعنِي أنَّهَا أنفقتْ كلَّهَا ولمْ يبقَ منْ لحمهَا إِلَّا الكتفُ. وقولهِ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ: «**مَنْ تصدَّقَ بعدلِ تمرةٍ مِنْ كسبٍ طيِّبٍ -ولَا يقبلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- فإِنَّ اللهَ يتقبَّلُهَا بيمنهِ، ثمَّ يربِّيهَا لصاحبهَا كمَا يربِّي أحدكمْ فلوَّهُ**[١] **حتَّىٰ تكونَ مثلَ الجبلِ**»[٢].

ومنْ مظاهرِ السَّخاءِ مَا يلِي:

١- أنْ يعطيَ الرَّجلُ العطاءَ فِي غيرِ مَنٍّ ولَا أذًى.

٢- أنْ يفرحَ المعطِي بالسَّائلِ الَّذِي سألَهُ، ويُسَرَّ لعطائهِ.

٣- أنْ ينفقَ المنفقُ فِي غيرِ إسرافٍ ولاَ تقتيرٍ.

٤- أنْ يعطيَ المكثرُ منْ كثيرهِ، والمقلُّ منْ قليلِهِ فِي رضَا نفسٍ وانبساطِ وجهٍ، وطيبِ قولٍ.

ومنْ أمثلةِ السَّخاءِ العاليةِ مَا يلي:

١- رويَ أنَّ عائشةَ ﵂ بعثَ إليهَا معاويةُ ﵁ بمَالٍ قدرُهُ مائةٌ وثمانونَ ألفَ درهمٍ، فدعتْ بطبقٍ فجعلتْ تقسِّمهُ بينَ النَّاسِ، فلمَّا أمستْ قالتْ لجاريتهَا: هلمِّي فطورِي، فجاءتهَا بخبزٍ وزيتٍ وقالتْ لهَا: مَا استطعتِ فيمَا قسمتِ اليومَ أنْ تشترِي لنَا بدرهمٍ لحمًا نفطرُ عليهِ؟ فقالتْ لهَا: «لوْ كنتِ ذكَّرتينِي لفعلتُ».

٢- روَيَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عامرٍ اشترَىٰ منْ خالدِ بنِ عقبةَ بنِ أبِي معيطٍ دارَهُ الَّتِي فِي سوقِ مكَّةَ بسبعينَ ألفَ درهمٍ، فلمَّا كانَ اللَّيلُ سمعَ عبدُ اللهِ

---

(١) الفُلُوّ: الْمُهرُ.

(٢) رواه البخاري (٢/ ١٣٤)، (٩/ ١٥٤). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٣١).

بكاءَ أهلِ خالدٍ، فسألَ عنْ ذلكَ فقيلَ لهُ: يبكونَ لدارِهِمْ، فقالَ لغلامهِ: ائتهمْ وأعلمهمْ أنَّ الدَّارَ والدَّراهمَ جميعًا لهمْ.

٣- رويَ أنَّ الإمامَ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ اللهُ لمَّا مرضَ مرضَهُ الَّذِي توفِّي فيهِ أوصَىٰ بأنْ يغسِّلهُ فلانٌ، فلمَّا توفِّيَ دعوْا منْ أوصَىٰ بتغسيلهِ، فلمَّا حضرَ قالَ: أعطونِي تذكرتهُ فأعطوهُ إيَّاهَا، فإذَا فيهَا علَىٰ الشَّافعيِّ دينٌ قُدرهُ سبعونَ ألفَ درهمٍ، فكتبهَا الرَّجلُ ليقضيهَا لأصحابهَا، وقالَ: هذَا غسلِي إيَّاهُ، وانصرفَ.

٤- رويَ أنَّهُ لمَّا تجهَّزَ الرَّسولُ ﷺ لحربِ الرُّومِ، وكانَ المسلمونَ وقتئذٍ فِي ضيقٍ كبيرٍ، وعسرٍ شديدٍ حتَّىٰ سمِّيَ جيشُ الرَّسولِ فيهَا «جيشَ العسرةِ». خرجَ عثمانُ بنُ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بصدقةٍ قدرُهَا عشرةُ آلافِ دينارٍ، وثلاثمائةِ بعيرٍ بأحلاسهَا وأقتابهَا، وخمسونَ فرسًا، فجهَّزَ بذلكَ نصفَ الجيشِ جميعهُ.



في خلقِ التَّواضعِ، وذمِّ الكبرِ

لا شك أن خلق التواضع من أعظم الأخلاق الكريمة والشمائل الحميدة التي يتحلىٰ بها المؤمن الكريم الشهم فيضفي علىٰ إخوانه المسلمين المحبة والمودة والألفة ويرضي ربه ويقتدي برسوله ﷺ سيد المتواضعين.

المسلمُ يتواضعُ فِي غيرِ مذلَّةٍ ولاَ مهانةٍ، والتَّواضعُ منْ أخلاقهِ المثاليةِ وصفاتهِ العاليةِ، كمَا أنَّ الكبرَ ليسَ لهُ، ولَا ينبغِي لمثلهِ؛ إذِ المسلمُ يتواضعُ ليرتفعَ، ولَا يتكبَّرَ لئلَّا يخفضَ؛ إذْ سُنَّةُ اللهِ جاريةٌ فِي رفعِ المتواضعينَ لهُ، ووضعِ المتكبِّرينَ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا نقصتْ صدقةٌ مِن مالٍ، ومَا زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، ومَا تواضعَ أحدٌ لله إلا رفعَهُ اللهُ**»[1]. وقالَ: «**حقٌّ علَىٰ اللهِ أنْ لَا يرتفعَ شيءٌ منَ الدُّنيَا إلَّا وضعَهُ**»[2]. وقال ﷺ: «**يُحشَرُ المتكبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ فِي صورِ الرِّجَّالِ يغشاهمُ الذُّلُّ منْ كلِّ مكانٍ يساقونَ إلَىٰ سجنٍ فِي جهنَّمَ يقالُ لهُ (بولُس) تعلوهُ نارُ الأنيارِ يسقونَ منْ عصارةِ أهلِ النَّارِ طينةَ الخبالِ**»[3]. والمسلمُ عندمَا يصغِي بأذنهِ وقلبهِ إلَىٰ مثلِ هذهِ الأخبارِ الصَّادقةِ منْ كلامِ اللهِ وكلامِ رسولهِ ﷺ فِي الثَّناءِ علَىٰ المتواضعينَ مرَّةً، وفِي ذمِّ المتكبِّرينَ أخرَىٰ، وطورًا فِي الأمرِ بالتَّواضعِ،

---

(١) رواه مسلم (٦٩) كتاب البر والصلة.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٠٢). ورواه النسائي (٦/ ٢٢٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٢). ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٧٨).

وآخرَ فِي النَّهي عنِ الكبرِ. كيفَ لَا يتواضعُ ولَا يكونُ التَّواضعُ خلقًا لهُ، وكيفَ لَا يتجنَّبُ الكبرَ ولاَ يمقتُ المتكبِّرينَ؟

قالَ اللهُ تعالَىٰ فِي أمرِ رسولهِ ﷺ بالتواضع: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وقالَ لهُ: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء: ٣٧]. وقالَ فِي الثَّناءِ علَىٰ أوليائهِ بوصفِ التَّواضعِ فيهمْ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقالَ فِي جزاءِ المتواضعينَ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [القصص: ٨٣].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ فِي الأمرِ بالتَّواضعِ: «**إنَّ اللهَ أوحَىٰ إليَّ أنْ تواضعُوا حتَّىٰ لاَ يفخرَ أحدٌ علَىٰ أحدٍ ولاَ يبغيَ أحدٌ علَىٰ أحدٍ**»(١).

وقالَ ﷺ فِي التَّرغيبِ فِي التَّواضعِ: «**مَا بعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا رعَىٰ الغنمَ**»، **فقالَ لهُ أصحابهُ: وأنتَ؟** قالَ: «**نعمْ كنتُ أرعاهَا علَىٰ قراريطَ لأهلِ مكَّةَ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**لوْ دعيتُ إلَىٰ كراعٍ شاةٍ أوْ ذراعٍ لأجبتُ، ولوْ أهديَ إلَيَّ ذراعٌ أوْ كراعٌ لقبلتُ**»(٣).

وقالَ ﷺ فِي التَّنفيرِ مِنَ الكبرِ: «**ألَا أخبرُكمْ بأهلِ النَّارِ: كلُّ عتلٍّ(٤) جوَّاظٍ مستكبر**»(٥). وقالَ: «**ثلاثةٌ لاَ يكلِّمهمُ اللهُ يومَ القيامةِ ولَا يزكِّيهمْ ولَا ينظرُ إليهمْ ولهمْ عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذَّابٌ، وعائلٌ مستكبرٌ**»(٦).

---

(١) رواه مسلم (٦٤) كتاب الجنة.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١١٦).

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٠١)، (٧/ ٣٢).

(٤) العتلُّ: هوَ الغليظُ الجافِي. والجوَّاظُ: هوَ الجموعُ المنوعُ، أوْ هوَ الضَّخمُ الجسمِ المختالَ.

(٥) رواه مسلم (٤٦، ٤٧) كتاب الجنة. ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٤٥).

(٦) رواه أبو داود (٤٠٨٧، ٤٠٨٨).

وقالَ: قالَ اللهُ ﷻ: «**العزُّ إزارُهُ، والكبرياءُ رداؤهُ، فمَنْ ينازعنِي عذَّبتهُ**»(١).

وقالَ ﷺ: «**بينَما رجلٌ فِي حلَّةٍ تعجبهُ نفسهُ، مرجِّلٌ رأسهُ يختالُ فِي مشيهِ إذْ خسفَ اللهُ بهِ الأرضَ فهوَ يتجلجلُ فِي الأرضِ إلَىٰ يوم القيامةِ**»(٢).

ولقد عني الشرع بهذا الخلق العظيم وحث علىٰ التخلق به قال تعالىٰ موصيًا نبيه ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٥] وأوصىٰ لقمان ابنه وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لُقْمَانَ: ١٨] وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، ولَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**). رواه مسلم. **وقالت عائشة** رضي الله عنها: (**إنكم تفعلون أفضل العبادة التواضع**).

وكان رسول الله ﷺ من أشد الناس تواضعًا خافضًا لجناحه رحيمًا بأصحابه فقد كان يمشي في حاجة الوليدة السوداء وكان يركب الحمار ويردف غيره. وكان يشارك في خدمة أهله في بيته كما ثبت في صحيح البخاري.

وكان من تواضعه يتفقد أصحابه ويزورهم في دورهم كما ثبت في الصحيحين. ولما فقد خادمة المسجد حزن وقصد قبرها فصلىٰ عليها كما ثبت في الصحيحين. وكان يتعايش مع الفقراء والمساكين ويخالط الأعراب لأجل تعليمهم وإرشادهم ويسلم علىٰ الصبيان ويتلطف معهم. وكان متواضعًا في طعامه وهيئته ومسكنه يأكل علىٰ الأرض ويفترش الحصير ويتوسد وسادة من أدم حشوها ليف كما ثبت في الصحيحين. ولم يكن

(١) رواه مسلم (١٣٦) كتاب البر والصلة.
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٨٣).

له ﷺ بواب يحجب الناس عنه كما ثبت في الصحيحين. وكان من تواضعه ﷺ يكره أن يقوم الناس له كما ثبت في الترمذي. وكان يجيب دعوة كل أحد ولو كانت قليلة ويقبل الهدية اليسيرة تواضعًا وجبرًا للخواطر روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (**لَوْ دُعِيتُ إلىٰ ذِراعٍ أوْ كُراعٍ لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إلَيَّ ذِراعٌ أوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ**). رواه البخاري. وكان من تواضعه يكره الإطراء والغلو في توقيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: (**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**). رواه البخاري. وبالجملة فقد كانت حاله كحال المساكين المتواضعين المتذللين ليست كحال الملوك المتغطرسين.

وقد اقتبس هذا الخلق منه ﷺ أصحابه لا سيما الشيخان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما فقد كانا غاية في التواضع كان **أبو بكر** رضي الله عنه يعمل في السوق ويخرج إلىٰ بيت في ضاحية المدينة لامرأة عمياء فيكنس بيتها ويحلب شاتها ويحضر لهم الماء ويصلح حالهم وهكذا كان **عمر** رضي الله عنه لم يتغير حاله بعد الخلافة استمر علىٰ طريقته في التواضع والزهد والورع. وعوتب **علي** رضي الله عنه في لبوسه فقال: (إن لبوسي هذا أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم).

والتواضع مفهومه تذلل في القلب وافتقار يكسب الجوارح خضوعًا وسكونًا فيحمل صاحبه علىٰ احترام الناس وتقديرهم وحسن التعامل معهم وخفض الجناح لهم علىٰ حد سواء لا يفرق بينهم في التعامل ما داموا مسلمين ولا ينظر إليهم باعتبارات خاصة خلافًا لأهل الكبر الذين يتعاملون مع الناس علىٰ حسب أموالهم ومناصبهم وجاههم **قال الحسن البصري**: (هل تدرون ما التواضع التواضع: أن تخرج من منزلك فلا تلقىٰ مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا).

ومن مظاهر التواضع السام علىٰ جميع الناس ولو لم يعرفهم وعدم التميز في المجلس وقبول الحق من كل أحد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: **(أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)**. متفق عليه. **وقال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: (رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام وأن ترضىٰ بالدون من المجلس). وسئل **الفضيل بن عياض** عن التواضع فقال: (يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله).

وضد التواضع صفة الكبر وهو العلو في الأرض والاستطالة والترفع عن الخلق واعتقاد الأفضلية عليهم وازدراء الناس وانتقاصهم ورد الحق إذا لم يوافق الهوىٰ أو كان صادرًا من صغير أو مخالف. والكبر كبيرة من كبائر الذنوب وسبب موجب لدخول النار والذل والصغار يوم القيامة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**». رواه الترمذي.

وللتواضع أمارات وقرائن تدل علىٰ تحلي المرء به أن يكون بشوشًا متحفيًا بالخلق باذلًا السلام لكل أحد ومتبسطًا بالحديث مع جميع الناس يخالط الناس في نواديهم ومجالسهم ومساجدهم لا يأنف من ذلك يصبر علىٰ أذاهم ويقبل نصيحتهم ويتجاوز عن مخطئهم ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم.

والمتواضع لعباد الله قد تواضع ليقينه بفقره وذله لله وعجزه وحاجته لعطاء الله واعتقاده بأن العزة لله والكبرياء لا يصلح إلا له والجبروت لا يليق إلا به كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**). أما العبد المخلوق فلا يصلح له ولا يناسبه إلا التواضع والانكسار وخفض الجناح فهو متواضع لله حقًّا منكسر بين يديه فقير لغناه قد خفض بصر قلبه وذلت جوارحه لله. ومن تواضع لعباد الله تقربًا وتذللًا لله رفع الله منزلته في الدنيا والآخرة فالرفعة تكتسب عن طريق التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**». رواه مسلم.

وروي في مسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**مَنْ تَوَاضَعَ للهِ دَرَجةً رَفَعَهُ اللهُ دَرَجةً، حَتَّىٰ يَجعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ. وَمَنْ تَكبَّرَ عَلَىٰ اللهِ دَرَجةً، وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً، حَتَّىٰ يَجعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ**».

والتواضع الحقيقي يكون في الأحوال التي تكون دواعي الكبر والفخر متوفرة فيها كالغنىٰ والرياسة والجاه والعلم فإذا تواضع المرء في مثل هذه الحال ولم يغتر بما فيه من العلو كان دليلًا علىٰ إيمانه وشكره لله وقوة عزيمته وحسن خلقه أما من كان عادمًا لذلك ولم يوجد فيه ما يقتضي الكبر والخيلاء كان التواضع في حقه سهل التحصيل بلا عناء ولم يكن في منزلة الأول ولذلك ورد الوعيد الشديد في العائل المستكبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**). رواه مسلم. وشدد الشارع علىٰ الشيخ والملك والعائل لضعف الداعي علىٰ المعصية لفساد قلوبهم.

والتواضع يكون محمودًا إذا أورث المحبة والتواد والسام والإصلاح وجمع الكلمة وائتلاف القلوب والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ. أما إذا كان يترتب علىٰ ذلك سكوت عن أخذ الحق أو ظلم وضيم من الغير أو تعرض للمهانة فليس ذلك من التواضع المحمود شرعًا بل هو ضعف وخور في النفس فلا يليق التواضع أمام الكافر ولهذا كان الكبر والخيلاء محمودًا في ساحة القتال كما روي في سنن أبي داود عن جابر بن عتيك ﵁ مرفوعًا: **«وَإِنَّ مِنْ الْخُيَلَاءِ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللَّهُ فَأَمَّا الْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ وَأَمَّا الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَاخْتِيَالُهُ فِي الْبَغْيِ قَالَ مُوْسَىٰ وَالْفَخْرِ»**.

ونهي المسلم عن إكرام الكافر في الطريق كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: **«لَا تَبْدَؤوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»**. ولا يحسن التواضع أيضًا أمام الفاجر الهاتك لستر الله المجاهر بالمعاصي والفجور لأن ذلك يفضي إلىٰ مداهنته وإقراره واستمراره في سبيل الباطل.

والتواضع في المرء قد يكون مجبولًا عليه في أصل طبعه وخلقته وقد يكون مكتسبًا فينبغي علىٰ من وجد في نفسه ترفع وكبر أن يجاهد نفسه في صرف هذا الخلق المذموم وتحليه بالخلق الحسن ولا يعذر أحد علىٰ التكبر لأنه مأمور شرعًا باجتناب الأخلاق الرديئة وامتثال الأخلاق الطيبة وإنما الحلم بالتحلم.

والواجب علىٰ العالم والغني والأمير أن يتواضع لله ولعباده شكرًا لما أنعم الله عليه. فشكر النعمة في حق الغني تواضعه لعباد الله وبذل ماله في المعروف وقضاء حوائجهم **قال بشر بن الحارث**: (ما رأيت أحسن من غني جالس بين يدي فقير). وشكر النعمة في حق العالم تواضعه لعباد الله وبذل

العلم للجاهل والمتعلم وتزكيته والقيام بحقوق العلم. وشكر النعمة في حق الأمير تواضعه لعباد الله وبذل الجاه والرياسة في العدل وإيصال الحقوق لأهلها.

ويقبح بالعالم من رزق علم الشريعة وفتح عليه أن يتكبر ويترك التواضع ويحمله العلم علىٰ التيه والترفع علىٰ عباد الله وازدراء الناس واعتقاد أنهم جهلة وذمهم في كثير من المجالس ولا شك أن من كانت هذه حاله حرم البركة في علمه وقل توفيقه وأعرض الناس عنه وكان علمه وبالًا عليه يوم القيامة وسببًا لدخوله في الوعيد والذم الوارد في الشرع وقد أكثر السلف الصالح من ذم الكبر وحملوا أنفسهم علىٰ التواضع وازدراء النفس عن نافع أن رجلًا قال **لابن عمر** رضي الله عنه: «يا خير الناس وابن خير الناس» فقال ابن عمر: «**ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبد من عباد الله أرجو الله وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتىٰ تهلكوه**».

ومعصية الكبر أعظم خطرًا من معصية الشهوة قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] **قال سفيان بن عيينة**: (من كانت معصيته في الشهوة فارج له التوبة فإن آدم عصىٰ مشتهيًا فغفر له فإذا كانت معصيته في كبر فاخش علىٰ صاحبه اللعنة فإن إبليس عصىٰ مستكبرًا فلعن). ومن تكبر عن قبول الحق أذله الله **قال ابن القيم**: «وكما أن من تواضع لله رفعه فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره ومن تكبر عن الانقياد للحق ولو جاءه علىٰ يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه فإنما تكبره علىٰ الله فإن الله هو الحق وكلامه حق ودينه حق والحق صفته ومنه وله فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله فإنما رد علىٰ الله وتكبر عليه».

ومن المؤسف أن تجد بعض الأغنياء هداهم الله لا يصلون في المساجد أنفة منهم عن مخالطة العوام والعمال وبعضهم لا يغشىٰ مجالس الناس ولا يأكل طعامهم ولا يدعو المساكين إلىٰ وليمته استكبارًا وعلوًا وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ في تواضعه كما ورد في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَىٰ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**». **ومن المؤسف أن ترىٰ بعض القضاة والعلماء هداهم الله يتكبرون عن سماع الحق وإسداء النصيحة لهم وإن كانت وفق الأدب الشرعي وترىٰ بعضهم لا يجلس إلا في صدر المجلس ويستأثر بالكلام وحده وإن كان في حضرة غيره من أهل العلم ويشتد غضبه إذا روجع في العلم وكثير الزجر والتعنيف بالطلاب. ومن المؤسف أن ترىٰ بعض الأمراء هداهم الله متكبرًا يستفز عباد الله ويزدريهم ويعاملهم معاملة الخدم بالسباب والشتائم والإهانة وربما ضربهم لأدنىٰ سبب وتسلط علىٰ أموالهم وحقوقهم. ومن المؤسف أن ترىٰ بعض أهل الحسب أشراف الناس متكبرين متغطرسين يزدرون ويحتقرون عباد الله ويعتقدون أنهم هم الأفضل علىٰ غيرهم في كل شيء فترىٰ الرجل منهم مفاخرًا بمناقب أجداده وشمائلهم في كل مجلس كحال أهل الجاهلية. وصور الكبر ومشاهده كثيرة في الناس كل علىٰ حسب جاهه ومنزلته والله المستعان.**

ولقد كان السلف الصالح شديدي التواضع والانكسار لله والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة جدًا فهذا **ابن عباس** رضي الله عنهما مع جلالته يأخذ بركاب زيد بن ثابت الأنصاري ويقول: «هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا».

وقال مجاهد: «ربما أمسك لي ابن عباس أو ابن عمر بالركاب».

وقال الحسن البصري: «إن أقوامًا جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه ما لم تفاقروا».

وهذا **الإمام أحمد** لما ذكر نسبه في مجلس كان من الموالي طأطأ رأسه ولم يفخر بنسبه ولما دخل عليه الأشراف أهل بيت رسول الله ﷺ قام إليهم وقبلهم تواضعًا لله مع علو منزلته في العلم وشهرته وإمامته في الناس **قال يحيىٰ بن معين**: «ما رأيت مثل **أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير».

والتواضع صفة من صفات الكمال التي تجمل المرء وتزينه وتحببه للخلق وتجعل له قبولًا في الأرض وإنها تدل علىٰ قوة العزيمة ونفاذ البصيرة والثقة بالنفس وترك التواضع يدل علىٰ ضعف الشخصية ونقص في النفس لأن المتكبر يستر ويغطي بكبره بعض عيوبه.

وثمة وسائل تحمل من وجد في قلبه الكبر علىٰ التواضع:

أولًا: أن يتفكر العبد في أصل جوهره وحقيقته التي خلق عليها وأنه من تراب طبيعته السكون والتذلل فلا يليق به التكبر قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨].

ثانيًا: أن يتأمل في عجزه وفقره لله وحاجته لعطاء الله وهذا يدل علىٰ أن حاله لا تصلح للكبر والتكبر قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ثالثًا: أن يتأمل في نقص طبيعته واعترائها مظاهر الذم فهو يحمل الفضلات في جوفه ويعتريه الخوف والمرض وغيره من مظاهر النقص البين ومن كانت هذه حاله كان التواضع هو اللائق به **قال الأحنف بن قيس**: (عجبت لمن يجري في مجرىٰ البول مرتين كيف يتكبر).

رابعًا: أن يتفكر في صفة الله وغناه المطلق وصفة قدرته وعلمه الواسع وأن الكبر والخيلاء من أعظم صفاته فلا يليق للبشر أن ينازعوا الله

في شيء من صفاته قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ** عز وجل: **الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**». **رواه أبو داود.**

خامسًا: أن يتدبر في حاله في الدنيا وأنه مفارقها عما قريب وراحل عنها وحيدًا إلىٰ قبر مظلم لا أثاث فيه ولا متعة بل يساكنه الدود وهوام الأرض ثم يقوم يوم القيامة عاريًا متجردًا من كل شيء فلم الفخر والخيلاء قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥] وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ مُلاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا**». متفق عليه.

سادسًا: أن يتدارس سيرة الرسول ﷺ سيد المتواضعين وصحابته الكرام والأئمة المرضيين الذي عرفوا بالتواضع والخمول **قال المروذي** في تواضع **الإمام أحمد بن حنبل**: «لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله كان مائلًا إليهم مقصرًا عن أهل الدنيا. وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول. وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتىٰ يسأل وإذا خرج إلىٰ مسجده لم يتصدر».

سابعًا: أن يصاحب الفقراء والصالحين الذين تواضعوا لله ولم تغيرهم المظاهر والمفاخر فإن صحبتهم تسكن النفس وتذللها في طاعة الله وتجعل المرء هينًا لينًا مع إخوانه المسلمين ولا يداوم علىٰ صحبة الأغنياء وأهل الرئاسات فإن ملازمة صحبتهم تكسب النفس علوًا وفخرًا وتحمل المرء علىٰ الترفع علىٰ عباد الله وازدرائهم **قال عون بن عبد الله**: (صحبت الأغنياء فلم

يكن أحد أطول غمًا مني فإن رأيت رجلًا أحسن ثيابًا مني وأطيب ريًحا مني غمني ذلك فصحبت الفقراء فاسترحت).

ثامنًا: أن يباشر بنفسه الأعمال الصغيرة التي تكسر نفسه وتذللها وتذهب عنها العلو كالخروج إلىٰ الأسواق الشعبية ومخالطة المساكين وحمل المتاع وتنظيف البيت ومعاونة الأهل ومساعدة الضعفاء في أمورهم الخاصة فقد كان رسول الله ﷺ يتولىٰ بنفسه الشريفة أعمال المنزل ويعين زوجاته سأل رجل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا هل كان النبي ﷺ يعمل في بيته شيئًا قالت: (**نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ مَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فَي بَيْتِهِ**). رواه أحمد. وقيل إن **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حمل قربة علىٰ عاتقه فقيل له في ذلك فقال: (إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها).

تاسعًا: الابتعاد أحيانًا عن مظاهر الترف التي تؤثر في النفس والخروج أحيانًا بالمظاهر البسيطة والمتواضعة فإن ذلك له أثر عظيم في تهذيب النفس.

عاشرًا: أن يقبل الحق من كل شخص ولا ينظر إلىٰ منزلة قائله ومكانته وعرقه ولونه ويتجرد من جميع الأمور الشخصية ويقبل الحق لأنه حق بكل أريحية طاعة لله والحق أحق أن يتبع عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**). رواه مسلم.

حادي عشر: أن لا يفتخر المؤمن بأصله ونسبه علىٰ الناس ولا يرىٰ لنفسه فضلًا علىٰ أحد ويتعامل مع جميع الناس بكل احترام ولا يترفع عليهم وإن كانوا أقل منه في الجاه والمال عن عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ تعالىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، ولَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**). رواه مسلم.

ثاني عشر: أن يبتعد المؤمن عن الشهرة ويغمط نفسه ويعودها علىٰ الخمول والابتعاد عن التصدر ما لم يكن في ظهوره أحيانًا مصلحة راجحة مع تحري الإخلاص وقبول النصيحة والبعد عن العجب **قال أويس القرني**: (أكون في غبراء الناس أحب إلي). **وقال الحسن**: (كنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا علىٰ سقاية والناس يشربون منها فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي ما العيش إلا هكذا يعني حيث لم نعرف ولم نوقر).

والتجمل بحسن الثياب والمسكن لا حرج فيه ولا ينافي التواضع في شيء ولا يذم المرء علىٰ فعل ذلك لما روىٰ مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ قالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَةً، قالَ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**). فلا يدخل اللباس والمتاع والمسكن في باب التواضع والكبر من حيث الأصل إلا إذا اقترن بفعل شيء من ذلك قرينة تدل علىٰ الكبر وترك التواضع فإنه ينهىٰ عن ذلك لأجل تلك القرينة لا أصل الفعل وإن كان في الغالب أن عدم الترف يدعو إلىٰ التواضع والبعد عن مظاهر الرف توجب التواضع للعبد ولذلك فقد نهي في السنة الصحيحة عن تصرفات معينة لأجل ما اشتملت عليه من الكبر فقد ورد النهي عن جر الإزار تحت الكعبين والنهي عن الإسراف في الطعام والشراب ونهي المرء عن حبه ورغبته في قيام الناس له إذا دخل ليسلموا عليه ونهي أيضًا عن التبختر في المشي والتمايل ونهي أيضًا عن اتخاذ الخيل والمراكب بطرًا ورياء وغير ذلك مما يدل علىٰ الكبر والفخر والخيلاء.

والحاصل أنه يباح للإنسان جميع التصرفات العادية إلا إذا اشتمل هذا التصرف وتضمن شيئًا من الكبر فإنه محرم لأجل هذه العلة أما إذا كان المرء متواضعًا كريم الطبع يحب التجمل والتزين في مظهره فلا يذم في ذلك ولا ينكر عليه كما كان بعض الصحابة **كابن عباس** ﵄ يحب التجمل ولبس رفيع الثياب.

ومنْ مظاهرِ التَّواضعِ مَا يلِي:

١- إنْ تقدَّمَ الرَّجلُ علَىٰ أمثالهِ فهوَ متكبِّرٌ، وإنْ تأخَّرَ عنهمْ فهوَ متواضعٌ.

٢- إنْ قامَ منْ مجلسهِ لذِي علمٍ وفضلٍ، وأجلسَهُ فيهِ، وإنْ قامَ سوَّىٰ لهُ نعلَهُ، وخرجَ خلفَهُ إلَىٰ بابِ المنزلِ ليشيِّعهُ فهوَ متواضعٌ.

٣- إنْ قامَ للرَّجلِ العادِي وقابلَهُ ببشرٍ وطلاقةٍ، وتلطَّفَ معهُ فِي السُّؤالِ وأجابَ دعوتَهُ وسعَىٰ فِي حاجتهِ ولَا يرَىٰ نفسَهُ خيرًا منهُ فهوَ متواضعٌ.

٤- إنْ زارَ غيرَهُ ممَّنْ هوَ دونهُ فِي الفضلِ، أوْ مثلهُ وحملَ معه متاعَهُ، أوْ مشَىٰ معهُ فِي حاجتهِ فهوَ متواضعٌ.

٥- إنْ جلسَ إلَىٰ الفقراءِ والمساكينِ والمرضَىٰ، وأصحابِ العاهاتِ، وأجابَ دعوتهمْ وأكلَ معهمْ وماشاهمْ في طريقهمْ فهوَ متواضعٌ.

٦- إنْ أكلَ أوْ شربَ فِي غيرِ إسرافٍ، ولبسَ فِي غيرِ مخيلةٍ فهوَ متواضعٌ.

وهذه أمثلةٌ عاليةٌ للتَّواضع:

١- رويَ أنَّ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أتاهُ ليلةً ضيفٌ وكانَ يكتبُ فكادَ السِّراجُ يطفأُ فقالَ الضَّيفُ: أقومُ إِلَىٰ المصباحِ فأصلحهُ؟ فقالَ: ليسَ منْ كرمِ الرَّجلِ أنْ يستخدمَ ضيفَهُ. فقالَ الضَّيفُ: إذًا أنبِّهُ الغلامَ؟ فقالَ عمرُ: إنَّهَا أوَّلُ نومةٍ نامهَا فلَا تنبِّههُ. وذهبَ إِلَىٰ البطَّةِ وملأَ المصباحَ زيتًا، ولمَّا قالَ لهُ الضَّيفُ: قمتَ أنتَ بنفسكَ يَا أميرَ المؤمنين؟ أجابهُ قائلًا: ذهبتُ وأنَا عمرُ، ورجعتُ وأنَا عمرُ، مَا نقصَ منِّي شيءٌ، وخيرُ النَّاسِ منْ كانَ عندَ اللهِ متواضعًا.

٢- رويَ أنَّ أبَا هريرةَ رضي الله عنه أقبلَ مِنَ السُّوقِ يحملُ حزمةَ حطبٍ وهوَ يومئذٍ خليفة بالمدينةِ لمروانَ، ويقولُ: أوسعُوا للأميرِ ليمرَّ وهوَ يحملُ حزمةَ الحطبِ.

٣- رُئيَ عمرُ بنُ الخطَّابِ مرَّةً حاملًا لحمًا بيدهِ اليسرَىٰ، وفِي يدهِ اليمنَىٰ الدِّرَّةُ وهوَ أميرُ المسلمينَ وخليفتهمْ يومئذٍ.

٤- رويَ أنَّ عليًّا رضي الله عنه اشترَىٰ لحمًا فجعلهُ فِي مِلْحَفَتِهِ فقيلَ لهُ: يُحملُ عنكَ يَا أميرَ المؤمنينَ؟ فقالَ: لَا، أبُو العيالِ أحقُّ أنْ يحملَ.

٥- قالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «**إنْ كانتِ الأَمةُ منْ إماءِ المدينةِ لتأخذُ بيدِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم فتنطلقُ بهِ حيثُ شاءتْ**»[1].

٦- قالَ أبُو سلمةَ، قلتُ لأبِي سعيدٍ الخدريِّ: مَا ترَىٰ فيمَا أحدثَ النَّاسُ منَ الملبسِ والمشربِ والمركبِ والمطعمِ؟ فقالَ: يَا ابنَ أخِي كُلْ للهِ واشربْ للهِ، والبسْ للهِ، وكلُّ شيءٍ دخلهُ مِنْ ذلكَ زهوٌ أوْ مباهاةٌ أوْ رياءٌ

(١) صحيح البخاري (٦١) كتاب الأدب.

أوْ سمعةٌ فهوَ معصيةٌ وسرفٌ، وعالجْ فِي بيتكَ منَ الخدمةِ مَا كانَ يعالجُ رسولُ اللهِ ﷺ فِي بيتهِ: كانَ يعلفُ النَّاضحَ، ويعقلُ البعيرَ، ويقمُّ البيتَ، ويحلبُ الشَّاةَ، ويخصفُ النَّعلَ، ويرقعُ الثَّوبَ، ويأكلُ معَ خادمهِ، ويطحنُ عنهُ إذَا أعيَا ويشتري الشَّيءَ منَ السُّوقِ، ولاَ يمنعَهُ الحياءُ أنْ يعلِّقهُ بيدهِ، أوْ يجعلهُ فِي طرفِ ثوبهِ، وينقلبُ إلَىٰ أهلهِ، يصافحُ الغنيَّ والفقيرَ، والكبيرَ والصَّغيرَ، ويسلِّمُ مبتدئًا علَىٰ كلِّ منِ استقبلهُ منْ صغيرٍ وكبيرٍ، أوْ أسودَ أوْ أحمرَ، حرًّا أوْ عبدًا منْ أهلِ الصَّلاةِ: أي المؤمنينَ.



خلق الرفق

أتىٰ النبي ﷺ إلىٰ البشرية بتطهير النفس من الأخلاق الرديئة وحثها علىٰ الأخلاق الحسنة. ومن أعظم الأخلاق الفاضلة التي أوصىٰ بها النبي ﷺ خلق الرفق ذلك الخلق الرفيع الذي يضع الأمور في نصابها ويصحح الأخطاء ويقوم السلوك ويهدي إلىٰ الفضائل بألطف عبارة وأحسن إشارة وطريقة مؤثرة. وقد أرشده الله لذلك الخلق الكريم فقال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولقد أكثر النبي ﷺ في الرفق فقال: (**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**). متفق عليه. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَأنَهُ**). وهذا يدل علىٰ أهمية هذا الخلق وحاجة الخلق إليه في سائر شؤونهم. **وقال عروة بن الزبير**: (كان يقال: الرفق رأس الحكمة).

والرفق يعني لين الجانب بالقول والفعل واللطف في اختيار الأسلوب وانتقاء الكلمات والسهولة في طريقة التعامل مع الآخرين وترك التعنيف والشدة والغلظة في ذلك والأخذ بالأيسر. والرفق عام يدخل في كل شيء في تعامل المرء مع نفسه ومع أهله ومع أقاربه ومع أصحابه ومع من يشاركه في مصلحة أو جوار وحتىٰ مع أعدائه وخصومه فهو شامل لكل الأحوال والشؤون المناسبة له.

واستعمال الرفق في الأمور يؤدي إلىٰ أحسن النتائج وأطيب العواقب ويبارك الله في هذا السلوك وينفع به أما استعمال العنف والشدة والغلظة فتفسد الأمور وتصعبها علىٰ أصحابها وتجعل النتائج عكسية ويحرم الخير من ترك الرفق وترفع البركة في عمله ويصعب عليه الأمر عن جرير بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ)**. رواه مسلم. وقال ﷺ: **(يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ العُنْفِ، ومَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ)**. متفق عليه.

والرفق له أثر حسن في التأليف بين القلوب والإصلاح بين المتخاصمين وهداية الكفار واستياقهم إلىٰ حظيرة الإسلام والبركة في الرزق والأجل عن عائشة ﵂ قالت: قال النبي ﷺ: **(إِنَّهُ مَنْ أُعْطِى حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِى حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ)**. رواه أحمد.

ومن رفق بالخلق رفق الله به وعامله بالإحسان **قال ابن القيم**: (من رفق بعباد الله رفق الله به. ومن رحمهم رحمه ومن أحسن إليهم أحسن إليه. ومن جاد عليهم جاد الله عليه ومن نفعهم نفعه ومن سترهم ستره. ومن منعهم خيره منعه خيره. ومن عامل خلقه بصفة عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة. فالله تعالىٰ لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه).

وليست الرجولة والمروءة في ترك الرفق واستعمال العنف والشدة في سائر الأحوال ويخطئ من يظن أن استعمال الرفق ينقص من قدر المرء أو يكون علامة علىٰ ضعفه وخوره في طلب الحقوق فإن هذا الفهم خاطئ من موروثات الجاهلية لأن سلوك الرفق لا يقتضي ترك المطالبة بالحق أو السكوت عن الباطل أو المداهنة فيه أو التنازل عن الحقوق وإنما هو استعمال اللطف في الأسلوب والطريقة فقط دون المضمون فالرفيق يطالب

بحقه ويبين الشرع ويأمر بالمعروف ويربي من تحت يده ويعامل الناس ولكن كل ذلك يفعله بسلوك اللطف واللين. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: (لا تعنفا في قولكما).

ولقد كان رسول الله ﷺ يعيش الرفق ويتمثل به في سائر أحواله وشؤون حياته قالت عائشة رضي الله عنها: (**مَا خُيِّرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فَإِنْ كَانَ إثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ**). متفق عليه.



وقد ثبت الرفق عنه ﷺ في مجالات كثيرة منها:

١- الرفق مع الأهل: قالت عائشة رضي الله عنها: (**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شيئًا قَطُّ بيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، وَما نِيلَ منه شيءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِن صَاحِبِهِ، إلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شيءٌ من مَحَارِمِ الله، فَيَنْتَقِمَ لله** عز وجل). رواه مسلم. وكانت زوجه عائشة إذا هويت شيئًا أتبعها إياه ما لم يكن إثمًا وقد أذن لها ﷺ بالنظر إلىٰ أهل الحبشة وهم يلعبون وأذن لها بالفرح واللعب يوم العيد.

٢- الرفق مع الخادم: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (**خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟**). رواه مسلم.

٣- الرفق مع الأطفال: قالت عائشة رضي الله عنها: (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَىٰ بِالصِّبْيَانِ فيُبَرِّكُ عَلَيهِم ويُحَنِّكُهُمْ، فَأُتِيَ بِصَبِيٍّ فَبالَ عَلَيهِ، فَدَعا بِماءٍ، فَأَتْبَعَهُ بَوْلَهُ ولَمْ يَغْسِلْهُ**). متفق عليه. وفي البخاري: (**عَنْ أَنَسِ بْنِ**

مَالِكٍ ﵁ **أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ** ﷺ **يَفْعَلُهُ**). وكان دائمًا يقبل الحسن والحسين ويلاعبهما وحمل أمامة بنت زينب في الصلاة رفقًا بها كما ورد في الصحيحين.

٤- الرفق مع السائل: قال أنس بن مالك ﵁: (**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النبيِّ** ﷺ **وعَلَيهِ بُرْدٌ نِجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حتَّىٰ نَظَرْتُ إلىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النبيِّ** ﷺ **قدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِن شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِن مَالِ اللَّهِ الَّذي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بعَطَاءٍ**). متفق عليه.

٥- الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي ﵁ يقول: (**بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ **إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**). رواه مسلم.

٦- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عن أبي هريرة ﵁ قال: (**بَالَ أَعْرَابيٌّ فِي المسجِد، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْه لِيَقَعُوا فِيهِ، فقال النبي** ﷺ: **دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلىٰ بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، فَإِنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**). رواه البخاري. **وقال سفيان الثوري**: (لا يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهىٰ عدل بما يأمر عدل بما ينهىٰ عالم بما يأمر عالم بما ينهىٰ).

٧- الرفق في الدعوة إلىٰ الله: فقد كان النبي ﷺ يوصي أصحابه إذا بعثهم للدعوة بالتيسير وترك التعسير والتبشير وترك التنفير قال أبو بردة رضي الله عنه: **(بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أبا مُوسىٰ ومُعاذَ بنَ جَبَلٍ إلىٰ اليَمَنِ، قَالَ: وبَعَثَ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ مِخْلافٍ، قَالَ: واليَمَنُ مِخْلافانِ، ثُمَّ قَالَ: يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا)**. متفق عليه.

٨- الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: **(جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ! قَالَ: وما شَأْنُكَ؟ قَالَ: وقَعْتُ علَىٰ امْرَأَتي في رَمَضَانَ، قَالَ: تَسْتَطِيعُ تُعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تُطْعِمَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيه تَمْرٌ والعَرَقُ: المِكْتَلُ الضَّخْمُ قَالَ: خُذْ هذا فَتَصَدَّقْ به. قَالَ: أعَلَىٰ أفْقَرَ مِنَّا؟ فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: أطْعِمْهُ عِيَالَكَ)**. متفق عليه.
وكذلك ﷺ رفق بالرجل الذي قبل امرأة وجاءه نادمًا فبين له أن الصلاة كفارة لذنبه ولم يعنف عليه وهذا ثابت في الصحيحين.

٩- الرفق في الصبر علىٰ الأذىٰ: قالت عائشة رضي الله عنها: **(يَا رَسولَ اللهِ، هلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ فَقالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَىٰ ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلىٰ ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ علَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ ﷻ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما**

شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا). متفق عليه.

١٠- الرفق في التعامل مع الكفار: قالت عائشة ﵂: **(أنَّ اليَهُودَ أتَوُا النبيَّ ﷺ، فَقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: وعلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ علَيْكُمْ، ولَعَنَكُمُ اللَّهُ وغَضِبَ علَيْكُم، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْلًا يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ، وإيَّاكِ والعُنْفَ، أوِ الفُحْشَ قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلتُ، رَدَدْتُ عَلَيهِمْ، فيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، ولَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ).** رواه البخاري. وكان ﷺ يخاطب الكفار المعاهدين ويناظرهم ويقبل هديتهم ويعود مريضهم ويحسن جوارهم ويتألفهم إذا اقتضت المصلحة ذلك.

١١- الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله ﵁: **(كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتي قَوْمَهُ فيُصَلِّي بهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأَ بهِمُ البَقَرَةَ، قالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّىٰ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذلكَ مُعَاذًا، فَقالَ: إنَّه مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذلكَ الرَّجُلَ، فأتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَقالَ: يَا رَسولَ اللَّهِ، إنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بأَيْدِينَا، ونَسْقِي بنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّىٰ بنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟! ثَلَاثًا اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ، وَنَحْوَهَا).** متفق عليه.
وعن أنس ﵁ أن النبي ﷺ قال: **(إنِّي لأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إطالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ).** رواه مسلم. ومن رفق النبي ﷺ بأمته أنه نهاهم عن الوصال خشية المشقة بهم ورفقه بهم في ترك الأمر بالسواك عند الصلاة وترك تأخير العشاء إلىٰ وقتها الفاضل خشية المشقة عليهم وغير ذلك مما يطول ذكره كالإبراد بالصلاة وقت الحر والجمع بين الصلوات حال العذر.

١٢- الرفق مع النفس في التطوع: عن عائشة ﵂ قالت: (**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حتَّىٰ نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، ويُفْطِرُ حتَّىٰ نَقُولَ: لا يَصُومُ**). متفق عليه. وكان يداوم علىٰ العمل ولو كان قليلًا عن عائشة ﵂ قالت: قال ﷺ: (**خُذُوا مِنَ الأعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ**). متفق عليه. ونهىٰ عبد الله بن عمرو ﵄ عن المبالغة في العبادة خشية تضييع الحقوق والواجبات.



ومع كون الرفق غالبًا علىٰ تصرفات النبي ﷺ في كثير من أحواله إلا أنه استعمل الشدة في أحوال خاصة كانت الشدة هي اللائقة بها والمناسبة لها وتتحقق فيها المصلحة أكثر من الرفق وسلوكها مقتضىٰ العدل وكمال العقل الذي دل عليه الشرع:

١- الشدة في إقامة الحدود: عن أبي هريرة وزيد الجهني أن النبي ﷺ قال: (**وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لأَقْضِيَنَّ بيْنَكُما بكِتَابِ اللهِ، الوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وعلَىٰ ابْنِكَ جَلْدُ مِئَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَاغْدُ يا أُنَيْسُ إلىٰ امْرَأَةِ هذا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا. قالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فأَمَرَ بهَا رَسولُ اللهِ ﷺ فَرُجِمَتْ**). متفق عليه. وكان ﷺ لا تأخذه رأفة ورحمة في إقامة الحدود وتنفيذها امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

٢- الشدة في مقام التعزير: كما في قصة هجر النبي ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه ﵁ حين تخلف الثلاثة عن غزوة تبوك فهجرهم النبي ﷺ والصحابة خمسين يومًا حتىٰ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت

عليهم أنفسهم ولم يكن أحد يجالسهم أو يكلمهم أو يحيهم حتىٰ أنزل الله في كتابه توبته عليهم والقصة ثابتة في الصحيحين قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

٣- الشدة في تأديب الزوجة: فقد هجر نسائه شهرًا وامتنع عن وطئهن واعتزل بيوتهن في مشربة له لما ألححن عليه في النفقة كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: (**أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَطَلَّقْتَ نِسَائَكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ آلَيْتُ شَهْرًا شَهْرًا فَمَكَثَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ عَلَىٰ نِسَائِهِ**).

٤- الشدة في قتال الكفار وجهادهم: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

٥- الشدة في زجر المعاند التارك للسنة: عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (**أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ**). رواه مسلم.

٦- الشدة في النهي عن البدع والمحدثات: مسلك شرعي ورد في السنة كما روي في مسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (**أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فغضب وقال: أَمُتَهوكون فيها يا ابن الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُونَهُ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، لَمَا وَسِعَهُ**

إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي). وكان ﷺ يشتد في الإنكار علىٰ المخالف للسنة عن سلمة بن الأكوع قال: (**أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: كُلْ بِيمِينكَ قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ قالَ: لا استطعَت مَا منعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ فَمَا رَفعَها إِلَىٰ فِيهِ**). رواه مسلم. وقد أدب **الخليفة عمر** ﷺ صبيغ بن عسل وعزره ونفاه إلىٰ البصرة لإثارته الشبهات. **وكان ابن عباس** ﷺ شديدًا علىٰ القدرية وقد غلظ أئمة السلف الصالح علىٰ أهل البدع وهجروهم وحذروا من بدعتهم **قال أحمد بن حنبل**: (إذا رأيت الرجل يغمز **حماد بن سلمة** فاتهمه علىٰ الإسلام فإنه كان شديدًا علىٰ المبتدعة). **وكان الشافعي** شديدًا علىٰ أهل الإلحاد وأهل البدع مجاهرًا ببغضهم وهجرهم.

ومع ذلك فلم يكن في شدته ﷺ ظلم لأحد أو مجاوزة لحدود الله في حقوق الخلق وحرمتهم. فالفقه في هذا الباب أن المشروع للمسلم استعمال الرفق في سائر الأمور إلا إذا دعت الحاجة واقتضت المصلحة في استعمال الشدة فيكون ترك الرفق في هذا المقام مشروعًا.

وبهذا يتبين أن سلوك الرفق في كل شيء حتىٰ إذا انتهكت محارم الله وضيعت الحقوق وأميتت السنة مسلك خاطئ مخالف للشرع وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة ﵂ قالت: (**مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا لله**). متفق عليه. وكذلك سلوك الشدة في سائر الأحوال والأمور مسلك خاطئ يفضي إلىٰ تنفير الناس وصرفهم عن الحق ووقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين. فالفقه في هذا الباب أن المشروع للمسلم استعمال الرفق في سائر الأمور إلا إذا دعت الحاجة واقتضت المصلحة في استعمال الشدة والمخاشنة فيكون ترك الرفق في هذا المقام مشروعًا لتحقيق المصلحة وقد كان النبي ﷺ يستعمل الرفق في مواطن ويستعمل الشدة في مواطن إلا أن الرفق كان غالبًا علىٰ خلقه

وتعامله مع الآخرين وهذا المسلك الحق من توفيق الله للعبد وتيسيره. فهنيئًا لمن اقتدىٰ بالرسول الكريم ﷺ وكان رفيقًا لطيفًا متسامحًا تاركًا للعنف والشدة هينًا قريبًا يألف ويؤلف.



كف الأذى عن الناس

من أبواب العبادات التي لا يفطن لها كثير من المسلمين عبادة كف الأذىٰ عن الآخرين فكثير من الناس يتصور أن الخير محصور في أداء الشعائر وبذل المعروف فحسب ولا يتورع عن أذية المسلمين.

وكف الأذىٰ عن كل مسلم عبادة جليلة دل الكتاب والسنة علىٰ فضلها وعظم منزلتها قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا: (**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلا يَتَنَاجىٰ اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلكَ يُحزِنُهُ**). متفق عليه. فالمسلم حقًا من سلم الناس من شره أما من لم يسلم الناس من أذاه فليس بمسلم كامل ولو كان يصوم النهار ويقوم الليل الدهر كله.

والشارع قد نهىٰ عن أذية المسلمين لعظم حرمة المسلم ولأن ذلك يفضي إلىٰ وقوع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع ويؤدي إلىٰ انتشار الفوضىٰ وزعزعة الأمن الاجتماعي وقطيعة الرحم وانصرام حبال المودة بين الأصحاب.

والمسلم كما يؤجر علىٰ فعل الطاعات وبذل المعروف كذلك يؤجر علىٰ كف الأذىٰ وصرف الشر عن المسلمين لأن ذلك من المعروف وداخل في معنىٰ الصدقة قال أبو ذر رضي الله عنه: (**قُلْتُ: يَا رَسولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ**

عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّها صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ). متفق عليه.

والله ﷻ كما تعبدنا بفعل الطاعات تعبدنا أيضًا بحفظ حرمة المسلمين وعدم التعدي عليها بنوع من الأذىٰ. وبعض الناس هداهم الله لا يستشعر في حسه عظم هذا الأمر فتراه مع حرصه علىٰ الصلاة والصيام وسائر العبادات يتعدىٰ علىٰ أخيه المسلم ويؤذي المسلمين ويتهاون في هذا الأمر تهاونًا شديدًا.

والباعث علىٰ الاستخفاف بحرمة المسلم والتساهل في إيذاء المسلمين ناشئ عن الجهل وقلة الوعي وبلادة الطبع وقد تكون البيئة عاملًا مؤثرًا في تكوين هذه الشخصية العدائية ولا شك أن تربية الأسرة عامل مؤثر أيضًا علىٰ سلوك الفرد هذا السلوك والتخلق به.

وقد ورد في إيذاء المسلمين وعيد شديد وعقوبة أخروية قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلانَةَ يُذكَرُ مِنْ كَثرةِ صَلاتِهَا وَصَدقَتِهَا وَصِيَامِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيْرَانَها بِلِسَانِهَا؟ قَالَ: هيَ فِي النَّارِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلانَةَ يُذكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاتِهَا، وَإِنَّهَا تَتَصدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنْ الأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيْرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ قَالَ: هيَ فِي الجنَّةِ)**. رواه أحمد.

وإيذاء الغير يشمل كل أذىٰ حسي ومعنوي فيدخل في ذلك الاعتداء علىٰ مال المسلم وأهله وولده ودمه والاستيلاء علىٰ أملاكه بغير وجه حق ويشمل أيضًا الاستهزاء واللمز والسخرية بعرضه. ومن الإيذاء الشائع الطعن في أنساب الناس والنقيصة لهم في المجالس علىٰ سبيل التشهي واللهو.

ومن الإيذاء الذي يستهين فيه البعض التدخل في خصوصيات الأقارب والجيران وتتبع عوراتهم وإبداء الرأي في أحوالهم وإلقاء اللوم عليهم ونقد تصرفاتهم دون استشارة منهم أو إذنهم وعلمهم بذلك في الوقت الذي لا يسمح المتكلم لأحد التدخل في شؤونه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمنبرِ فنَادَىٰ بِصَوتٍ رَفيعٍ، فَقَالَ: ياَ مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلىٰ قَلْبِهِ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعِيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتهِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)**. رواه الترمذي.

ومن صور الأذىٰ أن يتفكه بعض الناس في المجالس بغيبة المسلمين والسخرية بهم ويجعل ذلك مادة للضحك والفرفشة وجذب الأنظار إليه واعتبار هذا السلوك من الظرافة وخفة الروح وهو مع تحريمه يدل علىٰ سفه العقل ونقص المروءة.

ومن الأذىٰ الشائع أن يقف المرء في طريق أو مكان عام يراقب المارة وينظر إلىٰ عوراتهم ويتكلم عليهم ويضايقهم ويلمزهم ويؤذيهم بكل قبيح وقد نهي المسلم عن ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِيَّاكُم وَالْجُلُوسَ في الطُّرُقاتِ، فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا لَنَا مِنْ مَجالِسنَا بُدٌّ، نَتحدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيْقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بالْمَعْروفِ، وَالنَّهْيُ عنِ الْمُنْكَرِ)**. متفق عليه.

ومن الإيذاء الذي يجهله بعض الناس التدخل في عمل الغير ومتابعته وتقويمه وهو لا يمت بصلة بهذا العمل من أي جهة وليس مسؤولًا ولا مخولًا بذلك فترىٰ هذا الشخص إذا رأىٰ موظفًا في أي مجال تكلم عليه

وأثار المسؤول عليه وتدخل في شؤونه وأفسد عليه بينما كان الواجب عليه أن ينصحه إذا رأىٰ تقصيرًا واضحًا منه بعد سؤاله والتثبت في ذلك.

ومن الأذىٰ الخطير الذي ينبغي علىٰ المسلم الحذر الشديد منه حسد الناس في أموالهم والتطلع لما في أيديهم وسؤال أهل الدنيا عن أحوالهم فإن ذلك يؤذيهم وينغص عليهم عيشهم.

ومن أعظم الأذىٰ الذي يبتلىٰ فيه بعض الجهال تنقص العلماء والحط من قدرهم ولمزهم واتهامهم في نياتهم وإخلاصهم والتطاول عليهم وجحد معروفهم وجهودهم في تعليم وإرشاد المسلمين.

ومن أعظم الأذىٰ أن يكون لسان المسلم سفاحًا يلعن المسلمين ويكفرهم ويبدعهم ويفسقهم لأدنىٰ شبهة وأقرب مخالفة لمذهبه عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ**). متفق عليه. وحذر النبي ﷺ من التكفير بغير حق عن أبي ذر الغفاري ﵁ مرفوعًا: (**مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**). متفق عليه.

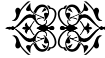
ومن الأذىٰ العظيم الذي يستخف فيه بعض النساء السفيهات التدخل في المشاكل الزوجية وإفساد المرأة علىٰ زوجها وتحريضها علىٰ نزع يد الطاعة والخروج من بيت زوجها والنشوز عليه وقد نهىٰ النبي ﷺ عن ذلك ففي سنن أبي داود عن أبي هريرة ﵁ مرفوعًا: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَىٰ زَوْجِهَا أَوْ عَبْدًا عَلَىٰ سَيِّدِهِ**). وكثير من النساء يسعين في الفتنة دائمًا للتفريق حسدًا أو غيرة أو فضولًا أو رقة في الدين أو تأثرًا بالإعلام الفاسد.

ومن الأذىٰ الخفي الذي لا يفطن إليه بعض المسلمين أن يبالغ في العقوبة ويفجر في الخصومة مع خصمه وينتصر لنفسه بالباطل ويتجاوز القدر

الشرعي المأذون فيه وربما تعدىٰ تصرفه إلىٰ النيل من عرض الظالم والطعن في عرضه وتتبع عورته وإظهار فضائحه وقد ورد في الصحيحين أن ذلك من صفات المنافقين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **(أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)**. والمباح له في الخصومة أخذ الحق الشرعي والرد بالعقوبة المماثلة وأفضل له أن يعفو ويصفح ويسامح ابتغاء رضا الله وثوابه قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وما ورد في النصوص في فضل العزلة عند صلاح الزمان فمحمول علىٰ كون الشخص يتعدىٰ شره للناس ويغلب ذلك علىٰ طبعه ولا يستطيع دفع أذاه عنهم ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: **(قِيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ في سَبيلِ اللَّهِ بنَفْسِهِ ومَالِهِ، قالوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ، ويَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ)**. وبعض الناس هداه الله مؤذ في طبيعته معتد في طبعه لا يخالط أناسًا إلا آذاهم ولا ينزل في مكان إلا حلت فيه المشاكل ولا يطيقه أحد فهذا يجب عليه أن يستصلح نفسه ويكف شره فإن شق عليه ذلك أو تعذر فليعتزل الناس في اجتماعاتهم العامة إلا الجمع والجماعات يلزمه المداومة عليها. وما ورد في فضل العزلة عند فساد الزمان فمحمول علىٰ الفرار بالدين والسلامة من الفتن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)**. رواه البخاري.

والتقصير في هذا الباب عظيم لا يمكن تداركه في الآخرة فينبغي للمؤمن أن يكون ورعًا حريصًا علىٰ أن لا يلقىٰ الله وقد آذىٰ مسلمًا وعرض نفسه للخطر وأذهب حسناته عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَتَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَ مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي من يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَام وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)**. رواه مسلم.



فصل

في جملةِ أخلاقٍ ذميمة

مساوئ الأخلاق هي علىٰ الضد من مكارم الأخلاق، فكل خلق حسن يقابله نقيضه من الخلق السيئ، وترتكز الأخلاق السيئة علىٰ أربعة ركائز **قال ابن القيم**: (ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها علىٰ أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب. فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن والكمال نقصًا والنقص كمالًا. والظلم: يحمله علىٰ وضع الشيء في غير موضعه فيغضب في موضع الرضىٰ ويرضىٰ في موضع الغضب ويجهل في موضع الأناة ويبخل في موضع البذل ويبذل في موضع البخل ويحجم في موضع الإقدام ويقدم في موضع الإحجام ويلين في موضع الشدة ويشتد في موضع اللين ويتواضع في موضع العزة ويتكبر في موضع التواضع. والشهوة: تحمله علىٰ الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها. والغضب: يحمله علىٰ الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه).

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من مساوئ الأخلاق روىٰ الترمذي عن قطبة بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، والأَهْواءِ**».

- **وهذه نماذج من أشهر تلك الأخطاء السيئة، باعد الله بيننا وبينها كلها:**

(١) الظُّلمُ:

في أموال الناس وأموالهم وأعراضهم من الأخلاق التي توجب العقوبة الشديدة يوم القيامة قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ**». متفق عليه.

وقال معاوية رضي الله عنه: «إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله».

والمسلمُ لاَ يَظلِمُ ولاَ يُظلَمُ، فلَا يصدرُ عنهُ ظلمٌ لأحدٍ، ولَا يقبلُ الظُّلمَ لنفسهِ منْ أحدٍ؛ إذِ الظُّلمُ بأنواعهِ الثَّلاثةِ محرَّمٌ فِي الكتابِ والسُّنَّةِ معًا. قالَ تعالىٰ: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وقالَ سبحانهُ: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقالَ ﷻ فيمَا يرويهِ عنهُ نبيُّهُ ﷺ: «**يَا عبادِي إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ علَىٰ نفسِي وجعلتهُ بينكمْ محرَّمًا فلَا تظالمُوا**»[(١)].

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اتَّقُوا الظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ**»[(٢)].

وقالَ: «**منْ ظلمَ قيدَ شبرٍ منَ الأرضِ طوَّقهُ اللهُ منْ سبعِ أرضينَ**»[(٣)]. ثمَّ قرأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(٤)]. وقالَ: «**واتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّهُ ليسَ**

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٠).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٩٢). رواه الحاكم في المستدرك (١/ ١١).
(٣) رواه البخاري (٣/ ١٧١)، (٤/ ١٣٠). ورواه مسلم (١٤٢) كتاب المساقاة.
(٤) رواه البخاري (٦/ ٩٤).

بينهَا وبينَ اللهِ حجابٌ»(١).

وأنواعُ الظُّلمِ ثلاثةٌ هيَ:

١- ظلمُ العبدِ لربِّهِ(٢) وذلكَ يكونُ بالكفرِ بهِ تعالَىٰ، قالَ سبحانهُ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ويكونُ بالشِّركِ فِي عبادتهِ تعالَىٰ بأنْ يصرفَ بعضَ عباداتهِ تعالَىٰ إلَىٰ غيرهِ. قالَ سبحانهُ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٣- ظلمُ العبدِ لغيرهِ منْ عبادِ اللهِ ومخلوقاتهِ، وذلكَ بأذيَّتِهمْ فِي أعراضِهمْ أوْ أبدانِهمْ أوْ أموالِهمْ بغيرِ حقٍّ، قالَ نبيُّ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كانتْ عندهُ مظلمةٌ لأخيهِ مِنْ عِرْضهِ، أوْ من شيءٍ فليتحلَّلَهُ منهُ اليومَ قبلَ أنْ لَا يكونَ دينارٌ ولَا درهمٌ، إنْ كانَ لهُ عملٌ صالحٌ أخذَ منهُ بقدرِ مظلمتهِ، وإنْ لمْ يكنْ لهُ حسناتٌ أخذَ منْ سيِّئاتِ صاحبهِ فحملَ عليهِ**»(٣).

وقالَ: «**مَنِ اقتطعَ حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينه فقدْ أوجبَ اللهُ لهُ النَّارَ، وحرَّمَ عليهِ الجنَّةَ، فقالَ رجلٌ: وإنْ كانَ يسيرًا يَا رسولَ اللهِ؟ فقَال: وإنْ كانَ قضيبًا منْ أراكٍ**»(٤).

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لنْ يزالَ المؤمنُ فِي فسحةٍ منْ دينهِ مَا لمْ يُصِبْ دمًا حرامًا**»(٥).

---

(١) رواه الدارقطني (٢/ ١٣٦). وذكره البيهقِي فِي السنن الكبرىٰ (٣/ ٣٦٩)، (٦، ٨٣).

(٢) هذَا لَا يتنافىٰ معَ قولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]. إذْ معناهُ أنَّ اللهَ لَا يتضرَّرُ بظلمهمْ، وإنما ضرر ظلمهم عائدٌ علَىٰ أنفسهمْ.

(٣) ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٣٦٩)، (٦/ ٨٣).

(٤) رواه مسلم (٢١٨) كتاب الإيمان.

(٥) رواه البخاري (٩/ ٢).

وقالَ: «**كلُّ المسلمِ علَىٰ المسلمِ حرامٌ: دمُهُ ومالُهُ وعِرضُهُ**»[١].

٣- ظلمُ العبدِ لنفسهِ، وذلكَ بتدسيتهَا وتلويثهَا بآثارِ أنواعِ الذّنوبِ والجرائمِ والسَّيِّئاتِ منْ معاصِي اللهِ ورسولهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. فمرتكبُ الكبيرةِ منَ الإثمِ والفواحشِ هوَ ظالمٌ لنفسهِ؛ إذْ عرَّضهَا لمَا يؤثِّرُ فيهَا منَ الخبثِ والظُّلمةِ فتصبحُ بهِ أهلًا للعنةِ اللهِ، والبعدِ منهُ تعالَىٰ.

(٢) الحسدُ:

المسلمُ لاَ يحسدُ ولَا يكونُ الحسدُ خلقًا لهُ ولَا وصفًا فيهِ مَا دامَ يحبُّ الخيرَ للجميعِ ويؤثرُ علَىٰ نفسهِ فيهِ؛ إذِ الحسدُ منافٍ لذينكِ الخلقينِ الكريمينِ: حبُ الخيرِ، والإيثارُ فيهِ.

والمسلمُ يبغضُ خلقَ الحسدِ ويمقتُ عليهِ؛ لأنَّ الحسدَ اعتراضٌ علَىٰ قسمةِ اللهِ فضلهُ بينَ خلقهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]. وقالَ تعالىٰ: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف: ٣٢].

والحسدُ قسمانِ: أوَّلهمَا: أنْ يتمنَّىٰ المرءُ زوالَ النِّعمةِ منْ مالٍ أوْ علمٍ أوْ جاهٍ أوْ سلطانٍ عنْ غيرهِ لتحصلَ لهُ .. وثانيهمَا: وهوَ شرُّهمَا، أنْ يتمنَّىٰ زوالَ النِّعمةِ عنْ غيرهِ ولوْ لمْ تحصلْ لهُ ولمْ يظفرْ بهَا.

• وليسَ منَ الحسدِ الغبطةُ؛ وهوَ تمنِّي حصولِ نعمةٍ مثلِ نعمةِ غيرهِ منْ علمٍ أوْ مالٍ أوْ صلاحِ حالٍ بدونِ تمنِّي زوالهَا عنْ غيرهِ، لقولهِ ﷺ: «لَا حسدَ إلَّا فِي اثنتينِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا فسلَّطهُ علَىٰ هلكتهِ فِي الحقِّ، ورجلٌ

---

(١) رواه مسلم (١٠) كتاب البر والصلة.

آتاهُ اللهُ الحكمةَ فهوَ يقضِي بهَا ويعلِّمهَا»[١]. والمرادُ بالحكمةِ هنَا القرآنُ الكريمُ والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ.

والحسدُ بقسميهِ محرَّمٌ تحريمًا قطعيًّا، فلَا يحلُّ لأحدٍ أنْ يحسدَ أحدًا، قالَ تعالَىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. وقالَ: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البَقَرَة: ١٠٩]. وقالَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥]. فذمُّ اللهِ تعالَىٰ لهذَا الخلقِ الذَّميمِ مقتضٍ تحريمهُ لهُ ونهيهُ عنهُ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تباغضوا، ولَا تحاسدُوا، ولَا تدابروا، ولَا تقاطعُوا، وكونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا، فلَا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ**»[٢].

وقالَ: «**إيَّاكمْ والحسدَ؛ فإنَّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كمَا تأكلُ النَّارُ الحطبَ -أوِ العشبَ**»[٣].

والمسلمُ إنْ خطرَ لهُ خاطرُ الحسدِ بحكمِ بشريَّتهِ وعدمِ عصمتهِ قاومهُ بدفعهِ منْ نفسهِ، وكراهيتهِ لهُ حتَّىٰ لَا يصيرَ همًّا أوْ عزيمةً لهُ فيقولَ بموجبهِ أوْ يعملَ فيهلكَ، وإنْ أعجبهُ الشَّيءُ قالَ: مَا شاءَ اللهُ لاَ قوَّةَ إلَّا باللهِ، وبذلكَ لاَ يؤثِّرُ فيهِ ويسلمُ.

(٣) الغشُّ:

المسلمُ يدينُ للهِ تعالَىٰ بالنَّصيحةِ لكلِّ مسلمٍ، ويعيشُ عليهَا، فليسَ لهُ أنْ يغشَّ أحدًا، أوْ يغدرَ أوْ يخونَ؛ إذِ الغشُّ والخيانةُ والغدرُ صفات ذميمةٌ

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨)، (٢/ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (٨/ ٢٣، ٢٥)، ورواه مسلم (٧) كتاب البر والصلة، ورواه أبو داود (٤٩١٠).

(٣) رواه أبو داود (٥١) الأدب.

فِي المرءِ، والقبحُ لَا يكونُ خلقًا للمسلمِ ولَا وصفًا لهُ بحالٍ منَ الأحوالِ، إذْ طهارةُ نفسهِ المكتسبةُ منَ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ تتنافَىٰ معَ هذهِ الخلائقِ الذَّميمةِ والَّتي هيَ شرٌّ محضٌ لَا خيرَ فيهَا، والمسلمُ قريبٌ منَ الخيرِ بعيدٌ منَ الشَّرِّ.

ولخلقِ الغشِّ الذَّميمِ حقائقُ نبيِّنهَا فيمَا يلِي:

١- أنْ يزيِّنَ المرءُ لأخيهِ القبيحَ، أوِ الشَّرَّ أوِ الفسادَ ليقعَ فيهِ.

٢- أنْ يريهُ ظاهرَ الشَّيءِ الطَّيِّبَ الصَّالحَ، ويخفِي عليهِ باطنَهُ الخبيثَ الفاسدَ.

٣- أنْ يظهرَ لهُ خلافَ مَا يضمرُهُ ويسرُّهُ؛ تغريرًا بهِ وخديعةً لهُ وغشًّا.

٤- أنْ يعمدَ إلَىٰ إفسادِ مالِهِ عليهِ، أوْ زوجِهِ أوْ ولدِهِ، أوْ خادمِهِ، أوْ صديقِهِ بالوقيعةِ فيهِ والنَّميمةِ.

٥- أنْ يعاهدَ علَىٰ حفظِ نفسٍ أوْ مالٍ أوْ كتمانِ سرٍّ ثمَّ يخونهُ ويغدرَ.

والمسلمُ فِي تجنُّبهِ للغشِّ والغدرِ والخيانةِ هوَ مطيعٌ للهِ ورسولهِ؛ إذْ هذهِ الثَّلاثةُ محرَّمةٌ بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقالَ ﷻ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «منْ خبَّبَ -أفسدَ- زوجةَ امرئٍ، أوْ مملوكَهُ -خادمهُ- فليسَ منَّا»[١]. وقالَ: «**أربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ منافقًا خالصًا، ومنْ كانَ فيهِ خصلةٌ منهنَّ كانَ فيهِ خصلةٌ منَ النِّفاقِ حتَّىٰ يدعهَا: إذَا اؤتمنَ خانَ، وإذَا حدَّثَ كذبَ، وإذَا عاهدَ غدرَ، وإذَا خاصمَ فجرَ**»[٢].

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٣).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٥)، (٣/ ١٧٣). ورواه مسلم (١٠٦) كتاب الإيمان.

وقال ﷺ وقدْ مرَّ علَىٰ صبرةِ -كيسٌ كبيرٌ- طعامٍ فأدخلَ يدهُ فنالتْ أصابعُهُ بللًا: «**مَا هذَا يَا صاحبَ الطَّعامَ؟**» قالَ: أصابتْهُ السَّماءُ -المطرُ- يَا رسولَ اللهِ، قالَ: «**أفلَا جعلتهُ فوقَ الطَّعامِ حتَّىٰ يراهُ النَّاسُ؟ مَنْ غشَّ فليسَ منِّي**»[(١)].

(٤) الرِّياءُ:

المسلمُ لاَ يرائِي؛ إذِ الرِّياءُ نفاقٌ وشركٌ، والمسلمُ مؤمنٌ موحِّدٌ فيتنافَىٰ معَ إيمانهِ وتوحيدهِ خلقَا الرِّياءِ والنِّفاقِ، فلَا يكونُ المسلمُ بحالٍ منافقًا ولَا مرائيًا، ويكفِي المسلمَ فِي بغضِ هذَا الخلقِ الذَّميمِ والنُّفورِ منهُ أنْ يعلمَ أنَّ اللهَ ورسولَهُ يكرهانهِ ويمقتانِ عليهِ؛ إذْ قالَ تعالَىٰ متوعِّدًا المرائينَ بالعذابِ والنَّكالِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقالَ فيمَا رواهُ عنهُ رسولهُ ﷺ: «**مَنْ عملَ عملًا أشركَ فيهِ غيرِي فهوَ لهُ كلُّهُ وأنَا منهُ بريءٌ وأنَا أغنَىٰ الأغنياءِ عنِ الشِّركِ**»[(٢)]. وقالَ ﷺ: «**مَنْ راءَىٰ راءَىٰ اللهُ بهِ ومَنْ سمَّعَ سمَّعَ اللهُ بهِ**»[(٣)]. وقالَ: «**إنَّ أخوفَ مَا أخافُ عليكمُ الشِّركُ الأصغرُ**» قالُوا: ومَا الشِّركُ الأصغرُ يَا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**الرِّياءُ، يقولُ اللهُ ﷻ يومَ القيامةِ إذَا جازَىٰ العبادَ بأعمالهِمْ: اذهبُوا إلَىٰ الَّذينَ كنتمْ تراءونَ فِي الدُّنيَا فانظرُوا هلْ تجدونَ عندهمُ الجزاءَ**»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٦٤) كتاب الإيمان.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٠١). ولفظ مسلم هوَ: «أنَا أغنَىٰ الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ منْ عملَ عملًا أشركَ فيهِ معِي غيرِي تركتهُ وشركهُ».

(٣) رواه مسلم (٤٧) كتاب الزهد.

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٢٨، ٢٢٩). وذكره العراقي في المغنىٰ عن حمل الأسفار (٣/ ٢٨٦).

وأمَّا حقيقةُ الرِّياءِ فهيَ إرادةُ العبادِ بطاعةِ المعبودِ ﷻ للحصولِ علَىٰ الحظوةِ بينهمْ والمنزلةِ فِي قلوبهمْ.

وللرِّياءِ مظاهرُ، منهَا مَا يلِي:

١- أنْ يزيدَ العبدُ فِي الطَّاعةِ إذَا مُدحَ وأثنَىٰ عليهِ فيهَا، وأنْ ينقصَ منهَا أوْ يتركهَا إذَا ذُمَّ عليهَا أوْ عيبَ فيهَا.

٢- أنْ ينشطَ فِي العبادةِ إذَا كانَ معَ النَّاسِ، ويكسلَ عنهَا إذَا كانَ وحدَهُ.

٣- أنْ يتصدَّقَ بالصَّدقةِ، لولَا مَنْ يراهُ منَ النَّاسِ لمَا تصدَّقَ بهَا.

٤- أنْ يقولَ مَا يقولهُ منَ الحقِّ والخيرِ، أوْ يعملَ مَا يعملُهُ منَ الطَّاعاتِ والمعروفِ وهوَ لَا يريدُ اللهَ بهَا وحدهُ وإنَّمَا يريدُ غيرهُ منَ النَّاسِ معهُ، أوْ لَا يريدُ اللهَ مطلقًا وإنَّمَا يريدُ النَّاسَ فقطْ.

(٥) العجبُ والغرورُ:

المسلمُ يحذرُ العجبَ(١) والغرورَ، ويجتهدُ أنْ لَا يكونَا وصفًا لهُ فِي حالةٍ منَ الحالاتِ؛ إذْ همَا منْ أكبرِ العوائقِ عَنِ الكمالِ، ومنْ أعظمِ المهالكِ فِي الحالِ والمآلِ، فكمْ منْ نعمةٍ انقلبتْ بهمَا نقمةً، وكمْ منْ عزٍّ صيَّراهُ ذلًّا، وكمْ منْ قوَّةٍ أحالاهَا ضعفًا، فكفَىٰ بهمَا داءً عضالًا، وكفَىٰ بهمَا علَىٰ صاحبهمَا وبالًا، فلذَا حذرهمَا المسلمُ وخافهمَا، ولهذَا جاءَ الكتابُ والسُّنَّةُ بتحريمهمَا، والتَّنفيرِ والتَّحذيرِ منهمَا قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]. وقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]. وقالَ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥].

---

(١) الزَّهوُ والكبرُ بسببِ الإعجابِ بالنَّفسِ أوِ العملِ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌّ مطاعٌ، وهوًى متَّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسهِ**»(١).

وقالَ: «**إذَا رأيتَ شحًّا مطاعًا، وهوًى متَّبعًا، وإعجابَ كلِّ ذِي رأيٍ برأيهِ فعليكَ بنفسكَ**»(٢).

وقالَ: «**الكيِّسُ مَنْ دانَ نفسَه وعملَ لمَا بعدَ الموتِ، والأحمقُ منْ أتبعَ نفسهُ هواهَا، وتمنَّىٰ علَىٰ اللهِ الأمانيَّ**»(٣).

● **نماذج لذلك:**

١- أُعجبَ إبليسُ -لعنةُ اللهِ عليهِ- بحالِهِ، واغترَّ بنفسهِ وأصلهِ فقالَ: خلقتنِي منْ نارٍ وخلقتهُ منْ طينٍ! فطردَهُ اللهُ منْ رحمتهِ، ومنْ أُنْسِ حضرةِ قدسهِ.

٢- أُعجبتْ عادٌ بقوَّتهَا واغترَّتْ بسلطانهَا وقالُوا: مَنْ أشَدُّ منَّا قوَّةً. فأذاقهمُ اللهُ عذابَ الخزيِ فِي الحياةِ الدُّنيَا وفِي الآخرةِ.

٣- غفلَ نبيُّ اللهِ سليمانُ -عليهِ وعلَىٰ نبيِّنَا أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلاَمِ- فقالَ: لأطوفنَّ اللَّيلةَ علَىٰ مائةِ امرأةٍ تلدُ كلُّ امرأةٍ ولدًا يجاهدُ فِي سبيلِ اللهِ، غفلَ فلمْ يقلْ: إنْ شاءَ اللهُ، فحرمَهُ اللهُ سبحانَهُ ذلكَ الولدَ.

٤- أُعجبَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ فِي حُنينٍ بكثرتهمْ وقالُوا: لنْ نُغْلَبَ اليومَ مِنْ قلَّةٍ! فأصيبُوا بهزيمةٍ مريرةٍ، حتَّىٰ ضَاقَتْ عليهمُ الأرضُ بمَا رحبتْ، ثمَّ ولَّوْا مدبرينَ إلىٰ أن عادوا إلىٰ الله فنصرهم الله.

ومنْ مظاهرِ الغرورِ مَا يلِي:

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٩١) وهو ضعيف.

(٢) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨/ ٤٠٧). وذكره الطبري في تفسيره (٧/ ٦٣).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٤). ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٧).

١- **فِي العلمِ**: قدْ يعجبُ المرءُ بعلمهِ، ويغترُّ بكثرةِ معارفهِ فيحملهُ ذلكَ علَىٰ عدمِ الاستزادةِ، وعلَىٰ تركِ الاستفادةِ، أوْ يحملُهُ علَىٰ احتقارِ غيرهِ منْ أهلِ العلمِ، واستصغارِ سواهُ، وكفَىٰ بهذَا هلاكًا لهُ!

٢- **فِي المالِ**: قدْ يعجبُ المرءُ بوفرةِ مالِهِ، ويغترُّ بكثرةِ عرَضهِ فيبذِّرُ ويسرفُ، ويتعالَىٰ علَىٰ الخلق، ويغمطُ الحقَّ فيهلكُ.

٣- **في القوَّةِ**: قدْ يعجبُ المرءُ بقوَّتهِ ويغترُّ بعزَّةِ سلطانهِ فيعتدِي ويظلمُ، ويقامرُ ويخاطرُ، فيكونُ في ذلكَ هلاكهُ ووبالهُ.

٤- **فِي الشَّرفِ**: قدْ يعجبُ المرءُ بشرفهِ ويغترُّ بنسبهِ وأصلهِ فيقعدُ عنِ اكتسابِ المعالِي، ويضعفُ عنْ طلبِ الكمالاتِ فيبطئُ بهِ عملهُ، ولمْ يسرعْ بهِ نسبهُ، فيحقَّرُ ويصغَّرُ، ويذلُّ ويهونُ.

٥- **فِي العبادةِ**: قدْ يعجبُ المرءُ بعملهِ، ويغترُّ بكثرةِ طاعتهِ، فيحملهُ ذلكَ علَىٰ الإدلالِ علَىٰ ربِّهِ، والامتنانِ علَىٰ منعمهِ، فيحبطُ عملهُ، ويهلكُ بعجبهِ، ويشقىٰ باغترارهِ.

- **العلاجُ:**

وعلاجُ هذَا الدَّاءِ فِي ذكرِ اللهِ تعالَىٰ بِالْعِلْمِ بأنَّ مَا أعطاهُ اللهُ اليومَ منْ علمٍ، أوْ مالٍ، أوْ قوَّةٍ، أوْ عزَّةٍ، أوْ شرفٍ قدْ يسلبهُ غدًا لوْ شاءَ ذلكَ، وأنَّ طاعةَ العبدِ للرَّبِ مهمَا كثرتْ لاَ تساوِي بعضَ مَا أنعمَ اللهُ علَىٰ عبدهِ، وأنَّ اللهَ تعالَىٰ لَا يدلُّ عليهِ بشيءٍ؛ إذْ هوَ مصدرُ كلِّ فضلٍ، وواهبُ كلِّ خيرٍ، وأنَّ الرَّسُول ﷺ يقولُ: «**لنْ ينجِّي أحدًا منكمْ عملُهُ**» قالُوا: ولَا أنتَ يَا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**ولَا أنَا إلَّا أنْ يتغمَّدنِي اللهُ برحمتهِ**»[١].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٢٢).

(٦) العجزُ والكسلُ:

العجز: قعود الإنسان عما ينفعه مدعيًا أنه لا يستطيعه والواقع أنه داخل دائرة استطاعته.

والكسل: قعود الإنسان عما ينفعه مع علمه بأنه يقدر عليه ويستطيعه.

المسلمُ لَا يعجزُ ولاَ يكسلُ، بلْ يحزمُ وينشطُ، ويعملُ ويحرصُ؛ إذِ العجزُ والكسلُ خلقانِ ذميمانِ استعاذَ منهمَا رسولُ اللهِ ﷺ، فكثيرًا مَا كانَ يقولُ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ العجزِ والكسلِ، والجبنِ والهرمِ والبخلِ**»(١).

وأوصَىٰ ﷺ بالعمَل والحرصِ فقالَ: «**احرصْ علَىٰ مَا ينفعكَ، واستعنْ باللهِ ولَا تعجزْ، وإذَا أصابكَ شيءٌ فلَا تقلْ: لوْ أنِّي فعلتُ كذَا لكانَ كذَا، ولكنْ قلْ: قدَّرَ اللهُ ومَا شاءَ فعَل، فإنَّ لوْ تفتحُ عملَ الشَّيطانِ**»(٢).

فلهذَا لاَ يُرَىٰ المسلمُ عاجزًا ولاَ كسولًا، كمَا لاَ يُرَىٰ جبانًا ولاَ بخيلًا، وكيفَ يقعدُ عنِ العملِ، أوْ يتركُ الحرصَ علَىٰ مَا ينفعهُ، وهوَ يؤمنُ بنظامِ الأسبابِ، وقانونِ السُّننِ فِي الكونِ؟ ولمَ يكسلِ المسلمُ وهوَ يؤمنُ بدعوةِ اللهِ إلَىٰ المسابقةِ فِي قولهِ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]. ويأمرهُ بالمنافسةِ فِي قولهِ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ولمَ يجبن المسلمُ أوْ يُحجمْ، وقدْ أيقنَ بالقضاءِ، وآمنَ بالقدرِ، وعلمَ أنَّ مَا أصابَهُ لمْ يكُنْ ليخطِئَهُ، وأنَّ مَا أخطأهُ لمْ يكُنْ ليصيبَهُ بحالٍ منَ

---

(١) رواه البخاري (٤/ ٢٨)، (٨/ ٩٨). ورواه مسلم (٢٠٧٩). ورواه النسائي (٨/ ٢٥٧، ٢٥٨).

(٢) رواه مسلم (٣٤) كتاب القدر.

الأحوالِ؟ ولِمَ يقعدِ المسلمُ عنِ العملِ النَّافعِ وهوَ يسمعُ هاتفَ القرآنِ بهِ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؟

مظاهرُ العجزِ والكسلِ:

١- أنْ يسمعَ المرءُ نداءَ المؤذِّنِ للصَّلاةِ ويتشاغلَ عنِ الإجابةِ بنومٍ أوْ كلامٍ أوْ عملٍ غيرِ ضروريٍّ حتَّىٰ يكاد يخرجُ وقتُ الصَّلاةِ، ثمَّ يقومُ فيصلِّي منفردًا فِي آخرِ وقتِ الصَّلاةِ.

٢- أنْ يقضيَ المرءُ السَّاعةَ والسَّاعاتِ علَىٰ مقاعدِ المقاهِي وكراسِي المتنزَّهاتِ أوْ متجوِّلًا فِي الشَّوارعِ والأسواقِ ولديهِ أعمالٌ تتطلَّبُ الإنجازَ فلَا ينجزهَا.

٣- أنْ يتركَ المرءُ العملَ النَّافعَ كتعلُّم العلم أوْ غراسةِ الأراضِي أوْ عمارةِ المنازلِ وبناءِ الدُّورِ، ومَا إلَىٰ ذلكَ منَ الأعمالِ النَّافعةِ فِي الدُّنيَا أوِ الآخرةِ؛ يتركهَا بدعوَىٰ أنَّهُ كبيرُ السِّنِّ، أوْ أنَّهُ غيرُ أهلٍ لهذَا العملِ، أوْ أنَّ هذَا العملَ يتطلَّبُ وقتًا واسعًا وزمنًا طويلًا، ويتركُ الأيَّامَ تمرُّ والأعوامَ تمضِي، ولَا يعملُ عملًا ينتفعُ بهِ فِي دنياهُ أوْ أخراهُ.

٤- أنْ يعرضَ لهُ بابٌ منْ أبوابِ البرِّ والخيرِ كفرصةِ حجٍّ، وهوَ قادرٌ عليهِ فلمْ يحجَّ، أوْ كوجودِ لهفانٍ، وهوَ قادرٌ علَىٰ إغاثتهِ فلمْ يغثْهُ، أوْ كفرصةِ دخولِ شهرِ رمضانَ فلمْ يغتنمْ لياليهُ بالقيامِ، أوْ كوجودِ أبوينِ كبيرينِ عاجزينِ، أوْ أحدهمَا وهوَ قادرٌ علَىٰ برِّهمَا وصلتهمَا والإحسانِ إليهمَا ولمْ يبرَّهمَا ولمْ يحسنْ إليهمَا عجزًا وكسلًا، أوْ شحًّا وبخلًا، أوْ عقوقًا، والعياذُ باللهِ.

٥- أنْ يقيمَ المرءُ بدارِ ذلٍّ أوْ هوانٍ، ولمْ يطلبْ لهُ عجزًا وكسلًا دارًا أخرَىٰ يحفظُ فيهَا دينَهُ، ويصونُ فيهَا شرفَهُ وكرامتَهُ.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بكَ منَ العجزِ والكسلِ، ونعوذُ بكَ منَ الجبنِ والبخلِ، ونعوذُ بكَ منْ كلِّ خلقٍ لَا يُرضِي، وعملٍ لَا ينفعُ، وصلَّىٰ اللهُ علَىٰ نبيِّنَا محمَّدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّمَ.

(٧) **الكذب**: من أخطر الأخلاق التي توجب دخول النار وتنزع الثقة منه بين الناس قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ؛ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**). متفق عليه. ومن أعظم الكذب الافتراء علىٰ الله ﷻ ثم الافتراء علىٰ رسوله ﷺ ثم الافتراء علىٰ صحابة النبي رضي الله عنهم ثم الافتراء والبهتان علىٰ المسلمين في أنسابهم وأعراضهم ومعايبهم وقد ورد وعيد شديد في القرآن والسنة قال **تعالىٰ**: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] والكذب منشأ كل سوء **قال ابن القيم**: (كل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه الصدق وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن فمنشؤه الكذب)

(٨) **البخل**: فإنه من الأخلاق السيئة التي تنفر الناس وتضيع الحقوق قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ**). متفق عليه. والبخل هو منع الحق والشح هو منع الحق وطلب ما ليس من حقه **قال حبيش الثقفي**: (قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا).

(٩) **الغيبة**: وهي أن تذكر أخاك المسلم الغائب بأمر فيه يسوئه فإن لم يكن فيه هذا الأمر فبهتان عليه قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجُرَات: ١٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**أَتَدْرُونَ مَا اَلْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ. قِيلَ: أفرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ**). رواه مسلم. **وقال ابن المبارك**: (لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والدي لأنهما أحق بحسناتي).

(١٠) **النميمة**: وهي نقل الكلام بين الناس لغرض الإفساد بينهم وهي من أعظم وسائل القطيعة والتهاجر بين المسلمين والنميمة توجب عذاب القبر وتمنع دخول الجنة قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القَلَم: ١٠، ١١] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لَا يَدْخُلُ اَلْجَنَّةَ نَمّامٌ**). متفق عليه. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (**خَرَجَ النبيُّ ﷺ مِن بَعْضِ حِيطانِ المَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسانَيْنِ يُعَذَّبانِ في قُبُورِهِما، فَقالَ: يُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، وإنَّه لَكَبِيرٌ، كانَ أحَدُهُما لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وكانَ الآخَرُ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ**). متفق عليه. **وقال أكثم بن صيفي لبنيه**: (إياكم والنميمة فإنها نار محرقة وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر).

(١١) **السب**: خلق ذميم يوجب العداوة والبغضاء بين المسلمين قال تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النِّسَاء: ١٤٨] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**). متفق عليه. **وقال أسماء بن خارجة**: (ما شتمت أحدًا قط لأن الذي يشتمني أحد رجلين كريم كانت منه زلة وهفوة فأنا أحق من غفرها وأخذ الفضل فيها أو لئيم فلم أكن لأجعل عرضي له غرضًا).

٧- **الفحش في الكلام**: من أسوء أخلاق اللسان التي يبغضها الله قال تعالىٰ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: ٨٣] وعن عائشة رضي الله عنها قال لها النبي ﷺ: **(فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ)**. رواه مسلم. **وقال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: (ألأم خلق المؤمن الفحش).

٨- **الغضب**: خلق يفسد حياة المؤمن ويعطل مصالحه قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: **(أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبْ)**. رواه البخاري. **وقال عمر بن عبد العزيز**: (قد أفلح من عصم من الهوىٰ والغضب والطمع).

(١٢) **التجسس**: علىٰ الناس بالتفتيش عن عوراتهم والتصنت علىٰ كلامهم الذي يسرون به خلق محرم يوجب العذاب في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجُرَات: ١٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ اَلْآنُكُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ» يَعْنِي: اَلرَّصَاصَ)**. رواه البخاري. **وقال الحسن**: (لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيئ فإنه من التجسس). والعاقل يتغافل عن عيوب الناس ولا يهتم بأسرارهم والسفيه يطلب عيوب الناس وينشغل بأسرارهم.

(١٣) **الخصومة والمراء**: وكثرة الاشتغال بالخصومات وإيذاء المسلمين خلق مذموم يدل علىٰ قلة الورع والجرأة علىٰ حدود الله ويورث العداوة والبغضاء قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(أَبْغَضُ اَلرِّجَالِ إِلَىٰ الله اَلأَلَدُّ اَلْخَصِمُ)**. رواه مسلم. **وقال الأوزاعي**: (إذا أراد الله بقوم شرًا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل). والخصومات من سمات أهل البدعة والفرقة **قال الفضيل بن**

عياض: (لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله). ومن أخلاق المنافقين الفجور في الخصومة بحيث يجعل الحق باطلًا والباطل حقًا بالكذب والتدليس ليأكل حقوق الناس بالباطل.

(١٤) الغلظة والفظاظة في معاملة الخلق: خلق مذموم يدل علىٰ انعدام الرحمة قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وهو سبب لدخول النار عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللَّهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**). رواه البخاري. **وقال مالك بن دينار**: (ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله عز وجل علىٰ قوم إلا نزع منهم الرحمة).

(١٥) الغش في التجارة: والتحايل علىٰ أكل أموال الناس بالباطل خلق حرمه الله ورسوله وهو من الكبائر التي توجب العذاب وتمحق بركة المال قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَام فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَام؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيسَ مِنِّي**). رواه مسلم. وكان **جرير بن عبد الله** رضي الله عنه إذا قام إلىٰ السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك. فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع. فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم.

(١٦) **الغدر**: وهو نقض العهد وترك الوفاء وهو خلق دنيء من أخلاق المنافقين قد ورد فيه الوعيد يوم القيامة قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يوْمَ القِيامةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ**). متفق عليه. **وقال الأحنف بن قيس**: (إذا كان الغدر في الناس موجودًا فالثقة بكل أحد عجز).

(١٧) **الإسراف والتبذير**: أمران يفسدان المال وبهما تضيع الحقوق ويؤاخذ المرء يوم القيامة والإسراف هو مجاوزة حد الإنفاق في المباح والتبذير إنفاق المال في الحرام وكلاهما خلق مذموم منهي عنه شرعًا قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧] وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقالَ، وإضاعَةَ المالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ**). متفق عليه. **وقال الشافعي**: (التبذير إنفاق المال في غير حقه ولا تبذير في عمل الخير).

(١٨) **سوء العشرة مع الزوجة**: من الأخلاق الدنيئة التي نهىٰ عنها الشرع قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] وعن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**). متفق عليه. وكذلك سوء العشرة مع الزوج وامتناع الزوجة عما يجب عليها من طاعة الزوج ونشوزها عليه من الذنوب المتوعد عليها في الآخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبانَ عَلَيْهَا؛ لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**). متفق عليه.

(١٩) **القسوة في تربية الولد**: خلق يدل علىٰ نزع الرحمة من القلب وله أثر سيء في فساد الولد وفشله في حياته وقد ذم النبي ﷺ القسوة علىٰ الولد ورغب في رحمته والرفق به عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**قَدِم ناسٌ مِن الأَعْرابِ عَلَىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فقالوا: أَتُقبِّلونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قالوا: لَكِنَّا واللَّه مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّه نَزعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحمَةَ**). متفق عليه.

(٢٠) **الشماتة بأهل المصائب**: خلق ذميم وهو الفرح بوقوع المصيبة والبلاء علىٰ أخيه المسلم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (**أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوْءِ القَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقاءِ، وَمِنْ شَماتَةِ الأعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ البَلَاءِ**). متفق عليه. **وقال ابن سيرين**: (عيرت رجلًا بالإفلاس فأفلست).

وقال إبراهيم النخعي: (إني لأرىٰ الشيء أكرهه فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلىٰ بمثله). **وقال ابن القيم**: (من ضحك من الناس ضحك منه ومن عير أخاه بعمل ابتلي به ولا بد).

(٢١) **الخيانة**: وتضييع الأمانات وهو خلق ذميم يدل علىٰ ضعف الدين وهو من صفات المنافقين وقد نهىٰ الله عنه وزجر عنه قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (**خَيْرُ أُمَّتي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، (قالَ عِمْرانُ فلا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثًا) ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**). متفق عليه. **وقال مجاهد**: (المكر والخديعة والخيانة في النار وليس من أخلاق المؤمن المكر ولا الخيانة).

ثانيًا: الآداب الإسلامية

الأدب، هو السلوك الحسن والذوق الطيب، وجمال الأفعال وزينتها، وضدها هو سلوكيات خاطئة ينبغي للمسلم أن يتجنبها لما يترتب عليها من آثار سيئة بعضها يقارب أن يكون من سوء الأخلاق مثل:

(١) كثرة المراء والجدال فإنه يفسد العمل ويوغر الصدر علىٰ الإخوان ويفضي إلىٰ القطيعة قال تعالىٰ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: (الجدال: المراء والملاحاة حتىٰ تغضب أخاك وصاحبك فنهىٰ الله عن ذلك). وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا)**. رواه أبو داود. **وقال عبدة بن أبي لبابة**: «إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته».

(٢) التوسع في إضحاك الناس ولو بالكذب وقد ورد النهي عن ذلك في السنة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**». رواه أبو داود.

(٣) إخلاف المواعيد والاستخفاف بعهود الناس وهذا من صفة المنافق قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**). متفق عليه.

(٤) عدم احترام أهل الفضل وعدم إنزال الناس منازلهم والتفريط في حقوقهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ مرفوعًا: (**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، ويَعْرِفْ حَقَ كَبِيرِنَا؛ فَلَيْسَ مِنَّا**). رواه أبو داود.

(٥) السخرية والاستهزاء بالهيئات والأفعال واللمز والتنابز بالألقاب وهذا يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجُرَات: ١١] وقال تعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: ١] وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ: (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**). رواه مسلم.

(٦) الهزل في مواطن الجد والجد في مواطن الهزل وعدم مراعاة مجالس الناس ومناسباتهم فإن هذا السلوك المشين يدل علىٰ سفه العقل ودناءة المروءة وسوء الخلق.

(٧) كثرة المزاح والمبالغة فيه وتجاوز الحد الشرعي مما قد يصل إلىٰ حد الإيذاء والتنفير وإسقاط الهيبة **قال عمر بن عبد العزيز**: «اتقوا الله وإياكم المزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلىٰ القبيح فحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال».

(٨) العجلة في الأمور وعدم التريث حتىٰ يتبين الأمر وتتضح الصورة فإن العجلة مذمومة يروىٰ في جامع الترمذي: (**الأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**). وخلق الأناة يحبه الله كما صح في حديث ابن عباس ﵄ أن

النبي ﷺ قال لأشج بن عبد القيس: (**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ**). رواه مسلم.

(٩) إفشاء أسرار الناس وعدم حفظ أماناتهم وهذا من الخيانة قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٨٣] **قال ابن عباس** رضي الله عنه: (قوله ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾ قال: أعلنوه وأفشوه). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**). متفق عليه. وقالت فاطمة رضي الله عنها: (**مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**). رواه مسلم.

- **ونسوق الآن جملة من الآداب الإسلامية مرتبة بحسب مجالاتها:**

الفصل الأوَّلُ

آدابُ النَّيِّةِ

يؤمنُ المسلمُ بخطرِ شأنِ النَّيِّةِ، وأهمِّيَّتهَا لسائرِ أعمالهِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، إذْ جميعُ الأعمالِ تتكيَّفُ بهَا، وتكونُ بحسبهَا فتقوَىٰ وتضعفُ، وتصحُّ وتفسدُ تبعًا لهَا، وإيمانُ المسلمِ هذَا بضرورةِ النِّيَّةِ لكلِّ الأعمالِ ووجوبِ إصلاحهَا، مستمدٌّ أوَّلًا منْ قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيّنَة: ٥]. وقولهِ سبحانهُ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ١١].

وثانيًا منْ قولِ المصطفَىٰ ﷺ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّمَا لكلِّ امرئٍ ما نوَىٰ**»[١]. وقولهِ: «**إنَّ اللهَ لَا ينظرُ إلَىٰ صوركمْ وأموالكمْ، وإنَّمَا ينظرُ إلَىٰ قلوبكمْ وأعمالكمْ**»[٢]. فالنَّظرُ إلَىٰ القلوبِ نظرٌ إلَىٰ النِّيَّاتِ، إذِ النِّيَّةُ هيَ الباعثُ علَىٰ العمَلِ والدَّافعُ إليهِ، ومنْ قولهِ ﷺ: «**مَنْ همَّ بحسنةٍ ولمْ يعملهَا كُتبتْ لهُ حسنةٌ**»[٣]. فبمجرَّدِ الهمِّ الصَّالحِ كانَ العملُ صالحًا يثبتُ بهِ الأجرُ وتحصلُ بهِ المثوبةُ وذلكَ لفضيلةِ النِّيَّةِ الصَّالحةِ، وفِي قولهِ ﷺ: «**النَّاسُ أربعةٌ: رجلٌ آتاهُ اللهُ ﷻ علمًا ومالًا فهوَ يعملُ بعلمهِ فِي مالهِ، فيقولُ**

(١) رواه البخاري (١/ ٢)، (٨/ ١٧٥)، (٩/ ٢٩). ورواه أبو داود (٢٢٠١). ورواه الترمذي (١٦٤٧). ورواه النسائي (ب ٥٩) كتاب الطهارة.

(٢) رواه مسلم (١٩٨٧). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٥، ٥٣٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٧٩، ٣٦١، ٤١١).

رجلٌ: لوْ آتانِي اللهُ تعالَىٰ مثلَ مَا آتاهُ اللهُ لعملتُ كمَا عملَ، فهمَا فِي الأجرِ سواءٌ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا ولمْ يؤتِهِ علمًا فهوَ يخبطُ فِي مالِهِ، فيقولُ رجلٌ: لوْ آتانِي اللهُ مثلَ مَا آتاهُ عملتُ كمَا يعملُ، فهمَا فِي الوزرِ سواءٌ»(١). فأثيبَ ذُو النِّيَّةِ الصَّالحةِ ثوابِ العملِ الصَّالحِ، ووُزِرَ صاحبُ النِّيَّةِ الفاسدةِ بوزرِ صاحبِ العملِ الفاسدِ، وكانَ مردُّ هذَا إِلَىٰ النِّيَّةِ وحدهَا. ومنْ قولِهِ ﷺ وهوَ بتبوكَ: «**إنَّ بالمدينةِ أقوامًا مَا قطعنَا واديًا ولَا وطئنَا مواطئًا يغيظُ الكفَّارَ، ولَا أنفقنَا نفقةً، ولَا أصابتنَا مخمصةٌ إلَّا شركونَا فِي ذلكَ وهمْ بالمدينةِ**» فقيلَ لهُ: كيفَ ذلكَ يَا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «**حبسهمُ العذرُ، فشركُوا بحسنِ النِّيَّةِ**»(٢). فحسنُ النِّيَّةِ إذًا هوَ الَّذِي جعلَ غيرَ الغازِي فِي الأجرِ كالغازِي، وجعلَ غيرَ المجاهدِ يحصلُ علَىٰ أجرٍ كأجرِ المجاهدِ.

ومنْ قولِهِ ﷺ: «**إذَا التقَىٰ المسلمانِ بسيفيهمَا فالقاتلُ والمقتولُ فِي النَّارِ**» فقيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ هذَا القاتلُ، فمَا بالُ المقتولِ؟ فقالَ: «**لأنَّهُ أرادَ قتلَ**(٣) **صاحبِهِ**»(٤). فسوَّتِ النِّيَّةُ الفاسدةُ والإرادةُ السَّيِّئةُ بينَ قاتلٍ مستوجبٍ للنَّارِ وبينَ مقتولٍ لولَا نيَّتهُ الفاسدةُ لكانَ منْ أهلِ الجنَّةِ.

ومنْ ذلك قولِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أيُّمَا رجلٍ أصدقَ امرأةً صداقًا والله يعلمُ أنَّهُ لَا يريدُ أداءهُ إليهَا، فغرَّها بالله واستحلَّ فرجهَا بالباطلِ؛ لقيَ اللهَ يومَ يلقاهُ وهوَ زانٍ، وأيُّمَا رجلٍ ادَّانَ منْ رجلٍ دينًا واللهُ يعلمُ منهُ أنَّهُ لَا يريدُ أداءهُ إليهِ فغرَّه باللهِ واستحلَّ مالهَ بالباطلِ؛ لقيَ اللهَ ﷻ يومَ يلقاهُ**

(١) رواه الترمذي كتاب الزهد (١٧).
(٢) رواه البخاري كتاب الجهاد (٣٥) وأبو داود جهاد (١٩).
(٣) رواية البخاري في كتاب الإيمان: لأنه كان حريصًا علىٰ قتل أخيه.
(٤) رواه البخاري (١/ ١٥)، (٩/ ٥). ورواه مسلم (١٥) كتاب الفتن. ورواه النسائي (٧/ ١٢٥).

وهوَ سارقٌ»[١]، فبالنِّيَّةِ السَّيِّئةِ انقلبَ المباحُ حرامًا، والجائزُ ممنوعًا، ومَا كانَ خاليًا منَ الحرجِ أصبحَ ذَا حرجٍ.

كلُّ هذَا يؤكِّدُ مَا يعتقدهُ المسلمُ فِي خطرِ النِّيَّةِ وعظمِ شأنهَا وكبيرِ أهمِّيَّتهَا، فلذَا هوَ يبنِي سائرَ أعمالهِ علَىٰ صالحِ النِّيَّاتِ، كمَا يبذلُ جهدهُ فِي أنْ لَا يعملَ عملًا بدونِ نيَّةٍ، أوْ نيَّةٍ غيرِ صالحةٍ، إذِ النِّيَّةُ روحُ العملِ وقوامهُ، صحَّتهُ منْ صحَّتهَا وفسادهُ منْ فسادِها، والعملُ بدونِ نيَّةٍ صاحبهُ مراءٍ متكلِّفٌ ممقوتٌ.

وكمَا يعتقدُ المسلمُ أنَّ النِّيَّةَ ركنُ[٢] الأعمالِ وشرطُهَا، فإنَّهُ يرَىٰ أنَّ النِّيَّةَ ليستْ مجرَّدَ لفظٍ باللِّسانِ (اللَّهمَّ نويتُ كذَا) ولَا هيَ حديثُ نفسٍ فحسبُ، بلْ هيَ انبعاثُ القلبِ نحوَ العملِ الموافقِ لغرضٍ صحيحٍ منْ جلبِ نفعٍ، أوْ دفعِ ضرٍّ حالًا، أوْ مآلًا، كمَا هيَ الإرادةُ المتوجِّهةُ تجاهَ الفعلِ لابتغاءِ رضَا اللهِ، أوِ امتثالِ أمرهِ.

والمسلمُ إذْ يعتقدُ أنَّ العملَ المباحَ ينقلبُ بحسنِ النِّيَّةِ طاعةً ذاتَ أجرٍ ومثوبةٍ، وأنَّ الطَّاعةَ إذَا خلتْ منْ نيَّةٍ صالحةٍ تنقلبُ معصيةً ذاتَ وزرٍ وعقوبةٍ؛ لَا يرَىٰ أنَّ المعاصِي تؤثِّرُ فيهَا النِّيَّةُ الحسنةُ فتنقلبُ طاعةً، فالَّذِي يغتابُ شخصًا لتطييبِ خاطرِ شخصٍ آخرَ هوَ عاصٍ للهِ تعالَىٰ آثمٌ لا تنفعهُ نيَّتهُ الحسنةُ فِي نظرهِ، والَّذِي يبنِي مسجدًا بمالٍ حرامٍ لا يثابُ عليهِ، والَّذِي يحضرُ حفلاتِ الرَّقصِ والمجونِ، أوْ يشترِي أوراقَ (اليانصيبِ) بنيَّةِ تشجيعِ المشاريعِ الخيريَّةِ، أوْ لفائدةِ جهادٍ ونحوهِ، هوَ عاصٍ للهِ تعالَىٰ آثمٌ مأزورٌ غيرُ مأجورٍ، والَّذِي يبنِي القبابَ علَىٰ قبورِ الصَّالحينَ، أوْ يذبحُ لهمُ

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٣٢). ورواه ابن ماجه (٢٤١٠) مقتصرًا علىٰ الدين دون الصداق.

(٢) النية ركن باعتبار البداية، وشرط باعتبار الاستمرار.

الذَّبائحَ، أوْ ينذرُ لهمُ النُّذورَ بنيَّةِ محبَّةِ الصَّالحينَ هوَ عاصٍ للهِ تعالَىٰ آثمٌ علَىٰ عملهِ، ولوْ كانتْ نيَّته صالحةً كمَا يراهَا؛ إذْ لَا ينقلبُ بالنِّيَّةِ الصَّالحةِ طاعةً إلَّا ما كانَ مباحًا مأذونًا فِي فعلهِ فقطْ، أمَّا المحرَّمُ فلَا ينقلبُ طاعةً بحالٍ منَ الأحوالِ.



الفصل الثَّانِـي

الأدبُ معَ اللهِ ﷻ

المسلمُ ينظرُ إلَىٰ مَا للهِ تعالَىٰ عليه منْ مننٍ لَا تحصَىٰ، ونِعَمٍ لَا تعدُّ، اكتنفتهُ منْ ساعةِ علوقهِ نطفةً فِي رحمِ أمِّهِ، وتسايرهُ إلَىٰ أنْ يلقَىٰ ربَّهُ ﷻ فيشكرُ اللهَ تعالَىٰ عليهَا بلسانهِ بحمدهِ والثَّناءِ عليهِ بمَا هوَ أهلهُ، وبجوارحهِ بتسخيرهَا فِي طاعتهِ، فيكونُ هذَا أدبًا منهُ معَ اللهِ ﷻ؛ إذْ ليسَ منَ الأدبِ فِي شيءٍ كفرانُ النِّعمِ، وجحودُ فضلِ المنعمِ، والتَّنكرُ لهُ ولإحسانهِ وإنعامهِ، واللهُ سبحانهُ يقولُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. ويقولُ سبحانهُ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. ويقولُ سبحانهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. ويقولُ ﷻ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وينظرُ المسلمُ إلَىٰ علمهِ تعالىٰ بهِ واطِّلاعهِ علَىٰ جميعِ أحوالهِ فيمتلئُ قلبهُ منهُ مهابةً ونفسهُ لهُ وقارًا وتعظيمًا، فيخجلُ منْ معصيتهِ، ويستحِي منْ مخالفتهِ، والخروجِ عنْ طاعتهِ. فيكونُ هذَا أدبًا منهُ معَ اللهِ تعالَىٰ؛ إذْ ليسَ منَ الأدبِ فِي شيءٍ أنْ يجاهرَ العبدُ سيِّدَهُ بالمعاصِي، أوْ يقابلهُ بالقبائحِ والرَّذائِلِ وهوَ يشهدهُ وينظرُ إليهِ. قالَ تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤]. وقَالَ ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩]. وقالَ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

وينظرُ المسلمُ إليهِ تعالَىٰ وقدْ قدرَ عليهِ، وأخذَ بناصيتِهِ، وأنَّهُ لَا مفرَّ لهُ ولَا مهربَ، ولَا منجَا ولَا ملجأَ منهُ إلَّا إليهِ، فيفرُّ إليهِ تعالَىٰ ويطَّرحُ بينَ يديهِ، ويفوِّضُ أمرهُ إليهِ، ويتوكَّلُ عليهِ، فيكونُ هذَا أدبًا منهُ معَ ربِّهِ وخالقهِ. إذْ ليسَ منَ الأدبِ فِي شيءٍ الفرارُ ممَّنْ لَا مفرَّ منهُ، ولَا الاعتمادُ علىٰ مَنْ لَا قدرةَ لهُ، ولَا الاتِّكالُ علَىٰ منْ لَا حولَ ولَا قوَّةَ لهُ. قالَ تعالىٰ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]. وقالَ ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. وقالَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وينظرُ المسلمُ إلَىٰ إلطافِ اللهِ تعالَىٰ بهِ فِي جميعِ أمورهِ، وإلَىٰ رحمتهِ لهُ ولسائرِ خلقهِ فيطمعُ فِي المزيدِ منْ ذلكَ، فيتضرَّعُ لهُ بخالصِ الضَّراعةِ والدُّعاءِ، ويتوسَّلُ إليهِ بطيِّبِ القولِ وصالحِ العملِ، فيكونُ هذَا أدبًا منهُ معَ اللهِ مولاهُ؛ إذْ ليسَ منَ الأدبِ فِي شيءٍ اليأسُ منَ المزيدِ منْ رحمةٍ وسعتْ كلَّ شيءٍ، ولَا القنوطُ منْ إحسانٍ قدْ عمَّ البرايَا، وألطافٍ قدِ انتظمتِ الوجودَ. قالَ تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقالَ: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]. وقالَ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]. وقالَ: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وينظرُ المسلمُ إلَىٰ شدَّةِ بطشِ ربِّهِ، وإلَىٰ قوَّةِ انتقامِهِ، وإلَىٰ سرعةِ حسابهِ فيتَّقيهِ بطاعتهِ، ويتوقَّاهُ بعدمِ معصيتهِ فيكونُ هذَا أدبًا منهُ معَ اللهِ؛ إذْ ليسَ منَ الأدبِ عندَ ذوِي الألبابِ أنْ يتعرَّضَ بالمعصيةِ والظُّلمِ العبدُ الضَّعيفُ العاجزُ للرَّبِّ العزيزِ القادرِ، والقويِّ القاهرِ وهوَ يقولُ: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]. ويقولُ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]. ويقولُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

وينظرُ المسلمُ إلَىٰ اللهِ ﷻ عندَ معصيتهِ، والخروجِ عنْ طاعتهِ، وكأنَّ وعيدَهُ قدْ تناولهُ، وعذابَهُ قدْ نزلَ بهِ، وعقابَهُ قدْ حلَّ بساحتهِ، كمَا ينظرُ إليهِ تعالَىٰ عندَ طاعتهِ، واتِّباعِ شرعتهِ وكأنَّ وعدهُ قدْ صدقهُ لهُ، وكأنَّ حلَّةَ رضاهُ قدْ خلعهَا عليهِ، فيكونُ هذَا منَ المسلمِ حُسنَ ظنٍّ باللهِ، ومنَ الأدبَ حسنُ الظَّنِّ باللهِ؛ إذْ ليسَ منَ الأدبِ أنْ يسيءَ المرءُ الظَّنَّ باللهِ فيعصيهُ ويخرجَ عنْ طاعتهِ، ويظنَّ أنَّهُ غيرُ مطَّلعٍ عليهِ، ولَا مؤاخِذٍ لهُ علَىٰ ذنبهِ، وهوَ يقولُ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢٢-٢٣]. كمَا أنَّهُ ليسَ مِنَ الأدبِ معَ اللهِ أنْ يتَّقيهُ المرءُ ويطيعهُ ويظنَّ أنَّهُ غيرُ مجازيهِ بحسنِ عملهِ، ولَا هوَ قابلٌ منهُ طاعتهَ وعبادتهُ، وهوَ ﷻ يقولُ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النُّور: ٥٢]. ويقولُ تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعَام: ١٦٠]. وَيَقُولُ سبحانهُ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٩٧].

وخلاصةُ القولِ: إنَّ شكرَ المسلمِ ربَّهُ علَىٰ نعمهِ، وحياءهُ منهُ تعالَىٰ عندَ الميلِ إلَىٰ معصيتهِ، وصدقَ الإنابةِ إليهِ، والتَّوكّلَ عليهِ ورجاءَ رحمتهِ، والخوفَ منْ نقمتهِ وحسنَ الظَّنِّ بهِ فِي إنجازِ وعدهِ، وإنفاذِ وعيدهِ فيمنْ شاءَ منْ عبادهِ؛ هوَ أدبهُ معَ اللهِ، وبقدرِ تمسُّكهِ بهِ ومحافظتهِ عليه تعلُو درجتهُ، ويرتفعُ مقامهُ وتسمُو مكانتهُ، وتعظمُ كرامتهُ فيصبحُ منْ أهلِ ولايةِ اللهِ ورعايتهِ، ومحطَّ رحمتهِ ومنزلَ نعمتهِ. وهذاَ أقصَىٰ مَا يطلبهُ المسلمُ ويتمنَّاهُ طولَ الحياةَ.

اللَّهمَّ ارزقنا ولايتكَ، ولا تحرمنَا رعايتكَ، واجعلنا لديك من المقرَّبينَ، يا ألله يا ربَّ العَالمينَ..

الفصل الثَّالثُ

الأدبُ معَ كلامِ اللهِ تعالَى -القرآنُ الكريمُ-

يُؤمنُ المسلمُ بقدسيَّةِ كلامِ اللهِ تعالَىٰ، وشرفهِ وأفضليَّتهِ علَىٰ سائرِ الكلامِ، وأنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ اللهِ الَّذِي لَا يأتيهِ الباطلُ منْ بينِ يديهِ ولَا مِنْ خلفهِ، مَنْ قالَ بهِ صدقَ، ومَنْ حكمَ بهِ عدلَ، وأنَّ أهلهُ هـمْ أهل اللهِ وخاصَّتهُ، والمتمسِّكونَ بهِ ناجونَ فائزونَ، والمعرضونَ عنهُ هلكَىٰ خاسرونَ.

ويزيدُ فِي إيمانِ المسلمِ بعظمةِ كتابِ اللهِ ﷻ وقدسيَّتهِ وشرفهِ مَا وردَ فِي فضلهِ عنِ المنزَّلِ عليهِ، والموحىٰ بهِ إليهِ صفوةِ الخلقِ سيِّدنَا محمَّدٍ بنِ عبد اللهِ ورسولِ اللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وصحبهِ وسلَّمَ، فِي مثلِ قولهِ: «**اقرأوا القرآنَ فإنَّهُ يجيءُ يومَ القيامةِ شفيعًا لصاحبهِ**»[(١)]. وقولهِ: «خيركمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمهُ»[(٢)]. وقولهِ ﷺ: «أهلُ القرآنِ أهلُ اللهِ وخاصَّتهُ»[(٣)]. وقولهِ: «إنَّ القلوبَ تصدأُ كما يصدأُ الحديدُ» فقيلَ: يَا رسولَ اللهِ ومَا جلاؤهَا؟ فقالَ: «(تلاوةُ القرآنِ، وذكرُ الموتِ»[(٤)]. وقدْ جاءَ مرَّةً إلَىٰ الرَّسولِ ﷺ أحدُ خصومه الألدَّاءُ يقولُ: يَا محمَّدُ! اقرأْ عليَّ القرآن، فيقرأُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٢) كتاب صلاة المسافرين.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٢٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٨). وورد في ميزان الاعتدال (٤٨٢٠).

(٤) رواه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف. وورد في ميزان الاعتدال (٩٠٨٥). وكنزل العمال (٣٩٢٤).

عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ﴾ [النحل: ٩٠]. الآيةُ. ولمْ يفرغِ الرَّسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ تلاوتهَا حتَّىٰ يطالبَ الخصمُ الألدُّ بإعادتهَا مدهوشًا بجلالِ لفظهَا، وقدسيَّةِ معانيهَا، مأخوذًا ببيانهَا، مجذوبًا بقوَّةِ تأثيرهَا، ولمْ يلبثْ أنْ رفعَ عقيرتَهُ بتسجيل اعترافهِ، وتقريرِ شهادتهِ بقدسيَّةِ كلام اللهِ وعظمتهِ، إذْ قالَ بالحرفِ الواحدِ: واللهِ إنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أسفلهُ لمورقٌ، وإنَّ أعلاه لمثمرٌ، ومَا يقولُ هذَا بشرٌ![1]

ولهذَا كانَ المسلمُ زيادةً علَىٰ أنَّهُ يحلُّ حلالهُ ويحرِّمُ حرامهُ، ويلتزمُ بآدابهِ والتَّخلُّقِ بأخلاقهِ، فإنَّه يلتزمُ عندَ تلاوتهِ بالآدابِ التَّاليةِ:

١- أنْ يقرأهُ علَىٰ أكملِ الحالاتِ، منْ طهارةٍ، واستقبالِ القبلةِ، وجلوسٍ فِي أدبٍ ووقارٍ.

٢- أنْ يرتِّلهُ ولَا يسرعَ فِي تلاوتهِ، فلَا يقرؤهُ فِي أقلِّ منْ ثلاثِ ليالٍ؛ لقولهِ ﷺ: «مَنْ قرأ القرآنَ فِي أقلِّ منْ ثلاثِ ليالٍ لمْ يفقهه»[2]. وأمرَ الرَّسولُ -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- عبدَ اللهِ بنَ عمرَ رضي الله عنهما أنْ يختمَ القرآنَ فِي كلِّ سبعٍ، كمَا كانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ وعثمانُ بنُ عفَّانَ وزيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنهم يختمونهَ فِي كلِّ أسبوعٍ مرَّةً.

٣- أنْ يلتزمَ الخشوعَ عندَ تلاوتهِ، وأنْ يظهرَ الحزنَ وأنْ يبكيَ أوُ يتباكَىٰ إنْ لمْ يستطعِ البكاءَ، لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إنَّ هذَا القرآنَ نزلَ بحزنٍ، فإذَا قرأتموهُ فابكُوا، فإنْ لمْ تبكُوا فتباكُوا**»[3].

---

(١) الخصم الألد هو الوليد بن المغيرة، كما رواه البيهقي بإسناد جيد.

(٢) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي. ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٦٤، ١٩٣، ١٩٥).

(٣) رواه ابن ماجه (١٣٣٧) بإسناد جيد.

٤- أنْ يحسِّنَ صوتهُ بِهِ لقولهِ ﷺ: «**زيِّنُوا القرآنَ بأصواتكمْ**»[(١)].

وفِي قولهِ: «**ليسَ منَّا منْ لمْ يتغنَّ بالقرآنِ**»[(٢)]. وقولهِ: «**مَا أذنَ اللهُ لشيءٍ مَا أذنَ لنبيٍّ يتغنَّىٰ بالقرآنِ**»[(٣)].

٥- أنْ يسرَّ تلاوتهُ إنْ خشيَ علَىٰ نفسهِ رياءً أوْ سمعةً أوْ كانَ يشوِّشُ بِهِ علَىٰ مصلٍّ، لمَّا وردَ عنهُ ﷺ: «**الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصَّدقةِ**» ومنَ المعلومِ أنَّ الصَّدقةَ تستحبُّ سرِّيَّتهَا إلَّا أنْ يكونَ فِي الجهرِ فائدةٌ مقصودةٌ كحملِ النَّاسِ علَىٰ فعلهَا مثلًا، وتلاوةُ القرآنِ كذلكَ.

٦- أنْ يتلوهُ بتدبُّرٍ وتفكُّرٍ معَ تعظيمٍ لهُ واستحضارِ القلبِ وتفهُّمٍ لمعانيهِ وأسرارهِ.

٧- أنْ لَا يكونَ عندَ تلاوتهِ منَ الغافلينَ عنهُ المخالفينَ لهُ، إذْ إنَّهُ قدْ يتسبَّبُ فِي لعنِ نفسهِ بنفسهِ؛ لأنَّهُ إنْ قرأَ ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. أوْ ﴿لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. وكانَ كاذبًا أوْ ظالمًا فإنَّهُ يكونُ لاعنًا لنفسهِ، والرِّوايةُ التَّاليةُ تبيِّنُ مقدارَ خطإِ المعرضينَ عنْ كتابِ اللهِ الغافلينَ عنهُ المتشاغلينَ بغيرهِ، فقدْ رويَ أنَّهُ جاءَ فِي التَّوراةِ أنَّ اللهَ تعالَىٰ يقولُ: «أمَا تستحِي منِّي يأتيكَ كتابٌ منْ بعضِ إخوانكِ، وأنتَ فِي الطَّريقِ تمشِي، فتعدلُ عنِ الطَّريقِ وتقعدُ لأجلهِ وتقرؤهُ وتتدبَّرهُ حرفًا حرفًا، حتَّىٰ لَا يفوتكَ شيءٌ منهُ، وهذَا كتابِي أنزلتهُ إليكَ، انظرْ كيفَ فصَّلتُ لكَ فيهِ منَ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦). ورواه ابن ماجه (١٣٤٢). ورواه النسائي (٢/ ١٨٠). ورواه الحاكم (١/ ٥٧١). وصححه.

(٢) رواه البخاري (٩/ ١٨٨). وأبو داود (١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١). والإمام أحمد (١/ ١٧٢، ١٧٥، ١٧٩).

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢٣٦)، (٩/ ١٧٣، ١٩٣). ورواه مسلم (٣٤) كتاب صلاة المسافرين. ورواه الإمام أحمد (٢٧١).

القولِ، وكمْ كرَّرتُ عليكَ فيهِ لتتأمَّلَ طولهُ وعرضهُ ثمَّ أنتَ معرضٌ عنهُ، فكنتُ أهونَ عليكَ منْ بعضِ إخوانكَ . . يَا عبدِي! يقعدُ إليكَ بعضُ إخوانكَ فتقبلُ إليهِ بكلِّ وجهكَ، وتصغِي إِلَىٰ حديثهِ بكلِّ قلبكَ، فإنْ تكلَّمَ متكلِّمٌ أوْ شغلكَ شاغلٌ عنْ حديثهِ أومأتَ إليهِ أنْ كُفَّ، وهَا أنَا مقبلٌ عليكَ ومحدِّثٌ وأنتَ معرضٌ بقلبكَ عنِّي، أفجعلتنِي أهون عندكَ منْ بعضِ إخوانكَ؟!».

٨- يجتهدُ في أنْ يتَّصفَ بصفاتِ أهلهِ الَّذينَ همْ أهلُ اللهِ وخاصَّتهُ وأنْ يتَّسمَ بسماتهمْ كمَا قالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ينبغِي لقارئ القرآنِ أنْ يعرفَ بليلهِ إذِ النَّاسُ نائمونَ، وبنهارهِ إذِ النَّاسُ مفرطونَ، وببكائهِ إذِ النَّاسُ يضحكونَ، وبورعهِ إذِ النَّاسُ يخلطونَ، وبصمتهِ إذِ النَّاسُ يخوضونَ، وبخشوعهِ إذِ النَّاسُ يختالونَ، وبحزنهِ إذِ النَّاسُ يفرحونَ.

وقالَ محمَّدُ بنُ كعبٍ: كنَّا نعرفُ قارئَ القرآنِ بصفرةِ لونهِ (يشيرُ إِلَىٰ سهرهِ وطولِ تهجُّدهِ). وقالَ وهيبُ بنُ الوردِ: قيلَ لرجلٍ: ألا تنامُ؟ قالَ: إنَّ عجائبَ القرآنِ أطرنَ نومِي. وأنشدَ ذُو النُّونِ قولهُ:

منعَ القرآنُ بوعدهِ ووعيدهِ … مُقَلَ العيونِ بليلهَا لَا تهجعُ
فَهِمُوا عنِ الملكِ العظيمِ كلامهُ … فَهمًا تذلُّ لهُ الرِّقابُ وتخضعُ



الفصل الرَّابعُ

الأدبُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ

يشعرُ المسلمُ فِي قرارةِ نفسهِ بوجوبِ الأدبِ الكاملِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ وذلكَ للأسبابِ التَّاليةِ:

١- أنَّ اللهَ تعالَىٰ قدْ أوجبَ لهُ الأدبَ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- علَىٰ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ وذلكَ بصريحِ كلامهِ ﷻ إذْ قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١]. وقالَ سبحانهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ[1] أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]. وقالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ[2] ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]. وقالَ سبحانهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ [الحجرات: ٤-٥] وقالَ ﷻ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور: ٣٦]. وقالَ أيضًا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ [النور: ٦٢]. وقالَ سبحانهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ [النور: ٦٢]. وقالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ

---

(١) تحبطَ: تبطلُ.

(٢) امتحنَ: أخلصهَا.

فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢].

٢- أنَّ اللهَ تَعالَىٰ قدْ فرضَ علَىٰ المؤمنينَ طاعتهُ، وأوجبَ محبَّتهُ فقالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣]. وقالَ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وقالَ سبحانهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] وقالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. ومنْ وجبتْ طاعتهُ وحَرُمتْ مخالفتهُ لزمَ التَّأدُّبُ معهُ في جميع الأحوال.

٣- أنَّ اللهَ ﷻ قدْ حكَّمهُ فجعلهُ إمامًا وحاكمًا قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقالَ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]. وقالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ[1] بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقالَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ[2] حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والتَّأدُّبُ معَ الإمامِ والحاكمِ تفرضهُ الشَّرائعُ وتقرِّرهُ العقولُ ويحكمُ بهِ المنطقُ السَّليمُ.

٤- أنَّ اللهَ تعالَىٰ قدْ فرضَ محبَّتهُ علَىٰ لسانهِ فقالَ ﷺ: «**والَّذِي نفسِي بيدهِ لاَ يؤمنُ أحدكمْ حتَّىٰ أكونَ أحبَّ إليهِ منْ ولدهِ ووالدهِ والنَّاسِ أجمعينَ**»[3].

---

(١) شجرَ: أشكلَ عليهمْ واختلطَ منَ الأمورِ.
(٢) الأسوةُ: القدوةُ الصَّالحةُ.
(٣) رواه البخاري (١/ ١٠) ورواه النسائي (٨/ ١١٥).

ومنْ وجبتْ محبَّتُهُ وجبَ الأدبُ إزاءهُ، ولزمَ، ولزمَ التَّأدُّبُ معهُ.

٥- مَا اختصَّهُ بهِ ربُّه تعالَىٰ منْ جمالِ الخلَقِ والخُلقِ، ومَا حباهُ بهِ منْ كمالِ النَّفسِ والذَّات، فهوَ أجملُ مخلوقٍ وأكملهُ علَىٰ الإطلاق، ومنْ كانَ هذَا حالهُ كيفَ لا يجبُ التَّأدُّبُ معهُ.

هذهِ بعضُ موجباتِ الأدبِ معهُ ﷺ وغيرهَا كثيرٌ، ولكنْ كيفَ يكونُ الأدبُ، وبماذَا يكونُ؟ هذَا مَا ينبغِي أنْ يُعلمَ!

يكونُ الأدبُ معهُ ﷺ:

١- بطاعتهِ، واقتفاءِ أثرهِ، وترسُّمِ خطاهُ فِي جميعِ مسالكِ الدُّنيَا والدِّينِ.

٢- أنْ لَا يقدِّمَ علَىٰ حبِّهِ وتوقيرهِ وتعظيمهِ حبَّ مخلوقٍ أوْ توقيرهُ أوْ تعظيمهُ كائنًا منْ كانَ.

٣- موالاةُ مَنْ كانَ يوالِي، ومعاداةُ منْ كانَ يعادِي، والرِّضَا بمَا كانَ يرضَىٰ بهِ، والغضبُ لمَا كانَ يغضبُ لهُ.

٤- إجلالُ اسمهِ وتوقيرهُ عندَ ذكرهِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عليه، واستعظامهُ وتقديرُ شمائلهِ وفضائلهِ.

٥- تصديقهُ فِي كلِّ مَا أخبرَ بهِ منْ أمرِ الدِّينِ والدُّنيَا وشأنِ الغيبِ فِي الحياةِ الدُّنيَا وفِي الآخرةِ.

٦- إحياءُ سنَّتهِ وإظهارُ شريعتهِ، وإبلاغُ دعوتهِ، وإنفاذُ وصاياهُ.

٧- خفضُ الصَّوتِ عندَ قبرهِ، وفِي مسجدهِ لمنْ أكرمهُ اللهُ بزيارتهِ، وشرَّفهُ بالوقوفِ علَىٰ قبرهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلَىٰ آلهِ وصحبهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

٨- حبُّ الصَّالحينَ وموالاتهمْ بحبِّهِ، وبغضُ الفاسقينَ ومعاداتهمْ ببغضهِ.

هذهِ هيَ بعضُ مظاهرِ الآدابِ معهُ ﷺ.

فالمسلمُ يجتهدُ دائمًا فِي أدائهَا كاملةً، والمحافظةِ عليهَا تامَّةً؛ إذْ كمالهُ موقوفٌ عليهَا وسعادتهُ منوطةٌ بهَا، والمسؤولُ اللهُ ﷻ أنْ يوفِّقنَا للتَّأدُّبِ معَ نبيِّنَا وأنْ يجعلنَا منْ أتباعهِ وأنصارهِ وشيعتهِ وأنْ لَا يحرمنَا منْ شفاعتهِ .. اللَّهمَّ آمينَ!



الفصل الخامسُ

فِي الأدبِ معَ النَّفسِ

يُؤمنُ المسلمُ بأنَّ سعادتهُ فِي كلتَا حياتيهِ: الأولَىٰ، والثَّانيةِ، موقوفةٌ علَىٰ مدَىٰ تأديبِ نفسهِ، وتطييبِهَا، وتزكيتهَا، وتطهيرهَا، كمَا أنَّ شقاءهَا منوطٌ بفسادهَا، وتدسيتهَا وخبثهَا، وذلكَ للأدلَّةِ الآتيةِ:

قولهُ تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]. وقولهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ[1] ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ[2] وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ[3] وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ[4] وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ[5] أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٠-٤٢]. وقولـه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾. وقولُ الرِّسولِ ﷺ: «كلُّكمْ يدخلُ الجنّةَ إلَّا منْ أبَىٰ» قالُوا: ومنْ يأبَىٰ يَا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «مَنْ أطاعنِي دخلَ الجنَّةَ، ومنْ عصانِي فقدْ أبى». وقولهُ ﷺ: «كلُّ النَّاسِ يغدو

(١) يلج: يدخل.
(٢) سم الخياط: ثقبُ الإبرةِ.
(٣) مهاد: فِراشٌ.
(٤) غواش: أغطية كاللحف.
(٥) وُسْعَها: طاقتها.

فبائعٌ نفسَهُ فمعتقهَا أوْ موبقهَا»[(١)].

كمَا يؤمنُ المسلمُ بأنَّ مَا تطهرُ عليهِ النَّفسُ وتزكُو هوَ حسنةُ الإيمانِ، والعملُ الصَّالحُ، وأنَّ مَا تتدسَّىٰ بهِ وتخبثُ وتفسدُ هوَ سيِّئةُ الكفرِ والمعاصِي، قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هُود: ١١٤] وقولهُ: ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذَا أذنبَ ذنبًا كانَ نكتةٌ سوداءُ فِي قلبهِ، فإنْ تابَ ونزَع واستعتبَ صُقِلَ قلبهُ، وإنْ زادَ زادتْ حتَّىٰ تُغْلِقَ قلبَهُ. فذلكَ الرَّانُ الَّذِي قالَ اللهُ: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾»[(٢)]. وقولهُ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حيثمَا كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحهَا، وخالقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ»[(٣)].

منْ أجلِ هذَا يعيشُ المسلمُ عاملًا دائمًا علَىٰ تأديبِ نفسهِ وتزكيتهَا وتطهيرهَا، إذْ هيَ أولَىٰ منْ يؤدِّبُ، فيأخذهَا بالآدابِ المزكِّيةِ لهَا والمطهِّرةِ لأدرانهَا، كمَا يجنِّبهَا كلَّ مَا يدسِّيهَا، ويفسدهَا منْ سيِّئِ المعتقداتِ، وفاسدِ الأقوالِ والأفعالِ، يجاهدهَا ليلَ نهارَ، ويحاسبهَا فِي كلِّ ساعةٍ، يحملهَا علَىٰ فعلِ الخيراتِ، ويدفعهَا إلَىٰ الطَّاعةِ دفعًا، كمَا يصرفهَا عنِ الشَّرِّ والفسادِ صرفًا ويردُّهَا عنهمَا ردًّا .. ويتَّبعُ فِي إصلاحهَا وتأديبهَا لتطهرَ وتزكوَ الخطواتِ التَّاليةِ:

أ- **التَّوبةُ**: والمرادُ منهَا التَّخلِّي عنْ سائرِ الذُّنوبِ والمعاصِي، والنَّدمُ علَىٰ كلِّ ذنبٍ سالفٍ، والعزمُ علَىٰ عدمِ العودةِ إلَىٰ الذَّنبِ فِي مقبلِ العمرِ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة (١).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢٤٤). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٩٧). ورواه الترمذي وقال فيه حسن صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٠٣، ١٥٨، ٢٣٦) والترمذي (١٩٨٧) والحاكم (١/ ٥٤).

وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]. وقولهِ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. وقالَ رسولهُ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ توبُوا إِلَىٰ اللهِ فإنِّي أتوبُ إِلَىٰ اللهِ فِي اليوم مائةَ مرَّةٍ»(١). وقولهُ: «منْ تابَ قبْل أنْ تطلعَ الشَّمسُ منْ مغربهَا تابَ اللهُ عليهِ»(٢). وقولهُ: «إنَّ اللهَ ﷻ يبسطُ يدهُ باللَّيلِ ليتوبَ مسيءُ النَّهارِ، ويبسطُ يدهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مسيءُ اللَّيلِ حتَّىٰ تطلعَ الشَّمسُ منْ مغربهَا»(٣) وقولهُ: «للهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ عبدهِ المؤمنِ منْ رجلٍ فِي أرضٍ دوية(٤) مهلكةٍ معهُ راحلتهُ عليهَا طعامهُ وشرابهُ، فنامَ فاستيقظَ وقدْ ذهبتْ فطلبهَا حتَّىٰ أدركهُ العطشُ، ثمَّ قالَ أرجعُ إِلَىٰ مكانِي الَّذِي كنتُ فيهِ فأنامُ حتَّىٰ أموتَ فوضعَ رأسهُ علَىٰ ساعدهِ ليموتَ فاستيقظَ وعندهُ راحلتهُ وعليهَا زادهُ وطعامهُ وشرابُه؛ فاللهُ أشدُّ فرحًا بتوبةِ العبدِ المؤمنِ منْ هذَا براحلتهِ وزادهِ»(٥). ومَا رُويَ منْ أنَّ الملائكةَ هنَّأتْ آدمَ بتوبتهِ لمَّا تابَ اللهُ عليهِ(٦).

ب- **المراقبةُ**: وهيَ أنْ يأخذَ المسلمُ نفسهُ بمراقبةِ اللهِ تباركَ وتعالَىٰ، ويُلزمهَا إيَّاهَا فِي كلِّ لحظةٍ منْ لحظاتِ الحياةِ حتَّىٰ يتمَّ لهَا اليقينُ بأنَّ اللهَ مطَّلعٌ عليهَا، عالمٌ بأسرارهَا، رقيبٌ علَىٰ أعمالِها، قائمٌ عليهَا وعلَىٰ كلِّ نفسٍ بمَا كسبتْ، وبذلكَ تصبحُ مستغرقةً بملاحظةِ جلالِ اللهِ وكمالهِ، شاعرةً

---

(١) رواه مسلم (٤٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) رواه مسلم (٤٣) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) رواه مسلم (٣١) كتاب التوبة.

(٤) الدوية: فلاة خالية من الناس.

(٥) رواه مسلم (١) كتاب التوبة. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣١٦)، (٣/ ٢١٣).

(٦) الغزالي في الإحياء.

بالأنسِ فِي ذكرهِ، واجدةً الرَّاحةَ فِي طاعتهِ، راغبةً فِي جوارهِ، مقبلةً عليهِ، معرضةً عمَّا سواهُ. وهذَا معنَىٰ إسلامُ الوجهِ فِي قولهِ تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥]. وقولهِ سبحانهُ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ [لقمان: ٢٢]. وهوَ عينُ مَا دعَا إليهِ اللهُ تعالَىٰ فِي قولهِ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقولهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. وقولهِ سبحانهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١].

وقولهِ ﷺ: «**أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لمْ تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ**»[1].

وهوَ نفسُ مَا درجَ عليهِ السَّابقونَ الأوَّلونَ منْ سلفِ هذهِ الأمَّةِ الصَّالحِ إذْ أخذُوا بهِ أنفسهمْ حتَّىٰ تمَّ لهمُ اليقينُ، وبلغُوا درجةَ المقرَّبينَ، وهَا هِي ذِي آثارهمْ تشهدُ لهمْ:

١- **قيلِ للجُنيدِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: بمَ يستعانُ علَىٰ غضِّ البصرِ؟ قالَ: بعلمكَ أنَّ نظرَ النَّاظرِ إليكَ أسبقُ منْ نظركَ إلَىٰ المنظورِ لهُ.

٢- **قالَ سفيانُ الثَّوريُّ**: عليكَ بالمراقبةِ ممَّن لَا تخفَىٰ عليهِ خافيةٌ، وعليكَ بالرَّجاءِ ممَّنْ يملكُ الوفاءَ، وعليكَ بالحذرِ ممَّنْ يملكُ العقوبةَ.

٣- **قالَ ابنَ المباركِ لرجلٍ**: راقبِ اللهَ يَا فلانُ، فسألهُ الرَّجلُ عنِ المراقبةِ، فقالَ لهُ: كنْ أبدًا كأنَّكَ ترَىٰ اللهَ ﷻ.

٤- **قالَ عبدُ اللهِ بنُ دينَار**: خرجتُ معَ عمرَ بن الخطَّابِ إلَىٰ مكَّة فعرَّسنَا ببعض الطَّريق فانحدرَ علينَا راعٍ منَ الجبلِ، فقالَ لهُ عمرُ: يَا راعِي!

(١) متفق عليه بلفظ: أن تعبد، وبلفظ (اعبد الله) في مسند الإمام أحمد (٢/ ١٣٢) وفتح الباري (١١/ ٢٣٤) وحلية الأولياء (٦/ ١١٥).

بعنَا شاةً منْ هذهِ الغنمِ، فقالَ الرَّاعِي: إنَّه مملوكٌ؛ فقالَ لهُ عمرُ: قلْ لسيِّدكَ: أكلهَا الذِّئبُ، فقالَ العبدُ: أينَ اللهُ؟ فبكَىٰ عمرُ، وغدَا علَىٰ سيِّدِ الرَّاعِي فاشتراهُ منهُ وأعتقهُ.

٥- حكيَ عنْ بعضِ الصَّالحينَ أنَّهُ مرَّ بجماعةٍ يترامونَ، وواحدٍ جالسٍ بعيدًا عنهمْ فتقدَّمَ إليهِ وأرادَ أنْ يكلِّمهُ، فقالَ لهُ: ذكرُ اللهِ أشهَىٰ، قالَ: أنتَ وحدكَ؟ فقالَ: معِي ربِّي وملكَاي، قالَ لهُ: منْ سبقَ منْ هؤلاءِ؟ فقالَ: منْ غفرَ اللهُ لهُ، قالَ: أينَ الطَّريقُ؟ فأشارَ نحوَ السَّماءِ، وقامَ ومشَىٰ.

وأنشدَ بعضهمْ:

إذَا مَا خلوتَ الدهرَ يومًا فلَا تقلْ ... خلوتُ، ولكنْ قلْ عليَّ رقيبُ
ولَا تحسبنَّ اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولَا أنَّ مَا تُخفِي عليهِ يغيبُ
ألمْ ترَ أنَّ اليومَ أسرعُ ذاهبٍ ... وأنَّ غدًا للنَّاظرينَ قريبُ

ج- **المحاسبةُ**: وهيَ أنَّهُ لمَّا كانَ المسلمُ عاملًا فِي هذهِ الحياةِ ليلَ نهارَ علَىٰ مَا يسعدهُ فِي الدَّارِ الآخرةِ، ويؤهِّلهُ لكرامتهَا ورضوانِ اللهِ فيهَا، وكانتَ الدُّنيَا هيَ موسمُ عملهِ، كانَ عليهِ أنْ ينظرَ إلَىٰ الفرائضِ الواجبةِ عليهِ كنظرِ التَّاجرِ إلَىٰ رأسِ مالهِ، وينظرَ إلَىٰ النَّوافلِ نظرَ التَّاجرِ إلَىٰ الأرباحِ الزَّائدةِ علَىٰ رأس المالِ، وينظرَ إلَىٰ المعاصِي والذُّنوبِ كالخسارةِ فِي التِّجارةِ، ثمَّ يخلوَ بنفسهِ ساعةً منْ آخرِ كلِّ يوم يحاسبُ فيهَا نفسهُ علَىٰ عملِ يومهِ، فإنْ رأىٰ نقصًا فِي الفرائضِ لامهَا ووبَّخهَا، وقامَ إلَىٰ جبرهِ فِي الحالَ. فإنْ كانَ ممَّا يُقضَىٰ قضاهُ، وإنْ كانَ ممَّا لَا يقضَىٰ جبرهُ بالإكثارِ مِنَ النَّوافلِ، وإنْ رأَىٰ نقصًا فِي النَّوافلِ عوَّضَ النَّاقصَ وجبرهُ، وإنْ رأَىٰ خسارةً بارتكابِ المنهيِّ استغفرَ وندمَ وأنابَ وعملَ منَ الخير مَا يراهُ مصلحًا لمَا أفسدَ.

هذَا هوَ المرادُ مِنَ المحاسبةِ للنَّفسِ، وهيَ إحدَىٰ طرقِ إصلاحهَا، وتأديبهَا وتزكيتهَا وتطهيرهَا.

وأدلَّتهَا مَا يأتِي:

قالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] فقولهُ تعالىٰ: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ هوَ أمرٌ بالمحاسبةَ للنَّفسِ علَىٰ ما قدَّمتْ لغدهَا المنتظَرِ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقالَ ﷺ: «**إنِّي لأتوبُ إلَىٰ اللهِ، وأستغفرهُ فِي اليومِ مائةَ مرَّةٍ**»(١).

وقالَ عمرُ رضي الله عنه: حاسبُوا أنفسكمْ قبلَ أنْ تحاسبُوا(٢).

وكانَ رضي الله عنه: إذَا جنَّ عليهِ اللَّيلُ يضربُ قدميهِ بالدِّرَّةِ (عصًا) ويقُول لنفسهِ: ماذَا عملتِ اليومَ؟

وأبُو طلحةَ رضي الله عنه لمَّا شغلتهُ حديقتهُ عنْ صلاتِه خرجَ منهَا صدقةً للهِ تعالَىٰ، فلمْ يكنْ هذَا منهُ إلَّا محاسبةً لنفسهِ، وعتابًا لهَا وتأديبًا.

وحكيَ عنِ الأحنفِ بنِ قيسٍ أنَّهُ كانَ يجيءُ إلَىٰ المصباحِ فيضعُ أصبعهُ فيهِ حتَّىٰ يحسَّ بالنَّارِ، ثمَّ يقولُ لنفسهِ يَا حنيفُ مَا حملكَ علَىٰ مَا صنعتَ يومَ كذَا؟ مَا حملكَ علَىٰ مَا صنعتَ يومَ كذَا؟

وحكيَ أنَّ أحدَ الصَّالحينَ كانَ غازيًا فتكشَّفتْ لهُ امرأةٌ فنظرَ إليهَا فرفعَ يدهَ، ولطمَ عينهُ ففقأهَا، وقالَ: إنَّكِ للحَّاظةٌ إلَىٰ مَا يضرُّكِ!

---

(١) فِي مسلم بلفظِ: إنَّهُ «ليغانُ علَىٰ قلبي، وإنِّي لأستغفرُ اللهَ فِي كلِّ يومِ مائةَ مرَّةٍ» وبهذَا اللَّفظِ رواهُ أبو داودُ.

(٢) وفِي هذَا المعنَىٰ مَا رواهُ التِّرمذيُّ بسندٍ حسنٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «الكيِّسُ منْ دانَ نفسهُ وعملَ لمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ منْ أتبعَ نفسهُ هواهَا وتمنَّىٰ علَىٰ اللهِ الأمانيَّ».

ومرَّ بعضهمْ بغرفةٍ فقالَ: متَىٰ بنيتْ هذهِ الغرفةُ؟ ثمَّ أقبلَ علَىٰ نفسهِ فقالَ: تسألينِي عمَّا لَا يعنيكِ لأعاقبنَّكِ بصومِ سنةٍ فصامهَا. ورويَ أنَّ أحدَ الصَّالحينَ كانَ ينطلقُ إلَىٰ الرَّمضاءِ فيتمرَّغُ فيهَا ويقولُ لنفسهِ: ذوقِي، ونارُ جهنَّمَ أشدُّ حرًّا، أجيفةٌ باللَّيلِ بطَّالةٌ بالنَّهارِ؟

وإنَّ أحدهمْ رفعَ يومًا رأسهُ إلَىٰ سطحٍ فرأَىٰ امرأةً فنظرَ إليهَا فأخذَ علَىٰ نفسهِ أنْ لَا ينظرَ إلَىٰ السَّماءِ مَا دامَ حيًّا.

هكذاَ كانَ الصَّالحونَ منْ هذهِ الأمَّةِ يحاسبونَ أنفسهمْ عنْ تفريطهَا، ويلومونهَا علَىٰ تقصيرهَا، يلزمونهَا التَّقوَىٰ، وينهونهَا عنِ الهوَىٰ عملًا بقولهِ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٤٠-٤١].

د- **المجاهدةُ**: وهيَ أنْ يعلمَ المسلمُ أنَّ أعدَىٰ أعدائهِ إليهِ هوَ نفسهُ الَّتِي بينَ جنبيهِ، وأنَّهَا بطبعهَا ميَّالةٌ إلَىٰ الشَّرِّ، فرَّارةٌ منَ الخيرِ، أمَّارةٌ بالسُّوءِ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: ٥٣]، تحبُّ الدَّعةَ والخلودَ إلَىٰ الرَّاحةِ، وترغبُ فِي البطالةِ وتنجرفُ معَ الهوَىٰ؛ تستهويهَا الشَّهواتُ العاجلةُ وإنْ كانَ فيهَا حتفهَا وشقاؤهَا.

فإذَا عرفَ المسلمُ هذَا؛ عبَّأَ نفسهُ لمجاهدةِ نفسهِ فأعلنَ عليهَا الحربَ وشهرَ ضدَّهَا السِّلاحَ وصمَّمَ علَىٰ مكافحةِ رعوناتهَا، ومناجزةِ شهواتهَا، فإذَا أحبَّتِ الرَّاحةَ أتعبهَا، وإذَا رغبتْ فِي الشَّهوةِ حرَمهَا، وإذَا قصَّرتْ فِي طاعةٍ أوْ خيرٍ عاقبهَا ولامهَا، ثم ألزمهَا بفعلِ مَا قصَّرتْ فيهِ، وبقضاءِ مَا فوَّتتهُ أوْ تركتهُ. يأخذهَا بهذَا التَّأديبِ حتَّىٰ تطمئنَّ وتطهُرَ وتطيبَ، وتلكَ غايةُ المجاهدةِ للنَّفسِ. قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكبُوت: ٦٩].

والمسلمُ إذْ يجاهدُ نفسهُ فِي ذاتِ اللهِ لتطيبَ وتطهرَ وتزكوَ وتطمئنَّ، وتصبحَ أهلًا لكرامةِ اللهِ تعالَىٰ ورضاهُ؛ يعلمُ أنَّ هذَا هوَ دربُ الصَّالحين وسبيلُ المؤمنينَ الصَّادقينَ فيسلكهُ مقتديًا بهمْ ويسيرُ معهُ مقتفيًا آثارهمْ.

فرسولُ اللهِ ﷺ قامَ اللَّيلَ حتَّىٰ تفطَّرتْ قدماهُ الشَّريفتانِ، وسُئل عليه السلام فِي ذلكَ فقالَ: «**أفلَا أحبُّ أنْ أكونَ عبدًا شكورًا؟**»(١). أيُّ مجاهدةٍ أكبرُ منْ هذهِ المجاهدةِ وايمُ اللهِ؟! وعليٌّ رضي الله عنه يتحدَّثُ عنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فيقولُ: «**واللهِ لقدْ رأيتُ أصحابَ محمَّدٍ ﷺ ومَا أرىٰ شيئًا يشبههمْ كانُوا يصبحونَ شعثًا غبرًا صفرًا قدْ باتُوا سجَّدًا وقيامًا، يتلونَ كتابَ اللهِ يراوحونَ بينَ أقدامهمْ وجباههمْ، وكانُوا إذَا ذُكرَ اللهُ مادُوا كمَا يميدُ الشَّجرُ فِي يومِ الرِّيحِ، وهملتْ أعينهمْ حتَّىٰ تبلَّ ثيابهمْ**».

وقالَ أبو الدَّرداءِ رضي الله عنه: «**لولَا ثلاثٌ مَا أحببتُ العيشَ يومًا واحدًا: الظَّمأُ للهِ بالهواجرِ، والسُّجودُ لهُ فِي جوفِ اللَّيلِ، ومجالسةُ أقوامٍ ينتقونَ أطاييبِ الكلامِ كمَا ينتقَىٰ أطايبُ الثَّمرِ**».

وعاتبَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه نفسَهُ علَىٰ تفويتِ صلاةِ عصرٍ فِي جماعةٍ، وتصدَّقَ بأرضٍ منْ أجلِ ذلكَ تقدَّرُ قيمتهَا بمائتَي ألفِ درهمٍ. وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضي الله عنهما إذَا فاتتهُ صلاةٌ فِي جماعةٍ أحيَا تلكَ اللَّيلةَ بكاملهَا، وأخَّرَ يومًا صلاةَ المغربِ حتَّىٰ طلعَ كوكبانِ فأعتقَ رقبتينِ. وكانَ عليٌّ رضي الله عنه يقولُ: «**رحمَ اللهُ أقوامًا يحسبهمُ النَّاسُ مرضَىٰ، ومَا همْ بمرضَىٰ، وذلكَ منْ آثارِ مجاهدةِ النَّفسِ**».

والرَّسولُ ﷺ يقولُ: «**خيرُ النَّاسِ منْ طالَ عمرهُ، وحسُنَ عملُهُ**»(٢).

---

(١) في صحيح البخاري كتاب التهجد (٦) ومسلم كتاب المنافقين (٧٩/ ٨١) وغيرهما.

(٢) الترمذي (٢٣٢٩) وحسنه.

وكانَ أويسٌ القرنيُّ -رحمهُ اللهُ تعالَىٰ- يقولُ: «**هذهِ ليلةُ الرُّكوعِ فيحيِي اللَّيلَ كلَّهُ فِي ركعةٍ، وإذَا كانتِ اللَّيلةُ الآتيةُ قالَ: هذهِ ليلةُ السُّجودِ فيحيِي اللَّيلَ كلَّهُ فِي سجدةٍ**»(١).

وقالَ ثابتٌ البنَّانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أدركتُ رجالًا كانَ أحدهمْ يصلِّي فيعجزُ أنْ يأتيَ فراشهُ إلَّا حبوًا. وكانَ أحدهمْ يقومُ حتَّىٰ تتورَّمَ قدماهُ منْ طولِ القيامِ، ويبلغَ منَ الاجتهادِ فِي العبادةِ مبلغًا مَا لوْ قيلَ لهُ: القيامةُ غدًا مَا وجدَ مزيدًا. وكانَ إذَا جاءَ الشِّتاءُ يقومُ فِي السَّطحِ ليضربهُ الهواءُ الباردُ فلَا ينامُ، وإذَا جاءَ الصَّيفُ قامَ تحتَ السَّقفِ ليمنعهُ الحرُّ منَ النَّومِ، وكانَ بعضهمْ يموتُ وهوَ ساجدٌ**». وقالتِ امرأةُ مسروقٍ -رحمَهُ اللهُ تعالَىٰ-: «**كانَ مسروقٌ لَا يوجدُ إلَّا وساقاهُ منتفختانِ منْ طولِ القيامِ، واللهِ إنْ كنتُ لأجلسُ خلفهُ وهوَ قائمٌ يصلِّي فأبكِي رحمةً لهُ. وكانَ منهمْ منْ إذَا بلغَ الأربعينَ منْ عمرهِ طوَىٰ فراشهُ فلَا ينامُ عليهِ قطُّ**».

• ولا شك أن هذا الهدي من بعض السلف ليس هديًا عامًا للناس؛ فالهدي العام للناس هو ما كان عليه رسول الله ﷺ، وإنما هذه هي اجتهاداتهم فيما رأوه يُصلح قلبهم أوردناها للعظة والاعتبار لا لنقول أنها شيء يلزم الناس.

ويروَىٰ أنَّ امرأةً صالحةً منْ صالحِي السَّلفِ يقالُ لهَا «عجرةُ» مكفوفةَ البصر كانتْ إذَا جاءَ السَّحرُ نادتْ بصوتٍ لهَا محزونٍ: «**إليكَ قطعَ العابدونَ دُجَىٰ اللَّيالِي يستبقونَ إلَىٰ رحمتكَ، وفضلِ مغفرتكَ، فبكَ يَا إلهِي أسألكَ لَا بغيركَ أنْ تجعلنِي فِي أوَّلِ زمرةِ السَّابقينَ، وأنْ ترفعنِي لديكَ فِي علِّيِّينَ،**

(١) أورد هذه الآثار الطيبة الإمام الغزالي في الإحياء.

فِي درجةِ المقرَّبينَ، وأنْ تلحقنِي بعبادكَ الصَّالحينَ، فأنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ وأعظمُ العظماءِ، وأكرمُ الكرماءِ، يَا كريمُ، ثمَّ تخرُّ ساجدةً ولَا تزالُ تدعُو وتبكِي إلَىٰ الفجر».



الفصل السَّادسُ

فِي الأدبِ معَ الخلقِ

١ - الوالدانِ:

يؤمنُ المسلمُ بحقِّ الوالدينِ عليهِ وواجبِ برِّهمَا وطاعتهمَا والإحسانِ إليهمَا لَا لكونهمَا سببَ وجودهِ فحسبُ، أوْ لكونهمَا قدَّمَا لهُ منَ الجميلِ والمعروفِ مَا وجبَ معهُ مكافأتهمَا بالمثلِ، بلْ لأنَّ اللهَ ﷻ أوجبَ طاعتهمَا، وكتبَ علَىٰ الولدِ برَّهمَا والإحسانَ إليهمَا حتَّىٰ قرنَ ذلكَ بحقِّهِ الواجبِ لهُ منْ عبادتهِ وحدهُ دونَ غيرهِ فقالَ ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ[1] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. وقالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وقالَ الرَّسولُ ﷺ للرَّجلِ الَّذِي سألهُ قائلًا: منْ أحقُّ بحسنِ صحبتِي؟ قالَ: «**أمُّكَ**». قالَ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: «**أمُّكَ**». قالَ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: «**أمُّكَ**». قالَ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: «**أبوكَ**»[2].

---

(١) قضَىٰ أمرَ وألزمَ.

(٢) رواه البخاري (٨/ ١، ٢) ومسلم كتاب البر (٨/ ٢) وغيرهما.

وقالَ ﷺ: «**إنَّ اللهَ حرَّمَ عليكمْ عقوقَ الأمَّهاتِ، ومنعَ وهاتِ، ووأدَ البناتِ، وكرهِ لكمْ قيلَ وقالَ وكثرةَ السُّؤالِ، وإضاعةَ المالِ**»[(١)].

وقالَ ﷺ: «**ألَا أنبِّئكمْ بأكبرِ الكبائرِ؟**» قالُوا: بلَىٰ يَا رسولَ اللهِ، قالَ: «**الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدينِ**» وكانَ متَّكئًا فجلسَ وقالَ: «**ألا وقولُ الزُّورِ وشهادةُ الزُّورِ، ألَا وقولُ الزُّورِ وشهادةُ الزُّورِ، فمَا زالَ يقولهُا حتَّىٰ قَال أبُو بكرةَ: قلتُ: ليتهُ سكتَ**»[(٢)]

وقالَ ﷺ: «**لَا يجزِي ولدٌ والدًا إلَّا أنْ يجدهُ مملوكًا فيشتريهُ فيعتقهُ**»[(٣)].

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﵁: سألتُ النَّبيَّ ﷺ أيُّ العملِ أحبُّ إلَىٰ الله تعالَىٰ؟ قالَ: «**برُّ الوالدين**» قلتُ: ثمَّ أيُّ؟ قالَ: «**الجهادُ في سبيلَ اللهِ**».

وجاءَ رجلٌ إليه -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- يستأذنهُ فِي الجهادِ فقالَ: «أحيٌّ والداكَ؟» قالَ: نعمْ، قالَ: «**ففيهمَا فجاهدْ**»[(٤)].

وجاءَ رجلٌ منَ الأنصارِ فقالَ: يَا رسولَ اللهِ هلْ بقيَ عليَّ شيءٌ منْ برِّ أبويَّ بعدَ موتهمَا أبرُّهمَا بهِ؟ قالَ: «**نعمْ، خصالٌ أربعُ: الصَّلاةُ عليهمَا والاستغفارُ لهمَا، وإنفاذُ عهدهمَا، وإكرامُ صديقهمَا، وصلةُ الرَّحمِ الَّتِي لَا رحمَ إلَّا منْ قِبلهَا، فهوَ الَّذِي بقيَ عليكَ منْ برِّهمَا بعدَ موتهمَا**»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٥٧)، (٨/ ٤). ورواه مسلم (١١) كتاب الأقضية.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٧٦) والترمذي (٢٣٠١).

(٣) رواه أبو داود (١٣٠) كتاب الآداب. ورواه الترمذي (١٩٠٦). ورواه ابن ماجه (٣٦٥٩). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٣٠، ٢٦٣، ٣٧٦، ٤٤٥).

(٤) رواه البخاري (٤/ ٧١). ورواه مسلم (٥) كتاب البر والصلة. ورواه النسائي (٦/ ١٠).

(٥) رواه أبو داود في صحيحه. وذكره الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٨).

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنَّ منْ أبرِّ البرِّ أنْ يصلَ الرَّجلُ أهلَ وُدِّ أبيهِ بعدَ أنْ يولِّيَ الأبُ**»[1].

والمسلمُ إذْ يعترفُ بهذَا الحقِّ لوالديهِ ويؤدِّيهِ كاملًا طاعةً للهِ تعالَىٰ، وتنفيذًا لوصيَّتهِ فإنَّهُ يلتزمُ كذلكَ إزاءَ والديهِ بالآدابِ الآتيةِ:

١- طاعتهمَا فِي كلِّ مَا يأمرانِ بهِ، أوْ ينهيانِ عنهُ ممَّا ليسَ فيهِ غياب لمصلحة شرعية، أو فساد عقلي أو معصيةٌ للهِ تعالَىٰ ومخالفةٌ لشرعتهِ إذْ لَا طاعةَ لمخلوقٍ فِي معصيةِ الخالقِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إنَّمَا الطاعةُ في المعروفِ**» وقولهِ ﷺ: «**لَا طاعةَ لمخلوقٍ فِي معصية الخالقِ**».

٢- توقيرهمَا وتعظيمُ شأنهمَا، وخفضُ الجناحِ لهمَا، وتكريمهمَا بالقولِ وبالفعلِ، فلَا ينهرهمَا، ولَا يرفعُ صوتهُ فوقَ صوتهمَا، ولَا يمشِي أَمامهمَا، ولَا يؤثرُ عليهمَا زوجةً ولَا ولدًا، ولَا يدعوهما باسمهمَا، بلِ بيَا أبِي ويَا أمِّي، ولَا يسافرُ إلَّا بإذنهمَا ورضاهمَا **ما لم تظهر مصلحة أكبر.**

٣- برُّهمَا بكلِّ مَا تصلُ إليهِ يداهُ، وتتَّسعُ لهُ طاقتهُ منْ أنواعِ البرِّ والإحسانِ، كإطعامهمَا وكسوتهمَا، وعلاجِ مريضهمَا، ودفع الأذَىٰ عنهمَا، وتقديمِ النَّفسِ فداءً لهمَا.

٤ - صلةُ الرَّحمِ الَّتِي لَا رحمَ لهُ إلَّا منْ قبِلهمَا والدُّعاءُ والاستغفارُ لهمَا وإنفاذُ عهدهمَا وإكرامُ صديقهمَا.

تنبيه: بعض الآباء ربما أساء لأولاده إساءة عظيمة تقتضي أن يتقوا شره، فلهم ذلك بلا تعمد أذىٰ، وليس هذا من العقوق.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٩٧٩).

٢ - الأولادُ:

المسلمُ يعترفُ بأنَّ للولدِ حقوقًا علَىٰ والدهِ يجبُ عليهِ أداؤهَا لهُ، وآدابًا يلزمهُ القيام بهَا إزاءهُ، وهيَ تتمثَّلُ فِي اختيارِ والدتهِ، وحسنِ تسميتهِ، وذبحِ العقيقةِ عنهُ يومَ سابعهِ، وختانهِ ورحمتهِ والرِّفقِ بهِ، والنَّفقةِ عليهِ، وحسنِ تربيتهِ، والاهتمامِ بتثقيفهِ وتأديبهِ وأخذهِ بتعاليم الإسلام وتمرينهِ علَىٰ أداءِ فرائضهِ وسننهِ وآدابهِ، حتَّىٰ إذَا بلغَ زوَّجهُ، ثمَّ خيَّرهُ بينَ أنْ يبقَىٰ تحتَ رعايتهِ، وبينَ أنْ يستقلَّ بنفسهِ، ويبنيَ مجدهُ بيدهِ وذلكَ لأدلَّةِ الكتابِ والسُّنَّةِ التَّاليةِ:

١- قولهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ففِي هذه الآيةِ الأمرُ بوقايةِ الأهلِ منَ النَّارِ وذلكَ بطاعةِ اللهِ تعالَىٰ، وطاعتُه تعالَىٰ تستلزمُ معرفةَ مَا يجبُ أنْ يطاعَ فيهِ تعالَىٰ، وهذَا لَا يتأتَّىٰ بغيرِ التَّعلُّمِ، ولمَّا كانَ الولدُ منْ جملةِ أهلِ الرَّجلِ كانتِ الآيةُ دليلًا علَىٰ وجوبِ تعليمِ الوالدِ ولدَهُ وتربيتهِ وإرشادهِ وحملهِ علَىٰ الخير والطَّاعةِ للهِ ولرسولهِ، وتجنيبهِ الكفرَ والمعاصي والمفاسدَ والشُّرورَ ليقيَهُ بذلكَ عذابَ النَّارِ.

كمَا أنَّ فِي الآيةِ الأولَي: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ الآية، دليلُ وجوبِ نفقةِ الولدِ علَىٰ الوالِدِ؛ إذِ النَّفقةُ الواجبةُ للمرضعةِ كانتْ بسببِ إرضاعهَا الولدَ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ(١)﴾ [الإسراء: ٣١].

(١) إملاق: خوف الفقر.

١- قولهُ ﷺ لمَّا سئلَ عنْ أعظمِ الذُّنوبِ: «**أنْ تجعلَ للهِ ندًّا وهوَ خلقكَ، وأنْ تقتُل ولدكَ خشيةَ أنْ يطعمَ معكَ، وأنْ تزانِي بحليلةِ جاركَ**»[١]

فالمنعُ منْ قتلِ الأولادِ مستلزمٌ لرحمتهمْ والشَّفقةِ عليهمْ والمحافظةِ علَىٰ أجسامهمْ وعقولهمْ وأرواحهمْ، وقالَ ﷺ في العقيقةِ علَىٰ الولدِ: «**الغلامُ مرتهنٌ بعقيقةٍ تذبحُ عنهُ يومَ السَّابعِ، ويسمَّىٰ فِيهِ ويحلقُ رأسهُ**»[٢].

وقالَ: «**الفطرةُ خمسٌ: الختانُ، والاستحدادُ، وقصُّ الشَّاربِ، وتقليمُ الأظفارِ ونتفُ الإبطِ**»[٣].

وقالَ: «**أكرمُوا أولادكمْ وأحسنُوا أدبهمْ، فإنَّ أولادكمْ هديَّةٌ إليكمْ**»[٤]

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ساوُوا بينَ أولادكُم في العطيَّةِ، فلوْ كنتُ مفضِّلًا أحدًا لفضَّلتُ النِّساءَ**»[٥].

وقالَ: «**مرُوا أولادكمْ بالصَّلاةِ وهمِ أبناءُ سبعِ سنينَ واضربوهمْ عليهَا وهمْ أبناءُ عشرِ سنينَ وفرِّقُوا بينهمْ فِي المضاجعِ**»[٦].

وجاءَ فِي الأثرِ: «**منْ حقِّ الولدِ علَىٰ الوالدِ أنْ يحسنَ أدبهُ، ويحسنَ اسمهُ**».

وقالَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**منْ حقِّ الولدِ علَىٰ الوالدِ أنْ يعلِّمهُ الكتابةَ والرِّمايةَ وأنْ لَا يرزقهُ إلَّا حلالًا طيِّبًا**».

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٢، ١٣٧)، (٨/ ٩، ٢٠٤). ورواه مسلم (١٤١) كتاب الإيمان. ورواه النسائي (٧/ ٨٩، ٩٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٣٧) ورواه الترمذي (١٥٢٢) وصححه.

(٣) رواه البخاري (٧/ ٢٠٦)، (٨/ ١٨). ورواه مسلم (٤٩، ٥٠) كتاب الطهارة. ورواه أبو داود (٤١٩٨) والنسائي (١/ ١٤) وابن ماجه (٢٩٢).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٦٧١) بسند ضعيف.

(٥) رواه البيهقي والطبراني وحسنه الحافظ بسنده.

(٦) رواه الحاكم (١/ ٢٥٨). ورواه الترمذي (٤٠٧) وحسنه.

ويروَىٰ عنهُ أيضًا قولهُ: «**تزوَّجُوا فِي الحجرِ الصَّالحِ، فإنَّ العرقَ دسَّاسٌ**».

وقدِ امتنَّ أعرابيٌّ علَىٰ أولادهِ باختيارِ أمِّهِمْ فقالَ:

وأوَّلُ إحسانِي إليكمْ تخيُّرِي لماجدةِ الأعراقِ بادٍ عفافُهَا

٣ - الإخوةُ:

المسلمُ يرَىٰ أنَّ الأدبَ معَ الإخوةِ كالأدبِ معَ الآباءِ والأبناءِ سواءً، فعلَىٰ الإخوةِ الصِّغارِ منَ الأدبِ نحوَ إخوتهمُ الكبارِ مَا كانَ عليهمْ لآبائهمْ، وأنَّ علَىٰ الإخوةِ الكبارِ نحوَ إخوتهمِ الصِّغارِ مَا كانَ لأبويهمْ عليهمْ منْ حقوقٍ وواجباتٍ وآدابٍ وذلكَ لمَا وردَ: «**حقُّ كبيرِ الإخوةِ علَىٰ صغيرهمْ كحقِّ الوالدِ علَىٰ ولدهِ**»[١].

ولقولهِ ﷺ: «**برَّ أمَّكَ وأباكَ، ثمَّ أختكَ وأخاكَ، ثمَّ أدناكَ أدناكَ**»[٢].

٤ - الزَّوجانِ:

المسلمُ يعترفُ بالآدابِ المتبادلةِ بينَ الزَّوجِ وزوجتهِ، وهيَ حقوقُ كلٍّ منهمَا علَىٰ صاحبهِ، وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨]. فهذهِ الآيةُ الكريمةُ قدْ أثبتتْ لكلٍّ منَ الزَّوجينِ حقوقًا علَىٰ صاحبهِ وخصَّتِ الرَّجلَ بمزيدِ درجةٍ لاعتباراتٍ خاصَّةٍ. وقولِ الرَّسولِ ﷺ فِي حجَّةِ الوداعِ: «**ألَا إنَّ لكمْ علىٰ نسائكمْ حقًّا، ولنسائكمْ عليكمْ حقًّا**»[٣].

---

(١) رواه البيهقي وهو ضعيف. وورد في كنز العمال (٤٥٤٧٣) ومشكاة المصابيح (٤٩٤٦).
(٢) رواه البزار بسند حسن. ورواه الحاكم (٤/ ١٥٠).
(٣) رواه الترمذي (١١٦٣) وصححه. وذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ١٧٣).

غيرَ أنَّ هذهِ الحقوقَ بعضهَا مشتركٌ بينَ كلٍّ منَ الزَّوجينِ، وبعضهَا خاصٌّ بكلٍّ منهمَا علَىٰ حدةٍ . . **فالحقوقُ المشتركةُ** هيَ:

١- **الأمانةُ**؛ إذْ يجبُ علَىٰ كلٍّ من الزَّوجينِ أنْ يكونَ أمينًا معَ صاحبهِ فلَا يخونهُ فِي قليلٍ ولَا كثيرٍ، إذِ الزَّوجانِ أشبهُ بشريكينِ فلا بدَّ منْ توفُّرِ الأمانةِ، والنُّصحِ والصِّدقِ والإخلاصِ بينهمَا فِي كلِّ شأنٍ منْ شؤونِ حياتهمَا الخاصَّةِ والعامَّةِ.

٢- **المودَّةُ والرَّحمةُ** بحيثُ يحملُ كلٌّ منهمَا لصاحبهِ أكبرَ قدرٍ منَ المودَّةِ الخالصةِ، والرَّحمةِ الشَّاملةِ يتبادلانهَا بينهمَا طيلةَ الحياةِ مصداقًا لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]. وتحقيقًا لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «منْ لَا يرحمُ لَا يرحمُ»(١).

٣- **الثِّقةُ المتبادلةُ** بينهمَا بحيثُ يكونُ كلٌّ منهمَا واثقًا فِي الآخرِ ولَا يخامرهُ أدنَىٰ شكٍّ فِي صدقهِ ونصحهِ وإخلاصهِ لهُ وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «لَا يؤمنُ أحدكمْ حتَّىٰ يحبَّ لأخيهِ مَا يحبُّ لنفسهِ»(٢). والرَّابطةُ الزَّوجيَّةُ لَا تزيدُ أخوَّةَ الإيمانِ إلَّا توثيقًا وتوكيدًا وتقويةً . . وبذلكَ يشعرُ كلٌّ منَ الزَّوجينِ أنَّهُ هوَ عينُ الآخرِ وذاتهُ، وكيفَ لَا يثقُ الإنسانُ فِي نفسهِ ولَا ينصحُ لهَا؟ أوْ كيفَ يغشُّ المرءُ نفسهُ ويخدعهَا؟

٤- **الآدابُ العامَّةُ** منْ رفقٍ فِي المعاملةِ، وطلاقةِ وجهٍ، وكرمِ قولٍ

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٩، ١٢). ورواه مسلم (٦٥) كتاب الفضائل. ورواه أبو داود (١٥٧) كتاب الأدب.

(٢) رواه البخاري (١/ ١٠). ورواه مسلم (١٧) كتاب الإيمان. ورواه الترمذي (٢٥١٥).

وتقديرٍ واحترامٍ، وهيَ المعاشرةُ بالمعروفِ الَّتِي أمرَ اللهُ بهَا فِي قولهِ تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩]. وهيَ الاستيصاءُ بالخيرِ الَّذِي أمرَ بهِ الرَّسولُ العظيمُ فِي قولهِ: «واستوصُوا بالنِّساءِ خيرًا»(١).

فهذهِ جملةٌ منَ الآدابِ المشتركةِ بينَ الزَّوجينِ، والَّتِي ينبغِي أنْ يتبادلاهَا بينهمَا عملًا بالميثاقِ الغليظِ الَّذِي أشيرَ إليْه فِي قولهِ تعالىٰ: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء: ٢١]. وطاعةً للهِ القائلِ سبحانهُ: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وأمَّا الحقوقُ المختصَّةُ، والآدابُ الَّتِي يلزمُ كلًّا منَ الزَّوجينِ أنْ يقومَ بهَا وحدهُ نحوَ زوجهِ فهيَ:

أولًا: حقوقُ الزوجةِ علَىٰ الزوجِ:

يجبُ علَىٰ الزَّوجِ إزاءَ زوجتهِ القيامُ بالآدابِ التاليةِ:

١- أنْ يعاشرهَا بالمعروفِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩] فيطعمهَا إذَا طعمَ، ويكسوهَا إذَا اكتسَىٰ، ويؤدِّبهَا إذَا خافَ نشوزهَا بمَا أمرَ اللهُ أنْ يؤدَّبَ النِّساءُ بأنْ يعظهَا فِي غيرِ سبٍّ ولَا شتمٍ ولَا تقبيحٍ، فإنْ أطاعتْ وإلَّا هجرهَا فِي الفراشِ، فإنْ أطاعتْ وإلَّا ضربهَا فِي غيرِ الوجهِ ضربًا غيرَ مبرِّحٍ، فلَا يسيِّلُ دمًا ولَا يشينُ جارحةً أوْ يعطِّلُ عملَ عضوٍ منَ الأعضاءِ عنْ أداءِ وظيفتهِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ(٢) فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤]. ولقولِ رسولِ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للَّذِي قالَ لهُ: مَا حقُّ

---

(١) رواه البخاري كتاب الأنبياء (١).

(٢) نشوزهن: ترفُّعهنَّ عنْ طاعتكمْ.

زوجةِ أحدنَا عليهِ؟ فقالَ: «أنْ تطعمهَا إنْ طعمتَ، وتكسوهَا إنِ اكتسيتَ، ولَا تضربِ الوجهَ، ولَا تقبِّحْ، ولَا تهجرْ إلَّا فِي البيتِ»[1] وقولهِ: «ألَا وحقُّهنَّ عليكمْ أن تحسنُوا إليهنَّ في كسوتهنَّ وطعامهنَّ» وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لَا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً -أيْ لَا يبغضهَا- إنْ كرهَ منهَا خُلقًا رضيَ آخرَ»[2].

٢- أنْ يعلِّمهَا الضَّروريَّ منْ أمورِ دينهِا إنْ كانتْ لَا تعلمُ ذلكَ، أوْ يأذنَ لهَا أنْ تحضرَ مجالسَ العلمِ لتتعلَّمَ ذلكَ؛ إذْ حاجتهَا لإصلاحِ دينهَا وتزكيةِ روحهَا ليستْ أقلَّ منْ حاجتهَا إلَىٰ الطَّعامِ والشَّرابِ الواجبِ بذلهمَا وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. والمرأةُ منَ الأهلِ ووقايتهَا منَ النَّارِ بالإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، والعملُ الصَّالحُ لَا بدَّ لهُ منَ العلمِ والمعرفةِ حتَّىٰ يمكنَ أداؤهُ والقيامُ بهِ علَىٰ الوجهِ المطلوبِ شرعًا، ولقولهِ ﷺ: «ألَا واستوصُوا بالنِّساءِ خيرًا فإنَّمَا هنَّ عوانٍ -أسيراتٌ- عندكُم»[3] ومنَ الاستيصاءِ بهَا خيرًا أنْ تعلم مَا تُصلحُ بهِ دينهَا وأنْ تُؤدَّبَ بمَا يكفلُ لهَا الاستقامةَ وصلاحَ الشَّأنِ.

٣- أنْ يأمرها بتعاليمِ الإسلامِ وآدابهِ؛ إذْ هوَ الرَّاعِي المسؤولُ عنهَا والمكلَّفُ بحفظهَا وصيانتهَا لقولهِ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «والرَّجلُ راعٍ فِي أهلهِ وهوَ مسؤولٌ عنْ رعيَّتهِ»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢) بإسناد حسن.
(٢) رواه مسلم (١٨) كتاب الرضاع، والإمام أحمد (٢/ ٣٢٩).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه البخاري (٢/ ٦)، (٣/ ١٩٦) والترمذي (١٧٠٥).

٤- أنْ يعدلَ بينهَا وبينَ ضرَّتهَا، إنْ كانَ لهَا ضرَّةٌ، يعدلَ بينهمَا فِي الطَّعامِ والشَّرابِ واللِّباسِ، والسَّكنِ والمبيتِ فِي الفراشِ، وأنْ لَا يحيفَ فِي شيءٍ منْ ذلكَ، أوْ يجورَ ويظلمَ إذْ حرَّمَ اللهُ سبحانهُ ذلكَ فِي قولهِ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النِّسَاءِ: ٣]. والرَّسولُ عليهِ أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ وصَّىٰ بهنَّ الخيرَ فقالَ: «خيركمْ خيركُم لأهلهِ، وأنَا خيركمْ لأهلِي»(١).

٥- أنْ لَا يفشيَ سرَّهَا، وألَّا يذكرَ عيبًا فيهَا، إذْ هوَ الأمينُ عليهَا، والمطالبُ برعايتهَا والذَّودِ عنهَا لقولهِ ﷺ: «إنَّ منْ شرِّ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً يومَ القيامةِ الرَّجلَ يفضِي إلَىٰ امرأتهِ وتفضِي إليهِ ثمَّ ينشرُ سرَّهَا»(٢).

ثانيًا: حقوقُ الزَّوجِ علَىٰ الزَّوجةِ:

يجبُ علَىٰ الزَّوجةِ نحوَ زوجهَا القيامُ بالحقوقُ والآدابِ الآتيةِ:

١- طاعتهُ فيما يتعلق بأمور الزواج، فِي غيرِ معصيةِ اللهِ تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النِّسَاءِ: ٣٤].

٢- صيانةُ عرضِ الزَّوجِ والمحافظةِ علَىٰ شرفهَا، ورعايةُ مالهِ وولدهِ وسائرِ شؤون منزلةِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النِّسَاءِ: ٣٤]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «والمرأةُ راعيةٌ علَىٰ بيتِ زوجهَا وولده»(٣). وقولهِ: «فحقُّكمْ عليهنَّ أنْ لَا يوطئنَ فرشكمْ منْ تكرهونَ، ولَا يأذنَّ فِي بيوتكُم لمنْ تكرهونَ».

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥). ورواه ابن ماجه (١٩٧٧). ورواه الدارمي (٢/ ١٥٩). ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٤٦٨) بإسناد حسن.

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح (٢١). وذكره صاحب كنزل العمال (٤٤٩٧٣).

(٣) سبق تخريجه.

١ - الأدبُ معَ الأقاربِ:

المسلمُ يلتزمُ لأقاربهِ وذوِي رحمهِ بنفسِ الآدابِ الَّتِي يلتزمُ بهَا لوالديهِ وولدهِ وإخوتهِ، فيعاملُ خالتهُ معاملةَ أمِّهِ، وعمَّتهُ معاملةَ أبيهِ، وكمَا يعاملُ الأبَ والأمَّ يعاملُ الخالَ والعمَّ فِي كلِّ مظهرٍ منْ مظاهرِ طاعةِ الوالدينِ وبرِّهمَا والإحسانِ إليهمَا. فكلُّ منْ جمعتهمْ وإيَّاهُ رحمٌ واحدةٌ منْ مؤمنٍ وكافرٍ اعتبرهمْ منْ ذوِي رحمهِ الواجبِ صلتهمْ وبرُّهمْ والإحسانُ إليهمْ، والتزمَ لهمْ بنفسِ الآدابِ والحقوقِ الَّتِي يلتزمُ بهَا لولدهِ ووالديهِ، فيوقِّرُ كبيرهمْ، ويرحمُ صغيرهمْ، ويعودُ مريضهمْ، ويواسِي منكوبهمْ، ويعزِّي مصابهمْ. يصلهمْ وإنْ قطعوهُ، ويلينُ لهمْ وإنْ قسوْا معهُ وجارُوا عليهِ. وكلُّ ذلكَ منهُ تمشِّيًا معَ مَا توحيهِ هذهِ الآياتُ الكريمةُ والأحاديثُ النَّبويَّةُ الشَّريفةُ وتأمرُ بهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]. وقالَ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. وقالَ تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]. وقالَ عزَّ منْ قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. وقالَ سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦]. وقولهُ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

وقالَ الرَّسولُ ﷺ: «**يقولُ اللهُ تعالىٰ**: «أنَا الرَّحمنُ، وهذهِ الرَّحمُ شققتُ لهَا اسمًا منَ اسمِي، فمنْ وصلهَا وصلتهُ ومنْ قطعهَا قطعتهُ»».

وقالَ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أحدُ أصحابهِ: منْ أَبِرُّ؟ فقالَ: «أمَّك، ثمَّ أمَّكَ، ثمَّ أمَّكَ، ثمَّ أباكَ، ثمَّ الأقربَ فالأقربَ».

وسُئلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عمَّا يُدخلُ الجنَّةَ منَ الأعمالِ، ويُباعدُ عنِ النَّارِ، فقال: «تعبدُ اللهَ ولَا تُشركُ بهِ شيئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتؤتِي الزَّكاةَ، وتصلُ الرَّحمَ»(١).

وقالَ فِي الخالةِ: «إنَّهَا بمنزلةِ الأمِّ»(٢). وقالَ: «الصَّدقةُ علَىٰ المسكينِ صدقةٌ وعلَىٰ ذِي الرَّحمِ صدقةٌ وصلةٌ»(٣). وقالَ لأسماءَ بنتِ أبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما وقدْ سألتهُ عنْ صلتهَا أمَّهَا حينمَا قدمتْ عليهَا منْ مكَّةَ مشركةً فقالَ لهَا: «نعمْ صلِي أمَّكِ».

تنبيه: بعض الأرحام قد يقع منهم أذىٰ وظلم شديد، فهؤلاء إذا حاول العبد إصلاح ذات البين فاستمر أذاهم= لم تجب عليه صلتهم.

وقد قطع رسول الله أبا لهب لأجل أذاه، ولم يقطعه لأجل كفره، وقد وصل رسول الله أبا طالب لأجل رحمه مع إحسانه وهو كافر.

فالرحم التي تضر وتؤذي وتظلم لا يجب وصلها، ولا يقال لمن قطعها أن عليه إثم قاطع الرحم..

قد قال رسول الله: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه». وفي رواية: «اتقاء شره»

ومن اختار الوصل فقد اختار الإحسان والفضل، والوصل لا يلزم منه أن يحبهم بل قد يصلهم لحصول الثواب وهو يبغضهم علىٰ ضررهم

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٣٠)، (٦١٨). ورواه مسلم (١٥) كتاب الإيمان. ورواه الترمذي (٢٦١٦).

(٢) رواه البخاري كتاب الصلح (٦).

(٣) رواه الترمذي (٦٥٨). ورواه ابن ماجه (١٨٤٤). ورواه الإمام أحمد (٤/ ٢١٤).

وظلمهم، ووصله لهم زيادة في إثمهم، كأنما يطعمهم الرماد الحار علىٰ معنىٰ ما ورد في الحديث.

• قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأجمع العلماء علىٰ أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يولد به علىٰ نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية».

٢ - الأدبُ معَ الجيرانِ:

المسلمُ يعترفُ بمَا للجارِ علَىٰ جارهِ منْ حقوقٍ وآدابٍ، يجبُ علَىٰ كلٍّ منَ المتجاورينِ بذلهَا لجارهِ وإعطاؤهَا لهُ كاملةً؛ وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النِّسَاءِ: ٣٦]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «مَا زالَ جبريلُ يوصينِي بالجارِ حتَّىٰ ظننتُ أنَّهُ سيورِّثُهُ»[١]. وقولهِ: «مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ جارهُ»[٢].

١- عدمُ أذيَّتهِ بقولٍ أوْ فعلٍ لقولهِ ﷺ: «**منْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلَا يؤذِي جارهُ**»[٣]. وقولهِ: «**واللهِ لَا يؤمنُ، واللهِ لَا يؤمنُ**» **فقيلَ لهُ: مَنْ هوَ يَا رسولَ اللهِ؟ فقالَ:** «**الَّذِي لَا يأمنُ جارهُ بوائقهُ**»[٤]. وقولهِ:

(١) رواه البخاري (٨/ ١٢). ورواه مسلم (٤٢) كتاب البر والصلة. ورواه الترمذي (١٩٤٢، ١٩٤٣).

(٢) رواه مسلم (٧٤) كتاب الإيمان. ورواه الإمام أحمد (٤/ ٣١)، (٦/ ٣٨٥). ورواه الدارمي (٢/ ٩٨).

(٣) رواه البخاري (٨/ ١٣، ٣٩، ١٢٥). ورواه مسلم (٧٥، ٧٦، ٧٧) كتاب الإيمان.

(٤) رواه البخاري (٨/ ١٢). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٨)، (٤/ ٣١). ورواه الحاكم (١/ ١٠).

«**هيَ فِي النَّارِ**»، للَّتِي قيلَ لهُ إنَّهَا تصومُ النَّهارَ وتقومُ اللَّيلَ، وتؤذِي جيرانَها[١].

٢- الإحسانُ إليهِ، وذلكَ بأنْ ينصرهُ إذَا استنصرهُ، ويعينهُ إذَا استعانهُ، ويعودهُ إذَا مرضَ، ويهنِّئهُ إذَا فرحَ، ويعزِّيهُ إذَا أصيبَ، ويساعدهُ إذَا احتاجَ، يبدؤهُ بالسَّلامِ، يلينُ لهُ الكلامَ، يتلطَّفُ في مكالمةِ ولدهِ، ويرشدهُ إلَىٰ مَا فيهِ صلاحُ دينهِ ودنياهُ، يرعَىٰ جانبهُ ويحمِي حماهُ، يصفحُ عنْ زلَّاتهِ، ولَا يتطلَّعُ إلَىٰ عوراتهِ، لَا يضايقهُ فِي بناءٍ أوْ ممرٍّ، ، ولَا يؤذيهِ بميزابٍ يصبُّ عليهِ، أوْ بقذرٍ أوْ وسخٍ يلقيهِ أمامَ منزلهِ، كلُّ هذَا منَ الإحسانِ إليهِ المأمورِ بهِ فِي قولِ اللهِ تعالَىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾. وقالَ الرَّسولُ ﷺ: «**منْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليحسنْ إلَىٰ جارهِ**»[٢].

٣- إكرامهُ بإسداءِ المعروفِ والخيرِ إليهِ لقولهِ ﷺ: «**يَا نساءَ المسلماتِ لَا تحقرنَّ جارةٌ لجارتهَا ولوْ فرسنَ شاةٍ**»[٣] وقولهِ لأبِي ذرٍّ: «**يَا أبَا ذرٍّ إذَا طبختَ مرقةً فأكثرْ ماءهَا وتعاهدْ جيرانكَ**»[٤]. وقولهِ لعائشةَ رضي الله عنها لمَّا قالتْ لهُ: إنَّ لِي جارينِ، فإلَىٰ أيِّهمَا أُهدِي؟ قالَ: «**إلَىٰ أقربهمَا منكِ بابًا**»[٥].

٤- احترامهُ وتقديرهُ، فلَا يمنعهُ أنْ يضعَ خشبةً فِي جدارهِ، ولَا يبيعُ أوْ يؤجِّرُ مَا يتصَّلُ بهِ، أوْ يقربُ منهُ حتَّىٰ يعرضَ عليهِ ذلكَ، ويستشيرهُ لقولِ

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٠). ورواه الحاكم (٤/ ١٦٦) وصحح إسناده.
(٢) رواه الدارمي (٢/ ٩٨).
(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٠١). ورواه مسلم (٩٠) كتاب الزكاة.
(٤) رواه مسلم (١٤٢) كتاب البر والصلة.
(٥) رواه البخاري (٣/ ١٥، ٢٠٨)، (٨/ ١٣). ورواه الإمام أحمد (٦/ ٢٣٩). ورواه الحاكم (٤/ ١٦٧).

الرَّسولِ ﷺ: «**لَا يمنعنَّ أحدكمْ جارهُ أنْ يضعَ خشبةً فِي جدارهِ**»(١) وقولهِ: «**منْ كانَ لهُ جارٌ فِي حائطٍ أوْ شريكٌ فلَا يبعْه حتَّىٰ يعرضهُ عليهِ**»(٢).

فائدتَان:

الأولَىٰ: يعرفُ المسلمُ نفسَهُ إذَا كانَ قدْ أحسنَ إلَىٰ جيرانهِ، أوْ أساءَ إليهم بقولِ الرَّسولِ ﷺ للَّذِي سألهُ عنْ ذلكَ: «إذَا سمعتَ جيرانكَ يقولونَ قدْ أحسنتَ، فقدْ أحسنتَ، وإذَا سمعتهمْ يقولونَ قدْ أسأتَ، فقدْ أسأتَ»(٣).

الثَّانيةُ: إذَا ابتليَ المسلمُ بجارِ سوءٍ فليصبرْ عليهِ فإنَّ صبرهُ سيكونُ سببَ خلاصهِ منهُ، فقدْ جاءَ رجلٌ إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ يشكُو جارَهُ فقالَ: «**اذهبْ فاصبرْ**» فأتاهُ مرَّتينِ أوْ ثلاثًا فقالَ: «**اطرحْ متاعكَ فِي الطَّريقِ**» فطرحهُ، فجعلَ النَّاسُ يمرُّونَ بهِ ويقولونَ: مالكَ؟ فيقولُ: آذانِي جارِي، فيلعنونَ جارهُ حتَّىٰ جاءهُ وقالَ لهُ: رُدَّ متاعكَ إلَىٰ منزلكَ فإنِّي واللهِ لَا أعودُ»(٤).

١ - آداب أخيك المسلمُ وحقوقهُ عليك:

المسلمُ يؤمنُ بمَا لأخيهِ المسلمِ منْ حقوقٍ وآدابٍ تجبُ لهُ عليهِ، فيلتزمُ بهَا ويؤدِّيهَا لأخيهِ المسلمِ، وهوَ يعتقدُ أنَّهَا عبادةٌ للهِ تعالَىٰ، وقربَةٌ يتقرَّبُ بهَا إليهِ ﷻ، إذْ هذهِ الحقوقُ والآدابُ أوجبهَا اللهُ تعالَىٰ علَىٰ المسلمِ ليقومَ بهَا نحوَ أخيهِ المسلمِ، فَفِعْلُهَا إذًا طاعةٌ للهِ، وقربةٌ لهُ بدونَ شكٍّ. ومنْ هذهِ الآدابِ والحقوقِ مَا يلِي:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٧٤، ٤٤٧). وذكره الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٦٨، ٦٩).
(٢) ذكر في كنز العمال (١٧٧١٤). ورواه الحاكم في المستدرك وصححه.
(٣) رواه الإمام أحمد (١/ ٤٠٢) بسند جيد.
(٤) رواه أبو داود (٥١٥٣) وهو صحيح.

١- أنْ يسلِّمَ عليهِ إذَا لقيهُ قبلَ أنْ يكلِّمهُ فيقولَ: السَّلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ، ويصافحهُ، ويردُّ المسلَّمُ عليهِ قائلًا: وعليكمُ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ؛ وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «يسلِّمُ الرَّاكبُ علىٰ الماشِي، والماشِي علىٰ القاعدِ، والقليلُ علىٰ الكثيرِ»(١). وقولهِ: «**إنَّ الملائكةَ تعجبُ من المسلمِ يمرُّ علَىٰ المسلمِ ولا يسلِّمُ عليهِ**»(٢).

وقولهِ: «**وتقرأُ السلامَ علىٰ من عرفتَ ومنْ لمْ تعرفْ**»(٣). وقولهِ: «**مَا منْ مسلمينِ يلتقيانِ فيتصافحانِ إلَّا غفرَ لهمَا قبلَ أن يتفرَّقَا**»(٤). وقولهِ: «**مَنْ بدأَ بالكلامِ قبلَ السَّلامِ فلا تجيبوهُ حتَّىٰ يبدأَ بالسَّلامِ**»(٥).

٢- أنْ يشمِّتهُ إذَا عطسَ بأنْ يقولَ له إذا حمدَ اللهَ تعالىٰ: «يرحمكَ اللهُ، ويردُّ العاطسُ عليهِ قائلًا: يغفرُ اللهُ لِي ولكَ، أوْ: يهديكمُ اللهُ ويصلحُ بالكمْ؛ لقولهِ ﷺ: «إذَا عطسَ أحدكمْ فليقلْ لهْ أخوهُ: يرحمكَ اللهُ، فإذَا قالَ لهُ: يرحمكَ اللهُ، فليقلْ لهُ: يهديكمُ اللهُ ويصلحُ بالكمْ»(٦).

وقالَ أبُو هريرةَ رضي الله عنه: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذَا عطسَ وضعَ يدهُ أوْ ثوبهُ علَىٰ فيهِ وخفضَ بهَا صوتَه(٧).

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٢). ورواه مسلم (١) كتاب السلام. ورواه أبو داود (٥١٩٩). ورواه الترمذي (٢٧٠٣).
(٢) قال الزين العراقي: لم أقف له علىٰ أصل.
(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان (٢٠) ومسلم كتاب الإيمان (٦٣).
(٤) رواه أبو داود (١٥٤) كتاب الأدب. ورواه ابن ماجه (٣٧٠٣). ورواه الترمذي (٢٧٢٧).
(٥) رواه الطبراني وأبو نعيم، وفي سنده لين. وورد في كنز العمال (٢٥٣٣٦). وعمل اليوم والليلة لابن السني (٢١٠).
(٦) رواه البخاري (٨/ ٦١).
(٧) رواه أبو داود (٩٧) كتاب الأدب. والإمام أحمد (٢/ ٤٣٩) والحاكم (٤/ ٢٩٣).

٣- أنْ يعودهُ إذَا مرضَ، ويدعوَ لهُ بالشِّفاءِ لقولهِ ﷺ: «حقُّ المسلم علَىٰ المسلمِ خمسٌ: ردُّ السَّلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطسِ»(١).

ولقولِ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه: «أمرنَا رسولُ اللهِ ﷺ بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائزِ، وتشميتِ العاطسِ، وإبرارِ المقسمِ، ونصرِ المظلومِ، وإجابةِ الدَّاعِي، وإفشاءِ السَّلامم»(٢).

ولقولهِ ﷺ: «عودُوا المريضَ، وأطعمُوا الجائعَ، وفكُّوا العانيَ - الأسير»(٣).

وقولِ عائشةَ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يعودُ بعضَ أهلهِ فيمسحُ بيدهِ اليمنَىٰ، ويقولُ: «اللَّهمَّ ربَّ النَّاسِ أذهبِ الباسَ، اشفِ وأنتَ الشَّافِي لَا شفاءَ إلَّا شفاؤكَ شفاءً لَا يغادرُ سقمًا»(٤).

٤- أنْ يشهدَ جنازتهُ إذَا ماتَ لقولهِ ﷺ: «حقُّ المسلم علَىٰ المسلمِ خمسٌ: ردُّ السَّلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطسِ».

٥- أنْ يبرَّ قسمَهُ إذَا أقسمَ عليهِ فِي شيءٍ، وكانَ لَا محذوَر فيهِ، فيفعلَ مَا حلفَ لهُ منْ أجلهِ حتَّىٰ لَا يحنثَ فِي يمينهِ. وذلكَ لحديثِ البراءِ بنِ عازبٍ: «أمرنَا رسولُ اللهِ ﷺ بعيادةِ المريضِ، واتِّباعِ الجنائِز، وتشميتِ العاطسِ، وإبرارِ المقسمِ، ونصرِ المظلومِ، وإجابةِ الدَّاعِي، وإفشاء السَّلام».

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٩٠). ورواه مسلم (١٧٠٤). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥٤٠).
(٢) رواه البخاري (٧/ ١٥٠).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٠). ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٥١).

٦- أنْ ينصحَ لهُ إذَا استنصحهُ فِي شيءٍ مِنَ الأشياءِ، أوْ أمرٍ منَ الأمورِ بمعنَىٰ أنَّهُ يبيِّنُ لهُ مَا يراهُ الخيرَ فِي الشَّيءِ، أوِ الصَّوابَ فِي الأمرِ؛ وذلكَ لقولهِ ﷺ: «إذَا استنصحَ أحدكمْ أخاهُ فلينصحْ لهُ»[1]. وقولهِ: «الدِّينُ النَّصيحةُ» وسُئلَ لمنْ؟ فقالَ: «للهِ ولكتابهِ ولرسولهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتهمْ»[2]. والمسلمُ قطعًا منْ جملتهمْ.

٨- أنْ يحبَّ لهُ مَا يحبُّ لنفسهِ، ويكرهَ لهُ مَا يكرهُ لهُ مَا يكرهُ لنفسهِ. لقولهِ ﷺ: «لَا يؤمنُ أحدكمْ حتَّىٰ يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسهِ، ويكرهُ لهُ[3] مَا يكرهُ لنفسهِ»[4].

وقولهِ: «مثلُ المؤمنينَ فِي توادِّهمْ وتراحمهمْ وتعاطفهمْ كمثلِ الجسدِ إذَا اشتكىٰ منْه عضوٌ تداعَىٰ لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحمَّىٰ»[5]. وقولهِ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضهُ بعضًا»[6].

٩- أنْ ينصرهُ ولَا يخذلهُ فِي أيِّ موطنٍ احتاجَ فيهِ إلَىٰ نصرهِ وتأييدهِ؛ لقولهِ ﷺ: «انصرْ أخاكَ ظالمًا أوْ مظلومًا». وسُئلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنْ كيفيَّةِ نصرهِ وهوَ ظالمٌ، فقالَ: «تأخذُ فوقَ يديهِ» بمعنَىٰ: تحجزهُ عنِ الظُّلمِ وتحولُ بينهُ وبينَ فعلهِ فذلكَ نصركَ لهُ.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٣) كتاب الإيمان. ورواه البخاري (١/ ٢٢).

(٣) قولهُ: ويكرهَ لهُ .. إلخْ. هذهِ الزِّيادةُ ليستْ فِي الصَّحيحِ وإنَّمَا هِيَ فِي المسندِ للإمامِ أحمدِ بلفظِ: «... وأنْ تحبَّ للنَّاسِ مَا تحبُّ لنفسكَ، وتكرهَ لهمْ مَا تكرهُ لنفسكَ» ٥/ ٢٤٧.

(٤) رواه البخاري (١/ ١٠). ورواه مسلم (١٧) كتاب الإيمان. ورواه الترمذي (٢٥١٥).

(٥) رواه مسلم (٦٦) كتاب البر والصلة. ورواه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٠).

(٦) رواه البخاري (١/ ١٢٩)، (٣/ ١٦٩). ورواه مسلم (٦٥) كتاب البر والصلة. ورواه الترمذي (١٩٢٨).

وقولهِ ﷺ: «المسلمُ أخُو المسلمِ، لَا يظلمهُ ولَا يخذلهُ ولَا يحقرهُ»(١).

وقولهِ ﷺ: «مَا منْ امرئٍ مسلم ينصرُ مسلمًا فِي موضعٍ ينتهكُ فيهِ عرضهُ، وتستحلُّ فيهِ حرمتهُ إلَّا نصرهَ اللهُ فِي موطنٍ يحبُّ فيهِ نصره، ومَا منِ امرئٍ خذلَ مسلمًا فِي موطنٍ تنتهكَ فيهِ حرمتهُ إلَّا خذلَه اللهُ فِي موضعٍ يحبُّ فيهِ نصرهُ»(٢).

وَقَوْلِهِ: «منْ ردَّ عنْ عرضِ أخيهِ ردَّ اللهُ عنْ وجههِ النَّارَ يومَ القيامةِ»(٣).

١٠- أنْ لَا يمسَّه بسوءٍ، أوْ ينالهُ بمكروهٍ. وذلكَ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «كلُّ المسلمِ علَىٰ المسلم حرامٌ دمهُ مالهُ وعرضهُ»(٤).

وقولهِ ﷺ: «لَا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يروِّعَ مسلمًا»(٥). وقولهِ: «لَا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يشيرَ إلَىٰ أخيهِ بنظرةٍ تؤذيهِ»(٦). وقولهِ: «إنَّ اللهَ يكرهُ أذَىٰ المؤمنين»(٧).

وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المسلمُ منْ سلمَ المسلمونَ منْ لسانهِ ويدهِ»(٨). وقولهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المؤمنُ منْ أمنهُ المؤمنونَ

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٦٨)، (٩/ ٢). وورواه الترمذي (٢٢٨٢).
(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١). وفي سنده لين.
(٣) رواه الترمذي (١٩٣١) والإمام أحمد (٦/ ٤٥٠).
(٤) رواه مسلم كتاب البر والصلة (١٥).
(٥) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٦٢) وأبو داود (٥٠٠٤).
(٦) إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٥٥).
(٧) المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٩٢).
(٨) رواه البخاري (١/ ٩)، (٨/ ١٢٧). وورواه مسلم (٦٥) كتاب الإيمان. وورواه الترمذي (٢٦٢٧).

علَىٰ أنفسهمْ وأموالهمْ»[(١)].

١٠- أنْ يتواضعَ لهُ، ولَا يتكبَّرَ عليهِ، وأنْ لَا يقيمهُ منْ مجلسهِ المباحِ ليجلسَ فيهِ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. ولقولهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالَىٰ أوحَىٰ إليَّ أنْ تواضعُوا حتَّىٰ لَا يفخرَ أحدٌ علَىٰ أحدٍ**»[(٢)]. وقولهِ ﷺ: «**مَا تواضعَ أحدٌ للهِ إلَّا رفعهُ اللهُ تعالَىٰ**». ولمَا عُرفَ عنهُ ﷺ منْ تواضعهِ لكلِّ مسلم وهوَ سيِّدُ المرسلينَ، ومنْ أنَّهُ كانَ لَا يأنفُ ولَا يتكبَّرُ أنْ يمشيَ معَ الأرملةِ والمسكينِ، ويقضيَ حاجتهمَا، وأنَّهُ قالَ: «**اللَّهمَّ أحيِنِي مسكينًا، وأمتِنِي مسكينًا، واحشرنِي فِي زمرةَ المساكين**»[(٣)]. وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لَا يقيمنَّ أحدكمْ رجلًا منْ مجلسهِ ثمَّ يجلسُ فيهِ، ولكنْ توسَّعُوا وتفسَّحُوا**»[(٤)].

١١- أنْ لَا يهجرهُ أكثرَ منْ ثلاثةِ أيَّامٍ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لَا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، يلتقيانِ فيُعرضُ هذَا ويُعرضُ هذَا وخيرهمَا الَّذِي يبدأُ بالسَّلامِ**»[(٥)].

وقولهِ: « .. **ولَا تدابرُوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»[(٦)]. والتَّدَابرُ هوَ التَّهاجرُ، وإعطاءُ كلٍّ دبرهُ للآخرِ معرضًا عنهُ.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٧٩) والترمذي (٢٦٢٧) والحاكم (١/ ١١) وصححه.
(٢) رواه أبو داود (٤٨٩٥). ورواه ابن ماجه (٤١٧٨).
(٣) رواه ابن ماجه (٤١٢٦). ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٢).
(٤) رواه مسلم (١١) كتاب السلام. ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٢٤).
(٥) رواه البخاري (٨/ ٢٣، ٢٥، ٦٥). ورواه مسلم (٨) كتاب البر والصلة. ورواه أبو داود (٤٩١١، ٤٩١٤).
(٦) رواه مسلم (٩) كتاب البر والصلة.

١٢- أنْ لَا يغتابهُ، أوْ يحتقرهُ، أوْ يعيبهُ، أوْ يسخرَ منهُ، أوْ ينبزهُ بلقبِ سوءٍ، أوْ ينمَّ عنهُ حديثًا للإفسادِ، لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقولهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**أتدرونَ مَا الغيبةُ؟**» قالُوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ قالَ: «**ذكركَ أخاكَ بمَا يكرهُ**» **قيلَ: أرأيتَ إنْ كانَ فِي أخِي مَا أقولُ؟ قالَ:** «**إنْ كانَ فيهِ مَا تقولَ، فقدِ اغتبتهِ، وإنْ لمْ يكنْ فيهِ مَا تقولُ فقدْ بهتَّهُ**»[(١)].

وقولهِ فِي حجَّةِ الوداعِ: «**إنَّ دماءكمْ وأموالكمْ وأعراضكمْ**»[(٢)]. وقولهِ: «**كلُّ المسلمِ حرامٌ: دمهُ ومالهُ وعرضهُ**»[(٣)]. وقولهِ ﷺ: «**بحسبِ امرئٍ منَ الشَّر أنْ يحقرَ أخاهُ المسلمَ**»[(٤)]. **وقولهِ:** «**لَا يدخلُ الجنَّةَ قتَّاتٌ**» يعنِي نمَّامٌ.

١٣- أنْ لَا يسبَّهُ بغيرِ حقٍّ حيًّا كانَ أوْ ميتًا لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالهُ كفرٌ**»[(٥)]. وقولهِ: «**لَا يرمِي رجلٌ رجلًا بالفسقِ أوِ الكفرِ إلَّا ارتدَّ عليهِ إنْ لمْ يكنْ صاحبهُ كذلكَ**»[(٦)]. وقولهِ:

(١) رواه مسلم في صحيحه وذكره البيهقي في سننه الكبرىٰ (١٠/ ٢٤٧).
(٢) رواه مسلم (٢٩) كتاب القسامة.
(٣) رواه مسلم (١٠) كتاب البر والصلة.
(٤) رواه مسلم (٣٢) كتاب البر والصلة. ورواه الترمذي (١٩٢٧).
(٥) رواه البخاري (١/ ١٩)، (٨/ ١٨). ورواه مسلم (٢٨) كتاب الإيمان.
(٦) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٨١).

«**المتسابَّانِ مَا قالَا، فعلَىٰ البادِي منهمَا حتَّىٰ يعتديَ المظلوم**»[١]. وقولهِ: «**لَا تسبُّوا الأمواتَ فإنَّهمْ قدْ أفضوْا إلَىٰ مَا قَدَّمُوا**»[٢]. وقولهِ: «**منَ الكبائرِ شَتم الرَّجلِ والديهِ**» **قالُوا: وهَل يشتُم الرَّجلُ والديهِ؟ قالَ:** «**نعمْ! يسبُّ الرَّجلُ أبَا الرَّجلِ فيسبُّ أباهُ، ويسبُّ أمَّهُ فيسبُّ أمَّهُ**»[٣].

١٤- أنْ لَا يحسدهُ، أوْ يظنَّ بهِ سوءًا، أوْ يبغضهُ، أوْ يتجسَّسَ عليهِ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]

وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لَا تحاسدُوا ولَا تناجشُوا ولَا تباغضُوا، ولَا تدابرُوا، وَلا يبعْ بعضكمْ علَىٰ بيعِ بعضٍ، وكونُوا عبادَ اللهِ إخوانًا**»[٤].

وقولهِ: «**إيَّاكمْ والظَّنَّ فإنَّ الظَّنَّ أكذبُ الحديثِ**»[٥].

١٥- أنْ لَا يغشَّهُ، أوْ يخدعهُ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقولهِ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**منْ حملَ علينَا السِّلاحَ فليسَ منَّا، ومنْ غشَّنَا فليْس منَّا**»[٦]. وقولهِ: «**منْ بايعتَ فقلْ: لَا خلابةَ**»[٧]. يعنِي لَا خديعةَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥١٧).
(٢) رواه البخاري (٢/ ١٢٩)، (٨/ ١١٦). ورواه النسائي (٤/ ٥٣). ورواه الحاكم (١/ ٣٨٥).
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان (١٤٥).
(٤) رواه مسلم (٩) كتاب البر والصلة.
(٥) رواه البخاري (٤/ ٥)، (٧/ ٢٤).
(٦) رواه مسلم (٢٢) المقدمة.
(٧) رواه مسلم (٤٨) كتاب البيوع. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٧٢).

وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَا منْ عبدٍ يسترعيهِ اللهُ رعيَّةً يموتُ يومَ يموتُ وهوَ غاشٌ لرعيَّتهِ إلَّا حرَّمَ اللهُ عليهِ الجنَّةَ**»(١). وقولهِ: «**منْ خبَّبَ زوجةَ امرئٍ أوْ مملوكَهُ فليسَ منَّا**»(٢). ومعنَىٰ خبَّبَ: أفسدَ وخدعَ.

١٦- أنْ لَا يغدرهُ أوْ يخونهُ، أوْ يكذبهُ، أوْ يماطلهُ فِي قضاءِ دينهِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١]. وقولهِ: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]. وقولهِ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسرَاء: ٣٤]. وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**أربعٌ منْ كنَّ فيهِ كانَ منافقًا خالصًا، ومنْ كانتْ فيهِ خصلةٌ منهنَّ كانَ فيهِ خصلةٌ منَ النِّفاقِ حتَّىٰ يدعهَا: إذَا اؤتمنَ خانَ، وإذَا حدَّثَ كذبَ، وإذَا عاهدَ غدرَ، وإذَا خاصمَ فجرَ**»(٣).

وقولهِ: «**قالَ اللهُ تعالىٰ: ثلاثةٌ أنَا خصمهمْ يومَ القيامةِ: رجلٌ أعطَىٰ بِي ثمَّ غدرَ، ورجلٌ باعَ حرًّا فأكلَ ثمنهُ، ورجلٌ استأجرَ أجيرًا فاستوفَىٰ منهُ ولمْ يعطهِ أجرهُ**»(٤). وقولهِ: «**مطلُ الغنيِّ ظلمٌ، وإذَا أتبعَ أحدكمْ علَىٰ مليءٍ فليتبعْ**»(٥).

١٧- أنْ يخالقهُ بخلقٍ حسنٍ فيبذلَ لهُ المعروفَ ويكفَّ عنهُ الأذَىٰ، ويلاقيه بوجهٍ طلقٍ، يقبلُ منهُ إحسانهُ، ويعفُو عنْ إساءتهِ، ولَا يكلِّفهُ مَا ليسَ

---

(١) رواه مسلم (٢١) كتاب الإمارة. ورواه الدارمي (٢/ ٣٢٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٣).

(٣) رواه البخاري (١/ ١٥)، (٣/ ١٧٣). ورواه مسلم (١٠٦) كتاب الإيمان. ورواه الترمذي (٣٦٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه (٢٤٤٢). وذكره ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٤٤٧).

(٥) رواه البخاري (٢/ ١٢٣، ١٥٥). ورواه مسلم (٣٣) كتاب المساقاة. ورواه أبو داود (١٠) كتاب البيوع. ورواه الترمذي (١٣٠٨).

عندهُ، فلَا يطلبُ العلمَ منْ جاهلٍ، ولَا البيانَ منَ عييٍّ لقولهِ تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اتَّقِ اللهَ حيثمَا كنتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ النَّاسَ بخلقٍ حسنٍ**»[(١)].

١٨- أنْ يوقِّرهُ إنْ كانَ كبيرًا، ويرحمهُ إنْ كانَ صغيرًا لقولِ المصطفىٰ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ليسَ منَّا منْ لمْ يوقِّرْ كبيرنَا، ويرحمْ صغيرنَا**»[(٢)]. وقولهِ: «**إن منْ إجلالِ اللهِ إكرامَ ذِي الشَّيبةِ المسلم**»[(٣)]. وقولهِ: «**كبِّرْ كبِّرْ**» أيِ ابدأْ بالكبيرِ.

ولمَا عُرفَ عنهُ ﷺ منْ أنَّهُ كانَ يُؤتَىٰ بالصَّبيِّ ليدعوَ لهُ بالبركةِ ويسمِّيهُ فيضعهُ فِي حجرهِ فربَّمَا بالَ الصبيُّ فِي حجرهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، **ورويَ أنَّهُ كانَ إذَا قدمَ منْ سفرٍ تلقَّاهُ الصِّبيانُ فيقفُ عليهمْ ثمَّ يأمرُ بهمْ فيرفعونَ إليهِ فيجعلُ منهمْ بينَ يديهِ ومنْ خلفهِ، ويأمرُ أصحابهُ أنْ يحملُوا بعضهمْ رحمةً منهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بالصِّبيانِ.**

١٩- أنْ ينصفهُ منْ نفسهِ ويعاملهُ بمَا يحبُّ أنْ يعاملَ بهِ لقولهِ ﷺ: «**لَا يستكملُ العبدُ الإيمانَ حتَّىٰ يكونَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ: الإنفاقُ منَ الإقتارِ، والإنصافُ منْ نفسهِ، وبذلُ السَّلامِ**»[(٤)]. وقولهِ: «**منْ سرَّهُ أنْ يزحزحَ عنِ النَّارِ ويدخلَ الجنَّةَ فلتأتهِ منيَّتهُ وهوَ يشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدهُ**

---

(١) ورواه الترمذي (١٩٨٧). ورواه الحاكم (١/ ٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٠٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٤٣) بإسناد حسن.

(٤) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٦). وذكره ابن حجر في تغليق التعليق (٣٦).

ورسولهُ، وليؤتِ إِلَىٰ النَّاسِ مَا يحبُّ أنْ يؤتَىٰ إليهِ»[١].

٢٠- أنْ يعفوَ عنْ زلَّتهِ ويسترَ منْ عورتهِ، وأنْ لَا يتسمَّعَ إِلَىٰ حديثٍ يخفيهِ عنهُ لقولهِ تعالىٰ: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣] وقولهِ جلَّتْ قدرتهُ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وقولهِ: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقولهِ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾ [النور: ٢٢]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [النور: ١٩]. ولقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**مَا زادَ اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا**»[٢]. وقولهِ: «**وأنْ تعفوَ عمَّنْ ظلمكَ**». وقولهِ: «**لَا يسترُ عبدٌ عبدًا فِي الدُّنيَا إلَّا سترهُ اللهُ يومَ القيامةِ**»[٣]. وقولهِ: «**يَا معشرَ منْ آمنَ بلسانهِ ولمْ يدخُل الإيمانُ فِي قلبهِ لَا تغتابُوا المسلمينَ ولَا تتَّبعُوا عوراتهمْ فإنَّهُ منْ يتَّبعْ عورةَ أخيهِ المسلمِ يتَّبعِ اللهُ عورتهُ، ومنْ يتَّبع اللهُ عورتَه يفضحهُ ولوْ كانَ فِي جوفِ بيتهِ**»[٤]. وقولهِ: «**منْ استمعَ إِلَىٰ حديثِ قومٍ وهمْ لهُ كارهونَ صبَّ فِي أذنهِ الآنكُ يومَ القيامةِ**»[٥].

٢١- أنْ يساعدهُ إذَا احتاجَ إِلَىٰ مساعدتهِ، وأنْ يشفعَ لهُ فِي قضاءِ حاجتهِ إنْ كانَ يقدرُ علَىٰ ذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٢]. وقولهِ سبحانهُ: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ [النساء: ٨٥].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٥٦). وذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢/ ١٩٦).

(٢) رواه مسلم (١٩) كتاب البر والصلة.

(٣) رواه مسلم (٢١) كتاب البر والصلة.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٨٠).

(٥) رواه البخاري (٩/ ٥٤).

وقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**مَنْ نفَّسَ عنْ مؤمنٍ كربةً منْ كربِ الدُّنيَا نفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً منْ كربِ يومِ القيامةِ، ومنْ يسَّرَ علَىٰ معسرٍ، يسَّرَ اللهُ عليهِ فِي الدُّنيا والآخرةِ، ومنْ سترَ مسلمًا سترَه اللهُ في الدُّنيَا والآخرةِ، واللهُ فِي عونِ العبدِ مَا كانَ العبدُ فِي عونِ أخيهِ**»[(١)] وقولِهِ ﵇: «**اشفعُوا تؤجرُوا ويقضِي اللهُ علَىٰ لسانِ نبيِّهِ مَا شاءَ**»[(٢)].

٢٢- أنْ يعيذهُ إذَا استعاذَ باللهِ، وأنْ يعطيهَ إذَا سألهُ باللهِ، وأنْ يكافئهُ علَىٰ معروفهِ أوْ يدعوَ لهُ؛ وذلكَ لقولِهِ ﷺ: «**منَ استعاذكمْ باللهِ فأعيذوهُ، ومنْ سألكمْ باللهِ فأعطوهُ، ومنْ دعاكمْ فأجيبوهُ، ومنْ صنعَ إليكمْ معروفًا فكافئوهُ، فإنْ لمْ تجدُوا مَا تكافئونهُ بهِ فادعُوا لهُ حتَّىٰ تروْا أنَّكمْ قدْ كافأتموه**»[(٣)].

(١) الأدبُ معَ الكافرِ:

يعتقدُ المسلمُ أنَّ سائرَ المللِ والأديانِ باطلةٌ، وأنَّ أصحابَهَا كفَّارٌ إلَّا الدِّينَ الإسلاميَّ فإنَّهُ الدِّينُ الحقُّ، وإلَّا أصحابهُ فإنَّهمُ المؤمنونَ المسلمونَ وذلكَ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقولِهِ سبحانهُ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقولِهِ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فبهذهِ الأخبارِ الإلهيَّةِ الصَّادقةِ علمَ المسلمُ أنَّ سائرَ الأديانِ الَّتِي قبلَ الإسلامِ قَد نُسختْ بالإسلامِ، وأنَّ الإسلامَ هوَ دينُ البشريَّةِ العامُّ، فلمْ

(١) رواه مسلم (٣٨) كتاب الذكر.

(٢) رواه البخاري (٢/ ١٤٠)، (٨/ ١٤). ورواه النسائي (٥/ ٧٨). ورواه الإمام أحمد (٤/ ٤٠٤، ٤٠٩).

(٣) رواه أبو داود (٥١٠٩). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٩٩). ورواه الحاكم (٢/ ٦٤).

يقبلِ اللهُ منْ أحدٍ دينًا غيرهُ، ولَا يرضَىٰ بشرعٍ سواهُ، ومنْ هنَا كانَ المسلمُ يرَىٰ أنَّ كلَّ منْ لمْ يدنْ للهِ تعالَىٰ بالإسلامِ فهوَ كافرٌ، **ويلتزمُ حيالهُ بالآدابِ التَّاليةِ**:

١- عدمُ إقرارهِ علَىٰ الكفرِ، وعدمُ الرِّضا بهِ؛ إذِ الرِّضَا بالكفرِ كفرٌ.

٢- بغضهُ ببغضِ اللهِ تعالَىٰ لهُ؛ إذَ الحبُّ فِي اللهِ والبغضُ فِي اللهِ، ومَا دامَ اللهُ ﷻ قدْ أبغضهُ لكفره بهِ فالمسلمُ يبغضُ الكافرَ ببغضِ اللهِ تعالَىٰ لهُ.

٣- عدمُ موالاتهِ ومودَّتهِ في الدين لقولهِ تعالىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٤- إنصافهُ والعدلُ معهُ وإسداءُ الخيرِ لهُ إنْ لمْ يكنْ محاربًا لقولهِ تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. فقدْ أباحتْ هذهِ الآيةُ الكريمةُ المحكمةُ الإقساطَ إلَىٰ الكفَّارِ وهوَ العدلُ وإنصافهمْ وإسداءَ المعروفَ إليهمْ، ولمْ تستثنِ مِنَ الكفَّارِ إلَّا المحاربينَ فقطْ، فإنَّ لهمْ سياسةً خاصَّةً تعرفُ بأحكامِ المحاربينَ.

٥- يرحمهُ بالرَّحمةِ العامَّةِ كإطعامهِ إنْ جاعَ، وسقيهِ إنْ عطشَ، ومداواتهِ إنْ مرضَ، وكإنقاذهِ منْ تهلكةٍ، وتجنيبهِ الأذَىٰ لقولهِ ﷺ: «**ارحمْ منْ فِي الأرضِ يرحمْكَ منْ فِي السَّماءِ**»(١). وقولهِ: «**فِي كلِّ ذِي كبدٍ**

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٨٣).

رطبةٍ أجرٌ»(١).

٦- عدمُ أذيَّتهِ فِي مالهِ أوْ دمهِ أوْ عرضهِ إنْ كانَ غيرَ محاربٍ، لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «يقولُ اللهُ تعالىٰ: «يَا عبادِي! إنِّي حرَّمتُ الظُّلمَ علَىٰ نفسِي وجعلتهُ بينكمْ محرّما فلَا تظالمُوا»(٢). وقولهِ: «منْ آذَىٰ ذمِّيًّا فأنَا خصمهُ يومَ القيامَة»(٣).

٧- جوازُ الإهداءِ إليهِ، وقبولِ هديَّتهِ، وأكلِ طعامهِ إنْ كانَ كتابيًّا: يهوديًّا أوْ نصرانيًّا لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]. ولمَا صحَّ عنهُ ﷺ أنَّهُ كانَ يدعَىٰ إلَىٰ طعامِ يهودٍ بالمدينةِ فيجيبُ الدَّعوةَ ويأكلُ ممَّا يقدَّمُ لهُ منْ طعامهمْ.

٨- عدمُ إنكاحهِ المؤمنةَ، وجوازُ نكاحِ الكتابيَّاتِ منَ الكفَّارِ لقولهِ تعالَىٰ فِي منعِ المؤمنةِ منَ الزَّواجِ بالكافرِ مطلقًا: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقولهِ: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ﴾ [البقرة: ٢٢١]. وقالَ تعالَىٰ فِي إباحةِ نكاحِ المسلمِ الكتابيَّةَ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

٩- تشميتهُ إذَا عطسَ وحمدَ اللهَ تعالَىٰ بأنْ يقولَ لهُ: يهديكمُ اللهُ ويصلحُ بالكمْ، إذْ كانَ الرَّسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يتعاطسَ عندهُ يهودُ رجاءَ أنْ يقولَ لهمْ: يرحمكمُ اللهُ، فكانَ يقولُ لهمْ: «**يهديكمُ الله ويصلحُ بالكمْ**».

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٧٤)، (٨/ ١١). ورواه أبو داود (٤٧) الجهاد. ورواه ابن ماجه (٣٦٨٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٠).

(٣) ورد في الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ٢٣٦). وورد في اللآلئ المصنوعة للسيوطي (٢/ ٧٨). والأسرار المرفوعة لعلي القاري (٤٨٢).

٦- لاَ يبدؤُهُ بالسَّلامِ، وإنْ سلَّمَ عليهِ ردَّ عليهِ بقولهِ: «**وعليكمْ**» لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إذَا سلَّمَ عليكمْ أحدٌ منْ أهلِ الكتابِ فقولُوا: وعليكمْ**»(١).

- وأجاز بعض الفقهاء رد سلامهم كاملًا علىٰ معنىٰ الدعاء بالهداية.

١١- مخالفتهُ وعدمُ التَّشبُّهِ بهِ فيمَا ليسَ بضروريٍّ كإعفاءِ اللِّحيةِ إذَا كانَ هوَ يحلقهَا، وصبغهَا إذَا كانَ هوَ لَا يصبغهَا، وكذَا مخالفتهُ فِي اللِّباسِ الذي يختص به ويعد علامة عليه ونحوهِ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ومنْ تشبَّهَ بقومٍ فهوَ منهمْ**»(٢) وقولهِ: «**خالفُوا المشركينَ؛ أعفُوا اللِّحَىٰ وقصُّوا الشَّوارِبَ**»(٣). وقولهِ: «**إنَّ اليهودَ والنَّصارَىٰ لَا يصبغونَ فخالفوهمْ**»(٤) يعنِي خضابَ اللِّحيةِ أوْ شعرِ الرَّأسِ بصفرةٍ أوْ حمرةٍ؛ لأنَّ الصَّبغ بالسَّوادِ قدْ نهَىٰ عنهُ الرَّسولُ ﷺ؛ لمَا روَىٰ مسلمٌ أنَّهُ ﷺ قالَ: «**غيِّرُوا هذَا -الشَّعرَ الأبيضَ- واجتنبُوا السَّوادَ**».

(٩) الأدبُ معَ الحيوانِ:

المسلمُ يعتبرُ أغلبَ الحيواناتِ خَلقًا محترمًا فيرحمهَا برحمةِ اللهِ تعالَىٰ لهَا ويلتزمُ نحوهَا بالآدابِ التَّاليةِ:

١- إطعامهَا وسقيهَا إذَا جاعتْ وعطشتْ لقولِ الرَّسولِ عليهِ أزكَىٰ السَّلامِ: «**فِي كلِّ ذاتِ كبدٍ حرَّاءَ أجرٌ**» وقولهِ: «**منْ لَا يَرْحَم لَا يُرحم**»(٥). وقولهِ: «**ارحمُوا منْ في الأرضِ يرحمكُم مَن فِي السَّماءِ**»(٦).

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٠١). ورواه ابن ماجه (٣٦٩٧).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٣١). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢).
(٣) رواه البخاري (٧/ ٢٠٦). ورواه مسلم (١٦) كتاب الطهارة.
(٤) رواه البخاري (٤/ ٢٠٧)، (٧/ ٢٠٧). ورواه مسلم (٨٠) كتاب اللباس.
(٥) رواه البخاري (٨/ ٩، ١٢).
(٦) ذكره البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٤١).

٢ - رحمتهَا والإشفاقُ عليهَا لقولِ الرَّسولِ الكريمِ لمَّا رآهمْ قدْ اتَّخذُوا حيوانًا -طيرًا- غرضًا (هدفًا) يرمونهُ بسهامهمْ: «**لعنَ اللهُ منِ اتَّخذَ شيئًا فيهِ روحٌ غرضًا**»[(١)].

ولنهيهِ ﷺ عنْ صبرِ البهائمِ أيْ حبسهَا للقتلِ حتىٰ تموت جوعًا.

ولقولهِ: «**منْ فجعَ هذهِ بولدهَا؟ ردُّوا عليهَا ولدهَا إليهَا**»[(٢)]. قالهُ لمَّا رأىٰ الحمَّرةَ (طائرٌ) تحومُ تطلبُ أفراخهَا الَّتِي أخذهَا الصَّحابةُ منْ عشِّهَا.

٣- إراحتها عند ذبحها أو قتلها لقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ كتبَ الإحسانَ علىٰ كلِّ شيءٍ فإذا قتلتُم فأحسنُوا القتلةَ، وإذَا ذبحتمْ فأحسنُوا الذَّبحَ، وليرحْ أحدكمْ ذبيحتهُ، وليحدَّ شفرتهُ**»[(٣)].

٤- عدمُ تعذيبهَا بأيِّ نوعٍ منْ أنواعِ العذابِ سواءً كانَ بتجويعهَا، أوْ ضربهَا، أوْ بتحميلهَا مَا لاَ تطيقُ، أوْ بالمثلةِ بهَا، أوْ حرقهَا بالنَّار؛ وذلكَ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**دخلتِ امرأةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حبستهَا حتَّىٰ ماتتْ فدخلتْ فيهَا النَّارَ، فلَا هِي أطعمتهَا وسقتهَا إذْ حبستهَا، ولَا هيَ تركتهَا تأكلُ منْ خشاشِ الأرضِ**»[(٤)].

وقدْ مرَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بقريةِ نمل -موضعُ نمل- وقدْ أُحرقتْ فقالَ: «**إنَّهُ لَا ينبغِي أنْ يعذِّبَ بالنَّارِ إلَّا ربُّ النَّارِ**»[(٥)]: يعني الله ﷻ.

٥- إباحةُ قتلِ المؤذِي منهَا كالكلبِ العقورِ والذِّئبِ والحيَّةِ والعقربِ

(١) رواه البخاري (٧/ ١٢٢). ورواه مسلم (١٢) كتاب الصيد.
(٢) رواه أبو داود (٢٦٧٥).
(٣) رواه مسلم (٥٧) كتاب الذبائح.
(٤) رواه البخاري (٤/ ١٥٧). ورواه مسلم (٣٧) كتاب البر والصلة.
(٥) رواه أبو داود (٢٦٧٣، ٥٢٦٨).

والفأرِ ومَا إلَىٰ هذَا؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ أزكَىٰ السَّلامِ: «**خمسُ فواسقٍ تُقتلنَ فِي الحلِّ والحرمِ: الحيَّةُ والغرابُ الأبقعُ والفأرةُ والكلبُ العقورُ والحُدَيَّا**»(١). كمَا صحَّ عنهُ كذلكَ قتلُ العقربِ ولعنهَا.

٦- جوازُ وسمِ النَّعمِ فِي آذانِهَا للمصلحةِ، إذْ رؤيَ ﷺ يسمُ بيدهِ الشَّريفةِ إبلَ الصَّدقةِ. أمَّا غيرُ النَّعمِ وهيَ الإبلُ والغنمُ والبقرةُ منْ سائرِ الحيوانِ فلَا يجوزُ وسمهُ لقولهِ ﷺ وقدْ رأَىٰ حمارًا موسومًا فِي وجههِ: «**لعنَ اللهُ منْ وسمَ هذَا فِي وجههِ**»(٢).

٧- معرفةُ حقِّ اللهِ فيهَا بأداءِ زكاتهَا إذَا كانتْ ممَّا يزكَّىٰ.

٨- عدمُ التَّشاغلِ بهَا عنْ طاعةِ اللهِ أو اللَّهوِ بهَا عنْ ذكرهِ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩].

ولقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي الخيلِ: «**الخيلُ لثلاثةٍ: لرجلٍ أجرٌ، ولرجلٍ سِترٌ، وعلىٰ رجلٍ وزرٌ. فأمَّا الَّذِي لهُ أجرٌ فرجلٌ ربطهَا فِي سبيلِ اللهِ فأطالَ لهَا فِي مرجٍ أوْ روضةٍ فما أصابتْ فِي طيلِها ذلكَ مِنَ المرجِ أو الرَّوضةِ كانت لهُ حسناتٍ، ولَو أنَّهَا قطعتْ طيلهَا فاستنَّتْ شرفًا أوْ شرفين كانتْ آثارهَا وأرواثهَا حسناتٍ لهُ، ولوْ أنَّهَا مرَّتْ بنهرٍ فشربتْ ولمْ يردْ أنْ يسقيهَا كانَ ذلكَ لهُ حسناتٍ وهيَ لذلكَ الرَّجلِ أجرٌ.. ورجلٌ ربطهَا تغنِّيًا وتعفُّفًا ولمْ ينسَ حقَّ اللهِ فِي رقابهَا ولَا ظهورهَا فهيَ لهُ سترٌ.. ورجلٌ ربطهَا فخرًا ورياءً ونِواءً**(٣) **لأهلِ الإسلامِ فهيَ عليهِ وزرٌ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٩) كتاب الحج.

(٢) رواه مسلم (٢٩) كتاب اللباس.

(٣) نِوَاءً: أَي مُعَادَاةً.

(٤) رواه مسلم واللفظ للبخاري (١٢) كتاب المساقاة.

فهذهِ جملةٌ مِنَ الآدابِ يراعيهَا المسلمُ إزاءَ الحيوانِ طاعةً للهِ ورسولهِ، وعملًا بمَا تأمرُ بهِ شريعةُ الإسلام! شريعةُ الرَّحمةِ! شريعةُ الخير العامِّ لكلِّ مخلوقٍ منْ إنسانٍ أوْ حيوانٍ!



الفصل السَّابعُ

آدابُ الأخوَّةِ فِي اللهِ والحب والبغضِ فيهِ ﷻ

المسلمُ بحكمِ إيمانهِ باللهِ تعالَىٰ لاَ يحبُّ إِذَا أحبَّ إِلَّا فِي اللهِ، ولاَ يبغضُ إِذَا أبغضَ إِلَّا فِي اللهِ، ولأَنَّهُ لاَ يحبُّ إِلَّا مَا يحبُّ اللهُ ورسولهُ، ولاَ يكرهُ إِلَّا مَا يكرهُ اللهُ ورسولهُ، فهوَ إِذًا بحبِّ اللهِ ورسولهِ يحبُّ، وببغضهمَا يبغضُ.

ودليلهُ فِي هذَا قولُ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**منْ أحبَّ لِله وأبغضَ للهِ، وأعطَىٰ للهِ، ومنعَ للهِ فقدِ استكملَ الإيمانَ**»[1]. وبناءً علَىٰ هذَا فجميعُ عبادِ اللهِ الصَّالحينَ يحبُّهمُ المسلمُ ويواليهمْ، وجميعُ عبادِ اللهِ الفاسقينَ عنْ أمرِ اللهِ ورسولهِ يبغضهمْ ويعاديهمْ، بيدَ أنَّ هذَا غيرُ مانعٍ للمسلمِ أنَّ يتَّخذَ إخوانًا أصدقاءَ فِي اللهِ تعالَىٰ يخصُّهمْ بمزيدِ محبَّةٍ ووداد؛ إِذْ رغَّبَ الرَّسولُ ﷺ فِي اتِّخاذِ مثلِ هؤلاءِ الإخوانِ والأصدقاءِ بقولهِ: «**المؤمنُ إلفٌ مألوفٌ، ولاَ خيرَ فيمنْ لاَ يألفُ ولاَ يؤلفُ**»[2]. وقولهِ: «**إنَّ حولَ العرشِ منابرَ منْ نورٍ عليهَا قومٌ لباسهمْ نورٌ، ووجوههمْ نورٌ ليسُوا بأنبياءَ ولَا شهداءَ، يغبطهمُ النَّبيُّونَ والشُّهداءُ**» فقالُوا: يَا رسولَ اللهِ صفهمْ لنَا. فقالَ: «**المتحابُّونَ فِي اللهِ، والمتجالسونَ فِي اللهِ، والمتزاورونَ فِي**

---

(١) رواه أبو داود (١٥) كتاب السنة.

(٢) رواه الإمام أحمد، والطبراني، والحاكم في مستدركه وصححه.

الله»(١). وقولهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالَىٰ يقولُ: حقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يتزاورونَ منْ أجلِي، وحقَّتْ محبَّتِي للَّذينَ يتناصرونَ منْ أجلِي»(٢)

وقولهِ: «سبعةٌ يظلُّهمُ اللهُ فِي ظلِّهِ يومَ لاَ ظلَّ إلَّا ظلُّهُ: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأَ فِي عبادةِ اللهِ تعالَىٰ، ورجلٌ قلبهُ معلَّقٌ بالمسجدِ إذَا خرجَ منهُ حتَّىٰ يعودَ إليهِ، ورجلانِ تحابَّا فِي اللهِ فاجتمعَا علَىٰ ذلكَ، وتفرَّقَا عليهِ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضتْ عيناهُ، ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ حسبٍ وجمالٍ فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ تعالَىٰ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاهَا حتَّىٰ لَا تعلمَ شمالُهُ مَا تنفقُ يمينُهُ»(٣). وقوله ﷺ: «إنَّ رجلًا زارَ أخًا لهُ فِي اللهِ فأرصدَ اللهُ لهُ ملكًا، فقالَ: أينَ تريدُ؟ قالَ: أريدُ أنْ أزورَ أخِي فلانًا. فقالَ: لحاجةٍ لكَ عندهُ؟ قالَ: لا. قالَ: لقرابةٍ بينكَ وبينهُ؟ قالَ: لَا. قالَ: فبنعمةٍ لكَ عندهُ؟ قالَ: لَا. قالَ: فبمَ؟ قالَ: أحبُّهُ فِي اللهِ. قالَ: فإنَّ اللهَ أرسلنِي إليكَ أخبركَ بأنَّه يحبُّكَ لحبِّكَ إيَّاهُ، وقدْ أوْجب لكَ الجنَّةَ»(٤).

وشرطُ هذهِ الأخوَّةِ أنْ تكونَ للهِ وفِي اللهِ بحيثُ تخلُو منْ شوائبِ الدُّنيا وعلائقهَا المادِّيةِ بالكلِّيةِ، ويكونُ الباعثُ عليهَا الإيمانُ باللهِ لَا غيرَ.

وأمَّا آدابهَا فهيَ أنْ يكونَ المتَّخذُ أخًا:

١- عاقلًا؛ لأنَّهُ لَا خيرَ فِي أخوَّةِ الأحمقِ وصحبتهِ؛ إذْ قدْ يضرُّ الأحمقُ الجاهلُ منْ حيثُ يريدَ أنْ ينفعَ.

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ١٧٤). (٢/ ١٥٦). رواهُ مسلمٌ بلفظٍ أخصرَ منْ هذَا. واللَّفظُ المثبتُ هنَا ذكرهُ الغزاليُّ فِي الإحياءِ وقالَ الزَّينُ العراقيُّ: رواهُ مسلمٌ ولمْ يشرْ إلَىٰ أنَّ اللَّفظَ ليسَ لفظَ مسلمٍ الَّذِي فِي صحيحهِ. الإحياءُ ٢/ ١٥٧.

(٢) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٧، ٢٣٩).

(٣) رواه البخاري (١/ ١٦٨)، (٢/ ١٣٨). وورواه مسلم (٣) كتاب الزكاة.

(٤) رواه مسلم (٣٨) كتاب البر والصلة.

٢- حسنَ الخلُق؛ إذْ سيِّئُ الخلقِ وإنْ كانَ عاقلًا فقدْ تغلبهُ شهوةٌ أوْ يتحكَّمُ فيهِ غضبٌ فيسيءُ إلَىٰ صاحبهِ.

٣- تقيًّا؛ لأنَّ الفاسقَ الخارجَ عنْ طاعةِ ربِّهِ لاَ يؤمنُ جانبهُ، إذْ قدْ يرتكبُ ضدَّ صاحبهِ جريمةً لَا يبالِي معهَا بأخوَّةٍ أوْ غيرِهَا؛ لأنَّ منْ لاَ يخافُ الله تعالَىٰ لاَ يخافُ غيرهُ بحالٍ مِنَ الأحوالِ.

٤- ملازمًا للكتاب والسُّنَّةِ بعيدًا عن الخرافةِ والبدعةِ؛ إذِ المبتدعُ قدْ ينالُ صديقهُ منْ شؤمِ بدعتهِ؛ ولأنَّ المبتدعَ وصاحبَ الهوَىٰ هجرتهمَا متعيَّنةٌ، ومقاطعتهمَا لازمةٌ، فكيفَ تُمكنُ خُلَّتهمَا وصداقتهمَا.

وقدْ أوجزَ هذهِ الآدابَ فِي اختيارِ الأصحابِ أحدُ الصَّالحينَ فقالَ يوصِي ابنهُ:

يَا بُنيَّ إذَا عرضتْ لكَ إلَىٰ صحبةِ الرِّجالِ حاجةٌ فاصحبْ منْ إذَا خدمتهُ صانكَ، وإنْ صحبتهُ زانكَ، وإنْ قعدتْ بكَ مؤونةٌ مانكَ. اصحبْ منْ إذَا مددتَ يدكَ بخيرٍ مدَّهَا، وإنْ رأَىٰ منكَ حسنةً عدَّهَا، وإنْ رأَىٰ سيِّئةً سدَّهَا؛ اصحبْ منْ إذَا سألتهُ أعطاكَ، وإنْ سكتَّ ابتداكَ، وإنْ نزلتْ بكَ نازلةٌ واساكَ؛ اصحبْ منْ إذَا قلتَ صدَّقَ قولكَ، وإنْ حاولتمَا أمرًا أمَّرَك، وإنْ تنازعتمَا شيئًا آثركَ.

حقوقُ الأخوَّةِ فِي اللهِ:

ومنْ حقوقِ هذهِ الأخوَّةِ مَا يلي:

١- المواساةُ بالمالِ[1]، فيواسِي كلٌّ منهمَا أخاهُ بمالهِ إنْ احتاجَ إليهِ، بحيثُ يكونُ دينارهمَا ودرهمهمَا واحدًا لَا فرقَ بينهمَا فيهِ، كمَا رويَ عنْ

(١) المواساة: المعاونةُ والمساعدةُ.

أبِي هريرةَ ﷺ إذْ أتاهُ رجلٌ فقالَ: **إنِّي أريدُ أنْ أؤاخيكَ فِي اللهِ، قالَ: أتدرِي مَا حقُّ الإخاءَ؟ قالَ: عرِّفنِي، قالَ: لَا تكونُ أحقُّ بدينارِكِ ودرهمكَ منِّي. قالَ: لمَ أبلغْ هذهِ المنزلةَ بعدُ، قالَ: فاذهبْ عنِّي.**

٢- أنْ يكونَ كلٌّ منهمَا عونًا لصاحبهِ يقضِي حاجتهُ ويقدِّمهَا علَىٰ نفسهِ، يتفقَّدُ أحوالهُ كمَا يتفقَّدُ أحوالَ نفسهِ، ويؤثرهُ علَىٰ نفسهِ، وعلَىٰ أهلهِ وأولادهِ، يسألُ عنهُ بعدَ كلِّ ثلاثٍ فإنَ كانَ مريضًا عادهُ، وإنَّ كانَ مشغولًا أعانهُ، وإنْ كانَ ناسيًا ذكَّرهُ، يرحِّبُ بهِ إذَا دنَا، ويوسِّعُ لهُ إذَا جلسَ، ويصغِي إليهِ إذَا حدَّثَ.

٣- أنْ يكفَّ عنهُ لسانهُ إلَّا بخير، فلَا يذكرَ لهُ عيبًا فِي غيبتهِ أوْ حضورهِ ولَا يستكشفَ أسرارهُ، ولَا يحاولَ التَّطلُّعَ إلَىٰ خبايَا نفسهِ، وإذَا رآهُ فِي طريقهِ لحاجةٍ منْ حاجاتِ نفسهِ فلَا يفاتحهُ فِي ذكرهَا، ولاَ يحاولَ التَّعرُّفَ إلَىٰ مصدرهَا أوْ موردها، يتلطَّفُ فِي أمرهِ بالمعروفِ، أوْ نهيهِ عنَ المنكرِ، لَا يماريهِ فِي الكلامِ ولَا يجادلهُ بحقٍّ أوْ بباطلٍ. لَا يعاتبهُ فِي شيءٍ ولَا يعتبُ عليهِ فِي آخرَ.

٤- أنْ يعطيهُ منْ لسانهِ مَا يحبُّهُ منهُ، فيدعوهُ بأحبِّ أسمائهِ إليهِ، ويذكرهُ بالخيرِ فِي الغيبةِ والحضورِ، يبلِّغهُ ثناءَ النَّاسِ عليهِ، مظهرًا اغتباطَهُ بذلكَ، وفرحهُ بهِ. لَا يسترسلُ فِي نصحهِ فيقلقهُ، ولَا ينصحهُ أمامَ النَّاسِ فيفضحهُ. كمَا قالَ الإمامُ الشَّافعيُّ رحمه الله تعالىٰ: منْ وعظَ أخاهُ سرًّا فقدْ نصحهُ وزانهُ، ومنْ وعظهُ علانيةً فقدْ فضحهُ وشانهُ.

٥- يعفُو عنْ زلَّاتهِ، ويتغاضَىٰ عنْ هفواتهِ، يسترُ عيوبهُ، ويحسنُ بهِ ظنونهُ، وإنِ ارتكبَ معصيةً سرًّا أوْ علانيةً فلاَ يقطعُ مودَّتهُ، ولاَ يُهملُ أُخوَّتهُ، بلْ ينتظرُ توبتهُ وأوبتهُ، فإنْ أصرَّ فلهُ صرمهُ وقطعهُ، أوِ الإبقاءُ علَىٰ أخوَّتهِ معَ إسداءِ النَّصيحةِ، ومواصلةِ الموعظةِ رجاءَ أنْ يتوبَ فيتوبُ اللهُ

عليهِ. قالَ أبُو الدَّرداءِ رضي الله عنه: إذَا تغيَّرَ أخوكَ، وحالَ عمَّا كانَ عليهِ فلَا تدعهُ لأجلِ ذلكَ، فإنَّ أخاكَ يعوجُّ مرَّةً ويستقيمُ أخرَىٰ.

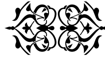
٦- أنْ يفيَ لهُ فِي الأخوَّةِ فيثبتَ عليهَا ويديمَ عهدهَا؛ لأنَّ قطعهَا محبطٌ لأجرهَا، وإنْ ماتَ نقلَ المودَّةَ إلَىٰ أولادهِ، ومنْ والاهُ منْ أصدقائهِ، محافظةً علَىٰ الأخوَّةِ ووفاءً لصاحبهَا. فقدْ أكرمَ رسولُ اللهِ ﷺ عجوزًا دخلتْ عليهِ فقيلَ لهُ فِي ذلكَ فقالَ: «إنَّهَا كانتْ تأتينَا أيَّامَ خديجةَ، وإنَّ كرمَ العهدِ منَ الدِّين»[1]. ومنَ الوفاءِ أنْ لاَ يصادقَ عدوَّ صديقهِ، إذْ قالَ الشَّافعيُّ -رحمهُ اللهُ تعالَىٰ-: إذَا أطاعَ صديقُكَ عدوَّكَ، فقدِ اشتركَا في عداوتكَ.

٧- أنْ لَا يكلِّفهُ مَا يشقُّ عليهِ، وأنْ لَا يحمِّلهُ مَا لا يرتاحُ معهُ فلا يحاولُ أنْ يستمدَّ منهُ شيئًا منْ جاهٍ، أوْ مالٍ، أوْ يلزمهُ بالقيامِ بأعمالٍ، إذْ أصلُ الأخوَّةُ كانتْ للهِ فلَا ينبغِي أنْ تحوّلَ إلَىٰ غيرهِ منْ جلبِ منافعِ الدُّنيَا، أوْ دفعِ المضارِّ. وكمَا لاَ يكلِّفهُ لَا يجعلهُ يتكلَّفُ لهُ إذْ كلاهمَا مخلٌّ بالأخوَّةِ مؤثِّرٌ فيهَا منقصٌ منْ أجرهَا المقصودِ منهَا، فعليهِ أنْ يطويَ معهُ بساطَ التَّزمُّتِ والتَّكلُّفِ والتَّحفُّظِ، إذْ بهذهِ تحصلُ الوحشةُ المنافيةُ للألفةِ. وقدْ جاءَ فِي الأثرِ: أنَا وأتقياءُ أمَّتِي برآءُ منُ التَّكلُّفِ. وقالَ بعضُ الصَّالحينَ: منْ سقطتْ كلفتهُ، دامتْ ألفتهُ، ومنْ خفَّتْ مؤونتهُ دامتْ مودَّتهُ. وآيةُ سقوطِ الكلفةِ الموجبةِ للأنسِ، والمذهبةُ للوحشةِ أنْ يفعلَ الأخُ فِي بيتِ أخيهِ أربعَ خصالٍ: أن يأكلَ فِي بيتهِ، ويدخلِ الخلاءَ عندهُ، ويصلِّيَ وينامَ معهُ، فإذَا فعلَ هذهِ فقدْ تمَّ الإخاءُ، وارتفعتِ الحشمةُ الموجبةُ للوحشةِ، ووجدَ الأنسُ وتأكَّدَ الانبساطُ.

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٢٣٥).

٨- أنْ يدعوَ لهُ ولأولادهِ، ومنْ يتعلَّقُ بهِ بخيرِ مَا يدعُو بهِ لنفسهِ وأولادهِ ومنْ يتعلَّقُ بهِ، إذَ لَا فرقَ بينَ أحدهمَا والآخرِ بحكمِ الأخوَّةِ الَّتِي جمعتْ بينهمَا، فيدعوَ لهُ حيًّا وميتًا وحاضرًا وغائبًا. قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إذَا دعَا الرَّجلُ لأخيهِ فِي ظهرِ الغيبِ قالَ الملكُ: ولكَ مثلُ ذلكَ»[1]. وقالَ أحدُ الصَّالحينَ: أينَ مثلُ الأخ الصَّالح؟ إنَّ أهلَ الرَّجلِ إذَا ماتَ يقسمونَ ميراثهُ ويتمتَّعونَ بمَا خلَّفَ، والأخُ الصَّالحُ ينفردُ بالحزنِ، مهتمًّا بمَا قدمَ أخوهُ عليهِ، ومَا صارَ إليهِ، يدعُو لهُ فِي ظلمةِ اللَّيلِ، ويستغفرُ لهُ، وهوَ تحتَ أطباقِ الثَّرَىٰ.



(١) رواه أبو داود (١٥٣٤).

الفصل الثَّامنُ

فِي آدابِ الجلوسِ والمجلسِ

المسلمُ حياتهُ كلُّهَا خاضعةٌ تابعةٌ للمنهجِ الإسلاميِّ الَّذِي تناولَ كلَّ شأنٍ منْ شؤونِ الحياةِ حتَّىٰ جلوسَ المسلمِ وكيفيَّةَ مجالستهِ لإخوانهِ، فلذَا كانَ المسلمُ يلتزمُ بالآدابِ التَّاليةِ فِي جلوسهِ ومجالستهِ:

١- إذَا أرادَ أنْ يجلسَ فإنَّهُ يسلِّمُ علَىٰ أهلِ المجلسِ أولًا، ثمَّ يجلسُ حيثُ انتهَىٰ بهِ المجلسُ، ولاَ يقيمنَّ أحدًا منْ مجلسهِ ليقعدَ فيهِ، ولاَ يجلسُ بينَ اثنينِ إلَّا بإذنهمَا، لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «لَا يقيمنَّ أحدكمْ رجلًا منْ مجلسهِ ثمَّ يجلسُ فيهِ، ولكنْ توسَّعُوا أو تفسَّحُوا»[(١)] وكانَ ابنُ عمرَ إذَا قامَ لهُ رجلٌ منْ مجلسهِ لمْ يجلسْ فيهِ. وقالَ جابرُ بنُ سمرةَ رضي الله عنه: كنَّا إذَا أتينَا النَّبيَّ ﷺ جلسَ أحدنَا حيثُ ينتهِي بهِ المجلسُ[(٢)]. ولقولِ الرَّسولِ ﷺ: «لاَ يحلُّ لرجلٍ أنْ يفرِّقَ بينَ اثنينِ إلَّا بإذنهمَا»[(٣)].

٢- إذَا قامَ أحدٌ منْ مجلسهِ وعادَ إليهِ فهوَ أحقُّ بهِ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «إذَا قامَ أحدكمْ منْ مجلسٍ ثمَّ رجعَ إليهِ فهوَ أحقُّ بهِ»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١١) كتاب السلام. ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٢٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٢٥).

(٣) رواه الترمذي (٢١٣٢، ٢٧٥٢). ورواه ابن ماجه (٢٣٧٧).

(٤) رواه مسلم (٣١) كتاب السلام.

٣- لاَ يجلسُ فِي وسطَ الحلقةِ لقولِ حذيفةَ: إنَّ الرَّسولَ ﷺ «لعنَ مَنْ جلسَ فِي وسطِ الحلقةِ»[١].

٤- إذَا جلسَ يراعِي الآدابَ الآتيةَ: أنْ يجلسَ وعليهِ وقارٌ وسكينةٌ، ولَا يشبِّكَ بينَ أصابعهِ، ولَا يعبثَ بلحيتهِ أوْ خاتمهِ، ولاَ يخَّللَ أسنانهُ أوْ يُدخلَ إصبعهُ فِي أنفهِ أوْ يكثرَ مِنَ البصاقِ والتَّنخُّمِ أوْ يكثرَ مِنَ العطاسِ والتَّثاؤبِ، وليكنْ مجلسهُ هادئًا قليلَ الحركةِ، وليكنْ كلامهُ منظومًا متَّزنًا، وإذَا تحدَّثَ فليتحرَّ الصَّوابَ، ولاَ يكثرَ مِنَ الكلامِ، وليتجنَّبِ المزاحِ والمراءِ، وأنْ لَا يتحدَّثَ بإعجابٍ عنْ أهلهِ وأولادهِ، أوْ صناعتهِ، أوْ إنتاجهِ المادِّيِّ والأدبيِّ، منْ شعرٍ أوْ تأليفٍ، وإذَا حدَّثَ غيرُهُ أصغَىٰ يسمعُ، غيرَ مفرطٍ فِي الإعجابِ بحديثِ منْ يسمعهُ، وأنْ لَا يقاطعَ الكلامَ أوْ يطلبَ إليهِ إعادتهُ؛ لأنَّ ذلكَ يسوءُ المتحدِّثَ.

والمسلمُ إذْ يلتزمُ هذهِ الآدابَ إنَّمَا يلتزمهَا لأمرينِ: أحدهمَا: أنْ لَا يؤذيَ إخوانهُ بخُلقهِ أوْ عملهِ؛ لأنَّ أذيَّةَ المسلمِ حرامٌ: «والمسلمُ منْ سلمَ المسلمونَ منْ لسانهِ ويدهِ».

والثَّانِي: أنْ يجلبَ محبَّةَ إخوانهِ ومؤالفتهمْ، إذْ أمرَ الشَّارعُ بالتَّحاببِ والمؤالفةِ بينَ المسلمينَ وحثَّ علَىٰ ذلكَ.

٥- إذَا أرادَ الجلوسَ فِي الطُّرقاتِ فإنَّهُ يراعِي الآدابَ الآتيةَ:

أ- غضُّ البصرِ، فلَا يفتحُ بصرهُ فِي مارَّةٍ مِنَ المؤمناتِ، أوْ واقفةٍ ببابهَا أوْ مستشرفةٍ علَىٰ شرفاتِ منزلهَا، أوْ مطلَّةٍ علَىٰ نافذتهَا لحاجتهَا، كمَا لَا يرسلُ نظرهُ حاسدًا لأحدٍ، أوْ زاريًا علَىٰ أحدٍ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٢٦) بإسناد حسن.

ب- أنْ يكفَّ أذاه عنِ المارَّةِ منْ سائرِ النَّاسِ فلَا يؤذيَ أحدًا بلسانهِ سابًّا شاتمًا، أوْ عائبًا مقبِّحًا، ولاَ بيدهِ ضاربًا لاكمًا، ولَا سالبًا لمالِ غيرهِ غاصبًا، ولَا معترضًا فِي الطَّريقِ صادًّا المارَّةَ، قاطعًا سبيلهمْ.

ج- أنْ يردَّ سلامَ كلِّ منْ سلَّمَ عليهِ منَ المارَّةِ؛ إذْ إنَّ ردَّ السَّلامِ واجبٌ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

د- أنْ يأمرَ بمعروفٍ تُركَ أمامهُ وأُهملَ شأنهُ وهوَ يشاهدهُ؛ إذْ هوَ مسؤولٌ فِي هذهِ الحالِ عنِ الأمرِ بهِ؛ لأنّ الأمرَ بالمعروفِ فريضةُ كلِّ مسلم يتعيَّنُ عليهِ ولاَ يسقطُ إلَّا بالقيامِ بهِ، ومثالهُ أنْ ينادِي المنادي للصَّلاةِ ولاَ يجيبُ الحاضرونَ منْ أهلِ المجلسِ فإنَّهُ يتعيَّنُ عليهِ أنْ يأمرهمْ بإجابةِ المنادِي للصَّلاةِ إذْ هذَا منَ المعروفِ فلمَّا تركَ وجبَ عليهِ أنْ يأمرَ بهِ، ومثالٌ آخرَ أنْ يمرَّ جائعٌ أوْ عارٍ فإنَّ عليهِ أنْ يطعمهُ أوْ يكسوهُ إنْ قدرَ علَىٰ ذلكَ وإلَّا أمرَ بإطعامهِ أوْ كسوتهِ؛ إذْ إطعامُ الجائعِ وكسوةُ العارِي مِنَ المعروفِ الَّذِي يجبُ أنْ يؤمرَ بهِ إذَا تركَ.

هـ- أنْ ينهَىٰ عنْ كلِّ منكرٍ يشاهدهُ يرتكبُ أمامهُ؛ إذْ تغييرُ المنكرِ كالأمرِ بالمعروفِ وظيفةُ كلِّ مسلم لقولهِ ﷺ: «منْ رأَىٰ منكمْ منكرًا فليغيِّرهُ»(١). ومثالهُ أنْ يبغيَ أمامهُ أحدٌ علَىٰ آخرَ فيضربهُ أوْ يسلبهُ مالهُ، فإنَّهُ يجبُ عليهِ فِي هذهِ الحالِ أنْ يغيِّرَ المنكرَ فيقفَ فِي وجهِ الظُّلمِ والعدوانِ فِي حدودِ طاقتهِ ووسعهِ.

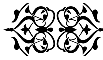
و- أنْ يرشدَ الضَّالَّ؛ فلَو استرشدهُ أحدٌ فِي بيانِ منزلٍ، أوْ هدايةٍ إلَىٰ طريقٍ، أوْ تعريفٍ بأحدٍ مِنَ النَّاسِ لوجبَ عليهِ أنْ يبيِّنَ لهُ المنزلَ، أوْ يهديهُ الطَّريقَ، أوْ يعرِّفهُ بمنْ يريدُ معرفتهُ.

---

(١) رواه مسلم (٦٩). ورواه الترمذي (٢١٧٣).

كلُّ هذَا منْ آدابِ الجلوسِ فِي الطُّرقاتِ، كأمامِ المنازلِ، والدَّكاكينِ والمقاهِي، أوِ السَّاحاتِ العامَّةِ والحدائقِ ونحوهَا؛ وذلكَ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إيَّاكمْ والجلوسَ علَىٰ الطُّرقاتِ**» فقالُوا: مَا لنَا بدٌّ، إنمَا هيَ مجالسنَا نتحدَّثُ فيهَا، قالَ: «**فإذَا أبيتمْ إلَّا المجالسَ فأعطُوا الطَّريقَ حقَّهَا**» **قالُوا: ومَا حقُّ الطَّريقِ؟ قالَ:** «**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذَىٰ، وردُّ السَّلامِ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عنِ المنكرِ**» وفِي بعضِ الرِّواياتِ زيادةُ: «**وإرشادُ الضَّالِّ**»[١].

ومنْ آدابِ الجلوسِ: أنْ يستغفرَ اللهَ عنْدَ قيامهِ منْ مجلسهِ تكفيرًا لمَا عساهُ أنْ يكونَ قدْ ألمَّ بهِ فِي مجلسهِ، فقدْ كانَ ﷺ إذَا أرادَ أنْ يقومَ منَ المجلسِ يقولُ: «**سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدكَ أشهدُ أن لاَّ إلهَ إلَّا أنتَ أستغفركَ وأتوبُ إليكَ**»[٢]. وسئلَ عنْ ذلكَ فقالَ: «**إنَّهَا كفَّارةٌ لمَا يكونَ في المجلسِ**»[٣].



(١) رواه البخاري (٣/ ١٧٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٣).
(٣) رواه أبو داود (٣٢) الأدب.

الفصل التَّاسعُ

آدابُ الأكلِ والشُّربِ

المسلمُ ينظرُ إلَىٰ الطَّعام والشَّرابِ، باعتبارهمَا وسيلةً إلَىٰ غيرهمَا، لاَ غايةً مقصودةً لذاتهَا، فهوَ يأكلُ ويشربُ منْ أجلِ المحافظةِ علَىٰ سلامةِ بدنهِ الَّذِي بهِ يمكنهُ أنْ يعبدَ اللهَ تعالَىٰ، تلكَ العبادةُ الَّتِي تؤهِّلهُ لكرامةِ الدَّارِ الآخرةِ وسعادتهَا، فليسَ هوْ يأكلُ ويشربُ لذاتِ الأكلِ والشُّرب وِشهوتهمَا، فلذَا هوَ لوْ لمْ يجعْ لمْ يأكلْ، ولوْ لمْ يعطشْ لمْ يشربْ، وقدْ وردَ عنهُ ﷺ: «**نحنُ قومٌ لاَ نأكلُ حتَّىٰ نجوعَ، وإذَا أكلنَا فلَا نشبعَ**»[(١)].

ومنْ هنَا كانَ المسلمُ يلتزمُ فِي مأكلهِ ومشربهِ بآدابٍ شرعيَّةٍ خاصَّةٍ منهَا:

أ- آدابُ مَا قبلَ الأكلِ، وهيَ:

١- أنْ يستطيبَ طعامهُ وشرابهُ بأنْ يعدَّهمَا منَ الحلالِ الطَّيِّبَ الخالِي منْ شوائبِ الحرامِ والشُّبه لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]. والطَّيِّبُ هوَ الحلالُ الَّذِي ليسَ بمستقذرٍ ولَا مستخبثٍ.

٢- أنْ ينويَ بأكلهِ وشربهِ التَّقويةَ علَىٰ عبادةِ اللهِ تعالَىٰ، ليُثابَ علَىٰ مَا أكلهُ أوْ شربهُ، فالمباحُ يصيرُ بحسنِ النِّيَّةِ طاعةً يثابُ عليهَا المسلمُ.

---

(١) لمْ أقفْ علَىٰ منْ خرَّجهُ، لعلَّهُ أثرٌ منْ آثارِ الصَّحابةِ ﷺ وليسَ بحديثٍ نبويٍّ. واللهُ أعلمُ.

٣- أنْ يغسلَ يديهِ قبلَ الأكلِ إنْ كانَ بهمَا أذىٰ، أوْ لمْ يتأكَّدْ منْ نظافتهمَا.

٤- أنْ يضعَ طعامهُ علَىٰ سفرةٍ فوقَ الأرض لاَ علَىٰ مائدةٍ **إن كانت هذه عادة قومه**، إذْ هذَا أقربُ إلَىٰ التَّواضع، ولقولِ أنسٍ رضي الله عنه: «**مَا أكلَ رسولُ اللهِ ﷺ علَىٰ خوانٍ، ولاَ فِي سُكْرَجَةٍ**»[1].

٥- أنْ يجلسَ متواضعًا بأنْ يجثوَ علَىٰ ركبتيهِ، ويجلسَ علَىٰ ظهرِ قدميهِ، أوْ ينصبَ رجلهُ اليمنَىٰ، ويجلسَ علَىٰ اليسرَىٰ، كمَا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يجلسُ، ولقولهِ ﷺ: «**لَا آكلُ متَّكئًا، إنَّمَا أنَا عبدٌ آكلُ كمَا يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كمَا يجلسُ العبدُ**»[2].

٦- أنْ يرضَىٰ بالموجودِ منَ الطَّعامِ، وأنْ لاَ يعيبهُ، وإنْ أعجبهُ أكلَ، وإنْ لمْ يعجبهُ تركَ، لحديث أبي هريرةَ رضي الله عنه: «**مَا عابَ رسولُ اللهِ ﷺ طعامًا قطُّ إنْ اشتهاهُ أكلَ، وإنْ كرههُ تركَ**»[3].

٧- أنْ يأكلَ معَ غيرهِ منْ ضيفٍ أوْ أهلٍ أوْ ولدٍ، أوْ خادمٍ، لخبرِ: «**اجتمعُوا علَىٰ طعامكمْ واذكرُوا اسمَ اللهِ يباركْ لكمْ فيهِ**»[4].

ب- آدابُ الأكلِ أثناءهُ، وهيَ:

١- أنْ يبدأهُ ببسمِ اللهِ؛ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إذَا أكلَ أحدكمْ فليذكرِ اسمَ اللهِ تعالَىٰ، فإنْ نسيَ أنْ يذكرَ اسمَ اللهِ تعالَىٰ فِي أوَّلهِ فليقلْ:**

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٣٦٣). ورواه ابن ماجه (٣٢٩٢). والسُّكرجةُ: كلمةٌ فارسيَّةٌ وهيَ قصعةٌ يوضعُ فِيها الأكلُ.

(٢) صحيح البخاري كتاب الأطعمة (١٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٧٦٣).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣/ ٥٠١). ورواه ابن ماجه (٣٢٨٦).

بسمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخرهُ»[١].

٢- أنْ يختمهُ بحمدِ اللهِ تعالَىٰ؛ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**مَن أكلَ طعامًا وقالَ: الحمدُ للهِ الَّذِي أطعمنِي هذَا ورزقنيهِ منْ غير حولٍ منِّي ولَا قوَّةٍ، غُفِرَ لهُ مَا تقدَّمَ منْ ذنبهِ**»[٢].

٣- إذا أكل بيده أنْ يأكلَ بثلاثةِ أصابعَ منْ يدهِ اليمنَىٰ، وأنْ يصغِّرَ اللُّقمةَ ويجيدَ المضغَ، وأنْ يأكلَ ممَّا يليهِ لَا منْ وسطِ القصعةِ؛ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لعمرَ بنِ أبي سلمةَ: «**يَا غلامُ! سمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينكَ، وكُلْ ممَّا يليكَ**»[٣]. وقولهِ ﷺ: «**البركةُ تنزلُ وسطَ الطَّعامِ فكلُوا منْ حافَّتيهِ ولاَ تأكلُوا منْ وسطهِ**»[٤].

٤- أنْ يجيدَ المضغَ وأنْ يلعقَ الصَّحفةَ وأصابعهُ قبلَ مسحهَا بالمنديلِ، أوْ غسلهَا بالماءِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إذَا أكل أحدكمْ طعامًا فلَا يمسحْ أصابعهُ حتَّىٰ يَلعقهَا، أوْ يُلعقهَا**»[٥]. ولقولِ جابرٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَ بلعقِ الأصابعِ والصَّحفةِ، وقالَ: «**إنَّكمْ لاَ تدرونَ فِي أيِّ طعامكمُ البركةَ**»[٦]. وهذا إن لم يكن ذلك مما ينفر منه جليسه في عرفه وعادته.

٥- إذَا سقطَ منهُ شيءٌ ممَا يأكلُ أزالَ عنهُ الأذىٰ وأكلهُ؛ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إذَا سقطتْ لقمةُ أحدكمْ فليأخذهَا، وليُمطْ -ينحِّ- عنهَا**

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٦٧) والإمام أحمد (٦/ ٢٤٦، ٢٦٥).
(٢) رواه أبو داود (١) اللباس. ورواه الترمذي (٣٤٥٨) ورواه ابن ماجه (٣٢٨٥).
(٣) رواه البخاري (٧/ ٨٨). ورواه مسلم (١٠٨) كتاب الأشربة.
(٤) رواه الترمذي (١٨٠٥).
(٥) رواه البخاري (٧/ ١٠٦). ورواه أبو داود (٥٢) الأطعمة.
(٦) رواه مسلم (١٣٦) كتاب الأشربة.

الأذَىٰ وليأكلهَا، ولَا يدعهَا للشَّيطان»[١].

٦- أنْ لاَ ينفخَ فِي الطَّعامِ الحارِّ؛ وأنْ لَا يطعمهُ حتَّىٰ يبردَ، وأنْ لاَ ينفخَ فِي الماءِ حالَ الشُّربِ، وليتنفَّسْ خارجَ الإناءِ ثلاثًا؛ لحديثِ أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**كانَ يتنفَّسُ فِي الشَّرابِ ثلاثًا**»[٢] ولحديثِ أبِي سعيدٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «نهَىٰ عنِ النَّفخِ فِي الشَّرابِ»[٣]. ولحديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «**نهَىٰ أنْ يتنفَّسَ فِي الإناءِ أوْ ينفخَ فيهِ**»[٤].

٧- أنْ يتجنَّبَ الشَّبعَ المفرطَ لقولِ الرَّسولِ صلى الله عليه وسلم: «**مَا ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا منْ بطنهِ، بحسبِ ابنِ آدمَ لقيماتٌ يقمنَ صلبهُ، فإنْ لم يفعلْ فثلثٌ لطعامهِ، وثلثٌ لشرابهِ، وثلثٌ لنفسهِ**»[٥].

٨- أنْ يناولَ الطَّعامَ أوِ الشَّرابَ أكبرَ الجالسينَ، ثمَّ يديرهُ الأيمنَ فالأيمنَ، وأنْ يكونَ هوَ آخرَ القومِ شربًا لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**كبِّرْ كبِّرْ**» أيِ ابدأْ بالأكبرِ منَ الجالسينَ، ولاستئذانهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ابنَ عبَّاسٍ فِي أنْ يناولَ الشَّرابَ الأشياخَ علَىٰ يسارهِ -إذْ كانَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما علَىٰ يمينهِ والأشياخُ الكبارُ علَىٰ يسارهِ-[٦] فاستئذانهُ دالٌّ علَىٰ أنَّ الأحقَّ بالشَّرابِ الجالسُ علَىٰ اليمينِ. ولقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**الأيمنَ فالأيمنَ**»[٧].

---

(١) رواه مسلم (١٣٥) كتاب الأشربة.
(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢١١، ٢٥١).
(٣) رواه الترمذي (١٨٨٧) وصححه.
(٤) رواه الترمذي (١٨٨٨) وصححه. ورواه أبو داود (٣٧٢٨).
(٥) رواه ابن ماجه (٣٣٤٩). ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١) وحسنه.
(٦) صحيح البخاري كتاب المظالم (١٢) ومسلم كتاب الأشربة (١٢٧)
(٧) رواه البخاري (٣/ ١٤٤)، (١٤٣). ورواه مسلم (١٢٤) كتاب الأشربة.

وقولهِ: «**ساقِي القومِ آخرهمْ**» يعنِي شربًا.

٩- أنْ لا يبدأَ بتناولِ الطَّعامِ أوِ الشَّرابِ، وفِي المجلسِ منْ هوَ أولَىٰ منهُ بالتَّقديمِ لكبرِ سنٍّ، أوْ زيادةِ فضلٍ؛ لأنَّ ذلكَ مخلٌّ بالآدابِ، معرِّضٌ صاحبهُ لوصفِ الجشعِ المذمومِ. قالَ بعضهمْ:

وإنْ مدَّتِ الأيدِي إلَىٰ الزَّادِ لمْ أكنْ بأعجلهمْ، إذْ أجشعُ القومِ أعجلُ

١٠- أنْ لاَ يحوجَ رفيقهُ أوْ مضيفهُ إلَىٰ أنْ يقولَ لهُ: كُلْ، ويلحَّ عليهِ، بلْ عليهِ أنْ يأكلَ فِي أدبٍ كفايَتهُ منَ الطَّعامِ منْ غيرِ حياءٍ أوْ تكلُّفٍ للحياءِ، إذْ فِي ذلكَ إحراجٌ لرفيقهِ أوْ مضيفهِ، كمَا فيهِ نوعُ رياءٍ، والرِّياءُ حرامٌ.

١١- أنْ يرفقَ برفيقهِ في الأكلِ فلَا يحاولُ أنْ يأكلَ أكثرَ منهُ، ولَا سيَّمَا إذَا كانَ الطَّعامُ قليلًا؛ لأنَّهُ فِي ذلكَ يكونُ آكلًا لحقِّ غيرهِ.

١٢- أنْ لَا ينظرَ إلَىٰ الرُّفقاءِ أثناءَ الأكلِ، وأنْ لَا يراقبهمْ فيستحونَ منهُ، بلْ عليهِ أنْ يغضَّ بصرهُ عنِ الأكلةِ حولهُ، وأنْ لَا يتطلَّعَ إليهمْ إذْ ذلكَ يؤذيهمْ، كمَا قدْ يسبِّبُ لهُ بغضَ أحدهمْ، فيأثمُ لذلكَ.

١٣- أنْ لَا يفعلَ مَا يستقذرهُ النَّاسُ عادةً فلَا ينفضُ يدهُ فِي القصعةِ، ولَا يدنِي رأسهُ منهَا عندَ الأكلِ والتَّناولِ لئلَّا يسقطَ منْ فمهِ شيءٌ فيقعَ فيهَا، كمَا إذَا أخذَ بأسنانهِ شيئًا مِنَ الخبزِ لَا يغمسُ باقيهِ فِي القصعةِ، كمَا عليهِ أنْ لَا يتكلَّمَ بالألفاظِ الدَّالةِ علَىٰ القاذوراتِ والأوساخِ، إذْ ربَّمَا تأذَّىٰ بذلكَ أحدُ الرُّفقاءِ، وأذيَّةُ المسلمِ محرَّمةٌ.

١٤- أنْ يكونَ أكلهُ معَ الفقيرِ قائمًا علَىٰ إيثارهِ، ومعَ الإخوانِ قائمًا علَىٰ الانبساطِ والمداعبةِ المرحةِ، ومعَ ذوِي الرُّتبِ والهيئاتِ علَىٰ الأدبِ والاحترامِ.

ج- آدابُ مَا بعدَ الأكلِ، وهيَ:

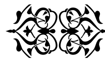
١- يمسكُ عنِ الأكلِ قبلَ الشِّبعِ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وحتَّىٰ لاَ يقعَ فِي التُّخمةِ المهلكةِ، والبطنةِ المذهبةِ للفطنةِ.

٢- أنْ يلعقَ يدهُ ثمَّ يمسحهَا أوْ يغسلهَا، وغسلهَا أولَىٰ وأحسنُ.

٣- أنْ يلتقطَ مَا تساقطَ منْ طعامهِ أثناءَ الأكلِ؛ لمَا وردَ منَ التَّرغيبِ فِي ذلكَ؛ لأنَّهُ منْ بابِ الشُّكرِ للنِّعمةِ.

٤- أنْ يخلِّلَ أسنانهُ ويتمضمضَ تطيبًا لفمهِ، إذْ بهِ يذكرُ اللهُ تعالَىٰ ويخاطبُ الإخوانُ، كمَا أنَّ نظافةَ الفمِ قدْ تبقِي علَىٰ سلامةِ الأسنانِ.

٥- أنْ يحمدَ اللهَ تعالَىٰ عقبَ أكلهِ أوْ شربهِ، وأنْ يقولَ إذَا شربَ لبنًا: اللَّهمَّ باركْ لنَا فيمَا رزقتنَا وزدنَا منهُ، وإنْ أفطر عند قوم، قال: أفطرَ عندكمُ الصَّائمونَ، وأكلَ طعامكم الأبرارُ، وصلَّتْ عليكمُ الملائكةُ. وإنْ قالَ: اللَّهمَّ باركَ لهمْ فيمَا رزقتهمْ، واغفرْ لهمْ وارحمهمْ، فقدْ أصابَ السُّنَّةَ. ودعَا بخير كثير.



الفصل العاشرُ

في آداب الضيافة

المسلمُ يؤمنُ بواجبِ إكرامِ الضَّيفِ، ويقدرهُ قدرهُ المطلوبَ؛ وذلكَ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفهُ**»[١] وقولهِ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفهُ جائزتهُ**». قالُوا: ومَا جائزتهُ؟ قالَ: «**يومُه وليلتهُ، والضِّيافةُ ثلاثةُ أيَّامٍ، فمَا كانَ وراءَ ذلكَ فهوَ صدقةٌ**»[٢]. ولهذَا كانَ المسلمُ يلتزمُ فِي شأنِ الضِّيافةِ بالآداب التَّاليةِ:

أ- فِي الدَّعوةِ إليهَا وهيَ:

١- أنْ يدعوَ لضيافتهِ الأتقياءَ دونَ الفسَّاقِ والفجرةِ؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لاَ تصاحبْ إلَّا مؤمنًا، ولَا يأكلْ طعامكَ إلَّا تقيٌّ**»[٣].

٢- أنْ لاَ يخصَّ بضيافتهِ الأغنياءَ دونَ الفقراءِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**شرُّ الطَّعامِ طعامُ الوليمةِ يدعَىٰ إليهَا الأغنياءُ دونَ الفقراءِ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٣، ٣٩). ورواه مسلم (٧٤، ٧٥) كتاب الإيمان.
(٢) رواه البخاري (٨/ ١٣، ٣٩). ورواه الدارمي (٢/ ٩٨).
(٣) رواه الدارمي (٢/ ١٠٣). ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٨).
(٤) رواه مسلم (١٠٨، ١٠٩) كتاب النكاح. ورواه أبو داود (٣٧٤٢).

٣- أنْ لَا يقصدَ بضيافتهِ التَّفاخرَ والمباهاةَ، بلْ يقصدُ الاستنانَ بسنَّةِ النَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والأنبياءِ منْ قبلهِ كإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والَّذِي كانَ يلقَّبُ بأبِي الضِّيفانِ، كمَا ينوِي بهَا إدخالَ السُّرورِ علَىٰ المؤمنينَ، وإشاعةَ الغبطةِ والبهجةِ فِي قلوبِ الإخوانِ.

٤- أنْ لاَ يدعوَ إليهَا مَنْ يعلمُ أنَّهُ يشقُّ عليهِ الحضورُ، أوْ أنَّهُ يتأذَّىٰ ببعضِ الإخوانِ الحاضرينَ تجنُّبًا لأذيَّةِ المؤمنِ المحرَّمةِ.

ب- فِي آدابِ إجابتهَا، وهِي:

١- أنْ يجيبَ الدَّعوةَ ولاَ يتأخَّرَ عنهَا إلَّا منْ عذرٍ، كأنَ يخشَىٰ ضررًا فِي دينهِ أوْ بدنهِ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**منْ دُعيَ فليُجبْ**»(١). وقولهِ: «**لوْ دعيتُ إلَىٰ كراعِ شاةٍ لأجبتُ، ولوْ أهدى إليّ ذراعٌ لقبلتُ**»(٢).

٢- أنْ لاَ يميِّزَ فِي الإجابةِ بينَ الفقيرِ والغنيِّ؛ لأنَّ فِي عدمِ إجابةِ الفقيرِ كسرًا لخاطرهِ، كمَا أنَّ فِي ذلكَ نوعًا منَ التَّكبُّرِ؛ والكبرُ ممقوتٌ، وممَّا يروَىٰ فِي إجابةِ دعوةِ الفقراءِ أنَّ الحسنَ بنَ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرَّ بمساكينَ وقدْ نشرُوا كسرًا علَىٰ الأرضِ وهمْ يأكلونَ، فقالُوا لهُ: هلمَّ إلَىٰ الغداءِ يَا ابنَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ! فقالَ: نعمْ! **إنَّ اللهَ لَا يحبُّ المتكبِّرينَ، ونزلَ منْ علَىٰ بغلتهِ وأكلَ معهمْ.**

٣- أنْ لاَ يفرِّقَ فِي الإجابةِ بينَ بعيدِ المسافةِ وقريبهَا، وإنْ وجِّهتْ إليهِ دعوتانِ أجابَ السَّابقةَ منهمَا، واعتذرَ للآخرِ.

٤- أنْ لاَ يتأخَّرَ منْ أجلِ صومهِ بلْ يحضرَ، فإنْ كانَ صاحبهُ يُسَرُّ بأكلهِ أفطرَ؛ لأنَّ إدخالَ السُّرورِ علَىٰ قلبِ المؤمنِ منَ القربِ، وإلَّا دعَا لهمْ

---

(١) رواه أبو داود (١) كتاب الأطعمة. ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٣/ ٢٠١)، (٧/ ٣٢).

بخيرٍ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إذَا دُعيَ أحدكُم فليجبْ فإنْ كانَ صائمًا فليصلِّ -يدعُ- وإنْ كانَ مفطرًا فليطعمْ**»(١) وقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**تكلَّفَ لكَ أخوكَ وتقولُ: إنِّي صائمٌ؟!**»(٢).

٥- أنْ ينويَ بإجابتهِ إكرامَ أخيهِ المسلم ليثابَ عليهِ لخبرِ: «**إنَّمَا الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لكلِّ امرئٍ ما نوَىٰ**»(٣)، إذْ بالنِّيَّةِ الصَّالحةِ ينقلبُ المباحُ طاعةً يؤجرُ عليهَا المؤمنُ.

ج- فِي آدابِ حضورهَا وهيَ:

١- أنْ لَا يطيلَ الانتظارَ عليهمْ فيقلقهمْ، وأنْ لَا يعجِّلَ المجيءَ فيفاجئهمْ قبلَ الاستعدادِ لمَا فِي ذلكَ منْ أذيَّتهمْ.

٢- إذَا دخلَ فلَا يتصدَّرُ المجلسَ بلْ يتواضعُ فِي المجلسِ، وإذَا أشارَ إليهِ صاحبُ المحلِّ بالجلوس فِي مكانٍ؛ جلسَ فيهِ ولَا يفارقهُ.

٣- أنْ يعجِّلَ بتقديمِ الطَّعامِ للضَّيفِ؛ لأنَّ فِي تعجيلهِ إكرامًا لهُ، وقدْ أمرَ الشَّارعُ بإكرامهِ: «**مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفهُ**»(٤).

٤- أنْ لَا يبادرَ إلَىٰ رفعِ الطَّعامِ قبلَ أنْ ترفعَ الأيدِي عنهُ، ويتمَّ فراغُ الجميعِ منَ الأكلِ.

٥- أنْ يقدِّمَ لضيفهِ قدرَ الكفايةِ، إذِ التَّقليلُ نقصٌ فِي المروءةِ، والزِّيادةُ تصنُّعٌ ومراءاةٌ، وكلَا الأمرين مذمومٌ.

---

(١) رواه مسلم (١٠٦) كتاب النكاح.

(٢) سنن الدارقطني ص٢٣٧، ومسند الطيالسي ص٢٩٣. انظر نصب الراية (٢/ ٤٦٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

٦- إذَا نزلَ ضيفًا علَىٰ أحدٍ فلَا يزيدنَّ علَىٰ ثلاثةِ أيَّامٍ إلَّا أنْ يلحَّ عليهِ مضيفهُ فِي الإقامةِ أكثرَ، وإذَا انصرفَ استأذنَ لانصرافهِ.

٧- أنْ يشيِّعُ الضَّيفَ بالخروجِ معهُ إلَىٰ خارجِ المنزلِ، لعملِ السَّلفِ الصَّالحِ ذلكَ؛ ولأنَّهُ داخلٌ تحتَ إكرام الضَّيفِ المأمورِ بهِ شرعًا.

٨- أنْ ينصرفَ الضَّيفُ طَيِّبَ النَّفسِ، وإنْ جرَىٰ فِي حقِّهِ تقصيرٌ مَا؛ لأنَّ ذلكَ منْ حسنِ الخلقِ الَّذِي يدركُ بهِ العبدُ درجةَ الصَّائمِ القائمِ.

٩- أنْ يكونَ للمسلمِ ثلاثةُ فُرُشٍ: أَحدهَا لهُ، وثانيها لأهلهِ، والثَّالثُ للضَّيفِ، والزِّيادةُ علَىٰ الثَّلاثةِ منهيٌّ عنهَا لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**فراشٌ للرَّجلِ، وفراشٌ للمرأةِ، وفراشٌ للضَّيفِ، والرَّابعُ للشيطانِ**»[1].



(١) رواه أبو داود (٤١٤٢). ورواه الإمام أحمد (٣/ ٣٢٤).

الفصل الحادِي عشرَ

فِي آدابِ السَّفرِ

المسلمُ يرَىٰ أنَّ السَّفرَ منْ لوازمِ حياتهِ وضروريَّاتهَا الَّتِي لاَ تنفكُّ عنهَا؛ إذِ الحجُّ والعمرةُ والغزوُ، وطلبُ العلمِ، والتِّجارةُ، وزيارةُ الإخوانِ -وهيَ كلُّهَا مَا بينَ فريضةٍ وواجبٍ- لا بدَّ لهَا منْ رحلةٍ وسفرٍ، ومنْ هنَا كانتْ عنايةُ الشَّارعِ بالسَّفرِ وأحكامهِ وآدابهِ عنايةً لَا تنكرُ، وكانَ علَىٰ المسلم الصَّالح أنْ يتعلَّمهَ، ويعملَ علَىٰ تنفيذهَا وتطبيقهَا.

أمَّا الأحكامُ فهيَ:

١- قصرُ الصَّلاةِ الرُّباعيَّةِ فيصلِّيهَا ركعتينِ فقطْ إلَّا المغربَ فإنَّهُ يصلِّيهَا ثلاثًا، ويبدأُ القصرَ منْ مغادرتهِ البلدَ الَّذِي يسكنهُ إلَىٰ أنْ يعودَ إليهِ، إلَّا أنْ ينويَ إقامةَ أربعةِ أيَّامٍ فأكثرَ فِي البلدِ الَّذِي سافرَ إليهِ أوْ نزلَ فيهِ، فإنَّهُ فِي هذهِ الحالِ يُتمَّ ولاً يُقصرُ، حتَّىٰ إذَا خرجَ عائدًا إلَىٰ بلدهِ رجعَ إلَىٰ التَّقصِير فيقصرُ إلَىٰ أنْ يصلَ إلَىٰ بلدهِ رجعَ إلَىٰ التَّقصِير فيقصرُ إلَىٰ أنْ يصلَ إلَىٰ بلدهِ؛ وذلكَ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٠١]. ولقولِ أنسٍ: «**خرجنَا معَ الرَّسولِ ﷺ منَ المدينةِ إلىٰ مكَّةَ فكانَ يصلِّي الرُّباعيَّة ركعتينِ ركعتينِ حتَّىٰ رجعنَا إلَىٰ المدينةِ**»[١].

---

(١) رواه النسائي (١٤٣٨) والترمذي (٥٤٦) وصححه.

٢- جوازُ المسحِ علَىٰ الخفَّينِ ثلاثةَ أيَّامٍ بلياليهنَّ لقولِ عليٍّ رضي الله عنه: «جعلَ لنَا النَّبيُّ ﷺ ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليهنَّ للمسافرِ، ويومًا وليلةً للمقيمِ» يعنِي فِي علَىٰ الخفَّينِ[1].

٣- إباحةُ التَّيمُّمِ، إنْ فقدَ الماءَ أوْ شُقَّ عليهِ طلبهُ، أوْ غلَا عليهِ ثمنهُ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣].

٤- رخصةُ الفطرِ فِي الصَّومِ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

٥- جوازُ صلاةِ النَّافلةِ علَىٰ الدَّابَّةِ حيثمَا اتَّجهتْ؛ لقولِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يصلِّي سُبحتهُ (النافلة) حيثُ توجَّهتَ بهِ ناقتهُ[2].

٦- جوازُ الجمعِ بينَ الظُّهرينِ، أوِ العشاءينِ جمعَ تقديمٍ إنْ جدَّ بهِ السَّيرُ، فيصلِّي الظُّهرَ والعصرَ فِي وقتِ الظُّهرِ، والمغربَ والعشاءَ فِي وقتِ المغربِ، أوْ جمعَ تأخيرٍ بأنْ يؤخِّرَ الظُّهرَ إلىٰ أوَّلِ العصرِ ويصلِّيهمَا معًا، والمغربَ إلَىٰ العشاءِ ويصلِّيهمَا معًا لقولِ معاذٍ رضي الله عنه: **«خرجنَا معَ رسولِ اللهِ ﷺ فِي غزوةِ تبوكٍ فكانَ يصلِّي الظُّهرَ والعصرَ جميعًا والمغربَ والعشاءَ جميعًا»**[3].

وأمَّا الآدابُ فهيَ:

١- أنْ يردَّ المظالمَ والودائعَ إلَىٰ أصحابهَا، إذِ السَّفرُ مظنَّةُ الهلاكِ.

---

(١) رواه مسلم (٨٥) كتاب الطهارة.
(٢) رواه مسلم (٤) كتاب صلاة المسافرين.
(٣) صحيح مسلم (١/ ٤٩٠).

٢- أنْ يعدَّ زادهُ منَ الحلالِ، وأنْ يتركَ نفقةَ منْ تجبُ عليهِ نفقتهُ منْ زوجةٍ وولدٍ ووالدٍ.

٣- أنْ يودِّعَ أهلَهُ وإخوانَهُ وأصدقاءَهُ، وأنْ يدعوَ بهذَا الدُّعاءِ لمنْ يودِّعهمْ: أستودعُ اللهَ دينكمْ وأمانتكمْ وخواتيمَ أعمالكمْ، ويقولُ لهُ المودِّعونَ: زوَّدكَ اللهُ التَّقوى، وغفرَ ذنبكَ، ووجَّهكَ إلَىٰ الخيرِ حيثُ توجَّهتَ؛ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**إنَّ لقمانَ الحكيمِ قالَ: إنَّ اللهَ تعالَىٰ إذَا استودعَ شيئًا حفظهُ**»[1]. وكانَ يقولُ لمنْ يشيِّعهُ: «**أستودعُ اللهَ دينكَ وأمانتكَ، وخواتيمَ عملكَ**»[2].

٤- أنْ يخرجَ إلَىٰ سفرهِ فِي رفقةِ ثلاثةٍ أوْ أربعةٍ بعد اختيارهمْ ممَّنْ يصلحونَ للسَّفرِ معهُ، إذِ السَّفرُ كمَا قيلَ: مخبرُ الرِّجالِ، وقدْ سُمِّي سفرًا لأنَّهَ يُسفرُ عنْ أخلاقِ الرِّجالِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**الرَّاكبُ شيطانٌ والرَّاكبانِ شيطانانِ، والثَّلاثةُ ركبٌ**»[3]. وقولهِ: «**لوْ يعلَم النَّاسُ مَا فِي الوحدةِ مَا أعلمُ مَا سارَ راكبٌ بليلٍ وحدَه**»[4].

٥- أنْ يؤمِّرَ الرَّكبُ المسافرونَ أحدًا منهمْ يتولَّىٰ قيادتهمْ بمشورتهمْ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إذَا خرجَ ثلاثةٌ فِي سفرٍ فليأمِّرُوا أحدهمْ**»[5].

٦- أنْ يصلِّيَ قبلَ سفرهِ صلاةَ الاستخارةِ «**لترغيبِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي ذلكَ حتَّىٰ إنَّهُ كانَ يعلِّمهمْ إيَّاهَا كمَا يعلِّمهمُ السُّورةَ منَ**

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٨٧).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ٧، ٣٨/٢٥، ١٣٦).
(٣) رواه أبو داود (٢٦٠٧). وورواه الترمذي (١٦٧٤).
(٤) رواه البخاري (٤/ ٧٠).
(٥) رواه أبو داود (٢٦٠٨).

القرآنِ الكريمِ وفِي جميعِ الأمورِ»[(١)].

٧- أنْ يقولَ عندَ مغادرتهِ المنزل: «**بسمِ اللهِ، توكَّلتُ علَىٰ اللهِ، ولَا حولَ ولاَ قوَّةَ إلَّا باللهِ، اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أَضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أوْ أَزِلَّ أوْ أُزَلَّ، أوْ أَظلِمَ أوْ أُظلَمَ، أوْ أجْهَلَ أوْ يُجهَلَ عليَّ**»[(٢)] فإذَا ركبَ قالَ: «**بسمِ اللهِ وباللهِ واللهُ أكبرُ، توكَّلتُ علَىٰ اللهِ، ولا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ، مَا شاءَ اللهُ كانَ، ومَا لمْ يشأْ لمْ يكنْ، سبحانَ الَّذِي سخَّرَ لنَا هذَا، ومَا كنَّا لهُ مقرنينِ، وإنَّا إلَىٰ ربِّنَا لمنقلبونَ، اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ فِي سفرنَا هذَا البرَّ والتَّقوَىٰ، ومنَ العملِ مَا ترضَىٰ، اللَّهمَّ هوِّنْ علينَا سفرنَا هذَا، واطوِ عنَّا بعدهُ. اللَّهمَّ أَنتَ الصَّاحبُ فِي السَّفرِ، والخليفةُ فِي الأهلِ والمالِ. اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منْ وعثاءِ السَّفرِ وكآبةِ المنظرِ، وخيبةِ المنقلبِ، وسوءِ المنظرِ فِي المالِ والأهلِ والولدِ**»[(٣)].

٨- أنْ يخرجَ يومَ الخميسِ أوَّلَ النَّهارِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اللَّهمَّ باركْ لأمَّتِي فِي بكورهَا**»[(٤)] ولمَا جاءَ عنهُ ﷺ أنَّهُ كانَ يخرجُ إلَىٰ سفرهِ يومَ الخميسِ.

٩- أنْ يكبِّرَ علَىٰ كلِّ شرفٍ (مكانٍ عَالٍ) لقولِ أبِي هريرةَ: إنَّ رجلًا قالَ: يا رسُول اللهِ! إنِّي أريدُ أنْ أسافرَ فأوصنِي قالَ: «**عليكَ بتقوَىٰ اللهِ، والتَّكبيرِ علَىٰ كلِّ شرفٍ**»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٩/ ١٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤) بإسناد صحيح.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٩٩).

(٤) رواه الترمذي (١٢١٢). وروه أبو داود (٢٦٠٦). وابن ماجه (٢٢٣٦).

(٥) رواه الترمذي (٣٤٤٥) بإسناد حسن.

١٠- إذَا خافَ ناسًا قالَ: «**اللَّهمَّ إنَّا نجعلكَ فِي نحورهمْ ونعوذُ بكَ منْ شرورهمْ**» لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ذلكَ.

١١- أنْ يدعوَ اللهَ تعالَىٰ فِي سفرهِ ويسألَ منْ خيرِ الدُّنيَا والآخرةِ؛ إذِ الدُّعاءُ فِي السَّفرِ مستجابٌ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لاَ شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلومِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ الوالدِ علَىٰ ولدهِ**»(١).

١٢- إذَا نزلَ منزلًا قالَ: «**أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّاماتِ منْ شرِّ مَا خلقَ، وإذَا أقبلَ اللَّيلُ قالَ: يَا أرضُ، ربِّي وربُّكِ اللهُ، إنِّي أعوذُ باللهِ منْ شرِّكِ وشرِّ مَا فيكِ، وشرِّ مَا خلقَ فيكِ، وشرِّ مَا يدبُّ عليكِ، وأعوذُ باللهِ منْ شرِّ أسدٍ وأسودَ، ومنْ حيَّةٍ وعقربٍ، ومنْ ساكني البلدِ، ومنْ والدٍ ومَا ولدَ**»(٢).

١٣- إذَا خافَ وحشَةً قالَ: سبحانَ الملكِ القدُّوسِ، ربِّ الملائكةِ والرُّوحِ جلِّلت السَّمواتُ بالعزَّةِ والجبروتِ.

١٤- إذَا نامَ أوَّلَ اللَّيلِ افترشَ ذراعَهُ، وإنْ أعرسَ -أيْ نامَ آخرَ اللَّيلِ- نصبَ ذراعُه وجعلَ رأسهُ فِي كفِّهِ حتَّىٰ لَا يستثقلَ نومهُ فتفوتهُ صلاةُ الصُّبحِ في وقتِهَا.

١٥- إذَا أشرفَ علَىٰ مدينةٍ قالَ: «**اللَّهمَّ اجعلْ لنَا بهَا قرارًا، وارزقنَا فيهَا رزقًا حلالًا، اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ منْ خيرِ هذهِ المدينةِ وخيرِ مَا فيهَا، وأعوذُ بكَ منْ شرِّهَا وشرِّ مَا فيهَا**»(٣) إذْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ ذلكَ.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٠٥) بإسناد حسن.
(٢) رواه أبو داود (٨٢) الجهاد. ورواه الإمام أحمد (٢/ ١٣٢). ورواه الحاكم (٢/ ١٠٠).
(٣) ورد في كنز العمال (٣٨١٥٧)، وعمل اليوم والليلة لابن السني (٥١٩).

١٦- أنْ يعجِّلَ الأوبةَ والرُّجوعَ إلَىٰ أهلهِ وبلادهِ إذَا هوَ قضَىٰ حاجتهُ منْ سفرهِ؛ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**السَّفرُ قطعةٌ منَ العذابِ يمنعُ أحدَكمْ طعامَهُ وشرابَهُ ونومَهُ، فإذَا قضَىٰ أحدكمْ نهمتهُ -حاجتهُ- منْ سفرهِ فليعجِّلْ إلىٰ أهلهِ**»(١).

١٧- إذَا قفلَ راجعًا كبَّرَ ثلاثًا وقالَ: «**آيبونَ تائبونَ عابدونَ لربِّنَا حامدونَ**»(٢) ويكرِّرُ ذلكَ، لفعلهِ ﷺ ذلكَ.

١٨- أنْ لَا يطرقَ أهلهُ ليلًا، وأن يبعثَ إليهمْ منْ يبشِّرهمْ حتَّىٰ لَا يفاجئهمْ بمقدمهِ عليهمْ فقدْ كانَ هذَا منْ هدي النَّبيِّ ﷺ.

١٩- أنْ لَا تسافرَ المرأةُ سفرَ يومٍ وليلةٍ إلَّا معَ ذِي محرمٍ لهَا؛ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لَا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ تسافرُ مسيرةَ يومٍ وليلةٍ إلَّا معَ ذِي محرمٍ عليهَا**»(٣).

- **وأجاز بعض الفقهاء ذلك إن كان سفرًا آمنًا في رفقة آمنة.**



---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠)، (٤/ ٧١). ورواه مسلم (١٧٩) كتاب الإمارة. ورواه ابن ماجه (٢٨٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٩)، (٤/ ٦٩). ورواه مسلم (٤٢٨) كتاب الحج.

(٣) رواه البخاري (٢/ ٥٤). ورواه مسلم (٧٤) كتاب الحج.

الفصل الثَّاني عشرَ

فِي آدابِ اللباسِ

المسلمُ يرَىٰ أنَّ اللِّباسَ قدْ أمرَ اللهُ تعالَىٰ بهِ فِي قولهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وامتنَّ بهِ فِي قولهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وفِي قولهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١]. وفي قوله: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]. وأنَّ رسولهُ ﷺ قدْ أمرَ بهِ فِي قولهِ: «كلُوا واشربُوا والبسُوا وتصدَّقُوا فِي غيرِ إسرافٍ ولَا مخيلةٍ»[١]. كمَا قدْ بيَّنَ ﷺ مَا يجوزُ منهُ، ومَا لَا يجوزُ، ومَا يستحبُّ لبسهُ، ومَا يكرهُ، فلهذَا كانَ علَىٰ المسلمِ أنْ يلتزمَ فِي لباسهِ بالآدابِ التَّاليةِ.

١- أنْ لَا يلبسَ الحريرَ مطلقًا، سواءَ كانَ فِي ثوبٍ أوْ عمامةٍ أوْ غيرهمَا؛ لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لاَ تلبسُوا الحريرَ، فإنَّهُ منْ لبسهُ فِي الدُّنيا لمْ يلبسهُ فِي الآخرةِ**»[٢]. وقولهِ وقدْ أخذَ حريرًا فجعلهُ فِي يمينهِ، وذهبًا فجعلهُ فِي شمالهِ: «**إنَّ هذينِ حرامٌ علَىٰ ذكورِ أمَّتِي**»[٣]. وقولهِ: «**حرِّمَ لباسُ الحريرِ**

(١) رواه البخاري (٧/ ١٨٢).

(٢) رواه مسلم (٢) كتاب اللباس.

(٣) رواه أبو داود (٤٠٥٧).

والذَّهبِ علَىٰ ذكورِ أمَّتِي، وأُحلَّ لنسائهمْ»(١).

٢- أنْ لَا يطيلَ ثوبهُ، أوْ سرواله، أوْ برنسهُ أوْ رداءهُ إلَىٰ أنْ يتجاوزَ كعبيهِ **بقصد الخيلاء** لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «مَا أسفلَ الكعبينِ منَ الإزارِ فِي النَّارِ» وقولهِ: «**الإسبالُ فِي الإزارِ والقميصِ والعمامةِ مَنْ جرَّ منها شيئًا خيلاءَ لَم ينظرْ إليهِ يومَ القيامةِ**»(٢). وقولهِ: «**لَا ينظرُ اللهُ إلَىٰ مَنْ جرَّ ثوبهُ خيلاءَ**»(٣).

٣- أنْ يؤثرِ لباسَ الأبيضِ علَىٰ غيرهِ، وأنْ يرَىٰ لباسَ كلِّ لونٍ جائزًا لقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**البسُوا البياضَ فإنَّهَا أطهرُ وأطيبُ، وكفِّنُوا فيهَا موتاكُم**»(٤). ولقولِ البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه: «**كانَ رسولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مربوعًا، ولقدْ رأيتهُ فِي حلَّةٍ حمراءَ مَا رأيتُ شيئًا قطُّ أحسنَ معهُ**»(٥). ولمَا صحَّ عنهُ ﷺ منْ أنَّهُ لبسَ الثَّوبَ الأخضرَ، واعتمَّ بالعمامةِ السَّوداءِ.

٤- أنْ تطيلَ المسلمةُ لباسهَا إلَىٰ أنْ يسترَ قدميهَا، وأنْ تسبلَ خمارهَا علَىٰ رأسهَا فتسترَ عنقهَا ونحرهَا؛ وصدرهَا؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ولقولِ عائشةَ رضي الله عنها: «**يرحمُ اللهُ نساءَ المهاجراتِ الأولَ لمَّا أنزلَ اللهُ: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ شققنَ أكثفَ مرطهنَّ**

(١) رواه الترمذي (١٧٢٠).
(٢) رواه أبو داود (٤٠٩٤) والنسائي (٨/ ٢٠٨).
(٣) رواه البخاري (٧/ ١٨٢). ورواه مسلم (٩) كتاب اللباس.
(٤) رواه الترمذي (٢٨١٠).
(٥) رواه البخاري (٤/ ٢٨٨)، (٧/ ١٩٧).

فاختمرنَ بهَا»[١]. **ولقولِ أمِّ سلمةَ** ﵂: «**لمَّا نزلتْ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾، **خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ علَىٰ رؤوسهنَّ الغربانَ منَ الأكسية»**[٢].

٥- أنْ لَا يتختَّمَ بخاتمِ الذَّهبِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي الذَّهبِ والحريرِ: «إنَّ هذينِ حرامٌ علَىٰ ذكورِ أمَّتِي» وقولهِ: «**حرُمَ لباسُ الحريرِ والذَّهبِ علَىٰ ذكورِ أمَّتِي وأحِلَّ لنسائهمْ**» وقولهِ وقدْ رأى خاتمًا منْ ذهبٍ فِي يدِ رجلٍ فنزعهُ فطرحهُ وقالَ: «**يعمدُ أحدكمْ إلَىٰ جمرةٍ منْ نارٍ فيجعلُها فِي يدهِ**». فقيلَ للرَّجلِ بعدمَا ذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ: خذْ خاتمكَ انتفعْ بهِ، فقالَ: لَا، واللهِ لَا آخذهُ أبدًا وقدَ طرحهُ رسولُ اللهِ ﷺ[٣].

٦ - لَا بأسَ للمسلم أنْ يتختَّمَ بخاتمِ الفضَّةِ أوْ ينقشَ فِي فصِّهِ اسمهُ ويتَّخذهُ طابعًا يطبعُ بهِ رسائلهِ وكتاباتهِ، ويوقِّعَ بهِ الصَّكوكَ وغيرهَا «**لاتِّخاذِ النَّبيِّ ﷺ خاتمًا منْ فضَّةٍ نقشهُ**: «**محمَّدٌ رسولُ اللهِ**» **وكانَ يجعلهُ فِي الخنصرِ مِن يدهِ اليسرَىٰ**».

لقولِ أنسٍ ﵁: «**كانَ خاتمُ النَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي هذِه - وأشارَ إلَىٰ الخنصرِ منْ يدهِ اليسرَىٰ**»[٤].

٧- أنْ لَا يشتملَ الصَّمَّاءَ وهيَ أنْ يلفَّ الثَّوبَ علَىٰ جسمهِ، ولاَ يتركَ مخرجًا منهُ ليديهِ لنهيِ النَّبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنْ ذلكَ، وأنْ لَا يمشيَ فِي نعلٍ واحدةٍ لقولهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لاَ يمشِ أحدكمْ في نعلٍ واحدةٍ**

(١) رواه أبو داود (٤١٠٢).
(٢) رواه أبو داود (٤١٠١).
(٣) رواه مسلم (٥٢) كتاب اللباس.
(٤) رواه مسلم (١٦) كتاب اللباس.

ليحفِهِمَا، أوْ لينعلهمَا جميعًا»[١].

٨- أنْ لَا يلبسَ المسلمُ لبسةَ المسلمةِ التي تختص بالنساء، ولَا المسلمةُ لبسةَ الرَّجلِ التي تختص بالرجال لتحريمِ الرَّسولِ ﷺ ذلكَ بقولهِ: «**لعنَ اللهُ المخنَّثينَ منَ الرِّجالِ والمترجِّلاتِ منَ النِّساءِ**»[٢]. وقولهِ: «**لعنَ اللهُ الرَّجلَ يلبسُ لبسةَ المرأةِ، والمرأةَ تلبسُ لبسةَ الرَّجلِ، كمَا لعنَ المتشبَّهينَ منَ الرِّجالِ بالنِّساءِ، والمتشبِّهاتِ منَ النِّساءِ بالرِّجالِ**»[٣].

٩- إذَا انتعلَ بدأَ باليمينِ، وإذَا نزعَ بدأَ بالشِّمالِ لقولهِ ﷺ: «**إذَا انتعلَ أحدُكُم فليبدأْ باليمنَىٰ وإذَا نزعَ فليبدأْ بالشِّمالِ، لتكونَ اليمنَىٰ أولهمَا تنعلُ، وآخرهمَا تنزعُ**»[٤].

١٠- أنْ يبدأَ فِي لبسِ ثوبهِ باليمينِ؛ لقولِ عائشةَ رضي الله عنها: «**كانَ رسولُ اللهُ ﷺ يحبُّ التَّيمُّنَ فِي شأنهِ كلِّهِ فِي تنعُّلهِ، وترجُّلهِ، وطهورهِ**»[٥].

١١- أنْ يقولَ إذَا لبسَ ثوبًا جديدًا، أوْ عمامةً أوْ أيَّ ملبوسٍ جديدٍ: «**اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ كسوتنيهِ، أسألكَ خيرهُ، وخيرَ مَا صنعَ لهُ، وأعوذُ بكَ منْ شرِّهِ، وشرِّ مَا صُنعَ لهُ**» لورودِ ذلكَ عنهُ ﷺ[٦].

١٢- أنْ يدعوَ لأخيهِ المسلم إذَا رآهُ لبسَ جديدًا يقولُ لهُ: **أبلِ وأخلقْ**؛ لدعائهِ ﷺ بذلكَ لأمِّ خالدٍ لمَّا لبستْ جديدًا[٧].

---

(١) رواه مسلم (١٩) كتاب اللباس.
(٢) رواه البخاري (٨/ ٢١٢).
(٣) رواه أبو داود (٤٠٩٨). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٥).
(٤) رواه مسلم (٦٧) كتاب اللباس.
(٥) رواه مسلم (١٩) كتاب الطهارة.
(٦) رواه أبو داود (١٠) اللباس. ورواه الترمذي (١٧٦٧) وحسنه.
(٧) رواه البخاري (٢٢) كتاب اللباس.

الفصل الثَّالثَ عشرَ

فِي آدابِ خصالِ الفطرةِ

المسلمُ بوصفهِ مسلمًا يتقيَّدُ بتعاليمِ كتابِ ربِّهِ وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ فعلَىٰ ضوئهمَا يعيشُ وبحسبهمَا يتكيَّفُ فِي جميع شؤونهِ؛ وذلكَ لقولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ولقولِ الرَّسولِ ﷺ: «**لاَ يؤمنُ أحدكمْ حتَّىٰ يكونَ هواهُ تبعًا لمَا جئتُ بهِ**»[١]. وقولهِ: «**منْ عملَ عملًا ليسَ عليهِ أمرنَا فَهو ردٌّ**»[٢].

فلهذَا يلتزمُ المسلمُ بالآدابِ الآتيةِ فِي خصالِ الفطرةِ الثَّابتةِ عنهُ ﷺ فِي قولهِ: «**خمسٌ منَ الفطرةِ: الاستحدادُ، والختانُ، وقصُّ الشَّاربِ، ونتفُ الإبطِ، وتقليمُ الأظافرِ**»[٣].

● ويستحب أن يفعلها كل أسبوع ولا يحل تركها فوق أربعين ليلة إلا الختان فإنه مستحب للذكور بعد اليوم السابع.

---

(١) ذكره الإمام النووي في كتابه الأربعين وقال فيه: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة. وانظر مشكاة المصابيح (١/ ٥٩) برقم (١٦٧).

(٢) رواه البخاري (٣/ ٩١) ومسلم (١٨) كتاب الأقضية.

(٣) رواه الترمذي (٢٧٥٦) والنسائي (١/ ١٤).

وهذهِ الآدابُ هيَ:

١- **الاستحدادُ**: وهوَ حلقُ العانةِ بشيءٍ حادٍّ كسكِّينٍ ونحوهِ، ولاَ بأسَ بإزالتهَا بالنُّورةِ.

٢- **الختانُ**: وهوَ قطعُ الجلدةِ الَّتِي تغطِّي رأسَ الذَّكرِ، ويستحبُّ أنْ يكونَ ذلكَ يومَ سابعِ الولادةِ؛ إذْ ختنَ النَّبِيُّ ﷺ كلًّا منَ الحسنِ والحسينِ ابنيْ فاطمةَ الزَّهراءِ وعليٍّ -رضيَ اللهُ تعالَىٰ عنهمْ- يومَ سابعِ الولادةِ، ولاَ بأسَ أنْ يتأخَّرَ إلَىٰ مَا قبلَ البلوغِ؛ إذِ اختتنَ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ فِي سنِّ الثَّمانينَ، وقدْ رويَ عنهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: أنَّهُ كانَ إذَا أسلمَ علَىٰ يدهِ رجلٌ يقولُ لهُ: «**ألقِ عنكَ شعرَ الكفرِ واختتنْ**».

٣- وختان الأنثىٰ هو الأخذ من الجلدة التي أعلىٰ الفرج وليس الأخذ من البظر نفسه، وهو مباح.

٣- **قصُّ الشَّاربِ**: فيجزُّ المسلمُ شاربَهُ الَّذِي يتدلَّىٰ علَىٰ شفتهِ. وأمَّا اللِّحيةَ فيوفِّرهَا حتَّىٰ تملأَ وجههُ وتروِّيهِ لقولِ الرَّسُولِ ﷺ: «**جزُّوا الشَّوارِبَ وأرخُوا اللِّحَىٰ، خالفُوا المجوسَ**»[1]. وقولهِ: «**خالفُوا المشركينَ احفُوا الشَّواربَ وأعفُوا اللِّحَىٰ**»[2] بمعنَىٰ وفِّروهَا وكثِّروهَا فيحرُم بهذَا حلقهَا، ويتجنَّبُ القزعَ **فهو مكروه** وهوَ حلقُ بعضِ الرَّأسِ وتركُ البعضِ؛ لقولِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: «**نهى رسولُ اللهِ ﷺ عنِ القزعِ**»[3].

- **والصبغ بالسواد جائز علىٰ الراجح.**

---

(١) رواه مسلم (٥٥) كتاب الطهارة.
(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٢٤).
(٣) رواه مسلم (١٦) كتاب الطهارة.

وإنْ وفَّرَ المسلمُ شعرَ رأسِهِ ولمْ يحلقهُ أكرمهُ بالدُّهنِ والتَّسريحِ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ كانَ لهُ شعرٌ فليكرمهُ**»[١].

٤- **نتفُ الإبطِ**: فينتفُ المسلمُ شعرَ إبطيهِ، ومثل النتف وبديل له= حلقهُ، أوْ طلاهُ بالنُّورةِ ونحوهَا ليزُولَ.

٥- **تقليمُ الأظافرِ**: فيقلِّمُ المسلمُ أظافرهُ، ويستحبُّ لهُ أنْ يبدأَ باليدِ اليمنَىٰ ثمَّ اليسرَىٰ ثمَّ الرِّجلِ اليمنَىٰ فاليسرَىٰ؛ إذْ كانَ رسولُ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يحبُّ البدءَ باليمينِ فِي ذلكَ.

يفعلُ المسلمُ كلَّ هذَا بنيَّةِ الاقتداءِ برسولِ اللهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ومتابعتهِ ليحصِّلَ لهُ بذلكَ أجرَ متابعةِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ والاستنانِ بسُنَّتهِ؛ إذِ الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، ولكلِّ امرئٍ ما نوَىٰ.



(١) رواه أبو داود (٤١٩٣). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٤، ٣٩).

الفصل الرَّابعَ عشرَ

فِي آدابِ النَّومِ

المسلمُ يرَىٰ النَّومَ منَ النِّعم الَّتِي امتنَّ اللهُ بهَا علَىٰ عبادهِ فِي قولهِ تعالىٰ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القَصَص: ٧٣]. وفِي قولهِ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النَّبَإ: ٩]؛ إذْ سكونُ العبدِ ساعاتٍ باللَّيلِ بعدَ حركةِ النَّهارِ الدَّائبةِ ممَّا يساعدُ علَىٰ حياةِ الجسمِ وبقاءِ نمائهِ ونشاطهِ ليؤدِّيَ وظائفهُ الَّتِي خلقهُ اللهُ منْ أجلهَا، فشكرُ هذهِ النِّعمةِ **يستلزمُ منَ المسلمِ أنْ يراعِي فِي نومهِ الآدابَ التَّاليةَ:**

١- أنْ لَا يؤخِّرَ نومهُ بعدَ صلاةِ العشاءِ إلَّا لضرورةٍ كمذاكرةِ علمٍ، أوْ محادثةِ ضيفٍ أوْ مؤانسةِ أهلٍ؛ لمَا روَىٰ أبُو برزةَ أنَّ النَّبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ يكرهُ النَّومَ قبلَ صلاةِ العشاءِ والحديثَ بعدهَا(١).

٢- أنْ يجتهدَ فِي أنْ لاَ ينامَ إلَّا علَىٰ وضوءٍ؛ لقولِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للبراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه: «**إذَا أَتيتَ مضجعكَ فتوضَّأْ وضوءكَ للصَّلاةِ**»(٢).

٣- أنْ ينامَ ابتداءً علَىٰ شقِّهِ الأيمنِ، ويتوسَّدَ يمينهُ، ولاَ بأسَ أنْ يتحوَّلَ إلَىٰ شقِّهِ الأيسرِ فيمَا بعدُ؛ لقولِ الرَّسُولِ ﷺ للبراءِ: «إذْا أتيتَ مضجعكَ فتوضَّأْ وضوءكَ للصَّلاةِ، ثمَّ اضطجعْ علَىٰ شقِّكَ الأيمنِ». وقولهِ:

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٤٩). ورواه الترمذي (١٦٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ٧١). ورواه أبو داود (٥٠٤٦).

«إِذَا أويتَ إِلَىٰ فراشكَ وأنتَ طاهرٌ فتوسَّدْ يمينكَ»[١].

٤- لَا يصح في النهي عن النوم علىٰ البطن حديث لكن الأطباء يكرهونه.

٥- أنْ يأتيَ بالأذكارِ الواردةِ، ومنهَا:

أوَّلًا: أنْ يقولَ: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ واللهُ أكبرُ، ثلاثًا وثلاثينَ، ثمَّ يقولَ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهوَ علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ لقولِ الرِّسولِ -عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- لعليٍّ وفاطمةَ رضي الله عنهما وقدْ طلبَا منهُ ﷺ خادمًا يساعدهمَا فِي البيتِ: «**ألَا أدلُّكمَا علَىٰ خيرٍ ممَّا سألتمَا؟ إِذَا أخذتُما مضجعكُما فسبِّحَا ثلاثًا وثلاثينَ، واحمدَا ثلاثًا وثلاثينَ، وكبِّرَا أربعًا وثلاثينَ، فهوَ خَيْرٌ لكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[٢].

ثانيًا: أنْ يقرأَ الفاتحةَ وأوَّلَ سورةِ البقرةِ إِلَىٰ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وآيةَ الكرسيِّ وخاتمةَ سورةِ البقرةِ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ... إِلَىٰ آخرِ السُّورةِ لمَا وردَ منَ التَّرغيبِ فِي ذلكَ.

ثالثًا: أنْ يجعلَ آخرَ مَا يقولهُ هذَا الدُّعاءَ الواردَ عنِ النَّبيِّ ﷺ: «**باسمكَ اللَّهمَّ وضعتُ جنبِي وباسمكَ أرفعهُ، اللَّهمَّ إِنْ أمسكتَ نفسِي فاغفرْ لهَا وإِنْ أرسلتهَا فاحفظهَا بمَا تحفظُ بهِ الصَّالحينَ منْ عبادكَ، اللَّهمَّ إِنِّي أسلمتُ نفسِي إِليكَ، وفوَّضتُ أمرِي إِليكَ، وألجأتُ ظهرِي إِليكَ، أستغفركَ وأتوبُ إِليكَ، آمنتُ بكتابكَ الَّذِي أنزلتَ، وبنبيِّكَ الَّذِي أرسلتَ فاغفرْ لِي مَا قدَّمتُ ومَا أخَّرتُ، ومَا أسررتُ ومَا أعلنتُ، ومَا أنتَ أعلمُ بهِ منيِّ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّر، لَا إِلَهَ إِلَّا أنتَ، ربِّ قِنِي**

(١) رواه أبو داود (٥٠٤٧).

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٠٢)، (٧/ ٨٤).

عذابكَ يومَ تبعثُ عبادكَ»[١].

رابعًا: أنْ يقولَ إذَا استيقظَ أثناءَ نومِهِ: «**لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لاَ شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ وهوَ علَىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولَا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولَا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا باللهِ**». وليدعُ بمَا شاءَ فإنَّهُ يستجابُ لهُ لقولهِ ﷺ: «**مَنْ تعارَّ باللَّيلِ فقالَ حينَ يستيقظُ .. إلخْ، ثمَّ دعَا استجيبَ لهُ**»[٢] فإنْ قامَ فتوضَّأَ وصلَّىٰ قبلتْ صلاتهُ، أوْ يقولَ: **لَا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانكَ اللَّهمَّ أستغفركَ لذنبِي وأسألكَ رحمتكَ، اللَّهمَّ زدنِي علمًا، ولاَ تزُغْ قلبِي بعدَ إذْ هديتنِي، وهبْ لِي منْ لدنكَ رحمةً إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ**.

٦- أنْ يأتيَ بالأذكارِ الآتيةِ إذَا هوَ أصبحَ:

أوَّلًا: أنْ يقولَ إذَا استيقظَ وقبلَ أنْ يقومَ منْ فراشهِ: الحمدُ للهِ الَّذِي أحيانَا بعدَ مَا أماتنَا وإليهِ النُّشورُ.

ثانيًا: أنْ يرفعَ طرفهُ إلَىٰ السَّماءِ ويقرأَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآياتُ العشرُ منْ خاتمةِ آل عمرانَ، إذَا هوَ قامَ للتَّهجُّدِ لقولِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**لمَّا بِتُّ عندَ خالتِي ميمونةَ زوجِ الرَّسولِ ﷺ نامَ الرَّسولُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ حتَّى نصفِ اللَّيلِ أوْ قبلهِ بقليلٍ أوْ بعدهِ بقليلٍ، ثمَّ استيقظَ فجعلَ يمسحُ النَّومَ عنْ وجههِ بيدهِ، ثمَّ قرأَ العشرَ الآياتِ الخواتمَ منْ سورةِ آلِ عمرانَ، ثمَّ قامَ إلَىٰ شنٍّ معلَّقةٍ فتوضَّأَ منهَا فأحسنَ الوضوءَ، ثمَّ قامَ فصلَّىٰ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٧١)، ورواه الترمذي (٣٣٩٤، ٣٣٩٥). ورواه الإمام أحمد (٢/ ٢٨٣، ٢٩٥).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٦٨).

(٣) رواه البخاري (٣٧) كتاب الوضوء.

ثالثًا: أنْ يقولَ أربعَ مرَّاتٍ: «**اللَّهمَّ إنِّي أصبحتُ بحمدكَ أشهدكَ وأشهدُ حملةَ عرشكَ، وملائكتكَ، وجميعَ خلقكَ أنَّكَ أنتَ اللهُ لَا إلهَ إلَّا أنتَ، وأنَّ محمَّدًا عبدكَ ورسولكَ**» لقولِهِ ﷺ: «**مَنْ قالهَا مرَّةً أعتقَ اللهُ ربعَهُ منَ النَّارِ، فمنْ قالهَا مرتينِ أعتقَ اللهُ نصفَهُ، ومنْ قالها ثلاثًا أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعهِ، فإنْ قالهَا أربعًا أعتقَهُ اللهُ منَ النَّارِ**»[١].

٧- أنْ يقولَ إذَا وضعَ رجلهُ علَىٰ عتبةِ البابِ خارجًا: بسمِ اللهِ توكَّلتُ علَىٰ اللهِ، لَا حولَ ولَا قوَّةَ إلَّا باللهِ؛ لقولِهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلَامُ: «**إذَا قالَ العبدُ هذَا قيلَ لهُ: كفيتَ ووقيتَ وتنحَّىٰ عنهُ الشَّيطانُ**»[٢].

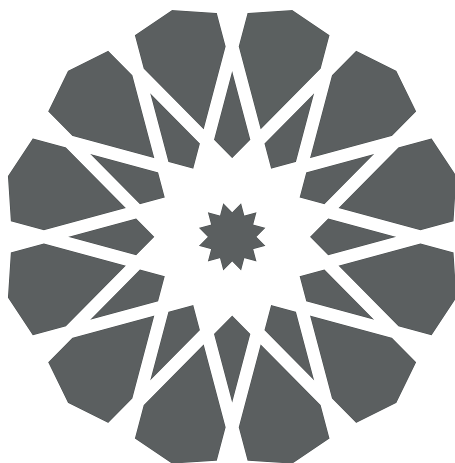
٧- إذَا غادَر العتبةَ قالَ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أوْ أزِلَّ أوْ أُزَلَّ، أوْ أَظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ، أوْ أجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عليَّ**». وذلكَ لقولِ أمِّ سلمةَ: مَا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ منْ بيتِي قطُّ إلَّا رفعَ طرفهُ إلَىٰ السَّماءِ وقالَ: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذَ بكَ أنْ أضِلَّ أوْ أُضَلَّ..**» **الحديثُ**[٣].



(١) رواه أبو داود (٥٠٦٩).

(٢) رواه الترمذي وحسنه (٣٤٢٦).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٤) بإسناد صحيح.



الباب الثامن

الحقوق الإسلامية

المبحث الأول حق الله تعالىٰ علىٰ عباده:

١. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحْتُ قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا نبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبْعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحْجُ الْبَيْتَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**»، ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّىٰ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] ثُمَّ قَالَ: «**أَلا أُخبِرُكَ بِراسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**رَاسُ الْأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخبِرُكَ بِملاك ذلِكَ كُلِّهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟، قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**» النسائي[١].

---

(١) السنن الكبرىٰ للنسائي (١٠/ ٢١٤) (١١٣٣٠) صحيح لغيره.

في هذا الحديث: دليل علىٰ أنَّ الأعمال سبب لدخول الجنة. =

. . . .

= **وفيه**: إشارة إلىٰ أنَّ التوفيق كله بيد الله ﷻ ولما رتب دخول الجنة علىٰ واجبات الإسلام، دلَّه بعد ذلك علىٰ أبواب الخير من النوافل.

وفيه: دليل علىٰ أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الفرائض، وأن كف اللسان إلا عن الخير هو أصل الخير. تطريز رياض الصالحين (ص: **٨٣٩**).

جعَل الله ﷻ عمَلَ الطَّاعاتِ واجتِنَاب المعاصي سببًا لدُخولِ الجنَّةِ والبُعدِ عن النَّارِ، وفي هذا الحديثِ يَقولُ مُعاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: «كنتُ مع النبي ﷺ في سفَرٍ»، وفي روايةٍ ذكَر أنَّ ذلك كان في غَزوَة تَبوكَ، قال: «فأصبَحتُ يومًا قريبًا منه»، أي: من النبي ﷺ، «ونَحنُ نَسيرُ»، أي: في تِلك الغَزوَة، وفي الرِّوايةِ الأخرىٰ: «وقد أصابَنا الحَرُّ، فتَفرَّق القومُ، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ أقرَبُهم منِّي، فدَنَوتُ منه»، فقلتُ: «يا رسولَ اللهِ، أَخبرني بعمل»، أي: إذا عَمِلتُه، «يُدخِلُني الجنَّةَ ويُباعِدُني مِن النَّارِ»، أي: يَكونُ سَببًا لِدُخولي الجنَّةَ ونَجاتي مِن النَّارِ، فقال النَّبيُّ ﷺ لقد سألتَني عن عَظيم»، أي: عَظيم فِعلُه علىٰ النُّفوسِ، أو سأَلتَني عن شَيءٍ عَظِيم؛ لأَنَّ دُخولَ الجنَّةِ والبُعدَ عَن النَّارِ يَتَطَلَّبُ فِعلَ كلِّ عملٍ مأمورٍ بفِعْلِه واجتِنابَ كلِّ عمَلٍ مَنهيٍّ عن فِعلِه، «وإنَّه ليَسير علىٰ مَن يسَّره اللهُ عليه»، أي: ومع عِظَم هذا العَمَلِ إلَّا أنَّه سَهلٌ وهيِّنٌ علىٰ مَن أعانه اللهُ عليه.

ثم بيَّن له النبيُّ ﷺ هذا العمَلَ، فقال ﷺ: «**تَعبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ به شَيئًا**»، وهو التَّوحيدُ للهِ ﷻ ونفْيُ الشَّريكِ، «**وتُقيمُ الصَّلاةَ**»، أي تُقيمُها في أوقاتِها تامَّةَ الأركانِ والوَاجباتِ، والمرادُ بها: صَلاةُ الفَريضةِ، وهي خَمسُ صَلواتٍ في اليوم واللَّيلةِ، «**وتُؤتي الزَّكَاةَ**»، **أي**: تُخرِجُ الزكاةَ مِن مالك بُشروطِها إنْ كنتُ غنيًّا وتَملِكُ النِّصَابَ، «وتصومُ رَمضانَ»، أي: تصومُ الشَّهرَ المفروض صيامُه علىٰ المستطيع القادِرِ بشُروطِه، «**وتَحُجُّ البيتَ**»، أي: تَقصِدُ البَيتَ الحرامَ والكعبةَ وتؤدِّي مَناسِكَ الحجِّ بأركانِها وبشرُوطِها وأحكامِها، ويُشترَطُ فيه الاستِطاعةُ البَدنيَّةُ والماليَّةُ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وكما ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث أخرىٰ.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ: «**ألا أدُلُّك**»، أي: أُرشِدُك، «**علىٰ أبوابِ الخيرِ**»، أي: طُرُقِ الخَيرِ ومَفاتيحِه الموصلةِ له، والمرادُ بالخيرِ: هو النَّجاحُ في الدُّنيا والنَّعيمُ في الآخِرةِ؛ فالبابُ الأَوَّلُ مِن أبوابِ الخيرِ: «**الصَّومُ جُنَّةٌ**»، أي: سِترٌ وحِفظٌ لصاحبِه مِن الشَّهواتِ في الدُّنيا، ومِن النَّارِ في الآخِرة، والمرادُ به هنا: صيامُ التَّطوُّع؛ لأنَّه ذكَر صومَ رَمَضانَ قبل ذلك في الأعمال التي تُوجِبُ دُخولَ الجنَّةِ والمباعَدةَ عن النَّارِ، والبابُ الثَّاني: =

. . . .

= «**والصَّدقةُ تُطفِئ الخطيئةَ**»، أي: تَذهَبُ بها وتَمحو أثَرَها المترتِّبَ عليها، «**كما يُطفئ الماءُ النَّارَ**»، والمرادُ بها أيضًا هنا صَدقةُ التطوُّع؛ لأنَّ زَكَاةَ الفَرْضِ سَبَقَ ذِكرُها؛ فقد بيَّن النبي ﷺ في أوَّلِ الحديثِ أركانَ الإسلام، ثمَّ عاد إلىٰ مَعانٍ مُستَقاةٍ مِنها مرَّةً أخرىٰ، ولكن بوجهٍ بيَّن فيه النَّوافِلَ الَّتي هي مِن أبوابِ الخيرِ الواسعة، فبَيَّن ما يُدْخِلُ المرءَ الجنَّةَ مِن الأمورِ والأفعالِ الَّتي هي مِنْ جنْسِ أركانِ الإسلام، ثم بيَّن ما هو مِن ثِمارِها ويَظهَرُ فيه آثارُها، **ففي** أوَّلِ الحديثِ وضَع أُصولَ وقَواعِدَ ما يُقرِّبُ إلىٰ اللهِ ويُدخِلْ الجنَّة من الفَرَائضِ وسَمَّاه زَكاةً، وهنا عِندَ أبوابِ الخيرِ ذكَر الصَّدَقة؛ لِيُؤَكِّدَ أنَّها مِن النَّوافِلِ وليسَتْ مِن الفرائضِ.

والبابُ الثَّالثُ: «**وصلاةُ الرَّجُلِ مِن جَوفِ اللَّيلِ**»، أي: قيامُ اللَّيلَ، وهو عامٌ للرَّجُلِ والمرأةِ، ولكن ذَكَر الرجُلَ فقطْ تغليبًا، قال معاذٌ: «ثمَّ تَلا»، أي: النَّبيُّ ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧]، أي: يُبيِّن له النَّبيُّ ﷺ ذِكْرَ اللهِ تعالىٰ لِمَن يَقومُ اللَّيلَ في القرآنِ، وما أَعَدَّ لهم مِن أجرٍ، وما تقَرُّ به أعيُنهم يومَ القيامةِ وفي الجنَّةِ مِن نعيم.

ثم قال النبي ﷺ: «**ألَا أُخبِرُكَ برأسِ الأمر كُلِّه**»، أي: رأسِ الدِّينِ، «**وعَمودِه**»، أي: أَصلِ الدِّينِ وما يَقومُ ويَعْتَمِدُ عليه، «**وذِرْوَةِ سَنامِه؟**»، والسَّنامُ: ما ارتَفَع مِن ظَهرِ الجَمَلِ، والمرادُ: أعْلىٰ ما فيه وأرفَعُه؟ قال معاذٌ رضي الله عنه: بلىٰ يا رسولَ اللهِ»، قال النبيُّ ﷺ: «**رأسُ الأمرِ: الإسلامُ**»، أي: الشَّهادَتانِ، وبِهما يُصبحُ للإنسانِ أصلٌ في الدِّين، وفي ذلك إشارةٌ إلىٰ أنَّ الإسلامَ من سائرِ الأعمال بمنزِلةِ الرَّأْسِ مِن الجسَدِ في احتِياجِه إليه وعدَم بَقائِه دونَه، «**وعَمودُه: الصَّلاةُ**»، أي: وبالمحافَظةِ علىٰ الصَّلاةِ يَقْوىٰ دِينُه ويَشتَدُّ، وتَظهَرُ آثارُ الالْتِزَام بالدِّينِ عليه، ولأنَّ الصَّلاةَ هي الرُّكنُ الدَّائمُ الَّذي يؤدَّىٰ بصورةٍ يوميَّةٍ خمسَ مرَّاتٍ ولا عُذرَ لأحَدٍ في التخلّي عنها وترْكِهَا، أمَّا بقيَّةُ أركانِ الإسلام فلا تُؤدَّىٰ إلَّا بشُروطٍ إذا توَفَّرَت في المسلِم فإنَّه يُؤدّيها وربَّما لا تتحقَّقُ هذا الشُّروطُ عِندَ كثيرٍ من المسلِمين، فلا يؤدّي هذه الأَركانَ؛ فلمْ يبقَ له إلَّا الصَّلاةُ، فصارت كالعَمودِ لحَمْلِ الإسلامِ وإظهارِه عندَ كلِّ مسلِم، «**وذِرْوَةُ سَنامِه: الجهادُ**»، أي: فإذا جاهَد كانت الرِّفْعةُ له ولدِينِهِ؛ فمَن لم يُقرَّ بكَلِمَتي الشَّهادةِ لم يَكُنْ له مِن الدِّينِ شَيءٌ أصلًا، وإذا أَقرَّ بِكَلِمَتي الشَّهادةِ حصَل له أصلُ الدِّينِ إلَّا أنَّه ليس له قوَّةٌ، كالبيتِ الذي ليس له عَمُودٌ؛ فإذا =

المبحث الثاني حق العبد علىٰ الله تعالىٰ:

٢. عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ

= صلَّىٰ وداوَمَ علىٰ الصَّلاةِ قَوِيَ دينُه، ولكن لم يَكُنْ له رفعةٌ وكَمال، فإذا جاهَدَ حصَل لدينَه الرِّفعةُ.

ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ لمعاذٍ: «**ألا أُخبِرْك بمِلاكِ ذلك كلِّه؟**»، أي: ما يَكمُلُ به ويَتِمُّ، قال مُعاذٌ: «**بلىٰ، يا رسولَ اللهِ**»، قال النبيُّ ﷺ: «فأخَذ بلِسانهِ»، أي: أمسَك النبي ﷺ بلِسانِ نَفْسِه، ثُمَّ قال: «**كُفَّ عليك هذا**»، أي: اترُكِ الكلامَ المحرَّم كالكلام الذي فيه شِركٌ باللهِ تعالىٰ، والكَذِبِ وشَهادةِ الزُورِ، والقولِ علىٰ اللهِ بغيرِ علم، والخوضِ في أعراضِ النَّاسِ، وغيرِ ذلك مِن الموبِقات كالغِيبةِ والنميمةِ والفُحشِ مِن القولِ ونحو ذلِك، واتْرُكِ الكلامِ فيما لا يُفيدُ وفيما لا مَعنىٰ له؛ فإذا تكلَّمتَ فلا تَتكلَّمُ إلَّا بخير؛ كالأمْرِ بالصَّدقةِ والمعروفِ أو الإصلاحِ بينَ الناسِ ونحو ذلك؛ فإنْ لم يكُنْ في الكلامِ خيرٌ **ففي** الصَّمتِ السَّلامةِ، وفي الصَّحيحين أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ومن كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليقلْ خيرًا أو ليَصْمُتْ**»، قال معاذٌ: «يا نبيَّ اللهِ، وإنَّا لَمُؤاخَذون بما نتَكلَّمُ به؟!»، أي: مُحاسَبون ومُعاقَبون علىٰ الكلام، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَكِلَتك أمُك يا مُعاذُ!**»، أي: فقَدَتْك، وليس المرادُ به الدُّعاءَ عليه، ولكنَّها مِن كلامِ العرَبِ، واستعمالُه ﷺ لها لِتَنبيهِه إلىٰ أمرٍ كان يَنبَغي أن يَنتَبِهَ له ويَعرِفَه، «**وهل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ علىٰ وُجوهِهم -أو علىٰ مَناخِرِهم-**»، أي: هل هناك شيءٌ يَجعَلهم يُصرَعون علىٰ وُجوهِهم ويَسقُطون، والمِنخَرُ: ثَقْبُ الأَنفِ وفَتحتُه، «**إلَّا حَصائدُ السِنَتِهم؟!**»، أي: إلَّا بسبَبِ ما يَحصُدونه يومَ القيامةِ مِن كَثرةِ الكلامِ في الدُّنيا في غيرِ طاعةِ اللهِ ﷻ.

وفي الحديث: إشارةٌ إلىٰ أنَّ القيامَ بأركانِ الإسلامِ الخمسةِ دونَ الإتيانِ بما يُناقِضُها - يَكونُ سَبَبًا في دُخولِ الإنسانِ الجنَّةَ ومُباعَدتِه مِن النَّارِ بفضلِ اللهِ تعالىٰ.

وفيه: حرصُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ تزوُّدِ أُمَّتِه مِن أبوابِ الخيرِ؛ حتَّىٰ تَزدادَ دَرجاتُهم في الجنَّةِ.

وفيه: فضلُ الصيامِ والصَّدقةِ والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تعالىٰ.

وفيه: أنَّ اللِسانَ أصلٌ لكلِّ ما يُدخِلُ الإنسانَ النَّارَ؛ **ففي** ه تحذيرٌ شديدٌ من آفات اللِّسانِ.

وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا» متفق عليه(١).

المبحث الثالث حق الرسول ﷺ:

٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ». رَوَاهُ البخاري(٢).

---

(١) صحيح البخاري (٤/٢٩) (٢٨٥٦) [ش أخرج مسلم في الأيمان باب الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة رقم ٣٠. (ردف) راكبًا خلفه (عفير) من العفرة وهي حمرة يخالطها بياض. (من لا يشرك به شيئًا) أي وقد عبده حق عبادته بالتزام أمره واجتناب نهيه. (فيتكلوا) فيعتمدوا علىٰ ذلك ولا يجتهدوا في الخير والطاعة].
يَحكِي مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه فيقول: «بَيْنَا أنا رديف النبي ﷺ»، والرَّدِيفُ: هو الراكبُ خلفَ الراكبِ بإذنه، «ليس بيني وبينه إلا آخِرَةُ الرَّحْلِ والرَّحْلُ للبَعِير كالسَّرْجِ للفَرَس وآخِرَتُه: هي العُودُ الذي يُجعَل خلف الراكِبِ يَستَنِدُ إليه، وفائدةُ ذكرِه: المبالغةُ في شِدَّةِ قربه؛ ليكونَ أوقعَ في نفسِ سامِعِه أنَّه ضَبَط ما رواه. فقال ﷺ: «**يا مُعَاذُ**» ثلاثَ مرَّاتٍ، وفي كلِّ مَرَّةٍ يَرُدُّ مُعَاذٌ رضي الله عنه عليه: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ. ثُمَّ بَيَّنَ ﷺ حَقَّ الله علىٰ عبادِه: وهو أن يَعبُدوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علىٰ الله إذا فعلوا ذلك: وهو أَلَّا يُعذِّبَهم.
وفي الحديث: تواضُع النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ إردافَ الإمامِ والشَّريفِ لِمن هو دونه وركوبَه معه، مِن التواضُع وتَرْكُ التكبُّر.
وفيه: تكرارُ المُعَلِّم أو الواعِظِ النِّداءَ؛ لتأكيدِ الاهتمامِ بما يُخبِر به وليُكمُل تنبُّه المُتعلِّم فيما يَسْمَعُه.
وفيه: أنَّ مَن ماتَ علىٰ التوحيدِ دخَلَ الجنَّة قطعًا.

(٢) صحيح البخاري (٩/٢٩) (٧٢٨٠) [ش (أبىٰ) امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر].
=

المبحث الرابع حق الصحابة رضي الله عنهم:

٤. عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا» المعجم الكبير للطبراني[(١)].

= الشَّهادةُ بأنَّ محمَّدًا رسولُ الله ﷺ تتضمَّنُ طاعتَه في كلِّ ما أمَر به واجتنابَ كلِّ ما نَهىٰ عنه؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وفي هذا الحديث يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «كل أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجنَّةَ إِلَّا مَن أبي»، أي: مَن عَصَاني بأنِ امتَنَع عن قَبولِ دَعْوتي أو امتثالِ أمْري؛ وتقديرُه: من أطاعَني وتمسَّكَ بالكتابِ والسُّنَّةِ، دخل الجنَّةَ، ومَنِ اتَّبَعَ هواهُ وزَلَّ عن الصَّوابِ، وضلَّ عن الطَّريقِ المستقيم، دخَل النَّارَ. وقوله ﷺ: «كلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجنَّةَ إِلَّا مَن أَبَىٰ» إن أُريدَ به عُصَاةُ المؤمنينَ، فالمقصودُ استثناؤهم مِن دخولِ الجنَّةِ مِن أوَّل وهلةٍ، وإلَّا فمآلُهم الجنَّةُ كما هو عَقيدةُ أهل السُّنَّةِ، وإن أريدَ به الكفَّارُ فهُم لن يَدخُلُوا الجَنَّةَ أصلًا، ويكونُ المرادُ بالإباءِ الامتناعَ عن الإسلام.

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ٩٦) (١٤٢٧) حسن لغيره.

(إذا ذكر أصحابي) أي ذكر ما شجر بينهم من الاختلافات (فأمسكوا) عن الخوض في ذلك فإنه ينشأ عنه ما لا يحمد من الخوض (وإذا ذكرت النجوم) أي ذكرت أحكامها وما يدل عليه من السعادة والنحاسة (فأمسكوا) عن الخوض في ذلك؛ لأنه شيء كاذب (وإذا ذكر القدر) سلف تحقيقه (فأمسكوا) لما تقدَّم من أن الخوض فيه لشرار الأمة ولأنَّ الخوض في هذه الثلاثة الأشياء يفتح باب الشر والجدال والعصبية وربما أثار الخوض فيها شكوكًا وشبهات يمرض القلوب التي لم يكمل فيها اليقين فالسلامة في الإعراض عن الخوض في ذلك كما قيل:

إن السَّلامة من سلمىٰ وجارتها ... أن لا تحرم علىٰ حال بواديها

«التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٥٢).

المبحث الخامس حق المسلمين:

٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» مسلم(١).

---

(١) تهذيب صحيح مسلم - علي بن نايف الشحود (ص: ٩١٤) (٢٥٦٤) [ش (ولا يخذله) قال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (ولا يحقره) أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله (التقوىٰ ههنا) معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل بها التقوىٰ وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وخشيته ومراقبته].

نهىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مَساوئ الأخلاق، ومنها -كما جاءَ في هذا الحديثِ-: الحسد؛ فَأَمَرَ بَأَلا يحسد بعضُنا بعضًا، والحسد هو تمني زوالِ نِعمة المحسود، وهو اعتراض علىٰ الله تعالىٰ له حيثُ أنْعَمَ علىٰ غيره مع محاولته نَقضَ فِعله وإزالة فضله، ومنها: النَّجْشُ فَأَمَرَ بِأَلَّا يَنْجُشَ بعضنا علىٰ بعض، وهو أنْ يَزيدَ في السلعة لا لرغبة فيها بَل؛ ليخدع غيره ليشتريها بسعر زائد، سواء كان بمواطأة البائع أم لا؛ لأنَّه غش وخداع. ومنها: التَّباغضُ: فأَمرَ أَلَّا يَبغَضَ بعضنا بعضًا، أي: لا يَتعاطىٰ الرَّجلُ أسبابَ البُغضِ؛ لأنَّه قهري كَالحُبِ لا قدرة للإنسان علىٰ اكتسابه ولا يملك التصرُّفَ فيه، وهو النفرةُ عَنِ الشَّيء لمعنىٰ فيه مستقبح وتُرادِفُه الكراهة، ثُمَّ هو بَيْنَ اثْنين، إما من جانبيهما أو من جانب أحدهما، وعلىٰ كل فهو لغير الله تعالىٰ منهي عنه. ومنها: التَّدابرُ: فَأمرَ أَلَّا يُدبر بعضنا عَنْ بعض، أي: يُعرِضُ عمَّا يجب له من حقوقِ الإسلام كالإعانة والنصر، وعدم الهجران في الكلام أكثر من ثلاثةِ أَيَّامٍ إلا لِعُذرٍ شَرعيّ. ومنها: البيع علىٰ بيع بعض: فأمر ﷺ بألا يبيع بعضنا علىٰ بيع بعض؛ فلا يجوز لأحدٍ بِغير إذنِ البائع أن يقول لِمُشتري سلعة في زمن الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أَبيعُكَ مِثلَه بأرخص مِن ثَمنه أو أجود منه بثمنه؛ وذلك لما فيه مِنَ الإيذَاءِ الْمُوجبِ لِلتَّنافرِ وَالبَغْضِ. ثُمَّ يأمرُ النَّبِيُّ ﷺ أن =

٦. وعَنْ سُلَيْمَانَ بْن عَمْرِو بْنِ الأَحْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الوَدَاع مَعَ رَسُول الله ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعَظَ ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْم أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْم أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْم أَحْرَمُ؟» قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ الحَجِ الأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ

= نكونَ عِبادَ اللهِ إخوانًا، ونأخذ بأسباب كلّ ما يُوصلنا لمثل هذا مِنَ المودَّةِ وَالرّفقِ وَالشَّفقة والملاطفة والتَّعاونِ في الخير مع صفاء القلبِ والنصيحةِ بِكلّ حالٍ، ويقول: المسلم أخو المسلم، أي: الأُخوَّةُ الدِّينيَّةُ، وهي أعظمُ مِنَ الأخوَّة الحقيقيَّة؛ لأنَّ ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك، أخرويَّةً، لا يَظْلِمُه «ولا يخذله»، أي: ولا يترك إعانته ونصره، «ولا يحقرُه»، أي: لا يَستصِغرُ شأنه ويَضعُ مِن قَدْرِهِ؛ فَالاحتقارُ نَاشئ عَنِ الكبر فهو بذلك يحتقرُ غَيرَه ويراه بعين النقص، ولا يراه أهلا لأن يقوم بحقه.

«التقوىٰ هاهنا» التقوىٰ هي اجتناب عذابِ اللهِ بِفعل المأمور وترك المحظور، وأشار ﷺ بيده إلىٰ صَدْرِهِ ثلاث مرَّاتٍ، أي: محل مَادَّتِها مِنَ الخوفِ الحاصل عليها القلبُ، الذي هو عِندَ الصَّدرِ.

«بحسب امرئ»، أي: يكفي الإنسانَ مِنَ الشَّرِ؛ وذلكَ لِعِظَمِه في الشَّرِ، كافٍ له عَنِ اكتساب آخَرَ؛ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ المسلم. كلُّ المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه؛ فلا يقتل مسلم مسلمًا أو يسرقه أو يزني بحريمه.

«إنَّ الله لا ينظرُ إلىٰ أجسادِكم، ولا إلىٰ صُوركم، ولكن ينظرُ إلىٰ قلوبكم وأشار بأصابعه إلىٰ صدره»، فالله ﷻ لا ينظرُ إلىٰ أجسام العباد؛ هل هي كبيرة أو صغيرة، أو صحيحة أو سقيمة، ولا ينظرُ إلىٰ الصُّورِ؛ هل هي جميلة أو ذميمة؛ كل هذا ليس بشيءٍ عند الله، وكذلكَ لا يَنظُرُ إلىٰ الأنساب؛ هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلىٰ الأموال ولا ينظرُ إلىٰ شيءٍ مِن هذا أبدًا، لَيسَ بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ خلقه صلةٌ إلا بِالتَّقْوىٰ؛ فمَنْ كان لله أتقىٰ كان مِنَ اللهِ أقرب وكان عند الله أكرم؛ إذن فعلىٰ المرء ألا يفخر بماله ولا بجماله ولا ببدنه ولا بأولاده ولا بقصوره ولا بسيارته، ولا بشيء من هذه الدُّنْيا أبدًا، إنما إذا وفقه الله لِلتَّقوىٰ؛ فهذا من فضل الله عليه؛ فَلْيحمد الله عليه وإِنْ خُذِلَ فلا يلومَنَّ إِلَّا نَفْسَه.

في الحديث: تحريمُ دم المسلم وماله وعرضه، وتحريم خذلانه وخيانته واحتقاره، وأنْ يُحدِّثَه كَذِبًا.

وفيه: أنَّ التَّقوىٰ في القلب.

حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَىٰ وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَلَىٰ وَالِدِهِ، أَلا إِنَّ المُسْلِمَ أَخُو المسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رِبَا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِندَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» رَوَاهُ التِرْمِذِيُّ[(١)].

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٦/ ٣٦٢) وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٧٣) (٣٠٨٧) حسن.

الحَجّ الأكبر: هو يوم النحر، وقيل: يوم عَرفة، وإنما سُمي الحج الأكبر؛ لأنهم يُسمُّون العمرة: الحج الأصغر. وأعراضكم: الأعراض، جمع عَرض، وهو النفس، وقيل: الحَسَبُ. لا يجني جانٍ الجناية: الذَّنْبُ، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه الجزاءُ، إما في الدنيا وإما في الآخرة، فقوله ﷺ: «لا يجني جانٍ إلا علىٰ نفسه» يريد: أنه لا يُطَالَبُ بجنايته غيرُهُ، من أقاربه وأَباعده، وقد فسَّره في الحديث بقوله: «لا يجني ولدٌ علىٰ والده، ولا يجني والدٌ علىٰ ولده» أي إذا جنىٰ أحدهما، لا يطَالَبُ الآخر بجنايته، وقد كان ذلك معتادًا بين العرب. عوان: جمع عانية، وهي مؤنثة العاني، وهو الأسير، شبه النساء بالأسرىٰ عند الرجال، لتحكمهم فيهن، واستيلاءهم عليهن. بفاحشة: الفاحشة: الفعلة القبيحة، وأراد به هاهنا الزنا. مبيّنة: ظاهرة واضحة. مبرح: ضربته ضربًا مُبَرّحًا، =

. . . .

= أي: شديدًا شاقًا. فلا تبغوا عليهن سبيلًا: أي إن أطعنكم فيما تريدون منهن، فلا يبقىٰ لكم عليهنَّ طريق ولا حكم فيما عداه، إلا أن يكون جورًا وتَعسُّفًا.
جَمع النبيُّ ﷺ في مواضِعَ مُتفرّقةٍ في حَجَّةِ الوداعِ وصايا جامعةً لأُمَّتِه، فيها الكثيرُ من الأوامِرِ والنَّواهي والتَّوجيهاتِ.
وفي هذا الحديث يُخبِرُ عمرُو بنُ الأحوص الجُشَميُّ رضي الله عنه: «أنَّه شهدَ حَجَّةَ الوداعِ مع رسول اللهِ ﷺ، وكانتْ في السَّنةِ العاشرةِ من الهجرةِ، وفيها خطَبَ النَّبيُّ ﷺ، وقد جاء في الصَّحيحينِ من حديثِ أبي بكرةَ رضي الله عنه: أنَّ تلك الخُطبةَ كانتْ في يومِ النَّحرِ، «فحمِدَ اللهَ وأثْنىٰ عليه»، أي: جَعَلَ مُقدِّمةَ الخُطبةِ الحمْدَ والشُّكر للهِ، وذِكْرَه بما هو أهْلُه، «وذَكَرَ ووعَظَ»، أي: جعَلَ يُذكِّرُ النَّاسَ ويعِظُهم، «ثمَّ قال: أيُّ يوم أحرَمُ؟ أيُّ يوم أحرَمُ؟ أَيُّ يوم أحرَمُ؟» أيُّ يوم أعظَمُ حُرمةً فيما تَرَون؟ فقال النَّاسُ: «يومُ الحَجِّ الأكبر، يا رَسولَ اللهِ»، أي: أجاب النَّاسُ بما يَعْلمونه ويَظُنُّونه أنَّه أعظَمُ الأيَّام حُرمةً، وهو يومُ الحجِّ الأكبرِ، قيل: هو يومُ النَّحر، وقيل: يومُ عرفةَ، فقال النَّبيُّ ﷺ مُبيِّنًا ومُحذِّرًا: «فإنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ»، أي: هذه الأمورُ مُحرَّمةٌ، وليس لبعضِكم أنْ يَتعرَّضَ لبعضٍ، فيُريقَ دمَه، أو يَسلُبَ مالَه، أو يَنالَ من عِرْضِه، «كحُرمةِ يَومِكم هذا»، والمعنىٰ: «أنَّ تعرُّضَ بَعضِكم لدِماءِ بعضٍ وأموالِهم وأعراضِهم مُحرَّمٌ تَحريمًا شديدًا، مِثلَ تحريمِ هَذا اليومِ العَظيمِ مِن أيَّامِ الحَجِّ، وهو مِن أيامِ الأشهُرِ الحُرُم. «في بلدكم هذا»، أي: مكَّة، أو الحرَم كلِّه، «في شَهرِكم هذا»، أي: شَهرِ ذي الحَجَّةِ، وهذا كلُّه من التَّغليظِ في حُرمةِ التَّعرُّضِ للدّماءِ والأموالِ والأعراضِ.
ثُمَّ قال ﷺ: «ألا لا يّجْني جانٍ إلَّا علىٰ نفْسِه، ولا يَجْني والدٌ علىٰ ولَدِه، ولا ولدٌ علىٰ والِدِه»، والمعنىٰ: أنَّ كلَّ إنسانٍ يَحملُ أوزارَ نفْسِه وجِنايتها في الدُّنيا والآخرة، ولا يحمِلُها عنه غيرُه، ولا يرجِعُ وَبالُ جِنايتِه من الإثمِ أو القصاصِ إلَّا علىٰ نفْسِه، وهذا كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وإنَّما خَصَّ الولَدَ والوالدَ؛ لأنهَّما أقرَبُ الأقارِبِ، فإذا لم يُؤَاخَذْ بِفِعْلِه، فغيرُهما أولىٰ. «أَلَا إنَّ المُسلِمَ أخو المُسلِمِ»، أي أخوهُ في الدِّينِ؛ «فليس يحِلُّ لِمُسلِمٍ من أخيه شَيءٌ إلَّا ما أحَلَّ من نفْسِه»، أي: لا يُباحُ لأحدٍ ممَّا يخُصُّ أخاهُ المسلِمَ شَيْءٌ إلَّا ما أباحَه له أخوهُ من نفْسِه. «ألا وإنَّ كلَّ رِبًا في الجاهليَّةِ موضوعٌ»، أي: باطلٌ ومُهْدَرٌ، ولا يُؤخَذُ به «لكم رُؤوسُ أموالِكم»، أي: لكم أنْ تأخُذوا أُصولَ أموالِكم فقطْ دونَ الزّيادةِ عليها، «لا تَظْلِمون =

. . . .

= ولا تُظلمون»، أي: لا تأْخُذون باطلًا لا يحِلُّ لكم، ولا تُنْقَصونَ من أموالِكم، «غيرَ رِبا العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ؛ فإنَّه موضوعٌ كلُّه»، وفي روايةِ ابنِ ماجه: «وأوَّلُ رِبًا أَضَعُه رِبَانَا رِبَا الْعَبَّاسِ بنِ عبد المطَّلبِ؛ فإنَّه موضوعٌ كلُّه»، أي: أنَّ النبيَّ ﷺ بدَأَ بأقارِبِه؛ ليحُثَّ النَّاسَ علىٰ الاقتِداءِ، وأنْ يفعَلوا مثْلَه.
«ألَا وإنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليَّةِ موضوعٌ»، أي: متروكٌ ومُهدرٌ، ولا قِصاصَ فيه، ولا ديةَ، ولا كفَّارةَ، «وأوَّلُ دَمٍ أَضَعُ من دَمِ الجاهليَّة دَمُ الحارثِ عبد المطَّلبِ كان مُسترضَعًا في بني ليثٍ»، أي: كانَتْ له مُرْضِعَةٌ تُرضِعُه فِي بَنِي ليثٍ «فقتلَتْه هُذيلٌ»، وكانَ طِفلًا صَغيرًا يَحبُو بيْنَ البيُوت، فأصابَه حَجَرٌ فماتَ، والمعنىٰ: أنَّ النبيَّ ﷺ بدأ بنفسْهِ فَوضَعَ وترَكَ ما يخُصُّ أهْلَه وعَشيرتَه من الدِّماءِ؛ فأهدَر الدَّمَ المستحَقَّ للحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، وهُو ابِن عَمِّه؛ ليعلَمَ النَّاسُ أنه لا رُخْصَة لأحدٍ في إعادةِ أَوْتَارِ الجاهليةِ، ونسَبَ النبيُّ ﷺ الدَّمَ إلىٰ الحارثِ؛ لأنَّه جَدُّ الطِّفلِ القَتيلِ الَّذي هو ابنُ رَبيعةَ بْنِ الحارثِ بن عبدِ المطَّلبِ، والدَّمُ قد يُنسَبُ لأوليائِه من الآباءِ والأجْدادِ.
«ألا واسْتَوصوا بالنِّساءِ خيرًا»، أي: أُوصيكم بهنَّ خيرًا بالإحسانِ إليهنَّ، وإطعامِهنَّ وكسوتِهنَّ وعِشرتِهنَّ بالمعروفِ، وعدمِ ضَربَهِنَّ ولا تَقبيحهنَّ؛ «فإنَّما هنَّ عوانٍ عندكم»، العواني جمْعُ عانيةٍ، أي: أسيرةٌ، وشبَّهَهنَّ بذلك؛ لأنَّهنَّ عندَ الرِّجالِ وَيَتحكَّمونَ فيهنَّ، وهنَّ يَخضعْنَ لسُلطانِ الرِّجالِ، «ليس تمْلِكون منهنَّ شيئًا غيرَ ذلك»، أي: لا شَيءَ لكم علىٰ النِّساءِ إلَّا ذلك من الوصيَّةِ بهنَّ والإحسانِ إليهنَّ، «إلَّا أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ»، أي: إلَّا أنْ يفعَلْنَ فِعْلَ الفاحِشةِ، وهي كلُّ ما يَشتَدُّ قُبْحُه من الذُّنوبِ والمعاصي، وكلُّ خَصلةٍ قبيحةٍ من الأقوالِ والأفعالِ، وكثيرًا ما تَردُ بمعنىٰ الزّنا، ولعلَّ المرادَ بالفاحِشَةِ هُنا المعنىٰ العامُّ لأيِّ فِعلٍ قَبيحٍ لا يَرضَىٰ عنه الزَّوجُ، ويستوجبُ العقابَ؛ «فإنَّ فعلْنَ فاهْجُروهن في المضاجع» بأنْ يُولِّيَها ظهْرَه في الفِراشِ الواحدِ ولا يُكلِّمُها، وقيل: هو أنْ يَعتزِلَ عنها إلىٰ فِراشٍ آخَرَ، «واضْرِبوهن ضَربًا غيرَ مُبرّحٍ» ومعناه: اضْرِبوهن ضَربًا ليس بشَديدٍ ولا شاقٍّ، «فإنْ أطعْنَكم فلا تَبْغوا عليهنَّ سَبيلًا»، أي: فلا تظْلِمونهن بأيِّ طريقةٍ، وهذا مِن حُسْنِ الوصيَّةِ بالنِّساءِ والتَّدرُّجِ في مُعاقَبَتِهنَّ إذا وقعْنَ في الأُمورِ الفاحشةِ.
ثم وضح ﷺ حُقوقَ كلٍّ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ علىٰ الآخَرِ، فقال: «ألا وإنَّ لكم علىٰ نِسائكم حقًّا، ولنسائِكم عليكم حقًّا؛ فأَمَّا حَقُّكم علىٰ نسائِكم: فلا يُوطِئْنَ فُرشَكم مَن تكْرَهون ولا يأذَنَّ في بيُوتِكم لمِن تكْرَهون»، ومعنىٰ ذلك: أَلَّا تَأْذَنَ النِّساءُ لأحدٍ تَكْرهونه =

٧. وعن أبي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمْ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

= في دُخولِ بيُوتِكم والجُلوسِ في مَنازِلِكم، سواءٌ كان المأذونُ له رجُلًا أجنبيًّا، أو امرأةً، أو أحَدًا من محارِمِ الزَّوجةِ؛ فالنَّهيُ يتناوَلُ جميعَ ذلك، «ألا وإنَّ حَقَّهنَّ عليكم: أنْ تُحسِنوا إليهنَّ في كِسوتهنَّ وطعامهنَّ»، أي: يستحِقُّون منكم النَّفقةَ علىٰ قَدْرِ كِفايتِهنَّ، من غيرِ إفراطٍ أو تَفريطٍ.

وفي الحديث: بيانُ حُرمةِ الأموالِ والأنفُسِ والأعراضِ بين المُسلمين.

وفيه: بيانُ حُرمةِ الرِّبا.

وفيه: وصيَّةُ الرِّجالِ والنِّساءِ في حَقِّ بعضِهم البعضِ.

وفيه: أنَّ الإنسانَ إذا أَمَرَ غيْرَه أو نهاهُ؛ فعليه أنْ يبدَأَ بنفْسِه ومَن هو منه، إذا كان فيه هذا الأمْرُ.

(١) شرح تهذيب صحيح البخاري (علي بن نايف الشحود (١-١٠) (٤/ ٤٦٣) ٣٨٨- (بخاري: **٢٤٤٩**) [ش (له مظلمة) أي قد ظلم أحدًا بقول أو فعل. (عرضه) جانبه الذي يصونه ويحامي عنه من نفسه وحسبه. (فليتحلله) يطلب منه العفو والمسامحة أو يؤدي إليه مظلمته. (فحمل عليه) ألقي علىٰ الظالم عقوبات سيئات المظلوم].

حرَّم اللهُ تعالىٰ الظُّلمَ علىٰ نفْسِه، وجعَله محرَّمًا بين عِبادِه، وتوعَّد الظالمين بالقِصاصِ منهم والعذابِ، فإنْ أَفْلَتَ الظالِمُ في الدُّنيا بظُلمِه، فلا مَفَرَّ له يَومَ القِيامةِ ولا مَلْجَأَ له مِن الله، حَيْثُ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ؛ ولذلك أمَر النبيُّ ﷺ كلَّ مَن ظلَم أحدًا في عِرْضِه أو شيءٍ آخَرَ أن يَتحلَّلَه يعني: يطلُب منه أن يُحِلَّه ويُسامِحَه؛ لأنَّه إن لم يَفعَلْ ذلك أخَذ هذا المظلومُ مِن حَسناتِه يومَ القيامةِ، فإنْ لم يكن له حسناتٌ وُضِع من سيِّئاتِ هذا المظلوم علىٰ الظالم.

وفي الحديث: التَّحذيرُ من مَغَبَّةِ الظُّلمِ وعاقبتِه.

معنىٰ الحديث: أن من أخذ من أخيه شيئًا بالباطل، أو تعدىٰ علىٰ حق من حقوقه المالية أو البدنية أو غيرها «فيتحلله منه اليوم» أي فليبادر إلىٰ استرضائه والاستسماح منه (١) في الدنيا وليُعِدْ إليه حقه من ماله، «قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم»، أي قبل أن يأتي =

المبحث السادس حق المؤمنين:

٨. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطَفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ» متفق عليه(١).

= ذلك اليوم الذي لا يملك فيه نقودًا يستطيع بها أن يرد للمظلوم حقه المالي الذي ظلمه فيه فيحاكمه إلىٰ ربه ﷻ، فإن كان له عمل صالح فإنه يؤخذ من حسناته وأعماله الصالحة بقدر تلك المظلمة، ويضاف إلىٰ حسنات خصمه فيزيد المظلوم في حسناته، ويخسر الظالم من حسناته، وإن لم يكن للظالم حسنات، فإنه يؤخذ من سيئات المظلوم، وتضاف إلىٰ الظالم، وربما تضاعفت سيئاته وتراكمت وألقي به في النار، فيهلك الظالم، ويربح المظلوم.

فقه الحديث: دل هذا الحديث علىٰ أن الظالم إذا أراد أن يتوب إلىٰ الله توبة صادقة وكانت عليه حقوق مالية للمظلومين أن يتحلل منهم قبل كل شيء، ويبرئ ذمته من حقوقهم بإعادة حقوقهم إليهم، أو استسماحهم بعد أن يبين لهم الشيء الذي ظلمهم فيه حتىٰ يكونوا علىٰ معرفة تامة به ولتبرأ ذمته تلك المظلمة المعينة، لأن صحة البراءة والتحلل يتوقفان علىٰ إعادة الحق إليهم أو مسامحتهم في الشيء المعين الذي ظلموا فيه وذلك أمر قام الإجماع عليه، كما أفاده الحافظ. أما البراءة والتحلل من المجهول فهو محل خلاف بين أهل العلم. الحديث: أخرجه البخاري والترمذي. والمطابقة في قوله: «فليتحلله منه». منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٣٦٥).

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: **٣١٤٩**) ١٨٢٨. **(٢٥٨٦)** أخرجه البخاري (٨/ ١٠) (٦٠١١) [ش تداعىٰ له سائر الجسد) أي دعا بعضه بعضًا إلىٰ المشاركة في ذلك ومنه قوله تداعت الحيطان أي تساقطت أو قربت من التساقط].

يَحكي النُّعمانُ بن بَشيرٍ الأنصاريُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

ترَىٰ المؤمنين في تراحُمِهم: بأنْ يرحَمَ بعضُهم بعضًا بأخوَّةِ الإسلامِ، لا بسببٍ آخرَ، وتوادِّهم، أي: تواصُلِهم الجالبِ للمحبَّةِ؛ كالتَزاوُرِ، والتَّهادي، وتعاطفِهم بأن يُعينَ بعضُهم بعضًا، كما يُعطَفُ طَرَفُ الثَّوبِ عليه ليُقوّيهَ، كمثَلِ الجسدِ بالنسبة إلىٰ جميعِ أعضائِه، إذا اشتكىٰ عضوٌ منه تَداعَىٰ له سائرُ جسدِه، أي دعَا بعضُه بعضًا إلىٰ المشاركةِ بالسَّهر؛ لأنَّ الألَمَ يمنعُ النَّومَ، والحُمَّىٰ؛ لأنَّ فقدَ النَّومِ يُثيرِها. =

٩. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَاسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ» وفي رواية عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ، اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ، رَاسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ» رواه مسلم(١).

١٠. عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه(٢).

= **في الحديث**: التشبيهُ وضربُ الأمثال؛ لتقريبِ المعاني للأفهامِ.
وفيه: أنَّ المؤمنينَ كالجسدِ الواحدِ.
وفيه اهتمامُ المسلمين بعضِهم ببعضٍ في جميعِ شؤونهم.

(١) تهذيب صحيح مسلم -علي بن نايف الشحود (ص: ٩٢٠) ٢٥٨٦.
جاءَ الإسلامُ ليوحِّدَ الناسَ تحتَ رايتِه، ويَعيشوا في أُلفةٍ ومودَّةٍ في مجتمَعٍ متكافِلٍ متماسك كالبُنيانِ المرْصوصِ، وفي هذا الحديثِ يقول النبيُّ ﷺ: «المسلِمونَ كرجُلٍ واحدٍ»، أي: مَثَلُهم مَثَلُ الجَسدِ؛ «إنِ اشتكَىٰ عينُه، اشْتكىٰ كلُّه»، أي: إنْ مرِضَتِ العينُ اشْتكىٰ كلُّ الجسدِ، وأحسَّ بوجَعِها وألمِها، «وإنْ اشْتكىٰ رأسُهُ، اشتكىٰ كلُّه»، أي: وإنْ توجَّعَ في رأسِه كذلكَ توجَّعَ لها باقي الجسدِ، فأَيُّ مَوْضعٍ في الجسدِ أصابَه ألَمٌ توجَّعَ الجَسدُ لوجعِه، والمرادُ: أنَّه إذا نزَلتْ بالمسلمينَ نائبةٌ أو مُصيبةٌ تداعىٰ لها سائرُ المسلمينَ كأنَّهم رَجُلٌ واحدٌ يشعُر بعضُهم بِبعضٍ، غنِيُّهم يُحسِنُ إلىٰ فقيرِهم، وقويُّهم يرحَمُ ضعيفَهم، وينصُرُ بعضُهم بَعضًا بالحقِ ولا يَتخلَّىٰ بعضُهم عن بعضٍ في النوائبِ والمصائبِ والملِّمات.

(٢) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: ٣١٤٧) ١٨٢٧. (٢٥٨٥) أخرجه البخاري (٨/ ١٢) (٦٠٢٦) [ش (المؤمن كالبنيان) وفي الحديث الآخر مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم الخ هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض وحثهم علىٰ التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه].
في هذا الحديث يَحثُّ النبيُّ ﷺ المؤمنينَ علىٰ التَّعاونِ والتَّناصُرِ، والتَّظاهُر والتَّكاتُف علىٰ مصالِحِهم الخاصَّة والمصالِح العامَّة، فيقول: إنَّ المؤمِنَ للمُؤْمِنِ كالبُنيانِ؛ =

المبحث السابع حق المسلم على المسلم:

١١. عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِم خمسٌ» وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمُسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ» متفق عليه(١).

= يشُدُّ بَعْضُه بعضًا، أي: إنَّ المؤمنينَ في تآزُرِهم، وتماسُكِ كُل فَرْدٍ منهم بالآخَرِ، كالبُنيانِ المرصوصِ الذي لا يَقْوَىٰ علىٰ البَقاءِ إلَّا إذا تماسَكَتْ أجزاؤُه لَبِنَةُ لَبِنَةً، فَإذا تَفكَّكتْ سَقَطَ وانهارَ، (وشَبَّكَ بينَ أصابِعِه)، إشارةً إلىٰ أنَّ تعاضُدَ المؤمنينَ بينهم كتَشْبِيك الأصابعِ بَعْضِها في بَعضٍ، فكما أنَّ أصابعَ اليدينِ مُتعدّدةٌ؛ فهي ترجعُ إلىٰ أصلٍ واحدٍ، وَرَجُلٍ واحدٍ، فكذلك المؤمنون وإن تعدَّدَت أشخاصُهم فهم يرجعونَ إلىٰ أصْلٍ واحدٍ، وتَجْمَعُهم أُخُوَّةُ الإيمانِ.

وهذا التَّشبيكُ من النَّبي ﷺ في هذا الحديثِ كان لمصلحةٍ وفائدةٍ، لم يكن عَبَثًا؛ فَإنَّه لَمَّا شَبَّهَ المؤمِنينَ بِالبُنيانِ الذي يَشُدُّ بعضُه بعضًا؛ كان ذلك تَشبيهًا بالقَوْلِ، ثُمَّ أَوضَحَه بالفِعْلِ، فَشَبَّكَ أصابِعَه بَعْضَها في بعضٍ؛ ليتأكَّد بذلك المثالُ الذي ضَرَبَه لهم بِقَوْلِه، ويَزدادَ بيانًا وظُهورًا.

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: ٢٧٠١) ١٥٤٤. (٢١٦٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٢ باب الأمر باتباع الجنائز.

يُرشِدُنا النَّبيُّ ﷺإلىٰ بعض الحقوقِ الَّتي للمسلِم علىٰ أخيه المسلِم، والحقُّ بمعنىٰ حقِّ الحُرمةِ والصُّحبة، فبدأ ﷺ هذه الحقوقَ بأنَّها خمسٌ أي خمسُ خِصال، وهي: ردُّ السَّلام، أي: إعادتُه لِمَن ابتدَأ به، ثمَّ بعيادةِ المريض، أي: زيارتِه والاطمئنانِ عليهِ، ثمَّ اتِّباع الجنائزِ، أي: المشيِ خلفَها إلىٰ حين دَفنَها بعد الصَّلاةِ عليها، والجنازةُ اسمٌ للنعش اَلّذي عليه الميِّت، وإجابةِ الدَّعوة، أي: تلبيتها من باب الأُلفةِ وحُسنِ الصُّحبةِ، ما لم يكُنْ هناك مانعٌ شرعيٌّ أو عُرفيٌّ، وتشميتِ العاطس، أي: الدُّعاء له إذا حمِد، وهو قول: رحِمك الله، إذا حمِد الله.

ومثلُ هذه الحقوقِ إذا قام بها النَّاسُ بعضُهم مع بعضٍ، تَزيدُ مِن الأُلفة والمودَّة، وتُزيلُ مِن القلوبِ والنُّفوس الضَّغائنَ والأحقادَ.

١٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» مسلم(١).

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٤٩٦/١٢) وتهذيب صحيح مسلم - علي بن نايف الشحود (ص: ٧٨٢) (٢١٦٢).

[ش (فسمته) تشميت العاطس أن يقول له يرحمك الله ويقال بالسين المهملة والمعجمة لغتان مشهورتان قال الأزهري قال الليث التشميت ذكر الله تعالىٰ علىٰ كل شيء ومنه قوله للعاطس يرحمك الله قال ثعلب يقال سمت العاطس وشمته إذا دعوت له بالهدىٰ وقصد السمت المستقيم قال والأصل فيه السين المهملة فقلبت شينا معجمة وقال صاحب المحكم تسميت العاطس معناه هداك الله إلىٰ السمت].

رَبَطَ الإسْلامُ المُسلِمينَ برابطةِ العَقيدةِ، وجَعَلَ بينهم أُخُوَّةً إيمانِيَّةً قويَّةً، تقومُ علىٰ المحبَّة والاحتِرامِ، وأداءِ الحقوقِ والواجباتِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النبيُّ ﷺ: «حَقُّ المُسلِمِ علىٰ المُسلِمِ» الحقُّ هنا بمعنىٰ حقِّ الحُرمةِ والصُّحبةِ وحَقِّ أُخوَّةِ الإسْلامِ، وهي الحُقوقُ المُشْترَكةُ بين المُسلِمينَ عندَ مُعامَلةِ بَعضِهم بعضًا «سِتٌّ»، أي: سِتُّ خِصالٍ، وفي الصَّحيحيْنِ: «خَمْسٌ»، وهذا من تَعدُّدِ وُجوهِ الحُقوقِ، وليس من بابِ الحصْرِ، وأُولىٰ هذه الخِصالِ: «إذا لَقيتَهُ فسَلِّمْ عليه»، أي: إذا قابَلْتَهُ فَأَلْقِ عليه تَحِيةَ الإسْلامِ، وهي السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

والثانية: «وإذا دَعاكَ فأَجِبْهُ» يعني: إذا طَلَبَ منك إعانَتَه، أو دَعَاك لِطَعامٍ أو غيرَه، فلَتٍ له دَعوتَهُ مِن بابِ الأُلفة وحُسْنِ الصُّحْبة، ما لم يكن هناك مانع شرعي أو عُرفي. والثالثة: «وإذا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ له»، أي طَلَبَ منك النَصيحَة، فدُلَّهُ علىٰ الخيرِ الذي تَعرِفُهُ. والرابعة: «وإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فشَمِّتْهُ» وتَشْميتُ العاطس هو الدُّعاء له إذا حَمدَ الله بقول: يرحمكم الله، ويَردُّ عليه العاطس بقول: يهديكم الله ويُصلح بالكم. والخامسة: «وإذا مَرِضَ فَعُدْهُ»، أي: إذا أُصيب بمرض، فاذْهَبْ لزيارته والاطمئنان عليه. والسادسة: «وإذا مات فاتَّبِعه»، أي: امْشِ خَلْفَ جِنازَتِهِ إلىٰ حِينِ دَفْنِها بعد الصَّلاةِ عليها.

=

١٣. عَنْ عَلِيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌ بِالْمَعْرُوفِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَتْبَعُ جِنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» الترمذي(١).

المبحث الثامن حق الراعي علىٰ الرعية:

١٤. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَىٰ المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرُ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمعَ وَلا طَاعَةَ» متفق عليه(٢).

= ومثل هذه الحقوق إذا قام بها النَّاسُ بعْضُهم مع بعض، تَزيدُ مِن الأُلفة والمودَّةِ، وتُزيل مِن القُلوبِ والنُّفوسِ الضَّغَائِنَ والأحقاد وهي من أكبر الأسباب لترابط المجتمع المسلم.

(١) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٤٩٧) وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٨٠) (٢٧٣٦) حسن لغيره.
(عَنْ عَلِيّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌ بِالْمَعْرُوفِ»): صِفَةٌ بَعْدَ صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ يَعْنِي: لِلْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خِصَالٌ سِتٌ، مُلْتَبِسَةٌ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ مَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عُرِفَ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ حُسْنُهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْبَاءُ بِمَعْنَىٰ «مِنْ» (يُسَلِّمُ عَلَيْهِ): جُمْلَةٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ مُبَيِّنَةٌ أَوْ تَقْدِيرُهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ أَيْ: عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سَوَاءٌ عَرَفَهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْهُ «إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ» أَيْ: إِلَىٰ دَعْوَةٍ أَوْ حَاجَةٍ «وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ»: مَرَّ تَحْقِيقُ مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ «وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَتْبَعُ»: بِسُكُونِ الْفَوْقَانِيَّةِ وَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ أَيْ: يَشْهَدُ وَيُشَيِّعُ (جِنَازَتَهُ): بِكَسْرِ الْجِيمِ وَيُفْتَحُ (إِذَا مَاتَ): وَفِي قَوْلِهِ: «يَتْبَع» إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ الْأَفْضَلَ هُوَ الْمَشْيُ خَلْفَ الجِنَازَةِ، كَمَا هُوَ الْمُخْتَارُ مِنْ مَذْهَبِنَا، وَقَدْ وَرَدَ مُصَرَّحًا في حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَىٰ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مَرْفُوعًا» «الْجِنَازَةُ مَتْبُوعَةٌ وَلَيْسَتْ بِتَابِعَةٍ، لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَقَدَّمَهَا»). (وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ) أَيْ: مِثْلَ مَا يُحِبُّ (لِنَفْسِهِ): وَهَذَا فَذَلَكَة الكُلِ، وَلِذَا اقْتُصِرَ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا بِرِوَايَةِ أَحْمَدَ وَأَصْحَابِ السِّتِّ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٩٤٣).

(٢) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٦٩٩) ٧١٤٤-١٩٣٢- [ش أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية . . رقم ١٨٣٩]. =

١٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَىٰ الله، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي» متفق عليه(١).

= السَّمع والطاعة لولي الأمر المسلم، وعدم الخروج عليه والسَّعي إلىٰ عزله من أعظم الأسباب التي تحول بين تهيجِ الفِتنِ وإراقة الدماء وتفرق ذاتِ البَينِ؛ وغالبًا ما تكونُ المفسدة في عَزلِه أكثر منها في بقائه.

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ، أنَّ من حقوقِ الحاكم الشَّرعيّ اللازمة علىٰ المسلم: السَّمْعَ والطاعة فيما أَحَبَّ أو كره؛ لِفَواتِ مَصالِحَ شخصيَّةٍ له أو لِمَا يَراه من فواتِ مَصالح الأمَّة، وهذا بِشَرْطِ أَلَّا يأمره الحاكم بمعصية الله تعالىٰ، فإن أمره بمعصية فلا سمع ولا طاعة له فيها.

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: ٢٣٣٤) ١٣٣٨. (١٨٣٥) أخرجه البخاري في: **٩٣** كتاب الأحكام: **١** باب قول الله تعالىٰ (أطيعوا الرسول وأولىٰ الأمر منكم) (بخاري: **٢٩٥٧**) [ش (من أطاعني فقد أطاع الله) وقال في المعصية مثله لأن الله تعالىٰ أمر بطاعة رسول الله ﷺ وأمر هو ﷺ بطاعة الأمير فتلازمت الطاعة وقد ذكر الخطابي سبب اهتمام النبي ﷺ بشأن الأمراء حتىٰ قرن طاعتهم إلىٰ طاعته فقال كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم فلما كان الإسلام وولىٰ عليهم الأمراء أنكرت ذلك نفوسهم وامتنع بعضهم عن الطاعة فأعلمهم ﷺ أن طاعتهم مربوطة بطاعته ومعصيتهم بمعصيته حثًا لهم علىٰ طاعة أمرائهم لئلا تتفرق الكلمة].

وقال الحافظ بن حجر في الفتح: (ويمكن ردّ اللفظينِ لِمَعنىٰ واحد، فَإِنَّ كُلّ مَن يَأمُر بِحَقٍّ وَكَانَ عَادِلًا فَهُو أَمِير الشارع لأَنَّهُ تولَّىٰ بِأَمرِه وبِشَرِيعَتِهِ، ويُؤَيّده توحيد الجواب في الأمرين وهو قوله: «فقد أطاعَنِي» أَي عَمِلَ بِما شرعته، وكَأَنَّ الحكمة في تخصيص أميره بالذكرِ أَنَّهُ المراد وقت الخطاب، ولأَنَّهُ سَبَب وُرُود الحديث. وأمّا الحكم فالعبرة بِعُمُوم اللفظ لا بخصوص السَّبَب. قال ابن التين: قيل كانت قريش ومَن يَليها مِنَ العَرب لا يَعرِفُونَ الإمارَة فَكَانُوا يَمتَنِعُونَ عَلَىٰ الأُمَراء، فَقالَ هذا القول يُحِثُّهُم عَلَىٰ طَاعَة مَن يُؤَمِرهُم عَلَيهِم والانقياد هُم إذا بَعَثَهُم في السَّرايا وإذا ولاهم البلاد فلا يخرجوا عَلَيهِم لِقلَّا تَفتَرِق الكَلِمَة. فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة (١٣/ ١١٢). =

١٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَىٰ بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ ﷻ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرُ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ» متفق عليه(١).

= وهذا الذي ذكره ابن حجر وجه للجمع صحيح ويمكن أن يقال: إن الرواية الأولىٰ أرجح من حيث أنها الأقرب لمقتضىٰ الحال [من أطاع أميري] فالمراد بلفظ (الأمير) في تلك الروايات هو الأمير المعهود للمخاطبين آنذاك الذين يبعثهم النبي ﷺ فليست أل هنا للعموم بل هي للعهد أي من أطاع الأمير الذي أمرته عليكم فقد أطاعني.

وكذا قوله: (أمراءكم) فالمقصود أمراءكم الذين أمرتهم عليكم.

ومع ذلك فالحديث أيضًا ليس علىٰ إطلاقه؛ بل قيدته أحاديث أخرىٰ؛ حتىٰ في أمراء النبي ﷺ وهو أن طاعتهم إنما هي بالمعروف ولا طاعة لهم في معصية الله ورسوله.

تهذيب تحرير الإنسان وتجريد الطغيان (ص: ١١٤).

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٥٢٩) (١٨٤١) أخرجه البخاري (٤/ ٥٠) (١٩٥٧) [ش (الإمام جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذىٰ المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنىٰ يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنىٰ يتقىٰ به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقًا والتاء في يتقىٰ مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية].

لَمَّا كانت الجماعة لا يَنْصَلِحُ أمرُ دِينها ودنياها إلا بتنصيب أميرٍ وحاكم يَقِفُ علىٰ شؤونهم ويُصلِحُها وَيَفْصِلُ المنازعاتِ ويَحمِلُ النَّاسَ علىٰ الحقِّ، كان وُجوده أمرًا حتمًا، وطاعته كذلك، وفي هذا الحديث يُوضِحُ النبيُّ ﷺ أَنَّ طاعته من طاعة الله تعالىٰ وكذلك معصيته، وأنَّ طاعة الإمام من طاعَةِ المولىٰ ﷻ ومن طاعةِ النَّبِي ﷺ، وأنَّ معصيته معصية لله ورسوله؛ وذلك لأنَّه جُنَّةٌ؛ أي: سُترةٌ ووقايَةٌ؛ لأنَّه يَمنَعُ العَدوَّ مِن أذىٰ المسلمين، ويمنعُ النَّاسَ من أذَىٰ بَعضهم بعضًا، يُقاتِلُ من ورائه ويَتَّقي به، يعني: يُقاتِلُ معه الكفار والبغاةَ وسائر أهلِ الفَسادِ ويَحتَمي به ويتقوَّىٰ ويرجع إليه في الرأي والتَّدبير، فإنْ أَمَرَ الإمامُ بتَقْوَىٰ اللهِ تَعالىٰ وعَدَلَ في رَعيَّته كان له بذلك أجرٌ لقيامه بحق الله تعالىٰ، وإنْ حَصَلَ منه خلاف ذلك بأن حكم بغير العدل والتَّقوىٰ وأحبَّ ذلك وأَخَذَ به إيثارًا له وميلًا إليه؛ كان عليه بعض مِن الوَبالِ والإِثْم والوزر المترتب علىٰ صنيعه ذلك، =

المبحث التاسع حق الرعية علىٰ الراعي:

١٧. عن أبي مَرْيَمَ الْأَزْدِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: مَا أَنْعَمَنَا بِكَ أَبَا فُلَانٍ -وَهِيَ كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ -فَقُلْتُ: حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَىٰ حَوَائِجِ النَّاسِ. سنن أبي داود[١].

= أو يكون الوبالُ الحَاصِل كله عليه لا علىٰ المأمور؛ إنْ كان المأمور معذورًا بإكراه ونحوه.

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٣٥) (٢٩٤٨) صحيح.
«مِنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ»؛ أَي امْتَنَعَ مِنَ الْخُرُوجِ، أَوْ مِنَ الْإِمْضَاءِ عِنْدَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ (وَخلَّتِهِمْ)؛ بِفَتح حَاءٍ مُعْجَمَةٍ فَلَام مُشَدَّدَةٍ؛ أَي وَعَرْضِ شِكَايَتِهِمْ عَلَيْهِ (وَفَقْرِهِمْ)؛ أَي وَمَسْكُنَتِهِم وَمُسَائِلَتِهِمْ لَدَيْهِ؛ يَعْنِي احْتِقَارًا بهِمْ وَعَدَمَ مُبَالَاةٍ بِشَأْنِهِمْ «احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ»)؛ أَيْ أَبْعَدَهُ وَمَنْعَهُ عَمَّا يَبْتَغِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ، أَو الدُّنْيَوِيَّةِ، فَلَا يَجدُ سَبِيلًا إِلَىٰ حَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِهِ الضَّرُورِيَّةِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا «مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَم يَنْظُرِ الله في حَاجَتِهِ حَتَّىٰ يَنْظُرَ فِي حَوَائِجِهِمْ» قَالَ الْقَاضِي الْمُرَادُ بِاحْتِجَابِ الْوَالِي؛ أَنْ يَمنَعَ أَرْبَابَ الْحَوَائِجِ وَالْمُهِمَّاتِ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَيْهِ فَيَعْرِضُوهَا لَهُ؛ وَيَعْسُرَ عَلَيْهِمْ
إِنْهَاؤُهَا، وَاحْتِجَابُ اللَّهِ تَعَالَىٰ؛ أَنْ لَا يُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَيُخيِّبَ آمَالَهُ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الحَاجَةِ وَالخَلَّةِ وَالْفَقْرِ أَنَّ الْحَاجَةَ مَا يُهْتَمُّ بِهِ الْإِنْسَانُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الضَّرُورَةِ، بِحَيْثُ لَوْ لَمْ يَحْصُل لاخْتَلَ بِهِ أَمْرُهُ، وَالخَلَّةُ مَا كَانَ كَذَلِكَ مَأْخُوذُ مِنَ الْخَلَلِ، وَلَكِنْ رُبَّمَا لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الاضْطِرَارِ، بِحَيْثُ لَوْ لَم يُوجَدُ لَامْتَنَعَ التَّعَيُّشُ، وَالْفَقْرُ هُوَ الْاضْطِرَارُ إِلَىٰ مَا لَا يُمْكِنُ التَعَيُّشُ دُونَهُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْفَقَارِ كَأَنَّهُ كَسَرَ فَقَارَهُ، وَلِذَلِكَ فُسِّرَ الْفَقِيرُ بِالَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ أَصْلًا، وَاسْتَعَاذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفَقْرِ اهـ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا لِلتَّأْكِيدِ وَالْمُبَالَغَةِ، وَقَالَ الْمُظْهِرُ: يَعْنِي مَنِ احْتَجَبَ دُونَ حَاجَةِ النَّاسِ وَخَلَّتِهِمْ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا فَعَلَ بِالْمُسْلِمِينَ، قَالَ الطَّيبِيُّ: وَلَعَلَّ هَذَا الْوَجْهَ أَغْنِي التَّقْيِيدَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ التَّرْقِيَ في قَوْلِهِ: حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ، فِي شَأْنِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، =

١٨. عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ عَنْ أُولِي الضَّعَفَةِ وَالحَاجَةِ احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» المعجم الكبير للطبراني(١).

١٩. عَنْ أَبِي الشَّمَّاخِ الْأَزْدِيِّ، عَنِ ابْنِ عَمٍّ، لَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي ﷺ، أَتَىٰ مُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَلِيَ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ النَّاسِ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ الْمِسْكِينِ، وَالْمَظْلُومِ أَوْ ذِي

= يُؤْذِنُ بِسَدِ بَابِ فَوْزِهِمْ بِمَطَالِبِهِمْ وَنَجَاحِ حَوَائِجِهِمْ بِالْكُلِيَّةِ وَلَيْسَ إِلَّا فِي الْعُقْبَىٰ وَنَحْوِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] تَغْلِيظًا عَلَيْهِمْ وَتَشْدِيدًا، وَلَمَّا كَانَ جَزَاءُ الْمُقْسِطِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَكُونُوا عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ؛ كَانَ جَزَاءُ الْقَاسِطِينَ الْبُعْدَ وَالاحْتِجَابَ عَنْهُمْ وَالْإِقْنَاطَ عَنْ مَبَاغِيهِمْ، وَيُؤَيِّدُهُ الحَدِيثُ الَّذِي يَلِيهِ؛ أَفْقَرَ مَا يَكُونُ (فَجَعَلَ مُعَاوِيَةٌ رَجُلًا عَلَىٰ حَوَائِجِ النَّاسِ)؛ أَيْ عَلَىٰ تَبْلِيغِهَا، أَوْ عَلَىٰ قَضَائِهَا». مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٤٢٣).

كان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ يَتَناصحونَ فيما بَيْنَهم، وكانوا حَريصِينَ علىٰ الخيرِ لبَعْضِهم البَعضِ.

وفي هذا الحديثِ يُقدِّمُ أبو مَريَمَ الأَزْديُّ لمعاويةَ بنِ أبي سُفيان نصيحةً حينَما دَخَل عليه، فقال له: «ما أَنْعَمَنَا بِكَ أبا فلان، وهي كلمةٌ تَقولُها العربُ لِمَنْ يُعْتَدُّ بزيارَتِه ويُفْرَحُ بلقائِه، فقلتُ: حديثًا سَمِعتُه أُخْبِرُكَ بِهِ؛ سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: مَنْ ولاه الله ﷻ شيئًا مِن أَمْرِ المسلمينَ وشؤونِهِمْ، فاحْتَجَب، أي: فامْتَنَع، عَنِ الخروج إليهم، ولم يكن علىٰ اتصال بهِم ولَمْ يَقْضِ «خَلَّتَهم»، يعني: حاجاتِهم، ولم يَسُدَّ فَقْرَهم؛ فَمَنْ عَامَل النَّاسَ هذه المعاملة فسوف يكون جزاؤُه مِنْ جِنْسِ عَمَلِه، وهو أنْ يَحْتَجِبَ الله عنه، فَيَبْعُدَ عنه ويَمَنَعَه حاجتَه وخَلَّتَه وفَقْرَه، فلا يُجيبُ دَعوتَه.

فعِندما سَمِعَ معاويةُ رضي الله عنه ما قاله جَعَلَهُ علىٰ حَوائِجِ النَّاسِ لقَضائِها وإيصالها إليهم؛ لأَنَّهُ ناصِحٌ أَمِينٌ، ويَعْلَمُ واجبات الإمام والأمير، وسيسعىٰ في حَلِ حوائجِ النَّاسِ، وهذا مِنْ مُسارَعةِ مُعاويةَ رضي الله عنه وتنفيذه للنصيحة.

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ١٥٢) (٣١٦) ومسند أحمد مخرجا (٣٦/ ٣٩٤) (٢٢٠٧٦) صحيح لغيره.

الْحَاجَةِ أَغْلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ دُونَهُ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ، وَفَقْرِهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا». مسند أحمد(١).

المبحث العاشر حق آل البيت:

٢٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّىٰ جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، حَتَّىٰ أَتَىٰ خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لَكَعْ؟ أَثَمَّ لُكَعُ؟» يَعْنِي حَسَنًا فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَىٰ، حَتَّىٰ اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ» متفق عليه(٢).

---

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٤/ ٤٢٥) ومسند أحمد مخرجا (٢٤/ ٤٠٨) (١٥٦٥١) صحيح لغيره.
عَنْ مُجَاهِدٍ؛ فِي قَوْلِهِ ﷻ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قَالَ: جِبْرِيل ﵇. سنن سعيد بن منصور.

(٢) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: ٢٩٧٤) ١٧١٨ز (٢٤٢١) أخرجه البخاري في: ٣٤ كتاب البيوع: ٤٩ باب ما ذكر في الأسواق [ش (طائفة من النهار) قطعة منه (خباء) أي بيتها (لكع) المراد هنا الصغير (سخابًا) جمعه سخب وهو قلادة من القرنفل والمسك والعود ونحوها من أخلاط الطيب يعمل علىٰ هيئة السبحة ويجعل قلادة للصبيان والجواري وقيل هو خيط فيه خرز سمي سخابًا لصوت خرزه عند حركته من السخب وهو اختلاط الأصوات]
قَوْلُهُ: أَيْ لكَعُ، سُئِلَ بِلَالُ بْنُ جَرِيرٍ، عَنْ لكَعٍ، فَقَالَ: هِيَ فِي لُغَتِنَا الصَّغِيرُ، وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ الْحَسَنُ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَانِ: يَا لُكَعُ، يُرِيدُ يَا صَغِيرًا فِي الْعِلْمِ، فَسَمَّاهُ لُكَعًا لِصِبَاهُ وَصِغَرِهِ، وَمَا جَاءَ **في الحديث**: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ أَسْعَدُ النَّاسِ لكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: اللُّكَعُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْعَبْدُ، قَالَ اللَّيْثُ: لَكَعَ الرَّجُلُ يَلْكَعُ لَكْعًا، فَهُوَ أَلْكَعُ، يُوصَفُ بِالْحَمْقِ، وَالسِّخَابُ: خَيْطٌ يُنْظَمُ فِيهِ الْخَرَزُ، ويلبس الصِّبْيَانَ، جَمْعُهُ سُخُبٌ قِيلَ: هُوَ مِنَ الْمُعَاذَاتِ». شرح السنة للبغوي (١٤/ ١٣٥). =

٢١. قال يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ، إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ لَقِيتَ، يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَا ابْنَ أَخِي وَاللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِي وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُل هؤلاء حُرِمَ

= حب آل بيت النبي ﷺ واجب، ويختص منهم مَن حض النبي ﷺ علىٰ حبّه، ودعا بحبّ الله له، وحبّ مَن أحَبَّه، كَالحَسَنِ ابن فاطمة ﭬ، ففي هذا الحديثِ يُخبرُ أبو هريرةَ ﭬ أنَّ النبيَّ ﷺ كان في السُّوقِ معه، ثُم انصرف فقال: أينَ لكَعُ؟، ولُكَعُ كنايةٌ عَنِ الصَّغير، وكان يَقصِدُ الحسن بن علي ﭬ، فقام الحسن ﭬ وكان صغيرًا يمشي إلىٰ النبي ﷺ في عُنقه السّخابُ وهي القلادَةُ، فقال النبيُّ ﷺ بيده هكذا، أي: أشار إلىٰ الحسن ﭬ، فأشار إليه الحسن ﭬ حتّىٰ التزمه النبي ﷺ وعانقه، وقال: «اللَّهمَّ إنِّي أُحبُّه فَأَحبَّه، وأحِبَّ مَن يُحِبُّه»، فيقولُ أبو هريرة ﭬ: فما كانَ أحدٌ أَحَبَّ إليَّ مِنَ الحسن بن علي، بعدما قال رسولُ الله ﷺ ما قال.
فَاللَّهمَّ اجعلْنا مِن مُحبّيه ومواليه، ولا تجعلنا من مُبغضيه ومُعادِيه.

الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ» صحيح مسلم(١).

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٣) ٣٦- (٢٤٠٨) [ش (خما) اسم لغيضة علىٰ ثلاثة أميال من الجحفة غدير مشهور يضاف إلىٰ الغيضة فيقال غدير خم (ثقلين) قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بها].
يحكي يزيدُ بنُ حَيَّانَ أَنَّه انطلق هو وحُصَيْنُ بن سَبْرَةً وعمرُو بنُ مسلم إلىٰ زيدِ بنِ أرقَمَ ﵁ فلمَّا جَلَسْنَا إليه قال له حُصَيْنٌ: لقد لقيتَ يا زيد خيرًا كثيرًا، ومن ذلك الخير رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، أي: من فيه، وغَزَوْتَ معه، أي: جاهدت في سبيل الله وصلَّيْتَ، خلْفَه، أي: معه، جماعة، لقد أوتيت خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد بما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي، والله لقدْ كَبِرَتْ سِنِّي، ونَسيتُ بعض الذي كنتُ أعِي، أي: أحفظ من رسول الله ﷺ ما حدَّثْتُكم فَاقْبلوا، أي: فَاقبلوه وما لا فلا، تُكلّفونيه، ثُمَّ قال مُحْدِثًا: قامَ رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماءٍ يُدعىٰ «خُمًّا» بين مكة والمدينة، أي: الوادي الذي فيه الماءُ؛ وخُمٌّ اسمُ لِغَيْضَةٍ علىٰ ثلاثة أميالٍ مِنَ الجُحْفَةِ عندها غدير مشهورٌ يُضاف إلىٰ الغَيْضَةِ فَيقالُ غَدِيرُ خُمٍّ، فَحمد الله، أي: وصفه بنعوتِ الكمال وأثنىٰ عليه بتنزيهه عن سائر ما لا يليقُ به ووعظ، أي: أَمرَ بِالطَّاعةِ ووصىٰ بها، وذَكَرَ بِما قد غَفْلُوا عنه بمزاولة الأهل والعيالِ مِنَ التَّوجُّه للخدمة وأداء حق العبودية، ثُمَّ قال: أمَّا بعدُ ألا أيُّها النَّاسُ، فإنما أنا بشر: والقَصْرُ فيه بـ (إنما)؛ لردّ ما قد يتوهمه قاصِرٌ عند ظهور الخوارق علىٰ يده صلوات الله وسلامه عليه من كونه إلهًا أو كونه مَلِكًا، لا لِقصْرِ صِفاته علىٰ ذلك، وأيضًا أتىٰ به ليبني عليه ما يُناسبه من الانتقال الَّذي هو شأنُ هذا النوع، يُوشِكُ، أي: يَقرُبُ ويُسرِعُ أنْ يأتي رسولُ ربّي يعني: ملك الموتِ فَأُجِيبَه، وأنا تارك فيكم «ثَقلين»، وسموا بذلك لنفاستِهما، وعِظَمِ حُرمتِهما، وصُعوبة القيام بحقهما، أولهما: كتاب الله، يعني: القرآن فيه الهدىٰ والنور، أي: الهداية والإشراقُ والإضاءةُ، فَخُذوا بكتاب الله واستَمْسِكوا به واعتصموا به، فحثَّ، أي: حرَّضَ علىٰ كتاب الله، أي: علىٰ الأخذ به والتَّمسُّكِ بِحبله، ورغَبَ، أي: زادَ العباد رغبةً فيه، وفي رواية: هو حبل الله، أي: عهده، وقيل: السَّببُ الموصل إلىٰ رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به مَنِ اتَّبعه كان علىٰ الهدىٰ والرَّشادِ، ومن تركه كان علىٰ ضلالة، أي: هلاك وضياعٍ مِن أمْرِه. ثُمَّ قال: وأهل بيتي، أي: وثاني المتروك فيكم المدَّعَىٰ حُرمته أهلُ بيتي، أُذكركم الله، أي: آمركم بطاعة الله وبالقيام في أهل بيتي وكرَّرها تأكيدًا للوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم فيكونُ من قبيل الواجب المؤكَّدِ المطلوب علىٰ =

المبحث الحادي عشر حق الأرملة والمسكين:

٢٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَأَحْسِبُهُ قَالَ- وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ» متفق عليه(١).

= طريق الحثّ عليه، فسألَ حُصَيْنُ بن سَبْرَةَ زيدًا ومَنْ أهل بيته؟ أليس نِسَاؤُه مِن أهل بيته؟ فأجابه: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته، أي: الْمُرادُونَ عند الإطلاقِ مَن حَرُمَ عَليهِمُ الصَّدقَةُ الواجبة بعده، فسأله محصين ثانية: ومَن هم؟ أي: الَّذينَ تَحْرُمُ عليهمُ الصَّدقة؟ فأجابه: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفرٍ أولاد أبي طالب، وآل عباس، فقالَ حُصينٌ كلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدقة؟ أي مُنِعَ الصَّدقة، أي: الواجبة من زكاة ونذرٍ وكفَّارة، فأجابه زيد: نعم، وفي رواية: من أهل بيته؟ نساؤه؟ فَأَجابَ: لا، وايم الله، وهو قَسَمٌ، أي: يُقسِمُ بأَيْمَنِ اللَّهِ إِنَّ المرأةَ تكونُ مع الرَّجلِ العَصْرَ مِنَ الدَّهرِ، ثُمَّ يُطلّقها فترجع إلىٰ أبيها وقومها، أهل بيته أصله «وعصبَتُه» أي: الأقارب من جهة الأصل والفرع، الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدقَةَ بَعدَه؟

في الحديث: الحث علىٰ التَّمَسُّكِ بِالقرآنِ، والتَّحريضُ علىٰ العمل به، والاعتصام به.

وفيه: تأكيد الوصاية بأهل البيت، والعناية بشأنهم، وإكرامهم.

وفيه: أنَّ الكِبَرَ مَظِنَّةُ النِّسيان وضعف القوَّةِ الحافظة.

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: **٣٥٣٩) ٢٠٤٢- (٢٩٨٢)** أخرجه البخاري في: **٦٩** كتاب النفقات: **١** باب فضل النفقة علىٰ الأهل [ش (الساعي) المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما (الأرملة) من لا زوج لها سواء كانت تزوجت قبل ذلك أم لا وقيل هي التي فارقت زوجها قال ابن قتيبة سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج يقال أرمل الرجل إذا فني زاده].

المجاهد في سبيل الله الذي يخدم دينه بنفسه وماله أو جاهه وسلطانه أو علمه وفنه، ليس له جزاء إلا الجنة إلىٰ الذكرىٰ الطيبة في الحياة الدنيا والمكانة العالية في النفوس.

وكذلك الجزاء للساعي علىٰ الأرملة والمسكين فيكد ويتعب؛ ويجاهد وينصب، ليكفي تلك الأرملة حاجاتها. بعد أن فقدت بعلها، الذي كان يرعاها وينفق عليها، فهو بذلك =

٢٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ مسلم(١).

= يخفف عنها من ألم المصيبة؛ ويسليها علىٰ الفجيعة «١»؛ ويكف يدها عن المد؛ ويصون وجهها عن العرض. وكذلك يصنع للمسلم الذي فقد المال؛ وعجز عن الكسب أو قدر ولكن لم يجد العمل، فهو يجمع المال بعرق جبينه. لا ليمتع نفسه أو ولده؛ أو لينفقه في البذخ واللذة، ولكن ليسد به جوعة المسكين، ويغنيه عن الاستجداء فيحفظ علىٰ وجهه ماء الحياء، وعلىٰ نفسه خلق العفاف، فكان خليقًا بمرتبة المجاهدين، ومنزلة المقربين. فاخدم بمالك ووقتك وقوتك وسعيك ذوي الحاجات وأرباب العاهات تنل المنزلة العالية والجنة الخالدة. الأدب النبوي (ص: ١١٧).

* **في هذا الحديث من الفقه** أنه أشار إلىٰ فضل السعي، وإنه إذا كان لا عيال له؛ إذ لو كان له عيال لكان كسبه عليهم فرضًا، وكان أعظم من هذا؛ ولكن إذا لم يكن له عيال فصرف كسبه إلىٰ الأرملة والمسكين، كان كالصائم لا يفطر، وكالقائم لا يفتر، والمجاهد في سبيل الله.

والمراد أن الله تعالىٰ يجمع له ثواب الصائم والقائم والمجاهد في دفعة؛ وذلك أنه قام للأرملة مقام زوجها الذي سلبها إياه القدر، وأرضاها عن ربها، وقام علىٰ ذلك المسكين الذي عجز عن قيامه بنفسه؛ فأنفق هذا فضل قوته وتصدق بجلده؛ فكان نفعه إذا الصوم والقيام والجهاد الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٢٦٧).

السَّاعِي علىٰ الأرملة والمسكين هو الذي يقومُ بمصالحهما ومؤنتهما وما يلزمُهما، والأرملة التي مات عنها زوجها، والمسكين الذي ليس له مِنَ المالِ ما يَسُدُّ حاجته، وقد أخبر ﷺ في هذا الحديثِ أَنَّ السَّاعي عليهما له مثل أجرِ المجاهد في سبيل الله، أو مِثل أجر القائم ليله، أو الصَّائِمِ نهاره؛ فينبغي علىٰ مَن عجَزَ عَنِ الجهاد في سبيل الله وعن قيام اللَّيلِ وصيامِ النَّهارِ أنْ يَعمل بهذا الحديثِ، وَلْيَسْعَ علىٰ الأرامل والمساكين؛ ليُحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سَبيلِ الله دُونَ أن يخطو في ذلك خُطوةً، أو يَلْقَىٰ عَدُوًّا يَرتاعُ بِلقائه، أو ليُحشر في زمرة الصَّائِمينَ والقَائِمينَ وينال درجتهم وهو طاعم نهاره نائم ليله أيَّامَ حياته، فينبغي لِكلّ مؤمن أن يحرص علىٰ هذه التجارة التي لا تبور، ويسعىٰ علىٰ أرملة أو مسكين لوجه الله تعالىٰ فَيربحَ في تجاريه درجاتِ المجاهدِينَ والصَّائمِينَ والقائمِينَ مِن غيرِ تَعَبٍ ولا نَصَبٍ، وذلك فضل اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٨٣٣) (٢٩٨٣) [ش (كافل اليتيم) القائم =

٢٤. وعَنْ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو الْقُشَيْرِي قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، فَهِيَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ» «مَكَانَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ بِعَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ، ثُمَّ لم يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ ضَمَّ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ» «إِلَىٰ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُ اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» أحمد(١).

المبحث الثاني عشر حق الكبير:

٢٥. عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ والجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

= بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبًا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجن.

في هذا الحديث يقولُ النَّبيُّ ﷺ: أنَّه وكافل اليتيم، وهو المربي له القائمُ بأَمرِه، (له) بأنْ يكونَ مِن قرابته. (أو لغيره) بأن يكون أجنبيًا بأنَّه في الجنَّةِ مُصاحبًا له لعِظَمِ أَجرِه عِندَ اللهِ تَعالىٰ. وأَشارَ مالكٌ وَهُوَ إمامُ دار الهجرة وصاحب المذهَبِ المشهور، أشار في تِلكَ الرّواية تفسيرًا للحديث (بالسَّبَّابة والوسطىٰ) والسَّبَّابَةُ هِي الَّتي بَين الوسطىٰ والإبهام، وفعل ذلك ليُوضّح كلماتِ الحديثِ.

وفي الحديث: الحث علىٰ الإحسان إلىٰ اليتامىٰ وكَفَالتِهم.

(١) مسند أحمد مخرجا (٣١/ ٣٧٥) (١٩٠٣٠) صحيح لغيره.

(٢) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ١١١٩) ٤٨٤٣- (حسن).

قال صاحب «عون المعبود»: «إن من إجلال الله» أي تبجيله وتعظيمه، و«إكرام ذي الشيبة المسلم»، أي تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله. =

٢٦. عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبي ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرِ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَم الصَّغِيرَ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ». ابن حبان[1].

= والغلو: التشديد ومجاوزة الحد، يعني غير المتجاوز الحد في العمل، به وتتبع ما خفي منه، واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه. قاله العزيزي.

و«الجافي عنه»، أي: وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه.

وقيل: الغلو المبالغة في التجويد أو الاسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنىٰ.

والجفاء: أن يتركه بعد ما علمه لا سيما إذا كان نسيه، فإنه عُدّ من الكبائر. قال في «النهاية» ومنه الحديث: «اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه»، أي: تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته بأن تتركوا قراءته وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل: اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم وحاصله: أن كلًا من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله ﷺ في جميع الأقوال والأفعال، كذا في «المرقاة شرح المشكاة».

خص اللهُ ﷻ بعضًا مِن عِبادِه ببعض الصِّفاتِ الحَميدة، وجَعَل لهم حُقوقًا يَنبغي أنْ تُراعَىٰ معهم، وفي هذا الحديثِ يقول النبيُّ ﷺ: «إنَّ مِنْ إجلالِ اللهِ»، أي: إنَّ مِن تَبْجِيلِ اللهِ وتعظيمه وأداءِ حَقِّه، «إكرام»، أي: تعظيم وتوقير، «ذي الشَّيْبَةِ المسلم»، أي: الشيخ الكبير في السن.

«وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه»، أي: الحافظ لكتابِ اللهِ ﷻ العامل بأحكامه دونَ مُغالاة وتكلُّف فيه -كمن يتجاوز الحدَّ في العمل به ويَتتَبَّع مُتشابهه، ويُبالِغُ في إخراج حُروفِه حتَّىٰ يُخْرِجَها عن قالبها- ودُونَ إعراض وإهمال وهجرٍ له، بالبعد عن معاودة تلاوتِه والعمل بما فيه، وأشار بهذا إلىٰ أنَّ القصْدَ المأمور به؛ فالغلو من صفاتِ النصارىٰ، والجفاء من صفاتِ اليهود.

«وإكرام ذي السلطان المقسط»، أي: وكذلك إنَّ من تعظيم الله وتوقيره إكرام الإمام العادل الذي يقومُ بين النَّاسِ بِالحَقِّ والعدل.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٢) علي بن نايف الشحود (١/ ١٥٣) ٤٥٨- (صحيح لغيره).

المبحث الثالث عشر حق الصغير:

٢٧. عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمُ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفُ حَقَّ كَبِيرِنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»(١). المستدرك.

٢٨. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ثُمَّ يَعْرِفُ حَقَّ كَبِيرِنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا» السنة لأبي بكر بن الخلال.(٢)

٢٩. عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِي وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حابس التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ» متفق عليه(٣).

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٤/ ١٩٧) (٧٣٥٣) والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ٤٤٩) (١٢٢٧٦) والمعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٩٥) (٢٢٩) وتهذيب الأدب المفرد للبخاري- علي بن نايف الشحود (ص: ٢٠٠) ٣٥-١٠١٥- (صحيح).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٧٠) (١٤٤٩) صحيح.

(٣) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٦٢٥) (٥٩٩٧-١٧١٥- [ش أخرجه مسلم في الفضائل باب رحمته- الصبيان والعيال . . . رقم ٢٣١٨ (جالسًا) منصوب علىٰ الحال وفي نسخة (جالس)].

معنىٰ الحديث: تقول عائشة رضي الله عنها «جاء أعرابي» قال العيني: ويحتمل أن يكون هو عيينة بن حصن «فقال: أتقبلون الصبيان؟» الهمزة للاستفهام الإنكاري أو التعجبي، ومعنىٰ ذلك أنه عجب واستغرب من تقبيل الرسول ﷺ وأصحابه لأطفالهم «فما نقبلهم» لأنّهم يتكبرون ويتعاظمون ويحتقرون الصبيان. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال «**من لا يرحم لا يُرحم**» «**أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة**» أي ماذا أصنع إذا كان الله قد نزع من قلبك عاطفة الرحمة؟ فهل أملك أن أعيدها إليك؟. =

المبحث الرابع عشر حق الزوج:

٣٠. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلْتِ الجَنَّةَ». الحاكم[١].

٣١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خُمُسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ» رواه ابن حبان في «صحيحه»[٢].

= فقه الحديث: دل هذا الحديث علىٰ مشروعية معانقة الأطفال وتقبيلهم، وكونه سنة مستحبة. منار القاري شرح مختصر البخاري (٥/ ٢٤٣).

رحمة الولدِ الصَّغير ومعانقته وتقبيله والرفق به مِنَ الأعمال التي يرضاها الله ويُجازىٰ عليها، وقد كان ﷺ يحمل أمامة ابنة أبي العاص علىٰ عنقه في الصَّلاةِ، والصَّلاةُ أفضل الأعمال عند الله، وقد أمر عليه السلام بلزوم الخشوع فيها والإقبال عليها، ولم يَكُنْ حمله لها مِمَّا يُضادُّ الخشوع المأمور به فيها، وفىٰ فعله عليه السلام ذلك أعظمُ الأُسوة لنا؛ فينبغي الاقتداء به في رحمته صغار الولد وكبارهم والرفق بهم؛ لأنَّ ذلك من أعمال البرّ الواجب الاتباعُ فيها؛ ولذلك لَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ الأقرع بن حابس يقولُ: إِنَّ له عَشرةٌ مِنَ الولدِ لم يُقبل أحدًا فيهم، نظر إليه النبيُّ ﷺ، وقال: «**مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرحَمُ**»، يعني: من لا يرحم لا يستحقُّ الرَّحمة.

(١) الجامع لشعب الإيمان للبيهقي (مقابل) (١١/ ١٧٨) (٨٣٧٠) والمستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٤/ ١٩١) (٧٣٢٨) وسنن ابن ماجه (١/ ٥٩٥) (١٨٥٤) حسن لغيره.
(أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض) لقيامها بحقوق الزوجية أو لسماحته فيما فرطت فيه. (دخلت الجنة) مع السابقين الأولين. التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٤٢٢).

(٢) الترغيب والترهيب لقوام السنة (٢/ ٢٤٩) (١٥٢٣) والمسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٦/ ٢٧٧) والمعجم الأوسط (٥/ ٣٤) (٤٥٩٨) وتهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٢/ ٢١٢) ٤١٦٣- (صحيح لغيره).
للمرأةِ الصَّالحة -الَّتي تُؤَدِّي فُروضَها وتُطيعُ زوجها- مكانة كبيرة عند ربّها، فيُرْضَىٰ عنها، ويُخيّرها يومَ القِيامَةِ للدخول من أي أَبْوابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ. =

٣٢. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا فَلْتَدْخُلْ مِنْ أَيِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ» الطبراني(١).

٣٣. عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ الحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانِ لَهُمْ فَقُلْتُ: رَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِي ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الحيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

= **وفي هذا الحديث** يقول النبيُّ ﷺ: «**إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمسَها**» يعني: إذا أدَّتِ الصَّلواتِ الخَمْسَ المكتوباتِ كما يَنبغي وحافَظتْ علىٰ أوقاتِها، «**وصامَتْ شَهْرَها**»، أي: شهْرَ رَمَضانَ وأتمَّت ما فاتَها منه لعُذرٍ، «**وحَصَّنَتْ فَرْجَها**» بأنْ حَفِظْتَه عن الحَرامِ، كالزِّنا والسِّحاقِ وغيْرِهِ، والفَرْجُ يُطلَقُ علىٰ القُبُلِ والدُّبُرِ، وأَكْثَرُ اسْتِعْمالِهِ عُرْفًا في القُبُلِ، «**وأطاعَتْ زَوْجَها**»، أي: في كُلِّ ما يَتعلَّقُ بحقُوقِهِ المشْروعَةِ، وفي غيْرِ مَعْصِيَةٍ، «**قِيلَ لها: أدْخُلي الجنَّةَ من أيِّ أبْوابِ الجَنَّةِ شِئْتِ**» يعني: يُنادَىٰ عليها من أبوابِ الجنَّةِ الثَّمانِيَةِ، تَكريمًا وتَشريفًا؛ لأنَّ هذه الخِلالَ هي أُمَّهاتُ أفْعالِ الخيرِ، وأسْبابُ دُخولِ الجنَّةِ، فإذا وَفَّتْ بها المرأةُ وُقِيَتْ شَرَّ ما عَداها.

(١) المعجم الأوسط (٨/ ٣٤٠) (٨٨٠٥) صحيح لغيره.
(إذا صلت المرأة خمسها) التي فرضت عليها (وصامت شهرها) الذي أوجب عليها (وحفظت فرجها) عن كل محرم (وأطاعت زوجها) وفيه أن طاعته مؤخرة عن تلك الواجبات (دخلت الجنة) لأن هذه الخلال أمهات أفعال الخير وأسباب دخول الجنة فإذا وفيت بها وقيت شر ما عداها، ولم يذكر الزكاة لأن غالب النسك عدم وجوبها عليهن ولا الحج لذلك ولأنهما قد ذكرا في أحاديث أخرىٰ. التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ١٢١).

(٢) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ٤٣٨) ٢١٤٠- (صحيح لغيره). =

٣٤. وعنه أَنَّهُ أَتَىٰ الشَّامَ فَرَأَىٰ النَّصَارَىٰ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَقِسِيسِيهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، وَرَأَىٰ الْيَهُودَ يَسْجُدُونَ لِأَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ وَرُبَّانِيهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ، فَقَالَ: لأَيِّ شَيْءٍ تَفْعَلُونَ هَذَا؟ قَالُوا: هَذِهِ تَحِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قُلْتُ: فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَصْنَعَ بِنَبِيِّنَا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهُ ﷺ: «إِنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ كَمَا حَرَّفُوا كِتَابَهُمْ، لَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عَظِيم حَقِّهِ عَلَيْهَا، وَلَا تَجِدُ امْرَأَةٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَىٰ ظَهْرِ قَتَبٍ» المستدرك[(١)].

= **الحِيرة**: مدينة كانت علىٰ ثلاثة أميال من الكوفة، وهي قاعدة الملوك اللخميين فتحها المسلمون بقيادة سيف الله خالد بن الوليد سنة **١٢**هـ. والمرزبان: هو بفتح الميم وضم الزاي: الفارس الشجاع المقدم علىٰ القوم دون الملك وهو معرب. كذا في «النهاية».

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٤/ ١٩٠) (**٧٣٢٥**) صحيح.

السُّجودُ تعظيمًا وعِبادةً مِن العِباداتِ التي لا يَستحقُّها إلَّا اللهُ ﷻ، وفي هذا الحديثِ أَنَّ قيسَ بنَ سَعدٍ رضي الله عنه أتَىٰ الحِيرةَ، و«الحِيرةُ»: بَلدةٌ قديمةٌ بالعِراقِ قربَ الكوفةِ، وكانتْ مَنزلَ الملوكِ، فرآهُم يَسجدونَ لِمَرْزُبانٍ، أي: تَعظيمًا وتَفضيلًا لهُ، و«مَرْزُبانٌ»: الفارسُ الشُّجاعُ المقدَّمُ علىٰ القومِ دُون الملكِ، فلمَّا رأىٰ قيسٌ ذلكَ، قالَ: لرسولُ اللهِ أحقُّ أن يُسجدَ لهُ، أي لأنَّه أعظمُ خَلقِ اللهِ؛ فالأَوْلىٰ أنْ يكونَ السجودُ له، فأتَىٰ قيسُ بنُ سَعدٍ إلىٰ رَسولِ اللهِ ﷺ، وذَكَرَ لهُ ما رأىٰ في الحِيرةِ، وما ينوي أن يَفعلَه مِن السُّجودِ لرسولِ اللهِ ﷺ، وقال لرسولِ الله ﷺ: «فأنتَ يا رسولَ اللهِ أحقُّ أن نسجُدَ لكَ»، أي: أوْلىٰ وأفضلُ مِن المرْزُبانِ الذي يَسجُدونَ له في الحِيرةِ.

فردَّ عليهِ النبيُّ ﷺ سائِلًا له: «**أرأيتَ لو مَررتَ بِقَبري أكنتَ تسجدُ لَه؟**» أي: للقبرِ أو لمِنْ بالقبرِ، واستِخدامُ النبيِّ ﷺ تَصويرَه للسجودِ عندَ القبرِ؛ لأنَّ الأشهرَ والمتَّبعَ عندَ الناسِ هو السجودُ عندَ قبورِ عُظمائِهِمْ، فقالَ قَيسٌ: لا، أي لم أسجدْ. فقالَ النبيُّ ﷺ: «**فلا تَفعلوا**»، أي لا تَسجدوا لي.

ثم قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لو كُنتُ آمِرًا أحدًا أن يَسجُدَ، أي: لو كان هناك سُجودٌ لغيرِ اللهِ، لأمرتُ النِّساءَ أن يَسجُدنَ لأزواجِهِنَّ؛ لِمَا جَعَل اللهُ لهم عليهِنَّ من الحقِّ**»، =

٣٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كُنتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهَا» الترمذي(١).

٣٦. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ» السنن الكبرىٰ للنسائي(٢).

= أي: لِما لهم مِن فَضلٍ، ولعِظَمِ دَورِهم في الحياةِ.
وفي الحديث: أنَّ السُّجودَ مِن أعظمِ أنواعِ التَّعظيمِ.
وفيه: عِظَمُ حقِّ الزَّوجِ علىٰ زَوجتِه، والإشارةُ إلىٰ الحثِّ علىٰ عدَمِ عِصيانِه.

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٧/ ٤٧٥) (١٤٧٠٤) وسنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٤٥٧) (١١٥٩) صحيح.

(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي (٨/ ٢٣٩) (٩٠٨٦) ومسند البزار= البحر الزخار (٦/ ٣٤٠) (٢٣٤٩) صحيح.

لا تشكرُ لِزَوْجِهَا: لا تعترف بإحسانه، ولا تحمده، ولا تثني عليه لإنفاقه وبره، والحال أنها معه في حاجة إليه.

طاعةُ الزَّوجِ والإحسانُ إليه، والاعتِرافُ بجَميلِه وشُكرِه، من الأُمورِ التي تُوجِبُ رضا اللهِ، ومُخالَفةُ هذه الأُمورِ تَجلِبُ سَخَطه سُبحانَه وعَذابَه.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَنظُرُ اللهُ تَبارك وتَعالىٰ**»، وصِفَةُ النَّظَرِ من الصِّفاتِ الفِعليَّةِ، المُقيَّدةِ بمَشيئةِ اللهِ ﷻ، ولا تكونُ إلاَّ لِمَن يُحِبُّه، والمعنىٰ: لا يَنظُرُ اللهُ تعالىٰ نَظرَةً فيها رَحمةٌ «**إلىٰ امرأةٍ لا تَشكُرُ لزَوجِها، وهي لا تَستَغني عنه**»، يعني: أنَّ زَوجَها أحسَنَ إليها، وقام بأُمورِها لدَرَجةٍ تَصِلُ إلىٰ عَدَمِ الاستِغناء عنه، ومع ذلك هي لا تَشكُرُه، وتكفُرُ مَعروفَه، ولا يُقصَدُ بالشُّكرِ هنا مُجرَّدُ الشُّكرِ باللِّسانِ، ثم تُؤذيهِ بمَساوِئ الأفعالِ والأَخْلاقِ والخِصالِ، بل الشُّكرُ يُقصَدُ به هنا: الثَّناءُ عليه باللِّسانِ والأفعالِ من إظهارِ السُّرورِ، والرَّاحَةِ بالحَياةِ في كَنَفِه، والقِيامِ علىٰ أُمورِه وأُمورِ وَلَدِه، وخِدمَتِه، وعَدَمِ التَّخلِّي عنه في مِحَنِه، وعَدَمِ تَتَبُّعِ عَثَراتِه، وتَركِ الإساءَةِ إليه في مَواطِنِ خَلَلِه، وزَلَلِهِ وقُصورِه، وتُجيبُه إذا طَلَبَها، وتَستَمِعُ إليه إذا ما أَفْضَىٰ إليها، وتحفَظُ سِرَّه إذا أَسَرَّ إليها بشَيءٍ، إلىٰ غيرِ ذلك».

المبحث الخامس عشر حق الزوجة:

٣٧. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ» رواه ابن حبان في «صحيحه»(١).

٣٨. وعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَىٰ زَوْجِهَا قَالَ: «تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحُ، وَلَا تُهْجَرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ» النَّسَائِيُّ(٢).

---

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٧/ ٧٧٠) (١٥٦٩٩) والمسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٨/ ٥٤) وتهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٢/ ٢١٤) (٤١٧٧)- (صحيح).
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ﷺ: «قَوْلُهُ ﷺ: «**فَدَعُوهُ**» يَعْنِي: لَا تَذْكُرُوهُ إِلَّا بِخَيْرٍ».
عدمُ ذكْرِ المَيِّتِ بالخِصالِ السَّيِّئَةِ وإنْ كانت فيهِ، منَ الخِصالِ الكريمَةِ الحَسَنَةِ، وقد حَضَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ ذلك.
وهذا الحديثُ جزءٌ من حديثٍ قال فيه النبيُّ ﷺ: «**خيْرُكم خيْرُكم لأهْلِه، وأنا خيْرُكم لأهْلي، وإذا ماتَ صاحبُكم فدَعَوهُ**»؛ ومَعناه: الوصيَّةُ بحُسْنِ التَّعامُلِ معَ الأهْلِ؛ منَ الزَّوجاتِ والأوْلادِ والأقارِبِ، وقد كان النَّبيُّ ﷺ أفضَلَ النَّاسِ عِشْرَةً لأَهْلِهِ جَمِيعًا.
وقولُه: «**إذا ماتَ صاحِبُكم**»، أي: منَ المؤمِنين والمسلِمين الَّذين تُصاحِبونَهم، «**فدَعوه، لا تَقَعوا فيهِ**»، أي: فاترُكوا ذِكرَه بكلامٍ سيِّئٍ، بل اذْكروهُ بالذِّكْرِ الحَسَنِ وإلَّا فلتُمْسِكوا عن ذِكرِه، وفي هذا دَلالةٌ للأمَّة علىٰ المُجامِلَةِ وحُسنِ المعامِلَةِ مع الأحْياءِ والأمْواتِ.
وقيل معناه: إذا مات فاتْركوا مَحبَّتَه والبُكاءَ عليهِ والتَّعلُّقَ بهِ. وقيل معناه: فاتْرُكوهُ إلىٰ رَحْمةِ اللَّهِ تَعالىٰ؛ فإنَّ ما عندَ اللهِ خَيْرٌ للأبْرارِ. وقيل: أراد النَّبيُّ ﷺ بذلك نفْسَه، أي: دَعوا واتْركوا التَّحسُّر والتَّلهُّفَ عليَّ بعدَ موْتِي؛ لأنَّ عندَ اللهِ خلَفًا عن كلِّ فائتٍ، وفي كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِه ما يَجعلُ النَّبيَّ ﷺ كأنَّه حَيٌّ بينكم، وقيل معناه: إذا مِتُّ فدَعوني ولا تُؤذوني وأهْلَ بيْتي وصَحابَتي وأتْباعَ مِلَّتِي.
(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي (٨/ ٢٦٦) (٩١٢٦) صحيح. =

. . . .

= **قَالَ أَبُو سُلَيْمَان الْخطابِّي**: في هَذَا إِيجَاب النَّفَقَة وَالْكِسْوَة لَهَا، وَهُوَ علىٰ قدر وُسع الزَّوْجِ، وَإِذا جعله النَّبِيّ ﷺ حَقًا لَهَا، فَهُوَ لَازم حضر أو غَابَ، فَإِن لم يجد فِي وقته، كَانَ دينًا عَلَيْهِ كَسَائِرِ الحُقُوقِ الْوَاجِبَة، سَوَاء فرضِ لَهَا الْقَاضِي عَلَيْهِ أَيَّام غيبته، أَو لم يفْرض.

وَفِي قَوْله: «**وَلَا يضْرب الْوَجْهِ**» دلَالَة علىٰ جَوَاز ضربهَا علىٰ غير الْوَجْه، وَقد نهىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ضرب الْوَجْهِ نهيًا عَامًا، لَا يضربُ آدَمِيًّا وَلَا بَهِيمَة علىٰ الْوَجْه.

وَقَوله: «**لَا تُقبِّح**» مَعْنَاهُ: لَا يُسْمِعُها الْمَكْرُوه، وَلَا يشتمُها بِأَن يَقُول: قبحك الله، وَمَا أشبهه من الْكَلَام.

وَقَوله: «**وَلَا تهجر إِلا فِي الْبَيْت**» أَي: لَا يهجرها إلا فِي المضجع، وَلَا يتحوَّل عَنْهَا، أَو يحوِّلها إِلَىٰ دَار أُخْرَىٰ. شرح السنة للبغوي (٩/ ١٦٠).

شرَع اللهُ الزَّواجَ لِيَكونَ إعفافًا للزَّوجَينِ، وأمَر الزَّوجَينِ بحُسنِ العِشْرِة، وجعَل الجِماعَ مَشروطًا بشُروطٍ تَحفَظُ الطَّهارةَ والفِطرةَ.

وفي هذا الحَديثِ يَحكِي أبو مُعاويةَ القُشيريُّ رضي الله عنه أنَّه سأَلَ النبيَّ ﷺ فقال: «يا رسولَ اللهِ، نِساؤُنا، ما نَأتي منهنَّ وما نذَرُ؟»، أي: ما يَحِلُّ لنا منهنَّ في الجماع؟ وما الَّذي يَحْرُمُ مِنهنَّ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**ائْتِ حَرْثَكَ أَنَّىٰ شِئتَ**»، أي: جامع زوجتك بالكيفيَّةِ الَّتي تُحِبُّها بما أحَلَّه الله؛ مِن الإتيان في موضع الحرث وهو الفرج، وليس الدُّبُر، «**وأطْعِمُها إذا طَعِمتَ**»، أي: أطعمها وأشبعها إذا أكَلتَ وشبعت، «**واكْسُها إذا اكتَسَيتَ**»، أي: وائتِ لها بالثِياب بمثل ما تأتي لنفسك.

«**ولا تُقبّح الوجه**»، أي: لا تَسبَّها بقبح الوجه، فلا تَقُلْ: قَبَّح الله وجهَكِ؛ قيل: إنَّما نُهي عن تقبيح الوجهِ؛ لأنَّ الله تعالىٰ صَوَّر وجْهَها وجسمها وأحسن كلّ شيءٍ خَلَقَه، وذمُّ الصنعة يعودُ إلىٰ مَذمَّةِ الصانع، «**ولا تضرب**»، يحتمل أن يكون المعنىٰ: ولا تضرب الوجه، وحذف بدلالة الأوَّل عليه؛ لأنَّه ثبتَ النهي عن ضَرْبِ الوجه بخصوصه، لا أنَّه نهي عن الضَّرب مطلقًا؛ فقد أَذِنَ فيه القرآنُ إذا كان ثَمَّةَ سَببٌ له كنشوز المرأة؛ فإذا ظهر منها ما يقتضي ضربها كالنشوز فإنه يضرِبُ غير الوجه. ويَحتمل أنَّه نهي عن مُطلق الضَّرب وهو نهي إرشاد، لكن ورَدَ في رواية: «**ولا تضرب الوجه**»؛ وهي تؤيد الاحتمال الأوَّل؛ وذلك لأنَّ الوَجه أعظَمُ الأعضاء وأشرفُها، وأظهَرُها ومشتمل علىٰ معظم أجزاء الحواس، وفي صحيح مسلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إذا قاتل أحدكم أخاه، فليجتنب الوجه**، =

٣٩. عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ فَإِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا» رواه ابن حبان في «صحيحه»[(١)].

٤٠. عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤمِنٌ مُؤمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخر» رواه مسلم[(٢)].

= **فإنَّ الله خلق آدم علىٰ صورته»**، والمعنىٰ: أنَّ الله تعالىٰ سميع بصيرٌ، مُتكلّم إذا شاء ومتّىٰ شاء، وله وجه يليق بكماله وجلاله، وهكذا خلق اللهُ آدَمَ سميعًا بصيرًا ذا وَجْه وذا يَدٍ وذا قَدَم، وليس معنىٰ ذلك أنَّ وجه الإنسانِ يُشبه وجه الرَّبِّ ﷻ؛ بل ليس السَّمْعُ كالسَّمع، وليس البصر كالبصر، وليس التكلُّمُ كالتكلُّم، بل للهِ صفاتُه جل وعلا الَّتي تليق بجلاله وعظمته، وللعبدِ صفاته التي تليق به؛ فصفاتُ العبدِ يعتريها الفناء والنقصُ، وصفات الله سبحانه كاملة لا يعتريها نقص ولا زَوال ولا فَناء؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَىٰ: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وفي رواية: قال ﷺ: فقلت ما تقولُ في نِسائِنا؟ قال: «**أطْعِموهُنَّ مُما تأكلونَ، واكسوهن مما تكتسون، ولا تضربوهنَّ ولا تُقبّحوهنَّ**)، فلمْ يُذكر فيها إتيانُ الحَرْثِ، وعُمِّمَ النَّهي الضَّربِ والتَّقبيح، ولم يرد فيها تخصيص الوجه.

وفي الحديث: الوصية بالنساء وإكرامهنَّ بإطعامهنَّ وكسوتهنَّ وعدم ضربهنَّ.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٢/ ٢١٤) ٤١٧٨- (صحيح).
(إن المرأة خلقت من ضلع وإنك إن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها) من المداراة. (الملاطفة) والاغتفار. (تعش بها) تمتع بها متاعًا حسنًا. التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٥٣٢).

(٢) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٥٠٨) (١٤٦٩).
قال القرطبي: أي لا يبغضها بغضا كليًّا يحمله علىٰ فراقها أي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيئها لحسنها ويتغاضىٰ عما يكره لما يحب، وأصل الفرك إنما يقال في النساء يقال: فركت المرأة زوجها تفركه وأبغض الرجل امرأته، وقد استعمل الفرك في الرجل قليلًا وتجوزًا، ومنه ما في هذا الحديث اهـ من المفهم. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٥٧). =

٤١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ» متفق عليه(١).

= **في هذا الحديث من الفقه** أن المؤمن لا يخلو من خلق حسن، فإنه إذا كانت المرأة مؤمنة لم يطرد فيها ما يكرهه المؤمن، والمؤمنة يحملها الإيمان علىٰ استعمال خصال محمودة يحبها المؤمن فيحمل ما لا يحب لما يحب، وإنما يكره المؤمن من المؤمنة الخلق الذي لا يرضاه، وفيها الخلق الذي يرضاه، وبعد أن يكون إيمانها موجودًا فإنه يغتفر لذلك ما يكون منها. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٩٠).

لا يخلو المؤمن والمؤمنة من خلقٍ حسَنٍ؛ فالإيمانُ يَحمِلُهما علىٰ وجودِ خِصال محمودةٍ، وفي هذا الحديث يقول المصطفىٰ ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة**»، و«الفِرْكُ»: البُغْض، أي لا يَحصُلُ البُغْضُ التام لها؛ وذلك لأنَّه إنْ كَرِهَ منها خلقًا، أي: خُلُقًا سيئًا، رضي منها آخرَ أو غَيْره، أي: رَضِيَ بخلقٍ حسنٍ، فيَحمِلُه ما رضي من الحسن، علىٰ الصبر علىٰ ما لا يرضىٰ من السيئ.

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٣٣) (٣٣٣١) وتهذيب صحيح مسلم -علي بن نايف الشحود (ص: ٥٠٨) (١٤٦٨). [ش (استوصوا بالنساء) تواصوا فيما بينكم بالإحسان إليهن. (ضلع) أحد عظام الصدر والمعنىٰ أن في خلقهن عوجًا من أصل الخلقة. (أعوج شيء في الضلع أعلاه) أي وكذلك المرأة عوجها الشديد في خلقها وفكرها. (تقيمه) تجعله مستقيمًا. (كسرته) أي وكذلك المرأة إن أردت منها الاستقامة التامة في الخلق أدىٰ الأمر إلىٰ طلاقها].

كان ﷺ كثيرًا ما يُوصي بالنِّساء، وقد قال ﷺ: «**خيرُكم خيركم لأهله**»، ولَمَّا كان في خَلْقِ النِّسَاءِ عِوجًا بأصل خلقتهن نَبَّه ﷺ علىٰ ذلك، فقال في هذا الحديث: «**اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ**»، يعني: تَواصَوْا فيما بينكم بالإحسان إليهنَّ؛ «**فإنَّ المرأةَ خلقت من ضلع**»، والضِّلَعُ أحدُ عِظامِ الصَّدرِ، والمعنىٰ: أنَّ في خلقهن عوجًا من أصل الخلقة، «**وإنَّ أعوج شَيءٍ في الضِّلَعِ أعلاه**»، أي: وصفها بذلك للمبالغة في وصف الاعوجاج، وللتأكيد علىٰ معنىٰ الكسر؛ لأنَّ تَعذُّرَ الإقامة في الجهة العُليا أمره أظهرُ، وقيل: يُحتمل أن يكون ذلك مثل لأعلىٰ المرأة؛ لأنَّ أعلاها رأسها، وفيه لسانها، وهو الَّذي ينشأ منه الاعوجاج، =

المبحث السادس عشر حق المرأة:

٤٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْم الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خَلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» متفق عليه(١).

= وقيل: أعوج هاهنا من باب الصفة، لا من باب التفضيل؛ لأنَّ أفعل التفضيل لا يُصاغ من الألوانِ والعُيوب، «**فإن ذهبت تُقيمُه كَسَرْتَه**»، يعني: إذا أَرَدْتَ أن تُقيمَ الضّلعَ وتَجعَلَه مُستقيمًا فإنَّه يَنْكَسِرُ، وكذلك المرأة إن أَردتَ منها الاستقامَةَ التَّامَّةَ في الخُلُقِ أَدَّىٰ الأمر إلىٰ طلاقها، «**وإن تركته لم يَزَلْ أعوج، فاستَوْصُوا بالنساء**»، يعني: أنَّه لا سبيل إلَّا بالصَّبر علىٰ هذا الاعوجاج، فيجبُ الصَّبرُ عليه والإحسان إليهنَّ، وحُسنُ معاشرتهن مع ذلك.

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: **١٦٥٣**) **١٠٤٦**. **(١٤٦٨)** أخرجه البخاري في: **٦٧** كتاب النكاح: **٨٠** باب الوصاة بالنساء [ش (وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه) يعني أنها خلقت من أعوج أجزاء الضلع فلا يتهيأ الانتفاع بها إلا بالصبر علىٰ تعوجها].

في هذا الحديثِ يُرشِدُ النبيُّ ﷺ إلىٰ التَّحَلّي بالآداب والأخلاقِ الَّتي تَزيدُ الألفة والمودة بين المسلمين، ومنها: حِفْظُ اللسان، فيقولُ: مَن كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الَّذي خَلَقَه إيمانًا كامِلًا، واليوم الآخر، الَّذي إليه مَعاده وفيه مُجازاتُه بِعَمَلِه، إذا شهد أمرًا فليتكلم بخير ليغنَمَ، أو ليَسكُتَ عَن الشَّرِ لِيَسْلَمَ؛ إذ آفاتُ النِّسانِ كَثيرة.

وكان ﷺ كثيرًا ما يُوصي بالنِّساء، وقد قال ﷺ: «**خَيرُكم خيركم لأهلِه**»، ولَمَّا كان في خَلْقِ النِّساءِ عِوَجًا بِأَصلِ خِلقَتِهن نبه ﷺ علىٰ ذلك، فقال في هذا الحديث: «**استَوْصُوا بالنِّساءِ**»، يعني: تَواصَوْا فيما بينكم بالإحسان إليهنَّ؛ «**فإنَّ المرأةَ خلقت من ضلع**»، والضّلَعُ أحدُ عِظامِ الصَّدرِ، والمعنىٰ: أنَّ في خلقهن عوجًا من أصل الخِلْقَةِ، «**إنَّ أعوجَ شَيءٍ في الضلع أعلاه**»، فوصفها بذلك للمبالغة في وصف الاعوجاج، وللتأكيد علىٰ معنىٰ الكَسْرِ؛ لأنَّ تَعذَّرَ الإقامة في الجهة العليا أمْرُه أظهرُ، وقيل: يَحتمل أن يكون ذلك مثل لأعلىٰ المرأةِ؛ لأنَّ أعلاها رأسُها، وفيه لسانها، وهو الذي ينشأ منه الاعوجاج، =

المبحث السابع عشر حق الوالدين:

٤٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيهما، ثُمَّ لَم يَدْخُلِ الجَنَّةَ» مسلم[1].

= وقيل: أعوج هاهنا من باب الصفة، لا مِن بابِ التَّفضيل؛ لأنَّ أفعل التفضيل لا يُصاغُ مِنَ الألوانِ والعُيوبِ، «**فإن ذهبت تُقيمُه كَسَرْتَه**»، يعني: إذا أَرَدْتَ أن تُقيمَ الضّلعَ وتَجْعَلَه مُستقيمًا فإنَّه يَنْكَسِرُ، وكذلك المرأةُ إن أَردتَ منها الاستقامةَ التَّامَّةَ في الخُلُقِ أدَّىٰ الأمرُ إلىٰ طلاقها، «**وإنْ تَرَكْتُه لم يَزِلْ أعوج، فاستَوْصُوا بالنِّساءِ**»، يعني: أنَّه لا سَبيلَ إلَّا بالصبر علىٰ هذا الاعوجاج، فيجبُ الصَّبرُ عليه والإحسان إليهنَّ، وحسنُ مُعاشرتهنَّ مع ذلك.

(١) تهذيب صحيح مسلم-علي بن نايف الشحود (ص: ٩١١) (٢٥٥١).
[ش (رغم) قال أهل اللغة معناه ذل وقيل كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها وقيل الرغم كل ما أصاب الأنف يؤذيه].
(رغم أنفه) من الرغام بفتح الراء التراب والمراد التصق أنفه بالتراب هذا أصله ثم صار كناية عن الذل والعجز عن الاتصاف قال القاضي: ويستعمل مجازًا بمعنىٰ كره من باب إطلاق اسم السبب علىٰ المسبب. (ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه) كرره زياد في التنفير والزجر عما يذكر بعده وفاعله. (من أدرك أبواه عنده الكبر أحدهما أو كلاهما) بدل من أبواه فأضاع ما يجب لهما من الخدمة والقيام بما يجب لهما. (ثم لم يدخل الجنة) العطف بثم للاستبعاد عن فوات إدخالهما إياه الجنة مع تيسر الأسباب وتعاضد الموجبات. التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٦٠).
يُوصينا النبيُّ ﷺ دائمًا وأبدًا بما ينفعنا في دنيانا وأخرانا، ومن وصاياه ﷺ ما في هذا الحديث، وهي الوصيَّةُ بالوالدين، حيث يقولُ ﷺ: «**رغمَ أَنْفُهُ**»، أي: لُصِقَ أَنفُه بِالرَّغامِ وهو التُّرابُ المختلط بِالرَّملِ؛ والمراد به: الذُّلُّ والخزيُّ، وكرَّرها ثلاثًا؛ فَسُئِلَ مَن هذا يا رسول الله؟ فَأَجابَ: مَن أدرك والديه أحدهما أو كليهما عندَ الكِبَرِ: وَخُصَّ بالكبر؛ لأنَّه أحوج الأوقاتِ إلىٰ حقوقهما، ثُمَّ لم يَدخُلِ الجنَّةَ؛ وذلك بسبب عُقوقهما، =

٤٤. عن أَبي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي، قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَشَارَ إِلَىٰ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بهن وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَني. متفق عليه(١).

٤٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ

= فبرهما عِندَ كِبَرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سَببٌ لِدخول الجنَّةِ؛ فَمَنْ قَصَّرَ في ذلك فاتهُ دُخولها.

في الحديث: فضل برّ الوالدَيْنِ وأنَّه مِن أسباب دخولِ الجنَّةِ.

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٤٥) (٨٥) أخرجه البخاري في: ٩ كتاب مواقيت الصلاة: ٥ باب فضل الصلاة لوقتها.

كان الصَّحابَةُ لحِرْصِهم علىٰ ما يُقرِّبُ مِنْ رِضا اللهِ ﷻ؛ كثيرًا ما يسألونَ النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، وأكثرها قربةً إلىٰ الله تعالىٰ، فكانت إجاباتُ النبي ﷺ تَختلف باختلافِ أشخاصهم وأحوالهم، وما هو أكثر نفعًا لكل واحدٍ منهم. وفي هذا الحديثِ يَسْأَلُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه النبي ﷺ، فيقول: أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلىٰ الله؟ فأجابه النبيُّ ﷺ بقوله: **الصَّلاةُ علىٰ وَقْتِها**، أي: أحبُّ الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ المرْضِيَّة لديه الصَّلاةُ في أوَّلِ وقتها، فقال ابن مسعود: ثم أي؟ أي: وبَعْدَ الصَّلاةِ، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلىٰ اللهِ تعالىٰ؟ قال ﷺ: **بر الوالدين**، أي: بالإحسان إليهما، والقيام بخدمَتِهما، وتَرْكِ عُقُوقِهما. ولَمَّا كان ابن مسعودٍ له أم؛ احتاج إلىٰ ذِكْرِ بِرِ والدَيه بعد الصَّلاةِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ حَقُّ الله، وحقُّ الوالدين يأتي بعدَ حَيّ اللهِ ﷻ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. قال ابنُ مسعودٍ: ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**؛ أي الجهاد لإعلاء كلمةِ اللهِ ﷻ، وإظهارِ شَعائِرِ الإسلام بالنَّفْسِ والمال. والمقصود أنَّ أفضل الأعمالِ القِيامُ بحُقوقِ الله التي فَرَضَها علىٰ عبادِه فَرْضًا، وأفضَلُها: الصَّلاة لوقتِها، ثمَّ القيام بحقوق عباده، واكدها بر الوالدين.

أَبُوكَ» متفق عليه(١).

المبحث الثامن عشر حق الوالد:

٤٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رِضَىٰ الرَّبِّ فِي رِضَىٰ الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ» الترمذي(٢).

٤٧. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «طَاعَةُ اللَّهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ» الطبراني(٣).

---

(١) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٦٢٤) ٥٩٧١-١٧١٠- [ش أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب بر الوالدين وأنهما أحق به رقم **٢٥٤٨** (رجل) هو معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم رضي الله عنه. (أحق .... صحابتي) أولىٰ الناس بمعروفي وبري ومصاحبتي المقرونة بلين الجانب وطيب الخلق وحسن المعاشرة].
الأم هي محل البر والإكرام، وهي رمز التّضحية والفداء، والطُّهر والنقاء، وهي الأصل الَّذِي يَشرفُ به الولد، وأحَقُّ الناس بصحبته، ويليها الأب في حق البر والصحبة.
يحكي أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلا سأل رسول الله ﷺ: مَن أحقُّ النَّاسِ بِحُسنِ صُحبتِه؟ أي: مَن أَوْلىٰ النَّاس بالإحسانِ إليه والبر به في مصاحبته له؟ فأجابه النَّبيُّ ﷺ: **أمك**، أي: أَوْلىٰ النَّاسِ بحسن المعاملة وطيب المعاشرة: الأم، ثم سأله: ثم من؟ فأجابه بالإجابة نفسها: **أمُّك**، قال: ثم من؟ قال: **أمك**، وهكذا أوصاه بالأم وأكد حقها في حسن المعاملة ثلاثَ مَرَّاتٍ؛ بيانًا لفضلها علىٰ سائر الأقارب دون استثناء، ثمَّ سأله: ثم من؟ قال: **أبوك**، فكرر ﷺ حق الأمّ ثلاثًا، وذكر حقَّ الأب مرَّةً واحدة، ولعل ذلك لكثرة أفضالها علىٰ ولدها، وكثرة ما تحملته من المتاعب الجسمية والنفسية أثناء حملها به، ووضعها وإرضاعها له، وخدمتها وشفقتها عليه.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣١١) (١٨٩٩) صحيح.
(رضا الرب) علىٰ الولد. (في رضا الوالد) عليه فإذا رضي الوالد علىٰ ولده فالله راض عنه. (وسخط الرب في سخط الوالد) وذلك أنه تعالىٰ أمر بإكرام الأب وطاعته فمن امتثل أمره تعالىٰ رضي عنه ومن خالف أمره غضب عليه، والحديث دليل أن العقوق كبيرة. التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٥٧).

(٣) المعجم الأوسط (٢/ ٣٦٩) (٢٢٥٥) حسن لغيره. =

٤٨. عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا، فَأَمَرَنِي أَبِي أَنْ أُطَلِقَهَا، فَأَبَيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِي ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، طَلِّقْ امْرَأَتَكَ» سنن الترمذي(١).

= (طاعة الله) الطاعة الانقياد والامتثال. (طاعة الوالد) جعلها عينها مبالغة، وقد أضافها إلىٰ المفعول، إذ المعنىٰ طاعة الرجل الله طاعة والده، ثم أتىٰ بآلة التعريف عوضًا عن المضاف لوضوح المعنىٰ. (ومعصية الله معصية الوالد) فقد دارت طاعته تعالىٰ علىٰ طاعة الوالد ثبوتًا ونفيًا وهذا مقيد إنما إذا كان في غير معصية وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لُقْمَانَ: ١٥]، (٢). وقد ذهب جماعة إلىٰ أنه يجب عليه فراق زوجته إذا أمره أبوه بطلاقها لحديث الترمذي عن ابن عمر أنه كانت له امرأة يحبها وأبوه يكرهها فأمره بطلاقها فأخبر ابن عمر رسول الله ﷺ بذلك، فقال له: «**طلقها**»؛ قال ابن العربي صح وثبت. التنوير شرح الجامع الصغير (٧/ ١١٩).

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٣/ ٤٨٦) (١١٨٩) حسن.

طاعة الوالدين في المعروف من أعظم الأعمالِ الصَّالحة، خصوصا إذا كان الوالدين من أهلِ الفَضلِ والدّراية والتزكية من اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وما يَراهُ أَحَدُهم مَصلَحةً لأولاده ليس فيه هوىٰ ولا زَيغٌ عن الحَقِّ، كأمير المؤمنينَ عُمَرَ رضي الله عنه.

وفي هذا الحديث يقول عَبدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخطاب رضي الله عنهما: «**كانت تحتي امْرَأَةٌ**» وهذا كِناية عن زوجته، «**وكنتُ أُحِبُّها، وكان عُمرُ يَكرَهُها!**»، كان أبي عمرُ بنُ الخَطَّابِ يَكرَهُها، ولعلَّ كَراهية عُمرَ لها لأمرٍ يَراهُ فيها، ولا يَراهُ عَبدُ اللهِ لحبه لها، «**فقال لي: طَلّقها**»، والظاهر أنَّ عِلَّة أمره بطلاقها عِلَّةٌ دِينِيَّة، أو خَشِي أن تجره إلىٰ ضررٍ في دِينه، قال عبد الله: «فَأَبَيْتُ»، أي: رَفَضتُ طَلاقها؛ لِمَا له مِن رَغبةٍ وحُبّ في تلك المرأةِ، «فَأَتَىٰ عُمَرُ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ له ذلك!» أي: امتناع ابنه عن مُوافقته في طلاقها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**طَلّقها**»، فأقرَّ النَّبِيُّ ﷺ رَأيَ عُمرَ؛ لأَنَّهُ كَان يَعْلَمُ صدقَ نَيَّتِهِ وَصَدْقَ حَدْسِهِ؛ فَأَمَر عَبدَ اللهِ أنْ يُطلق هذه المرأةَ، طاعةً لِوالِده، فطلَّقَها عَبدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وقد جاءَ في رواية ابن ماجه قوله: «فَطَلَّقْتُها»؛ وذلك لأنَّه ما كان ليَتخلَّفَ عن امتثال أمْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

المبحث التاسع عشر حق الأم:

٤٩. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ» الترمذي[1].

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣١١) (١٩٠٠) صحيح.
(الوالد أوسط أبواب الجنة) أي طاعته سبب لدخول الولد من ذلك الباب وهو يشمل الأم بل هي أولىٰ لكثرة الحث علىٰ برها، والحديث مسوق لذلك والمراد من الأوسط الخيار. التنوير شرح الجامع الصغير (١١/ ٥٤).
أمرنا الشَّرعُ الحَكيمُ بالعدل والإنصاف، وإيتاء كل ذي حق حقه، دون جورٍ أو إجحاف بحقوق طرف علىٰ آخر؛ وذلك لأنَّ الحقوق ربَّما تتداخل أو يتنافَسُ فيها بعضُ أصحاب الحقوقِ علينا، وفي هذا الخبر يروي شعبة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبدِ الرَّحمنِ السُّلميّ: «أنَّ رجلًا أمَرَه أبوه -أو أمه، شك شعبه- أنْ يُطلق امرأته»، أي: أمَرَه أحد والديه أن يُطلق زوجته دونَ سَبَبٍ شرعي، «فجعل عليه مِئةَ مُحرَّرٍ»، أي: نذَرَ أنْ يُعْتُقَ مِئةَ نَفْسٍ إنْ طَلَّقَهَا، يُريدُ بذلك أن يُشفق عليه أبوه، أو أمه، أو هما معًا، من غرامة العتقِ، وتنازلهما عن إلزامه بطلاق زوجته الَّتي يُحبُّها، والظَّاهِرُ: أنَّ الآمر من الوالدين لم يتنازل عن أمرِه؛ ولذلك جاء الرَّجلُ إلىٰ أبي الدَّرداءِ يَستَفْتِيه في أمره، «فأتىٰ أبا الدرداء، فإذا هو يُصلّي الضُّحىٰ ويُطيلها، وصلَّىٰ ما بين الظهر والعصر»، أي: صلَّىٰ تطوعًا غير صلاةِ الضُّحىٰ؛ لأنَّ وقتها من ارتفاع الشمس قيدَ رُمْحٍ إلىٰ الزَّوالِ، «فسأله»، أي: طلب فتواه في الجمع بين نذرِه وإجابة والديه في طلاق امرأته، فقال أبو الدرداء: «أوف بنذرك»، أي: أد ما نذَرْتَه وأعتق مائة نفس، وطلقها، «وبر والديك»، أي: أد إليهما حقَّهما من الصلة والإحسان والطاعة، وفي رواية أحمد: «فقال له أبو الدَّرداء: ما أنا بالذي آمُرُك أنْ تُفارِقَ، وما أنا بالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تمسك»، ثم قال: «سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: الوالِدُ أوسَطُ أبواب الجنَّةِ»، أي: خيرُها، أو أنَّه سبب لدخول الولدِ مِن أحسن أبواب الجنة، «فحافظ علىٰ والديك أوِ اترُكْ»، وليس المراد التخيير بين الأمرين، بل المراد التوبيخ علىٰ تركِ الوالدين وإضاعتهما، والحث علىٰ حِفْظِ لحقوقهما، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] . . . . ولكن طاعة الوالدين مُقيَّدة =

٥٠. وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﵁، فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي ثُمَّ تَزَلْ بِي حَتَّىٰ تَزَوَّجْتُ، وَإِنَّهَا تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، وَقَدْ أَبَتْ عَلَيَّ إِلَّا ذَاكَ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِالَّذِي آمُرُكَ أَنْ تَعُقَّ وَالِدَتكَ، وَلا أَنَا الَّذِي آمُرُكَ أَنْ تُطَلِّقَ امْرَأَتَكَ، غَيْرَ أَنَّكَ إِنْ شِئتَ حَدَّثْتُكَ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجُنَّةِ، فَحَافِظْ عَلَىٰ ذَلِكَ الْبَابِ إِنْ شِئْتَ، أَوْ أَضِعْهُ» الحاكم(١).

٥١. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِي قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ارْجِعْ فَبَرَّها» ثُمَّ

= بالمعروف؛ لقوله ﷺ في الحديثِ المتَّفَقِ عليه: «**إنّما الطَّاعة في المعروف**»؛ فإذا كانتِ الزَّوجةُ مُستقيمة الأحوال وذات دِين، وإنما أَمَراه بطلاقها لهوىٰ في نفْسَيْهما، فلا طاعة لهما في ذلك، ولا يلزمه طلاق امرأته، وليس تطليق زوجته في هذه الحال مِن بِرِ والدَيْه .... **وفي الحديث**: الحث علىٰ طاعة الوالدين ومعرفة حقهما .... **وفيه**: مُراعاةُ الشَّرعِ لحقوقِ جميع أطراف الأسرة دون جورٍ أحدٍ علىٰ حق غيره.

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٢/ ٢١٥) (٢٧٩٩) وتهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ١٤٨) (٤٢٥) (صحيح).
(أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ) أَيْ: أَبَا الدَّرْدَاءِ (فَقَالَ: «إِنَّ لِي امْرَأَةٌ وَإِنَّ أُمِّي تَامُرُنِي بِطَلَاقِهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ» قَالَ الْقَاضِي أَيْ: خَيْرُ الْأَبْوَابِ وَأَعْلَاهَا، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَىٰ دُخُولِ الجنَّةِ، وَيُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَىٰ وُصُولِ دَرَجَتِهَا الْعَالِيَةِ مطاوعة الْوَالِدِ وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا وَأَحْسَنُهَا دُخُولًا أَوْسَطُهَا، وَإِنَّ سَبَبَ دُخُولِ ذَلِكَ الْبَابِ الْأَوْسَطِ هُوَ مُحَافَظَةُ حُقوقِ الْوَالِدِ. اهـ. فَالْمُرَادُ بِالْوَالِدِ الْجِنْسُ، أَوْ إِذَا كَانَ حُكْمُ الْوَالِدِ هَذَا فَحُكْمُ الْوَالِدَةِ أَقْوَىٰ وَبِالِاعْتِبَارِ أَوْلَىٰ. «فَإِنْ شِئْتَ فَحَافِظْ عَلَىٰ الْبَابِ» أَيْ: دَاوِمْ عَلَىٰ تَحْصِيلِهِ (أَوْ ضَيِّعْ): حُصُولَ الْبَابِ بِتَرْكِ الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَهَذَا كَلَامُ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَالْمَعْنَىٰ: فَاخْتَر خَيْرُهُمَا». مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٣٠٨٩).

أَتَيْتُهُ مِنَ الجَانِبِ الآخرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنتُ أَرَدْتُ الجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذلِك وجه الله والدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّك؟» قلتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا» ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: «وَيْحَكَ، أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَيْحَكَ، الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الجَنَّةُ» المعجم الكبير للطبراني[1].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٨/ ٣١١) (٨١٦٢) وسنن ابن ماجه (٢/ ٩٢٩) (٢٧٨١) صحيح لغيره.
جعَلَ الله سبحانه للأُمّ نَصيبًا في بِرِّها يُقَدَّمُ علىٰ الجهاد في سبيل الله، مع ما للجهاد في سبيل الله بكل أنواعه مِن فَضلٍ عظيم، وثواب كبير، وهذا من عظيم حق الأم!
وفي هذا الحديث يقولُ مُعاوية بن جاهمة السلمي ﵁: «أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنِّي كنتُ أردتُ الجهاد معك أبتغي»، أي: أطلب وأرجو، «بذلك وَجْهَ اللهِ والدَّارَ الآخرة، فقال له النبيُّ ﷺ: «**ويحك!**» وهي كلمة ترحم وتوجعٍ تُقال لِمَن وقَعَ في هَلكةٍ لا يستحقها، «**أحيَّةٌ أُمك؟**»، أي: باقية علىٰ قيدِ الحياةِ، فقال مُعاويةُ ﵁: «نعم»، فقال النبيُّ ﷺ: «**ارجع فبرها**»، أي: اعمل فيها بأعمال البر والمعروف، قال مُعاوية: «ثم أتيتُه من الجانب الآخر»، أي: ليُؤكد عليه رغبته في الخروج إلىٰ الجهادِ، ويُظْهِرَ ما عنده من حِرْصٍ، قال معاوية: «فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني كنتُ أردتُ الجهادَ معك أبتغي بذلك وجه الله والدَّارَ الآخرة، قال: **ويُحك! أحيَّةٌ أُمُّكَ؟** قلتُ: نعم، يا رسول الله، قال: **فارجع إليها فبرها**. ثمَّ أتيتُه مِن أمامه، فقلتُ: يا رسول الله، إني كنتُ أردتُ الجهادَ معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: **ويُحك! أحيَّةٌ أمك؟** قلتُ: نعم، يا رسولَ اللهِ، قال: **ويُحك، الْزَمْ رِجْلَها فثَمَّ الجَنَّة**»، أي: الجنَّة هناك عند رجلها، والمراد: أنَّ نَصيبَك من الجنَّةِ لا يصل إليك إلَّا برضاها؛ بحيث صارت الجنَّةُ كشَيءٍ مملوك لها، وهي قاعدة عليه، تتصرف فيه كيف تشاء؛ فإنَّ الشَّيء إذا صار تحت رِجْلِ أحدٍ، فقد تمكَّن منه واستولىٰ عليه، بحيث لا يصل شيءٌ منه إلىٰ غيره إلا برضاه. ولعلَّ رَدَّ النَّبي ﷺ له؛ لأنَّه علم بحاجةِ أُمّه إليه، ثمَّ بَيَّنَ أَنَّ بِرَّها له فضل يُوصِلُ إلىٰ الجَنَّةِ مثل الجهاد في سبيل الله. والمراد من هذا تكثيرُ أبواب الخير وتَعدُّدُها، وليس حصرها أو تضييقها، وأيضًا فإنَّ بِرَّ الوالدين فَرضُ عَينٍ علىٰ كل أحدٍ، =

المبحث العشرون حق الأبناء:

٥٢. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» أبو داود[1].

= أمَّا الجهادُ فهو فرْضُ كفاية إذا قام به البَعضُ سَقطَ عَنِ الكل، ولعلَّ النَّبيَّ ﷺ عَلِمَ وُجودَ الكفاية فيمَن خَرجَ غَير هذا الشَّابِ؛ فوجهه إلىٰ برّ أمّه.

(١) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ١١٠) ٤٩٥- (صحيح).
(وفَرّقوا بينهم في المضاجع): أراد بالتفريق: التفريق بين الذكور والإناث من الأولاد عند النوم، لقربهم من البلوغ.
شرائع الدِّينِ يَنبغي أن يتعلَّمَها الأولاد بالتدرُّج والتسلسل حتَّىٰ تكونَ سَهْلةً عليهم، ويُبْدَأُ معهم في تعليمها قبل وقتِ وجوبها عليهم؛ فالطفل يُولَدُ لا يَعْقِلُ شيئًا، ثُمَّ يَكتَسِبُ مَعارِفَه مِن الملاحظةِ والتَّعلُّم مِنَ الآخرين وخاصة الوالِدَينِ.
وفي هذا الحديثِ يَقولُ النَّبيُّ ﷺ: «**مروا أولادكم بالصَّلاةِ وهم أبناءُ سَبْعِ سِنينَ**»، أي: اطلبوا مِنْهم ووَجّهوا لهم الأَمْرَ بالصَّلاة، وتعلم كيفيتها وآدابها، وما يستدعيه ذلِك مِنْ حِفْظِ بعض القرآن الكريم وهم في سِنِّ سَبْعِ سَنواتٍ، وهذا سِنُ السَّماح والتجاوز والتعلم.
«**واضربوهم عليها وهم أَبْنَاءُ عَشْرٍ**»، أي: إذا بَلَغَ الطَّفْلُ عَشْرَ سِنِينَ أُلْزِمَ بالصَّلاةِ الَّتي ظَلَّ ثلاث سنواتٍ يَتَدرَّبُ عليها، فإذا قَصَّر في الصَّلاةِ بَعْدَ هذه السِّنِ ضُرِبَ وعُوقِبَ حَتَّىٰ يعتاد علىٰ أدائها، فإذا ما دَخَل وقتُ التَّكليف يكونون قد اعتادوا عليها دون أدنىٰ تفريطٍ مِنْهم في تِلْكَ العِبادة.
«**وفرقوا بَيْنَهم في المضاجِعِ**»، أي: إذا بلغوا سن العاشرة يُفرَّقُ بين الأولاد بصفة عامة، وبين الذكور والإناث بصفة خاصة في النوم بجانب بعضهم البعض، ويُفْصَحُ بينَهم؛ لأنَّ هذا العُمر بدايةُ الدُّخول في مرحلة البلوغ ومعرفة الشهوة، حتىٰ إذا وصلوا إلىٰ سِنِّ البلوغ والشَّهوةِ يَكونونَ قَدِ اعْتادوا علىٰ هذا الفَصْلِ، وَالْمُرَادُ بالمضاجَعِ: أماكن النوم.
وفي الحديث: بيانُ عِظَمِ قَدْرِ الصَّلاةِ والاهتمام بها، ومشروعيَّةُ ضَرْبِ الأبناء علىٰ التَّقصيرِ في الصَّلاةِ عِنْدَ بُلوغهم سِنَّ العاشرة. =

٥٣. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلاةِ» شعب الإيمان(١).

٥٤. عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكٍ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَىٰ حَفْصَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الْعَقِيقَةِ فَأَخْبَرَتْنَا أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «عَنِ الْغُلامِ شَاتَانِ وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ». ابن حبان(٢).

٥٥. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنِ اسمهُ وَأَدَبَهُ، فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْمًا، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَىٰ أَبِيهِ» شعب الإيمان(٣).

= **وفيه**: الحث علىٰ تعليم الأولاد ما ينفعُهم ويُصلحهم، والحث علىٰ سَدّ كل ذرائعِ الفِتنة بين الذكور والإناث.

(١) -شعب الإيمان- (١١/ ١٠٤) (٨٢٥٢) وشرح السنة للبغوي- (٢٧١٧) حسن لغيره.

(٢) -صحيح ابن حبان- (١٢/ ١٢٦) (٥٣١٠) وسنن الترمذي -المكنز- (١٥٩٥) ومسند أحمد (عالم الكتب)- (٨/ ٩) (٢٤٠٢٨)- صحيح.

العقيقة هي الذَّبيحة التي تُذبَحُ عن المولود في يوم سابعه، وفي هذا الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ سُئِل عن العقيقة، فقال: «**لا يُحِبُّ الله العقوق**»، كأنَّه كَرِهَ الاسم، أي: إنَّ النبي ﷺ لم يُنكرِ العَقيقة نفسها، وإنما كَرِهَ اسْمَ «العَقيقَةِ»؛ لِمَا بينه وبين العُقوقِ من تشابه في أصل الكلمة؛ قيل: وما ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث تنبيه علىٰ أنَّ الذي يُبغِضُه الله تعالىٰ مِن هذا الباب هو العقوقُ لا العقيقة. وقيل: يَحتمِلُ أنْ يكونَ السائلُ ظَنَّ أنَّ اشتراك العقيقةِ مع العقوق في الاشتقاق مما يُوهِنُ أَمْرَها، فأَعْلَمَه أَنَّ الأمر بخلاف ذلك. وقيل غير ذلك؛ لأنَّه قد ورد عن النبي ﷺ ذكر العقيقةِ فِي عِدَّةِ أحاديث، ولو كان يكره الاسم لعدل عنه إلىٰ غيره.

وقال: «**مَنْ وُلِدَ له وَلَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عنه فَلْيَنْسُكْ؛ عن الغُلام شاتانِ مُكافِئَتانِ، وعن الجارية شاة**»، أي: مَنْ وُلِدَ له ذَكَرٌ فَلْيَعُق عنه بشاتَيْنِ مُتَكافِئَتَيْنِ، أي: مُتساويتَيْنِ في السِّنِ، ومَنْ وُلِدَ له أُنثىٰ فَلْيَعُقَّ عنها بشاةٍ واحدةٍ.

(٣) -شعب الإيمان- (١١/ ١٣٧) (٨٢٩٩) حسن.

٥٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الخَتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمُ الأظفار، وَنَتْفُ الإِبْطِ» البخاري(١).

٥٧. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُكْرِهُوا الْبَنَاتَ، فَإِنَّهُنَّ الْمُجَهِزَاتُ الْمُؤنِسَاتُ» شعب الإيمان(٢).

٥٨. وعن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَىٰ لَأْوَائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ أَدْخَلْنَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ»، قَالَ رَجُلٌ: واثنتان؟ قَالَ: «وَاثْنَتَانِ»، قَالَ رَجُلٌ: وَوَاحِدَةً؟ قَالَ: «وَوَاحِدَةٌ». ابن أبي شيبة(٣).

٥٩. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أنه أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي، فَقَالَ: لَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ «الأدب المفرد للبخاري»(٤).

٦٠. وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ انْطَلَقَ بِي أَبِي يَحْمِلُنِي إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْهَدْ أَي قَدْ نَحَلْتُ النُّعْمَانَ كَذَا وَكَذَا مِنْ

(١) -صحيح البخاري- المكنز- (٥٨٩١).
في هذا الحديث يُبيّن النبيُّ ﷺ خمس خصالٍ مِن خِصال الفِطرة، والمقصود بالفطرة هنا: سُنَن الأنبياء، أو الدِّينُ؛ وأوَّل هذه الخمس: الختان، وهو قطع القُلْفَة التي تغطّي الحشَفَةَ مِن الرَّجُلِ، وقطع بعض الجِلْدَةِ التي في أَعْلَىٰ الفَرْجِ مِن المرأةِ كالنَّوَاةِ أو كعُرْفِ الدِّيك، ويُسمَّىٰ خِتَانُ الرجل: إعْذَارًا، وختانُ المرأةِ خَفْضًا. وثانيها: الاستحداد، وهو استعمال الموسىٰ في حَلْقِ العَانَةِ. وثالثها: نَتْفُ الإِبْطِ، أي: نَزْعُه نَتْشًا. ورابعُها: تَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، أي: قطعُها بالمقص أو ما شابه. وخامسها: قَصُّ الشارب، وهو الشَّعر النابت علىٰ الشَّفَةِ.
(٢) -شعب الإيمان- (١١/ ١٥٤) (٨٣٢٨ و٨٣٢٩) حسن.
(٣) -مصنف ابن أبي شيبة- (١٣/ ٩٨) (٢٥٩٤٩) صحيح لغيره.
(٤) -الْأَدَبُ الْمُفْرَدِ لِلْبُخَارِيّ (٤٥) صحيح.

مَالِي. فَقَالَ «أَكُلَّ بَنِيكَ قَدْ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ النُّعْمَانَ». قَالَ لاَ. قَالَ «فَأَشْهِدْ عَلَىٰ هَذَا غَيْرِىٰ -ثُمَّ قَالَ- أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءٌ». قَالَ بَلَىٰ. قَالَ «فَلاَ إِذًا» صحيح مسلم(١).

٦١. وعن الشعبي، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، يَقُولُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: إِنَّ أَبَاهُ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ أَعْطَاهُ عَطِيَّةً، قَالَتْ أُمُّهُ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: أَشْهِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَاهُ أَبِي لِيُشْهِدَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقُوا اللهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ». أبو عوانة(٢).

٦٢. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لأَصْحَابِهِ: «تَصَدَّقُوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي دِينَارٍ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَىٰ زَوْجَتِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَىٰ وَلَدِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْفِقْهُ عَلَىٰ

(١) -صحيح مسلم- المكنز- (٤٢٧٢).
ينبغي علىٰ كل راعٍ أن يعدل بَيْنَ رعيَّته، والوالد راعٍ ورعيته هم أهله من زوجته وأولاده، ومن تمام العَدْلِ أَلَّا يُفرِّقَ بَيْنَ أولاده في العطية، وفي هذا الحديثِ يُخبرُ النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما أنَّ أباه قد أعطاه عطية، أي: هبة، فقالت عمرة بنت رواحةَ أُمُّ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهم: لا أرضَىٰ بهذه العطيَّةِ حَتَّىٰ تُشهد عليها رسول الله ﷺ، فذهب والد النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما إلىٰ النبي ﷺ فذكر له ما صنعَ، وأنَّ زوجته أمرته أن يُشهده، فقال له النبيُّ ﷺ: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» يعني: هل أعطيت باقي أبنائك مثل ما أعطيتَ هذا الولد؟ فقال: لا، فقال ﷺ: «**فَاتَّقوا الله واعدِلُوا بَيْنَ أولادكم**»، فرجع وردَّ العطيَّةَ الَّتي أعطاها النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما حتَّىٰ يكون عادلًا بين أولاده.
وفي الحديث: النَّدبُ إلىٰ التأليف بين الإخوة وتَرْكِ ما يُوقع بينهم الشحناء، ويُورثُ العقوق للآباء.
(٢) مسند أبي عوانة (٤٦٠٠) صحيح.

خَادِمِكَ»، قَالَ: إِنَّ عِنْدِي آخَرَ، قَالَ: «أَنْتَ أَبْصَرُ». ابن حبان[(١)].

٦٣. عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يخطُبُنَا، إِذْ جَاءَ الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] **نَظَرْتُ إِلَىٰ هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ، حَتَّىٰ قَطَعْتُ حَدِيثِي فَرَفَعْتُهُمَا**». ابن حبان[(٢)].

٦٤. وعَنْ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا عَلَىٰ عَاتِقَيِّ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ: نِعْمَ الْفَرَسُ تَحْتَكُمَا قَالَ: وَنِعْمَ الْفَارِسَانِ هُمَا. البزار[(٣)].

٦٥. عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا نَحَل وَالِدٌ وَلَدَهُ نُحْلًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**»[(٤)]. مسند أحمد ونحل أعطىٰ.

٦٦. وقَالَ عُثْمَانُ الْحَاطِبيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: «أَدَبِ ابْنكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ، وَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بَرِكَ وَطَوَاعِيْتِهِ لكَ» شعب الإيمان[(٥)].

---

(١) -صحيح ابن حبان- (٨/ ١٢٦) (٣٣٣٧) صحيح.
(٢) -صحيح ابن حبان- (١٣/ ٤٠٣) (٦٠٣٩) صحيح.
(٣) -مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار- (١/ ٤١٧) (٢٩٣) والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية- (١٦/ ٢٠٣) (٣٩٦٨) صحيح.
(٤) -مسند أحمد (عالم الكتب)- (٥/ ٧١٦) (١٦٧١٠) ١٦٨٣٠- وشعب الإيمان- (١١/ ١٣٠) (٨٢٨٥) وسنن الترمذي- المكنز- (٢٠٧٩) حسن لغيره.
(٥) -شعب الإيمان- (١١/ ٨ ١٣٥) (٨٢٩٥) حسن.

٦٧. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، كَذَا قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهِنَّ؟**» قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَم يَكْتُبُهُ اللهُ في أُمِّ الْكِتَابِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا، وَلَوِ اجْتَمَعَ الخَلْقُ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبُهُ اللهُ في أُمّ الْكِتَابِ لَمَّ يَسْتَطِيعُوا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ بِالرِّضَا وَالْيَقِينِ فَافْعَلْ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**» شعب الإيمان[1].

(١) -شعب الإيمان- (١٢/ ٣٥٤) (٩٥٢٨) صحيح.

أُوتِيَ النَّبيُّ ﷺ جَوامِعَ الكَلِمِ؛ فكان ﷺ يَجمَعُ المواعِظَ الجَمَّةَ والوصايا الجامعة، والحِكَمَ البالغة في الكلام القليل، وكان من هَدْيِه عليه الصَّلاة والسَّلامُ تربية الصغار وتعليمهم أُمور دينهم؛ من العقيدة الصحيحة، وحُسْنِ التَّوكُل علىٰ اللهِ.

وفي هذا الحديث يقولُ عبد اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كنتُ رَدِيفَ رسول الله ﷺ»، أي: كنتُ راكِبًا خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ علىٰ ظهرِ الدابَّةِ، «فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ: **يا غُلام** -أو يا بُنَيَّ-» والغلام هو الصَّبيُّ الصغيرُ الذي لم يبلغ الحلم بعْدُ، وقوله: (يا بني)؛ لبيان مدىٰ حبه وحرصه علىٰ نُصحِه، «**ألا أُعلمك كلماتٍ يَنفَعُك الله بهنَّ؟**» أي: أُعلمُك أمورًا وأشياءَ يَنفَعُك الله بها، «قلتُ: بلىٰ، فقال: **احفَظ الله**»، أي: اتَّقِ الله في أوامره ونواهيه؛ بحيث يجدك قائمًا علىٰ الطاعات والقُرباتِ، ولا يَجِدُك قائما علىٰ المعاصي والآثام، «**يحفظك**»، أي: إذا اتَّقيته وحفظته كان جزاؤك أنْ يَصُونَك عن الشرور والموبقاتِ، ويَحفَظَك في نفسك وأهلك، ومالك، ودينك ودنياك، «**احفظ الله تجده أمامك**»، أي: كان الله لك مُؤيّدًا ومُعِينًا ونصيرًا، «**تَعرَّف إلىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعرِفُكَ في الشَّدَّةِ**»، والمعنىٰ: اجعَلِ اللهَ يَعرِفُك بطاعته، والعمل فيما أولاك مِن نِعمَتِه؛ فإنَّه سُبحانه يُجازيك عندَ الشَّدَّةِ والحاجة إليه في الدُّنيا والآخرة، «**إذا سألت فاسأَلِ الله**»، أي: إذا أردتَ =

٦٨. عن وَهْبَ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِىٰ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**يَا غُلَامُ سَمِ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ البخاري[1].

= أَنْ تطلب شيئًا، فلا تَطلُبْ إِلَّا مِن الله، «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»، أي: وإذا أردتَ العونَ فلا تَطلب العونَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ، ولا تستعِنْ إلَّا بالله، «**فقد جَفَّ القَلَمُ بما هو كائنٌ**»، أي: كُتِبَت مَقاديرُ الخلائق جميعًا، ورُفع القلم؛ فلا زيادةً ولا نقصان، وقد جفَّت الصُّحفُ بما كتَبَتْه الأقلام فيها من مقادير الخلائق، فلا تبديل ولا تغيير؛ فكلُّ شَيءٍ قد كُتِبَ في اللوح المحفوظ، «**فلو أنَّ الخلق كلهم جميعًا أرادوا أنْ يَنفعوك بشيءٍ لم يَقْضِه الله لك، لم يقدروا عليه**»، أي: إنَّه لن يكونَ إلا ما قدَّره الله لك، فلنْ تَحصُل منفعةٌ لك إلَّا ما قد كتبه الله لك، ولو اجتمع علىٰ منفعتك أهل الأرض جميعًا، «**وإن أرادوا أنْ يَضُرُّوكَ بشَيءٍ لم يَقْضِه الله لك، لم يقدروا عليه**»، أي: لن يَبلُغَك ضُرٌّ إِلَّا ما قدَّره الله عليك، ولو اجتمع علىٰ ضَرّك أهل الأرض جميعًا.

«**واعمل لله بالشكر واليقين**»، أي: اعمل الطاعات، واشكُرِ الله علىٰ كلّ أمْرِك، وكن علىٰ يقين وثقة به سُبحانه، «**واعلم أنَّ في الصَّبرِ علىٰ ما تَكرَهُ خيرًا كثيرًا**»، أي: أنَّ الصَّبر علىٰ الشَّدائدِ التي يَكرَهُها الإنسان فيه خيرٌ كثير للعبد، وهو أفضل له من الجزع، «**وأنَّ النَّصر مع الصَّبْرِ**»؛ فالصَّبرُ مِفتاح كلّ خيرٍ مع إخلاص النِّيَّةِ للهِ، «**وأنَّ الفرج مع الكرْبِ، وأنّ مع العُسرِ يُسْرًا**»، أي: أنَّ رَحمةَ اللهِ بعِبادِه قريبةٌ، فَيَجعَلُ مع الضّيقِ والشَّدَّةِ تَفريجًا، فلا تيأس العبد مهما أصابه.

وهذا كله من التربية النبويَّة للأُمَّة؛ أنْ تَتعامل بصِدْقٍ مع الله، وأنْ تُراقبه في كلّ أعمالها، وألا تخاف غيره سُبحانه؛ فمِنْه النفعُ والضُّرُّ، وأنْ تُربّي أطفالها علىٰ هذه المفاهيم الطَّيِّبةِ، فَيَنْشَؤُوا ويَشِبُّوا عليها.

وفي الحديث: الحثُّ علىٰ حِفظِ اللهِ ﷻ في أوامِرِه ونواهيه.

(١) -صحيح البخاري- المكنز- (٥٣٧٦)

يتضمَّنُ هذا الحديث جُملةً مِن آدابِ الطَّعام يُعلّمُها النبيُّ ﷺ لعُمر بن أبي سَلَمَة ولأُمَّتِه عمومًا، حيث كان عُمرُ بنُ أبي سلمة صبيًّا صغيرًا في حَجْرِ النبي ﷺ، يعني: في تربيته وتحت رعايته، وكانَتْ يدُ عُمرَ تَطيشُ في الصَّحْفَةِ، يعني: يُحرّكها في جوانب إناءِ =

٦٩. وعَنْ أَبِي الضُّحَىٰ، قَالَ: كَانَ الضَّحَاكُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلِمُوا أَوْلادكُمْ وَأَهْلِيكُمْ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ مُسْلِمٍ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَاكْتَنَفَاهُ فَقَالَا لَهُ: اقْرَأْ وَارْتَق فِي دَرَج الجنَّةِ حَتَّىٰ يَنْزلوا بِهِ حَيْثُ انْتَهَىٰ عَمَلُهُ مِنَ الْقُرْآنِ. ابن أبي شيبة[١].

المبحث الحادي والعشرون حق الولد علىٰ أبويه:

٧٠. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَىٰ النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَىٰ مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفق عليه[٢].

= الطَّعامِ؛ ليلتقطه، فقال له ﷺ: «**يا غلام، سَمّ الله، وكُل بيمينك، وكُلْ مِما يليك**»، فأمره بالتسمية عند الطَّعام، وأن يأكل بيمينه، وأن يأكل مِنَ الجانبِ الَّذي يَقْرُبُ منه مِنَ الطَّعام، يقولُ عمرُ بنُ سَلَمَةَ: فما زالت تلك طِعْمَتي بعْدُ، يعني: التَزَمْتُ بما أمر به ﷺ، فأنا أفعل ذلك في طعامي منذُ سمعت ذلك مِنَ النبي ﷺ.

(١) -مصنف ابن أبي شيبة- (١٣/ ٣٧٥) (٣٥٩٣٨) صحيح.

(٢) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٣٤٢) ٢٥٥٤-٩٦٤- [ش أخرجه مسلم في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر رقم ١٨٢٩. (بعلها) زوجها].
(كلكم راع) لمن تحت يديه. (وكلكم مسؤول) في الآخرة. (عن رعيته، فالإمام راع) لمن تحت يده وهو أعظم الرعاة قدرًا وخطرًا. (وهو مسؤول عن رعيته) هل عدل فيهم أو جار وهل حاطهم بنصيحة أو أضاعهم وليس المراد مجرد السؤال بل ليترتب عليه الجزاء من خير أو شر، وهذا يرد الخبر الموضوع المكذوب تكذيبًا، وهو «جيران الله إذا استرعىٰ عبدًا للخلافة كتب له الحسنات دون السيئات. (والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته) هل وفاهم حقوقهم وهل أحسن عشرتهم أو لا ليجازي علىٰ ما كان منه. (والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها) هل قامت بما يجب =

. . . .

= عليها ونصحت في التدبير أم لا، وهي أمينة فيما ساقه الزوج إلىٰ بيته من رزقه. (والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته) فيما جعل أمره إليه. (والرجل راع في مال أبيه) إن ائتمنه عليه. (وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع) الفاء جواب شرط محذوف أي إذا عرفتم هذا. (وكلكم مسئول عن رعيته) خصص أولًا ثم عمم ثانيًا تأكيدًا لبيان الحكم أولًا وآخرًا وفيه رد العجز علىٰ الصدر ذكره كله البيضاوي، وقال الطيبي: كلكم راع تشبيه مضمر الأداة أي كلكم مثل الراعي وكلكم مسئول عن رعيته فيه معنىٰ التشبيه وهذا مطرد في التفصيل ووجه التشبيه حفظ الشيء وحسن التعهد لما استحفظ وهو القدر المشترك في التفصيل فإن الراعي غير مطلوب لذاته بل أقيم لحفظ ما استرعاه ويشمل المنفرد إذ يصدق عليه أنه راع في جوارحه بفعل المأمور وترك المنهي. التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٢١١).

يبين لنا ﷺ أنَّ كُلَّكُم راع وكل راعٍ مَسؤول عن رعيَّته والرَّعْي هو حِفْظُ الشَّيْءِ وحُسنُ التَّعَهْدِ لَه، والراعي هو الحافِظُ المؤتمنُ المُلْتَزِمُ صَلاحَ ما قامَ عليه، فَكُلُّ مَنْ كانَ تَحْتَ نَظَرِه شَيْءٍ فَهو مَطْلوبٌ بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومُتَعَلِّقاتِه، فإن وفىٰ ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفَرُ والجزاء الأكبَرُ، وإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ طَالَبَه كُلُّ أَحَدٍ مِن رَعِيَّتِه بِحَقِّهِ، ثُمَّ فَصَّلَ ما أَجْمَلَه: فالإمامُ الأَعْظَمُ راعٍ فيما اسْتَرعاه الله، فَعَلَيه حِفْظُ رَعِيَّتِه فيما تَعَيَّنَ عليه مِن حِفْظِ شرائعهم والذَّبِّ عنها وعَدَمِ إهمال حدودِهم وتضييع حقوقهم وترك حمايتهم ممن جار عليهم، ومُجاهَدَةُ عَدُوّهم فلا يتصرف فيهم إلَّا بِإِذْنِ اللهِ ورسوله ولا يَطلُبُ أجْرَه إلَّا من الله، وهو مسؤول عن رعيَّته، والرَّجُلُ في أَهْلِه -زَوجته وغيرها- راعٍ بالقيام عليهم بالحقِّ في النفقة وحسن المعاشرة، وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة في بَيْتِ زَوجها راعيةٌ بِحُسنِ التدبير في أَمْرِ بَيْتِه والتَّعَهُدِ لِخَدَمِه وأضيافه، وهي مسؤولة عن رعيَّتها، والخادِمُ، أي: العبد في مالِ سَيّدِه راع بالقيام بحفظ ما في يده منه وخدمته، وهو مسؤول عن رعيَّته، والرَّجُلُ في مال أبيه راعٍ وهو مسؤول عن رعيَّتِه، فَكُلُّكُم راعٍ وَكُلُّكُم مَسؤول عن رعيَّته.

في الحديث: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مَسؤولٌ عَمَّن تَحْتَ يَدِهِ مِن آدمي وغيرِه.

وفيه: وجوب القيام بِحَقِّ الرَّعيَّةِ وإرشادِهِم لِمَصالحهم الدّينيَّةِ والدُّنْيَويَّة، وردعهم عما يَضُرُّهم في دينهم ودُنْياهُم.

المبحث الثاني والعشرون حق البنت:

٧١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَىٰ الله فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»** ابن حبان(١).

٧٢. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الجَنَّةُ»** سنن أبي داود(٢).

٧٣. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ يَكْفِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَرْفقُ بِهِنَّ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: مَعِي في الجنَّةِ»** ابن أبي شيبة(٣).

٧٤. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي جَابِرٌ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ، وَيَرْحَمُهُنَّ، وَيَكْفُلُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ»**، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ: فَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: **«وَإِنْ كَانَتْ اثْنَتَيْنِ»**، قَالَ: فَرَأَىٰ بَعْضُ الْقَوْمِ، أَنْ لَوْ قَالُوا لَهُ وَاحِدَةً، لقَالَ: **«وَاحِدَةً»** أحمد(٤).

---

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ١٥١) ٤٦٦- (حسن).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٣٣٨) (٥١٤٧) صحيح لغيره.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢١) (٢٥٤٣٤) صحيح.

(من عال ثلاث بنات) من بناته وهو الأظهر ويدخل من بنات غيره ممن لا كافل لهن فيه أيضًا (فأدبهن) بآداب الشريعة وعلمهن أمور الدنيا التي يعود عليهن نفعها و(زوجهن) أعان علىٰ ذلك (وأحسن إليهن) بسائر ما يتم به الإحسان (فله الجنة) قال الزين العراقي: في هذا الحديث تأكيد حق البنات علىٰ حق البنين لضعفهن عن القيام بمصالحهن من الاكتساب وحسن التصرف وجزالة الرأي. التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٣٠٨).

(٤) مسند أحمد مخرجا (٢٢/ ١٥٠) (١٤٢٤٧) صحيح لغيره.

٧٥. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَىٰ فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمَّ يؤثر وَلَدَهُ عَلَيْهَا**، -قَالَ: يَعْنِي الذُّكُورَ- **أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ(١).

٧٦. عن سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**» الترمذي(٢).

(١) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ١١٨٢) ٥١٤٦- ومصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٢١) (٢٥٤٣٥) والمستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ١٩٦) (٧٣٤٨) وشعب الإيمان (١١/ ١٣٥) (٨٣٢٦) (صحيح).
وقوله: ولم يئدها معناه: لم يدفنها حية، قال الخطابي: وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات أحياء، يقال منه: وأد يئد وأدًا، ومنه قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٢٨) (٢٢٧٣) والمعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٣٢٠) (١٣٢٣٤) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣٣٨) (١٩٥٢) والمعجم الأوسط (٤/ ٧٧) (٣٦٥٨) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ١٩٨٠) (٤٩٦٧/ ٤٩٦٨) حسن لغيره.
(مَا نَحَلَ) أَيْ: مَا أَعْطَىٰ (وَالِدٌ وَلَدَهُ مِنْ نُحْلٍ): بِضَمِّ النُّونِ وَيُفْتَحُ أَيْ عَطِيَّةٌ أَوْ إِعْطَاءٌ، ففي النِّهَايَةِ: النَّحْلُ الْعَطِيَّةُ وَالْهِبَةُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ، يُقَالُ: نَحَلَهُ يَنْحَلُهُ نُحلًا بِالضَّمِّ، وَالنِّحْلَةُ بِالْكَسْرِ الْعَطِيَّةُ. وَفِي الْقَامُوسِ: النِّحْلُ الشَّيْءُ الْمُعْطَىٰ وَبِالضَّمِّ مَصْدَرُ نَحَلَهُ أَعْطَاهُ، وَالاسْمُ النِّحْلَةُ بِالْكَسْرِ وَيُضَمُّ (أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ). وَهُوَ الْمُطَابِقُ لِلْعُرْفِ الْمُوَافِقُ لِلشَّرْعِ قَالَ الطِّيبِيُّ: جَعَلَ الأَدَبَ الحَسَنَ مَنْ جِنْسِ الْمَالِ وَالْعَطِيَاتِ مُبَالَغَةٌ، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْقَلْبَ السَّلِيمَ مَنْ جِنْسِ الْبَنِينَ وَالْمَالِ. فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]. قُلْتُ والصَّحِيحُ فِي الْآيَةِ: أَنَّ الاِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعَ أَيْ: وَلَكِنَّ سَلَامَةَ مَنْ أَتَىٰ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم تَنْفَعُهُ، أَوْ مُتَّصِلٌ وَالْمَعْنَىٰ: الْآمَالُ مَنْ هَذَا شَانُهُ وَبَنُوهُ حَيْثُ أَنْفَقَ مَالَهُ مِنَ الْبِرِّ، وَأَرْشَدَ بَنِيهِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَقِيلَ: الاسْتِثْنَاءُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَالُ وَالْبَنُونَ أَيْ: لَا يَنْفَعُ غِنَىٰ الْأَغْنِيَاءِ، هَذَا وَلَمْ يَظْهَرْ وَجْهُ الْمُبَالَغَةِ لَا فِي الحَدِيثِ، وَلا فِي الآيَةِ مَعَ أَنَّ الحَدِيثَ مُسْتَغْنٍ عَنِ التَّكَلُّفِ، فَإِنَّهُ إِذَا قِيلَ: الْأَدَبُ خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ، أَوِ الْبَشَرِ خَيْرٌ مِنَ الْمُلْكِ، فَالْمَعْنَىٰ أَنَّ هَذَا الْجُنْسَ أَحْسَنُ مِنْ =

المبحث الثالث والعشرون حق العلماء:

٧٧. عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا**». المستدرك[١].

المبحث الرابع والعشرون حق الجار:

٧٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**» مسند أحمد[٢].

٧٩. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةٌ عَلَىٰ أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُؤْمِنٍ،**

= هَذَا الجنسِ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ جَعْلِ أَحَدِهِمَا مِنْ جِنْسِ الْآخَرِ، إِذْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ تَامّ بِدُونِهِ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١١٨).

(١) نوادر الأصول- النسخة المسندة (١/ ٣١٩) (٢٠٣) والمستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (١/ ٢١١) (٤٢١) وشرح مشكل الآثار (٣/ ٣٦٥) (١٣٢٨) صحيح.

حرص الإسلام علىٰ البرِّ ومُراعاة حقوقِ الناس علىٰ اخْتِلافِ أعمارهم وأحوالهم.

وفي هذا الحديث يقول النبيُّ ﷺ: «**ليس مِنَّا**»، أي: ليس علىٰ طريقتنا وهَدْينا وسُنَّتِنا، «**مَنْ لم يَرْحَمْ صَغِيرَنا**»، فيُعْطِيهِ حَقَّه من الرفق، واللُّطفِ، والشَّفَقة، ويُحتمل أنَّ المرادُ صَغير المسلمين، ويُحتمل أنَّ المراد صغير بني آدَمَ؛ إذ العِلَّةُ الصِّغَرُ «**ويَعْرِفْ حَقَّ كَبيرنا**» فيُعْطِيهِ حَقَّه منَ التَّعْظِيم والإكْرامِ، إِذْ خُلُقُ أَهْلِ الإِسْلامِ رَحْمةُ الصَّغير، ومَعرِفَةُ الحَقِّ للكبير، وخاصة إذا كان له شرفٌ بِعِلْمٍ أو صلاح أو نَسَبٍ زكي.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٤/ ١٨٣) (٧٣٠٤ و٧٣٠٥) ومسند أحمد مخرجا (١٥/ ٤٢١) (٩٦٧٥) صحيح. =

وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَم يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ الجَارِ: إِذَا اسْتَعَانَكَ

= قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلانَةٌ): بِفَتح آخِرِهَا وَهَىٰ كِتَابَةٌ عَنِ اسْمِ امْرَأَةٍ (تُذكَرُ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مُسْنَدٍ إِلىٰ ضَمِيرِ «فُلانَةٌ»، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهَا تُذْكَرُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ بِطَرِيقِ الشُّهْرَةِ (مِنْ كَفْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا) أَيْ: مِنْ أَجْلِ هَذِهِ النَّوَافِلِ، وَ(مِنْ) تَعْلِيلِيَّةٌ مُتَعَلَّقَةٌ بِـ (تُذْكَرُ) (غَيْرَ أَنَّهَا) أَيْ: إِلَّا أَنَّهَا (تُؤْذِي): قَالَ الطَّيبِيُّ: الاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِع يَعْنِي لَكِنْ تُؤْذِي (جيرانها بِلِسَانِهَا). وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّقْيِيدِ بِاللِّسَانِ أَنَّهُ أَغْلَبُ مَا يُؤْذَىٰ بِهِ وَأَقْوَىٰ مَا يَتَأَذَىٰ لَهُ الْإِنْسَانُ كَمَا قَالَ الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

(قَالَ: هِيَ فِي النَّارِ). أَيْ: لِارْتِكَابِ النَّفْلِ الْمُبَاحِ تَرَكُهُ وَاكْتِسَابِ الْأَذَىٰ الْمُحَرَّمِ فِي الشَّرْعِ، وَفِي نَظِيرِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَاقِعُونَ حَتَّىٰ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ، وَاسْتِلام الرُّكْنِ الْمُنِيفِ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ عَمَلُ الظُّلَمَةِ مِنْ جَمْعِ مَالِ الْحَرَامِ وَصَرْفِهِ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ. (قَالَ) أَي: الرَّجُلُ (يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَانَةٌ) أَيْ: غَيْرَهَا (تُذْكَرُ) أَيْ: عَلَىٰ أَلْسِنَةِ النَّاسِ (قِلَّةَ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصِلاتِهَا)، وَفِي نُسْخَةٍ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا قَالَ الطِيبِيُّ: الْقَرِينَةُ الثَّانِيَةُ لَيْسَتْ فِيهَا مِنْ «وَقِلَّةَ» نُصِبَ عَلَىٰ نَزْعِ الْخَافِضِ.اهـ. وَكَأَنَّهُ ثَبَتَ عِنْدَهُ رِوَايَةُ النَّصْبِ كَمَا تَقْتَضِي مُرَاعَاةُ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْقَرِينَتَيْنِ، وَإِلَّا فَلَوْ رُوِيَ أَوْ قُرِئَ بِالرَّفْعِ فَوَجْهُهُ ظَاهِرٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (وَإِنَّهَا) بِالْكَسْرِ (تُصَدَّقُ): بِحَذْفِ إِحْدَىٰ التَّاءَيْنِ وَضَمّ الْقَافِ، وَالجُمْلَةُ حَالٌ وَإِنْ رُوِيَ بِفَتْحِ أَنَّ عَطْفًا عَلَىٰ (أَنَّهَا) مَعْمُولُ (تُذْكَرُ)، فَلَهُ وَجْهُ فَتُذْكَرُ. وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهَا تَتَصَدَّقُ (بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ)، أَيْ: بِقِطَعٍ مِنْهُ جَمْعُ ثَوْرٍ بِالْمُثَلَّثَةِ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَقِطِ ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ، ففي الْكَلَام تَجْرِيدٌ أَوْ تَوْكِيدٌ، وَفِي ذِكرِهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ صَدَقَتَهَا بِالنِّسْبَةِ لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ قَلِيلَةٌ جِدًّا، ثُمَّ فِي الْقَرِينَةِ الثَّانِيَةِ تَوَسَّطَتِ الْعِبَادَةُ الْمَالِيَّةُ بَيْنَ عِبَادَتِي الْبَدَنِيَّةِ لَعَلَّهَا بِسَبَبِ طَرَفَيْهَا تَنْجَبِرُ قِلَّتُهَا. (وَلَا تُؤْذِي بِلِسَانِهَا جِيرَانَهَا): عَطْفٌ عَلَىٰ تَصَدَّقُ أَوْ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِهِ (قَالَ: هِيَ فِي الْجَنَّةِ)؛ لِأَنَّ مَدَارَ أَمْرِ الدِّينِ عَلَىٰ اكْتِسَابِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي، إِذْ لَا فَائِدَةَ فِي تَحْصِيلِ الْفُضُولِ وَتَضْيِيعِ الْأُصُولِ، وَكَمَا هُوَ وَاقِعٌ فِيهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ وَكَثِيرٌ مِنَ الصَّلَحَاءِ، حَيْثُ لَمْ يَقُم الْأَوَّلُونَ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ، وَلَمْ يُحَصِلِ الْآخَرُونَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِلْم، وَأَمَّا الصُّوفِيَّةُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْعِلْم وَالْعَمَلِ الْمَقْرُونَيْنِ بِالْإِخْلَاصِ، فَهُمْ يَأْدِمُونَ رِعَايَةَ الِاحْتِمَاءِ عَلَىٰ إِعْطَاءِ الدَّوَاءِ سَالِكِينَ سَبِيلَ الحُكَمَاءِ فَيَقُولُونَ: التَّخْلِيَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَىٰ التَّحْلِيَةِ، وَلِذَا جَعَلُوا التَّوْبَةَ أَوَّلَ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ وَمَقَامَاتِ الطَّائِرِينَ. وَفِي كَلِمَةِ التَّوْحِيدُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ هَذَا الْمَلَفِ بِطَرِيقِ =

أَعَنْتُهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جِنَازَتَهُ، وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ تَحْجُبُ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلا تُؤْذِيهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا، وَإِنِ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجُ بِمَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَبْلُغُ حَقُّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ رَحِمَ اللهُ» فَمَا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنُّوا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الجيرانِ ثَلَاثَةٌ:**

= النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ دَائِمًا إِلَىٰ أَنَّ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَىٰ النُّعُوتِيَّةِ الثُّبُوتِيَّةِ، فَكَأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنَ الْأَوْلَىٰ حُصُولُ الثَّانِيَةِ بِخِلَافِ الْعَكْسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١٢٦).

المسلم الحقُّ يُراعي جاره، ويُؤدّي له حُقوقه، وقد جعَل الشَّرعُ علىٰ إحسانِ الجِوار أجرًا وفضلًا، وعلىٰ الإساءة إثمًا ووزرًا. وفي هذا الحديث يقولُ أبو هريرةَ ﵁: «قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله، إنَّ فلانة»، هذا كناية عن اسم امرأةٍ معروفة، «تقومُ اللَّيل»، أي: تَتهجَّدُ وتَتنفَّلُ في اللَّيلِ، «وتَصومُ النَّهارَ»، أي: تَطوُّعًا وقُربةً اللَّهِ، «وتَفعَلُ، وتَصَّدَّقُ»، هذا كله كناية عن فعلها الطاعات والعبادات، وإكثارها من النوافل، «وتُؤذِي جيرانها بلسانها؟»»، أي: تعتدي عليهم بالقول السَّيِّئ، وجاء التقييد باللّسانِ للتقليل من الإساءة والإيذاء الذي يَقَعُ منها؛ لأنَّ الإيذاء بالفعل أفحش وأغْلَظُ، وكذلك فإنَّ أكثر ما يقعُ للجارِ مِن إيذاء إنما يكونُ باللّسانِ، فقال رسول الله ﷺ: «**لا خير فيها، هي مِن أهلِ النَّارِ!**»، أي: إنَّ كثرة العبادات والطاعاتِ لا تُغني عن صاحبها إذا ما تداخل معها إيذاءُ الآخرين، وبالأخص الجيران، حتَّىٰ لو وقع هذا الإيذاء بالقول دُونَ الفعل، «قالوا»، أي: صحابةُ النَّبيّ ﷺ: «وفلانة تُصلّي المكتوبة»، أي: تقتصر علىٰ الفريضة علىٰ عكس المرأةِ الأُولىٰ التي تُكثِرُ مِن النَّوافل، «وتَصَّدَّقُ بأثوارٍ»، أي: القِطَعِ مِن الأَقِطِ، وهو اللَّبَنُ المجفَّفُ، «ولا تُؤذِي أحدًا»، فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**»، وذلك بتركة إحسانها إلىٰ جيرانها، ولم يقع منها ما فيه معصيةٌ؛ لأنَّ مدارَ أمْرِ الدِّينِ علىٰ اكتساب الفرائض واجتناب المعاصي.

وفي الحديث: التَّحذيرُ من الوقوع فيما يأكُلُ أَجرَ الطاعات.

فَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقوقٍ، وَمِنْهُم مَنْ لَهُ حَقَّانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقوقٍ فَالجَارُ الْمُسْلِمُ الْقَرِيبُ لَهُ حَقُّ الجَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَحَقُّ الْقَرَابَةِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ، وَحَقُّ الْإِسْلامِ، وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْكَافِرُ لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُطْعِمُهُمْ مِنْ نُسُكِنَا، قَالَ: «**لَا تُطْعِمُوا الْمُشْرِكِينَ شَيْئًا مِنَ النُّسُكِ**» شعب الإيمان(١).

٨٠. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**» المعجم الكبير للطبراني(٢).

---

(١) شعب الإيمان- (١٢/ ١٠٥) (٩١١٣) ومسند الشاميين ٣٦٠- (٣/ ٣٣٩) (٢٤٣٠ و٢٤٥٨) وفتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار الفكر- (١٠/ ٤٤٦) والزهد لهناد بن السري- (١٠٣١) حسن لغيره.

«ستقرضك»: طلب منك قرضًا. «عدت عليه»: زرته وتعهدته، «القُتارُ»: رائحة الطبيخ تنبعث من الوعاء حين الطبخ.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٢٥٩) (٧٥١) صحيح لغيره.

(وأما ما يتعلق بوعيد من بات بجوارهم جائع) فله شواهد أيضًا (منها) ما رواه (طب بز) بإسناد حسن من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلىٰ جنبه وهو يعلم، وذكر له شواهد غير هذا (فان قيل) إنما حكم عليه بالوضع لما في ظاهر المتن من الوعيد الموجب للبراءة ممن فعل ذلك وهو لا يكفر بفعل ذلك (فالجواب) أن هذا من الأحاديث الواردة في معرض الزجر والتنفير ظاهرها غير مراد، وقد وردت عدة أحاديث في الصحاح تشتمل علىٰ البراءة، وعلىٰ نفي الإيمان وعلىٰ غير ذلك من الوعيد الشديد في حق من ارتكب أمورًا ليس فيها ما يخرج عن الإسلام كحديث أبي الأشعري في الصحيح في البراءة ممن حلق وسلق، وحديث أبي هريرة لا يزني الزاني وهو مؤمن إلىٰ غير ذلك، وقال ولا يجوز الإقدام علىٰ الحكم بالوضع قبل التأمل والتدبر والله الموفق. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١٥/ ٦٣).

٨١. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ أَتَىٰ عَلَيْنَا زَمَانٌ -أَوْ قَالَ: حِينٌ- وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: «**كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ**» الأدب المفرد للبخاري(١).

٨٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ ذَبَحَ شَاةً فَقَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِي الْيَهُودِيِّ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

المبحث الخامس والعشرون حق الطريق:

٨٣. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌ نَتَحَدَّثُ فِيهَا،

---

(١) تهذيب الأدب المفرد للبخاري- علي بن نايف الشحود (ص: ٤٦) ١١١-٢٠١- ومسند أحمد (عالم الكتب) (٢/ ٤١٨) (٥٥٦٢) والمعجم الكبير للطبراني جـ١٣، ١٤ (ص: ٢٨٢) (١٤٠٤٥) (صحيح لغيره).

(كم من جار) تقدم تحقيق القدر الذي يعد جوارًا. (متعلق بجاره يوم القيامة) تعلق الغريم بغريمه والخصم بخصمه. (يقول) شاكيًا علىٰ ربه. (يا رب هذا أغلق بابه دوني) لئلا أنال منه خيرًا. (فمنع معروفه) [٣/ ٢٥٦] أي وأنصفه الله منه إذ هو محل الترهيب وحذف للعلم به فيه تأكيد عظيم لرعاية حق الجار والحث علىٰ مواساته وتغليق الباب كناية عن عدم خروج خير منه إليه. التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٢٣٦).

(٢) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ١١٨٣) ٥١٥٢- (صحيح).

في هذ الحديث أخبر النبي ﷺ أنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كرَّر عليه الوصيَّةَ بالجار (وهو القريب من الدَّارِ، قريبًا كان أو أجنبيًا، مسلمًا كان أو كافرًا)، وذلك بالإحسان إليه، ورعايةِ ذِمَّته، والقيام بحقوقه، ومُوَاساتِه في حاجته، والصبر علىٰ أذاه؛ ولكثرة ما أَوْصَىٰ جِبْرِيلُ عليه السلام بالجارِ، ظنَّ النبي ﷺ أنَّ الله تعالىٰ سيُشْرِكُ الجارَ في مِيراثِ جارِه.

فَقَالَ: «**إِذْ أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**» متفق عليه(١).

٨٤. عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: كُنَّا قُعُودًا بِالْأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ**»، فَقُلْنَا إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَاسٍ قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ» قَالَ: «**إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا غَضُّ الْبَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ**» مسلم(٢).

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ٥١) (٦٢٢٩) وتهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٧٨٢) (٢١٦١).

لا يحل إيذاء المسلم وإلحاق الضرر به، صغيرًا كان أو كبيرًا؛ ولذلك نهىٰ النبي ﷺ عن الجلوس في الطرقات، فلمَّا قالوا له: إنهم لا مَجْلِسَ لهم غيرُها، أَمَرَهم أن يُعْطُوا الطريق حقها إنْ كان لابُدَّ لهم من الجلوس فيها، فسألوه عن حقِ الطريقِ فقال: «**غَضُّ البَصَرِ، وكَف الأذىٰ، ورَدُّ السَّلام، وأَمر بالمعروفِ، ونهي عن المنكر**»، يعني: ينبغي لِمَنْ جَلَس في طَريقِ المسلمين أن يَغُضَّ بَصَرَه عن عَوْرَاتِ المارَةِ، ويَكُفَّ أذاه عنهم وعن المسلمين؛ باجتِنابِ الغِيبَةِ وظَن السوء واحتقار بعض المارين وتضييق الطريق، وأن يَرُدَّ السَّلامَ علىٰ مَن يُلقيه، ويَأْمُرَ بالمعروفِ، ويَنْهَىٰ عن المنكر إذا رآه.

(٢) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٧٨٢) (٢١٦١) [ش (الصعدات) هي الطرقات واحدها صعيد كطريق يقال صعيد وصعد وصعدات كطريق وطرق وطرقات علىٰ وزنه ومعناه (إما لا) هو بكسر الهمزة وفتح اللام وبالإمالة الخفيفة قال ابن الأثير أصل هذه الكلمة إن وما فأدغمت النون في الميم- وما زائدة في اللفظ لا حكم لها وقد أمالت العرب لا إمالة خفيفة ومعناه هنا إن لم تتركوها فأدوا حقها].

يحكي أبو طَلْحَةَ رضي الله عنه أنهم كانوا «قُعودًا بالأَفْنِيَةِ» جمع فِناء، وهو حَرِيمُ الدارِ ونحوها وما كان في جوانبها وقريبًا منها، «نتحدث، فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا، فقال: ما لكم ولِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ؟»، أي: الطُّرُقاتِ «اجْتَنِبوا مجالس الصُّعُدات، فقلنا: إنَّما قَعدنا لغيرِ ما بَاسٍ، فَعَدْنا نتذاكرُ ونَتحدَّث، قال: إمَّا ل»»، أي: إن لم تتركوها =

٨٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَنْ تَجْلِسُوا بِأَفْنِيَةِ الصُّعُدَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَلَا نُطِيقُهُ، قَالَ: «إِمَّا لَا فَأَدُّوا حَقَّهَا» قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَدُّ التَّحِيَّةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَغَضُّ الْبَصَرِ، وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ». ابن حبان(١).

المبحث السادس والعشرون حق النعمة:

٨٦. عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» فَلَمَّا كَثُرَ لَحَمُهُ صَلَّىٰ جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ». رَوَاهُ البخاري(٢).

= «فأدُّوا حقَّها: غَضُّ البصرِ» عمَّا لا يَحِلُّ النَّظرُ إليه، «وردُّ السلامِ» لِمَنْ يُلقيه عليه، «وحُسْنُ الكلام»؛ فلا غِيبَةً ولا نَمِيمَةَ ولا كَذِبَ ولا كلامَ يَنقُص المروءة.

في الحديث: أنَّ مِن هَديه ﷺ ترك الجلوس في الطَّرِيقِ.

وفيه: أنَّ مَن جَلَس في الطَّريقِ فعليه غَضُّ البصر، وردُّ السلام، وحُسنُ الكلام.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ١٧٤) (٥٩٦) (صحيح).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٣٥) (٤٨٣٧) [ش (تتفطر) تتشقق. (كثر لحمه) قال العيني وأنكر الداودي هذه اللفظة والحديث (فلما بدن) أي كبر فكأن الراوي تأوله علىٰ كثرة اللحم وقال ابن الجوزي لم يصفه أحد بالسمن ولقد مات وما شبع من خبز الخمير في يوم مرتين وأحسب بعض الرواة لما رأىٰ (بدن) ظن كثر لحمه وليس كذلك وإنما هو بدن تبدينًا أي أسن. هذا كلام العيني ولعل كلمة [الخمير] مصفحة عن كلمة الشعير لأن هذا هو المشهور. وخبز الخمير هو الخبز الذي خمر عجينه أي غطي وترك ليصير خبزه جيدًا].

في هذا الحديث بيان لحالِ النَّبي ﷺ في العبادة واجتهاده فيها؛ فإنَّه كان يقومُ من الليل حتىٰ ترم قدماه، أي: تتورّم، ولَمَّا سُئل عن هذا الاجتهاد وقد غفر الله له ذنبه؟ قال: أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا، فمَن عَظُمَتْ عليه نِعَمُ اللَّهِ، وجَب عليه أن يتلقاها بعظيم الشكر، لا سيّما أنبيائه وصفوتِه مِن خَلْقِه، الذين اختارهم، وخشية العبادِ للهِ علىٰ قدرِ عِلمِهم به؛ =

٨٧. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**» مسلم(١).

٨٨. عن أبي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ -أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، شَكٌّ إِسْحَاقُ- إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ، أَوِ الْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ**

= فمعنىٰ قوله ﷺ: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»، أي: كيف لا أشكره وقد أنعَمَ عَلَيَّ وخصني بخيري الدارين؟!

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: **٧٥٥**) (**٢٧٣٤**) [ش (الأكلة) الأكلة هنا بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة من الأكل كالغداء والعشاء].

رضا الله ﷻ غايَةُ كُلّ مُسلمٍ، وسَعْيُ الإنسانِ في طَاعَةِ اللهِ واتباعِ رَسولِهِ يَكُونُ سَببًا لَنَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ ورِضَاهُ.

وفي هذا الحديث يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ أحد الأُمور التي يَستَطيعُ المسلِمُ أَنْ يَحظَىٰ فيها برضا الله، وهي قَولُهُ ﷺ: إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، وهِيَ المَرَّةُ الوَاحِدَةُ مِنَ الأَكْلِ كالغَداء والعشاء، فيحمَدَه عليها، أو يَشْرَبُ الشَّربَةَ فَيَحْمَدَه عليها، فالرّضا منه تَعالىٰ يَتَسَبَّب عن حَمْدِهِ المُتَسَبِّبِ عنِ الأَكْلَةِ والشَّرْبَةِ، سُبحانَهُ ما أَكْرَمَه أَعْطَىٰ المأكولَ وأَقْدَرَ علىٰ أَكْلِه وجَعَلَه سائغًا وساقه إلىٰ عَبْدِه، وأَوْجَدَه مِنَ العَدَمِ ثُمَّ أَقْدَرَه علىٰ حَمْدِه، وأَلْهَمَه قَولَهُ وعَلَّمَه النُّطْقَ بهِ، ثُمَّ كَان سَببًا لرضائه، وهذا دَليلٌ علىٰ أنَّ رِضا اللهِ ﷻ قد يُنالُ بأَدْنىٰ سَببٍ؛ فإنَّه يُنالُ بهذا السَّببِ اليَسيرِ ولِلهِ الحمدُ؛ يرضىٰ الله عنِ الإنسان إذا انْتَهَىٰ مِنَ الأَكْلِ، قال: الحَمْدُ اللهِ، وإذَا انْتَهَىٰ مِنَ الشُّرْبِ قال: الحمد لله.

وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالْمَالَ بَعِيرًا، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَىٰ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَىٰ الْأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

---

(١) إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: ٣٥٢١) ٢٠٣١. (٢٩٦٤) أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٥١ باب حديث أبرص وأقرع وأعمىٰ في بني إسرائيل [ش (أبرص) قال في القاموس البرص بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج برص =

. . . .

= كفرح فهو أبرص وأبرصه الله (يبتليهم) أي يختبرهم (ناقة عشراء) هي الحامل القريبة الولادة (شاة والدًا) أي وضعت ولدها وهو معها (فأنتج هذان وولد هذا) هكذا الرواية فأنتج رباعي وهي لغة قليلة الاستعمال والمشهور نتج ثلاثي وممن حكىٰ اللغتين الأخفش ومعناه تولىٰ الولادة وهي النتج والإنتاج ومعنىٰ ولد هذا بتشديد اللام معنىٰ أنتج والناتج للإبل والمولد للغنم وغيرها هو كالقابلة للنساء (انقطعت بي الحبال) هي الأسباب وقيل الطرق (إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر) أي ورثته من آبائي الذين ورثوه من آبائهم كبيرًا عن كبير في العز والشرف والثروة (لا أجهدك اليوم) هكذا هو في رواية الجمهور أجهدك بالجيم والهاء ومعناه لا أشق عليك برد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي والجهد المشقة وفي هذا الحديث الحث علىٰ الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم ما يطلبون مما يمكن والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم وفيه التحدث بنعمة الله تعالىٰ وذم جحدها]

في هذا الحديث يُخبِرُ أبو هريرةَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: إِنَّ ثَلاثَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كان كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلاءِ الثَّلَاثَةِ مُصَابًا بِعَاهَةٍ في جسدِهِ، فأرادَ الله أَنْ يَمُنَّ عليهم بالسَّلامة من عاهاتِهِمْ، وبالغِنَىٰ بعد فَقْرِهِم ابْتِلَاءً لهم، لِيُجَازِيَ مَنْ شَكَرَ النِّعمةَ بِزِيادَتِها، ومَنْ كَفَرَها بزَوالِها، فأَمَّا الأَوَّلُ: فهو رَجُلٌ «أَبْرَصُ»وهو الَّذِي ابْيَضَ جِلْدُ جَسَدِهِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيهِ الملك في صورة إنسانٍ: فقال له: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إليكَ؟ قال: لَوْنُ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، أي: تمنَّىٰ أَنْ يَعود إلىٰ جِسْمِهِ لَوْنُهُ الصَّافي الجميل وبَشَرَتُهُ النَّقِيَّةُ السَّليمَةُ «قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ» أي: اشْمَأَزُوا مِنِّي فَمَسَحَهُ المَلَكُ بِيدِهِ فَزالَ عنه دَاءُ البَرَصِ، وأصبحَ نَقِيَّ اللَّوْنِ والبَشَرَةِ، فَسألهُ عنْ أحبِّ المالِ إليه، فقال: الإبل «فأُعْطِيَ ناقَةً عُشَرَاءَ» وهي الحامل، وأَمَّا الثاني فهو رَجُلٌ أَقْرَعُ، أَتاهُ الملك في صورَةِ إنسانٍ منَ البَشَرِ فسأَلَهُ كما سألَ صاحِبَهُ الأَوَّلَ فتمنَّىٰ أَنْ يعودَ إِلَيْهِ شَعْرُ رأسِهِ، لأَنَّ النَّاسَ اشْمَأزُوا منه، ومنْ منظرِ رأسِهِ البَشع، وصورته القبيحةِ، فَمسحَهُ فَذهبَ وأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قال: فأَيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فَأُعْطِيَ بَقرةً حاملًا، وقال: يُبارك لك فيها. وأَمَّا الرَّجُلُ الثَّالِثُ: فهو رَجُلٌ أَعْمَىٰ، أَتَاهُ الملك علىٰ صورَةِ البَشَرِ، فسأَلَهُ عنْ أحبّ شيْءٍ إليه، فقال: أنْ يعود إليَّ بَصَرِي، فَمسحَهُ فردَّ الله إليه بَصَرَهُ، قال: فأَيُّ المال أحبُّ إليك، قال: الغَنَمُ، فَأعطاهُ «شاةً والِدًا» أي: ذاتَ وَلَدٍ، ويُقالُ حامِلٌ. وقد بارَكَ الله تعالىٰ هَؤُلاءِ الثَّلَاثَةِ فكان لهذا وادٍ من إبل، ولهذا وادٍ منْ بَقَرٍ، ولهذا وادٍ مِنْ غَنَم. ثُمَّ إِنَّهُ أتىٰ الأَبْرَصَ في صورَتِهِ وهَيْئَتِهِ، فقال رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بيَ الحِبالُ، أي: حِبالُ الآمال، وسُدَّتْ أمامي أبواب =

المبحث السابع والعشرون حق الجسد:

٨٩. قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلِ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلْ صُمْ**

= المعِيشَةِ وأسبابُ الرِّزْقِ، فلا بَلاغَ اليومَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بكَ، أي: فلا أحد يُوَصِلُنِي إلىٰ تَفَرُّجِ كُرْبَتِي إِلَّا الله، ثُمَّ أَنتَ، أسأَلُكَ بالذي أعطاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ والمالَ بَعِيرًا «أَتَبَلَّغ به»، أي: يُوَصِلُني إلىٰ بلدي فقال له: إنَّ الحقوق كثيرة أي: إنَّ النَّفقاتِ الَّتِي تَلْزَمُني كَثيرة، وهي أولىٰ منكَ، فقال له: إني أعرِفُك: أَلمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقيرًا فَأعطاك الله أي: فأعطاك الله الصحة والمال. فقال: لقد وَرِثْتُ لكابِرٍ عن كابِرٍ أي: وَرِثْتُ هذا الغنىٰ والعِزَّ والشَّرفَ أبًا عن جَدٍ. فقال: إنْ كُنْتَ كاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إلىٰ ما كُنْتَ أَي: إلىٰ ما كُنتَ عليه من داء البَرَصِ والفَقْرِ. وأتىٰ الأَقْرَعَ في صورتِهِ وهَيْئَتِه، فقال له مِثْل ما قاله للأَبْرَصِ، فرد عليه مِثْلَ ما ردَّ عليه الأَبْرَصُ فقال: إنْ كُنْتَ كاذِبًا فَصَيَّرَكَ الله إلىٰ ما كُنْتَ عليه منَ الفَقْرِ وسوء الحال، والقرع وسوء المنظر. وأتىٰ الأعمىٰ في صورته فقال: رَجُلٌ مِسكينٌ إلخ يَعْني فقال له الملك. مِثْل ما قال لصاحبه، ولكنَّ الأَعْمَىٰ لَمْ يَكُنْ مثل صاحِبَيْهِ كَافِرًا بالنِّعمة، فقال: قد كُنْتُ أعمىٰ فردَّ الله بَصَري، وفَقيرًا فقد أَغْناني، فَخُذْ ما شِئْتَ، فَوَاللَّهُ لا أَجْهَدُكَ اليومَ بشَيْءٍ أَي: لا أَشُقُ عليكَ بِرَدِ شَيءٍ تَطْلُبُهُ مِنّي فقال له: أَمْسِكْ مالَكَ فَإِنَّما «ابْتُلِيتُمْ» أي: امْتُحِنْتُمْ فقد رَضِيَ الله عنكَ لأَنَّكَ شَكَرْتَ نِعْمَةَ اللَّه وأَدَّيْتَ حقَّها عليكَ وسَخِطَ علىٰ صاحِبَيْكَ لِأَنَّهُما كَفَرَا بنعمة الله.

في الحديث: التَّحذيرُ مِنْ كُفْرانِ النِّعَمِ.

وفيه: تذكيرُ الإنسان بحالتِهِ السَّيِّئَةِ التي كان عليها إذا كان ذلكَ لِنُصْحِهِ ودَعْوَتِهِ لِشُكرِ الله تعالىٰ.

وفيه: الحثُّ علىٰ الصَّدقة، والرِّفْقِ بالضُّعفاء، ومَد يَدِ المعونة لهم.

وفيه: أنَّ علىٰ الإنسانِ أنْ يَذكُرَ إذا صار في نِعمةٍ ما كان عليه سابقًا مِنْ فَقْرٍ أو مَرَضٍ أو عَاهَةٍ، لَأَنَّ ذلكَ يَدْفَعُهُ لمزيدِ الشكر والامتنان.

وفيه: الزَّجْرُ عنِ البُخْلِ، والتَّحذيرُ مِنْ عَواقِبِهِ السَّيِّئَةِ.

وفيه: القَصَصُ وما فيه منْ مَواعِظَ وعِبَر.

وفيه: أنَّ الصَّبر علىٰ البَلاء قَدْ يَكونُ خَيرًا للمُبْتَلىٰ من زَواله.

وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: «**فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ** عليه السلام، **وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ**»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام؟ قَالَ: «**نِصْفَ الدَّهْرِ**»، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ «متفق عليه»[(١)].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٣٩) (١٩٧٥) [ش أخرجه مسلم في الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به . . رقم ١١٥٩ (بحسبك) كافيك. (قبلت رخصة النبي) أي وأخذت بالأخف من أول الأمر].

يحكي عَبدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما أنَّ أباه عَمْرو بن العاص الله أَنكَحه امْرَأَةً يُقالُ إِنَّهَا أُمُّ مُحمَّدٍ بِنتُ مَحْمِيَةَ بنِ جَزْءِ الزُّبَيْدِي، ذات شَرَفٍ بِالآباءِ، فَكانَ عَمْرُو رضي الله عنه يَتَعاهَد «كَنَّتَه»، وَهِيَ زَوجة ابنِه فَيَسأَلها عَن شَأْنِ ابنِه بَعْلها، فَتَقولُ في الجَوابِ نِعْمَ الرَّجُلُ مِن رَجُل لَم يَطَأْ لَنا فِراشًا، أي: لَم يُضاجعنا حَتَّىٰ يَطَأَ لَنا فِرَاشًا وَلَم يُفَتِّش لَنا «كَنَفًا»، أي: ساتِرًا مُنذُ أَتَيْنَاه، فَلَمَّا طالَ ذلك علىٰ عَمْرٍو رضي الله عنه، وَخافَ أَن يَلحَقَ ابنَه إِثْمٌ بِتَضْييع حَقِ الزَّوجةِ ذَكَرَ ذَلكَ للنَّبِيِّ ﷺ، فَقالَ ﷺ لعَمْرو رضي الله عنه: «**القني بِابنك عَبدِ اللهِ**»، فَسَأَلَه النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ تَصومُ؟ فَأَجابَه: أصومُ كُلَّ يوم. وَكَيْفَ تَختِم القُرآنَ؟ فَأَجَابَه: أَختِم كُلَّ ليلة. فقال له ﷺ: «**صم في كُلِّ شَهر ثَلاثةَ أَيَّام واقرأ القُرآنَ في كُلِّ شَهْرٍ خَتْمة**». قالَ عَبدُ الله: يا رسولَ اللهِ، أُطيقُ أَكثَرَ من ذلك، فَقالَ ﷺ: «**صم ثلاثةَ أَيَّام في الجمعة، أي: في الأسبوع**». فَقالَ عَبدُ اللهِ: أُطيقُ أَكثَرَ مِن ذَلكَ، فَقالَ: «**أَفطِرْ يومَين وَصُم يَومًا**»، فَقالَ: أُطيقُ أَكثَرَ مِن ذَلك. قالَ: «**صُم أفضَلَ الصَّوم صَومَ داوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ** عليه السلام، **صيام يَوْم وَإفطار يوم، واقرأ كُل القُرآنِ فِي كُلِّ سَبْع لَيالٍ مَرَّة**». قالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَلَيتَني قَبِلتُ رُخصةَ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ وَذَاكَ إِنِّي كَبِرتُ وَضَعُفتُ). فَكانَ يَقرأ علىٰ بَعض أَهْلِه، أي: مَن تَيسَّرَ منهم، السُّبْعَ مِن القُرْآنِ بِالنَّهارِ، وَالَّذِي يَقرَؤُه يُريدُ أَن يَقْرَأه بِاللَّيْلِ يَعرِضه مِن النَّهارِ لِيَكونَ أَخفَّ عليه بِاللَّيلِ، وَإذا أَراد أَن يَتَقَوَّىٰ علىٰ الصّيام أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَىٰ عَدَد أَيَّامِ الإِفْطارِ وَصامَ أَيَّامًا مِثْلَهنَّ كَراهة أن يَترُكَ شَيْئًا فَارَقَ عليه النَّبِيَّ ﷺ. =

٩٠. عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَىٰ أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُل؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّىٰ تَأكُل، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُم الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

= **في الحديث**: أَنَّ أَفْضَلَ صَوم التَّطوع هو صَوْمُ نَبِيِّ اللَّه دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وفيه: الاقتصادُ في بَعْضِ العِبادات؛ لِيَتَبَقَّىٰ بَعضُ القوَّةِ لغَيْرِها.
وفيه: بَيَانُ رِفقِ رَسولِ اللهِ ﷺ بأُمَّتِه، وَشَفَقَتِه عليهم، وَإِرشادِه إيَّاهُم إلىٰ ما يُصلحهم، وَحَقِّهِ إِيَّاهم علىٰ ما يُطيقونَ الدَّوامَ عليه، وَنهيهم عَن التَّعمُّقِ في العبادة؛ لما يُخشىٰ مِن إِفْضائه إلىٰ الملل أو تَركِ البَعضِ.

(١) صحيح البخاري (٣/٣٨) (١٩٦٨) [ش (متبذلة) لابسة ثياب البذلة وهي المهنة أي تاركة لباس الزينة. (حاجة في الدنيا) أي ومنها زينة المرأة لزوجها وهو لا يأبه لذلك. (ذي حق) صاحب حق. وكانت هذه الزيارة وهذا الحوار قبل أن يفرض الحجاب علىٰ المسلمات].
لم يَأْمُرِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الأُمَّةَ بالانقطاع للعِبادَةِ، فلا رهبانية في الإسلام كالتي ابتدعها النَّصارىٰ في دِينِهم، وفي هذا الحديثِ أَنَّه لَمَّا زار سلمان الفارسي أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد كان النبي ﷺ آخىٰ بينهما- وجد سلمانُ أُمَّ الدَّرداء مُتبذِّلَةً، يَعنِي تَلْبَسُ ثِيَابَ الخِدمةِ وعَمَلِ البيتِ وتَترُكُ التَّزيُّن، فسألها عن سَبَبِ هذه الحالة، فقالت له: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجَةٌ في الدُّنيا، يعني لا يهتم بأمور الدنيا وما يجب عليه تجاه زوجته، ثُمَّ دَخل أبو الدرداء وقد صَنَع له طعامًا، فقال له سلمان: كُل، فقال له: إني صائم، فقال سلمان: ما أنا بآكل حتَّىٰ تَأكُل، فأكل معه، فلما كان الليل ذَهَبَ أبو الدَّرداءِ يَقومُ لِيُصَلِّيَ منَ اللَّيلِ، فقال له سَلمانُ: نَمْ، فَنامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقومُ في وقت آخر، فقال له سلمانُ: =

. . . .

= نَم، فلما كان من آخرِ اللَّيل، قال سلمانُ: قُم الآنَ، فصَلَّيَا، فقال له سلمان: إنَّ لربّك عليك حقًا، ولنَفْسِكَ عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتىٰ النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النَّبيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلمان.

وفي الحديث: بَيَانُ أَنَّ للأهل حقًّا علىٰ الزوج كما أنَّ لبَدَنِه عليه حقًا.

لقد بدأ الحديث بحق الله [إن لربك عليك حقًا]؛ لأنه أوكد الحقوق وأعلاها، وأعظمها وأولاها . . ومع ذلك أبت الشريعة أن يطغىٰ علىٰ بقية الحقوق واعتبرت الزيادة فيه عن الحد نوعًا من الغلو المرفوض والطغيان الزائد الذي ينهىٰ عنه صاحبه.

ولما كان الغلو في العبادة أول ما يعود بالنقص علىٰ حق النفس والإضرار بالبدن، كان التوجيه النبوي [إن لنفسك عليك حقًا] . . أو [إن لبدنك عليك حقًا].

فإذا قلنا إن النفس تتكون من روح (قلب) وعقل وجسد، كان علىٰ الإنسان أن يوازن بين مطالب كل واحد منها، ويسعىٰ في إشباع كل جانب بما يحتاجه دون إفراط أو تفريط.

ففي جانب الروح والقلب:

عليه أن يصقلها ويغذيها بالعبادة، وأن يسعىٰ في تحصيل ما يجلب لها السكينة والطمأنينة والسعادة، بحضور مجالس الإيمان، وكثرة ذكر الرحمن، وقراءة وتدبر القرآن؛ فـ [ما اجْتَمَع قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ] (رواه مسلم).

وبذكر الله تطمئن القلوب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرَّعد: ٢٨، ٢٩].

وقراءة القرآن تملأ البيوت بالرحمات والبركات، وتطرد منها الشياطين وتملؤها بالملائكة، وتتنزل معها الرحمة والسكينة فتمتلئ بها البيوت والقلوب والنفوس.

ومع تنوع العبادات والأخذ من كل جانب منها بطرف، والإكثار من النوافل والمستحبات تسلك طريق محبة الله التي معها كل الخير «فيحبه الله فإذا أحبه كان سمعه الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنه لَيُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعَاذَه لَيُعِيذَنَّهُ].

ومع ذلك لابد من التوازن بين حمل النفس علىٰ العبادة والترويح عنها بما أحل الله ليكون عونًا لها علىٰ الجد والنشاط . . كما في حديث النبي الله ﷺ لحنظلة: [ساعة وساعة]. بمفهومها الصحيح. =

. . . .

= **وروي أنه في الزبور**: «ينبغي للعاقل أن تكون له أربع ساعات .. وذكر منها: «وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل».
وقال بعض العلماء: «روحوا عن هذه القلوب ساعة بعد ساعة؛ فإنها إذا كلت عميت».
وقال آخر: «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فروحوا عنها بطرائف الحكمة».
وكان رسول الله ﷺ أكثر الناس تبسمًا، وكان يمازح أهله وأصحابه، ولا يقول إلا حقًا.
وأما في جانب العقل:
فلابد من تغذيته بالعلوم والمعارف الدينية والدنيوية، وأن يفتح له نوافذ الفكر علىٰ كل جديد ومفيد، يقرأ في التاريخ الماضي والحاضر، ويأخذ من كل شيء أحسنه وأجمله، فلا هو منقطع عن ماضيه، ولا هو أسير لحاضره.
يتأمل في قصص الماضي وأحداث الحاضر، ويستفيد من الأحداث والتجارب، ويفتح فكره وعقله علىٰ كل مفيد ونافع، يأخذ الحسن ويدع القبيح، ويرفض الخرافات والأوهام والخزعبلات والبدع. خصوصًا في جانب الإيمان والكفر والحق والباطل. وهو في كل ذلك منضبط بضوابط شرعه وقواعده دينه.
فكما يحتاج الإنسان إلىٰ قلب سليم وروح مطمئنة، كذلك يحتاج إلىٰ فكر سديد وعقل راجح.
وكما أنه لابد من نور الذكر وسعة الصدر، كذلك لابد من قوة الفكر وروح العصر؛ فإن الأمم لا تقوم إلىٰ علىٰ علم وقوة.
وأما في جانب البدن:
فقد جاءت هذه الشريعة لتنصف الجسم والبدن، كما أنصفت العقل والروح .. **ففي** الوقت الذي كانت بعض الديانات المحرفة والمذاهب الأرضية تقوم علىٰ تعذيب البدن، وحرمانه من الطيبات والملذات والراحة زعمًا منهم أن ذلك طريق صفاء الروح وترقيها، جاء القرآن ليقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢].
وسمع الناس لأول مرة في جو الأديان [إن لبدنك عليك حقًا] (رواه البخاري).
لقد اعتنىٰ الإسلام عناية كبيرة بجسم الإنسان وصحته، وجعل من مبادئه السامية الحفاظ علىٰ الجسم السليم المعافىٰ من الأمراض بشتىٰ أنواعها، فمن حق الجسم علىٰ صاحبه أن ينظفه إذا اتسخ، وأن يقويه إذا ضعف، وأن يطعمه إذا جاع، وأن يسقيه إذا عطش، =

. . . .

= وأن يريحه إذا تعب، وأن يبحث له عن الدواء إذا مرض وأصابته الأسقام، وأن يقيه ما استطاع الأمراض ومن كل ما يؤذيه ويضره.

بل جعل الإسلام صحة الجسد ومعافاة البدن من أسباب الراحة والسعادة، فقال ﷺ: [من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافىٰ في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها] (رواه الترمذي وصححه الألباني).

ومن أجل هذه العافية شرع الإسلام النظافة، وأوجب الطهارة، وأمر بسنن الفطرة وكل أسباب النظافة؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعافىٰ إذا تعرض للأقذار باستمرار ولم ينظف نفسه، حتىٰ جاء **في الحديث**: [حق علىٰ كل مسلم في كل سبعة أيام يوم يغسل فيه رأسه وجسده] (متفق عليه).

ولأجل سلامة البدن أيضًا حرم الإسلام شرب المسكرات والمخدرات، وشرب الحشيش والدخان . . بل نهىٰ عن كل ما يضر بالبدن فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال ﷺ: [لا ضرر ولا ضرار]، لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

بل إن الله ﷻ امتدح صاحب الجسد القوي، القادر علىٰ تحمل الشدائد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقالت ابنة شعيب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، **وفي الحديث**: [المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف].

وتقوية البدن مطلب شرعي لحاجته في الصلاة والحج وطلب الرزق والسعي علىٰ المعاش وفي الجهاد في سبيل الله ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، **وفي الحديث**: [ألا إنما القوة الرمي].

وجاء في بعض الآثار: «من حق الولد علىٰ والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمي».

وروي عن عمر: (علموا أولادكم السباحة والرماية، ومروهم فليثبوا علىٰ ظهور الخيل وثبًا).

ومن أجل هذه العافية أيضًا كانت صيانة الجسم مما يهلكه أو يتعبه من أصول الشريعة ومن الضرورات الخمس التي يجب حفظها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ . . كما سبق.

ونهت الشريعة عن إنهاك هذا البدن ولو بالعبادة كما في حديث الثلاثة المشهور، =

٩١. عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدِمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟**» الطبراني(١).

٩٢. عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**» الترمذي(٢).

= وقول النبي ﷺ لهم: [ولكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني]. وفي حديث عبد الله بن عمرو السابق: [ألم أُخبَرْ بن عمرو أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قُلتُ: إِنِّي أَفْعَلُ ذلكَ، قالَ: فإنَّكَ، إِذَا فَعَلْتَ ذلكَ، هَجَمَتْ عَيْنَاكَ، وَنَفِهَتْ نَفْسُكَ، لِعَيْنِكَ حَقٌّ، وَلِنَفْسِكَ حَقٌّ، وَلأَهْلِكَ حَقٌّ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ] (راه مسلم).

فالشخصية المسلمة شخصية متوازنة متكاملة: جسم قوي، وعقل قوي، وروح قوية، هذه هي معالم الشخصية التي يريدها الإسلام. فـ[المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف] و[إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه] (رواه البخاري).

(١) الإيماء إلىٰ زوائد الأمالي والأجزاء (٥/ ٥٣٦) (٥١٠٨) والمعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٦٠) (١١١) وشعب الإيمان (٣/ ٢٧٨) (١٦٤٨) صحيح لغيره.

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦١٢) (٢٤١٦) صحيح لغيره.

قوله: «حتىٰ يسأل عن خمس» قال الطيبي ﵀ أنثه بتأويل الخصال «عن عمره» بضمتين ويسكن الميم أي عن مدة أجله «فيما أفناه» أي صرفه «وعن شبابه» أي قوته في وسط عمره «فيما أبلاه» أي ضيعه، وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلىٰ المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره. وقال الطيبي فإن قلت هذا داخل في الخصلة الأولىٰ فما وجهه؟ قلت المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه علىٰ أقوىٰ العبادة «وعن ماله من أين اكتسبه» أي أمن حرام أو حلال؟ «وفيما أنفقه» أي طاعة أو معصية «وماذا عمل فيما علم» =

٩٣. عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»** الترمذي(١).

المبحث الثامن والعشرون حق الضيف:

٩٤. عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الكَعْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِم ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يُحْرِجَهُ»** صحيح البخاري(٢).

= قال القاري: لعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب. وقال الطيبي: إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل: وعن عمله ماذا عمل به. لأنها أهم شيء وأولاه وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا تعتد به لولا العمل انتهىٰ. تحفة الأحوذي (ط السلفية) (٧/ ١٠٠).

(١) سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦١٢) (٢٤١٧) صحيح.
قوله: «لا تزول قدما عبد»، أي: من موقفه للحساب حتىٰ يسأل عن عمره فيما أفناه أفي طاعة أم معصية، وعن عمله فيم عمله لوجه الله تعالىٰ خالصًا أو رياء وسمعة.
وعن ماله من أين اكتسبه، أَمِنْ حلال أو حرام؟ وفيما أنفقه أفي البر والمعروف أو الإسراف والتبذير؟ وعن جسمه فيما أبلاه أفي طاعة الله أو معاصيه؟. تطريز رياض الصالحين (ص: ٢٧٥).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٣٢) (٦١٣٥) ومستخرج أبي عوانة (٤/ ١٩٨) (٦٤٨٦) [ش (يثوي) يقيم. (يحرجه) يضيق عليه حسًا ومعنىٰ].
«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ»: بِالرَّفْعِ أَيْ عَطِيَّتُهُ (يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ)، فِي الْفَائِقِ: الْجَائِزَةُ مِنْ أَجَازَهُ بِكَذَا إِذَا أتحفه وَأَلْطَمَهُ كَالْفَاضِلَةِ وَاحِدَةُ الْفَوَاضِلِ مِنْ أَفْضَلَ عَلَيْهِ. وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ: سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ فَقَالَ: يُكْرِمُهُ وَيُتْحِفُهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً «وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّام»، فِي النِّهَايَةِ: أَيْ يُضَافُ ثَلَاثَةَ أَيَّام فَيَتَكَلَّفُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مَا اتَّسَعَ لَهُ مِنْ بِرٍ وَإِلْطَافٍ، وَيُقَدِّمُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ مَا حَضَرَ، وَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ عَادَتِهِ، ثُمَّ يُعْطِهِ مَا يَجُوزُ بِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَتُسَمَّىٰ «الجيزَة» وَهُوَ قَدْرُ مَا يَجُوزُ بِهِ =

٩٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ بَاتَ بِهِ ضَيْفٌ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا قُوتُهُ وَقُوتُ صِبْيَانِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: نَوِّمِي الصِّبْيَةَ، وَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَقَرِّبِي لِلضَّيْفِ مَا عِنْدَكِ، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩٩] صحيح مسلم[(١)].

= الْمُسَافِرُ مِنْ مَنْهَلٍ إِلَىٰ مَنْهَلٍ (فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ): أَيْ مِمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ (فَهُوَ صَدَقَةٌ)، أَيْ مَعْرُوفٌ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِلَّا فَلَا. وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ: قَدْ صَحَّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ». قَالَ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْجَائِزَةَ بَعْدَ الضِّيَافَةِ، وَهُوَ أَنْ يُقْرَىٰ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَيُعْطَىٰ مَا يَجُوزُ بِهِ مَسَافَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ الطِّيبِيُّ: جَائِزَتُهُ إِلَخْ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ بَيَانٌ لِلْأُولَىٰ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ يُكْرِمُهُ؟ فَأُجِيبَ: جَائِزَتُهُ. وَلَابُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ زَمَانِ جَائِزَتِهِ أَيْ: بِرُّهُ وَإِلْطَافُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تُحْمَلُ عَلَىٰ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ عَلَىٰ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَيْ قَدْرَ مَا يَجُوزُ به الْمُسَافِرُ مَا يَكْفِيهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ عَلَىٰ هَذَا عَمَلًا بِالْحَدِيثَيْنِ. (وَلَا يَحِلُّ لَهُ): أَيْ لِلْمَضِيفِ (أَنْ يَثْوِيَ): بِفَتْحِ الْيَاءِ وَسُكُونِ الْمُثَلَّثَةِ وَكَسْرِ الْوَاوِ مِنَ الثَّوَاءِ وَهُوَ الْإِقَامَةُ أَيْ يُقِيمَ (عِنْدَهُ): أَيْ عِنْدَ مُضِيفِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِلَا اسْتِدْعَائِهِ (حَتَّىٰ يُحَرِّجَهُ): بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ أَيْ يُضَيِّقَ صَدْرَهُ وَيُوقِعَهُ فِي الْحَرَجِ، وَالْمَفْهُومُ مِنَ الطِّيبِيِّ أَنَّهُ بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ حَيْثُ قَالَ: وَالْإِحْرَاجُ التَّضْيِيقُ عَلَىٰ الْمُضِيفِ بِأَنْ يُطِيلَ الْإِقَامَةَ عِنْدَهُ حَتَّىٰ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧/ ٢٧٣٢).

في هذا الحديثِ أَوْصَىٰ النَّبيُّ ﷺ بإكرام الجارِ والضَّيفِ، فقال: «مَن كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليوم الآخِرِ فَلْيُكرم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكرم ضيفه جائزته»، وقد فسَّرَ النَّبي ﷺ جائزته بِأنَّها يوم وليلة، يعني: أنه ينبغي علىٰ المسلم أنْ يُكرم ضيفه زمانَ جائزته، وهي يوم وليلةٌ، ثُم قال ﷺ: «والضيافة ثلاثة أيَّام، فما كان وراءَ ذلك فهو صدقة عليه» يعني: أنَّ حقَّ الضَّيفِ هو ثلاثةُ أيَّام يتكلَّفُ فيها المضيفُ لضيافته، فإذا انقضَتِ الثلاثة الأيام فإنَّ حق الضيافة قد انقطع، وهذا الزَّائدُ يُعَدُّ صدقةً مِنَ الْمُضيف علىٰ ضيفه وليسَ حقَّ الضيافة، ثُم قال ﷺ: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، يعني: أنَّ المرء إذا أراد أنْ يَتكَلَّمَ فَليتفكَّرْ قَبلَ كلامِهِ فَإنْ علم أنَّه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجرُّ إلىٰ مُحرَّم ولا مكروه، فَلْيتكلَّمْ، وإنْ كان مُباحًا فَالسَّلامة في السُّكوتِ؛ لِئَلَّا يجر المباح إلىٰ مُحرَّم أو مكروه.

(١) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٧٥٠) (٢٠٥٤). =

٩٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَاتِلُوا النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوهَا فَقَدْ حَقَنُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا

= إنَّ مِن الأخلاق الحميدة، والمعاني النبيلة، والصّفاتِ الأصيلة، التي حَثَّ عَلَيها القُرآنُ، وسَطَّرَها الصَّحابةُ الكِرام: خُلقَ الإيثار. وفي هذا الحديثِ يَحكِي أبو هريرة رضي الله عنه أنَّه أتىٰ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، ونزَلَ ضيفًا عليه يَشكو حاله وحاجته، فَبعَثَ النَّبيُّ الله إلىٰ نسائه واحِدةً تلو الأُخرىٰ هَل عِندَها شَيْء، فكانَت كُلُّ واحِدة تَقولُ: «مَا مَعَنا إِلَّا الماءُ»، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ لصحابته الكرام رضوان الله عَلَيهِم أَجْمَعِينَ: «**مَن يَضُمُّ أو يُضيِّفُ هَذا؟**»، فَقالَ رَجُل مِن الأَنْصارِ: أنا، فانْطَلَقَ بِه إلىٰ امرأتِهِ، فَقالَ: أَكْرِمي ضَيفَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقالت: «ما عِنْدَنا إِلَّا قوتُ صِبْياني»، أي: ما عِندَهم إِلَّا عَشَاءُ تِلكَ اللَّيْلِةِ، فَقالَ لَها: «أَكْرِمي ضَيْفَ رَسولِ اللهِ ﷺ، هَيّئي طَعامَك، وأَصْبحي سِراجك»، أي: أوقديه أو نوريه، ونومي صبيانك إذا أرادوا عَشاء. «فَهَيَّأت طَعامَها، وأصبَحَتْ سِراجها، ونَوَّمَت صبيانها»، بِغَيْرِ عَشَاءٍ، ثُمَّ قامتْ كَأَنَّهَا تُصلِحُ سِراجَها فَأَطْفَأَتْه، فَجَعَلَا يُريانِه أَنَّهما يَأْكُلانِ، فَباتا طاويين «جائِعَين مِن غَيْرِ عَشَاءٍ»، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَنْصَارِيُّ غدا إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أو عَجِبَ، مِن فِعالِكما**». فَأَنزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحَشْر: ٩].

ففي الحديث: بَيَانُ حالِ رَسولِ اللهِ ﷺ وما هو عليه مِن شَظَفِ العَيشِ وقِلَّة ذاتِ اليَدِ، مع أنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ أَكْرَمُ الخَلقِ عَلَىٰ اللهِ، ولَو كانتِ الدُّنيا تُساوي عِندَ اللهِ شَيْئًا؛ لَكانَ أَبرَّ النَّاسِ بها وأَحقَّهم رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّها لا تساوي شيئًا.

وفيه: أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لَم يَعرِضْ لِغَيْرِهِ، حَتَّىٰ ذَكَرَ نِساؤُه رضي الله عنهنَّ خُلو بُيوتِهُنَّ مِن قوتٍ، فَعَرَضَ بَعدَ ذَلِكَ عَلَىٰ أصحابه.

وفيه: أَنَّه لَيْسَ مِن المَسْأَلةِ المذمومةِ عَرْضُ الضّيافةِ عَلَىٰ النَّاسِ.

وفيه: أنَّ مِن أدَبِ الضيافة أَلَّا يُري الرَّجُلُ ضَيفه أنَّه مان عليه، أو أنَّ الضَّيفَ مُضَيِّق عليه، ومُحرِجٌ لَه؛ لأَنَّ الرَّجُلَ أَمَرَ بإطفاء المصباحِ حَتَّىٰ لا يَظُنُّ الضَّيفُ أَنَّهُ ضَيَّقَ عليهم.

وفيه: مَنقبةٌ لِهَذا الرَّجُلِ الأَنْصاري وإيثاره العظيم؛ حيث بات هو وزوجته وصبيتُه مِن غَيْرِ عَشَاءٍ إكرامًا لِهَذَا الضَّيفِ الَّذِي نَزَلَ ضِيفًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وفيه: إثباتُ صِفةِ الضَّحِكِ لِلهِ ﷻ إِثْباتًا يَليقُ بِجَلالِهِ وكَمالِه مِن غَيرِ تَكييف ولا تخريف ولا تعطيل.

بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ». قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لِلضَّيْفِ عَلَىٰ مَنْ نَزَلَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ثَلَاثٌ، فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ الضَّيْفِ أَنْ يَرْتَحِلَ لَا يُؤْثِمُ أَهْلَ مَنْزِلِهِ» قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: يَعْنِي: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِشَيْءٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ فِيهِ: فَإِمَّا أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهُ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ بِهِ مَأْثَمًا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» مسند أبي يعلىٰ الموصلي[(١)].

المبحث التاسع والعشرون حق المريض:

٩٧. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمَّ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»** المستدرك[(٢)].

---

(١) مسند أبي يعلىٰ الموصلي (١٠/ ٥١٦) (٦١٣٤) صحيح لغيره.

الضيف أن يرتحل: يذهب إلىٰ جهة ثانية. لا يُؤثم: لا يحمل أهل المنزل ذنوبًا فربما قصروا في واجبه أو اغتابوه أو أظهروا له النفور من أعماله أو كلفهم فوق طاقتهم فغضبوا، وهكذا من الخواطر النفسانية التي يحركها الشيطان.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (١/ ٤٩٣) (١٢٦٨) وسنن أبي داود (٣/ ١٨٧) (٣١٠٦) صحيح.

قوله: (ما من مسلم) ما للنفي ومن زائدة (يعود مسلمًا) أي يزوره في مرضه. ولفظ الترمذي: ما من عبد مسلم يعود مريضًا لم يحضر أجله، ولفظ أبي داود من عاد مريضًا لم يحضر أجله (فيقول) أي العائد في دعاءه له (سبع مرات) هذا العدد من أسرار النبوة، فليس لأحد أن يطلب العلة لذلك أو يبحث عن السبب، وهكذا كل عدد يرد عن الشارع ﷺ (أسأل الله العظيم) أي في ذاته وصفاته (أن يشفيك) بفتح أوله مفعول ثان (إلا شفي) علىٰ بناء المجهول أي ذلك المسلم المريض. والحصر غالبي أو مبني علىٰ شروط لابد من تحققه. ولفظ الترمذي: إلا عوفي. ولفظ أبي داود: إلا عافاه الله من ذلك المرض (إلا أن يكون قد حضر أجله) أي فلا ينفعه شيء كما قال الشاعر: وإذا المنية أنشبت أظفارها ألقيت كل تميمة لا تنفع. ويمكن أن يهون الله عليه الموت ببركة هذا الدعاء». مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢٤٧).

٩٨. عَنْ ثَوْبَانَ، مَوْلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

٩٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

---

(١) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٩١٥) (٢٥٦٨) [ش (خرفة الجنة) الخرفة اسم ما يخترف من النخل حتىٰ يدرك].
عيادة المريض مِنَ الآداب التي حث عليها النَّبِيُّ ﷺ، فقال ﷺ -كما في هذا الحديث-: من عادَ مَرِيضًا، أي: زار مريضًا، لم يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجنَّة؛ فسأل الصّحابة: وما خُرْفَةُ الجنَّةِ؟ فَأَجابَ ﷺ: جَناهَا: يعني أنَّه يَجنِي مِن ثَمارِ الجنَّةِ مُدَّةَ دوامه جالسًا عند هذا المريض، أي: في روضَتِها وفي الْتِقاطِ فَواكه الجنَّةِ ومُجتَنَاهَا.
في الحديث: فَضل عيادة المريض.

(٢) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٧١٨) (٢٥٦٩).
قوله: (لوجدتني عنده)، أي: بالعلم كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].
قوله: «أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي»، أي: ثوابه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]. =

المبحث الثلاثون حق غير المسلم:

١٠٠. عَنْ عِدَّةٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» سنن

= وفيه دليل أنَّ الحسنات لا تضيع، وأنها عند الله بمكان. تطريز رياض الصالحين (ص: ٥٣٤).

عيادة المريض مِنَ الآداب التي حثَّ عليها النَّبيُّ ﷺ، وفي هذا الحديث يقول ﷺ: إنَّ الله تعالىٰ يقولُ يومَ القيامة: يا ابنَ آدم، مرضتُ فلم تَعُدني، أرادَ به مَرضَ عبده، وإنما أضاف إلىٰ نَفسِه؛ تشريفًا لذلك العبد، قال: يا ربّ، كيف أَعُودُكَ وأنتَ ربُّ العالَمِينَ؟! أي: المرضُ إنَّما يكونُ لِلمريض العاجز، وأنتَ القاهرُ القويُّ المالك؛ فكيف أعودك؟! قال: أما علمْتَ أَنَّ فلانًا عبدي مَرِضَ فلم تَعُده، أما علمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَه لَوجدْتَني عِندَه؛ والله تعالىٰ يستحيل عليه الْمَرضُ؛ لأنَّ المرضَ صِفة نقص، والله ﷻ مُنَزَّهٌ عَنْ كل نقص، لكن المرادُ بِالمرض مرَضُ عبدٍ مِن عباده الصالحينَ، وأولياء الله ﷻ هم خاصته؛ ثُمَّ يقولُ ربُّ العِزَّةِ: يا ابن آدمَ استطعمْتُكَ، أي: طلبت منك الطَّعامَ فلم تُطعِمْني؟ قال: يا ربّ، كيف أُطعمُكَ وأنتَ ربُّ العالَمينَ؟ أي: والحالُ أَنَّكَ تُطعِمُ ولا تُطْعَمُ، وأنتَ غنيٌّ قوي علىٰ الإطلاق، وإنما العاجز هو الذي يحتاج إلىٰ الإنفاق. قال: أما علمْتَ أنَّه استطعَمَكَ عَبْدِي فَلانٌ فَلَمْ تُطْعَمْهُ، أَمَا عِلمْتَ أَنَّكَ لو أطعمته لوجدْتَ ذلكَ عِندي، أي: ثوابَ إطعامه؛ ثُمَّ يقولُ ربُّ العِزَّةِ: يا ابن آدم، استسقيتُكَ، أي: طلبت منك الماء فلم تسقني؟ قال: يا ربّ، كيف أسقيكَ وأنتَ ربُّ العالَمِينَ؟! أي مربيهم غيرُ مُحتاج إلىٰ شيءٍ مِنَ الأشياء، فضلًا عَنِ الطَّعامِ والماء، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تَسقِهِ؛ أما علمْتَ أَنَّكَ لَو سَقيْتَه وجدت ذلك عندي؛ فإنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

في الحديث: بَيانُ أنَّ الله تعالىٰ عالم بالكائناتِ يَستوي في عِلْمِه الجزئيَّاتُ وَالكلِّيَاتُ.

وفيه: دليل أنَّ الحسناتِ لا تضيعُ، وأنها عندَ اللهِ ﷻ بمكان.

وفيه: فضل عيادة المريض.

وفيه: فضل الإطعام وسُقيا الماء لِلمُحتاج.

وفيه: قرب المريض مِنَ اللهِ ﷻ.

أبي داود(١).

١٠١. عَنْ أَبِي بَكْرَة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ» صحيح ابن حبان(٢).

---

(١) سنن أبي داود (٣/ ١٧١) (٣٠٥٢) صحيح لغيره.
مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا): بِكَسْرِ الْهَاءِ أَيْ: ذِمِّيًّا، أَوْ مُسْتَأْمَنًا (أَوِ انْتَقَصَهُ) أَيْ: نَقَصَ حَقَّهُ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ: عابه لما في الْأَسَاسِ اسْتَنْقَصَهُ وَانْتَقَصَهُ عَابَهُ اهـ. وَلَا يَخْفَىٰ بُعْدُهُ؛ لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِلْحَقِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي الْمَعْنَىٰ مِنَ الْمَنْهِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَفِي نُسْخَةٍ بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ: نَقَضَ الْأَجَلَ الْمَضْرُوبَ لِأَمْنِهِ وَأَمَانِهِ (أَوْ كَلَّفَهُ) أَيْ: فِي أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، أَوِ الْخَراجِ (فَوْقَ طَاقَتِهِ): بِأَنْ أَخَذَ مِمَّنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْجِزْيَةُ عَلَىٰ مَا سَبَقَ، أَوْ أَخَذَ مِمَّنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَطِيقُ، أَوْ فَوْقَ نِصْفِ الْعُشْرِ مِنْ مَالِ تِجَارَتِهِ إِنْ كَانَ ذِمِّيًّا. وَفَوْقَ عُشْرِ مَالِ تِجَارَتِهِ إِنْ كَانَ حَرْبِيًّا مُسْتَأْمَنًا (أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ): تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخصيص، أَوْ تَقْيِيدٌ وَتَأْكِيدٌ (فَأَنَا حَجِيجُهُ) أَيْ: خَصْمُهُ وَمُحَاجُّهُ وَمُغَالِبُهُ بِإِظْهَارِ الْحُجَجِ عَلَيْهِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ): وَالْحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ، يُقَالُ: حَاجَجَهُ وَمُحَاجُهُ، فَأَنَا مُحَاجٌ وَحَجِيجُ فَعِيلٌ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ كَذَا النِّهَايَةُ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٦٢٥).
قَبَّحَ الإسلامُ الظُّلْمَ، ونهىٰ عن فعله مع أي أحدٍ من المسلمين أو غيرهم.
وفي هذا الحديثِ: «ألا مَن ظَلَم»، والظُّلم هو وَضعُ الشَّيء في غَيْرِ مَوضِعِه، «مُعاهَدًا»، أي: ذمِّيًّا مِن أهل الكتاب أو مستأمنًا من المسلمين علىٰ نفسه وماله، أو انتقصه، أي: نَقص شيئًا من حقه، أو كلَّفه فوق طاقته، أي: أخذ أكثر مما هو مستحق عليه في الجزية وغيرها، أو أخذ ممن ليس عليه جزية، «أو أخذ منه شيئًا بغَيرِ طِيبِ نَفْسٍ»، أي: أخذ منه شيئًا بغير رضاه، وهو غيرُ مُستحِق لأخذه، «فأنا»، أي: النَّبِيُّ ﷺ «حَجِيجُه»، أي: خَصْمُه يوم القيامة.
وفي الحديث: الزَّجْرُ عن الظُّلم.
وفيه: بيانُ حُقوقِ المعاهد.

(٢) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٣/ ٣٠٩) (٧٣٨٢) (صحيح).
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا مَعْنَاهَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُرِيدُ جَنَّةَ دُونَ جَنَّةِ الْقَصْدِ مِنْهُ، =

١٠٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»** البخاري(١).

= الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ أَعْلَىٰ وَأَرْفَعُ يُرِيدُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالَ، أَو ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، أَوْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ الَّتِي يَدْخُلُهَا مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ تِلْكَ الْخِصَالَ، لِأَنَّ الدَّرَجَاتِ فِي الْجِنَانِ يَنَالُها الْمَرْءُ بِالطَّاعَاتِ، وَحَطُّهُ عَنْهَا يَكُونُ بِالْمَعَاصِي، الَّتِي ارْتَكَبَهَا».

(١) صحيح البخاري (٤/ ٩٩) (٣١٦٦) [ش (معاهدًا) ذميًا من أهل العهد أي الأمان والميثاق. (لم يرح) لم يجد ريحها ولم يشمها. (مسيرة) مسافة يستغرق سيرها هذه المدة].

(مقتل معاهدًا) بفتح الهاء أي عاهده المسلمون ويجوز كسرها؛ لأنه عاهدهم إذ هي مفاعلة من الطرفين وهو الذي له عهد منا وأمان، قال ابن الأثير: أكثر ما تطلق علىٰ أهل الذمة وقد تطلق علىٰ غيرهم من الكفار إذا صولحوا علىٰ ترك الحرب. (لم يرح) بفتح أوليه لم يجد. (رائحة الجنة) كناية عن عدم دخولها (وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا) وقد اختلفت أحاديث وجدان ريحها **ففي** غير هذا من مسيرة خمسمائة عام وفي غيره غير ذلك باختلاف أحوال المدركين له فمن عظم أجره تلذذ به من أبعد مدة لم تنقص علىٰ قدر أحوال الناس في الأجور، وفيه أن قتل المعاهد كبيرة وبه صرح الذهبي. التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٣٤١).

وَقَالَ الْعَسْقَلَانِيُّ: بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْيَاءِ هُوَ أَجْوَدُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ ثُمَّ الْمَعْنَىٰ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يشمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَجِدْ رِيحَهَا، وَلَمْ يُرِدْ بِهِ أَنَّهُ لَا يَجِدُهَا أَصْلًا، بَلْ أَوَّلُ مَا يَجِدُهَا سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَمْ يَقْتَرِفُوا الْكَبَائِرَ تَوْفِيقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا تَعَاضَدَتْ بِهِ الدَّلَائِلُ النَّقْلِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ، عَلَىٰ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ إِذَا كَانَ مُوَحِدًا مَحْكُومًا بِإِسْلَامِهِ لَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ، وَلَا يُحْرَمُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ التَّغْلِيظُ: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٢٦١).

أَمَرَ اللهُ تعالىٰ بالوفاء بالعُهودِ وشنَّع النَّبيُّ ﷺ علىٰ مَنْ نَقَضَ العَهْدَ الذي أعطاه الشارع الحكيم للكفارِ غَيْرِ المحاربين من أهْلِ الذِّمَّةِ والمسْتأْمَنين، فقال ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ قَتيلًا»** يعني: قَتَلَه بِغَيْرِ حَقٍ شَرْعِيّ، «من أهْلِ الذِّمَّةِ» وهم غير المسلمين الذين أعطاهم =

المبحث الحادي والثلاثون حق الرحم:

١٠٣. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**» أبو داود(١).

١٠٤. عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مِنْ أَرْبَىٰ الرِّبَا: اسْتِطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» أحمد(٢).

= المسلمون عهدًا وأمانًا، «لم يَرِحْ رائِحَةَ الجنَّةِ» يعني لم يَشَمَّ رِيحَها، «وإنَّ ريحَهَا يُوجَدُ من مسيرةِ أَرْبَعِينَ عامًا» يعني: أنَّه لن يقترب منها، وقد أمر الله تعالىٰ بالوفاء بالعُهودِ فقال: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النَّحل: ٩١]، وفي ذلك بَيانُ عَظَمةِ الإِسْلام، ورفْعَةُ مَكانَتِه، حيثُ إِنَّه يُراعي حقوق كُلّ الناس، ولو كانوا غيْرَ مُسْلِمينَ، ما داموا مُسالِمينَ لأَهْلِ الإسْلامِ، واعتباره الاعْتِداءَ عليهم جريمةٌ كُبرىٰ، بحيثُ يَسْتَحِقُ به المسْلِمُ -إذا ارْتَكَبَه- حِرْمانَ الجنَّةِ التي ثَبَتَتْ له بإسلامه، فلما اعْتَدَىٰ في الإِسْلامِ، ولم يَحْتَرِمْ حُدودَه عاقَبَه الله تعالىٰ بمَنْعِه عن الفَوْزِ بالجنَّةِ.
وفي الحديث: مَشْروعيَّةُ مُعاهَدَةِ الكُفارِ، وعَقْدِ الذِمَّةِ لهم.

(١) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ٣٤٢) (١٦٩٤) (صحيح).
صلة الرحم أجرُها كبير، وشأنها عظيمٌ عِندَ اللهِ، وقد بيَّنَ لنا النَّبيُّ ﷺ ذلك، فقال: «قال الله ﷻ: أنا الرحمن»، أي: مُتَّصِف بكثرة الرحمة وسعتِها، «وهي الرَّحِمُ»، أي: الَّتي آمركُم بِوَصلِها، والرَّحِم هي الصلةُ الَّتي تَكونُ بينَ الشَّخص وغيره، والمراد هنا الأقربون، «شققتُ لها اسمًا مِن اسْمِي»، أي: أخَذتُ لها مِن اسمي الرَّحمنِ اسمًا، «مَن وصَلَها وصلته»، أي: من أحسن إلىٰ أهله، ورَفَق بهم، وداوَمَ علىٰ الاتصال بهم، أحسَنتُ إليه ورَفَقتُ به وأنعَمْتُ عليه، «ومن قطعها»، أي: هجر أهله ولم يُحسن إليهم ويتّصل بهم، «بتته»، أي: قطعتُه مِن رحمتي وإحساني.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١/ ١٥٤) (٣٥٧) وشعب الإيمان (٩/ ٧٨) (٦٢٨٤) ومسند أحمد مخرجا (٣/ ١٩٠) صحيح. =

١٠٥. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» متفق عليه[1].

١٠٦. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمهُ وَصَلَهَا**» صحيح البخاري[2].

= قوله: (شجنة من الرحمن) قال أبو عبيد: «يعني قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، وفيها لغتان: شجنة بكسر الشين وبضمها وإسكان الجيم».

(١) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٢٩١) ٢٠٦٧-٨٢١- [ش أخرجه مسلم في البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم ٢٥٥٧ (يبسط) يوسع. (ينسأ) يؤخر. (أثره) بقية عمره. (فليصل رحمه) فليبر بأقاربه].

من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه، يشير بهذا إلىٰ أن صلة الرحم يكون من ثوابها بسط الرزق وتطويل العمر، لأنه أتي (بأو) التي تأتي للتخيير، يعني: أنه أي هذين اختار فهو حاصل له، وليس هذا مما يدل علىٰ أنه إذا كانت رغبته في أن الأجر أحدهما يحصل له؛ بل المراد: أن أي هذين أثار رغبته في صلة الرحم، فإن الثواب علىٰ صلة الرحم..

وفيه أيضًا: أن طول العمر إنما يسره عند من يسعه فيض الرزق، فلما ذكر ما يزيل التعين عن طول العمر وهو بسط الرزق، أفاد ذلك بأن من يطول عمره علىٰ صلته رحمه، فإنه يبسط له في رزقه مدة عمره ذلك الطويل، ليعلم أنه يحيا حياة طيبة ممزوجة بما تثيبها.

ويجوز أن تكون (أو) هنا بمعنىٰ (الواو)، فيكون: من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره. الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٣٢٦).

(٢) صحيح البخاري (٦/٨) (٥٩٩١) [ش (ليس الواصل بالمكافئ) أي إن الذي يصل غيره مكافأة له علىٰ ما قدم من صلة مقابلة له بمثل ما فعل ليس بواصل حقيقة لأن صلته نوع معاوضة ومبادلة. (إذا قطعت رحمه وصلها) إذا قاطعه غيره قابله بالصلة].

معنىٰ الحديث: يقول ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ» أي ليس الإنسان الكامل في صلة الرحم والإحسان إلىٰ الأقارب هو الشخص الذي يقابل الإحسان بالإحسان «ولكن الواصل» =

المبحث الثاني والثلاثون حق القرآن:

١٠٧. عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» الْبُخَارِي(١).

= أي ولكن الإنسان الكامل في صلة الرحم هو «الذي إذا قطعت رحمه وصلها» أي إذا أساء إليه أقاربه أحسن إليهم ووصلهم.

فقه الحديث: دل هذا الحديث علىٰ ما يأتي: أولًا: أن من الآداب الشرعية، والحقوق الاجتماعية التي فرضها الإسلام صلة الرحم، وهم الأقارب الذين بينك وبينهم نسب، ومعنىٰ صلتهم، الإحسان إليهم بكل ما تقدر عليه من وجوه الإحسان، قال ابن أبي جمرة: تكون صلة الرحم بالمال، والعون علىٰ الحاجة، ورفع الضرر، وطلاقة الوجه والدعاء لهم، والمعنىٰ الجامع إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وقد أكد الإسلام كثيرًا علىٰ صلة الرحم، **ففي** الحديث عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالىٰ: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته» أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. والمعنىٰ كما قال الحافظ: «أن الرحم أثر من آثار الرحمة، مشتبكة بها، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله، والله أعلم. ثانيًا: دل هذا الحديث علىٰ أن الصلة إذا كانت نظير مكافأة من الطرف الآخر لا تكون صلة كامل، لأنها من باب تبادل المنافع، وهذا مما يستوي فيه الأقارب والأباعد. ثالثًا: أنه يستحب في معاملة الأقارب مقابلة الإساءة بالإحسان، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله إنّ في قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت علىٰ ذلك» أخرجه مسلم، والمل: الرماد الحار. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٢٤٢).

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٥/ ١٥٥) وصحيح البخاري (٦/ ١٩٢) (٥٠٢٧).

وَسُمِّيَ الْكِتَابُ قُرْآنًا، لأَنَّهُ جُمِعَ فِيهِ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْقَصَصَ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَمَعْتَهُ، فَقَدْ قَرَأْتَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: ١٧] وَقَدْ تُحْذَفُ الهَمْزَةُ، فَيُقَالُ: قَرَيْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ، أَيْ: جَمَعْتُهُ، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ «الْقُرَآنُ» =

١٠٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**» البخاري[1].

= بِغَيْرِ هَمْزٍ، وَقَرَأَ بِهِ الشَّافِعِيُّ، وَقَالَ: لَيْسَ هُوَ مِنَ الْقِرَاءَةِ، إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِهَذَا الْكِتَابِ. شرح السنة للبغوي (٤/٤٢٨).

أي أفضلكم الذي جاهد نفسه في حفظ القرآن، وفهم معناه وتفسير آياته، ثم يعلمه ويوضح مجمله، ويدعو الناس إلىٰ العمل به. وذكره بعد باب الجهاد ليحث علىٰ أن التفقه في الدين، والبحث في معضلاته وشرح آياته من الجهاد في سبيل الله، وفي الحديث الحث علىٰ تعليم القرآن، وقد سئل الثوري عن الجهاد، وإقراء القرآن؟ فرجح الثاني، واحتج بهذا الحديث- قاله في الفتح.

في هذا الحديثِ يُخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ أفضل المسلمينِ وأرفَعَهم ذِكرًا وأعلاهُم عِندَ اللهِ دَرجَةً مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ؛ تِلاوةً وحفظًا وترتيلًا، وتَعلَّمه؛ فقهًا وتفسيرًا، فأصبح عالِمًا بمعانيه، فقيهًا في أحكامه، وعلم غيره ما عِندَه مِن عُلومِ القُرْآنِ مَع عمله به، وإلَّا كَانَ القُرآنُ حُجَّةً عَلَيه.

فخَيرُ النَّاسِ مَن جَمَعَ بينَ هَذينِ الوَصْفين؛ مَن تعلَّم القُرآنَ وعلَّم القُرآنَ، تَعلَّمه مِن غيرِه وعَلَّمه غيره.

قال سعدُ بنُ عُبَيدةَ: وأَقرأ أبو عَبدِ الرَّحمنِ السُّلميُّ النَّاسَ في إمرة عُثمانَ بنِ عَفَّانَ إلىٰ أن انتهىٰ إقراؤُه النَّاسَ إلىٰ زَمَنِ الحجاج بنِ يُوسُفَ التَّقَفي، وهي مُدَّةٌ طويلة، والذي حمله علىٰ ذلك هو الحديثُ الَّذي حَدَّثَ بِهِ عُثمانُ في أَفضليَّةِ مَن تعلم القرآن وعلمه، وأَقْعَده مقعده هذا، وأشار به إلىٰ مقعدِه الذي كانَ يُقرِئ النَّاسَ فيه. وقيل: إنَّه أَراد بقوله: (مَقْعَدي هذا) المقعد الرّفيع والمنصب الجليل الذي حصل له مع طول المدة ببركة تعليمه القرآن الكريم للنَّاسِ.

وفي الحديث: بَيَانُ شَرفِ القُرآنِ وفَضلِ تعلُّمه وتعليمه.

وفيه: بيان فضل حامل القرآن ومعلمه، وأنه خير المؤمنين؛ لأنه أعظمُهم نفعًا وإفادة.

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٩١) (٥٠٢٦) [ش (يهلكه في الحق) ينفقه في طاعة الله تعالىٰ وسبل الخير] =

. . . .

= **في هذا الحديث من الفقه** أنه من شرف هاتين الخلتين أتيح فيهما ما هو محظور في غيرهما، وذلك أن من آتاه الله مالًا فسلطه علىٰ هلكته في الحق فقد أهلك المهلك للناس، ومن أوتي حكمة فقضىٰ بها وعلمها فإنه قد رزق من التوفيق أن لا يشح بما آتاه من فضله.

ومعنىٰ يقضي بها أي أموره وأمور غيره، ثم إنه يعلمها الناس ليبقىٰ له بعده فيدر عليه ثوابها إلىٰ يوم القيامة، فلا لوم علىٰ من حسده لأنه لما أهلك هذا الشخص الشيء المهلك للناس وهو المال، وجاء بالشيء المنجي للعموم من الهلكة وهو الحكمة، كان نطق الحسد المذموم منقلبًا في حق ذلك الحاسد مباحًا، لأن الحاسد إنما يذم علىٰ كونه كان يحسد علىٰ ما يهلكه. فإذا حسد علىٰ ما يهلك المهلك وينجي الهلكىٰ زال المعنىٰ الذي وضع نطق الحسد له فلم يلم.

وقد قيل: إن ذكر الحسد ها هنا يجوز علىٰ ما يظنه الناس حسدًا فهو كقوله تعالىٰ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وقوله: ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فتجوز بذكر الحسد والمراد الغبطة.

والفرق بين الحسد والغبطة. أن الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود والغبطة تمني مثلها مع بقائها علىٰ صاحبها.

وقال الخطابي: (المراد بالحسد في هذا الحديث شدة الحرص والرغبة فكنىٰ بالحسد عنهما لأنهما سبب الحسد والداعي إليه). الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٤٤).

يُشير النبي ﷺ في هذا الحديث إلىٰ أنَّ الحَسَدَ أنواع مختلفة:

فمنه: حَسَدٌ مذموم محرم شرعًا، وهو أن يتمنىٰ المرء زوال النعمة عن أخيه.

ومنه: حَسَدٌ محمود مستحب شرعًا، وهو أنْ يرَىٰ نِعمةً دِينيَّةً عند غيره فيتمناها لنفسه من غير تمني زوالها عن صاحبها، وهو ما عناه النبي ﷺ بقوله: «**لا حَسَدَ إلا في اثنتين**»، أي: أنَّ الحسد تختلف أنواعه وأحكامه بِحَسَبِ اختلافِ أنواعه، ولا يكون محمودًا إلا في أمرين؛ فالأول: «**رجل علمه الله القرآن فهو يَتْلُوه آناء الليل وآناءَ النَّهارِ**»، أي: يَتْلُوه في ساعات الليل والنهار، «**فسَمِعه جار له فقال: ليتني أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فُلانٌ، فَعَمِلت مثل ما يَعمل**»، يعني: فرَتَّلْتُه وقرأته مثل هذا الرجل، «**ورجل آتاه الله مالًا فهو يُهلكه في الحقِّ**»، أي: يُنْفِقه كلَّه في الطاعات والبر، «**فقال رجل: ليتني أُوتِيتُ مِثل ما أُوتِيَ فلانٌ، فَعَمِلت مِثْلَ ما يَعمل**».

١٠٩. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ**» ابن ماجه(١).

(١) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (٦/ ١٢٠) وسنن ابن ماجه (١/ ٧٨) (٢١٥) صحيح.

[ش (أهلين) جمع أهل جمع بالياء والنون لكونها منصوبًا علىٰ أنه اسم «أن». (هم أهل القرآن) أي حفظته العاملون به. (أهل الله) بتقدير أنهم أهل الله أي أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به الذين رضي عنهم سبحانه، ومدهم بإحسانه، وأعلىٰ درجاتهم في جنته].

القرآن الكريم هو حبْلُ اللَّهِ المتين؛ مَن قرأه أو حَفِظَه، وعمل بما فيها بنيَّة صادقةٍ وقَلْبٍ مُتيقن، وجَعَلَه إمامًا له؛ فإنَّ له جزاءً عظيمًا وخصوصية عندَ اللهِ ﷻ.

وفي هذا الحديثِ يُخبرُ أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ النَّبي ﷺ قال: «إِنَّ للهِ أَهْلِينِ مِن النَّاسِ»، أي: أهلًا مِن النَّاسِ هم أولياؤه وأحبابه؛ فـ«أهلين» هم الأهل، جُمع بالواو والنون علىٰ غير قياس، وجمعه هنا إشارةً إلىٰ كثرتهم، فقال الصحابةُ رضي الله عنهم: «يا رسولَ اللهِ، مَن هم؟» فقال النَّبيُّ ﷺ: «هم أَهْلُ القُرآنِ»، أي: حَفَظَةُ القُرآنِ العاملون به، الذين يتلونه آناء الليل وأطراف النَّهارِ، وإنما يكون هذا في قارئ القُرآنِ الَّذِي انتفىٰ عنه جَورُ القَلْبِ، وذهَبَتْ عنه جناية نفسه، وتطهَّرَ مِن الذُّنوبِ ظاهرًا وباطنًا، وتزيَّنَ بالطَّاعة؛ فلا يكفي مُجرَّدُ التلاوة؛ ليكونَ مِن أهْلِ القُرآنِ، حَتَّىٰ يعمل بأحكامه، ويقف عندَ حُدودِه، ويتخلَّقَ بأخلاقه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١٢١]، «أَهْلُ الله وخاصته»، أي: وهم أولياءُ اللهِ الَّذين اختصهم بمحبَّتِه، والعناية بهم؛ سموا بذلك تعظيمًا لهم، كما يُقال: بيتُ اللهِ، وذلك أنَّ الله تعالىٰ يخصُّ بعضَ عِبادِه، فيُلْهِمُهم العمَلَ بِأَفْضَلِ الأعمال، حتّىٰ يرفع درجاتهم فوقَ كثيرٍ مِن النَّاسِ؛ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البَقَرَة: ١٠٥]. **وفي الحديث**: بيانُ فَضيلةِ حِفْظِ القُرآنِ، والقيام بما فيه مِن أحكام وأوامر ونواه.

وفيه: ترغيب كبير في أن يكون الإنسانُ مِن أهل القرآن، وفي هذا إشارة إلىٰ ذَمّ مَن هجَرَ القُرآنَ ونَسِيَه؛ فهجرُ القُرآنِ عاقبته وخيمة في الدنيا والآخرة، وهجْرُه يَشمل هجر التلاوة والحفظ، وهجر التدبرِ والعمل، والتحكيم إليه، والاستشفاء به.

١١٠. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٩٣) (٢٢٣) [ش (الطهور) قال جمهور أهل اللغة يقال الوضوء والطهور بضم أولهما إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر ويقال الوضوء والطهور بفتح أولهما إذا أريد به الماء الذي يتطهر به (شطر) أصل الشطر النصف (الصلاة نور) فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلىٰ الصواب كما أن النور يستضاء به (والصدقة برهان) قال صاحب التحرير معناه يفزع إليها كما يفزع إلىٰ البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت به (والصبر ضياء) فمعناه الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر علىٰ طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضًا علىٰ النائبات وأنواع المكاره في الدنيا والمراد أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا مستمرًا علىٰ الصواب (والقرآن حجة لك أو عليك) معناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك (كل الناس يغدو الخ) فمعناه كل إنسان يسعىٰ بنفسه فمنهم من يبيعها الله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوىٰ بإتباعها فيوبقها أي يهلكها].

هذا حديث عظيم، وأصل من أصول الإسلام، يَذْكُرُ فيه النَّبيُّ ﷺ كُل ما يُهِمُ المسلم في حَياتِهِ وآخِرَتِهِ؛ ففي ه يُخبرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ «الطُّهور»، أي: الوُضوءَ، والطَّهارة أصلُها النَّظافةُ والتَّنَزُهُ. «شَطْرُ الإيمان»، أي: نِصْفُهُ، والمراد أَنَّ الأجر في الوُضوءِ يَنتهي إلىٰ نِصْفِ أَجْرِ الإيمانِ؛ لِمَا في الإيمانِ من نظافةِ النَّفْسِ والقَلْبِ، ولِمَا فِي الطَّهارة مِن نَظافة الجَسَدِ، «والحمدُ للهِ تَملَآنِ الميزانَ»، أي: إنَّهما يُوزنانِ ويَمَلآنِ الميزانَ بالأجر والثوابِ، فترجَحُ كِفَّتُهما، «وسُبحانَ اللهِ والحمدُ اللهِ تملآن ما بَيْنَ السَّمَواتِ والأَرضِ»، أي: إنَّ أَجْرَ ذِكرَهُما يَمْلَأُ ما بَيْنَ السَّمواتِ والأرض؛ لاشتمالهما علىٰ تنزيهِ الله تعالىٰ في قوله: «سُبحانَ اللهِ»، والتفويض والافتقار إلىٰ اللهِ في قوله: «الحَمْدُ للهِ»، «والصَّلاةُ نور»، أي: يُهتدىٰ بها إلىٰ الطَّريقِ يومَ القِيامةِ كما يُهتدىٰ بالنُّورِ في الدُّنيا، «والصَّدَقةُ بُرهان»، =

المبحث الثالث والثلاثون حق العلم:

١١١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** يَعْنِي رِيحَهَا أبو داود(١).

= أي: دَليلٌ علىٰ إيمانِ المؤمِنينَ واختلافِهِمْ عَنِ المنافِقِينَ، «والصَّبْرُ ضياء»، أي: الصبر علىٰ طاعة الله تعالىٰ والصبر عن معصيته والصبر أيضًا علىٰ النائباتِ وأنواع المكاره في الدُّنيا؛ كل هذا ضياء لصاحبه، و«الصبر»: الوُقوفُ مع البلاء بِحُسْنِ الأدبِ «والقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أَو عَلَيْكَ»، أي: بتلاوته والعمل به يُصبحُ حُجَّةً مع صاحبه يومَ القيامة، وبتركه دون عمل أو تلاوة يُصبحُ حُجَّةً وحُسْرانًا علىٰ صاحبه، «كلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها أَوْ مُوبِقُها»، أي: كلُّ إنسانٍ يَسعىٰ بنفسه إلىٰ طاعةِ اللهِ فيكونُ مُنقِذًا لها مِنَ النَّار، أو يسعىٰ بنفسه إلىٰ طاعةِ الشَّيطانِ وهَواه فُيوبقها، أي: يُهلكها بدخولها النار.

وفي الحديث: فضلُ الوضوء والطَّهارة وبيانُ ما لهما مِن الأَجْرِ.

وفيه: بيان بعض الأقوال والأعمال الإيمانيَّةِ التي تُعتِقُ صاحبَها من النَّارِ.

وفيه: تنبيه علىٰ أنَّ الإنسانَ يُؤْخَّ بجريرة عمله؛ فليعمل لنفسه ما أراد..

(١) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ٨٣٤) (٣٦٦٤) (صحيح لغيره).

لطلبِ العِلْم شَرفٌ عَظِيمٌ؛ لما فيه من إقامة الدِّينِ والدُّنيا، ويَنْبَغي علىٰ مَن سَعَىٰ في تحصيله أَنْ يَبتغي به وجْهَ اللَّهِ تعالىٰ، وأنْ يَبتعِدَ عن الرِّياءِ والسُّمعة ومباهاة الناس بالعلم.

وفي هذا الحديث يقولُ النَّبيُّ ﷺ: «مَن تعلَّمَ العِلمَ لِيُباهِيَ به العُلماء»، أي: تعلَّمه مِن أجل المفاخرة والمباهاة أمام العلماء، وهذا عكس المطلوبِ مِن المرء؛ بأنْ يَعرِفَ للعُلماء حقهم وتقديرهم واحترامهم، أو «يُماري به السفهاء» المماراة: المجادلة والمحاجة، أي: لكي يُجادِلهم ويُخاصِمَهم، أو يصرِفَ به وُجوهَ الناسِ إليه، أي: لِيَلْفِتَ أنظار الناسِ إليه بقصْدِ أَنْ يُشار إليه بالعِلْم، فَمَن طَلَبَ العِلم وهو يقصد أحد هذه الأشياء، «أدخَلَه اللهُ جَهَنَّمَ»؛ لأنَّه لم يُخلص في طَلَبِ العِلْم، ولم يَجعَلْه خالصًا لوجه الله تعالىٰ، وهذا مِن الوَعِيدِ الشَّديدِ لِمَن فعَل ذلك، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ كما في =

١١٢. عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ**». صحيح ابن حبان[1].

١١٣. عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ لِإِنْسَانٍ: «إِنَّكَ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ قُرَّاؤُهُ، كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَيُضَيَّعُ فِيهِ حُرُوفُهُ، قَلِيلٌ مَنْ يَسْأَلُ، كَثِيرٌ مَنْ يُعْطِي، يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ فِيهِ، وَيَقْصِرُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، يُبْدُونَ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ قَبْلَ أَهْوَائِهِمْ، وَسَيَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ، وَيُضَيَّعُ حُدُودُهُ كَثِيرٌ مَنْ يَسْأَلُ، قَلِيلٌ مَنْ يُعْطِي يُطِيلُونَ فِيهِ الْخُطْبَةَ، وَيَقْصِرُونَ فِيهِ الصَّلَاةَ يُبْدُونَ أَهْوَاءَهُمْ قَبْلَ أَعْمَالِهِمْ» شعب الإيمان[2].

المبحث الرابع والثلاثون حق الحيوان:

١١٤. عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثُنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا**

= الصَّحيحَينِ: «**إِنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ**»، فَلْيَكُنْ قصْدُ طالِبِ العِلْمِ رفْعَ الجهل عن نفْسِه، وتَعليمَ النَّاسِ ودعوتهم إلىٰ الله، وفي رواية أبي داود وابن ماجه: «لم يَجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامة»، أي: لم يجد ريحها.

وفي الحديث: الحث علىٰ إخلاص النِّيَّةِ للهِ في طَلَبِ العلم.

وفيه: أنَّ التَّفاخُرَ والمباهاة بالعلْمِ في غَيْرِ مَوضعِه مِن أسبابِ دُخولِ النَّارِ، والعِياذُ باللهِ.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ٧٣) ٧٧- (صحيح) وأبي الزبير المكي ليس مدلسًا علىٰ الصحيح.

(٢) شعب الإيمان (٧/ ٦٢) (٤٦٤٦) والإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٩٤) (٧٥٨) والبدع لابن وضاح (٢/ ١٧٥) (٢٦٤) والزهد لهناد بن السري (٢/ ٣٥٥) والسنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٦١٨) (٢٨١) والمدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ للبيهقي (ص: ٤٥٣) (٨٥٨) صحيح لغيره.

ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» مسلم(١).

---

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٥٥٧) (١٩٥٥)- [ش (القتلة) بكسر القاف وهي الهيئة والحالة (وليحد) يقال أحد السكين وحددها واستحدها بمعنىٰ شحذها (فليرح ذبيحته) بإحداد السكين وتعجيل إمرارها وغير ويستحب ذلك أن لا يحد السكين بحضرة الذبيحة وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرىٰ ولا يجرها إلىٰ مذبحها].

في هذا الحديث قاعدة نافعة وهي الإحسان في كل شيء يستولىٰ عليه الإنسان سواء آدميًا أو حيوانًا فالله تعالىٰ قد فرض عليه الإحسان حيث يقدره الله علىٰ أي مخلوق ثم إن الرسول ﷺ أتىٰ بمثلين مثل بني آدم ومثل في الحيوانات لنأخذ من هذين المثلين نبراسًا نستضيء به عند كل شيء يحتاج إلىٰ الرفق واللين والإحسان فقال: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة» أي بأن تختاروا ما هو أخف وأسرع إزهاقًا للروح ليستريح المقتول: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة» بأن تذبحوا بآلة حادة مع الرفق بالحيوان لتستريح الذبيحة بدون تعذيب، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥].

ما يرشد إليه الحديث:

إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين لشمول الإحسان إلىٰ كل شيء.

الأمر بالإحسان وهو في كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة: الإتيان بها علىٰ وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب، وأما الإحسان بإكمال مستحباتها فمستحب، والإحسان في ترك المحرمات: الانتهاء عنها وترك ظاهرها وباطنها، وهذا القدر منه واجب، والإحسان في الصبر علىٰ المقدورات، الصبر عليها من غير تسخط، ولا جزع. والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوقهم. والإحسان الواجب في ولاية الخلق: القيام فيهم بواجبات الولاية المشروعة. والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الدواب: إزهاق نفسه علىٰ أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها، من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه.

إعداد الآلة الحادة عند إرادة ذبح الحيوان والرفق به عند ذبحه.

النهي عما كانت عليه الجاهلية من التمثيل في القتل بجدع الأنوف وقطع الآذان والأيدي والأرجل، ومن الذبح بالمدىٰ الكالة ونحوها مما يعذب الحيوان، ومن أكلهم المنخنقة، وما ذكر معها في آية المائدة.

=

١١٥. وعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّرِيد، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَىٰ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمَّ يَقْتُلْنِي مَنْفَعَةً**» ابن حبان(١).

١١٦. وعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعَنِ اللَّهُ، مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا» صحيح مسلم(٢).

= فيه دليل علىٰ رحمة الله سبحانه ولأجل ذلك كتب الإحسان علىٰ كل شيء وهذا يورث محبته سبحانه.

فيه سماحة الشريعة ويسرها حيث بنيت علىٰ الإحسان والإتقان.

قوله «كتب» (تدل علىٰ وجوب الإحسان.

الإحسان فيه معنىٰ الإتقان، فالإحسان في الذبيحة إتقان بحيث لا تطول فتتعذب. وكذلك الإحسان في كل شيء إتقانه بحسبه.

من أساليب التعليم: ذكر قاعدة ثم ضرب مثال لها أو مثالين. فالقاعدة في الحديث «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء». والمثالان هما «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة». الخلاصة في شرح الأربعين النووية (ص: ٨٨).

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٣/ ٤) ٥٨٩٤-(حسن) قال السندي: قوله: عج، أي: صاح.

(٢) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٧١٧) (١٩٥٨).

وَضَعَ الإسلامُ الأُسس للحفاظ علىٰ حقوق الحيوانِ وجَعَلَ ذلك من جُملةِ الدِّينِ والشَّرعِ.

وفي هذا الحديثِ يَنْهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ عَن جَعْلِ شيءٍ فيه رُوح غَرَضًا، أي: هدفًا النَّاسُ عليه بسهامهم بدلًا مِنَ الخَشَبِ أو الجُلُودِ، وإنَّما نَهَىٰ عَنِ اتَّخاذ الحيوانِ الحَي غَرَضًا؛ لأنَّه يَكونُ سَببًا في تعذيبِ الحيوانِ وقتله بغير فائدة، فإنَّما أَمَرَنا بذَبْحِ الحَيوانِ عَلىٰ سَبيلِ الرّفقِ ولَيْسَ علىٰ سَبيلِ العُنْفِ.

في الحديث: الرفق بالحيوان. =

المبحث الخامس والثلاثون حق اليتيم:

١١٧. عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ البخاري[1].

= **ومن فقه الحديث:**

١- أن الفتية كانوا يعلمون حرمة فعلهم وشناعة عملهم.

٢- شدة ابن عمر رضي الله عنهما وقوته في الحق ورهبة القوم منه.

٣- الرفق بالحيوان وعدم تعذيبه وعلىٰ أولياء الأمور تقع مسئولية عبث الأطفال وتعذيبهم للطيور والعصافير.

٤- كراهة صبر الحيوان وحبسه حيًا ليقتل وكذا تكتيفه مدة طويلة قبل الذبح ووضع السكين أمام عينيه إلخ.

٥- أن التمثيل بالحيوان من الكبائر إذ ورد فيه اللعن. المنهل الحديث في شرح الحديث (٤/ ١١٠).

(١) صحيح البخاري (٨/ ٩) (٦٠٠٥) [ش (كافل اليتيم) القائم بأمره ومصالحه والحافظ لأمواله واليتيم من مات أبوه ولم يبلغ. (وأشار) لبيان شدة قرب كافل اليتيم منه ﷺ. (السبابة) هي المسبحة وفي نسخة (بالسباحة). (فرج) فرق قليلًا لبيان التفاوت بين الأنبياء وغيرهم].

(أنا وكافل اليتيم) أي القائم بتربيته ومصالحه والإحسان إليه وظاهره ولو قام به من تركته (في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطىٰ وفرج بينهما: أي أن منزلة الكافل تقارب منزلته ﷺ لا تفاوت إلا بقدر تفاوت السبابة والوسطىٰ، ويحتمل أن المراد التفاوت في الدخول وفي إلحاقه بالرسول ﷺ مناسبة لأنه ﷺ أبو الأمة رباها بإحسانه إليها وبإرشادها لها أمور دينها ودنياها، فألحق به كافل اليتيم، وفيه فضيلة بالغة لكافل اليتيم. التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٢٦٩).

في هذا الحديث يقولُ النَّبيُّ ﷺ: أنَّه وكافل اليتيم، وهو المربي له القائِمُ بأَمرِه، (له) بأَنْ يَكونَ مِن قرابته. (أو لغيره) بأَنْ يَكونَ أجنبيًا بأنَّه في الجنَّةِ مُصاحبًا لَه لعِظَمِ أَجرِه عِندَ اللهِ تَعالىٰ. وأشار مالكٌ وَهُوَ إِمَامُ دَارِ الهَجرَةِ وَصاحِبُ المذهب المشهور، أشار في تِلكَ الرِّوايةِ تفسيرًا للحديث (بالسَّبَّابة والوسطىٰ) والسَّبَّابَةُ هِي الَّتِي بَين الوسطىٰ والإِبهام، وفعل ذلك ليُوضِّحَ كَلماتِ الحديثِ.

وفي الحديث: الحثُ علىٰ الإحسانِ إلىٰ اليتامىٰ وكَفَالتِهم.

١١٨. عَنْ أُمِّ سَعِيدٍ بِنْتِ مُرَّةَ الْفِهْرِيِّ، عَنْ أَبِيهَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ إِذَا اتَّقَىٰ اللَّهَ، أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**» وَضَمَّ سُفْيَانُ أَصْبُعَيْهِ. مسند الروياني(١).

المبحث السادس والثلاثون حق المال:

١١٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ مسلم(٢).

---

(١) مسند الروياني (٢/ ٤٦٣) (١٤٨٣) صحيح لغيره.

(٢) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٢٧١) (١٠١٥) [ش (إن الله طيب) قال القاضي الطيب في صفة الله تعالىٰ بمعنىٰ المنزه عن النقائص وهو بمعنىٰ القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث (ثم ذكر الرجل) هذه الجملة من كلام الراوي والضمير فيه للنبي ﷺ والرجل بالرفع مبتدأ مذكور علىٰ وجه الحكاية من لفظ رسول الله ﷺ ويجوز أن ينصب علىٰ أنه مفعول ذكر (وغذي) بضم الغين وتخفيف الذال].

يُحبنا النَّبي ﷺ في الصدقاتِ، فمَن تَصدَّق بقيمة تمرةٍ مِن كَسبِ حلال -ولا يقبَلُ اللهُ إلَّا الكسب الحلال- فالله يتقبلها بيمينه، ثمَّ يُنمّيها ويُضاعِفُ أجرَها لتثقل في الميزان، كما يُربي أحدكم مُهْرَه، حَتَّىٰ تكونَ مِثل الجبل.

والحاصل أنَّ من تصدَّق بصدقةٍ قليلةٍ خالصة من الرياء والسُّمعة من مال حلال، فإنَّ اللهَ يكبرُ صورتها، ويضاعِفُ ثوابها، ويُثقل وزها في ميزانه يوم القيامة، حتىٰ تكونَ كالجبل الضخم في صورتها ووزنها. =

١٢٠. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحم نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ»** الدارمي(١).

المبحث السابع والثلاثون حق المساجد:

١٢١. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، الثُّومِ -وقَالَ مَرَّةً-: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ»** مسلم(٢).

= **وفيه**: أنَّ الصَّدقة لا تُقبَل عند الله تعالىٰ إلَّا إذا كانت طيبةً، بأن تكونَ خالصةً لله، ومن كسب حلال.

وفيه: أنَّ الصدقة لا تُقوَّمُ بحجمها، وإنَّما تُقوَّمُ بإخلاص صاحبها، وبالمالِ الَّذِي خَرَجَتْ منه، حلالًا كان أو حرامًا.

وفيه: أنَّ الأعمال الصالحة تحوَّلُ يومَ القيامة إلىٰ أجرام ماديَّة، لها صورةٌ وحجم ووزن، فتوضَعُ في ميزان العبدِ، وتُوزَنُ في كفة حسناته.

* **في هذا الحديث من الفقه** ما يدل علىٰ أن الطيب هو الذي يطيبه الشرع؛ لأكله بالإباحة والحل، وإن كان ليس طيبًا في الطعم، فإذا أنفق العبد نفقة طيبة، كانت هي التي تزكو وتثمر، وإذا أنفق نفقة لم يطبها الشرع؛ فإنها إن كانت من عصب فهي علىٰ ملك صاحبها، فتصدق الغاصب بها لم يؤجر عليه؛ بل يكون آثمًا بالتصرف فيها.

* وأما ذكر: (الأشعث الأغبر) فالمراد به من يحج أو يغزو أو يسافر فيما دون ذلك، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، فإنه لا يجبره شعثه وغباره من إثم مطعمه ومشربه، فيرفع يديه فيقول: يا رب يا رب فأنىٰ يستجاب لذلك، أي: كيف يستجاب له، ومتىٰ يستجاب له، والقوة التي مد بها يديه نشأت عن مخالفة وعصيان. الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٢٩).

(١) سنن الدارمي (٣/ ١٨٢٧) (٢٨١٨) صحيح.

(٢) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ١٩٠) (٥٦٤).

يُعَلِّمنا النَّبِيُّ ﷺ بَعضَ الآدابِ الَّتي يجب فعلها حتَّىٰ لا نُؤذي غيرنا، منها: أنه نهانا عن أكل الثوم نِيئًا، وأنَّ مَن أَكَلَه فعَلَيه أَلَّا يَقرَبنَّ المسجِدَ؛ لئلا يُؤذي غيرَه مِن المصلين فضلًا عن الملائكة. =

١٢٢. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مَوْلَىٰ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

١٢٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلِ اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلِ: اللهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» ابن المنذر(٢).

المبحث الثامن والثلاثون حق السائل:

١٢٤. عَنْ أُمِّ بُجَيْدٍ، وَكَانَتْ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْكَ، الْمِسْكِينَ لَيَقُومُ عَلَىٰ بَابِي، فَمَا أَجِدُ لَهُ شَيْئًا أُعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِي لَهُ شَيْئًا تُعْطِينَهُ إِيَّاهُ إِلَّا ظِلْفًا مُحْرَقًا، فَادْفَعِيهِ إِلَيْهِ فِي يَدِهِ**» أَبو داود(٣).

= **في الحديث**: الأمرُ بِتَحسين الأدَبِ في حُضورِ مَواطِنِ الصَّلاةِ مِن تَعاهد الإنسانِ نفسه بترك ما يُؤذي ريحه.

(١) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ١٦٥) (٥٦٨) [ش (ينشد ضالة) يقال نشدت الضالة إذا طلبتها وأنشدتها إذا عرفتها والضالة هي الضائعة من كل ما يقتني من الحيوان وغيره يقال ضل الشيء إذا ضاع قال ابن الأثير الضالة فاعلة صارت من الصفات الغالبة تقع علىٰ الذكر والأنثىٰ والاثنين والجمع وتجمع علىٰ ضوال وقد تطلق الضالة علىٰ المعاني ومنه الحديث الحكمة ضالة المؤمن أي لا يزال يتطلبها كما يتطلب الرجل ضالته].

(٢) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٣/ ٧٠) (١٢٥٠) صحيح.

(٣) تهذيب سنن أبي داود السجستاني (علي بن نايف الشحود) (ص: ٣٣٧) ١٦٦٧- (حسن).

لظلف، قال في «القاموس»: الظلف بالكسر للبقرة والشاة وشبهها بمنزلة القدم لنا. =

١٢٥. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ**» ابن حبان(١).

١٢٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ شَيْئًا، يَا عَائِشَةُ، اشْتَرِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ،**

= في هذا الحديث تحكي أُمُّ بُجيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها -واسمها حواء، وهي من المبايعات-: «أَنَّها قالت: يا رسولَ اللهِ، إنَّ المسكين ليقوم علىٰ بابي «سائلًا، فما أَجِدُ له»، أي: للمسكين، «شيئًا أُعْطِيهِ إِيَّاه»، أي: لا أَجِدُ شيئًا أَسْتطيعُ إعطاءَهُ للمسكين؛ وذلك للفَقْرِ وقِلَّةِ ذاتِ اليدِ، فقال لها، أي: لأُمّ بُجيد: «إنْ لَمْ تَجِدي له»، أي: للسائل، شيئًا تُعطينه إِيَّاهُ، إِلَّا «ظِلْفًا» هو للبَقَرِ والغَنَمِ كالحافِرِ للفَرَسِ والقَدَمِ للإنسانِ، وجَمْعُهُ ظُلوفٍ وأَظلافٍ، «مُحَرَّقًا» مُبالغة في الإحراق، «فادْفَعيهِ إليهِ في يَدِهِ»، أي: في يد المسكين السائل، وهذه مُبالغة في غاية ما يُعطىٰ السَّائلُ مِنَ القِلَّةِ، فَلا تَرُدِّيهِ مَحرومًا بلا شيءٍ مَهْمَا أَمْكَنَ، حَتَّىٰ إنْ وَجدتِ شيئًا حَقِيرًا مِثْلَ الظُّلْفِ المحْرَقِ فَأَعْطِيهِ إِيَّاهُ، وهو أَقل ما يُمكِنُ أَنْ يُعْطَىٰ ولا يَكادُ أَنْ يَقْبَلَه المسكين ولا ينتفع به إلَّا في وقت المجاعة والشدة، وقيل: إنَّ الظُّلْف المحْرقَ كان له عِنْدَهم قَدْرٌ بِأَنَّهُمْ يَسْحَقُونَه ويَسَفُونَهُ.

وفي الحديث: الحث علىٰ الرَّحْمةِ بعبادِ اللهِ تعالىٰ، ومُراعاة خَواطرهم، والحثُّ علىٰ الصَّدَقَةِ، ولو بشيءٍ قليل.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (٢/ ٨٥) ٣٣٧٥- (صحيح).

الإسلامُ دِينُ الخلق، وقد بُعِثَ النبيُّ ﷺ ليتمم صالح الأخلاق ومكارمها، وقد حَثَّ ﷺ علىٰ كُلِّ خُلقٍ طَيِّب، كالمساعدة والبذل والعطاء وشكر المعروف، ومن ذلك ما جاءَ في هذا الحديثِ، حيثُ يَقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَكُم باللهِ فَأَعِيذُوه»، أي: مَنْ طَلَب مِنْكم وسألكم باللهِ أنْ تُعِينوه علىٰ ما وقَعَ به مِنَ الشَّرِ والأذىٰ، فقدموا له كُل العونِ والمساعدة، «ومن سألكم بالله فأَعْطُوه»، أي: ومَن طَلَب مِنْكم العطاءَ لوَجْهِ اللهِ وهو مُحتاجٌ فَأَعْطُوه؛ تَعظيمًا لِلَّهِ الَّذِي سأَلَكُم بِهِ، بقَدْرِ اسْتِطاعتِكم دونَ مَشقَّةٍ عليكم، وليس في هذا أمر لإعطاءِ مَنْ يَسأَلُ تَكثُرًا وطَمَعًا. =

يَا عَائِشَةُ لَا يَرْجِعُ مِنْ عِنْدِكَ سَائِلٌ وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحرَقٍ» شعب الإيمان(١).

المبحث التاسع والثلاثون حق الأخوة:

١٢٧. عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفق عليه(٢).

= «ومن دعاكم فأجيبوه»، أي: إلىٰ وليمة وطعام وما أشبه ذلك فَلَبُوا دَعوتَه، «ومَنْ أَتىٰ إليكُم»، أي: صَنَعَ لَكُمْ، «معروفًا»، أي: خيرًا، «فكافئوه»، أي: فجازُوه علىٰ معروفه بما يُساويه أو بما يزيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّسَاءِ: ٨٦]، «فإنْ لَمْ تَجِدوا»، أي: ما تُكافِئُوه به علىٰ ما فَعَل مِنْ مَعروفٍ، «فادْعُوا له حتَّىٰ تَعْلَموا أَنْ قَدْ كافَأْتُموه»، أي: اجتهدوا في الدُّعاء له حتَّىٰ يَصِلَ الظَّنُّ في الدُّعاءِ أَنَّه قَد وُفِي حَقَّه، وكلُّ هذا مُرْتَبِطٌ بالقَدْرة والاستطاعة وعدم الإعانة علىٰ الإثم.

وفي الحديث: الأمر بحماية من استعاذ باللهِ مِن السُّوءِ، وبإعطاء مَن طَلَبَ العطاءَ باسمِ اللهِ أو صفتِهِ سُبحانه، وبتلبية دعوة المسلم.

وفيه: الإرشاد إلىٰ شكر المعروف بالدُّعاءِ عِندَ عَدم الاستطاعة علىٰ ردّ المعروف بالمال.

(١) شعب الإيمان (٥/ ٨٣) (٣١٢٩) حسن.

(٢) الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم (ص: ٣٦) ١٣-١٢- [ش أخرجه مسلم في الإيمان باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه .. رقم ٤٥ (لا يؤمن أحدكم) الإيمان الكامل. (ما يحب لنفسه) من فعال الخير].

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث أنَّه لا يتحقَّقُ الإيمان الكامل لأحدٍ من المسلمين، حتَّىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه مِن الطاعات وأنواع الخيراتِ في الدِّينِ والدُّنيا، ويكره له ما يكره لنفسه، فإن رأىٰ في أخيه المسلم نقصًا في دينه، اجتهد في إصلاحه.

ولا يكون المؤمن مؤمنًا حقًّا حتىٰ يرضىٰ للنَّاسِ ما يرضاه لنفسه، وهذا إنما يأتي من كمال سلامة الصدرِ مِن الغِلِ والغِشِ والحسد؛ فإنَّ الحسد يقتضي أن يكرَه الحاسد أن يفوقه أحدٌ في خير، أو يساويه فيه؛ لأنَّه يُحِبُّ أن يمتاز علىٰ النَّاسِ بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أنْ يَشرَكَه المؤمنون كلُّهم فيما أعطاه الله من الخير.

١٢٨. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ**». ابن حبان(١).

١٢٩. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

---

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/١٠٨) ٢٣٥- (صحيح).
قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالنفي: كمال الإيمان . . . وقد صرح ابن حبان - من رواية ابن أبي عدي عن حسين المعلم- بالمراد ولفظه: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان) ومعنىٰ الحقيقة هنا الكمال، ضرورة أن من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرًا» انتهىٰ. «فتح الباري» (١/٥٧).
وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «(لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتىٰ يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير) هذه الرواية تبين معنىٰ الرواية المخرجة في الصحيحين، وأن المراد بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته، فإن الإيمان كثيرًا ما يُنفىٰ لانتفاء بعض أركانه وواجباته، كقوله ﷺ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)، وقوله: (لَا يُؤْمِنُ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) انتهىٰ. جامع العلوم والحكم (١٢٠).
ومعنىٰ نفي كمال الإيمان هنا: أي: الكمال الواجب فمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه كان مقصرًا بما يجب عليه من الإيمان، مرتكبًا شيئًا محرمًا، يستحق عليه العقاب. موقع الإسلام سؤال وجواب (٤/٣٢٨)، بترقيم الشاملة آليًا.

(٢) اختصار صحيح مسلم مع المتفق عليه (ص: ٧١٧) (٢٥٦٧) [ش (فأرصد) أي أقعده يرقبه (علىٰ مدرجته) المدرجة هي الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون (تربها) أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك].
في هذا الحديثِ يُخبر النبي ﷺ أنَّ رجلًا زارَ أخًا له، أي: أرادَ زِيارة أخيه المسلم في الله، في قريةٍ أُخرىٰ، أي: غير مكان الزَّائرِ؛ فَأَرصَدَ الله له علىٰ مَدرجَتِه، أي: =

١٣٠. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

= أعدَّ وهيَّأ أو أقعَدَ في طريقِهِ ملكًا، فلمَّا أتىٰ الرَّجلُ علىٰ الملكِ؛ سأله الملك: أينَ تُرِيدُ؟ فَأَجابَه أُريدُ أخًا، أي: زيارة أخ لي في هذه القرية؛ فسأله الملك: هل لك عليه، أي: علىٰ المزور من نعمةٍ تَرِبُّها؟ أي: تقوم بإصلاحها وإتمامها، أي: هل هو مَملوكُكَ أو ولدك أو غيرهما مِمَّنْ هو في نفقتك وشفقتك؛ لتحسن إليه، و«تربُّها» مِن رَبَّ فلانٌ الضَّيْعَةَ، أي: أصلحها وأتمها فأجابه الرجلُ: لا، غير أني أحببته في الله، أي: ليس لي داعية إلىٰ زيارته إلا محبتي إيَّاه في طَلَبِ مَرْضاةِ اللهِ؛ قال الملكُ لِلرَّجلِ: فَإنِّي رسولُ اللهِ إليك بأن الله قد أحبك كما أحببْتَه فيه أي: إنَّ اللهَ أحبكَ لمحبتكَ صاحبك في الله.

في الحديث: إثبات صفة الحبّ والمحبَّةِ للهِ ﷻ، علىٰ ما يليقُ به.

وفيه: فضل المحبَّةِ في اللهِ ﷻ.

وفيه: فضيلة زيارة الصالحين.

وفيه: أنَّ الآدميين قد يرون الملائكة.

(١) تهذيب صحيح مسلم- علي بن نايف الشحود (ص: ٩١٥) (٢٥٦٦) [ش (بجلالي) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا].

(لجلالي)، أَيْ لِعَظَمَتِي، أَيْ لأَجْلِ تَعْظِيم حَقِي وَطَاعَتِي، لا لِغَرَضِ دُنْيَا، فَخَصَّ الجَلَالَ بالذِّكْرِ لِدِلَالَتِهِ عَلَىٰ الهَيْبَةِ وَالسَّطْوَةِ، أَيِ الْمُنَزَّهُونَ عَنْ شَوَائِبِ الْهَوَىٰ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فِي الْمَحَبَّةِ، فَلا تَحابُّونَ إِلَّا لِأَجْلِي وَلِوَجْهِي، لَا لِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا قِيلَ: التَّحَابُّ لِلْجَلَالِ أَنْ لا يَزِيدَ الحُبُّ بِالْبِرِّ، وَلَا يَنْقُصَ بِالْجُفَاءِ، (الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي) قَالَ عِيَاضٌ: هِيَ إِضَافَةُ خَلْقٍ وَتَشْرِيف لأَنَّ الظِّلالَ كُلَّهَا خَلق اللهِ، وَجَاءَ مُفَسَّرًا فِي ظِلِ عَرْشِي فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ، وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُظِلُّهُمْ حَقِيقَةً مِنْ حَرِ الشَّمْسِ، وَوَهَجِ الْمَوْقِفِ، وَأَنْفَاسِ الْخَلائِقِ، وَهُوَ تَأْوِيلُ الْأَكْثَرِ. وَقَالَ عِيسَىٰ بْنُ دِينَارٍ: كِنَايَةٌ عَنْ كَنْهِمْ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَجَعْلِهِمْ فِي كَنَفِهِ وَسَتْرِهِ، وَمِنْهُ: السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ. وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا ظِلُّ الْعَرْشِ يَسْتَظِلُّ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ أَجْمَعُ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الظِّلالُ لا تُنَالُ إِلَّا بِالْأَعْمَالِ وَكَانَتِ الْأَعْمَالُ تَخْتَلِفُ، حَصَلَ لِكُلِّ عَامِلٍ ظِلٌّ يَخُصُّهُ مِنْ ظِلِ الْعَرْشِ بِحَسَب عَمَلِهِ، =

١٣١. عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًىٰ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّىٰ قَضَىٰ صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ، فَقَالَ: آللَّهُ؟ قُلْتُ: آللَّهُ، فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَذَبَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولَ: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِي**» ابن حبان[1].

= وَسَائِرُ الْمُؤْمِنِينَ شُرَكَاءُ في ظِلِهِ، وَهَذَا كُلُّه عَلَىٰ أَنَّ الِاسْتِظْلَالَ حَقِيقَيٌّ شرح الزرقاني علىٰ الموطأ (٤/ ٥٤١).

في هذا الحديث يُبيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أن الله ﷻ يقولُ يومَ القيامةِ، أي: علىٰ رؤوس الأشهاد؛ تَعظيمًا لبعض العِبادِ مِن العِبادِ أين المتحابُّونَ بجلالي؟ أي: بسبب عظمتي ولأجل تعظيمي، أو الَّذِينَ يكونُ التَّحاببُ بينهم؛ لِأَجْلِ رضا جَنابِي وجزاء ثوابي؛ اليومَ أُظِلُّهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظلّي، والمراد منه ظلُّ العَرْشِ- كما في حديث آخَرَ.

في الحديث: سؤال الله تعالىٰ عَنِ الْمُتحابِينَ مع علمه بمكانه؛ لِيُنادِيَ بِفَضْلِهم في ذلك الموقف.

وفيه: حث الله علىٰ التّحابِ في جَلالِه.

وفيه: فضل المحبَّة في الله ﷻ.

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٦/ ٥٤٢٦) والمسند للموضوعي الجامع للكتب العشرة (٥/ ٤١٧). وتهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ٥٧٥) (صحيح).

قَالَ أَبُو حَاتِم ﷺ: أَبُو إِدْرِيسَ الخولاني اسمه عَائذُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، كَانَ سَيّد قراء أهل الشام في زمانه، وهو الَّذِي أَنْكَرَ عَلَىٰ مُعَاوِيَة.

حقت: وجبت. والمحبة: إرادة ما تراه، أو تظنه خيرًا، أو: تعظيم في القلب يمنع الانقياد لغير محبوبه. وقد عرفها القوم وأهل التحقيق وعبروا عنها بعبارات كثيرة كل واحد نطق بحسب ذوقه، وانفسح بمقدار شوقه، وهي من الأمور الوجدانية الذوقية؛ =

. . . .

= التي إنما تعلم بآثارها، وعلاماتها، فكل من أدرك بعض علاماتها عبر بحسب ما أدركه، وهي وراء ذلك كله.

والمتحابون: تقدَّم الكلام عليه، والمتواصلون: جمع متواصل، وهو من كان بينك وبينه مواصلة، ووصلة، والوصل: ضد الهجران، يقال: وصلت الشيء بغيره، وصلًا، فاتصل به، ووصلته، وصلًا، وصلة: ضد هجرته. والمتناصحون: جمع متناصح، يقال: انتصح فلان: قبل النصيحة، وانتصحني فإني لك ناصح، وتنصح تشبه بالتنصح واستنصحه: عده نصيحًا. والنصيحة: كلمة يُعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر هذا المعنىٰ بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها، وأصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته، ونصحت له. والمتزاورون: جمع متزاور. وتزاور القوم: زار بعضهم بعضًا. واستزاره: سأله أن يزوره. والمتباذلون: جمع متباذل، بذل الشيء: أعطاه، وجاد به عن طيب نفس، أي: الذين يجود أحدهم بمال، أو غيره لأخيه في الله، والآخر كذلك. وقوله: «يغبطهم» تقدم الكلام عليه. وقوله: «النبيون، والصديقون، والشهداء» قد ذكر قريبًا، فارجع إليه، فلا حاجة إلىٰ الإعادة، والله أعلم. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية (ص: ١٢٥).

من الصِّفاتِ العَظيمةِ الَّتي تُرضِي الله المحبَّة فيه والمحبَّة في اللهِ تَكونُ خالصة من الأغْراضِ الدُّنيَويَّةِ، فهي تكون لوجه الله تعالىٰ.

وفي هذا الحديثِ يُخبرُ التَّابعي أبو إدريس الخولاني: «دَخَلتُ مَسجِدَ دِمَشْقَ بالشَّام» يُقصد بها البلاد المعروفة الآن، وهي التي تقع إلىٰ الشمال من الجزيرة العربيَّةِ وتضمُّ سُورية والأردن وفلسطين ولبنان. ودمشق المذكورة تقع بالأراضي السورية، «فإذا أنا بفتىٰ برّاق الثنايا» شَديدِ أبيض الثَّغْرِ، وقيل مَعْناهُ: كَثِيرُ التَّبسم، طَلْقُ الوَجهِ، وإذا النَّاسُ حَولَهُ، إذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه يرجعون لرأيه ومشورته، و«صدروا عن رأيه» رجعوا عن خلافهم، واتَّبعوا رأيَهُ، «فَسَأَلتُ عنه» يَستَعلمُ من هو؟ «فقيل: هذا مُعاذ بن جبل، فلمَّا كان الغد هجرت، فوجدتُه قد سَبَقَني بالهجير -وقال إسحاق: بالتهجير-»، ومعنىٰ ذلك أنه وقت يبعد عن صَلاةِ فَرضٍ قَبلَهُ، ووَقتُ نَوم النَّاسِ غالبًا؛ فالمواد بالهجير: التّبكيرُ إلىٰ الصَّلاةِ أي صلاة كانت، «ووجدته يُصلّ نفلًا»، فانتظرتُهُ حتىٰ إذا قضىٰ صلاته جئته من قبل وجهه» من أمامه، «فسلمتُ عليه؛ فقلتُ له: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله» كل هذا يتحقق معاذ رضي الله عنه ويتأكد من قوله، =

١٣٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. ابن حبان(١).

= وأن حبه له إنما هو لله، فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه» شده نحوه من وسط ثوبه ومعقده، «وقال: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: وجبت محبتي» حقت محبة الله «المحتابين في»، وهم الذين كانت قوبهم مجتمعة علىٰ المحبة في إجلال الله وتعظيمه، فلا يحبون إلا ما يحبه الله، ويبغضون ما يبغضه الله، و«المتجالسين في»، وهم الذين اجتمعوا علىٰ ذِكْرِه وعِبادَتِهِ، «والمتزاوِرين في»، وهم الذين يَزورُ بعضُهُم بَعضًا لِصِلة رحم وعِيادةِ مريض ونحوه، زيارة خالِصةً لِوَجهِ اللهِ «والمتباذلين في» وهُم الذين بذلوا أنفسهم، وأنفقوا أموالهم فيما أمر الله ﷻ وحَضَ عليه؛ فكل هؤلاء ثَبَتَتْ لهم مَحبَّةُ الله ﷻ.

وفي الحديث: بيانُ صِفَةِ مُعاذِ بنِ جَبلٍ ﵁ وبيانُ عِلمِه وفَضْلِه ورُجوع الناس إليه فيما اختلفوا فيه.

وفيه: الحث علىٰ التَّحابِ والتَّزاوُرِ وبَذْلِ النَّفْسِ والمال لله ﷻ.

وفيه: البشاشة عِندَ اللّقاء والتبشير بالخير وفضائل الأعمال.

(١) تهذيب صحيح ابن حبان (١-٣) علي بن نايف الشحود (١/ ١٧٠) (٥٧٣) (صحيح).

في هذا الحديثِ يُبَيِّنُ النَّبيُّ ﷺ فَضْلَ المحبَّةِ في الله، وأنَّها تُثْمِرُ الفلاح في الدُّنيا والآخرة، فيقول: (إنَّ مِن عبادِ اللهِ)، أي: مَنْ كَمَلَ إيمانهم وإحسانُهم لله تعالىٰ، وإضافتهم لله إضافة تشريف وتعظيم، (لأناسًا)، أي: هُم جماعة من أولياء الله تعالىٰ، الذين يُحبُّونَ في اللهِ ويُعادونَ في اللهِ، (ما هُمْ بأنبياء ولا شُهداءَ)، أي: إنَّ محبَّتهم للهِ التي ترتب عليها هذا الخيرُ العظيمُ لا لأجْلِ أنهم أنبياء أو شهداءُ، بل هُمْ بَشَرٌ كباقي البَشَرِ، وفي اقترانِ الشُّهداء بالأنبياء دليل علىٰ فضلِ الشَّهادةِ؛ حيث قُرِنّ بينها وبين مَقامِ النُّبوَّة، وهؤلاء: (يَغبطهم الأنبياء والشُّهداء يوم القيامة؛ بمكانهم من الله تعالىٰ)، أي: =

المبحث الأربعون حق الإسلام:

١٣٣. عن خالد بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٩٢] فَسَلَّمْنَا، وَقُلْنَا: أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ، فَقَالَ الْعِرْبَاضُ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا**

= لقُرْبِهِم من الله تعالىٰ يتمنَّىٰ الأنبياء والشُّهداء أن يكونوا مَكانَهم، «والغِبْطَةُ» تمني المرء النِّعمة التي عِند غيره، من غير تمني زوالها عنه؛ فهي تكون في الخير، بخلاف «الحسَدِ» فهو تمنّي النّعمة التي عِند غيره مع تمني زوالها عنه، فهو يكون في الشر.
فتعجَّب الصَّحابة لهم ولمكانتهم ومنزلتهم، فقالوا: يا رسول الله، تُخبرُنا مَنْ هُمْ؟ أي: صِفْهُمْ لَنا، وهو طلبٌ في غاية الأدب، فقال: (هُمْ قَومٌ تَحابُّوا بروح الله)، أي: تزاوَرُوا وتجالسوا وأَحَبَّ بعضُهم بعضًا في اللهِ، (علىٰ غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها)، أي: محبَّة بعضهم بعضًا ليست للقرابة والمنفعة والمصلحة؛ لأنها أغراض مُفسِدة للمحبَّة، وإنما هي خالصة لله تعالىٰ، فالمراد تحسين النية.
ثم أخبر ﷺ عن جزائهم ومنزلتهم قائلًا: (فوالله إنَّ وُجوهَهم لنورٌ)، أي: مُنيرةٌ يَعْلوها النُّورُ، وهي مُبالغة من شِدَّةِ النُّور، (وإنهم علىٰ نور)، أي: علىٰ منابر من نور، فهم نورٌ علىٰ نور، وهي بيان لحالهم ومنزلتهم عِندَ اللهِ، (لا يَخافُونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يَحزنونَ إذا حزنَ النَّاسُ)، أي: يوم القيامةِ، ثم قرأ النَّبيُّ ﷺ هذه الآية استشهادًا علىٰ قوله الأخير: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أي: إن المحبين المتقين أولياء الله تعالىٰ لا خَوْفٌ عليهم من عقاب يَلْحَقُ بهم، ولا هُمْ يُحزنون من فواتِ ثَوابهم.

بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُل مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود والترمذي(١).

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠) (٤٦٠٧) وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٤) (٢٦٧٦) وصحيح ابن حبان- مخرجا (١/ ١٧٨) (٥) صحيح.

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» عِنْدَ ذِكْرِهِ الاخْتِلَافَ الَّذِي يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَىٰ السُّنَنِ، قَالَ بِهَا، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الْآرَاءِ مِنَ الْفِرَقِ النَّاجِيَةِ فِي الْقِيَامَةِ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنِهِ.

كان النبي ﷺ يَدعو أصحابه إلىٰ الخيْرِ ويُحذِّرُهم منَ الشَّرِ، ويَعِظُهم ويُذَكِّرُهم بين الحين والآخَرَ.

وفي هذا الحديث يقول عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ، وحُجْرُ بنُ حُجْرٍ: «أتينا العِرْباض بن سارية»، أي: جئنا إليه، «وهو ممن نزَلَ فيهِ» هذه الآية: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التَّوۡبَةِ: ٩٢]، أي: لا أجد ولا أملك من المراكب من الفَرَسِ والإبل ونحوها المعَدَّةِ للجهادِ؛ لأُعطيه لكم لتجاهدوا عليها، قالوا: «فَسَلَّمْنا»، أي: أَلْقَيْنا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقلنا: «أتَيْناك زائرين وعائدِينَ»، من العيادَةِ للمَريض، «ومقتبسين»، أي: مُحصلين نورَ العِلمِ مِنكَ، فقال العِرْباضُ: «صلىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا»، أي: بوجهه، «فوَعَظنا موْعِظَةً بليغةً»، أي: حدثنا وذكرنا بقول موجز وفيه معان كثيرة، «ذرَفَتْ منها العُيونُ»، أي: سالَتْ منها الدموع، «ووجلتْ منها القلوب»، أي: خافت ورهبت.

قال: «فقال قائل»؛ من الحاضرين: «يا رسول الله، كأَنَّ هذه موعِظة مودع»، أي: موعِظَةُ مُسافِرٍ عند الوداع، «فماذا تَعْهَدُ إلينا؟»، أي: بماذا تُوصِي إلينا؟ فقال: «أُوصيكم بتقوىٰ الله»؛ وذلك بفعل الواجباتِ وترك المحرَّماتِ، «والسَّمْع والطاعة»، أي: للأمراء، «وإنْ عبْدًا حبشِيًّا»، أي: وإن كان هذا الأميرُ أو الوالي عبْدًا حَبَشِيًّا؛ «فإِنَّه مَن يعش منكم بعدي»، أي: بعد موتي، «فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا»؛ في الدِّينِ، وغيره، ثمَّ أَرشَدَهم النبي ﷺ إلىٰ أنفع علاج عند وقوع الاختلافِ الكثير، فقال: «فعليكم بسنتي»، أي: طريقتي وتهجي، «وسُنَّةِ الخلفاء المهديّينَ الرَّاشِدِينَ»، أي: الَّذِينَ هَداهُم الله وأَرْشَدَهم إلىٰ الحَقِّ، والمقصود بهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر الصديق، وعُمرُ بنُ الخَطَّاب، وعُثمانُ بنُ عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، «تمسكوا بها»، أي: بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء، وأَفْرَدَ لفظ (بها) مع أنَّها تعود علىٰ اثنتين؛ لأنهما =

. . . .

= كشيءٍ واحدٍ، «وعَضُّوا عليها بالنواجذ»، أي: آخِرِ الأضراس؛ يعني بذلك الجد في لزوم السُّنَّةِ والتمسُّكِ بها، «وإيَّاكم»، أي: احذروا واجْتَنِبوا، «ومُحدَثاتِ الأُمور»، أي: الأُمورِ الَّتي تَحدُثُ بعد ذلك وتُخالِفُ أَصْلَ الدِّينِ؛ «فَإِنَّ كلَّ مُحْدَثة» في دِينِ اللهِ وشرْعِهِ، «بِدْعَة»، أي: طريقة مخترعة في الدِّينِ، «وكل بدعةٍ ضَلالَةٌ»، أي: موجِبَةٌ للضَّلالة والغوايَةِ، ويَضِلُّ بها صاحِبُها.

وفي الحديث: الحث والتأكيدُ الشَّديدُ علىٰ التمسُّكِ بسنة النبي ﷺ وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين، والنهي عن الابتداع في الدِّينِ والتحذيرُ الشَّديد من ذلك.

في هذا الحديث أن الرسول ﷺ وعظ يومًا أصحابه موعظة سالت منها الدمع من العيون وخافت منها القلوب خوفًا شديدًا لشدة تأثيرها في النفوس ولما حاك في صدورهم من أنها موعظة مودع منه لأهل الدنيا فطلبوا منه الزيادة في الوصية فأوصاهم بتقوىٰ الله ﷻ التي هي وصية الله الأولين والآخرين وأن يسمعوا ويطيعوا لولاة الأمور وأن يتمسكوا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وأن يبالغوا في التمسك بها بكل ممكن وبكل سبب وأن لا يتبعوا آراء أهل البدع والأهواء والمقاصد الفاسدة فإن من اتبع هؤلاء فقد ضل وخسر.

ما يرشد إليه الحديث:

(١) المبالغة في الموعظة، لما في ذلك من ترقيق القلوب، فتكون أسرع إلىٰ الإجابة. بالغة في الموعظة لما في ذلك من ترقيق القلوب وقبولها للحق.

(٢) الاعتماد علىٰ القرائن في بعض الأحوال، لأنهم إنما فهموا توديعه إياهم بإبلاغه في الموعظة أكثر من العادة.

(٣) إنه ينبغي سؤال الواعظ للزيادة من الوعظ والتخويف.

(٤) من أعلام النبوة إخباره ﷺ بما يقع بعده في أمته من كثرة الاختلاف- ووقع الأمر كذلك.

(٥) الأمر بتقوىٰ الله والسمع والطاعة، وفي هذه الوصية سعادة الدنيا والآخرة، أما التقوىٰ فهي وصية الله للأولين والآخرين، وأما السمع والطاعة فيهما تنتظم مصالح العباد في معاشهم، ويستطيعون إظهار دينهم وطاعاتهم.

(٦) التمسك بالسنة والصبر علىٰ ما يصيب المتمسك الأذىٰ. في ذلك.

(٧) التحذير من ابتداع الأمور التي ليس لها أصل في الشرع، أما ما كان مبنيًا علىٰ قواعد الأصول ومردودًا إليها. فليس ببدعة ولا ضلالة. =

. . . .

= (٨) شرف الخلفاء الراشدين وفضلهم واتباع سنتهم.
(٩) أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولًا وخالفه فيه غيره كان المصير إلىٰ قول الخليفة أولىٰ.
(١٠) ينبغي للإنسان أن يستمع المواعظ بين فترة وأخرىٰ لأنها نافعة للقلب.
(١١) علىٰ الإمام وطالب العلم والعالم أن يتعاهدوا الناس بالمواعظ كما كان يفعل ﷺ مع الصحابة ﵃.
(١٢) الموعظة يجب أن تكون بليغة قوية تؤدي هدفها ولذلك علىٰ الإنسان أن يختار ألفاظها ويحسن قصدها لعل الله أن ينفع بها.
(١٣) فيه بيان لعلاقة القلب مع الجوارح فمتىٰ تأثر القلب وخشع تأثرت العيون فذرفت وبكت من خشية الله.
(١٤) فقه الصحابي العرباض بن سارية ﵁ حيث قدم قوله «وجلت منها القلوب» علىٰ قوله «ذرفت منها العيون» لأن القلب هو الأصل.
(١٥) خشية الصحابة ﵃ لربهم سبحانه، فبسماعهم المواعظ تذرف عيونهم وتوجل قلوبهم.
(١٦) البكاء في مجالس الوعظ والذكر إذا غلب علىٰ الإنسان لا يكون رياءً، كما بكىٰ الصحابة ﵃ في حديث الباب.
(١٧) الكلام النافع هو الذي يخالط القلب فيؤثر عليه لصدق قائله وإخلاصه في نصحه.
(١٨) فهم الصحابة وفطنتهم لما قال ﷺ، ولذلك قالوا «يا رسول الله كأنا موعظة مودع» ففهموا من خلال الألفاظ أنها وصية مودع، وهذا الفهم يحصل بالتركيز والانتباه، أما السهو والغفلة أثناء الوعظ فتضيع الفائدة علىٰ صاحبها.
(١٩) يشرع للمسلم أن يطلب الوصية من غيره، ويجب علىٰ الآخر أن ينصح له في وصيته ولا يغشه فيها.
(٢٠) علىٰ الإنسان أن يتحرىٰ أهل العلم والفضل ويطلب منهم النصيحة لأن نصيحتهم ووصيتهم أفضل من غيرهم.
(٢١) أعظم الوصية علىٰ الإطلاق الوصية بتقوىٰ الله لأنها تعني فعل الطاعات وترك المنهيات، فهي الدين بكامله. =

. . . .

= (٢٢) دل علىٰ وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، حيث أكد ذلك بقوله «وإن تأمر عليكم عبد».

(٢٣) السمع والطاعة لولي أمر المسلمين من تقوىٰ الله ﷻ، فيطاع عبادة لله ولذلك ذكر ﷺ السمع والطاعة بعد قوله «أوصيكم بتقوىٰ الله».

(٢٤) ضابط طاعة ولي أمر المسلمين ما كان في حدود تقوىٰ الله سبحانه، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا الضابط والقيد يؤخذ من الربط بين قوله ﷺ «أوصيكم بتقوىٰ الله» مع قوله ﷺ «والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد».

(٢٥) الحديث يعالج تفرق وشق الصف وذلك بالاجتماع علىٰ تقوىٰ الله وعلىٰ إمام واحد.

(٢٦) يعتبر الحديث من معجزاته ﷺ لقوله «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا» وهذا ما حدث بعد وفاته بزمن من تفرق ووجود اختلاف.

(٢٧) كلما زاد البعد عن الرسالة النبوية كلما زاد الاختلاف لغلبة الجهل «فإنه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا».

(٢٨) ذكر في الحديث علاجًا للفتن والافتراق والاختلاف بين المسلمين، ويتلخص العلاج في أمور:-

الأولىٰ: تقوىٰ الله «أوصيكم بتقوىٰ الله» الثانية: السمع والطاعة «والسمع والطاعة» الثالثة: التمسك بالسنة «فعليكم بسنتي». الرابع: هجر البدع «وإياكم ومحدثات الأمور».

(٢٩) دل علىٰ حجية سنة الخلفاء الراشدين لأن النبي ﷺ نص عليها «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين».

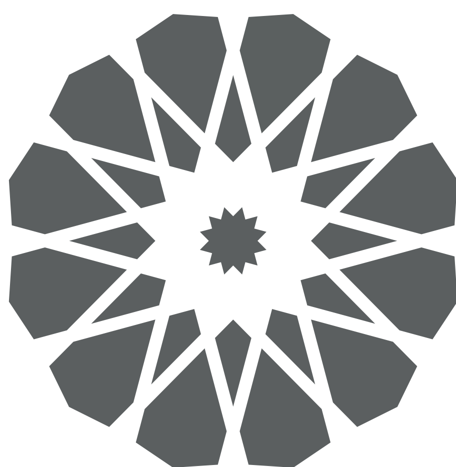
(٣٠) فيه تزكية للخلفاء الأربعة رضي الله عنهم أجمعين لقوله «الراشدين المهديين».

(٣١) في الحديث التشديد علىٰ التمسك بالسنة وذلك: -لقوله «فعليكم بسنتي»: **ففي ها** أمر. -ولقوله «عضوا عليها»: فلفظ العض يدل علىٰ التمسك في معناه -ولقوله «النواجذ» وهي الأضراس وهي أقوىٰ الأسنان، فيشعر ذلك بقوة التمسك.

(٣٢) في الحديث التشديد علىٰ هجر البدع، وذلك: -لقوله «إياكم»: وهي كلمة تحذير. -ولقوله «كل»: وهي من ألفاظ العموم وقد أضيفت لما بعدها «بدعة» فاجتمع صيغتان للعموم «كل» والإضافة. -ولقوله «ضلالة»: وهي وصف لجميع البدع بالضلال، وهذا من الذم والتحذير. الخلاصة في شرح الأربعين النووية (ص: ١٣٠).

الباب التاسع

تزكية النفس



أهمية تزكية النفس وخطر إهمالها

لتزكية النفس منزلة عظيمة في دين الإسلام، وممَّا يدل علي اهميتها أن الله تعالىٰ نسب تزكية النفوس إلي نفسه.

حيث قال تعالي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّسَاءِ: ٤٩].

وكان من دعائه ﷺ: «**اللَّهم آت نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها**»[(١)].

وكان رسول الله ﷺ في خطبة الحاجة يقول: «**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا**»[(٢)].

• وممَّا يدل علي أهميتها أنَّ الله ﷻ نسبها تارةً أخري إلي رسول الله ﷺ فهي من وظائفة الأولىٰ.

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٤].

• ومما يدل علىٰ أهميتها أن الفلاح جزاء من زكَّي نفسه، وأن الخيبه

---

(١) رواه أحمد (١٩٥٢٣)، ومسلم (٢٧٢٢) في الذكر، والترمذي (٣٥٦٧) في الدعوات، والنسائي (٨/ ٢٦٠) في الاستعاذة.

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٩)، ومسلم (٨٦٨)، والترمذي (١١٠٥)، وقال: حديث حسن، ورواه غيرهم.

جزاء من أهملها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

• ومما يدل علىٰ أهميتها ما جاء في الحديث الصحيح علىٰ لسان نبينا محمد ﷺ: «**ثلاث من فعلهنَّ فقد ذاق طعم الإيمان: مَنْ عبدَ الله عز وجل وحده وأنه لا إله إلا هو، وأعطي زكاة مالهِ طيبةً يها نفسها رافدةً عليه في كل عام . . . ، وزكيَّ نفسه**».

فقال رجل: وما تزكية النفس؟

فقال ﷺ: «**أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان**»(١).

• وهي بهذا المعني أعلي مراتب الدين وهو إلاحسان.

ففي حديث عمر بن الخطاب ﷺ الصحيح عن رسول الله ﷺ عندما جاء جبريل ﷺ وسأله عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم قال: «ما الإحسان؟» قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(٢).

وصحَّ عن حصين بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال له: «**يا حصين كم تعبد اليوم إلهًا؟**»، قال: سبعةً، ستاً في ألارض، وواحدًا في السماء، قال: «**فأيُّهُم تُغِد لرغبتك ورهبتك؟**» قال: الذي في السماء قال: «**يا حصين أما إنَّك لو أسلمت عَلَّمتك كلمتين تنفعانك**»، قالَ: فلمَّا أسلم حصين؛ قال: يا رسول الله عَلِّمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: «**قل: اللَّهم ألهمني رشدي وأعذني من شرَّ نفسي**»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير (ص١١٥)، والبيهقي في السنن (٤/ ٩٥)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني -رقم (١٠٤٦)، وصحيح الجامع (٣٠٤١).

(٢) رواه مسلم رقم (٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٨٣)؛ وقال: هذا حديثٌ غريب، والنسائي (٩٩٣/ ٩٩٤) في عمل اليوم =

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالىٰ: «اتَّفق السالكون إلي الله تعالىٰ أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلي الرب، ولا يوصل إليه إلَّا بعد تركها، ومخالفتها، والظفر بها»[١].



= والليلة، والحاكم في المستدرك (١/ ٥١٠)، وصححه ووافقه الذهبي. وهو عند ابن حبَّان ايضًا برقم (٨٩٩).

(١) انظر: إغاثة اللَّهفان (١/ ٧٥)، ط. دار الباز، وهو هنا يتصرف.

التوازن والاعتدال في قيادة النفس

الناس في قيادة النفس علي قسمين:

• قسم أرخي للنفس قيادتها، وتركها تسير علىٰ هواها وما تشتهيه؛ فأرودته المهالك والخسران في الدنيا والآخره.

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «الناس علىٰ قسمين: قسم ظفرت به نفسه، فملكته وأهلكته، وصار طَوْعًا لها تحت أوامرها، وقسم ظفروا بنفوسهم، فقهروها، فصارت طوعًا لهم منقادةً لأوامرهم.

قال بعض العارفين: انتهي سفر الطالبين إلي الظفر بأنفسهم، فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ -٤١]»[(١)].

• ومنهم من بالغ في قهرها حتىٰ ظلمها، كمن يعاقب نفسه علي المعاصي بإهلاك نفسه او جزءًا منها؛ فقد حدث أن رجلًا من بني إسرائيل حوَّل رِجْله لينزل إلي امرأة، ففكر وقال: ماذا أردت أن تصنع؟ فلما أراد أن يعيد رجله قال: هيهات! رِجْلٌ خرجت إلىٰ معصية الله لا ترجع معي، فتركها حتىٰ تقطَّعت بالمطر والرياح، وآخر نظر إلي امرأة، فلطم عينه حتىٰ بُقرت؛ فهذا كلُّه خطأ وجهل.

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٧٥).

وفي ذلك يقول ابن الجوزي -رحمه الله تعالىٰ-: «رُبّ شدٍّ أوجب استرخاءً، ورُبَّ مضيَّق علىٰ نفسه فرَّت منه، فصعب عليه تلافيها؛ وانَّما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها علىٰ مكروهها في تناول ما ترجو من العافية، ويُذَوَّب في المرارة قليلًا من الحلاوة؛ فكذلك المؤمن العاقل لا يترك لجامها ولا يهمل مقودها، بل ليرخي لها في وقتٍ، والطول بيده، فما دامت علي الجادة لم بضايقها في التضييق عليها، فإذا رآها قد مالت ردَّها باللطف، فإذا وَنتْ[1] وأَبتْ فبالعنف»[2].

وهنا لا بأس من الإشارة إلىٰ المعاقبة المحمودة والمذمومة:

فالعقوبة المذمومة هي: معاقبة النفس بما يؤدي إلىٰ ضررٍ بالجسم أو إيذاءٍ له؛ مثل: الامتناع عن الطعام، وتعذيب عضو من الجسد كما ذكرنا.

وأمَّا العقوبة المحمودة: فهي إلزام النفس بشيء يشقُّ عليها فعله، ويترتب علي ذلك الفعل اجرٌ.

كأن يكون عملًا صالحًا؛ مثل: الصدقه، أو الصيام، أو قيام ساعاتٍ من الليل، أو الذكر، ونحو ذلك.

ودليل ذلك ما ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه خرج ذات يوم إلي بستان له وانشغل به؛ ففاتته صلاة الجماعة عصرًا، فتصدق بذلك البستان كله.

---

(١) وَنَتْ: أي ضعُفت.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي (ص٧٠)، ط. دار الكتاب العربي.

والمنهج القويم هو: الاعتدال والتوسط

وقد قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: «إنَّ لربك عليك حقًّا، وإنَّ لأهلك عليك حقًّا، وإنَّ لنفسك عليك حقًّا، فأعْط كلَّ ذي حقًّ حقَّه»؛ فقال ﷺ: «صدق سلمان»[١].

وفي الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتخوَّلُنا بالموعظة مخافة السآمه علينا»[٢].

أي: أنه يراعي الأوقات في تذكيرهم وموعظتهم، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا يملوا، والضابط في ذلك الحاجة مع مراعاة وجود النشاط.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدِّين يُسْرٌ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا، وقَاربُوا، وأبْشروا، واستعينوا بالغدْوة والرَّوْحة وشيء من الدلجة[٣]. والقصْدَ القصْدَ تبلغوا»[٤].

أي: استعينوا علىٰ طاعة الله ﷻ بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير غي هذه الأوقات، ويستريح في غيرها حتىٰ يصل إلىٰ مقصوده بغير تعب.

وحديث الثلاثة الذين جاؤوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٢٤٣)، في كتاب الصوم.

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٥)، في كتاب العلم، ومسلم برقم (٢٨٢١).

(٣) الغدوة: سير أول النهار، والرَّوحة: آخر النهار، والدلجة: آخر الليل.

(٤) رواه البخاري (١/ ١٥) في كتاب الإيمان، وكتاب الرقاق (٧/ ١٨٢)، ومسلم برقم (٢٨١٦).

روىٰ البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﵁ أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلىٰ بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تَقَالّوها.

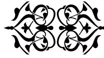
فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه ما تأخر؟

قال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ؛ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).



(١) رواه البخاري (٦/١١٦) في كتاب النكاح، ومسلم برقم (١٤٠١) مختصرًا.

محاسبة النفس

محاسبة النفس هي واحدة من الأساليب العلمية في تزكية النفس؛ والتي منها كذلك: العلم النافع، والعمل الصالح، وصحبة الصالحين، والزواج، والتفكر في المخلوقات، وتذكر الموت وأهوال القيامة، والمطالعة في نصوص الترغيب والترهيب.

والمراد بمحاسبة النفس: النظر والتأمل فيما عمل المسلم من أعمال، وما قدَّم من خيرٍ او شرَّ، مع النظر في النية والقصد، وحساب الربح والخسائر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «هذه الآية تدل علىٰ وجوب محاسبة النفس»[١].

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الاعمال الصالحة ليوم مادِكُم وعرضِكُم علي ربِّكُم»[٢].

وقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**الكيِّس من دان نفسه**

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٨٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٨٦)، ط. ابن حزم.

وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنَّي علىٰ الله الأماني»[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيَّنوا للعرض الأكبر، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]»[٢].

وعن الحسن البصري -رحمه الله تعالىٰ- قال: «لا تلقىٰ المؤمن إلَّا يحاسب نفسه، ماذا أردتِ تعملين؟ وماذا أردتِ تأكلين؟ وماذا أردتِ تشربين؟ والفاجر يمضي قُدُمًا قُدُمًا لا يحاسب نفسه»[٣].

وعنه رحمه الله ايضًا أنه قال: «إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة همه»[٤].

وقال ميمون بن مهران: «لا يكون الرجل تقيًّا؛ حتىٰ يكون لنفسه محاسبًا محاسبة الشريك لشريكه»[٥]، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوّان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

وروي أحمد عن وهب قال: مكتوب في حكم داود عليه السلام: «حقٌّ علىٰ العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات:

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٤)، والترمذي برقم (٢٥٧٧)، وقال: حدبث حسن، وابن ماجه برقم (٤٢٦٠)، والحاكم (١/ ٥٧)، (٤/ ١٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد (ص١٧٧)، ط. دار الكتاب العربي، والترمذي (٤/ ٥٥٠)، وابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٢٨٦).

(٣) انظر: محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص٣١ -٣٤)، ط. مكتبة الفرقان.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

- ساعة يناجي فيها ربه.

- وساعة يحاسب فيها نفسه.

- وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه، ويَصْدُقُونه هن نفسه.

- وساعة يتخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل؛ فإنَّ هذه الساعة عونًا علي تلك الساعات، وإجمامًا للقلوب»[١].

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحم الله عبدًا قال لنفسه: ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم دمَّها، ثم ألزمها كتاب الله ﷻ فكان لها قائدًا»[٢].

ومحاسبة النفس نوعان:

نوع قبل العمل[٣]:

وهو أن يقف عند اوَّل همِّه وإرادته، ولا يبادر العمل حتىٰ يتبيَّن له رجحانه علي تركه.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر».

وللمحاسبة قبل العمل مراتب؛ منها:

١- أن يسأل نفسه: هل هو مقدور عليه أم لا؟

٢-أن يسأل نفسه: هل فعله خير أم شر له؟

٣- أن يسال نفسه: هل يريد به وجه الله ﷻ أو لا؟

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٧٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ٧٩).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٨١) بتصرف.

والنوع الثاني: محاسبة بعد العمل[١]:

ولها مراتب:

١- محاسبتها علي فعل الفرائض.

٢- محاسبتها علي ترك المناهي.

٣- محاسبتها علي الغَفَلات.

فرأس المال لشركة النفس-والتي تضم الروح والجسد والعقل والقلب - رأس مالها الفرائض، وربحها الطاعات والقربات، وخسارتها الذنوب والمعاصي.

وأفضل أوقات المحاسبة عندما يريد النوم، فيقوم بمحاسبتها عند ذلك؛ لأنه يحصي علىٰ نفسه أعمال يومه، ليعرف الربح من الخسارة؛ فهذه محاسبة يومية.

وهناك محاسبة أسبوعية في آخر الأسبوع، وقت الراحة والاستجمام.

وهناك محاسبه سنوية عند نهاية العام يراجع فيها نفسه.

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة، يحاسب فيها نفسه علي ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدِّد له توبةً نصوحًا بينه وبين الله، فينام علي تلك التوبه، ويعزم علي أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات علي توبة، وإن استيقظ استيقظ مُسْتَقْبلًا للعمل مسرورًا بتأخير أجله حتىٰ يستقبل ربه، ويستدرك ما فات»[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٨٣).

(٢) الروح لابن القيم (ص٧٩)، ط. دار العلوم الحديثة

ومما يساعد علي صفاء الذهن ساعة المحاسبة أن يخلو وحده.

قال مسروق -رحمه الله تعالىٰ-: «إن المرء لحقيقٌ أن يكون له مجالس يخلو فيها، يتذكر ذنوبه ويستغفر منها»(١).

ومما يُرغب في محاسبة النفس: تذكر الحساب الأكبر؛ قال تعالي: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالي: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال النبي ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**»(٢).

• والناس مع الحساب أصناف:

١- **صنف يدخلون الجنه بغير حساب**: ففي الصحيحين يقول الرسول ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**».

قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين لا يسترقون، ولا يتطيَّرون، ولا يكتوون، وعلىٰ ربِّهم يتوكلون**»(٣).

٢- **وصنف يحاسبون حسابا عسيرًا**: قال تعالي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وفي صحيح البخاري ومسلم، يقول ﷺ: «**من نُوقش الحساب عُذِّب**»(٤).

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٢٦)، ط. دار الفكر.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط برقم (١٨٥٩)، وقال المنذري في الترغيب: لا بأس بإسناده إن شاء الله.

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٤) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

مجاهدة النفس

قال الله تعالي: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «قيل: عني به جهاد الكفار؛ وقيل: هو إشارةٌ إلىٰ امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهىٰ الله عنه؛ أي: جاهدوا أنفسكم في طاعة الله، وردُوها عن الهوي، وجاهدوا الشيطان في ردِّ وسوسته، والظَّلمة في ردِّ ظلمهم، والكافرين في ردِّ كفرهم»(١).

وقال الله تعالي: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال الحافظ ابن القيم: «علَّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هدايةً أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوي، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سُبُلَ رضاه الموصلة إلي الجنة»(٢).

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**المجاهد من جاهد نفسه في الله** ﷻ»(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (٦/٦٦)، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) الفوائد لابن القيم برقم (ص٥٩)، ط. مكتبة الرياض الحديثة.

(٣) رواه الترمذي برقم (١٦٢١)، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠)، وصححه ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «النفس جَبَلٌ عظيم شاق في طريق السير إلي الله ﷻ، وكل سائر لا طريق له إلَّا علي ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير علىٰ من يَسَّره الله عليه، وفي ذلك الجبل أوديةٌ وشعاب ولصوصٌ يقطعون علىٰ السائرين، فإذا لم يكن معهم عُدَدُ الإيمان، ومصابيح اليقين تتقد بزيت الإخبات، وإلا تعلَّقت بهم الموانع وتشبثت بهم تلك القواطع، وحالت بينهم وبين السير، فإنَّ أكثر السائرين فيه رجعوا علىٰ أعقابهم لما عجزوا عن قطعه واقتحام عقباته، والشيطان علي قمة ذلك الجبل يحذِّر الناس من صعوده وارتفاعه وبخوِّفهم منه، وكلما رقي السائر في ذلك الجبل اشتدَّ به صياح القاطع وتحذيره وتخويفه؛ فإذا قطعه وبلغ قمته انقلبت تلك المخاوف كلهنَّ أمنًا، وحينئذٍ يسهل السير، وتزول عنه عوارض الطريق ومشقة عقاباتها، ويرىٰ طريقًا واسعًا آمنًا يفضي به إلي المنازل والمناهل، فبين العبد وبين السعادة والفلاح قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب»[١].

الحالات التي تنتهي إليها معركة المجاهدة مع النفس[٢]:

الحاله الأولي: تغلُّب داعي الدين علىٰ داعي الهوىٰ.

الحالة الثانية: تغلُّب الهوي علىٰ داعي الدين.

الحالة الثالثة: أن تكون الحرب سِجَالًا، فتارةً يغلب هذا وتارةً يغلب ذاك، وهذه حال أكثر المؤمنين الذين خَلَطوا عملًا صالحًا وآخر سيئا.

---

(١) مدارج السالكين (٢/٧،٨)، ط. دار الكتاب العربي.

(٢) عدة الصابرين لابن القيم (ص٢٧ -٣٠)، ط. بيروت، وهو هنا بتصرف.

طريق المجاهدة:

١- المداومة علي العمل الصالح، الذي يمدُّ العبد بالهمة علي مجاهدة نفسه.

٢- البعد عن مواطن المعاصي، والحذر من مجالسة رفقاء السوء.

٣- التدرج في مجاهدة النفس وتدريبها.

٤- معاقبة النفس والتشديد عليها.

٥- ترويح النفس بين الحين والآخر ببعض المباحات للتقوِّي بها علي الطاعات.



أحوال النفوس

١- النفس الأمارة بالسوء:

وهي المذمومة؛ لأنها تأمر صاحبها بكل سوء إلَّا إنْ عصمه الله تعالي.

قال الله ﷻ عنها: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يُوسُف: ٥٣].

فالوصف الأول: أنها أَمَّارة؛ أي: كثيرة الأمر لا تمل ولا تتعب.

والوصف الثاني: أنها أمّارة بكلِّ سوء من الأقوال والأفعال والنيات.

ثم جاء الاستثناء: إلَّا ما رحم ربي، وقد قال سبحانه: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٢- النفس اللوَّامة:

ومن رحمة الله أن النفس ترتقي إلىٰ حالة تعود فيها إلىٰ فطرتها النقيَّة، وهي النفس اللوَّامة؛ ولذلك أقسم الله بها.

قال ﷻ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القِيَامَة: ٢].

قال سعيد بن جبير: **قلت لابن عباس**: ما اللوَّامة؟ **قال**: هي النفس اللؤوم(١).

(١) تفسير إبن كثير (٨/ ٣٦٦٦).

وقال مجاهد: هي التي تندم علىٰ ما فات وتلوم عليه[(١)].

٣- النفس المطمئنة:

وهي أعلي درجات النفس؛ فهي التي اطمأنت بطاعتها لله، وسَلَّمت بوعده، ورضيت بقضائه، وتوكَّلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفَجْر: ٢٧-٣٠].

والمطمئنة: المصدِّقة المطمئنة إلي ما وعد الله، الراضية بقضاء الله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال**: «المطمئنة: المصدقة»[(٢)].

وعن قتادة قال: «هو المؤمن اطمأنت نفسه إلي ماوعد الله»[(٣)].

وعن مجاهد قال: «هي النفس الراضية بقضاء الله التي علمت انَّ ما اخطأها لم يكن ليصيبها، وما أصابها لم يكن ليخطئها».

قال الحافظ ابن القيم: «النفس قد تكون تارةً أمارة، وتارةً لوامة، وتارةً مطمئنة؛ بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها هذا، وإنَّ الحكم للغالب عليها من أحوالها»[(٤)].

وقال الحافظ اين القيم: «أمَّا النفس الأمَّارة؛ فالشيطان قرينها وصاحبها، فهو يَعدُها، ويمنّيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويزيِّنه، ويمدها بأنواع الإمداد والباطل من الأماني الكاذية، والشهوات

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٠)، ط. دار الفكر، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٧، ٥٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٩٠)، ط. دار الفكر، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٥٧، ٥٨).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٧٦، ٧٧)، وهو هنا بتصرف.

المهلكة، ويستعين عليها بهواها إرادتها، فمنه يدخل عليها كل مكروه»[1].

قال الله ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قال رسول الله ﷺ:

«**إن للشيطان لَمَّة بابن آدم، وإن للملك لمَّة، فأما لمَّة الشيطان، فإيعادٌ بالشرِّ، وتكذيب بالحق، وأما لَمَّة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنَّه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الآخر؛ فليتعَّوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[2].

وهكذا يتبين أهمية تزكية النفس ومجاهدتها؛ حتىٰ ينال العبد السعادة في الدنيا والآخرة بإذن الله ﷻ.



(١) الروح لابن القيم رحمه الله (٢٧٧)، ط. دار العلوم الحديثة.

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٩٩١) في التفسير، وقال: حسن غريب، وأخرجه الطبري برقم (٦١٧٠)، وابن حبَّان برقم (٩٩٧) في كتاب الرقاق.

ما تزكو به النفس

تزكو النفس بالأعمال الصالحة وإدامة الاتصال بشعب الإيمان، مخلصًا في الطاعة مستغفرًا تائبًا من الذنب، صابرًا في الضراء شاكرًا في السراء.

مستعملًا نعم الله في طاعة الله، عبد شكور، له ساعة يستجم فيها لكنه مع ذلك قد عمر حياته بالطاعة والإيمان، فيصيب العبد سهمًا من كل طاعة، لا يخلو يومه من بضعة أعمال من شعب **الإيمان مثل**:

الخوف من الله، الرجاء، التوكل، الصبر، الرضا بالقضاء، محبة الله، محبة النبي ﷺ، المحبة في الله والبغض في الله، تعظيم الله وأوامره، حفظ حدود الله، سلامة الصدر، الطهارة، حسن الخلق، الرحمة، التواضع، الرفق، الحياء، العفاف، حسن العهد، بر الوالدين، صلة الأرحام، الإحسان بين الزوجين، العناية بالأبناء، إطعام الطعام، إكرام الضيف، الزيارة في الله، توقير الكبير، العناية بالمستضعفين، ذكر الله، طلب العلم، تعليم الناس، الدعاء، الاستغفار، الصلاة علىٰ النبي، الإصلاح بين الناس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الهجرة والفرار من الفتن، أداء الأمانة، حفظ اللسان، إفشاء السلام، عيادة المريض، الصلاة علىٰ الميت واتباع الجنازة، الإقراض، الوفاء بالقرض، الذبح، حفظ الأيمان، كتابة الوصية، إماطة الأذىٰ عن الطريق . . . إلخ.

هذا هو طريق تزكية النفس وتطهيرها وإصلاح فسادها وعيبها، والعلو بها نحو درجات الأولياء المقربين لرب العالمين.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن تَبعَ منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال ﷺ: ما اجتمعْنَ في امرئ إلا دخل الجنَّة».

فعلىٰ العبد الاقتصاد في العبادة:

قال تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: «**مَا هَذَا الْحَبْلُ؟**» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[١].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما العبادات فما كان منها خارجًا عن حكم الله ورسوله بالكلية، فهو مردود علىٰ عامله، وعامله يدخل تحت قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]. فمن تقرَّب إلىٰ الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلىٰ الله، فعمله باطل مردود عليه، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مُكَاءً وتصدية، وهذا كمن تقرّب إلىٰ الله تعالىٰ بسماع الملاهي أو بالرقص . . .»[٢].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (١/ ١٠٩٩).

(٢) «جامع العلوم والحكم»، (ص: ٦٠).

العبادة جوهر التزكية(١)

إنما تزكو النفس بالأعمال الصالحة وإدامة الاتصال بشعب الإيمان، مخلصًا في الطاعة مستغفرًا تائبًا من الذنب، صابرًا في الضراء شاكرًا في السراء.

مستعملًا نعم الله في طاعة الله، عبد شكور، له ساعة يستجم فيها لكنه مع ذلك قد عمر حياته بالطاعة والإيمان، فيصيب العبد سهمًا من كل طاعة، لا يخلو يومه من بضعة أعمال من شعب **الإيمان مثل**:

الخوف من الله، الرجاء، التوكل، الصبر، الرضا بالقضاء، محبة الله، محبة النبي ﷺ، المحبة في الله والبغض في الله، تعظيم الله وأوامره، حفظ حدود الله، سلامة الصدر، الطهارة، حسن الخلق، الرحمة، التواضع، الرفق، الحياء، العفاف، حسن العهد، بر الوالدين، صلة الأرحام، الإحسان بين الزوجين، العناية بالأبناء، إطعام الطعام، إكرام الضيف، الزيارة في الله، توقير الكبير، العناية بالمستضعفين، ذكر الله، طلب العلم، تعليم الناس، الدعاء، الاستغفار، الصلاة علىٰ النبي، الإصلاح بين الناس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الهجرة والفرار من الفتن، أداء الأمانة، حفظ اللسان، إفشاء السلام، عيادة المريض، الصلاة علىٰ الميت واتباع الجنازة، الإقراض، الوفاء بالقرض، الذبح، حفظ الأيمان، كتابة الوصية، إماطة الأذىٰ عن الطريق ... إلخ.

---

(١) هو والذي يليه، مزج بين متفرقات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلامه من أحسن وأسلم ما كُتب في هذا الباب.

هذا هو طريق تزكية النفس وتطهيرها وإصلاح فسادها وعيبها، والعلو بها نحو درجات الأولياء المقربين لرب العالمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن تَبِعَ منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمَن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال** ﷺ: **ما اجتمعْنَ في امرئ إلا دخل الجنَّة**».

هذا هو الطريق الاحب المستنير لتطهير النفس وتزكيتها، إغناء القلب واللسان والجوارح بعبادة الإله العظيم القاهر.

والعبادة لغة: معناها الذل، يقال: طريق معبد إذا كان مذللا، ولكن العبادة المأمور بما تتضمن معنىٰ الذل، ومعنىٰ الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له.

شمولها:

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة .. والزكاة .. والصيام .. والحج وصدق الحديث .. وأداء الأمانة .. وبر الوالدين .. وصلة الأرحام .. والوفاء بالعهد .. والأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. والجهاد للكافرين والمنافقين .. والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل .. وإعداد القوة .. وإحياء العلم .. وإقامة الذكر .. وأمثال ذلك من العبادات وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه .. وإخلاص الذين له، والصبر، والحكمة، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه .. وأمثال ذلك في العبادة لله.

غايتها:

والعبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية عنده والتي خلق الخلق لها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وبها أرسل جميع الرسل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠] وذم المتكبرين عن عبادته بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] ووصف ملائكته بذلك ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] وقد نعت نبيه محمد بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وقال في الإيحاء: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ وقال في الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]. وقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٢]

العبادة المتعلقة بالألوهية:

العبادة من العبد، لمولاه أن يفرده بالعبادة، فلا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه وهو متعلق بإلاهيته، ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) بخلاف من يقر بربوبيته، ولا يعبده أو يعبد معه إلها آخر.

فالإله الذي يؤلهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام والخسوف والرجاء ونحو ذلك.

وهذه العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها وكما وصف المصطفين وبها بعث رسله.

العبادة الكونية:

العبادة الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر، ومثل هذه العبودية، لا تفرق بين أهل الجنة والنار، ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ٢٥]. فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ويشهدها، يشهد هذه الحقيقة وهي (الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبار والفاجر وإبليس معترف بهذه الحقيقة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦] وأهل النار يعترفون كذلك ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها، ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية، التي هي عبادته المتعلقة بإلاهيته، وطاعة أمره، وأمر رسوله، كان من جنس إبليس وأهل النار.

ومن توهم أن المخلوق يخرج عن هذه العبودية فهو من أجهل الخلق وأضلهم.

العبادة الخالصة الصائبة:

وهي التي تكون لله حسب أمره ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] فالعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة، فسبحان الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح.

وأما قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ فهو إخلاص الدين لله وحده وكان عمر بن الخطاب يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيها شيئا.

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إذا كان العمل خالصا .. ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا. ولم يكن خالصا لم يقبل، حتىٰ يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون علىٰ السنة.

فائدة:

فإن قيل: فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة فلماذا عطف عليها غيرها؟ كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقول نوح: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨] وكذلك قول غيره من الرسل؟؟

قيل: هذا له نظائر كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] والبغي من المنكر.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] من أعظم التمسك بالكتاب. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة.

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله:

إن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازدادت درجته، ولذلك أخبر سبحانه أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالىٰ مخاطبة الإنسانية جميعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلىٰ عبادة الله، كقول نوح ومن بعده عليهم السلام: ﴿فاعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هو في المسند عن ابن عمر عن النبي (ﷺ) أنه قال: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتىٰ يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار علىٰ من خالف أمري).

وقد بين الله تعالىٰ أن عباده هم الذين ينجون من السيئات فقال الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤١] وقال في حق يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وبالعبادة نعت كل من اصطفىٰ

من خلقه كقوله: - ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٤٥-٤٧].

عبادة الأطماع والأهواء

ورد في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «تعس عبد الدرهم .. تعس عبد الدينار .. تعس عبد القطيفة. تعس عبد الخميصة .. تعس وانتكس .. وإذا شيك فلا انتقش، إن أعطي رضي، وإن منع سخط».

فسماه النبي (ﷺ) عبد الدرهم .. وعبد الدينار .. وعبد القطيفة .. وعبد الخميصة. والنقش إخراج الشوكة من الرجل، و(المنقاش) ما يخرج به الشوكة.

وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه .. وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه (إذا أعطي رضي، وإذا منع سخط) .. كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التَّوْبَة: ٥٨].

فرضائهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقا برئاسة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ولهذا يقال:

العبد حر ما قنع　　　والحر عبد ما طمع

ومما قيل:

أطعت مطامعي فاستعبدتني　　　ولو أني قنعت لكنت حرًا

ويقال: «الطمع غل في العنق، قيد في الرجل، فإذا زال الغل من العنق زال القيد من الرجل».

ويروىٰ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «الطمع فقر، واليأس غنىٰ، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنىٰ عنه» وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه، فإن الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه، ولا يطمع به، ولا يبقىٰ قلبه فقير إليه، ولا إلىٰ من يفعله، وأما إذا طمع في أمر من الأمور، ورجاه تعلق قلبه به فصار فقيرا إلىٰ حصوله، وإلىٰ من يظن أنه سبب في حصوله، وهذا في المال والجاه وغير ذلك، فالعبد لابد له من رزق، وهو محتاج إلىٰ ذلك فإذا طلب رزقه من الله صار عبدا لله فقير إليه، وإن طلبه من مخلوق صار عبدا لذلك المخلوق إليه.

﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]

فالخلاصة أن العبادة تبنىٰ علىٰ ثلاثة أركان:

(١) **كمال الحب** للمعبود سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٢) **كمال الرجاء**، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(٣) **كمال الخضوع والخوف** من الله سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

المسألة الخامسة: شروط قبول العبادة وبيان أقسامها.

والعبادة لا تقبل إلا بشرطين:

(١) **الإخلاص لله تعالىٰ**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

(٢) **المتابعة للرسول ﷺ**، فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

ومن الآيات الجامعة لهذين الشرطين قوله تعالىٰ في آخر سورة الكهف: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والعبادة بحسب ما تقوم به من الأعضاء علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات القلب، كالتصديق الجازم بأخبار الوحي، وكالمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية والرهبة والتوكل ونحو ذلك.

القسم الثاني: عبادات اللسان، كالحمد والتهليل والتسبيح والاستغفار وتلاوة القرآن والدعاء ونحو ذلك.

القسم الثالث: عبادات الجوارح، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والصدقة والجهاد، ونحو ذلك.

• وما تقدم في معنىٰ العبادة يدل علىٰ أن لها خصائص لا بد أن تتوفر فيها، ويعد الإخلال بهذه الخصائص إخلالًا في العبادة نفسها، وإخلالًا بمضمونها، فمن هذه الخصائص:

١- أنها حق لله، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، أي يخلصوا له العبادة.

٢- أن مصدرها الكتاب والسنة.

٣- أن مبناها علىٰ الإخلاص، وتوحيد القصد.

٤- لابد في العبادة من الذل والخضوع لله مع تمام المحبة: قال تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال أيضًا: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وقال أيضًا: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وقال أيضًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

٥- أنها توقيفية، أي لا يمكن فيها الإحداث من غير دليل..

الكلام علىٰ منزلة العبودية:

من أخص خصائص العبودية الافتقار المطلق إلىٰ الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبد كمالُه في حاجته إلىٰ ربِّه وعبوديتِه وفقرِه وفاقتِه، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل، وصدور ما يحوجه إلىٰ التوبة والاستغفار، مما يزيده عبوديةً وفقرًا وتواضعًا»(١).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «حقيقة الفقر: أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله، وإذا كنت لنفسك فثَمَّ ملك واستغناء مناف للفقر».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلىٰ الله في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلىٰ الله تعالىٰ من كل وجه»(٢).

---

(١) طريق الوصول ص٨٦.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤١١. بتصرف يسير.

فالافتقار إلىٰ الله تعالىٰ أن يجرد العبد نفسه من كل حظوظها وأهوائها، ويقبل بكليته إلىٰ ربه ﷻ متذللًا بين يديه، مستسلمًا لأمره ونهيه، معلقًا قلبه بمحبته وطاعته، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

كيف يحقق العبد هذه المنزلة:

أولًا: إدراك عظمة الخالق وجبروته: فكلما كان العبد أعلم بالله تعالىٰ وصفاته وأسمائه، كان أعظم افتقارًا إليه، وتذللًا بين يديه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو معرفة الله، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع».

ثانيًا: إدراك ضعف المخلوق وعجزه:

يقول تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٥-١٠].

قال الحافظ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... من عرف قدر نفسه وحقيقتها، وفقرها الذاتي إلىٰ مولاها الحق، في كل لحظة ونفس، وشدة وحاجتها إليه، عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه، في كل لحظة ونفس ...»(١).

(١) مدارج السالكين: ١/ ١٦٤.

من علامات الافتقار[1]:

العلامة الأولىٰ: غاية الذل لله تعالىٰ مع غاية الحب:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما ازداد القلب حبًا لله ازداد له عبودية، وكلما ازداد له عبوديةً ازداد له حبًا وحريةً عما سواه، والقلب فقير بالذات إلىٰ الله من جهتين: من جهة العبادة، ومن جهة الاستعانة والتوكل، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يلتذ ولا يُسر ولا يطيب ولا يكون مطمئنًا إلا بعبادة ربه والإنابة إليه ...»[2].

العلامة الثانية: التعلق بالله وبمحبوباته:

ولذلك تجد صاحب هذه المنزلة في كل شأنه متعلقًا بالله، في بيته يعمل بما يرضي الله، في تجارته، وفي وظيفته، وفي كلامه، وفي جلوسه.

العلامة الثالثة: مداومة الذكر والاستغفار:

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

العلامة الرابعة: الوجل من عدم قبول العمل:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت رسول الله صلىٰ عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال: «**لا يا ابنة الصديق؛ ولكنهم الذين**

(١) الافتقار لب العبودية، بتصرف.

(٢) رسالة العبودية لشيخ الإسلام ص٩٧. ط المكتب الإسلامي.

يصومون ويصلون يتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات» رواه الترمذي[١].

العلامة الخامسة: تعظيم الأمر والنهي:

ذلك أن تعظيم الأمر والنهي من تعظيم الآمر والناهي، قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].



(١) الترمذي، ح٣١٧٥.

محبة الله عماد الأمر كله

محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين. وكل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة، إما مذمومة أو محمودة، وجميع الأعمال الدينية والإيمانية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله ﷻ.

وإن قلوب المحبين تنجذب إلىٰ محبة الله لما اتصف به سبحانه من الصفات التي يستحق لأجلها أن يحب ويعبد. ولا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده.

فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته، والرب تعالىٰ هو الذي يجب أن يحب لنفسه، وكل محبوب، سواء إن لم يحب لأجله فمحبته فاسدة.

وإنما نحب الأنبياء والصالحين تبعا لمحبته، فإن من تمام حبه حب ما يحبه، وهو يحب الأنبياء والصالحين، ويحب الأعمال الصالحة، فحبها لله هو من تمام حبه، وأما الحب معه فهو حب المشركين الذين يحبون أندادهم كحب الله.

الحب في الله:

إنك إذا أحببت الشخص لله كان الله هو المحبوب لذاته، فكل ما تصورته في قلبك تصورت محبوب الحق فأحببته، فازداد حبك، كما إذا

ذكرت النبي (ﷺ) والأنبياء قبله والمرسلين وأصحابهم الصالحين وتصورتهم في قلبك، فإن ذلك يجذب قلبك إلىٰ محبة الله، والمحب لله إذا أحب شخصا لله فإن الله هو محبوبه.

محبة الإحسان:

إن من أحب إنسانا لكونه أحسن إليه فما أحب في الحقيقة إلا نفسه وقد جبلت النفوس علىٰ حب من أحسن إليها، لكن هذا في الحقيقة إنما هو محبة الإحسان لا نفس المحسن، ولو قطع ذلك لاضمحل ذلك الحب، وربما أعقب بغضاء، فإنه ليس لله ﷻ، فإن الذي أحب إنسانا لكونه يعطيه، فما أحب إلا العطاء ومن قال إنه يحب من يعطيه الله فهو كذب ومحال وزور من القول، وكذلك من أحب إنسانا لكونه ينصره إنما أحب النصر لا الناصر، وهذا كان من أتباع من تهوىٰ الأنفس، فإنه لم يحب في الحقيقة إلا ما يصل إليه من جلب منفعة أو دفع مضرة، فهو إنما أحب تلك المنفعة ودفع تلك المضرة، وإنما أحب ذلك لكونه وسيلة إلىٰ محبوبه، وليس هذا حبا لله ولا لذات الحبوب، وعلىٰ هذا تجري عامة محبة الخلق بعضهم مع بعض، وهذا لا يثابون عليه في الآخرة ولا ينفعهم، بل ربما أدىٰ ذلك إلىٰ النفاق والمداهنة، فكانوا في الآخرة من الأخلاء الذين بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. وإنما ينفعهم في الآخرة الحب في الله والله وحده. وأما من يرجو النفع والنصر من شخص ثم يزعم أنه يحبه لله فهذا من دسائس النفوس ونفاق الأقوال.

وليس معنىٰ ذلك أن تغمط المحسن في إحسانه فعن النبي ﷺ: «من أحسن إليكم فكافؤه فإن لم تستطيعوا فقولوا له جزاك الله خيرا، حتىٰ تعلموا أنكم قد كافأتموه».

العطاء لله والمنع لله:

ونبينا ﷺ كان يعطي المؤلفة قلوبهم، ويدع آخرين هم أحب إليه من الذي يعطي موكلا لهم ما في قلوبهم من الإيمان، وإنما كان يعطي المؤلفة قلوبهم لما في قلوبهم من الهلع والجزع، ليكون ما يعطيهم شيئا لجلب قلوبهم إلىٰ أن يحبوا الإسلام فيحبوا الله، فكان مقصوده بذلك دعوة القلوب إلىٰ حب الله ﷻ وصرفها عن ضد ذلك، وكان يمنع أقواما خشية أن يكبهم الله علىٰ وجوههم في النار، فمنعهم بذلك العطاء عما يكرهه منهم فكان يعطي لله ويمنع لله، وقد قال: (من أحب لله وأبغض لله وأعطىٰ لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان). وفي صحيح البخاري عنه (صلىٰ الله عليه وسلم) أنه قال: «إني والله إنما أنا قاسم لا أعطي أحدا ولا أمنع أحدا، ولكن أضع حيث أمرت».

علامتان لأهل محبته:

جعل الله لأهل محبته علامتين هي:

(١) اتباع الرسول.

(٢) والجهاد في سبيل الله، ولهذا قال تعالىٰ في الاتباع: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فإن الرسول يأمر بما يحب الله ونهي عما يبغضه الله، ويفعل ما يحبه الله ويخبر بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر ويتأسىٰ به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله، فيحبه الله.

وعن الجهاد قال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم

مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وذلك لأن الجهاد حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان.

فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد كان دليلا علىٰ ضعف محبة الله ورسوله في قلبه، ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالبا إلا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة.

الخلة:

والخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه، وهذا الكمال حصل لإبراهيم ومحمد (ﷺ) وقد ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) من غير وجه أنه قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وقال: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل، إذ الخلة لا تحتمل الشركة فإنه كما قيل في المعنىٰ: «قد تخللت مسلك الروح مني . . . وبذا سمي الخليل خليلا».

بخلاف أصل الحب فإنه (ﷺ) قد قال في الحديث الصحيح في الحسن والحسين (اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما).

وسأله عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قال: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: «**عمر بن الخطاب فعد رجالا**».

وقال في علي ﷺ: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وأمثال ذلك كثير.

تكميل المحبة

فتكميلها بثلاثة أمور:

(١) أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب مما سواهما.

(٢) أن يحب المرء لا يحبه إلا الله.

(٣) أن يكره العودة إلىٰ الكفر أعظم من كراهته الإلقاء في النار وقد ثبت في الصحيحين عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقىٰ في النار**».

أخبر النبي (ﷺ) أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، لإن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهىٰ.

أدعياء المحبة

ادعىٰ قوم حبهم لله وهم يفعلون الكبائر ويصرون عليها، والله يبغض من يصنع ذلك، ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره، مع مداومته عليه، وعدم تداويه منه بصحة مزاجه.

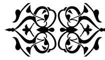
وقد ندد الله باليهود والنصارىٰ في قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه قال تعالىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [المَائِدَة: ١٨] فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسبة النبوة، بل يقتضي أنهم مربون مخلوقون، ولو تدبر هؤلاء الحمقىٰ ما قص الله في كتابه من قصص الأنبياء، وما جرىٰ لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء تمحيصا وتطهيرا لهم، علموا بعض ضرر الذنوب بأصحابها ولو كانوا أرفع الناس مقامًا ولهذا كانت محبة هذه الأمة الله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة في ذلك أصحاب محمد (ﷺ)، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل، فأين هذا من قوم يدعون المحبة؟ فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهو موافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض والله يحب الإيمان والتقوىٰ ويبغض الكفر والفسوق والعصيان.

من يحبهم الله:

أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحسب المتطهرين، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح: (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) إنه بقدر تكميل العبودية لله تكمل محبة العبد لربه، وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا.

وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك. وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل.

فالدنيا ملعونة ما فيها إلا ما كان لله، وإلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع، فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله، بل لا يكون الله إلا ما جمع الوصفين أن يكون لله، وأن يكون موافقة لمحبة الله ورسوله، وهو الواجب والمستحب كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه عن عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبته غيره، إذ ليس عند القلب لا أحلىٰ ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلىٰ الله، فيصير القلب منيبًا إلىٰ الله خائفا منه راغبا راهبًا له، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: ٣٣] إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ومحبه إلا وهو بين خوف ورجاء قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].



القلب رقته وأسبابها

اعلم أنَّ الله تعالىٰ خلقنا لغاية عظيمة وحكمة جليلة، ألا وهي عبادته ﷻ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال عزّ مِن قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ولكن لابد أن تعلم أيضًا أنك لن تحقَّقَ بجوارحك هذه العبودية التي أمر الله بها إلا إذا سعيتَ في صلاح قلبك الذي هو ملك الأعضاء، كما قال النبي ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[(١)].

فإذا صلح القلب صلحت سائر الجوارح، فقام اللسانُ بالدَّعوة إلىٰ الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن والدعاء والذكر والإصلاح بين الناس وكف الأذىٰ، وتجنّب الكذب والغيبة والنميمة والسب واللعن والشتم والقذفَ وسائر الآفاتِ؛ لأنَّ القلب الصحيحَ السليم أصدر له الأوامر بذلك. وكذلك فإنَّ البصر حينها لا ينظر إلىٰ ما حرَّم الله النظر إليه، سواء كان مباشرةً أو عبر الوسائل المختلفة؛ مثل القنوات الفضائية الهابطة، والمواقع السيئة علىٰ شبكة

(١) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير ﵄.

الإنترنت، والصور الفاضحة التي يتم تبادلها عبر أجهزة الهاتف الجوال، وغير ذلك من الوسائل التي تمرض القلب والعياذ بالله؛ لأنَّ العبد يتأثر قلبه بالمعاصي، كما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشرِبَها نُكِت فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلبٍ أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتىٰ تصير علىٰ قلبين: علىٰ أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخرُ أسود مربادًّا كالكوز مجخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرِب من هواه**»[1]، نسأل الله السلامة والعافية.

وإذا مات القلبُ هلك صاحبه والعياذ بالله، إلا أن يتداركه الله برحمة من عنده.

ولا نجاة لنا جميعًا يوم القيامة إلا إذا أتينا المولىٰ وقابلناه ﷻ بقلوب سليمةٍ وأفئدة صافية نقية، فعلينا إذَن أن نسعىٰ لحياة قلوبنا وسلامتها، وعلينا أن نعمل جاهدين لرقتها وطهارتها وصفائها، ومعالجة كلِّ فسادٍ يعتريها، وإزالة كل قسوة تعلوها، فالله جلّ وعلا يقول عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

وحيث إنّه لا نجاة يومَ القيامة، بل لا سلامة في الدنيا والآخرة إلا إذا صلحت القلوب وسلمت من سائر الأمراض مثل الشرك والنفاق والعجب والكبر والاغترار بالدنيا والتعلّق بها ونسيان الآخرة والمصير الذي سوف نصير إليه جميعًا؛ فقد أحببتُ أن أذكر نفسي وإخواني برسالة لطيفة خرجت من القلبِ؛ لعلها تصل إلىٰ القلوبِ بلُطفِ ربِّ القلوب ﷻ ورحمته.

---

(١) رواه مسلم (١٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

فما علاج قسوة هذه القلوب؟ وكيف السبيل لرقتها وخشوعها؟

السبب الأول: معرفة الله جل وعلا

لا شكَّ أَنَّ مَن عرف الله تعالىٰ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ فسوف يلين قلبه ويخشع، كيف لا وقد قال المولىٰ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]؟!

ولما كان الحبيب المصطفىٰ ﷺ وأعلم الخلق بالخالق كان أتقىٰ الناس وأخشاهم وأخشعهم لله سبحانه وتعالى.

ونلاحظ أنه كلما زاد علم الإنسان بالله جل في علاه زادت خشيته ومراقبته لخالقه سبحانه وتعالى، وكيف لا يخشع لجبّار الأرض والسماوات الذي أحاط بكل شيء علمًا، والذي لا يخفىٰ عليه دقيق ولا جليل في السماوات والأرض، بل إنه سبحانه وتعالى يعلم ما تُخفي الضمائر والقلوب، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الملساء في الليلة الظلماء.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

تقول عائشة ﵂: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبي ﷺ تكلّمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷿: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلىٰ آخر الآية»(١).

فمن أعظم أسباب رقة القلبِ وخشوعه التعرّف علىٰ الله ﷻ، وذلك من خلال التدبّر في آياته الكونية وآياته الشرعية، ومعرفة مدلولات أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ.



السبب الثاني: تدبر القرآن العظيم

احرص علىٰ تدبر كلام الله سبحانه، والوقوف عند آيات الوعد والوعيد، وعند آيات صفاتِ ربِّ العبيد، يقول تعالىٰ مبينًا أهمية التدبّر والتفكر والتأمل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾} [سورة ص: ٢٩]، ويقول سبحانه عن عظمة القرآن الكريم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

فلماذا لا تخشع القلوب عندما تسمع كلام الله ﷻ؟!

انظروا إلىٰ رسول الهدىٰ ﷺ وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، كيف حاله عندما يسمع آيات الله؟ ففي الصحيحين عن عبد الله بن

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٦) واللفظ له، والبخاري تعليقًا بصيغة الجزم (٦/ ٢٦٨٩)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨).

مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي القرآن**»، قال: فقلت: يا رسول الله، أقرأُ عليك وعليك أُنزل؟! قال: «**إنّي أشتهي أن أسمعه مِن غيري**»، فقرأتُ النساء حتىٰ إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] رفعتُ رأسي فرأيتُ دموعه ﷺ تسيل[(١)].

وقام ﷺ ليلة كاملةً بآية واحدة، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: صلىٰ رسول الله ﷺ ليلة فقرأ بآية حتىٰ أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فلما أصبحَ قلتُ: يا رسول الله، ما زلت تقرأ هذه الآية حتىٰ أصبحت، تركع بها وتسجد بها! قال: «**إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة- إن شاء الله- لمن لا يشرك بالله عز وجل شيئًا**»[(٢)].

قف وتأمل، واعلم بأن هذا الكلام موجه إليك من عند الملك سبحانه وتعالى، من عند الجبار جل وعلا، واعلم بأنك أنت المخاطب به، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لأن أقرأ سورةً من كتاب الله بتدبر وتأمل أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كاملًا من غير تدبّر ولا تأمل».

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقد تربىٰ علىٰ هذا المنهج الرعيل الأول من صحابة المصطفىٰ ﷺ، فلما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له في الصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، قالت عائشة: إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيق إذا قرأ غلبه البكاء،

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٢) ومسلم (٨٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢١٣٢٨) بإسناد حسن.

وفي رواية: إذا قرأ القرآنَ لا يملك دمعه فلو أمرت غير أبي بكر، وفي رواية: إنَّ أبا بكر إذا قام في مقامِك لم يسمع الناس منَ البكاء فمر عمر فليصل، قال: «**مروه فليصل**»، فعاوَدَته قال: «**مروه فيصل؛ إنكن صواحب يوسف**»[(١)].

وهذا عمر بن الخطاب ﵁، وما أدراك ما عمر؟! صاحب القوة والجأش، الشجاع المقدام، الذي عندما أراد أن يهاجر من مكة إلىٰ المدينة أتىٰ عند الكعبة **وقال**: «من أراد أن تُرمَّل زوجته ويُيَتّم ولده فليلحقني خلف هذا الوادي»، فلم يتبعه أحد. لكن ما إن يسمع كلام الله تعالىٰ إلا وتذرف عيناه، ولقد كان في خدّيه خطّان أسودان مِنَ البكاءِ مِن خشية الله جل وعلا.

وعمر بن عبد العزيز ﵁ صلّىٰ ذات يوم في مسجده، ثم ذهب إلىٰ منزله، ودخل في محرابه، وأخذ يصلّي، وكان يقرأ من آخر سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، فبكىٰ ﵁، فأتىٰ إليه أهله وسألوه: ما يبكيك يرحمك الله؟! فلم يجبهم، ولما ذهبت تلك الليلة وأتىٰ من الغد سألوه قالوا: ما يبكيك؟! قال: تذكرت يوم القيامة وانقسام الناس إلىٰ قسمين: فريق في الجنة وفريق في السعير، فما أدري من أي القسمين أكون!

وهذا محمد بن المنكدر ﵀ أخذ يبكي في ليلة من الليالي، فسأله أهله عن بكائه وأحضروا صاحبًا له وسأله، قال: تذكرت قول الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، فبكىٰ من معه حتىٰ طلع الفجر.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٣) ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة ﵂.

وكلنا -يا عباد الله- سيبدو لنا يوم القيامة ما لم يكن بالحسبان ولم يخطر علىٰ بال.

هكذا كانت هي حياتهم؛ لأنهم عرفوا الله تعالىٰ حق معرفته، وقدروا الله سبحانه حق قدره.

فإذا شعرت بقسوة في قلبك، وإذا شعرت -يا عبد الله- بتعلق قلبك بهذه الدنيا، وإذا قصَّرتَ في طاعة الله، وإذا تجرأت علىٰ معصية الله؛ فعالج ذلك بكلام الله جل وعلا، وتدبر ما حصل للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم، حيث دَعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، ووعدوهم بالفلاح في الدنيا والآخرة إذا استجابوا لأمر الله سبحانه وتعالى، **ثم انقسموا إلىٰ قسمين**:

فمنهم من استجاب لأوامر الله سبحانه وتعالى واتَّبع ما جاءت به الرسل، فحصلت له السلامة في الدنيا والجنة في الآخرة.

ومنهم من أعرض عن ذلك واستجاب لهوىٰ نفسه والشيطان وقرناء السوء، فحصلت له العقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

فأين الفريقان؟ ذهبوا إلىٰ خالقهم، إما إلىٰ نعيم مقيم، وإما إلىٰ نار الجحيم والعياذ بالله، وكأنهم ما مرّوا علىٰ الدنيا ولا حتىٰ ساعة واحدة، ونحن علىٰ الأثر سائرون، وإلىٰ ما صاروا إليه صائرون، طالت الأيام أم قصرت.



السبب الثالث: تذكر الموت

ومن الأمور التي ترقق القلوب وتعلقها بعلام الغيوب أن تتذكر الموت، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشِرَ عَشرة، فجاء رجل

من الأنصار فقال: يا نبي الله، من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للموت، وأشدهم استعدادًا للموت قبل نزول الموت، أولئك هم الأكياس؛ ذهَبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة**»[١].

والرسول ﷺ أوصانا فقال: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**» يعني الموت[٢]. وقال ﷺ: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة**»[٣].

وإنَّ من يتجرأ علىٰ معصية الله تعالىٰ ويتساهل في ذلك هو في حقيقة أمره قد غفل عن الموتِ، ونَسي أنه في يوم من الأيام سيفارق الأهل والأحباب والأصدقاء، وسيترك هذا المال، ولا يجد أمامه إلَّا ما قدم من الأعمال.

إنَّ الموتَ حقيقةٌ قاسية مُرّة، سنواجهها جميعًا ولابد، طالت الأيام أم قصرت، يقول رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي بين الستين والسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[٤]، وأخذ ﷺ بمنكب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقال

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤١٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٠٧) والنسائي (١٨٢٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه ابن حبان (٢٩٩٢)، والحاكم (٧٩٠٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٣٣).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٥٥) وأبو داود (٣٢٣٥، ٣٦٩٨) والترمذي (١٠٥٤) من حديث بريدة رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن الجارود (٨٦٣)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٤٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٣١، ٣٥٥٠) وابن ماجه (٤٢٣٦) وأبو يعلىٰ (٥٩٩٠، ٦٦٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وصححه ابن حبان (٢٩٨٠)، والحاكم (٣٥٩٨)، وهو في السلسلة الصحيحة (٧٥٧).

له: «**كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[١]، وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**ما لي وما للدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[٢].

نعم، إنَّ الموتَ سيأتي الجميع، سيهجم علىٰ الجميع، علىٰ الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والملوك والمملوكين، ويقف الجميعُ مِنَ الموت موقفًا واحدًا، لا حيلة ولا شفاعة، ولا شيء يدفع الموت؛ لأنه قادم من جبار السماوات والأرض، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وفي الآية الأخرىٰ يقول الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

فتذكر يا من تساهلت فقصرت في طاعة الله تعالىٰ، يا من نظرت إلىٰ الحرام وتكلمت بالحرام وتعديت علىٰ حقوق الله سبحانه وعلىٰ حقوق عباد الله، خَيراتُ الله تنزل عليك ليل نهار ومعاصيك ترتفع إليه ليل نهار.

تذكر أنك في يوم من الأيام ستفارق هذه الدنيا، تذكر عندما ينظر إليك الأحباب والأبناء، ينظرون إليك نظَرَ الرّحمة ونظرَ الشَّفَقة، يريدون أن ينسئوا في أجلك ويمدوا فىٰ عمرك ولو لحظةً واحدةً، ولكن هيهات هيهات، وصدق الحق سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨٢).

يُسرعون لإحضار الأطباء، ولكن الله قدر الآجال، يقول المصطفىٰ ﷺ: «**إنَّ روحَ القُدس نفثَ في روعي: إِنَّ نفسًا لن تموت حتىٰ تستكمل أجَلَها وتستوعِبَ رزقها**»(١).

تذكر ذلك يا عبد الله، وتذكَّر عندما تُحمل وتوضع علىٰ الألواح المعدَّة للتغسيل، وتُجرَّد من ثياب الزينة وثياب الجمال التي تتفنن في لبسها.

تذكر عندما يحملونك علىٰ الأعناق كما حملت غيرك، ويقدمونك للإمام للصلاة عليك للشفاعة عند الله تعالىٰ، عند العزيز الحكيم، ثم يذهب بك المحبّون لك والمشفقون عليك والرحماءُ بك ليضعوك في حفرة مظلمة موحشة، لا أنيس فيها ولا جليس، إلا رحمة الجليل ثمَّ ما قدَّمت- يا عبد الله- من صلاة وصيام وصدقة وإحسان وذكر ودعاء وصلةٍ وبر وغير ذلك من الباقيات الصالحات، يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقىٰ معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله**»(٢).

فإذا مات ابن آدم وحمل إلىٰ قبره تبعه ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد، يرجع الأهل والأولاد الذين ربما ارتكب المحرمات من أجلهم، وربما جلب الحرام إلىٰ البيت لإرضائهم، ويرجع المال الذي ربما تحايل في كسبه، وربما تعامل بالربا والغش والخداع والمكر من أجله، يرجع عندما يُوضع في هذه الحفرة، وماذا يبقىٰ؟ يبقىٰ العمل معك في هذه الحفرة المظلمة الموحشة.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وهو في صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) رواه البخاري (٦١٤٩) ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

فإذا قسا قلبك -يا عبد الله- فتذكر الموت وسكرته، تذكَّر القبر وظلمته ووحشته، وتذكر عندما يرجع أهلك ومحبّوك إلىٰ الدنيا ليتقاسموا مالك، الذي حلاله حِساب وحرامه عذاب، غُنمه لأولادك وورثتك، وغُرمه عليك، أنت الذي سوف تُسأل عنه، أنت الذي سوف تحاسب عليه.

وتذكَّر عندما يأتي إليك ملكان ويسألانك: من ربُّك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فإن كنتَ مطيعًا في الدنيا مستجيبًا لله تعالىٰ ثبتك الله فضلًا منه وإحسانًا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وإن كانتِ الأخرىٰ -أعاذنا الله وإياك من ذلك- فالويل ثم الويل.

فاحذر أن تكون مثل ذلك الذي يأتي إليه في قبره رجل قبيح المنظر قبيح الثياب، ويقول له: أبشر بالذي يسوؤك، فيقول: من أنت؟! فيقول: أنا عملك الخبيث.



السبب الرابع: تذكُّر أهوال القيامةِ

ومن الأمور التي تساعد علىٰ رقّة القلب أن تتذكَّر- يا عبد الله- أهوال القيامة وما فيها من الهموم والغموم والكروب.

تذكر عندما يجمع الله الأوَّلين والآخرين في صعيد واحد، الرجال والنساء، حفاةً عراة، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلىٰ بعض؟! فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضُهم إلىٰ بعض**»(١).

(١) رواه البخاري (٦١٦٢) ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟! ألا ترون ما قد بلغكم؟! ألا تنظرون من يشفَع لكم إلىٰ ربكم؟! فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدَمُ، أنت أبو البشر، خَلَقَك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربّك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟! فيقول آدم**- وتدبر يا من تساهلت بالكبائر، تدبَّر هذا الجوابَ وخُذِ العبرة والعظة-، **يقول آدم: إِنَّ رَبِّي غَضِب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح،** -فهذا نبي من أنبياء الله تعالىٰ يذكر ذنبًا واحدًا في عرصات القيامة، فما بالكم يا عباد الله بالذنوب العظيمة؟!-، **فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، أنت أوّلُ الرّسل إلىٰ الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟! فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتُ بها علىٰ قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ إبراهيم** عليه السلام، **فيأتون إبراهيم، فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟! فيقول لهم إبراهيم: إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيأتون موسىٰ** عليه السلام، **فيقولون: يا موسىٰ، أنت رسول الله، فضَّلك الله برسالاته وبتكليمه علىٰ الناس، اشفَع لنا إلىٰ ربك،**

ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟! فيقول لهم موسىٰ عليه السلام: **إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلتُ نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ** عليه السلام**، فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ، أنت رسول الله، وكلّمتَ الناس في المهد،** وكلمة منه ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، **فاشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسىٰ** عليه السلام: **إنَّ ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنبًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد** ﷺ**، فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟! ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟! فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي، ثمّ يفتح الله عليَّ ويُلهمني من محامده وحُسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفَع تُشفّع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرىٰ**»؛ ولهذا قال النبي ﷺ في أوّل هذا الحديث: «**أنا سيد الناس يومَ القيامة**»[١].

وقد أخبرنا الله جلّ وعلا عن ذلك اليوم العصيب، وما يحصل فيه من الأهوال العظام والحوادث الجسام، ولا ينبتك مثل خبير، ولكنها قسوة القلوب.

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

ويقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

تذكر أنه لا أحد ينفع غيره في هذا الموقف العظيم، ولو طلبت منك والدتك في هذه الدّنيا أيّ أمر من الأمور مهما غلا ومهما كان فستلبي طلبها مسرعًا، ولكن يومَ القيامة كل يقول: نفسي نفسي، حتىٰ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الله جل وعلا: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤-٣٩]، فهذا جزاء من قدّم اللّذّة وقدّم الشّهوة وقدّم الرغبة، قدّم معصية الله تعالىٰ علىٰ طاعته.

ثم قال تعالىٰ عن الصنف الثاني: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، فهذا خاف موقفه بين يدي الله تعالىٰ، تصوّر أنه في يوم من الأيام سيمتثل بين يدي الله، وسيخاطبه الله تعالىٰ ليس بينه وبينه ترجمان، ويذكره بذنوبه وأخطائه ومعاصيه.

وفي الآيات الأخرىٰ يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

تذكَّر يَومَ تُنشَر الدَّواوين، يومَ الفضائح، يومَ تُبلَىٰ السرائر، فاعلم أن هذه الأعمال التي تعملها في غيبة عن أنظار الناس، في غرفتك وفي أي مكان، اعلم بأنّ الله يراها، وأنه مطلع عليها، يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

واعلم أنك ستقرأ الأعمال التي عملتها بنفسك، يقول سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].



السبب الخامس: كثرة ذكر الله تعالىٰ

صح عن المصطفىٰ ﷺ أنه قال: «**مثَلُ الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربَّه مثل الحي والميت**»(١)، فإذا أكثر المسلم من ذكر ربه جل وعلا حصلت له السعادة والطمأنينة التي تساعده علىٰ القيام بالواجبات وترك المحرمات، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

(١) رواه البخاري (٦٠٤٤) ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وقال الحبيب ﷺ مبينًا عِظَمَ فضل الذكر: «**سبق المفردون**»، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(١).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أكثر من مائة فائدة للذكر، بل إنَّ الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى دليل علىٰ محبّة العبد لربه، وإذا أحب العبد ربه قدم طاعته علىٰ كلّ أمرٍ تحبّه نفسه وتهواه، بل يحصل له الأنس بالله وحده الذي لا يعدله لذة ولا متعة؛ لأنّ الدنيا ما طابت إلا بذكر الله تعالىٰ والقرب منه سبحانه، نسأل الله أن يحقق لنا ذلك برحمته ولطفه.

ومن رحمة الله جل وعلا بالعبادِ أن جعل الذكر من أيسر الأعمال، فالإنسان يستطيع أن يذكر ربَّه في بيته وسيارته ومكتبه وفي الشارع وفي ساعات الانتظار، وقد قال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحانَ الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢)، وقال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرّة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣)، وقال ﷺ: «**أَحَبُّ الكلام إلىٰ الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**»(٤).



(١) رواه مسلم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) رواه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه البخاري (٦٠٤٢) ومسلم (٢٦٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

السبب السادس: مطالعة السيرة النبوية وسير العلماء والصالحين

القراءة في سيرة النبي ﷺ العطرة سبب عظيم من أسباب رقة القلوب، فمن خلالها ستعرف كيف كان ﷺ يُعنَىٰ بشأن القلب وسلامته ولينه ورقته، ونرىٰ ذلك أيضًا من خلال المواقف المشرقة في حياته اليومية، سواءً في بيته مع أبنائه وبناته وزوجاته وخدمه أو خارج بيته.

ومن ذلك: أنه لما تُوُفِّي ابنه إبراهيم -وكان عمره ثمانية عشر شهرًا- دخل عليه ﷺ وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: «**يا ابن عوف، إنها رحمة**»، ثم أتبعها بأخرىٰ فقال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[(١)].

ولما احتضرت ابنة بنته ينظر إليها الحبيب ﷺ، ففاضت عيناه ﷺ، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟! قال: «**هذه رحمة وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماءَ**»[(٢)].

ومواقفه ﷺ أكثر من أن تُحصَر، ولنا في كل موقف من مواقفه أسوة حسنة.

ومن أسباب رقة القلوب أيضًا قراءة سير الرعيل الأول وعظماء الإسلام ونماذجه الفذة، الذين ضربوا أروع الأمثلة في طهارة القلوب ورقتها وخشيتها وتعظيمها وإجلالها للخالق سبحانه وتعالى.

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يُسْمِع الناس قراءة الفاتحة من بكائه.

---

(١) رواه البخاري (١٢٤١) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٣٣١) ومسلم (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يُعاد في بيته مريضًا لما سمع بعض الآياتِ مِن كتاب الله.

وعمر بن عبد العزيز رحمه الله يدخل في محرابه ويبكي ويُبْكِي أهله؛ لأنه قرأ آخر سورة الزمر، ويتذكر انقسام الناس إلىٰ قسمين: فريق سِيقُوا إلىٰ الجنّة، وفريق سيقوا إلىٰ النار.

ورحم الله الإمام أبا حنيفة لما قال: «القراءة في سير العلماء أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه».



السبب السابع: حضور مجالس العلم والذكر

حضور مجالس العلم والذِّكر وملازمة الصالحين والأخيار من الأسباب الرئيسة لرقّة القلوب وخشوعها وتعلقها بخالقها سبحانه وتعالى.

قال ﷺ: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**(١).

فكل واحدة مما ورد في هذا الحديث الشريف تساعد علىٰ لين القلب، فعلىٰ سبيل المثال: إذا نزلت السكينة علىٰ القلب استطاع أن يفهم كلام الله سبحانه وتعالى، ويهتم بحضوره وخشوعه وأداء حقوق الله وحقوق عباده، فأصبح القلب تقيًّا نقيًّا خاشعًا خاضعًا لفاطره وخالقه سبحانه وتعالى.

وفي مجالس الذكر لا مجال للغفلة التي هي من أعظم أسباب قسوة القلب وإعراضه عن خالقه، فيتذكَّر المسلم في هذه المجالس حقيقة الدنيا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفانية وحقيقة الآخرة الباقية، ويتذكّر الموتَ وسكرته والقبر وظلمته، فيستعد لذلك بالتوبة الصادقة والعمل الصالح.

كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا رأىٰ أبا موسىٰ الأشعري قال: «ذكرنا ربنا يا أبا موسىٰ» فيقرأ عنده[1]، رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم.

وكان عمر بن عبد العزيز ﷬ يجمع الفقهاء كل ليلة يتذاكرون الموت والآخرة حتىٰ كأن بين أيديهم جنازة.

فعليك -أخي المسلم، أختي المسلمة- بالحرص علىٰ حضور دروس العلم والمحاضرات والندوات، ففيها من الخير ما لا يعلمه إلا الله، لاسيما في هذا الزمان الذي كثُرت فيه الملهيات والمغريات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعليك بمجالسة الصالحين الذين يساعدونك علىٰ الوصول إلىٰ ساحل الأمان والاطمئنان عند مليك مقتدر في جنات النعيم، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، نسأل الله الكريم من فضله.

واستمع إلىٰ الوصية الربانية في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ولا يشك كلُّ عاقل أنَّ الجليس يؤثر علىٰ جليسه سلبًا وإيجابًا، بل ذكر أهل العلم أنَّ الإنسان يتأثر بكلّ ما يُحاط به، ألا ترىٰ رعاة الإبل

---

(١) رواه عبد الرزاق (٤١٧٩)، والدارمي (٣٤٩٣)، وابن حبان (٧١٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥٨).

جُفاةً ورعاة الأغنام بهم رقةٌ؟! بل وتأمل في قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، لما قال له العالم: ومن يحول بينك وبين التوبة؟! اخرج من بلدك إلىٰ البلد الفلاني[1]؛ لأنه إذا بقي في بلده فسوف يبقىٰ علىٰ المعصية، وإذا خرج إلىٰ البلد الآخر فسوف يترك المعصية.

فعليك أن تبحث وبكل جد واجتهاد عن هذه العملة النادرة، واحذر جلساءَ السوء؛ فإنهم سببٌ لكلِّ بلاء ومصيبة، ويكفي أنهم من أعظم أسباب قسوة القلب ونسيان الآخرة والحساب والجزاء.



(١) قصة قاتل المائة نفس رواها مسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري.

السير إلى الرب بأعمال القلب

إن أعمال القلوب هي أهم الأعمال علىٰ الإطلاق، أهم من أعمال اللسان والجوارح، فأعمال اللسان أقوال، وأعمال الجوارح أفعال، ولا يعتبران ولا يقبلان إلا بأصلها من أعمال القلب.

فهي أعظم أجرًا، وأبقىٰ أثرًا، وهي أساس الثواب والعقاب، والنجاة والفلاح، وتحقيقها أشق وأصعب من عمل الجوارح.

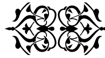
وإن القلب ليصلح ويصح، ويفسد ويمرض، وقد ذكر الله المرض في القرآن اثني عشرة مرة كلها مع القلوب، فدل علىٰ أن أمراضها أخطر من أمراض البدن، ومرضها يكون بالشهوات والشبهات والذنوب والمعاصي، وبأضداد هذه الأعمال التي ستأتي.

تمثل هذه الأعمال التي ذكرناها أهم الأعمال التي تُصْلح القلب ولا بُدَّ منها، وإلا فسد فسادًا إن لم تداركه رحمة الله حجب عن الله وكان من الهالكين، ولا يصل الهدىٰ والنور والحق إلىٰ قلبه أبدًا؛ بسبب ما قد غطاه من الران والأكنة والغمرة والغشاوة والزيغ والختم والطبع والقسوة والنجاسة والريب والنفاق كما أشار القرآن إلىٰ كل ذلك.



التزكية من المعرفة إلى السلوك

«**مَعْرِفَةِ الْإِلَهِ ذِيْ الْجَلَالِ**»: أول منزلة من منازل السير معرفة الله ﷻ والعلم به، وذلك بأن تتعرف إليه من خلال كتابه المسطور، والكون المنظور، فالأول بعبادة التدبر، والثاني بعبادة التفكر، وكلاهما قلبي. ثم بعد معرفة يقينية، بأسماءه وصفاته وأفعاله، فتعرّفْ علىٰ الله دائمًا، وخاصةً في وقت الرخاء، تتعرفُ عليه معرفة توحيد وإقرار، ومعرفة حب وتعظيم وإجلال وإقبال، فإنه سيعرفك في الشدة بأن يستجيب لك، ويؤيدك وينصرك.



أركان السير إلى الله

١- **الإخلاص**: «يَتْلُوْهُ إِخْلَاصٌ»: أي يأتي بعد معرفة الله الإخلاص، وهو إفراده سبحانه بالقصد والتوجه والعبادة بحيث يستوي عند المخلص العمل في السر والعلانية، ولا يمازجه شائبة من الحظوظ القادحة في أصل الإخلاص كشهوات النفس والهوىٰ والدنيا. لهذا كان شاقًّا علىٰ النفس؛ لأن تنقية القلب دائمًا من هذه الحظوظ يحتاج إلىٰ جهد كبير لا انقطاع فيه. واحذر من أضداده أشد الحذر وهي **الشرك والرياء والعجب والسمعة.** فكما أنّ الإخلاص طريق إلىٰ الجنة والسعادة في الدنيا والآخرة، فكذلك أضداده طرق إلىٰ جهنم والشقاء في الدنيا والآخرة.

٢- **اليقين**: وهو مشاهدة القلب لعالم الغيب والإيمان به، كما تشاهد العين عالم الشهادة وتقطع به، فكما أن الشك لا يتطرق إلىٰ العين فيما تشاهده، فكذلك لا يتطرق الشك إلىٰ قلب الموقن فيما يؤمن به ويعتقده من الحق. وهو مراتب: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. فعلمنا بالجنة في الدنيا علم اليقين، فإذا أُزلفت يوم القيامة ورآها أهل المحشر قبل أن يدخلوها فهو عين اليقين، فإذا دخلها أهلها أصبحت في حقهم حق اليقين. واليقين سبب النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، يولِّد الثبات، ويورث الزهد في الدنيا، والشوق إلىٰ الآخرة، ويُكسب التأثر بما بثه الله من الآيات في السماوات والأرض، ويثمر التوكل والتجلد، مشىٰ به سعد بن أبي وقاص ومن معه علىٰ نهر دجلة فتجمد، وشرب خالد السم فلم يضره، وبه مع الصبر تنال الإمامة في الدين.

٣- **الرغبة فيما عند الله**: قَالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. أي يدعوننا بابتهال وتضرع راغبين فيما عندنا وراهبين من عقوبتنا. وقال الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨]. أي ارغب إلىٰ ما عند ربك وحده ولا تلتفت إلىٰ غيره؛ فإن العطاء كل العطاء بيد الذي بيده خزائن كل شيء، وبيده الدنيا والآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار. فالرغبة فيما عند الله: **هي الحرص علىٰ ما عنده من الثواب، والطمع في جنته ودار كرامته.** رغبة تشعل في القلب الهمة للعبادة، وتقتل الكسل والخمول، وتقضي علىٰ العوائق، وتستحثه علىٰ الجد بلا كلل، وعلىٰ السير بلا ملل.

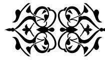
٤- **الخوف من الله**: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وَقَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وهنا تلاحظ أربعة أمور وردت في الآيات (الخوف) و(الخشية) و(الرهبة) و(الوجل) ألفاظ متقاربة لكنها غير مترادفة. **فالخوف**: اضطراب القلب من تذكر المخوف. **والخشية**: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] فهي خوف مقرون بمعرفة. **والرهبة**: خوف مع فزع وهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة. **والوجل**: رجفان القلب، وانصداعه عند ذكر الله؛ خوفًا منه، ومن عقوبته. والخوف من الله له ثمار كثيرة منها أنه طريق إلىٰ الإخلاص، والتمكين في الأرض والنجاة من كل سوء، والاستظلال بظل الله يوم القيامة، ودخول الجنة، ونيل رضا الله وهو أكبر نعيم ...

٥- **الرجاء**: وهو الاستبشار بكرم الله وفضله، والارتياح لمطالعة جوده، وتعليق القلب علىٰ ذلك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥]، وَقَالَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، والقلب يسير إلىٰ الله بين الخوف والرجاء، فهما جناحان لا بُدَّ منهما في السير وإلا يحدث الانحراف، ويغلب أحدهما علىٰ الآخر علىٰ حسب الحال الذي يمر به السائر إلىٰ الله فقبل الوقوع في المعصية يغلب الخوف، وعند الموت يغلب الرجاء؛ وقد أخبر الله عن بعض الملائكة والرسل والصالحين أنهم يسيرون بين الخوف والرجاء، فقال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٦- **الفقر إلىٰ الله**: وهو شعور العبد بفقره، وشدة احتياجه لربه كل حالة؛ نتيجة لحاجته الدائمة، ولمعرفته بغنىٰ ربه المطلق. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وهذا فقر عام ملازم كل الناس؛ فالله -سبحانه- أخرج العبد من بطن أمه فقيرًا من كل شيء، لا يعلم شيئًا ولا يقدر علىٰ شيء، ولا يملك شيئًا، ولا يقدر علىٰ عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال أمرًا مشهودًا محسوسًا لكل أحد، لا ينكره ولا يجادل فيه أي مجادل، فلما أسبغ الله عليه نعمته، وأفاض عليه رحمته، وساق إليه أسباب كمال وجوده ظاهرًا وباطنًا، استكبر من استكبر، ونسي من نسي، والموفق من استشعر دائمًا أنه فقير إلىٰ ربه؛ ولهذا كان ﷺ أكمل الخلق عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلىٰ ربه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، كان من دعائه: «**اللَّهُمَّ رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلىٰ نفسي طَرْفةَ عَينٍ وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلهَ إلَّا أنت**» [حب].

٧- **التوبة**: وهي الرجوع إلىٰ الله بترك الذنب مخافة لله، وباستشعار قبح ذلك الذنب، وندم علىٰ المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة علىٰ ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. وأدلتها كثيرة جدًا، منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةٍ مَدَنِيَّةٍ، خَاطَبَ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ الْإِيمَانِ وَخِيَارَ خَلْقِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ، بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَصَبْرِهِمْ، وَهِجْرَتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ، ثُمَّ عَلَّقَ الْفَلَاحَ بِالتَّوْبَةِ. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» [خ].

وقد وعد الله بقبولها من عباده، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]. وفتح لهم أبواب الرجاء في عفوه ومغفرته، وأمرهم أن يلجؤوا إلىٰ ساحات كرمه وجوده، طالبين تكفير السيئات وستر العورات، وقبول توبتهم، لا يطردهم من رحمة الله طارد، ولا يوصد بينهم وبين الله باب. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٣٥].



مقامات القلوب اليقِظة

١- **الورع**: وهو ترك ما يضر في الآخرة. وهو ملاك الدين. فعن عمرو بن قيس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادةٍ، وملاكُ الدينِ الورَعُ**» مصنف ابن أبي شيبة. وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة -كما صح عند الترمذي- فقال: «**من حسنِ إسلامِ المَرءِ تركُه ما لا يعنيه**» **أخرجه الترمذي**، فهذا الترك قلبي أولًا ثم ينعكس إلىٰ ترك ما لا يعني بالجوارح كالكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع. وصح عند الترمذي أيضًا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ: «**يا أبا هريرةَ! كُنْ وَرِعًا تَكُنْ من أَعْبَدِ الناسِ**». وصح عنده أيضًا قيل للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «**دعْ ما يَريبُكَ إلىٰ ما لا يُريبُكَ**».

٢- **الحياء**: وهو خُلُقٌ قلبي يَبعَثُ صاحبَه علىٰ اجتِنابِ القَبيحِ، ويَمنعُ مِنَ التَّقصيرِ في حقِّ ذي الحقِّ. والحياء يكون من الله ومن الملائكة ومن الناس ومن النفس.

وهو شعبة من الإيمان ولا يأتي إلا بخير. ونكتفي بذكر حديث عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ**». **قال: قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعىٰ، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَىٰ، ولتَذكرِ الموتَ والبِلىٰ، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ**

زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا يعني: منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ» حسن [ت] و[حم].

٣- المراقبة لله: وهي دوام استشعار القلب ويقينه بأن الله مطلع علىٰ ظاهره وباطنه؛ فيجوِّد الطاعات، ويجتنب السيئات.

وهي طريق في الدنيا إلىٰ الإحسان، وفي الآخرة إلىٰ الجنان.

٤- الشكر: هي الاعتراف بالنعمة، والثناء عليه بها، والعمل بما يرضيه فيها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وَقَالَ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وَقَالَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١] وَقَالَ عَنْ نُوح: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] وَقَالَ: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] وَقَالَ: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وَقَالَ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم: ٥]، وَسَمَّىٰ الله نَفْسَهُ شَاكِرًا وَشَكُورًا وَسَمَّىٰ الشَّاكِرِينَ بِهذَيْنِ الِاسْمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمْ مِنْ وَصْفِهِ. وَسَمَّاهُمْ بِاسْمِهِ. وَحَسْبُكَ بِهذَا مَحبَّةٌ لِلشَّاكِرِينَ وَفَضْلًا. وَإِعَادَتُهُ لِلشَّاكِرِ مَشْكُورًا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢] وَرِضَا الرَّبِّ عَنْ عَبْدِهِ بِهِ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧] وَقِلَّةُ أَهْلِهِ فِي الْعَالَمِينَ. كَقَوْلِهِ: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

٥- التفكر: وهو تصرف القلب بالنظر في الدلائل. وقد دلت الأدلة علىٰ وجوب تفكر المؤمن، ومن ذلك تفكره في الآيات المنزلة،

والمخلوقات المبثوثة في أرجاء الكون، وفي نفسه كم فيها من العجائب، وفي خلقها، وفي عذاب الله وعقابه، وجنته ورحمته. والتفكر في عاقبة من مضىٰ من الأمم، وما هو السبب في هلاك من هلك منهم؟ والتفكر في خلق السماوات والأرض، والدنيا والآخرة، وفي اختلاف الليل والنهار، وفي البحار والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وحركة النجوم . . .، وله ثمار عظيمة؛ **ولهذا قال ابن عباس**: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة».

٦- **المحاسبة**: وهي النظر في أعمال النفس، واستدراك الأخطاء، والمضي في الصالحات. ويسبقها في أول النهار مشارطة للنفس ثم مراقبة لها لتطبيق الشروط ثم في الليل جلسة محاسبة، فإن كانت أخطاء فممراجعة وعزم علىٰ التصحيح، وإن لم يكن فمعاتبة وعزم علىٰ التحسين.

وقد أمر الله بها في قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحَشر: ١٨]، فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ الْعَبْدَ أَنْ يَنْظُرَ مَا قَدَّمَ لِغَدٍ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ مُحَاسَبَةَ نَفْسِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَالنَّظَرَ هَلْ يَصْلُحُ مَا قَدَّمَهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللَّهَ بِهِ أَوْ لَا يَصْلُحُ؟ وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا النَّظَرِ مَا يُوجِبُهُ وَيَقْتَضِيهِ، مِنْ كَمَالِ الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وَتَقْدِيمِ مَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَيُبَيِّضُ وَجْهَهُ عِنْدَ اللَّهِ. **قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وتزينوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحَاقَّة: ١٨]». والمحاسبة علىٰ كل صغيرة وكبيرة؛ لأن الله سيحاسبك علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٤].



مقامات القلوب الحية

١- **المحبة**: هي ميل القلوب إلىٰ الله بالحب والتعظيم والإجلال والرجاء. فمحبة الله تقتضي محبة رسوله وأوليائه، وموالاتهم، والبراءة من أعدائهم. وتقتضي أن تتصف بتلك الصفات التي يحبها، فالله يحب المحسنين، والصابرين، ويحب التوابين والمتطهرين، والمتقين، والمتوكلين، والمقسطين، والمجاهدين. وأن تجتنب عن تلك الصفات التي لا يحبها، فالله لا يحب المعتدين والمفسدين والكافرين والظالمين والمسرفين والمستكبرين والفرحين ولا يحب المختال والفخور والأثيم والخوان ولا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم. وتقتضي محبة الله أن ألا تقدم عليها أي محبة ويتلوه محبة رسوله وإلا فهو فسق وهلاك.

٢- **الصبر**: وهو حَبْسُ النَّفْسِ عن الجَزَعِ، وعن فعل ما لا يَحسُنُ. ويكون الصبر علىٰ الأذىٰ في سبيل الله، وعلىٰ الطاعات، وعلىٰ الأقدار، وعن الوقوع في المعصية. ومن ثماره الظفر بالفلاح، والمغفرة، والأجر الكبير بغير حساب، والنجاة من الخسران، وهو طريق إلىٰ الجنة، ودخولها، وسلام الملائكة علىٰ أهلها؛ بسبب صبرهم، ونيل الإمامة في الدين، ومعية الله، ونصره، ومحبته، ورحمته، والحفظ من كيد الأعداء.

والعبدُ مأمور باتبع الوحي ائتمارًا بأمر وانتهاء عن نهيه ومأمور بالصبر علىٰ ذلك، والصبر علىٰ ما ينوبه في هذا الطريق من ألوان البلاء، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾.

٣- **التدبر**: وهو التأمل والتفكر في الوحي (الكتاب والسنة)، من أجل فهمه، وإدراك مراميه، والعمل بما فيه. ومفاتيحه كثيرة منها حب الوحي، والحفظ للقرآن والسنة، فأما حفظ القرآن فواضح، وأما حفظ السنة فيكفي في حفظها أن يبدأ بالأربعين النووية، ثم الوجيز في السنة النبوية، ثم معالم السنة النبوية والأخيران لصالح الشامي. والدعاء واستحضار أهداف القراءة، والربط والتكرار، والاستعانة بالتفاسير السهلة والشروح، كل ذلك يساعد في التدبر. ومن رحمة الله أن جعل وحيه سهلًا ميسرًا لكل الناس أن يصلوا إليه بأنفسهم. ومن أدلة التدبر: قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [مُحَمَّد: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

٤- **الهمة**: وهي استصغارُ ما دونَ النِّهايةِ مِن معالي الأمورِ، وطلَبُ المراتبِ السَّاميةِ. كطلب الفردوس الأعلىٰ من الجنة. وكطلب النبي ﷺ للوسيلة. وطلب مرافقته في الجنة. وأعلاها همةٌ تصون القلبَ عن وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله علىٰ الرغبة في الباقي، وتصفيه من كدر الكسل والفتور والتواني.

٥- **الحياة**: والمقصود حياة القلب بالهداية والإيمان والقرآن والمحبة والعبادة والذكر والعلم؛ فمن تحصل علىٰ ذلك أحياه الله حياة طيبة. ومَن عُدم ذلك فهو مَيِّتُ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، وَإِنْ كَانَ حَيَّ الْبَدَنِ فَجَسَدُهُ قَبْرٌ يَمْشِي بِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ

ﵟٱلدُّعَآءَﵞ [النَّمل: ٨٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﵟإِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِﵞ [فَاطِر: ٢٢]. وَشَبَّهَهُمْ فِي مَوْتِ قُلُوبِهِمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ مَاتَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَصَارَتْ أَجْسَامُهُمْ قُبُورًا لَهَا، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ أَصْحَابُ الْقُبُورِ، كَذَلِكَ لَا يَسْمَعُ هَؤُلاءِ. والقلب بلا وحي لا روح فيه؛ لأن الوحي هو الروح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﵟوَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚﵞ [الشُّورَىٰ: ٥٢].

٦- **التذكر**: وهو نتاج التفكر والتدبر، ومنزلته منهما كحُصُولِ الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ بَعْدَ التَّفْتِيشِ عَلَيْهِ. **وهو عظة وعبرة توصل إلىٰ الرجوع والإنابة إلىٰ الله.** وقد ورد كثيرًا في القرآن، ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﵟوَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُﵞ [غَافِر: ١٣] وَقَالَ: ﵟتَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖﵞ [سُورَةُ قٓ: ٨] قَالَ تَعَالَىٰ: ﵟإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِﵞ [الرَّعۡد: ١٩] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﵟوَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِﵞ [البَقَرَة: ٢٦٩]. وقال: ﵟوَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِﵞ [غَافِر: ٥٣-٥٤] وَقَالَ عَنِ الْقُرْآنِ: ﵟوَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَﵞ [الحَاقَّة: ٤٨] وَقَالَ فِي آيَاتِهِ الْمَنظورة: ﵟأَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖﵞ [سُورَةُ قٓ: ٦ -٨]. وقال: ﵟوَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞﵞ [سُورَةُ قٓ: ٣٦-٣٧].



مقامات القلوب الزاكية

١- **الزهد**: وهو تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وفي كل ما يعينه علىٰ الطاعة، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]. والزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ. وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَىٰ مَفْقُودٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

٢- **الإشفاق**: وهو رِقَّةُ الْخَوْفِ. فإذا تعدىٰ بمِن فهو خوفٌ مع حذر، وهذا هو الوارد في القرآن، فقد وصف الله به ملائكته فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وذكر أنه من صفات المتقين فقَالَ: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٤٩]. ومن صفات الذين يسارعون في الخيرات قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم

مُّشۡفِقُونَ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧، ٦١]. وأنه من صفات المؤمنين قال تعالىٰ: ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ [الشورى: ١٨]. ومن الصفات التي يدخل بسببها أهل الجنة الجنة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ [المعارج: ٢٧-٣٥]. وأنها سبب النجاة من النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٥-٢٧]، وإذا تعدىٰ بعلىٰ يقال أشفق عليه: فهو خوفٌ مع عطف وحنان ورحمة.

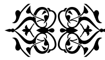
٣- **التوكل**: وهو صدق اعتماد القلب علىٰ الله في جلب المنافع، ودفع المضار، مع فعل الأسباب التي أمر الله بها. وقد ورد كثيرًا في كتاب الله، فقد أمر به المؤمنين فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ووعد بأنه من توكل عليه فهو كافيه فقَال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣]، وَقَالَ عَنْ أَوْلِيَائِهِ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك: ٢٩]، وَقَالَ أيضًا: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١]، وَقَالَ لَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ لَهُ: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ عَنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وَقَالَ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ووصف المؤمنين بأنهم يتوكلون علىٰ الله قَالَ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذَلِكَ، وفي السنة كذلك. وأما الأمور المنافية للتوكل فهي التطير والتشاؤم والتنجيم والكهانة وتعليق التمائم والتبرك بالأحجار والأشجار والتواكل . . .

٤- **الصدق**: وهُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ من القول والعمل الْمُتَّصِلُ بِاللَّهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَىٰ اللَّهِ. وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ. فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وجعله من صفات المنعم عليهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، فَهُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَىٰ ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وأَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِيقِيَّةِ. وَهِيَ كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ ﷺ، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَىٰ الصِّدْقِ. فَقَالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]؛ فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ: مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ. وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ. وهو من أسباب دخول الجنة فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا**» [خ] و[م].

٥- **الاستقامة**: وهي ثبات القلب علىٰ امتثال الأوامر، واجتناب النواهي. وهي بهذا المعنىٰ ترادف التقوىٰ، وتجمع شرائع الدين كلها. وقد رتب الله علىٰ الإيمان والاستقامة البشرىٰ بالجنة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأَحقَاف: ١٣، ١٤]. وَقَد أمر بها رسوله ومن اتبعه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هُود: ١١٢]، فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ ضِدُّ الطُّغْيَانِ. وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ تَعَالَىٰ آمرًا بها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَت: ٦]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**».

٦- **التبتل**: هو الانقطاع إلىٰ الله انقطاعًا تامًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المُزَّمِّل: ٨]. ومنه انْقِطَاعُ الْقَلْبِ عَنْ حُظُوظِ النَّفْسِ الْمُزَاحِمَةِ لِمُرَادِ الرَّبِّ مِنْهُ. وَعَنِ الْتِفَاتِهِ إِلَىٰ مَا سِوَىٰ اللَّهِ، خَوْفًا مِنْهُ، أَوْ رَغْبَةً فِيهِ، أَوْ مُبَالَاةً بِهِ، أَوْ فِكْرًا فِيهِ، بِحَيْثُ يُشْغَلُ قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ.



مقامات العارفين

١- **الاستخفاء**: وهو الطاعات الخفية يشهدها العبد ولا يستعلن بها إلا لحاجة شرعية، من تصديق ومعرفة بالله وتوحيده وصنوف الطاعات التي يطوي عليها قلبه فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ونحو ذلك مما لا يطلع عليه أحد إلا الله وأهله أصحاب خفاء وسر، لا يتطلعون إلىٰ رياسة ولا إلىٰ شهرة. وفي مسند أحمد عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حَيْثُ قَالَ لَهُ ابْنُهُ: أَنْتَ هَاهُنَا وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْإِمَارَةِ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ**». وفي صحيح ابن حبان عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ**»، وعند مسلم وغيره قَوْلَهُ ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللَّهِ لَأَبَرَّهُ**».

وكذلك هذا السر هو الذي أهَّلَ الضعفاء أن يتبعوا الرسل قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [هُود: ٣١] أي أَنَّ أَتْبَاعَ الرُّسُلِ الَّذِينَ صَدَّقُوهُمْ، وَآثَرُوا اللَّهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ وَأَصْحَابِهِمْ قَدْ أَوْدَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، خَفِيَ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ، فَنَظَرُوا إِلَىٰ ظَوَاهِرِهِمْ، وَعَمُوا عَنْ بَوَاطِنِهِمْ فَازْدَرَوْهُمْ وَاحْتَقَرُوهُمْ، وَقَالُوا لِلرَّسُولِ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ، حَتَّىٰ نَأْتِيَكَ وَنَسْمَعَ مِنْكَ، وَقَالُوا: ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعَام: ٥٣] فَقَالَ نُوحٌ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن

يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: ٣١] أي أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ، إِذْ أَهَّلَهُمْ لِقَبُولِ دِينِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، وَاللَّهُ ﷻ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، يَضَعُ الْعَطَاءَ فِي مَوَاضِعِهِ، ويضع سره في ضعاف خلقه. وَتَكُونُ هَذِهِ الْآيَةُ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعَام: ٣٥]. وفي البخاري: «**مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ**: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» **قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ**: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» **قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**».

٢- **الإخبات**: وهو سكون القلب، واطمئنانه وإنابته إلىٰ الله مع التواضع والخشوع والخضوع. وقد عرّفه الله ﷻ في كتابه فقَالَ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحَجّ: ٣٤] ثُمَّ كَشَفَ عَنْ مَعْنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحَجّ: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هُود: ٢٣].

٣- **المشاهدة**: وهي قُوَّةُ الْيَقِينِ، وَمَزِيدُ الْعِلْمِ، وَارْتِفَاعُ الْحُجُبِ الْمَانِعَةِ مِنْ ذَلِكَ، لَا نَفْسُ مُعَايَنَةِ الْحَقِيقَةِ. وهي التركيز والقوة المبصرة للحق، عند سماع القرآن. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [سُورَةُ قٓ: ٣٧]. فقد جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ كَلَامَهُ ذِكْرَىٰ، لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثلاثة. **أَحَدُهَا**: أَنْ يَكُونَ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ وَاعٍ، فَإِذَا فَقَدَ هَذَا الْقَلْبَ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالذِّكْرَىٰ، **الثَّانِي**: أَنْ يُصْغِيَ بِسَمْعِهِ كُلِّهِ نَحْوَ الْمُخَاطَبِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكَلَامِهِ، **الثَّالِثُ**: أَنْ

يُحْضِرَ قَلْبَهُ وَذِهْنَهُ عِنْدَ الْمُكَلِّم لَهُ، وَهُوَ الشَّهِيدُ؛ أَي: الْحَاضِرُ غَيْرُ الْغَائِبِ، فَإِنْ غَابَ قَلْبُهُ وَسَافَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْخِطَابِ.

٤- الشوق إلىٰ لقاء الله: وهُوَ اهْتِيَاجُ الْقُلُوبِ إِلَىٰ لِقَاءِ الله. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]. وَقَدْ صح في السنة أن النَّبِيَّ ﷺ كان يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَىٰ لِقَائِكَ**» [حم] و[ن]. ومن ذلك شَوْقُ الْعَابِدِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

٥- الفرار إلىٰ الله: وهو شدة الهرب مِمَّا سِوَىٰ اللَّهِ إِلَىٰ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقال عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]. والفرار يكون من شيء مخيف إلىٰ شيء آمن، ومن فزع إلىٰ اطمئنان. تفر إلىٰ الله؛ لأن خلفك إبليس يسعىٰ جاهدًا خلفك ليهلكك، وليجعلك من أصحاب السعير. فلا تؤخر الفرار. فرَّ إلىٰ ربك في الدنيا راغبًا مختارًا قبل أن يأتي يوم تفرُّ إليه وأنت مضطرٌ إليه -وليس لك إلا هو- ولكن لا ينفعك الفرار حينها لأنك قد فررت منه وأعرضت عنه في الدنيا قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠-١٢] وقال جل شأنه: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٣] وقال تعالىٰ: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧]، يفرُّ الإنسان في ذلك الموقف مِن كل مَن يمتُّون له بصلة في هذه الحياة يفر حتىٰ من أبنائه وفلذات كبده، ولكن لا ينفع هذا الفرار إن لم يكن الإنسان من الفارين إلىٰ الله في هذه الحياة الدنيا يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

فلماذا نؤخر الفرار إلىٰ العزيز الجبار؟ لماذا نؤخر الفرار إلىٰ الواحد القهار؟ هل نحن مغترون بصحتنا وقوتنا التي هي إلىٰ ضعف وزوال؟

أم نحن مغترون بأموالنا التي لن يلحقنا منها شيء إذا متنا؟ أم نحن عالمون بموعد موتنا وانتقالنا عن هذه الحياة؟ لهذا نحن نؤخر الفرار إلىٰ الله إلىٰ قرب هذا الموعد، هذه أسئلة لا بُدَّ أن يسألها المسلم لنفسه، ولا بُدَّ أن يجد لها الإجابات المقنعة إن كان حقًّا يريد مرضاة الله سبحانه، وإن كان حقًّا يريد النجاة من عذاب الله وعقابه. فتعالوا لنعلنها صريحة واضحة تحمل كل معاني الفرار إلىٰ الله ظاهرًا وباطنًا: «**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**». متفق عليه.

٦- **المجاهدة في الله**: وهو جهد النفس علىٰ الأمر والنهي وما فيهما من الثقل وما يعترضهما من نوازع الهوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فعلق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس وجهاد الهوىٰ وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلىٰ جنته. وقال تعالىٰ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وحق الجهاد هو جهاد النفس. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، **والمقصود بالمجاهدة محاربة النفس بفطامها عن الأهواء والشهوات ونزع الأماني والشبهات، وبإلزامها الطاعات، وتركها للمحرمات**. وهو أصعب أنواع المجاهدة، ويكون بترويض النفس حتىٰ يسهل قيادها إلىٰ الخير، وحتىٰ تقصر عن الشر. وهذا الجهاد، لا ينتهي، ولا ينقطع ما دامت نفسك بين جنبيك في الدنيا. ويجب أن تكون المجاهدة لله؛ وقد صح في السنة عند أحمد وغيره عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ**» [حم].

مَلامِحُ الْقَلْبِ الْمُؤْمِنِ

١- **التقوىٰ**: وهي امتثال فعل الأوامر، وترك النواهي. وهي شاملة لكل مقامات الدين؛ ولهذا رتب الله عليها الجنة كثيرًا في كتابه، وأمر بها كثيرًا، وأهلها أهل النجاة من النار، وهي خير الزاد، وميزان التفاضل بين الناس، وهي وصية كل رسول لقومه، وطريق رضا الله، ومحبته، ونصره، وبركته ومغفرته وحفظه، وكل هذا ثابت في كتابه. وقد وصف الله نفسه بأنه ولي المتقين، وهم أولياؤه.

٢- **الأنس بالله**: الأنس ضد الوحشة، والأنس بالله هو اطمئنان القلب وسكونه بقرب الله منه، يرعاه ويلطف به. فيحب ربه وتهدأ نفسه بمعية الله له، ويستبشر بنعم الله عليه، وبفضله، ويفرح برحمة الله وذكره لا يفتأ من التقرب إلىٰ ربه حتىٰ يسعد بالأنس بالله.

٣- **الألفة**: وهي الأنسُ والاجتماعُ مع الالتئامِ، والاتفاق والمعاونة علىٰ تدبير الحياة فيما بين المؤمنين. قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]، وصح عند أحمد وغيره عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قال: «**إنَّ المؤمِنَ يألَفُ، ولا خيرَ فيمن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ**» [طب]. فلا تجتمع كلمة المسلمين إلا أن يسبق ذلك تآلف القلوب واجتماعها.

٤- **التعظيم**: والمقصود إجلال الرَّبِّ فِي الْقَلْبِ مع التذلل والخوف والتقدير حق التقدير، قال تعالىٰ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ

عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]. أي ما عظموا الله حق تعظيمه. والتعظيم تابع للمعرفة؛ فَأَعْرَفُ النَّاسِ باللهِ أَشَدُّهُمْ لَهُ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا. والله من أسمائه العظيم ومن صفاته العظمة، وتتجلىٰ عظمته في خلق الله في الكون بتفاصيله من خلقٍ للسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال . . .

٥- **الثقة بالله تعالىٰ**: وهي تعلق القلب بما عند الله، والوثوق به، وانقطاعه عما في أيدي الناس، وعدم الركون إليه. وهي اليقين الراسخ بأن الله لا يخلف الميعاد؛ وأنه علىٰ كل شيء قدير. وهناك آيات كثيرة تدل علىٰ الثقة بما عند الله، وبما وعد به، وأنه لا يتخلف. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]. وقال: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. وقال: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]. وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وقال: ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]. وقال: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٧]، وألهمَ أُمَّ مُوسَىٰ بقوله: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾ [القصص: ٧]، فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَىٰ، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلَاعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ، وَجَرْيَانُهُ إِلَىٰ حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ.

٦- **التفويض**: وهو بَرَاءَةٌ وَخُرُوجٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَىٰ اللهِ، قال تعالىٰ عن مُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غَافِر: ٤٤]. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَّخِذَهُ وَكِيلًا. فَقَالَ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المُزَّمِّل: ٩].

٧- **التسليم**: وهو الرضا والإذعان والانقياد والاستسلام لشرع الله استسلامًا كاملًا، وانقيادًا مطلقًا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النِّسَاء: ٦٥]. وليكن شعارك أيها المسلم «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، لا شعار المغضوب عليهم حيث قالوا: «سمعنا وعصينا»، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: ٥١].



مَرَاقِبُ الْقَلْبِ

١- **اليقظة**: وهي كمال تنبه القلب وتحرزه عما لا ينبغي، وهي ضد الغفلة. وقد ذم الله الغفلة وأهلها، وصرح بأن أهلها أضل من الأنعام. وأنهم ذَرْءُ جهنم. ونهىٰ رسوله أن يكون من الغافلين؛ مما يدل علىٰ الأمر باليقظة، وأهمية شأنها في حياة المسلم، مما يؤدي إلىٰ تَحْدِيقِ الْقَلْبِ نَحْوَ الْمَطْلُوبِ، واستخدام السمع والبصر والفؤاد فيما يعود عليها بالنفع يوم القيامة، فاليقظة شعور مرهف يوصل إلىٰ الفهم عن الله.

٢- **الإنابة**: وهي رجوع القلب إلىٰ الله في كل وقت، والإسراع إلىٰ مرضاته، والسباق إلىٰ محابِّه. وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهَا فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ خَلِيلِهِ بِهَا، وَقَالَ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: ٧٥] وَأَخْبَرَ أَنَّ آيَاتِهِ إِنَّمَا يَتَبَصَّرُ بِهَا وَيَتَذَكَّرُ أَهْلُ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [سُورَةُ قٓ: ٦] إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سُورَةُ قٓ: ٨] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غَافِر: ١٣] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الرُّوم: ٣١] وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [سُورَةُ صٓ: ٢٤] وَأَخْبَرَ أَنَّ ثَوَابَهُ وَجَنَّتَهُ لِأَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [سُورَةُ قٓ: ٣١-٣٤] وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْبُشْرَىٰ مِنْهُ إِنَّمَا هِيَ

لِأَهْلِ الْإِنَابَةِ، فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الزمر: ١٧].

٣- التمكن: وهو قوة الصبر ومتانة اليقين، بحيث لا ينجذب صاحبه لشبه المنافقين، ولا يتأثر بحرب الكافرين. قَالَ اللَّهُ تَعالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]. فَمَنْ وَفَّىٰ الصَّبْرَ حَقَّهُ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لَمْ يَسْتَفِزَّهُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَمْ يَسْتَخِفَّهُ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ وَمَتَىٰ ضَعُفَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ أَوْ كِلَاهُمَا اسْتَفَزَّهُ هَؤُلَاءِ وَاسْتَخَفَّهُ هَؤُلَاءِ، فَجَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ بِحَسَبِ ضَعْفِ قُوَّةِ صَبْرِهِ وَيَقِينِهِ، فَكُلَّمَا ضَعُفَ ذَلِكَ مِنْهُ قَوِيَ جَذْبُهُمْ لَهُ، وَكُلَّمَا قَوِيَ صَبْرُهُ وَيَقِينُهُ قَوِيَ انْجِذَابُهُ مِنْهُمْ وَجَذْبُهُ لَهُمْ.

٤- الغيرة: وهي الغضب إذا اسْتُهِينَ بالحقِّ أو انتُهكتِ الحُرمَة، وفي المتفق عليه قوله ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ غَيْرَتِهِ: حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**». وعند مسلم قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ: أَنْ يَأْتِيَ الْعَبْدُ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ**».

٥- السكينة: وهي سكون القلوب عنِ الرَّيبِ والشَّكِّ، وهي ثبات القلوب الطائرة، وهدوء الانفعالاتِ؛ تُورِثُ الخُشوعَ والخُضوعَ، واجتماع القلبِ علىٰ اللهِ، بحيث يؤدِّي عُبوديَّته بقلبه وبدَنِه قانِتًا للهِ. وَهي السُّكُونُ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ، عِنْدَ اضْطِرَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَخَاوِفِ. فَلَا يَنْزَعِجُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ. وَيُوجِبُ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةَ الْيَقِينِ وَالثَّبَاتِ. وقد أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ إِنْزَالِهَا فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ؛ فهي مِنْ مَنَازِلِ الْمَوَاهِبِ. لَا مِنْ مَنَازِلِ الْمَكَاسِبِ.

٦- الطُّمَأْنِينَةُ: وهي سُكُونُ الْقَلْبِ إِلَىٰ الشَّيْءِ. وَعَدَمُ اضْطِرَابِهِ وَقَلَقِهِ. وَمِنْهُ الْأَثَرُ الصحيح عند الترمذي وغيره، قوله ﷺ: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**» أَي الصِّدْقُ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ قَلْبُ السَّامِعِ. وَيَجِدُ عِنْدَهُ سُكُونًا إِلَيْهِ.

وَالْكَذِبُ يُوجِبُ لَهُ اضْطِرَابًا وَارْتِيَابًا، وَمِنْهُ ما صح عند أحمد وغيره قَوْلُهُ: ﷺ: «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ**» أَيْ سَكَنَ إِلَيْهِ وَزَالَ عَنْهُ اضْطِرَابُهُ وَقَلَقُهُ. وتكتسب الطمأنينة بالإيمان وكثرة الذكر، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وعندها تصبح النفس مطمئنة، وتشرف بعدها بدخول الجنة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].



سِمَاتُ الْعَابِدِ

١- **انشراح الصدر**: وهو نور يقذفه الله في القلب؛ يؤدي إلىٰ سعته لفهم الشرع، والسعادة، والحياة الطيبة. وهو من الله، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]. ولقد ذكّر الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ بما امتنّ به عليه فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. ولقد سأل موسىٰ ربّه أن يشرح له صدره عندما أمره بالذّهاب لدعوة فرعون، أعتىٰ أهل الأرض طغيانًا وكفرًا، قال عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦﴾ [طه: ٢٥-٢٦].

ولقد قدّم الله انشراح الصّدر علىٰ تيسير الأمر، لأنّ نور الهداية الّذي يشرح الله به صدر المؤمنين هو مفتاح التّيسير، وهو نعمةٌ لا تقدّر بثمنٍ، فإذا رأىٰ الله في عبده الخير شرح له الصّدر، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وإذا كان العبد ضالًّا معرضًا؛ ضيّق الله عليه صدره وجعله حرجًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وهذا ميزان عدلٍ لا يميل، وطريقٌ لا ينحرف، فمن أعطىٰ واتّقىٰ وصدّق بالحسنىٰ يسّره الله لليسرىٰ، ومن بخل واستغنىٰ وكذّب بالحسنىٰ يسّره الله للعسرىٰ.

٢- **الرضا**: وهو ارْتِفَاعُ الْجَزَعِ من قلب العبد تُجاهَ أَيَّ حُكْمٍ مِنَ أحكامِ اللهِ، واطمئنانه لقضاء الله وقدره، حتىٰ ربما لا يرجو رفعه (والرضا بهذا الأخير المعنىٰ مستحب ليس واجبًا) وقد مَدَحَ اللهُ أَهْلَهُ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ

وَنَدَبَهُمْ إِلَيْهِ، وقد صرّح الله في كتابه عن أهل الإيمان والعمل الصالح بأنه رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله في موضعين. وقد صحَّ في السنةِ أنَّه ﷺ قَالَ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**» [ت]. وَقَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ**» [م].

٣- **التضرع**: وهو المبالغة في الشعور بالفقر والحاجة إلىٰ الله، وهو أن تلجأ إلىٰ الله مستغيثًا، تصرخ بقلبك وروحك وكيانك، تبكي ذليلًا بين يدي الغني القادر . . . تمد يديك بحاجتك لأبعد ما تستطيع، وتذرف الدموع . . . وتُنادي كل ذرَّة في جسدك وكل زفرة في روحك بالنجاة، ممن يملك طوق النجاة. وذلك أنَّ التضرع هو السبيل إلىٰ النجاة عند الشدائد والمصائب والكوارث. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]، وكذلك التضرع مع الاستكانة هما شرطا النجاة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥-٧٦].

٤- **الغربة**: والمقصود بها أن تكون من القلة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، التي تقوم بالقسط، وتمنع الفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]. وَهُمُ المعْنِيُّون بقولِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**بَدَأَ**

الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ» [م].

وَلِقِلَّتِهِمْ فِي النَّاسِ جِدًّا؛ سُمُّوا غُرَبَاءَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَىٰ غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ. وأهل الفهم الصحيح للإسلام غرباء. وقد ذكر الله الأكثرية في كتابه في نحو من ست وستين مرة علىٰ سبيل الذم، فأكثر الناس لا يعقلون ولا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا يشكرون ولا يسمعون، وأكثرهم فاسقون ويجهلون ويُضلون ومشركون وكافرون وللحق كارهون.

٥- **المسابقة إلىٰ الله**: وهو التقدم علىٰ منافسيك في القرب إلىٰ الله من خلال الإسراع إلىٰ المقرّبات، والبعد عن المعوقات. وقد أمر الله به فقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]. وأثنىٰ علىٰ أهله، فهم في أعلىٰ المراتب، فقال: ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]. وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]. وقال عن الملائكة: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النازعات: ٤]. وانظر إلىٰ الصحابة الكرام وكيف كان سباقهم إلىٰ الله، وتنافسهم علىٰ طاعته؛ لعل في ذلك شحذًا لهممنا حتىٰ نلحق بركبهم ما استطعنا، أو نشم غبار خيولهم، ونشاهد مواطئ أقدامهم: فقد خرج أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا

رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا! فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك**»؟ قلت: مثله، قال: وأتىٰ أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك**»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، **قلت**: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا. وحديث: «**سبقك عكاشة**» [خ، م] وحديث: «**سبق المفردون**» [م] وحديث: «**سبق أهل الدثور والأجور**» وفيه قال رسول الله ﷺ: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم**»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة**» متفق عليه.

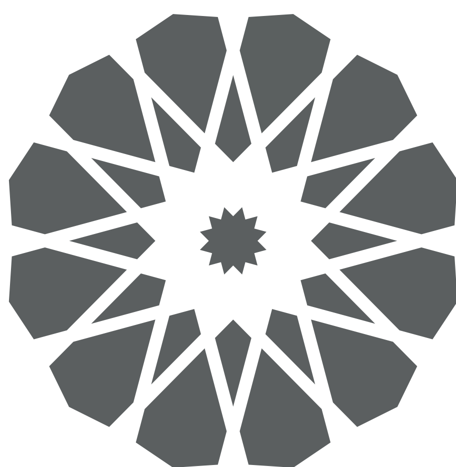
٦- **الخشوع**: وهو لين القلب، وخضوعه، ورقته، وسكونه، وحضوره وقت تَلبُّسه بطاعة الله، فتتبعه جميع الجوارح والأعضاء ظاهرًا وباطنًا؛ لأنها تابعة للقلب، وهو أميرها، وهي جنوده. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، ومن ثماره ثبات المغفرة والأجر العظيم للخاشعين قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ولقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وكان ﷺ يستعيذ ويقول: «وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ» [م]. **وله فضائل جمة**: منها أنه مَن فرَّغ قلبه لله تعالىٰ في صلاته انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنها أنه مَن صلىٰ ركعتين لا يُحَدِّث فيهما نفسَه غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومنها أنه مَن صلَّىٰ صلاةً مكتوبةً فأحسن خشوعها كانت كفّارةً، ومنها أنه من صَلَّىٰ ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة. ومنها أن الأجر في العبادة يكتب علىٰ قدر الخشوع . . . ويتوصل إليه في الصلاة بحضور القلب، وتدبر المقروء، واستشعار عظمة الله، وعظمة الوقوف بين يديه . . .

أعمال القلوب زَادُ الرَّحْلَةِ إِلَى اللهِ

فهذه الأعمال التي ذكرت تشكل أهم أغذية القلب، التي بها يحيىٰ، ويسعد، ويسلم من الأمراض التي تسبب العطب، فعليك أن تظفر بها، وتعمل بها في سيرك، نحو ربك، ستجد السعادة في الدارين.





الباب العاشر

شعب الإيمان

مستفادة من كتاب:

ترجمان شعب الإيمان[1]

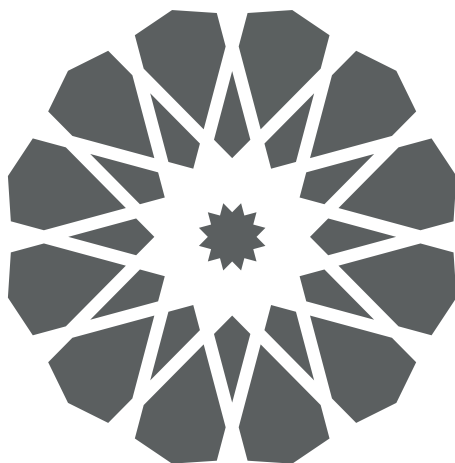
تأليف الشيخ الإمام

شهاب الأئمة سراج الدين أبي حفص

شيخ الإسلام عمر البلقيني

---

(١) اعتمدنا في إثبات الجزء المختار من النص، علىٰ تحقيق وتعليقات الشيخ سعود بن عبد العزيز الدعجان، نشرة: مكتبة العلوم والحكم.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رب يسر ولا تعسر يا كريم

لنبدأ بذكر الشعب سردًا ليحفظها ويعمل بها من صحح ذلك قصدًا فنقول:

أما الثلث[(١)] المتعلق بإيمان القلب فهو ثلاث وعشرون هي:

أن تؤمن بالله ذاته وصفاته[(٢)] وملائكته، وكتبه[(٣)] وما اتصل بنا تفصيله

---

(١) قسم المؤلف الشعب إلىٰ ثلاثة أقسام بناء علىٰ أن النبي ﷺ في حديث جبريل قسم الدين إلىٰ ثلاثة أقسام وهي: **الإسلام، والإيمان، والإحسان**، فالثلث الأول الذي يبدأ به المؤلف متعلق بالإيمان.

(٢) **الإيمان بالله يشتمل علىٰ ثلاثة أمور:**

١- الإيمان بأنه الخالق المدبر المالك لهذا الكون وهذا ما يسمىٰ بتوحيد الربوبية.

٢- الإيمان بأنه جلّ وعلا هو المعبود المستحق للعبادة لا غيره وهذا ما يسمىٰ بتوحيد الألوهية.

٣- الإيمان بأن الله له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا الثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة وهذا ما يسمىٰ بتوحيد الأسماء والصفات. لا يصح إيمان إلا بهذه الثلاث.

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥].

وقال ﷺ: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** . . .» رواه مسلم: **١/ ٣٧.**

والإيمان بالملائكة يكون إجمالًا وتفصيلًا، أما الإجمال فيكون بوجود الملائكة حقيقة.

وأما التفصيل فيكون بالإيمان بما ذكر في القرآن والسنة الصحيحة من أسمائهم وصفاتهم ووظائفهم الخلقية والخلقية.

وكذلك الإيمان بالكتب يكون إجمالًا وتفصيلًا، أما الإجمال فيكون بالإيمان بأنه ما من نبي ولا رسول إلا أنزل عليه كتابًا. وأما التفصيل فيكون بالإيمان بما ذكر في الكتاب والسنة الصحيحة من أسمائها وما فيها من أحكام تشريعية.

وبجملة القرآن وتفصيله أنه كلام الله تعالىٰ المنزل علىٰ نبيه محمد ﷺ[(١)] الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله[(٢)]، وأنه هذا المتلو المتواتر، وأن نؤمن برسل الله وأنبيائه[(٣)]، وبأن الرسول المبعوث إليه وإلىٰ العالمين[(٤)] سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وأن سيدنا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين[(٥)] الذي يلزمنا ويلزم جميع من تبلغه شريعته من جميع العالمين اتباعه[(٦)]، ونؤمن بسنته وبجملة شريعته وما بلغه من

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ومما جاء في وصفه أنه منزل علىٰ رسوله ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

(٣) الإيمان بالأنبياء والرسل يكون إجمالًا وتفصيلًا، أما الإجمال فيكون بالإيمان بأنه ما من أمة إلا بعث الله فيها رسولًا.
قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ويكون تفصيلًا بما ذكر الله تعالىٰ في كتابه وذكره النبي ﷺ في السنة الصحيحة من أسمائهم وما قصه الله ورسوله علينا من قصص بعضهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

(٤) مما دل علىٰ عموم رسالته ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] وقال ﷺ: «**فضلت علىٰ الأنبياء بست**» وذكر منها: «**وأرسلت إلىٰ الناس كافة**» رواه مسلم: **١/ ٣٧١**.

(٥) قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
ومما يدل علىٰ أنه خاتم النبيين من السنّة قوله ﷺ: «**فضلت علىٰ الأنبياء بست**» وذكر منها: «**وختم بي النبيون**» رواه مسلم: **١/ ٣٧١**.

(٦) أي أن من عرف الإسلام وعرف محمدًا ﷺ ولم يتبعه ويدخل في هذا الدين فإنه من =

تفصيلها[١] ونؤمن بالقدر كله خيره وشره[٢]، وبفناء الدنيا وهو مقتضىٰ اليوم الآخر[٣] علىٰ ما جزم به الحليمي[٤]، والأظهر أن اليوم الآخر والدار الآخرة بمعنىٰ واحد، وبالبرزخ[٥] فحُمِل عليه اللقاء علىٰ قول وبأحوال

= أهل النار كما قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**». رواه مسلم: ١/ ١٣٤.

(١) الإيمان بسنة النبي ﷺ الصحيحة لا ينفك عن الإيمان بالقرآن، فكما يجب العمل بالقرآن يجب العمل بالسنة في العقائد والأحكام، وقد أمر الله تعالىٰ بالأخذ بسنّة النبي ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].
وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي . . .**».
فالسنة وحي كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] فهي مبينة للقرآن وموضحة له ومفصلة لمجمله ومبينة لمشكله.
قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].
فلا يجوز تأويلها ولا ردها ولا أن يقدم عليها عقل أو قياس لأن ذلك منهج أهل البدع.
انظر السنة للمروزي، والإبانة الكبرىٰ لابن بطة.

(٢) الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن كل ذلك من الله، فإنه سبحانه خلق الخلق وعلم ما يعملون وما هم إليه صائرون.
قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].
وقال ﷺ: «**كل شيء بقدر حتىٰ العجز والكيس أو الكيس والعجز**». رواه مسلم: **٤/ ٢٠٤٥**.
ولما ذكر رسول الله ﷺ أركان الإيمان ذكر منها: «**أن تؤمن بالقدر خيره وشره**» رواه مسلم: **١/ ٣٧**.

(٣) الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].
وذكره النبي ﷺ من ضمن أركان الإيمان كما في حديث جبريل المتقدم.

(٤) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: **١/ ٣٦**.

(٥) **البرزخ هو**: الحاجز بين الدنيا والآخرة، والمقصود به الإيمان بما حدث للميت في القبر من عذاب ونعيم، وتسمىٰ الحياة البرزخية. =

البرزخ من سؤال الملكين وجواب الميت(١)، ونعيم القبر وعذابه(٢)، وبالبعث الآخر(٣)، وبالحساب(٤)، . . . .

= قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

(١) مما جاء في سؤال الملكين وجواب الميت ما رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك بن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله . . . وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . . .**». (الفتح: ٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٢) ثبت نعيم القبر وعذابه في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما ومن ذلك حديث أنس السابق وفيه «**فأما المؤمن . . . فيقال له: انظر إلىٰ مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**» قال نبي الله ﷺ: «**فيراهما جميعًا**».

وأما المنافق والكافر فيقال له: «**لا دريت ولا تليت، فيضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين**» رواه البخاري: (الفتح: ٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

(٣) **البعث هو**: إحياء الناس بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

والإيمان بالبعث داخل في ضمن الإيمان باليوم الآخر وقد ورد في القرآن والسنة نصوص كثيرة تقرر ذلك وتثبته.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

وقال ﷺ: «**يبعث كل عبد علىٰ ما مات عليه**» رواه مسلم: **٤/ ٢٢٠٦**.

(٤) **الحساب هو**: أن الله تعالىٰ يوم القيامة يكشف لعباده أعمالهم وأقوالهم التي كانت منهم في الدنيا لكي يجازيهم عليها.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩].

وقال ﷺ: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه وستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتىٰ إذا قرره بذنوبه، ورأىٰ في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطىٰ كتاب حسناته**» رواه مسلم: ٤/ ٢١٢.

وبالميزان(١)، والصراط(٢) .... والحوض(٣)، والشفاعة(٤)، ونظر المؤمنين

---

(١) **الميزان هو**: الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة، وهو ميزان حقيقي توزن به الحسنات والسيئات، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وخالف أهل البدع وأولوه بالعدل، والنصوص من القرآن والسنة الصحيحة ترد ما قاله أهل البدع وتثبت ما قاله أهل السنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩].

وقال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان**» رواه البخاري: **١٣/ ٥٣٧**.

(٢) **الصراط هو**: الذي يمر عليه الناس يوم القيامة فمن جازه فقد نجا من النار ومن لم يجزه وقع في النار، وقد جاء وصفه في أحاديث كثيرة طويلة منها قوله ﷺ: «**ونبيكم قائم علىٰ الصراط يقول: رب سلم سلم حتىٰ تعجز أعمال العباد، حتىٰ يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوج ناج، ومكدوس في النار**». رواه مسلم: **١/ ١٨٧**.

وسماه النبي ﷺ بـ«**الجسر**» لأنه يوضع علىٰ جهنم كما في رواية: «**ثم يضرب الجسر علىٰ جهنم ... فيمر المؤمنون**» رواه مسلم: **١/ ١٦٧**.

(٣) **الحوض هو**: نهر أعطاه الله تعالىٰ لنبيه ﷺ ترد عليه أمته وقد تواترت الأحاديث الصحيحة في وصفه، منها قوله ﷺ: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي ﷻ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء**» رواه مسلم: **١/ ٣٠٠**.

(٤) **الشفاعة يوم القيامة هي**: استئذان الملائكة والأنبياء ومن دونهم من الصالحين علىٰ الله أن يرضىٰ لهم في إخراج عصاة المؤمنين من النار، وغير ذلك من أنواع الشفاعات للمؤمنين بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقال ﷺ: «**لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**» رواه البخاري: **٧/ ١٤٥**.

ومما ورد في شفاعة غير النبي ﷺ قوله ﷺ من حديث طويل: «**فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون** ...». رواه البخاري: **٨/ ١٨٢**.

إلىٰ الله[(١)]، والجنة، والنار[(٢)]، وما ثبت من المغيبات[(٣)] من قصص الجن

(١) ثبت في القرآن والسنة الصحيحة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وذلك من أفضل النعيم الذي يعطاه المؤمنون يوم القيامة.
قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].
وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته**» رواه البخاري: **١٣/ ٤١٩**.

(٢) من معتقد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان.
قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].
وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].
وقال ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» رواه مسلم: **١/ ٤٢٠**.

(٣) **المغيبات**: كل ما غاب عنا مما لا يدركه حس ولا بديهة عقل ومما سيكون في المستقبل مما أخبر الله في كتابه وأخبر عنه النبي ﷺ مما أطلعه الله عليه وبعض الشعب التي ذكرها المؤلف تعد من الغيبيات كالإيمان بالملائكة، وعذاب القبر ونعيمه، وما يتعلق باليوم الآخر من البعث إلىٰ دخول الجنة والنار وما أعد الله فيهما من النعيم والعذاب كله يعتبر من الغيب الذي يجب الإيمان به، وقد بقي من الغيبيات مما لم يذكره المؤلف أشراط الساعة وعلاماتها التي تسبق قيامها. قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].
وقد أخبر النبي ﷺ بأشراط الساعة الكبرىٰ والصغرىٰ في مواضع كثيرة من سنته الثابتة.
انظر منها في صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة.
وقد مدح الله تبارك وتعالىٰ الذين يؤمنون بالغيب فقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١-٣] وبين أنه علم خاص به سبحانه لا أحد يستطيع أن يعرفه أو يطلع عليه إلا ما يخبر به بعض أنبيائه.
قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. =

ونحو ذلك فهذه ثلاث وعشرون علىٰ تقدير أن يكون الإيمان بصفات الله شعبة ثابتة وأن يكون الإيمان بالبرزخ وأحواله واحدة وأن يكون الإيمان بالحساب شعبة غير الإيمان فإن ضممت اثنتين، مما ذكر إلىٰ ما يلائمها فالشعب إحدىٰ وعشرون وإن لم تضف شيئًا من ذلك وجعلت الإيمان بالبرزخ وأحواله اثنتين وأضفت إلىٰ ذلك المعرفة واليقين لأنك تعرف فتؤمن وتتيقن كانت الجملة ستًا وعشرين وإذا جعلت المعرفة واليقين واحدًا كانت خمسًا وعشرين ويظهر أثر ذلك في الجمل كما سيأتي والأقرب أن المعرفة واليقين من قسم الإحسان المشار إليه بقوله ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»

فإن ذلك فيه الإشارة إلىٰ المعرفة واليقين، وأما كراهة الكفر والفسوق والعصيان وإنكار ما يلقيه الشيطان من العظائم للإنسان بالوسوسة فذلك من قسم الإحسان(١)، وأما الكفر فما عبد من دون الله فهو مستلزم للإيمان بالله وحده فلذلك لم يعد من الشعب.

وأما الثلث المتعلق بالأعمال الظاهرة فثلاث وعشرون.

= ومن ذلك الغيب ما أخبر الله به عن الجن والشياطين ووجودهم في الأرض حقيقة وأنهم خلق من خلق الله مأمورون بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقد جاء الجن إلىٰ رسول الله ﷺ واستمعوا للقرآن. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وأخبر سبحانه أن منهم شياطين كما في الإنس. قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد أخبرنا الله بعداوة شياطين الجن للمؤمنين، وأعطاهم القدرة علىٰ إيذائهم لكنه سبحانه حجب رؤية الإنس لهم. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(١) يعني أن هذه الشعب تدخل تحت الثلث الأخير الذي سيأتي الكلام علىٰ شعبه.

الأولىٰ: الشهادة لله تعالىٰ بأنه لا إله إلا هو وإذا انضم أعلىٰ شعب الإيمان وهو الإيمان بالله إلىٰ أعلىٰ ما يظهر من الأعمال كان أعلىٰ الشعب لا إله إلا الله. وكذا صح عن النبي ﷺ[١].

الثانية: الشهادة نطقًا للنبي ﷺ بالرسالة[٢] العامة[٣]، وهاتان الشعبتان لابد من النطق بهما لمن يمكنه النطق[٤]، وبهما يحصل الإسلام ظاهرًا

(١) صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله**» رواه مسلم: ١/ ٦٣.

(٢) الشهادتان لا تنفك إحداهما عن الأخرىٰ بمعنىٰ أنه لا يقبل النطق بأحدهما دون الأخرىٰ ولذلك فتعتبران شعبة واحدة، وكل الأحاديث الواردة في فضل لا إله إلا الله وحدها فهي متضمنة لشهادة أن محمدًا رسول الله. قال ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرم الله عليه النار**» رواه مسلم: ١/ ٥٨.

(٣) تقدم ذكر الدليل علىٰ عموم رسالته في الشعبة الثامنة وهي الإيمان بأن الرسول ﷺ المبعوث إليه وإلىٰ العالمين.

(٤) القول بوجوب النطق والتلفظ بالشهادتين لمن كان قادرًا علىٰ ذلك وأن ذلك شرط الإسلام هو القول الصحيح الذي دل عليه الدليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر ظاهرًا وباطنًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها . . .».

وقد خالف في ذلك أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم ففسروا الإيمان الشرعي بأنه التصديق فقط دون القول والعمل، وقالوا: بأن أول واجب علىٰ المكلف هو المعرفة أو النظر أو القصد إلىٰ النظر.

وقولهم مخالف لما دعا إليه الرسل عليهم السلام. قال تعالىٰ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وكل رسول أرسل إلىٰ قومه كان يقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال أفضلهم وخاتمهم ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله**» رواه مسلم: ١/ ٥١-٥٢. =

وهما الركن الأعظم من أركان الإسلام الخمس، وهما مع الذي تقدم من المعتبر في الإيمان يحصل الإسلام النافع والإيمان النافع[١]، ونطلق علىٰ من وُجِدَ ذلك منه مؤمنًا مسلمًا[٢] حيث لم يخل بتعظيم ما يعتبر تعظيمه في صحة الإيمان والإسلام فإذا أتىٰ بكل الأعمال فهو المؤمن الكامل والمسلم الكامل.

ومن الشعب الظاهرة:

[الثالثة]: الطهارة الصغرىٰ[٣].

[الرابعة]: والطهارة الكبرىٰ[٤]، ويتفرع من هاتين الشعبتين الكلام علىٰ

= **قال ابن أبي العز الحنفي بعد أن ساق بعضًا من الأدلة علىٰ وجوب ذلك قال**: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب علىٰ المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر، ولا القصد إلىٰ النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون علىٰ أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان». شرح العقيدة الطحاوية (ص١٥، ١٦).

(١) لا يكون الإيمان بذلك نافعًا إلا إذا كان معه عمل يصدق ذلك الإيمان ويصححه ويجتنب ما يبطل ذلك الإيمان وينقضه.
قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

(٢) سيأتي الكلام علىٰ الإسلام الإيمان ومتىٰ يجوز إطلاقهما أو إطلاق أحدهما.

(٣) الطهارة الصغرىٰ الوضوء قال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» رواه مسلم: **١/ ٢٠٣**، وهذا دليل علىٰ أن الوضوء شعبة من شعب الإيمان.

(٤) الطهارة الكبرىٰ الاغتسال من الجنابة، وقد ذكر الغسل من الجنابة في حديث جبريل من رواية الدارقطني في سننه قال: «**وتحج وتعتمر وتغتسل من الجنابة**» قال الدارقطني: إسناد ثابت صحيح.
أخرجه مسلم بهذا السند: **(٢/ ٢٨٢)** من غير هذه الزيادة وسيرويه المؤلف ص**٧٣** من هذا الكتاب.

ما يتطهر به(١) وآنيته(٢) وبدله عند الفقد وكيف يفعل عند عدم الكل(٣) والأسباب الموجبة للطهارتين المذكورتين وينجر إلىٰ الطهارة عن النجاسة والكلام عليها وطهارة البدن والثوب والموضع والاستنجاء وإزالة الأوساخ وذكر الطهارات المسنونة(٤).

الخامسة: الصلاة(٥) وهي الخمس التي هي أحد أركان الإسلام ومنها الجمعة وينجر ذلك إلىٰ الجماعة وإظهارها في المساجد ثم يتفرع من هذه الشعبة الصلوات المشروعة كلها حتىٰ المنذورة والجنازة واتباعها وقيام شهر رمـضـان(٦)، . . . .

---

(١) قوله: (ما يتطهر به) يشير إلىٰ أنواع الماء: **١**- طاهر، **٢**- طهور، **٣**- نجس.

(٢) قوله: (آنيته) يشير إلىٰ ما يوضع بها الماء من أنواع الآنية فمنها الطاهر ومنها النجس ومنها المحرم كآنية الذهب والفضة.

(٣) يشير بذلك إلىٰ التيمم.

(٤) الكلام علىٰ الطهارة وأحكامها موضعه كتب الفقه، وإنما ذكرها المؤلف هنا إشارة إلىٰ أن الطهارة وما يتعلق بها من أحكام شعبة من شعب الإيمان.

(٥) مما يدل علىٰ أن الصلاة من أعظم الشعب وأهمها بعد الشهادتين تسمية الله جل وعلا لها بالإيمان كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس. تفسير الطبري: **٢/ ١٦-١٨**، وجعلها النبي ﷺ الفاصلة بين الكفر والإيمان فقال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**». رواه مسلم: **١/ ٨٨**.

قال الحليمي: وليس في العبادات بعد الإيمان بالله الرافع للكفر أسماها الله ﷻ وسمىٰ رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلا الصلاة المنهاج في شعب الإيمان: **٢/ ٢٨٨**.

وقال عبد الله بن شقيق: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة» رواه الترمذي: **٥/ ١٤** وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (**٥٦٤**).

وقد ذكر **الحليمي** رحمه الله دلائل كثيرة تدل علىٰ عظمة الصلاة من بين العبادات في كتابه المنهاج: **٢/ ٢٨٨-٢٩٥**.

(٦) قال ﷺ: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه البخاري: **١/ ٩٢**.

وقيام ليلة القدر(١)، والرواتب وقيام الليل ولها شعائر وسمات وشرائط وأحوال معروفة في الفقه عقد لها كتاب الصلاة وتحته أبواب إلىٰ الزكاة ومن ذلك صلاة العيدين والخسوفين(٢) والاستسقاء.

السادسة: الزكاة(٣)، وأبوابها معروفة ونُصبها مبينة في السنة الصحيحة ويتفرع منها زكاة الفطر ومن تمام هذه الشعبة صرفها إلىٰ مستحقها علىٰ الوجه المطلوب شرعًا وذلك معروف في قسم الصدقات ونحو ذلك إلىٰ صدقة التطوع.

السابعة: صيام شهر رمضان(٤) ويتفرع من ذلك قضاؤه وما وجب من الصيام بسبب فدية أو كفارة أو نذر وينجر إلىٰ صوم التطوع، وعد الحليمي

---

(١) قال ﷺ: «**من يقم ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» رواه البخاري: **١/ ٩١**.

(٢) المقصود خسوف القمر وكسوف الشمس، وتعبير المؤلف مما يجوز في كلام العرب كما يقال الأسودان: يعني التمر والماء، مع أن الماء لا يكون أسود والقمران: الشمس والقمر.

(٣) جاء ذكر الزكاة في حديث جبريل وهي عمل، والعمل من الإيمان، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].
ومما يدل علىٰ أنها من أعظم أمور الإيمان بعد الشهادتين، قتال أبي بكر ﷺ لمانعيها وما جاء عن النبي ﷺ من الوعيد الشديد علىٰ تركها. قال ﷺ: «**من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه** -يعني شدقيه- ثم يقول: **أنا مالك أنا كنزك**» ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠] والحديث رواه البخاري: **٣/ ٣٦٨**.

(٤) قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**». رواه البخاري: **١/ ٩٢**.

الاعتكاف شعبة مستقلة وفيه نظر فلتُذكر في شعبة الصوم لأن غالب اعتكاف النبي ﷺ كان في شهر رمضان ولازم الاعتكاف في العشر الأخير منه حتىٰ توفاه الله ﷻ.

الثامنة: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا(١).

التاسعة: الاعتمار(٢)، ويتفرع من هاتين الشعبتين إحياء الكعبة. والزيارة والطواف وغيرهما وينجر الكلام إلىٰ التطوع. بذلك والهدي والقلائد.

العاشرة: الجهاد(٣)..

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلًا، وقال ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» والجنة لا يدخلها إلا المؤمن.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وذكرت مشروعية العمرة في حديث جبريل برواية الدارقطني في سننه: **٢/ ٢٨٢** عندما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإسلام قال: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج وتعتمر، وتغتسل من الجنابة، وتتم الوضوء، وتصوم رمضان**» الحديث.

وأصله في مسلم بنفس السند وبغير ذكر العمرة والغسل والوضوء. قال الدارقطني: إسناد ثابت صحيح. أخرجه مسلم بهذا الإسناد.

انظر صحيح مسلم: **١/ ٣٧-٣٠**.

(٣) الجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعداء الله من أعظم شعب الإيمان حيث إن فيه بذل النفس لنيل ثواب الله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وأخبر النبي ﷺ أنه من أفضل الأعمال. فعن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**» رواه مسلم: **١/ ٨٨**.

الحادية عشرة: المرابطة[1]، ويتفرع منها إعداد الأسلحة والكيد وتعلم الرمي والحرب والمسابقة والمناضلة والثبات للعدو وعند الالتقاء مع الذي يتعلق بذلك.

الثانية عشرة: أداء خمس المغنم[2]، ويتفرع منها الفيء والغنائم فحقوق ذلك كله.

---

(١) **المرابطة**: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطًا، ومما دل علىٰ عظم فضله وأهميته في الإيمان قوله ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**». رواه البخاري: ٦/ ٨٥.

ويطلق الرباط والمرابطة علىٰ الملازمة والمداومة علىٰ العبادة كالطهارة والصلاة وذلك تشبيهًا لمن يلازم ثغور المسلمين ليحرسهم من العدو كما قال ﷺ: «**ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا بلىٰ يا رسول الله قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرة الخطىٰ إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**» رواه مالك في الموطأ: ١/ ١٦١.

وبناءً علىٰ هذين الإطلاقين لمعنىٰ المرابطة اختلف في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] والأرجح أن المقصود المرابطة في سبيل الله. انظر تفسير ابن كثير: ص١٩٠-٢٩١، ولسان العرب لابن منظور: ٧/ ٣٠٢.

قال الحليمي: والمرابطة تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة لأن المرابط يقيم في وجه العدو مثل قيامه متأهبًا مستعدًا ... كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدًا ... اهـ. انظر المنهاج للحليمي: ٢/ ٤٩٢.

(٢) **المغنم هو**: ما يحصل عليه المسلمون من المال من خلال جهاد الكفار فيجب جمع الغنائم وإعطائها للإمام فيقسمها إلىٰ خمسة أقسام أربعة أخماس للمجاهدين، وخمس يعطىٰ لمن ذكر في الآية وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقد جعله النبي ﷺ من أصول الإيمان كما في حديث وفد عبد قيس حيث قال لهم النبي ﷺ: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع**» فأمرهم بالإيمان بالله وحده وقال: «**هل تدرون ما الإيمان؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن** =

الثالثة عشرة: أداء حقوق الله تعالىٰ من كفارة(١). . . . .

= **محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**» رواه مسلم: ١/ ٤٦-٤٧. ومما يدل علىٰ أهميته ما ورد من الوعيد فيمن يأخذ منه وهو ما يسمىٰ بالغلول. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وقد وردت أحاديث كثيرة في وعيد من أخذ من الغنيمة لأن ذلك يعتبر من الخيانة لله ولرسوله ﷺ.

قال الحليمي: «فلا ينبغي لمن جاهد في سبيل الله، وأظفره الله وسلمه وغنمه أن يختم جهاده ويقابل فضل الله تعالىٰ بالغلول، وبعض ذلك أعظم من بعض، ولولا عظم الدين في الغلو لما نزل فيه القرآن بالوعيد، ولا جعله النبي ﷺ أول ما ينهىٰ عن سراياه ولا امتنع عن الصلاة علىٰ من عرف ذلك منه، فلا شيء أولىٰ منه بأن يمقته المجاهد ولا يفسد به جهاده عنه». المنهاج: **٢/ ٥٠٤**.

قلت: ويلحق بذلك ما يأخذه العمال من الهدايا أو من بيت مال المسلمين بغير حق، وقد قال ﷺ: «**هدايا العمال غلول**» رواه أحمد: **٥/ ٤٢٥** وصححه الألباني في إرواء الغليل: **٨/ ٢٤٦** رقم: **٢٦٢٢**.

(١) الكفارات هي الواجبات بالجنايات. **قال الحليمي**: «وهي في الكتاب والسنة أربع كفارات: **كفارة القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المستبشر في رمضان**». المنهاج: **٢/ ٥٠٨**.

١-فأما كفارة القتل فدليل ذلك من الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

ومن السنة ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني علىٰ ألا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفىٰ منكم فأجره علىٰ الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلىٰ الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه**».

قال عبادة: فبايعناه علىٰ ذلك. رواه مسلم: **٣/ ١٣٣٣**.

٢- وأما كفارة الظهار فدليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣]. =

ونذر[١] ونحوهما ويتفرع من ذلك إقامة الشعائر بذبح الأضاحي والعقيقة ونحو ذلك.

الرابعة عشرة: الهجرة[٢]، ويتفرع من ذلك هجر الفواحش كلها ما

= قال **الحليمي**: ومن الناس من استدل علىٰ أن هذه الكفارة إيمان بأن الله تعالىٰ لما ذكرها أوجبها قال: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي قال: ليكونوا مطيعين لله تعالىٰ واقفين عند حدوده لا يتعدونها، فسمي التكفير لأنه طاعة ومراعاة للحد إتمامًا. فثبت أن كل ما أشبهه فهو إيمان. المنهاج: **٢/ ٥٠٩.**

٣- وأما كفارة اليمين فدليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

٤- وأما كفارة المجامع في صيام رمضان، فقد دلت علىٰ ذلك السنة فعن أبي هريرة ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «**ما لك؟**» قال: وقعت علىٰ امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا. قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا. قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟**» قال: لا. الحديث رواه البخاري: فتح **٤/ ١٦٣.**

(١) **النذر هو**: إيجاب المكلف علىٰ نفسه عبادة ليست واجبة عليه في أصل الشرع وله أقسام وأنواع. انظر فتح الباري: **١١/ ٥٧٢-٥٧٣.**

ومن النذر ما هو معصية ومنه ما هو طاعة، ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به. وأما الطاعة فيجب الوفاء به عند الاستطاعة قال ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**» رواه البخاري (فتح ٤/ ٥٨١).

وقد مدح الله الموفين به فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

(٢) **الهجرة هي**: الترك أو الانتقال من مكان إلىٰ مكان ومعناها في الشرع الانتقال من بلاد الشرك إلىٰ بلاد الإسلام، والهدف من الهجرة هو الهروب من أرض الكفار إلىٰ أرض يتمكن فيها المسلم من عبادة الله ﷻ وإقامة دينه، وكانت في أول الإسلام واجبة عندما وجد المسلمون الأذىٰ من المشركين وقد هاجروا إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة، وبعد فتح مكة انقطعت الهجرة من مكة إلىٰ المدينة ولذلك قال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**» رواه البخاري: **٦/ ٣٧.** =

ظهر منها وما بطن ويتناول ذلك النفوس والجناية عليها، ويدخل في الجناية الأطراف والمغابن وغيرها والفروج إلا ما أُبيح له، وأموال الناس إلا بطريق شرعي، ودخل في تحريم الأموال السرقة والنهبة وقطع الطريق والاختلاس والخيانة والرشوة، ودخل فيما تقدم الأعراض المحرمة ويتناول ذلك كل محرم من كبير وصغير، حتىٰ في العبادات كالصلاة قبل وقتها عمدًا مع العلم بالحال والصلاة المنهي عنها في أوقات النهي، وصوم العيدين والتشريق والشك إلا فيما استثنىٰ، وصلاة الحائض والنفساء وصومهما وصلاة المحدث والجنب حيث لم يوجد إذن شرعي، ومن المحرم الذي يهجر الوطء في الحيض والنفاس والإحرام والاستبراء وغير ذلك مما هو مقرر في الشريعة، والغش في المعاملات وغيرها وسيأتي تتمة النصيحة.

= وبقيت الهجرة واجبة علىٰ كل مسلم يقيم في بلاد الكفار لا يستطيع إقامة دينه أو يحصل له أذىٰ، وذلك في حال قدرته علىٰ ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ٩٧، ٩٨].

وقال ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة ما جوهد العدو**» رواه أحمد: **٥/ ٢٧٠** وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: **٤/ ٢٤٠**.

ولما كان الهدف من الهجرة هو عبادة الله وحده لا شريك له كان ذلك من أعظم شعب الإيمان، وكان من معانيها هجر السيئات التي تضعف الإيمان، ولذلك قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهىٰ الله عنه**» رواه البخاري: **١/ ٥٣**.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة، فالباطنة: ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة: الفرار بالدين من الفتن وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا علىٰ مجرد التحول من دارهم حتىٰ يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك قبل انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبًا لقلوب من لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهىٰ الله عنه». الفتح: **١/ ٥٤**.

ومن المحرم أيضًا في الملابس والفرش والأواني والملاعب والملاهي وينجر ذلك إلىٰ اجتناب المكروه وهو كثير.

الخامسة عشرة: إقامة الإمام(١)، ويتفرع منها الحكم بين الناس ونصب من يكون أهلًا لذلك من القضاة والولاة والمحتسب وغيرهم وطاعة أولي

---

(١) إقامة إمام للمسلمين لرعاية المصالح الدنيوية والأخروية ولحماية الأنفس والأموال والأعراض وجمع كلمة المسلمين أمر متفق علىٰ وجوبه عند أهل السنة، وأن الأمة يجب عليها طاعة الإمام في غير معصية الله ورسوله ﷺ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. وقال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني**» رواه البخاري: **١٣/ ٩٩**.

وقال ﷺ: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم: **٣/ ١٤٧٨**.

وغير ذلك من النصوص الكثيرة وسيرة السلف من الصحابة ﷺ والتابعين في تنصيب إمام في كل عصر كل ذلك يدل علىٰ أن مصالح الأمة لا تتم إلا بوجود إمام، **وقد روي عن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه **أنه قال**: «لابد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة. قيل هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبل. ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو، ويقسم بها الفيء» منهاج السنة: **١/ ٥٤٨**.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلىٰ بعض». السياسة الشرعية (ص١٦١).

ومما يدل علىٰ أهمية الإمامة ووجوبها تحريم الخروج علىٰ الأئمة والأمر بالصبر علىٰ ما يظهر منهم من الجور والظلم، لما يترتب علىٰ الخروج عليهم من المفاسد العظيمة.

قال ﷺ: «**من رأىٰ من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم: **٣/ ١٤٧٧**.

قال الطحاوي رحمه الله **في عقيدته**: «ولا نرىٰ الخروج علىٰ أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرىٰ طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

الأمر ورد الأمور إلىٰ أوامر الله ورسوله والرضا بذلك الأمر والتسليم من غير حرج.

السادسة عشرة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١)، ومنه نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

السابعة عشرة: العدل(٢)، وهو يتناول عدل الأئمة والسلاطين والقضاة وولاة أمور الناس والعدل بين الزوجات وبين الأولاد ونحو ذلك مما هو

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين التي يقوم عليها وذلك أنه بالقيام بهذا الأمر ينتشر العلم والعمل، وتقل المنكرات، وبترك القيام به ينتشر الجهل وتكثر المنكرات والمعاصي والمفاسد، وقد جعله الله من علامات الخير في هذه الأمة فقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وشهد لهذه الأمة بالفلاح إن هي قامت بهذا الأمر كما قال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وجعله الله تعالىٰ وجعله رسوله ﷺ علامة من علامات الإيمان وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷺ: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» رواه مسلم: ١/ ٦٩.

ومما يدل علىٰ أهميته ما جاء من الوعيد علىٰ تركه كما قال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. ٤/ ٤٦٨. انظر مجمع الزوائد: ٧/ ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) **العدل**: الحكم بالحق وضده الجور وأوجب ما يكون في الحكام وولاة الأمور، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

مقرر في الشريعة وبتمام العدل تحصل الاستقامة.

الثامنة عشرة: لزوم الجماعة(1)، ويتفرع من ذلك الالتزام بالإجماع فإذا انضم ذلك إلىٰ الكتاب والسنّة كان ذلك أدلة الشرع وينشأ منها الاعتبار القياس وهذه الأربعة أدلة الفقه وبسط الكلام عليها وعلىٰ متعلقاتها أصول الفقه.

التاسعة عشرة: الوفاء بالعهد(2)، وينجر ذلك إلىٰ الكلام علىٰ الأمان والذمة والهدنة.

---

(1) الجماعة هي جماعة المسلمين الذين اجتمعوا علىٰ إمام واحد.
فلزوم الجماعة كله خير وعزة والفرقة شر لأنها تضعف الإسلام والمسلمين، وقد أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ومدح من كان كذلك فقال: «**نَضَّر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتىٰ يبلغه، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه، ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدًا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم**» رواه أحمد: ٥/ ١٨٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١/ ٦٨٩.
وفي الحديث الطويل الذي يسأل فيه حذيفة رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن ما ينجيه من الفتن قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**» رواه البخاري: ٦/ ٦١٥.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -معلقًا علىٰ الحديث السابق-: «وهذه الثلاث إخلاص العمل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة» الفتاوىٰ: ١/ ١٨.
وروىٰ اللالكائي عن الأوزاعي -رحمه الله تعالىٰ- قال: «كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله»: ١/ ٦٤.

(2) **الوفاء بالعهد**: هو إتمامه وعدم نقضه، وهو صفة محمودة اتصف الله تعالىٰ بها كما تليق به كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]. وهو أيضًا من صفات المؤمنين كما قال جل وعلا: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: ١٧٧]. =

العشرون: الأمانة[١]، وينجر ذلك إلىٰ الوديعة وما تحت يد الإنسان مما يؤتمن عليه بولاية شرعية علىٰ يتيم أو وقف ويدخل في هذه الشعبة القراض والشركة والوكالة وغيرها.

الحادية والعشرون: الصدق[٢].

= وهو من الصفات التي جاء بها النبي ﷺ وأمر بها وذلك أن قيصر ملك الروم لما سأل أبا سفيان عما يأمر به النبي ﷺ قال: يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف والوفاء بالعهد، والأمانة. انظر صحيح البخاري: الفتح: ٦/ ١٠٩.

(١) **الأمانة هي**: القيام بما أوجبه الله من فعل المأمورات وترك المحظورات وذلك بإخلاص العبادة لله ومتابعة الرسول ﷺ ويكون ذلك في السر والعلانية، ويدخل تحت ذلك جميع أنواع العبادة كالصلاة والصيام والحج والطهارة وغير ذلك، وكذلك الأمانة في المعاملات كالبيع والشراء وفي الأعراض وغيرها، وكأن الأمانة قد دخل فيها كل عمل صالح وهي ضد الخيانة ومن هنا تأتي أهمية الأمانة في الإيمان.
قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] وقد وصف النبي ﷺ من فقدها ينقص الإيمان فقال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**» رواه أحمد: **٣/ ٢١٠** وصححه الألباني في كتاب الإيمان (ص١١). ولذلك جعل النبي ﷺ الخيانة من صفات المنافقين فقال في صفات المنافق: «**وإذا أؤتمن خان**» رواه البخاري (الفتح: ١/ ٨٩).
ومما يدل علىٰ أهمية الأمانة في الإيمان أن النبي ﷺ جعل ضياع الأمانة من علامات الساعة، وذلك أنه ﷺ لما قيل له: متىٰ الساعة؟ قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسَد الأمر إلىٰ غير أهله فانتظر الساعة**» رواه البخاري: الفتح: **١١/ ٣٣٣**.

(٢) **الصدق**: ضد الكذب وهو مطابقة العمل والاعتقاد لقول اللسان، وهو من أعظم شعب الإيمان بل يعتبر أحد أركان معنىٰ الإيمان الشرعي. وقد وصف الله نفسه به علىٰ ما يليق به سبحانه فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].
وهو من صفات أولياء الله المتقين وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ فقد كان يلقب بالصادق الأمين، وذلك أنه لما أُمِرَ بإنذار عشيرته سألهم عن حاله عندهم فقالوا: «ما جربنا عليك إلا صدقًا» رواه البخاري (الفتح: ٨/ ٥٠١). =

الثانية والعشرون: كف الأذىٰ عن الناس[(١)]، وأعلاه كف الأذىٰ عن من قال: لا إله إلا الله، بتمامه المعتبر[(٢)]، ولا يكفر بالذنوب[(٣)].

= وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٣].
ووصف الله الأنبياء الآخرين بذلك فقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٤١].
وقال سبحانه عن إدريس عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٥٦].
ووصف أبو بكر رضي الله عنه بالصديق. والصدق جزاؤه الجنة كما قال ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، وإن الرجل ليصدق حتىٰ يكون صديقًا**» رواه البخاري (الفتح: ١/ ٥٠٦).

(١) **الأذىٰ**: هو إلحاق الضرر بالناس في أموالهم وأعراضهم ونحوه وكفه عنهم: منعه، وقد ورد الوعيد الشديد فيمن يؤذي المؤمنين فضلًا عن إيذاء الله ورسوله ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأَحزَاب: ٥٧، ٥٨].
ونهىٰ النبي ﷺ عن أذىٰ المسلمين بقوله: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلىٰ قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**» رواه الترمذي: ٤/ ٣٧٨، وسنده حسن. انظر مجمع الزوائد: **٨/ ٩٣-٩٤**.
وقد جعل النبي ﷺ كف الأذىٰ عن الناس مما يثاب عليه المسلم فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله وجهاد في سبيله**» قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: «**أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها**» قلت: فإن لم أفعل؟ قال: «**تعين ضائعًا أو تصنع لأخرق**» قال: فإن لم أفعل؟ قال: «**تدع الناس من الشر، فإنها صدقة تصدق بها علىٰ نفسك**» رواه البخاري (الفتح: ٥/ ٦٤٨).

(٢) **يعني من قال**: لا إله إلا الله عالمًا بمعناها عاملًا بمقتضاها وهو توحيد الله تعالىٰ ولم يأت بما ينقضها من الشرك ونحوه أو ينقصها ككبائر الذنوب، وقد قال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه علىٰ الله**» رواه مسلم: (١/ ٥١-٥٢).

(٣) التكفير بالذنوب التي دون الشرك مذهب الخوارج، وذلك مصادم لكلام الله ورسوله ﷺ. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ١١٦]. =

الثالثة والعشرون: قبول الخبر[(١)]، ومن ذلك الأذكار علىٰ ما جاء فيها

= وقال ﷺ في الحديث القدسي يقول الله تعالىٰ: «**من لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**» رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٦) ومعنىٰ ذلك أن المسلم مهما ارتكب من الذنوب الكبيرة إن لم يقع في الشرك فإنه تحت مشيئة الله ومعرض لمغفرة الله ورحمته وعفوه، وإن عذبه لا يخلد في النار كما يخلد الكافر لأن ذنوبه لم تخرجه عن الإيمان. قال ﷺ: «**يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالىٰ: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**». رواه مسلم: (١/ ١٧٢).

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة. قال الإمام الصابوني في عقيدة السلف: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات علىٰ التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلىٰ الله ﷻ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا غير مبتلىٰ بالنار، ولا يعاقب علىٰ ما ارتكب من الذنوب واكتسبه، ثم استصحبه إلىٰ يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلىٰ نعيم دار القرار» (ص٧١، ٧٢).

(١) **قبول الخبر**: يعني به الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ سواء منها المتواتر أو الآحاد، والأصل في ذلك أن المسلم الذي يؤمن برسول الله ﷺ لا يرد شيئًا من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، ولكن مع ذلك ظهر من يرد سنة رسول الله ﷺ من أهل البدع بحجة أنها آحاد وأخبار الآحاد لا تفيد القطع بل تفيد الظن ولذلك لا يجوز الأخذ بمثل ذلك عندهم في العقائد فأنكروا صفات الله تعالىٰ بمثل هذه الحجج الواهية، وردوا سنة رسول الله ﷺ.

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: «أن الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة يقولون بأن الأخبار قسمان: متواتر وآحاد، فالمتواتر، وإن كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين، وبهذا قدحوا في دلالة القرآن علىٰ الصفات. قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها ولا من جهة متنها، فسدوا علىٰ القلوب معرفة الرب تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ﷺ». (ص٣٩١). =

من الأخبار والآثار(١) وترك ما لا يعني(٢).

قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(٣). وصح أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»(٤)، وعلىٰ ترك الكلام فيما

= فرد شيء من هذه الأخبار الصحيحة مما ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله لأنه رد لما جاء به النبي ﷺ، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقد تلقت الأمة الأخبار الصحيحة عامة وأخبار الآحاد خاصة بالقبول كخبر تحويل القبلة، وخبر تحريم الخمر، وأرسل النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن داعية وغير ذلك كثير. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله اعلم أن التحقيق الذي لا يجوز العدول عنه أن أخبار الآحاد الصحيحة كما تقبل في الفروع تقبل في الأصول فما ثبت عن النبي ﷺ بأسانيد صحيحة من صفات الله يجب إثباته واعتقاده علىٰ الوجه اللائق بكماله وجلاله علىٰ نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم من أن أخبار الآحاد لا تُقبل في العقائد، ولا يثبت بها شيء من صفات الله -زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين وأن العقائد لابد فيها من اليقين- باطل لا يعول عليه ويكفي من ظهور بطلانه أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل. ا. هـ. مذكرة أصول الفقه (ص١٠٤، ١٠٥).

(١) يعني بذلك ما جاء من الفضل في أذكار الصباح والمساء والنوم والطعام والسفر ونحوها مما ثبت عن النبي ﷺ كحصول الثواب العظيم في بعضها والتحصين والحفظ من الشيطان، والشفاء من الأمراض ونحو ذلك مما هو ثابت ومنثور في كتب الحديث، فقبول ما ذكر فيها من الفضل من الإيمان.

(٢) في ترك ما لا يعني قال ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» رواه مالك مرسلًا في الموطأ وقال محققه محمد فؤاد عبد الباقي: والحديث حسن بل صحيح (**٢/ ٩٠٣**)

(٣) [سورة المؤمنون: ١-٣].

(٤) رواه مسلم (١/ ١٦٨).

لا يرضي الله يحمل علىٰ العي[(١)] من شعب الإيمان وسيأتي، وإذا أخذت ما أضفناه في بعض الشعب وردت إلىٰ خمس وعشرين أو ست وعشرين أو اختصرت إلىٰ إحدىٰ وعشرين ظهرت لك المقاصد في العد حمل الروايات التي سنذكر.

وأما الكلام المتعلق بالإحسان المشار إليه بقوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(٢)]. وفي رواية: «أن تخشىٰ الله كأنك تراه»[(٣)]. -الحديث- وسيأتي بتمامه وخصاله ثلاث وعشرون:

١- المعرفة[(٤)]، . . . .

---

(١) **العي**: ضد الإبانة في الكلام وعدم الاهتداء لوجه المراد والعجز عن أدائه (المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٨)، والمقصود بكونه شعبة من الإيمان هو ترك الكلام والجدال تحرزًا من الوقوع في الزلل والخطأ والإثم فيكون بهذا المعنىٰ من الإيمان كما قال ﷺ: «**الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**» رواه ابن أبي شيبة في الإيمان. وقال الألباني: صحيح الإسناد (رقم ١١٨)، والحاكم في المستدرك وقال هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد احتجا برواته عن آخرهم (١/ ٩).

قال المناوي في معنىٰ العي في هذا الحديث: «أي سكون اللسان تحرزًا عن الوقوع في البهتان لا عيّ القلب ولا عي العمل ولا عيّ اللسان لخلل. ونقل عن القاضي قوله: المراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال لا لخلل في اللسان». فيض القدير (٣/ ٤٢٨).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٧).

(٣) رواية أخرىٰ عند مسلم أيضًا (١/ ٤٠).

(٤) **المعرفة** لغة: السكون والطمأنينة. مقاييس اللغة (٤/ ٢٨١).

وشرعًا: العلم بالله وأسمائه وصفاته وما ينتج عن ذلك من خوفه ومحبته ورجائه والعمل بذلك وهذا المعنىٰ هو الذي ينطبق مع قوله: «**أن تعبد الله كأنك تراه**».

وأما المعرفة الظاهرة لله المجردة عن العلم والعمل فهذه ليست من الإيمان. قال تعالىٰ عن أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ١٤٦]. =

واليقين[١] المشار إلىٰ ذلك بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومنهم من عد ذلك شعبتين.

= ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم** ...» الحديث رواه مسلم (١/ ٥١).

(١) **اليقين**: العلم وزوال الشك وهو ثلاث درجات:

١- علم اليقين. ٢- عين اليقين. ٣- حق اليقين.

وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك أن عنده عسلًا، وأنت لا تشك في صدقه ثم أراك إياه فازددت يقينًا، ثم ذقت منه.

فالأول: علم اليقين، **والثاني**: عين اليقين، **والثالث**: حق اليقين.

فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاوين، وعاينها الخلائق، فذلك عين اليقين فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فذلك حينئذٍ حق اليقين. مدارج السالكين (**٢/ ٣٣٧٩**).

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينًا بها قلبه فبشره بالجنة**» رواه مسلم (١/ ٦٠).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله**» ذكره البخاري في صحيحه تعليقًا، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح موقوفًا وضعفه مرفوعًا (**١/ ٤٧-٤٨**).

وفي رواية لابن مسعود أنه قال: «**اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا**» ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وعزاه لأحمد في الإيمان وصححه (**١/ ٤٨**).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. مدارج السالكين لابن **القيم** (**١/ ١٥٣**). والظاهر أن هناك تلازمًا بين المعرفة واليقين ولذلك جعلهما المؤلف شعبة واحدة.

٢- التوبة[1] . .

٣- **والخوف**[2]: ويتفرع من ذلك المراقبة والتفكر في وعيده وعظمته

(١) **التوبة لغة**: الرجوع.
وشرعًا: ترك الذنب لقبحه والندم علىٰ ما فرط منه والعزيمة علىٰ ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك الأعمال بالإعادة. الصحاح: (١/ ٩٢)، المفردات (ص٧٥).
وقد أمر الله تعالىٰ بالتوبة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] وهي من علامات محبته جلّ وعلا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
وكان النبي ﷺ وهو أفضل الخلق يكثر من التوبة والاستغفار، حيث كان يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» رواه البخاري (الفتح برقم ٦٣٠٧).
ولكن لقبول التوبة شروط:
١- أن لا تكون في حالة الغرغرة وهي خروج الروح. قال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**» رواه أحمد في المسند.
وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٩/ ١٧).
٢- أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها. قال ﷺ: «**من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه**» رواه مسلم (رقم ٢٧٠٣).

(٢) الخوف من الله من أعلىٰ مراتب العبادة بل هو أحد أركانها حيث إن وجوده يمنع صاحبه من معصية الله، وقد مدح الله من كان ذلك من صفاته فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧]. وقد أمر الله تعالىٰ بإخلاصه له وحده فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].
والخوف علىٰ ثلاثة أقسام:
١- **خوف طبيعي**، كالخوف من عدو أو سبع وهدم وغرق ونحو ذلك وهذا لا يذم كقوله تعالىٰ عن موسىٰ: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].
٢- **خوف يُقعد عن الخير** مثل أن يترك الإنسان ما يجب عليه من جهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر بغير عذر خوفًا من الناس، فهذا محرم.
٣- **خوف السر** وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل =

ومداومة ذكره والخشوع والخضوع والإخلاص المحض(١).

= ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًا يخافه هذا الخوف فهو مشرك. انظر تيسير العزيز الحميد (٣٢٩-٣٣٣) وقد كان النبي ﷺ أخوف الناس وأخشاهم لله حيث قال: «**أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له**» رواه مسلم (٢/ ٧٧٩).

وذكر النبي ﷺ من السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**» رواه مسلم (١٠٣١)، وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين شديدي الخوف من الله تعالىٰ ومن عقابه.

قال ابن رجب رحمه الله: «فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات، وأن ذلك هو الذي رقاهم إلىٰ تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات، من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات فضلًا عن المحرمات». التخويف من النار (٦، ٧).

(١) **الإخلاص المحض** هو: تصفية أعمال القلب واللسان والجوارح من كل شائبة من شوائب الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، وذلك أن قبول الأعمال والأقوال متوقف علىٰ وجود الإخلاص، فإذا فقد الإخلاص لم ينفع العمل. قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] وقال جل وعلا: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقد سميت السورة التي وحدت الله تعالىٰ في صفاته ونفت عنه الشريك والولد والمثيل بسورة الإخلاص، وسميت كلمة التوحيد لا إله إلا الله كلمة الإخلاص، فمن قالها مخلصًا في قولها استحق شفاعة النبي ﷺ.

قال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**» رواه البخاري (الفتح ٩٩).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢] **أخلصه وأصوبه**. جامع العلوم والحكم (ص١٠). =

٤- **الرجاء**[(١)]: ويتفرع منه الثقة بوعده مع القول في الدعاء[(٢)] وشروطه

= **وقال يوسف بن الحسين**: أعزّ شيء في الدنيا الإخلاص. مدارج السالكين (٢/ ٩٦).
وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا ينقله ولا ينفعه». الفوائد (ص٦٧).

(١) **الرجاء**: الأمل وتمني حصول المحبوب والخير ولكن لابد مع ذلك من الأخذ بالأسباب الموصلة إلىٰ المحبوب.
قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن الظن بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك علىٰ المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشفاء أن لا تعصي، وترجو أن تنجو». فتح الباري: (١١/ ٣٠١).
والرجاء أحد أركان العبادة وهو قسيم الخوف لأن المسلم لابد أن يكون في عبادته ما بين رجاء ثوابها والخوف من عدم قبولها وعند وقوع الذنب يكون بين خوف عقاب الله ورجاء رحمته وعفوه.
قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ويأتي الرجاء أحيانًا بمعنىٰ الخوف كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].
وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دخل علىٰ شاب وهو في الموت فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف**» رواه الترمذي وحسنه (رقم ٩٨٣) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٥١).
وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خصلة -أعلاهن منيحة العنز- ما من عامل يعمل بخصلة منهن رجاء ثوابها وموعودها إلا أدخله الله الجنة**» رواه البخاري (الفتح رقم ٣٦٣١).

(٢) **الدعاء**: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر. الفتاوىٰ: (١٥/ ١٠).
قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. =

وآدابه[1] . . . .

= وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] والدعاء من أعظم العبادات قال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (٥/ ٤٥٦). **وهو نوعان:**

١- **دعاء عبادة،** وهو نفس القيام بالعبادات لله فهي نوع من الدعاء.

٢- **دعاء مسألة.** وهو دعاء الطلب المباشر من الله، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة.

(١) **شروط الدعاء وآدابه هي:**

١- الإخلاص.

٢- التوبة.

٣- التضرع «الخشوع».

٤- الإلحاح والتكرار.

٥- الإكثار من الدعاء في الرخاء.

٦- خفض الصوت.

٧- التوسل بأسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ وصفاته العلا.

٨- اختيار جوامع الكلم.

٩- استقبال القبلة.

١٠- الطهارة.

١١- الافتتاح بالثناء علىٰ الله تعالىٰ والصلاة علىٰ نبيه ﷺ.

١٢- رفع اليدين.

١٣- عدم الاعتداء.

١٤- عدم التلبس بالحرام.

١٥- عدم الاستعجال.

١٦- عدم التعليق.

١٧- عدم الغفلة.

الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لجيلان العروسي (١٦١-٢٢٠)، وتصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد (٢١-٣٦) وانظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٥٢٢-٥٣٠) وشأن الدعاء للخطابي (ص١٣).

وأحواله[١].

٥- الورع[٢]: ويتفرع منه ترك ما استراب ويتفرع منه التورع في المطاعم والمشارب والملابس والمساكن وغير ذلك.

---

(١) **أحوال الدعاء**: يقصد بها أوقاته الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء وكذلك الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء، فأما الأوقات فهي:

١- الأسحار.

٢- يوم الجمعة.

٣- شهر رمضان.

٤ يوم عرفة.

٥- بين الأذان والإقامة.

٦- السفر.

٧- الظلم.

وأما الأماكن الفاضلة فهي:

١- المساجد٢,- المشاعر المقدسة.

انظر المصادر السابقة.

(٢) **الورع**: هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة، وهذا يكون منه ما هو ورع واجب كترك المحرم ومنه ما هو دون ذلك وهو ترك المشتبهات التي لا يعلمها كثير من الناس وغيرها من المكروهات. الفتاوىٰ (١/ ٥).

قال ﷺ: «**خير دينكم الورع**» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٩٢-٩٣) وشهد النبي ﷺ للمتصف بالورع بأنه من أعبد الناس فقال: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس**» رواه ابن ماجه في سننه رقم (٤٢١٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٣٠).

وقال ﷺ: «**الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقىٰ المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعىٰ يوشك أن يوافقه**» الحديث رواه البخاري (الفتح رقم ٥٢).

وقد مَدَحَ الورع كثير من السلف. **قال الشافعي**: «زينة العلم الورع والحلم» الآداب الشرعية (٣/ ٢٧٠).

وقال سفيان الثوري: «عليك بالورع يخفف الله حسابك» الورع لابن أبي الدنيا (١١٢).

٦- **الزهد**[١]: ويتفرع منه قصر الأمل.

٧- **القناعة**[٢]: ويتفرع منها الاقتصاد في النفقة وغيرهما مما يطلب فيه الاقتصاد والرفق.

---

(١) **الزهد**: «هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها علىٰ طاعة الله ﷻ». الفتاوىٰ (١/ ٣٠٥).
قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القَصَص: ٨٣].
وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتىٰ النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله دلني علىٰ عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما بأيدي الناس يحبك الناس**» رواه ابن ماجه (٤١٠٢).
وقال النووي في الأربعين: حديث حسن (ص٢٥٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٤).
قال ابن القيم رحمه الله: «إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة وعلىٰ هذا صنف المتقدمون كتب الزهد، كالزهد لعبد الله بن المبارك وللإمام أحمد ولوكيع ولهناد بن السري، ولغيرهم، ومتعلقه ستة أشياء، لا يستحق العبد اسم الزهد حتىٰ يزهد فيها وهي: المال، والصور، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله وليس المراد رفضها من الملك فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر علىٰ الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير». مدارج السالكين (٢/ ١٣، ١٤).

(٢) **القناعة**: الرضا باليسير. لسان العرب (٨/ ٢٩٧).
والمعنىٰ أن المؤمن هو الذي يقنع باليسير ولا يكون طماعًا فيكدح ويتعب من أجل جمع الدنيا وحطامها ومحاولة الاستكثار من المال فيشغله ذلك عن العبادة فينقص إيمانه، وقد جاء في هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النِّسَاء: ٦].
وقد مدح الله من اتصف بذلك فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]. ومما يدل علىٰ فضل القناعة أن رسول الله ﷺ =

٨- **الصبر**(١): ومنه الصبر علىٰ ما يصيبه عند أمر بمعروف أو نهي عن منكر والصبر علىٰ المصائب التي ترد عليه وغير ذلك.

= سألها حيث كان يقول في دعائه: «**اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه**» رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٣٥٦).

وشهد الرسول ﷺ لمن اتصف بالقناعة بالفلاح فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**» رواه مسلم (١٠٥٤) وجعله النبي ﷺ من أشكر الناس فقال: «**كن قانعًا تكن أشكر الناس**» تقدم في الورع.

قال القصري: «فعلىٰ قدر ما عند الإنسان من القناعة يكون عنده من شبع القلب والاستغناء بالله، وبالضد لمن فقد القناعة أو بعضها، وعلىٰ قدر ما يفقد من القناعة يكون عنده من ضدها، ويذهب من دينه بقدر ذلك، فإما أن يكون مشردًا في الأسفار في طلب الزيادة المذمومة، متبعًا للهوىٰ ومؤثرًا الدنيا علىٰ الآخرة، فإذا كان مؤثرًا لطلب الدنيا علىٰ طلب الآخرة، فقد نقص عمله ظاهرًا وباطنًا -أعني عمل قلبه وجوارحه- وذلك نقصان دينه، وإن كان فقيرًا ولم يقنع فإما أن يطلب المال من غير حله فيسرق أو يغصب أو يذل لأبناء الدنيا، وفي ذلك ذهاب لبعض دينه . . . **ففي** القناعة الغنىٰ والعزّ المحمود اللذان هما من أجل صفات المؤمنين، وفي فقدهما التعبد للغير كما ورد في الخبر: «**تعس عبد الدينار**» رواه البخاري (٨/ ١١٥) إلىٰ آخر المعنىٰ». شعب الإيمان (ص٢٦٥).

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-:

رأيت القناعة كنز الغنىٰ ... فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني علىٰ بابه ... ولا ذا يراني منهمك
فصرت غنيًّا بلا درهم ... أمر علىٰ الناس شبه الملك

ديوان الشافعي (ص١٠٢).

(١) **الصبر**: هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوىٰ وحبس الجوارح عن التشويش. مدارج السالكين (١/ ١٦٢-١٦٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «**الصبر باعتبار متعلقة علىٰ ثلاثة أقسام:**

١- صبر علىٰ الأوامر والطاعات حتىٰ يؤديها.

٢- وصبر عن المناهي والمخالفات حتىٰ لا يقع فيها.

٣- وصبر علىٰ الأقدار والأقضية حتىٰ لا يتسخطها». مدارج السالكين: (١/ ١٦٥). =

. . . .

= وقد أمر الله تعالىٰ عباده بالصبر في كل قسم من تلك الأقسام وذكر ثمرته للصابر، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣] وقال جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧].

وقد وصف الله تعالىٰ نفسه به كما يليق به سبحانه كما قال ﷺ: «**ما أحد أصبر علىٰ أذىٰ سمعه من الله يدعون له الولد. ثم يعافيهم ويرزقهم**» رواه البخاري رقم (**٧٣٧٨**)، ومسلم رقم (**٤٩**).

ومما يدل علىٰ مكانة الصبر أن الله وصف أنبياءه به فقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأَحْقَاف: **٣٥**].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأَنبِيَاء: **٨٥**].

وأفضل ما تميز به الصابرون يوم القيامة عن غيرهم ما وعدهم الله تعالىٰ به بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: **١٠**].

وقال ﷺ: «**ما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر**». مسلم (رقم **١٠٥٣**).

والصبر مطلوب من المؤمن في السراء والضراء حتىٰ يجد ثمرته. قال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» رواه مسلم (رقم **٢٩٩٩**).

ولما كان الصبر مهم مع كل شعبة من شعب الإيمان دل ذلك علىٰ أنه مهم لكل شعبة **ولذلك قال ابن مسعود** رضي الله عنه: «الصبر نصف الإيمان» تقدم في شعبة اليقين.

قال القصري رحمه الله: «إنه من أعظم الشعب وأكبر دعائم الإيمان، قال: واعلم أن الصبر داخل في جميع الأحوال الباطنة، والأعمال الظاهرة وله بداية وفي أسرار المقربين نهاية وهو مقام عظيم لا يثبت فيه إلا خاصة الله من عباده، وما أتي الخلق ولا وقعوا فيما وقعوا فيه من المخالفات والآفات إلا من قلة الصبر، قال: وأما حد الصبر ومعناه: فهو البيان والوقوف في مواطن الاختبار والامتحان، وبالصبر يظهر من العبيد خبتهم وخلاصتهم، إما أن تحسن أخلاقهم بالصبر علىٰ المحن، فيظهر منهم الكتمان في ترك الشكوىٰ وتحسين الخلق والاستعانة بالله وغير ذلك من أحوال الصبر، ويصير بها صبرًا جميلًا، وإما أن تظهر منهم الشكوىٰ، والضجر والتبرم والجزع، والهلع، فيقبح حاله =

٩- الشكر(١): ويتفرع عليه الفكر في نعمة الله تعالىٰ وتأملها.

= بعدم الصبر، وما يظهر عليهم حين الاختبار، فإن الصبر مر مثله كمثل الشجيرة، والكير يظهر الطيب والخبيث». شعب الإيمان (ص٣٤٥).

(١) **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشكر: ظهور أثر نعمة الله علىٰ لسان عبده ثناء واعترافًا وعلىٰ قلبه شهودًا ومحبة، وعلىٰ جوارحه انقيادًا وطاعة. مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٤).
والشكور اسم من أسمائه سبحانه. قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].
وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].
وكان رسول الله ﷺ أعظم الخلق شكرًا ثم بقية الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فقد قام ﷺ الليل حتىٰ تورمت قدماه من طول القيام فلما سئل عن ذلك قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» رواه البخاري (١١٣٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
وقال سبحانه عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].
وقال سبحانه عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] وقال عن آل داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].
وقد أمر تعالىٰ بشكر نعمه التي لا تعد ولا تحصىٰ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ونهىٰ عن الكفر بنعمته فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].
ووعد من شكره بالزيادة وتوعد من كفره بالعذاب الشديد فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].
وقال ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» رواه مسلم (٢٩٩٩).
وموقع الشكر في الإيمان عظيم لا يقل مكانة عن مقام الصبر الذي وصف بأنه نصف الإيمان كما قال عبد الله بن مسعود: «**الإيمان نصفان: نصفه صبر ونصفه شكر**»، والملاحظ أن هناك تلازمًا بين الصبر والشكر.
قال الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله تعالىٰ-: «الشكر يتضمن الصبر علىٰ الطاعة، والصبر عن معصية، وقال بعض الأئمة: الصبر يلتزم الشكر ولا يتم إلا به، وبالعكس فمتىٰ ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نعمة ففرضها الشكر والصبر، =

١٠- الرضا[(١)].

= أما الشكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بلية ففرضه الصبر والشكر، أما الصبر فواضح، وأما الشكر فالقيام بحق الله في تلك البلية، فإن لله علىٰ العبد عبودية في البلاء، كما له عليه عبودية في النعماء». فتح الباري (١١/ ٣١١). ولأهمية الشكر وعظيم مقامه فإن العبد مهما شكر الله تعالىٰ فهو مقصر في حق الله لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال **الحليمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن تكلم علىٰ أهمية الشكر: وقد ثبت بجميع ما كتبناه، وما عسىٰ سهونا عنه فلم نكتبه وجوب شكر الله تعالىٰ علىٰ العباد لنعمه الكثيرة العظيمة السابغة لديهم، ولا شك أنها إذا كثرت وفاتها الإحصاء لم يتوصل إلىٰ شكرها إلا بذكرها ودراستها وعرضها علىٰ القلوب عند الغفلة. المنهاج (٢/ ٥٤٥).

(١) **الرضا**: ضد السخط وهو سرور القلب بمر القضاء.

انظر المفردات للراغب (ص١٩٧) ومدارج السالكين (٢/ ١٨٥).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ في الذين قتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتىٰ نسخ بعد: «أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه» مسلم (٦٧٧).

وقال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا**» رواه مسلم (٣٤).

وقال ﷺ: «**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا غفر له ذنبه** مسلم (٣٣٧٦).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما المنتهىٰ وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقًا، وهي سهلة بالدعوىٰ واللسان وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف مرادها من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقًا، فهو علىٰ لسانه لا علىٰ حاله». مدارج السالكين (٢/ ١٧١). =

١١- والتوكل(١): ويتفرع منهما التفويض والتسليم والاعتصام به

= ولما كان المقضي علىٰ العبد منه ما هو خير يحبه ومنه ما هو شر يكرهه كان لابد من بيان معنىٰ الرضا بالقضاء وحكمه.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فاختيار الرب تعالىٰ لعبده نوعان:

أحدهما: اختيار ديني شرعي، فالواجب علىٰ العبد أن لا يختار في هذا النوع غير ما اختار له سيده.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

واختيار العبد خلاف ذلك مناف لإيمانه وتسليمه، ورضاه بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا.

النوع الثاني: اختيار كوني قدري، لا يسخط الرب، كالمصائب التي يبتلي الله بها عبده، فهذا لا يضره فراره منها إلىٰ القدر الذي يرفعها عنه، ويدفعها ويكشفها، وليس في ذلك منازعة للربوبية، وإن كان فيه منازعة للقدر بالقدر، فهذا يكون تارة واجبًا، وتارة يكون مستحبًا، وتارة يكون مباحًا مستوي الطرفين وتارة يكون مكروهًا، وتارة يكون حرامًا.

وأما القدر الذي لا يحبه الله ولا يرضاه -مثل قدر المعائب والذنوب- فالعبد مأمور بسخطها ومنهي عن الرضا بها وهذا هو التفصيل الواجب في الرضا بالقضاء». مدارج السالكين (٢/ ١٨٥).

(١) **التوكل**: صدق الاعتماد علىٰ الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وَكِلَةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطىٰ ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه. قاله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٤٠٩).

ويفهم من ذلك أنه لابد من الأخذ بالأسباب الموصلة إلىٰ المطلوب مع الاعتماد علىٰ الله في حصولها لا علىٰ الأسباب. كما قال ﷺ للرجل الذي قال له: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «**اعقلها وتوكل**» رواه الترمذي (٢/ ٨٤) وحسنه الألباني في مشكلة الفقر رقم (٢٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلىٰ الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه =

وبثمرته وغير ذلك إلىٰ القول في التداوي والاسترقاء[1]، وسائر الاحترازات

= وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا علىٰ ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا علىٰ قدم العبودية». مدارج السالكين (٢/ ١٢٠).

ومما يدل علىٰ علوم مقام التوكل أن الله تعالىٰ وصف به نفسه علىٰ ما يليق به سبحانه. قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وكان رسول الله ﷺ إمام المتوكلين وكذلك كان الأنبياء والمرسلين قبله.

قال ابن عباس رضي الله عنه: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فتح الباري رقم (٤٥٦٣) وهو من علامات الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. ويلاحظ أن هناك تلازمًا بين التوكل والرضا، وذلك أن الرضا يعتبر ثمرة من ثمرات التوكل، ولذلك جعلهما المؤلف شعبة واحدة.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- وهو يتحدث عن درجة الرضا من التوكل: «وهي ثمرة التوكل، ومن فسر التوكل بها، فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله، وكان شيخنا رضي الله عنه يعني ابن تيمية -يقول: المقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده . . . . **قال ابن القيم:** «وهذا معنىٰ قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم**» فهذا توكل وتفويض ثم قال: «**فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب**» فهذا تبرؤ إلىٰ الله تعالىٰ من العلم والحول والقوة، وتوسل إليه سبحانه بصفاته التي هي أحب ما توسل إليه بها المتوسلون ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحته عاجلًا، أو آجلًا، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مضرته عاجلًا أو آجلًا، فهذا حاجته التي سألها، فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له فقال: «**واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**». مدارج السالكين (٢/ ١٢٢-١٢٣)، ودعاء الاستخارة رواه البخاري رقم (١١٦٢).

(١) **الاسترقاء**: هو طلب الرقية، والراجح من أقوال أهل العلم أن الاسترقاء ينافي تمام التوكل لقوله ﷺ: «**من اكتوىٰ أو استرقىٰ فقد بريء من التوكل**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، رقم (٢٠٥٥) ومما جاء في وصف الذين يدخلون الجنة بغير =

وأن لا عدوىٰ ولا طيرة[(١)].

١٢- حب لله تعالىٰ وإعظامه وإجلاله وإعظام كتبه وآياته[(٢)].

١٣- وحب النبي ﷺ وإعظامه وإجلاله وتوقيره[(٣)]، وإعظام

= حساب ولا عذاب أنهم: «**لا يسترقون وعلىٰ ربهم يتوكلون**». رواه البخاري في صحيحه، رقم (٦٢٥٨).

(١) قوله: «**وأن لا عدوىٰ ولا طيرة**» هذا جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٢٥٨).

والعدوىٰ: انتقال المرض من المريض إلىٰ الصحيح، والطيرة: هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم أي أن من أراد أن يفعل أمرًا فربما سمع شيئًا أو رأىٰ شيئًا فيرده ذلك عن فعله والمقصود من الحديث الحث علىٰ التوكل علىٰ الله وأن اعتقاد أن للأسباب تأثير قادح في التوكل أو نافٍ له بالكلية.

انظر تيسير العزيز الحميد (٢٨٧-٢٨٩) والقول المفيد للعثيمين (ص١٠٠-١٠١).

(٢) **حب الله تعالىٰ**: أن تهب إرادتك وعزمك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك له سبحانه وتجعلها حبسًا في مرضاته ومحابه، فلا تأخذ لنفسك منها إلا ما أعطاك فتأخذه منه له. مدارج السالكين (٣٣/ ١٤).

وحب الله تعالىٰ من أعلىٰ مقامات العبودية لله تبارك وتعالىٰ، والعبادة له سبحانه لا تصح بغير محبة له. قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وذلك يدل علىٰ وجوب المحبة وأن علامتها اتباع النبي ﷺ وأن محبة الله من علامات الإيمان فقال: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان. من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» الحديث رواه مسلم، رقم (٤٣). ولكن لابد أن يعرف أن العبادة بالحب وحده لا تصح إلا إذا كان معها خوف ورجاء. **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-**: «فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلىٰ قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه». مدارج السالكين (٢/ ٤٢).

(٣) **حب النبي ﷺ**: من أوجب الواجبات ومن أعظم شعب الإيمان بعد حب الله تعالىٰ، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» رواه مسلم، رقم (٤٤). =

الأنبياء[1]، والملائكة وحبهم[2].

١٤- وحب أصحاب النبي ﷺ من العشرة والمهاجرين والأنصار وبقية الصحابة[3].

١٥- وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه[4]: ويدخل فيه أن يحب له

= وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليهما مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه**» رواه مسلم رقم (٤٣).

وحبه ﷺ يكون باتباع هديه بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ونصر سنته وتمني رؤيته ﷺ وفداه بالنفس وبالمال والأهل وقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس محبة لرسول الله ﷺ يعرف ذلك من تتبع سيرتهم وسلوكهم مع النبي ﷺ وبعد موته.

(١) **تعظيم الأنبياء**: من الإيمان بهم كما قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وتعظيمهم تابع لتعظيم الله ورسوله ﷺ.

(٢) تعظيم الملائكة وحبهم من الإيمان بهم كما جاء في بعض أوصافهم العظيمة من عظم خلقهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. مما يدعو إلىٰ تعظيمهم وتعظيم خالقهم سبحانه.

(٣) محبة أصحاب رسول الله من محبته ﷺ، ولأنهم خير هذه الأمة -بعد نبيها- رضي الله عنهم، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ عليهم في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وأثنىٰ عليهم رسوله ﷺ فقال: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» رواه مسلم (٤/ ١٩٦٢).

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» رواه البخاري (فتح ٧/ ٢١).

وقد شهد الرسول ﷺ لبعضهم بالجنة كالعشرة المبشرين بالجنة من الخلفاء الأربعة وغيرهم وكأصحاب الشجرة، وجعل النبي ﷺ محبة الأنصار من الإيمان كما قال ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**» رواه البخاري (رقم ١٧).

(٤) حب المرء المسلم لأخيه ما يحب لنفسه من الإيمان دل عليه قوله ﷺ: «**لا يؤمن** =

الخير وترك المنكر وأن يستر عليه إذا وقع في ذنب[(١)]، ويدرأ عن عرضه[(٢)]، ويتفرع من هذه ترك الغل والحسد[(٣)] إلا في الغبطة المستثناة[(٤)].

= **أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» رواه مسلم رقم (٤٥). قال ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ- عن هذا الحديث: يدل علىٰ أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن، ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنه يحب أن يمتاز علىٰ الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شيء. ا. هـ. جامع العلوم والحكم ص(١٠٤).

ومن الأحاديث الصحيحة التي تضمنت هذا المعنىٰ قوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ**» رواه مسلم رقم (٢٥٨٦).

وقال جرير بن عبد الله رضي الله عنه: «بايعت النبي ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم» رواه مسلم، رقم (٥٦).

(١) قال ﷺ: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**» رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) قال ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**» رواه الترمذي. وقال: حديث حسن (رقم ١٩٣١) وحسنه الألباني في غاية المرام رقم (٤٣١، ٤٣٢).

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا**» رواه مسلم (٢٥٥٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: «**كل محموم القلب، صدوق اللسان**» قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما محموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد**» رواه ابن ماجه (٤٢١٦) وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح (٤/ ٢٣٩-٢٤٠).

(٤) **الغبطة**: بالكسر: «حسن الحال، ومعناها: أن تتمنىٰ مثل حال المغبوط -يعني حسن الحال- من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه. لسان العرب (٧/ ٣٥٩).

وهذا هو المعنىٰ المقصود من قوله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالًا فسلط علىٰ هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» البخاري (٧٣). =

١٦- الحب في الله تعالىٰ[١]: ويتفرع من هذه مباعدة الكفار والمفسدين والغلظة عليهم[٢]، والغيرة علىٰ طلب الستر.

١٧- تلاوة القرآن وإدمان ذلك[٣]: . . . .

= **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة . . .، وهي أن يتمنىٰ أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص علىٰ هذا يسمىٰ منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود ومنه (فليتنافس المتنافسون)، وإن كان في معصية فهو مذموم، ومنه (ولا تنافسوا)، وإن كان في الجائزات فهو مباح، فكأنه قال في الحديث لا غبطة أعظم أو أفضل من الغبطة في هذين الأمرين». فتح الباري: (١/١٦٧).

(١) **الحب في الله تعالىٰ**: هو الحب من أجل الله وفي ذات الله كمحبة المؤمنين والأتقياء والصالحين والأولياء وفي مقدمتهم أنبياء الله تعالىٰ والحب في الله من أعظم شعب الإيمان وأقواها، قال ﷺ: «**أوثق عرىٰ الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله**» رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (**٩٩٨، ١٧٢٨**). ومما يدل علىٰ عظم هذه المنزلة أن الله توعد من يعادي وليه وحبيبه بالحرب قال ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: من عادىٰ لي وليًا فقد آذنته بالحرب**» البخاري (**٦٥٠٢**).
وقال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**» رواه الترمذي وحسنه (رقم **٢٥٢١**) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (**٣٨٠**).
وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «من أحب في الله وأبغض في الله ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان -وإن كثرت صلاته وصيامه- حتىٰ يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس علىٰ أمر الدنيا وذلك لا يجدي علىٰ أهله شيئًا» رواه ابن المبارك في الزهد (رقم **٣٥٣**).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: **٢٩**].
وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التحريم: **٩**].

(٣) تلاوة القرآن والمداومة علىٰ ذلك من تعظيمه لأنه كلام الله تبارك وتعالىٰ وتعظيم كلام الله تعالىٰ من الإيمان به، ولما يحصل للقارئ من الأجر علىٰ تلاوته وزيادة الإيمان بتدبر آياته وحضور القلب أثناء قراءته، وقد مدح الله تعالىٰ التالين لآياته فقال: =

وما يتعلق بأبوابه وفصوله(١).

١٨- كراهة الكفر والفسوق والعصيان(٢): وإنكار ما يلقيه الشيطان للإنسان بالوسوسة(٣) ويتفرع من ذلك السرور بالحسنة والاغتمام

= ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: ٢٩] وقال سبحانه: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١١٣].

وكما أنه تعالىٰ مدح من يتلوه كذلك مدح من يعمل به لأنه الغاية من إنزاله. قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ [البَقَرَة: ١٢١].

قال ابن مسعود ﷺ: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئًا علىٰ غير تأويله. رواه جرير في تفسيره: (١/ ٥١٩).

ومن حقوق التلاوة التدبر كما قال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سُورَةُ ص: ٢٩].

وأمر النبي ﷺ بقراءة القرآن ورغب في ذلك بذكر الأجر العظيم علىٰ من داوم علىٰ ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**» رواه مسلم رقم (٢٥٢).

وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالًا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار**» رواه مسلم (٨١٥).

(١) **من أبوابه وفصوله**: إحضار القلب عند قراءته والتفكر فيه، وتكرير آياته وترديدها، والبكاء عند قراءة القرآن، والاستعاذة عند قراءته، والوقوف عند ذكر الجنة والنار والمسألة والاستعاذة، والسجود عند آيات السجود، وتنظيف الفم بالسواك عند القراءة، وأن لا يقرأ في حال الجنابة والحيض، ولا يمس من غير طهارة، إلىٰ غير ذلك من الفصول الأخرىٰ التي ذكرها **الحليمي** في المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢١٠).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحُجُرَات: ٧].

(٣) إنكار وساوس الشيطان ومدافعتها من الإيمان كما قال ﷺ لما جاءه ناس من أصحابه فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال ﷺ: «**قد وجدتموه؟**» =

بالسيئة[١] والشح بالدين[٢].

= قالوا: نعم. قال: «**ذاك صريح الإيمان**» رواه مسلم رقم (**١٣٢**).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو، فدافعه حتىٰ غلبه، فهذا أعظم الجهاد.
والصريح: الخالص كاللبن الصريح، وإنما صار صريحًا لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية ودفعوها فخلص الإيمان فصار صريحًا. كتاب الإيمان (ص**٢٦٨**).
ولما سئل النبي ﷺ عن الوسوسة قال: «**تلك محض الإيمان**» رواه مسلم، رقم (**١٣٣**).

(١) قال ﷺ: «**إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن**».
رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (١/ ١٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٥٠).

(٢) **الشح**: أشد البخل، وقيل: البخل مع الحرص، وهو حرص النفس علىٰ ما ملكت وبخلها به.
انظر لسان العرب (**٢/ ٤٩٥-٤٩٦**) وهو في المال وعدم إنفاقه في الخير مذموم كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].
وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**». رواه مسلم رقم (**٢٥٧٨**).
وأما الشح بالدين فهو أن يتمسك به ويحرص علىٰ عدم التفريط فيه أو النقص منه، ويتحمل المشاق والعذاب والأذىٰ في مقابل بقائه علىٰ الإيمان كما تحمل بلال بن رباح، وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم العذاب من المشركين شحًا بدينهم وكراهية للكفر والشرك فوجدوا بتحملهم العذاب حلاوة الإيمان. قال ﷺ: «**لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتىٰ يحب المرء لا يحبه إلا لله وحتىٰ أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتىٰ يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» رواه البخاري رقم (٦٠٤١).
قال الحليمي رحمه الله: «الشح بالدين ينقسم إلىٰ قسمين:
أحدهما: الشح بأصله كيلا يذهب، **والآخر**: الشح بكماله كيلا ينقص. والشحان جميعًا من أركان الإيمان، ألا ترىٰ أن الله ﷻ كما مدح شعيبًا رضي الله عنه وأثنىٰ عليه بأنه شح علىٰ دينه، فلم يفارق مع استكراه قومه إياه علىٰ مفارقته، وكذلك قد مدح يوسف صلوات الله =

١٩- النصيحة الله ولرسوله ولأئمة المسلمين(١): وعامتهم ويتفرع منها النصيحة في المعاملات من بيع وسلم ورهن وقرض وشركة وإجارة ومساقاة ووصية وهبة ونحوها.

= عليه بأن استعصم حين مراودته امرأة العزيز عن نفسه، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يُوسُفَ: ٣٣]. فبان أن الشح علىٰ شعب الإيمان لئلا ينقص كالشح علىٰ أصله كيلا يذهب وبالله التوفيق وهذا سبيل كل متنفس مسنون به لأن الشحيح بماله كما لو شح بجماعته يشح بأبعاضه، والشحيح بنفسه يشح بأطرافه، كما يشح بجميع ماله لذا يبغضه. كذا الدين. وبالله التوفيق». المنهاج (٢/ ١٨١).

(١) قال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ [التَّوۡبَةِ: ٩١].

وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم رقم (٥٥).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «النصيحة لله وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرًا وباطنًا، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مساخطه بترك معصيته والجهاد في رد العاصين إليه، والنصيحة لكتاب الله تعلمه وتعليمه، وإقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة، وتفهم معانيه، وحفظ حدوده، والعمل بما فيه، وذب تحريف المبطلين عنه، والنصيحة لرسوله تعظيمه، ونصره حيًا وميتًا، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته ومحبة أتباعه، والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم علىٰ ما حملوا القيام به وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، ونفع النصيحة لهم ببث علومهم، ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم وكف وجوه الأذىٰ عليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه». فتح الباري (١/ ١٣٨).

وقد تكلم علىٰ هذا الحديث النووي بأطول من هذا، وتكلم غيره من أهل العلم، وهذا يدل علىٰ أهمية النصيحة في الإيمان، وأن من نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فقد جاء بالإيمان المطلوب، وهذا ما يفهم من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**» وقد أوتي جوامع الكلم. انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ٣٧-٣٨).

٢٠- البر والصلة[١]: ويتفرع من ذلك الجود والسخاء[٢] وأعلاه برّ الوالدين[٣] . . . .

(١) **البر**: اسم جامع لكل خير من الصدق وحسن الخلق وبذل المعروف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩] الفتاوىٰ (٧/ ١٧٢)، وانظر لسان العرب (٤/ ٥١-٥٤).
ومن المواضع الجامعة لمعنىٰ البر في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].
وقوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [آل عمران: ٤٤].
وقد ورد إطلاق البر في السنة علىٰ بعض معانيه وهو: حسن الخلق. قال ﷺ: «**البر حسن الخلق**» رواه مسلم رقم (٢٥٥٣).
والصلة: هي الاتصال بالمسلمين من إخوة وأقارب وأرحام وغيرهم والإحسان إليهم وهي نوع من البر.
قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

(٢) **الجود والسخاء** معناهما: الكرم والعطاء وبذل المال وإنفاقه في سبيل الخير وقد فرق بينهما بعض أهل العلم. قال أبو هلال العسكري: الفرق بين السخاء والجود، أن السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال ويسهل إعطاءه للسائل. من قولهم سخوت النار إذا ألنتها . . .
والجود كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء إذا جادت بمطر غزير، والله تعالىٰ جواد لكثر عطائه فيما تقتضيه الحكمة. الفروق في اللغة (ص١٦٧).
وقد ثبت وصف الله تعالىٰ بالجود علىٰ ما يليق به سبحانه كما قال ﷺ: «**إن الله جواد يحب الجود**» رواه الترمذي رقم (٢٧٩٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٣٦) وكان رسول الله ﷺ أجودهم وأسخاهم وأكرمهم وأتقاهم وأخشاهم لله تعالىٰ.
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**» رواه مسلم رقم (٢٣٠٨).

(٣) **بر الوالدين** هو: طاعتهما في غير معصية والإحسان إليهما وعدم عصيانهما، والدعاء لهما، وإكرام صديقهما. قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. =

وصلة الرحم(١) وإكرام الضيف(٢) والجار(٣) والإحسان إليهما ورحمة الصغير وتوقير الكبير(٤) وإقراء السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين(٥).

= وقد وصفه النبي ﷺ بأنه أحب إلىٰ الله من الجهاد في سبيل الله، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلىٰ الله ﷻ؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها**» قال: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» رواه مسلم رقم (٨٥).

ومما يدل علىٰ عظم درجة من بر والديه قوله ﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة**» رواه مسلم، رقم (٢٥٥١).

(١) **صلة الرحم**: يعني صلة القريب وفي مقدمتهم الأب والأم ثم الأقرب فالأقرب وقد أوصىٰ الله تبارك وتعالىٰ بالأرحام فقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال جل وعلا: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ومما ورد في فضل صلة الرحم قوله ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» رواه مسلم، رقم (٢٥٥٧).

ومما يدل علىٰ علو منزلة صلة الرحم وعظم مكانتها في الإيمان أنها من أسباب دخول الجنة، وقطعها من أسباب دخول النار. فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**» رواه البخاري، رقم (١٣٩٦).

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» رواه مسلم، رقم (٢٥٥٦).

(٢) قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» رواه مسلم، رقم (٤٨).

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلىٰ جاره**». رواه مسلم رقم (٤٨).

(٤) قال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» رواه الترمذي وقال: حسن غريب، رقم (١٩٢١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢١٩٦).

(٥) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: =

٢١- والإحسان إلىٰ الأهل والبنات والأولاد[١] والسادة والمماليك:

ويتفرع منه فك الرقاب[٢]، وأنواع القربات ومنها عيادة المريض[٣]،

= «**تطعم الطعام وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف**» رواه البخاري، رقم (٢٨)، ومسلم (٢٩).

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وجاء في الإحسان إلىٰ الأهل قوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح رقم (٣٨٩٥) وصححه الألباني في السلسلة رقم (٢٨٥).

وفي الإحسان إلىٰ البنات قال ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» رواه مسلم، رقم (٢٦٢٩).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٣]. وجاء أعرابي إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني عملًا يدخلني الجنة فقال: «**لئن كنت أقصرت الخطبة أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفك الرقبة**» فقال: يا رسول الله، أوليستا بواحدة؟ قال: «**إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عنقها**» رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٢٧٢-٢٧٣).

وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٥/ ١٤٦) والألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٠١١).

(٣) **عيادة المريض**: يعني زيارته وهي من حقوق المسلم علىٰ أخيه، وثوابها عظيم عند الله تعالىٰ.

قال ﷺ: «**من عاد مريضًا نادىٰ مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلًا**» رواه الترمذي وقال: حسن غريب رقم (٢٠٠٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٢٥٦٨).

وقال ﷺ: «**إذا عاد الرجل أخاه المسلم مشىٰ في خرافة الجنة حتىٰ يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلّىٰ عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يمسي، وإن كان مساءً** =

وتشميت العاطس إذا حمد الله[1]، وإتيان المال علىٰ حبه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين والسائلين وفي الرقاب[2]، وينجر إلىٰ إعانة المكاتب وإيقاع الكتابة[3]، والتدبير[4]، ونحوهما ومن أعاليه حسن الخلق[5]، وكظم

= **صلىٰ عليه سبعون ألف ملك حتىٰ يصبح**» رواه أحمد (١/ ٨١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٦٧).

(١) **تشميت العاطس**: أي يقول لمن عطس وحمد الله: يرحمكم الله. قال ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**» رواه البخاري، رقم (٦٢٢٤).
وقال ﷺ: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله، فحق علىٰ كل مسلم سمعه أن يشمته، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليرده ما استطاع فإذا قال: هاء ضحك منه الشيطان**» رواه البخاري، رقم (٦٢٢٣).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(٣) **المكاتب**: هو العبد الذي يعتقه سيده مقابل مبلغ من المال مؤجل وهي مشروعة وتستحب لمن علم فيه خيرًا.
قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣].
انظر المغني لابن قدامة (١٤/ ٤٤١-٤٤٢).

(٤) **التدبير**: تعليق عتق العبد بالموت. ومعناه أن يقول السيد لعبده. أنت حر أو عتيق بعد موتي. انظر المغني (١٤/ ٤١٢-٤١٣).

(٥) **حسن الخلق**: من أعظم شعب الإيمان وأسباب محبة الله ورسوله والقرب من الله ورسوله يوم القيامة، وقد وصف الله رسوله ﷺ بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
وقد تعددت أقوال أهل العلم في تعريفه. قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله تعالىٰ-: هو طلاقة الوجه وبذل المعروف، وكف الأذىٰ.
وقال الإمام أحمد رحمه الله: حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد. جامع العلوم والحكم (ص١٦٠). =

الغيظ(1)، ولين الجانب(2)، . . . .

= وقد وردت أحاديث كثيرة تدل علىٰ عظيم حسن الخلق ورفعة درجة صاحبه عند الله تعالىٰ. قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقًا**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، رقم (٢٦١٥).

وقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦١٣) وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**» رواه الترمذي وقال حديث حسن رقم (٢٠١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٧٩١) وقال ﷺ: «**ما من شيء يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**» رواه أحمد (٦/ ٤٤٦)، والترمذي رقم (٢٠٠٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٨٧٦).

(١) **الكظم**: الإمساك أي الإمساك عن إبدائه. لسان العرب (٧/ ٣٨٨٦).

والغيظ: غضب. انظر الصحاح للجوهري (٣/ ١١٧٦) ومعناه الإمساك عن الغضب.

قال القرطبي: «كظم الغيظ: رده في الجوف والسكوت عليه وعدم إظهاره مع قدرة الكاظم علىٰ الإيقاع بعدوه». الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٣). وقد مدح الله تعالىٰ من اتصف بذلك فقال سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه مسلم، رقم (٢٦٠٩). وقال ﷺ لرجل طلب منه الوصية فقال له: «**لا تغضب**» فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**» رواه البخاري رقم (٦١١٦).

وكان رسول الله ﷺ أفضل وأعظم الناس كظمًا للغيظ وكان المثل الأعلىٰ والقدوة الحسنة في ذلك. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسًا في القسمة، فأعطىٰ الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطىٰ عيينة مثل ذلك، وأعطىٰ أناسًا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة قال: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسىٰ، فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» رواه مسلم، رقم (١٠٦٢).

(٢) **اللين**: ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يستعار للخلق. المفردات، **ومعناه**: السهولة في المعاملة والتلطف في الكلام وقد وصف الله نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأوصىٰ سبحانه موسىٰ وهارون عليهما السلام بذلك في =

والتواضع[١]، وترك الغضب[٢].

٢٢- وترك المراء[٣].

= دعوتهم لفرعون فقال جل وعلا: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلىٰ بالليل والناس نيام**» رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٣٢٨) وصححه الألباني في المشكاة (رقم ١٢٣٢).

(١) **التواضع**: إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، مدارج السالكين: (١/ ٣١١-٣١١٥).

وجاء في القرآن بمعنىٰ التذلل في قوله تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

والتواضع: من الصفات التي ترفع بدرجة المؤمن عند الله تعالىٰ. قال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**» رواه مسلم، رقم (٢٥٨٨). وفي رواية قال: «**وإن الله أوحىٰ إليَّ تواضعوا حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد ولا يبغىٰ أحد علىٰ أحد**» رواه مسلم (رقم ٢٨٦٥).

(٢) **ترك الغضب بمعنىٰ الإمساك عنه**، وهو معنىٰ كظم الغيظ وقد تقدم التعليق عليه.

(٣) **المراء**: هو الجدال في الدين عمومًا والقرآن خصوصًا، كالكلام في مسائل الغيبيات والقدر والجدل والمراد فيها مما يتسبب في التكذيب للقرآن والسنة وإيقاع العداوة والبغضاء بين المتمارين والمتجادلين، وقد ذم الله تعالىٰ من كان متصفًا بذلك، فقال سبحانه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤].

وقال ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدىٰ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف: ٥٨] والحديث رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، رقم (٣٢٥٣) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٦٣-٦٤).

وقال ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخصم**» رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٤).

وقال ﷺ: «**مراء في القرآن كفر**» رواه أحمد في المسند بتحقيق أحمد شاكر وصححه (١٤/ ٢٤٠) وصححه الألباني في المشكاة (١/ ٧٩). وقد جاء ذمه عن بعض السلف، **قال مسلم بن يسار**: «إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته» رواه الآجري في الشريعة رقم (١١٢). =

٢٣- وإماطة الأذىٰ عن الطريق(١) هذه ثلاث وعشرون فإذا أضفتها إلىٰ ما سبق من ثلاث وعشرين في الثلث الأول وثلاث وعشرين في الثاني **فهي تسع وستون**، واعلم أن أدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق.

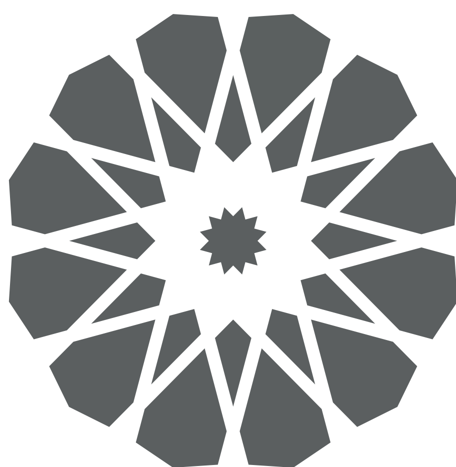


= وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل». المصدر السابق، رقم (١١٦).

ومما يدل علىٰ فضل ترك المراء أن رسول الله ﷺ وعده بالجنة، فقال ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلىٰ الجنة لمن حسن خلقه**» رواه أبو داود، رقم (٤٨٠٠)، والترمذي رقم (١٩٩٣) وحسنه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٢٧٣).

(١) **إماطة الأذىٰ عن الطريق**: إبعاده وإزالته عن طريق المسلمين، وقد جاء النص علىٰ أن ذلك شعبة من شعب الإيمان وسيذكر المؤلف هذا الحديث في آخر الكتاب والشاهد منه قوله ﷺ: «**وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق**». ومع أن إماطة الأذىٰ عن الطريق أدنىٰ شعب الإيمان إلا أنه قد يتسبب في دخول صاحبه الجنة. قال ﷺ: «**مر رجل بغصن شجرة علىٰ ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**». رواه مسلم رقم (١٩١٤).

قال القصري: «إماطة الأذىٰ عن الطريق الظاهر كإماطة شوكة وحجر مؤذ ونجاسة وجيفة منتنة وكل ما فيه إذاية للمسلمين فإن إزالة ذلك عن طريق المسلمين بنية صالحة عمل صالح . . . فكل من أصلح طريق المسلمين وسهله وأماط عنه المؤذيات بنية صالحة شكر الله له ذلك، فلا يحقر العبد شيئًا من فعل الخير فإنه لا يدري بما يغفر له، ومن قطع طريق المسلمين وآذاهم بوضع النجاسات والمؤذيات فيه، فقد عرض نفسه للهلاك». شعب الإيمان (ص٦٤٣).



الباب الحادي عشر

الدعوات والأذكار[1]

الرُّمُزُ المُسْتَعْمَلَةِ فِي عزو الأذكار لمصادرها

(خ) صحيح البخاري.

(خت) البخاري معلقًا.

(م) صحيح مسلم.

(حم) مسند أحمد.

(ع) الجماعة.

---

(١) **مستفادة من**: «قبس مختار في صحيح الأذكار»، للشيخ مصطفىٰ العدوي.

(دي) سنن الدارمي.

(د) سنن أبي داود.

(يع) مسند أبي يعلىٰ.

(ت) سنن الترمذي.

(حل) حلية الأولياء.

(ن و س) سنن النسائي.

(ط) معجم الطبراني الكبير.

(جه) سنن ابن ماجه.

(حب) موارد الظمآن لابن حبان.

الحَثُّ عَلَى الذِّكْر

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وَقَالَ تعالىٰ: ... ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

فَضْلُ الذِّكْرِ

قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وَفِي الحَدِيثِ القُدسِيِّ يَقُولُ اللهُ تعالىٰ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»(١). [خ وم].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**». صَحِيحٌ [م]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ؓ؛ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ

(١) وهذه من أعظم المناقب للذاكرين.

شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ** ﷻ» صَحِيحٌ لغيره [جه].

فَضْلُ الذِّكْرِ خَالِيًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَىٰ حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». **صَحِيحٌ** [خ وم].

فَضْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما أنهما شَهِدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ؛ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّىٰ يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ ﷻ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ! قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ! قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟**

قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ! فِيهِمْ فُلَانٌ. عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ. هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». صَحِيحٌ [م، خ].

ذِكْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ حِينٍ وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ

قَالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْيَانِهِ. حَسَنٌ [م].

فَضْلُ تِلاوَةِ القُرْآنِ وَتَعَلُّمِهِ وَحِفْظِهِ

قَالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». صَحِيحٌ [م]

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» صَحِيحٌ [خ]

فَضِيلَةٌ لأَهْلِ القُرْآنِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ**». حَسَنٌ [حم].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**». **صَحِيحٌ** [خ وم].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**». **حَسَنٌ** [د]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**» **إِسْنَادُهُ حَسَنٌ**[1] [ت].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ**[2] **عِظَامٍ سِمَانٍ؟** قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ». **صَحِيحٌ** [م].

عِلاجُ تَفَلُّتِ القُرْآنِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**»[3]. **صَحِيحٌ** [خ وم].

---

(١) وقد رُوي موقوفًا.

(٢) الخلفات: هي الحوامل من الإبل إلىٰ أن يمضي عليها نصف أمدها، ثم هي عشار، والواحدة خلفة وعشراء.

(٣) وفي زيادة لمسلم: «**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ، فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ**».

حُسْن الصَّوتِ بِالقِرَاءَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ**»(١). **صَحِيحٌ** [خ وم].

أَحَبُّ الكَلامِ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**». **صَحِيحٌ** [م].

فَضْلُ الحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**». **صَحِيحٌ** [خ وم].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**». **صَحِيحٌ** [م]

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ (أَوْ تَمْلَأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**». **صَحِيحٌ** [م]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ**

---

(١) وعند أحمد من حديث البراء، قال ﷺ: «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**».

أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ، رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ». صَحِيحٌ [م]

كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ». صَحِيحٌ [خ وم].

كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا مُوسَىٰ -أَوْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ- أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ؟» قُلْتُ: مَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[١] صَحِيحٌ [خ وم].

وَلَا قُوَّةَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ إِلَّا إِذَا أَعَانَنِي اللهُ. وَبِالجُمْلَةِ، فَلَا تَحُولُ عَنْ شَيءٍ إِلَّا بِاللهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا بِاللهِ، وَاللهُ أَعْلَم.

مَا يَقُولُهُ مَنْ تَقَلَّبَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ بِاللَّيلِ

عَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ[٢] مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي -أَوْ دَعَا- اسْتُجِيبَ. فَإِنْ تَوَضَّأَ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ». صَحِيحٌ [خ]

(١) وَمَعْنَىٰ لَا حولَ: أَي لَا تحوُّلَ عَن مَعْصِيةِ اللهِ إِلَّا إِذَا حَولَني اللهُ.

(٢) التَّعَارُّ: هُوَ التَّقَلُّب لَيلًا عَلَىٰ الفِرَاشِ، مَعَ الكَلامِ، أَو اليَقظة مَع الصَّوتِ.

مَا يَقُولُهُ مَنْ قَامَ لِيَتَهَجَّدَ

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»** **صَحِيحٌ** [خ وم].

مَا يُقَالُ عِندَ الاسْتِيقَاظِ

عَنْ حُذَيفَةَ ﵁ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ[(١)] بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا»**، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: **«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»**. **صَحِيحٌ** [خ وم].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ ﵂ -وَهِيَ خَالَتُهُ-: قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ عَرْضِ الوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّىٰ انْتَصَفَ اللَّيْلُ - أَوْ قَبْلَهُ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ خَوَاتِيمِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. **صَحِيحٌ** [خ وم].

---

(١) وفي رواية: «**بِاسْمِكَ اللَّهمَّ أَمُوتُ وَأَحيَا**»، وفي أخرىٰ: «**بِاسمِكَ أَمُوتُ وَأَحيَا**».

مَا يُقَالُ عِنْدَ سَمَاعِ صِيَاحِ الدِّيكَةِ وَنَهِيقِ الحِمَارِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَىٰ شَيْطَانًا**». **صَحِيحٌ** [خ وم].

مَا يُقَالُ عِنْدَ سَمَاعِ نُبَاحِ الكِلَابِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لاَ تَرَوْنَ**». [د - حم].

مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الخَلاءَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»(١). **صَحِيحٌ** [خ وم]

مَا يُقَالُ عِنْدَ الخرُوجِ مِن الخَلَاءِ

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ، قَالَ: «**غُفْرَانَكَ**». **حَسَنٌ** [حم - د - ت].

فَضْلُ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ بَعْدَ الوُضُوءِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ؟! فَإِذَا

---

(١) الخُبْثُ: جمعُ خَبيثٍ، والخَبَائِثُ: جَمْعُ خَبيثةٍ، وَالمُرَادُ ذُكرَانِ الشَّيَاطِينِ، وَإِنَاثِهم.

قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ. قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا. قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أَوْ فَيُسْبِغُ- الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**». **حَسَنٌ** [م]

وَفِي رِوَايَةٍ أَيْضًا عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

مَا يُدْعَىٰ بِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ ... فَذَكَرَ قِصَّةَ مَبِيتِهِ عِنْدَ خَالَتِهِ مَيْمُونَةَ، وَفِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، ، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**». **صَحِيحٌ** [خ - م].

مَا يُقْرَأُ بِهِ فِي الْوِتْرِ وَمَا يُقَالُ بَعْدَهُ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**» **وَرَفَع بِهَا صَوْتَهُ**.

مَا يُدْعَىٰ بِهِ فِي الْوِتْرِ

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﵄، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوَتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ

يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ». صَحِيحٌ [حم - د - ت - طب].

مَا يُقَالَ عِنْدَ سَمَاعِ المُؤذنِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ». صَحِيحٌ [خ - م].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَىٰ الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ». حَسَنٌ [م]

مَا يُقَالُ بَعْدَ الأَذَانِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ. ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». صَحِيحٌ [م]

كَيفَ تُسْأل الوَسِيلَة لِرَسُولِ الله ﷺ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ

وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ». صَحِيحٌ [خ]

وَمِن أَذْكَارِ الأَذَانِ أيضًا

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**». حَسَنٌ [م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ الخُرُوجِ لِلصَّلَاةِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَيْقَظَ. فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ؛ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّىٰ نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، سِتَّ رَكَعَاتٍ. كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللهُمَّ! أَعْطِنِي نُورًا**». صَحِيحٌ [م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ المَسْجِدِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، (أَو عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ**[1]**، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا**

---

(١) فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُد: «فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ، ثُمَّ لِيَقُلْ ....».

خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ» صَحِيحٌ [م-د - ن]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْن العَاصِ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». **حَسَنٌ** [د]

أَدْعِيَةُ افْتِتَاح الصَّلَاةِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ القِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً -قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً- فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ**» **صَحِيحٌ** [خ - م].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه؛ قَال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ صَلَاتَهُ يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ**». **حَسَنٌ** [د]

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**(١)**، اللهُمَّ! أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ**

(١) وَفِي رِوَايَةٍ: «وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِين».

لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». صَحِيحٌ [م].

مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». صَحِيحٌ [خ - م].

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**». **صَحِيحٌ** [م].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، **فَلَمَّا نَزَلَتْ** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. **قَالَ**: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**». **حَسَنٌ لِشَوَاهِدِهِ** [د].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ صَلَّىٰ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ**». **صَحِيحٌ** [د].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ! لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي**». وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ! رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**».

وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ! لَكَ سَجَدْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂؛ قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**» **صَحِيحٌ** [م].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ. دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ، وَسِرَّهُ**». حَسَنٌ [م]

الحَثُّ عَلَىٰ الدُّعَاءِ فِي السُّجُودِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**». **حَسَنٌ** [م].

مَا يُقَالُ بينَ السَّجْدَتَينِ

عَنْ حُذَيْفَةَ ﵁؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**». **صَحِيحٌ** [جه]

صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ التَّشَهُّدِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ - فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ - أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.**

ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو». **صَحِيحٌ** [خ - م] **عن ابن مسعود.**

مَا يُقَالُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ. اللَّهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ**» قَالت: فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تستعيذ من المغرم يا رَسُولَ الله! فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**». **صَحِيحٌ** [خ - م].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟**»، قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**». **صَحِيحٌ** [د]

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**». **صَحِيحٌ** [خ - م].

الذِّكْرُ بَعْدَ الصَّلَاةِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا،

وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: **«أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بأمرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ، أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»** صَحِيحٌ [خ - م].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ(١)، فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**. صَحِيحٌ [م]

وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيرِ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، حِينَ يُسَلِّم: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ. صَحِيحٌ [م]

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: **«لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَد»** صَحِيحٌ [خ - م].

---

(١) وفي «صَحيح مسلم» من حَدِيثِ كَعْبِ بن عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ -أَوْ فَاعِلُهُنَّ- دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً»**.
وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَىٰ التَّنَوّعِ.

وَعَنْ ثَوبَانَ؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا. وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**». صَحِيحٌ [م]

وَعَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»؛ **فَقَالَ**: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». **صَحِيحٌ** [د].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ. حَسَنٌ [د - ت - ن].

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ**(١) **أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**» **صَحِيحٌ** [خ]

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ**». **إسناده حَسَنٌ** [س].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّكْبِيرِ. **صَحِيحٌ** [خ - م].

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ، بِالذِّكْرِ حِينَ يَنْصَرِفُ النَّاسُ مِنَ المَكْتُوبَةِ، كَانَ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كُنْتُ أَعْرِفُ إِذَا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ». **صَحِيحٌ** [خ - م]

---

(١) وَفِي رِوَايَةٍ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ».

وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ وَالِدَهُ، يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ**»، فَجَعَلْتُ أَدْعُو بِهِنَّ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَنَّىٰ عُلِّمْتَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قُلْتُ: يَا أَبَتِ سَمِعْتُكَ تَدْعُو بِهِنَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ، فَأَخَذْتُهُنَّ عَنْكَ، قَالَ: فَالْزَمْهُنَّ يَا بُنَيَّ، «فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ. حَسَنٌ [ن].



أَذْكَارُ الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: «**قُلْ**» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ**»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: «**قُلْ**»، فَقُلْتُ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**». حَسَنٌ [د، ت، ن].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ، حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**». حَسَنٌ [م]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**»، وَإِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**». حَسَنٌ [د - ت]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: «**أَمْسَيْنَا، وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ! أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ**[1]**، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**

(١) وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِم: «**رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا**».

مِنَ الْكَسَلِ[١] وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهُمَّ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». صَحِيحٌ [م]

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ». صَحِيحٌ [ت، د، ن].

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ جُوَيْرِيَّةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». صَحِيحٌ [م]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَىٰ[٢] كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا[٣]، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». صَحِيحٌ [حم- ن]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ حين يمسي، وحين يصبح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ

(١) وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ».

(٢) في رواية بدون: «علىٰ».

(٣) في رواية بدون: «مسلمًا».

عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي؛ اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». صَحِيحٌ [د، ن]

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحَطَّ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ كَعَشْرِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلًا يَقْهَرُهُنَّ؛ فَإِنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي، فَمِثْلُ ذَلِكَ»(١). حَسَنٌ [حم - جه]

عَنْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ، فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ». حَسَنٌ [جه، ت، و..]

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ». صَحِيحٌ [د، م معلقًا]

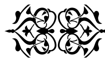
---

(١) وَعِنْدَ أَبِي دَاودَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَيَّاش أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَىٰ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». صَحِيحٌ [خ وم]

سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا؛ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». صَحِيحٌ [خ]



مَزِيدٌ مِنَ الحُرُوزِ المَضْمُونَةِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . . . . فَقَصَّ الحَدِيث، فَقَالَ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَمْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ**». **صَحِيحٌ** [خت]

وَعَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّارٍ الْغَطْفَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **يَا ابْنَ آدَمَ لاَ تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ**». **حسن** [حم، د].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**». صَحِيحٌ [م].

عَنْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَىٰ يَسَارِكَ ثَلَاثًا**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي. صَحِيحٌ [م]

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

تَعْوِيذُ الصِّبْيَانِ

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا إِبْرَاهِيمَ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**». **صَحِيحٌ** [خ]

كَفُّ الصِّبْيانِ عِنْدَ المَسَاءِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ، فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا**[1] **آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

التَّعَوُّذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ الغَضَبِ

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ -رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّىٰ انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ**»؛ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

---

(١) التخمير معناه: التغطية.

تَرْكُ قَول لَو

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ، لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانَ**». حسن [م]

ذِكْرُ اللَّه عِنْدَ دُخُولِ البَيتِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**» صَحِيحٌ [م]

مَا يَقُولُهُ مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا

عن خولة بنت حكيم السُّلمية تَقولُ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». صَحِيحٌ [م]

فَصْلٌ فِي الصَّلاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ

قال الله جل ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عن حسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيّ**». حَسَنٌ [ت - حم]

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ**» صَحِيحٌ لغيره [ت - حم]

وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا قَعَدَ قَوْمٌ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ**» **صَحِيحٌ** [حم]

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا**». صَحِيحٌ [م]

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**». **حسن** [حم - د]

وَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؟ كَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاَتُنَا، وَقَدْ أَرِمْتَ؟ -يَعْنِي: وَقَدْ بَلِيتَ- قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ**». سنده الظاهر صَحِيحٌ [حم، د][1]

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ:

---

(١) وَقَدْ أَعَلَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ.

«**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». **صَحِيحٌ** [خ]

وَعَنْ أَبِي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ**» **حَسَنٌ** [د - حم]

بَابٌ فِي السَّلامِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا، حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». **صَحِيحٌ** [م]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» **صَحِيحٌ** [خ - م]

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**». **صَحِيحٌ** [د]

وَمِنْ صُوَرِ إِفْشَاءِ السَّلامِ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَمَاشَوْنَ، فَإِذَا اسْتَقْبَلَتْهُمْ شَجَرَةٌ أَوْ أَكَمَةٌ، فَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ الْتَقَوْا مِنْ وَرَائِهَا، سَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ.

صَحِيحٌ لغيره [السني]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ. صَحِيحٌ [خ - م]

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا فِي جَوَارٍ(١) أَتْرَابٍ(٢) لِي، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا(٣). حَسَنٌ لِغَيرِهِ [البخاري في الأدب المفرد]

وَلا يُبْدَأُ اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بالسَّلامِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ**» صَحِيحٌ [م]

أَكْمَلُ صِيغَة لِإلْقَاءِ السَّلامِ

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْه السَّلَامُ، ثُمَّ جلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجلَسَ، فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**» ثُمَّ

---

(١) فِي جَوَارٍ أي: مَعَ جَوَاري.
(٢) أَتْرَاب أي: في سِنٍّ وَاحِدَةٍ.
(٣) وَمَحل ذَلِكَ إِذَا أمنت الفِتْنَة.

جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**ثَلَاثُونَ**». **صَحِيحٌ** [د - ت]

أَذْكَارُ الطَّعَامِ وَالشَّرَاب وَالتَّسْمِيَة

عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». **صحيح** [خ - م]

مَا يَقُولُهُ مَنْ نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ ﷻ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ، فَلْيَقُلْ حِينَ يَذْكُرُهُ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ طَعَامًا جَدِيدًا، أَوْ يَمْتَنِعُ الْخَبِيثُ مِمَّا كَانَ يُصِيبُ مِنْهُ**». **سنده صَحِيحٌ** [ابن السني]

اسْتِحْلَالُ الشَّيطَان لِلطَّعَامِ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ

عَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّىٰ يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا**». **صَحِيحٌ** [م]

مَا يُقَالُ بَعْدَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». **صَحِيحٌ** [م]

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَىٰ وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا**». **صَحِيحٌ** [د]

صِفَةُ الدُّعَاءِ لِمَنْ قَدَّمَ طَعَامًا

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ**». **صَحِيحٌ لشواهده** [د - جه]

وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْر فَقَالَ: «**اللهُمَّ! بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**». **حَسَنٌ** [م]

دُعَاءُ الاسْتِخَارَة

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: «**إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي** -أَوْ قَالَ: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي** -أَوْ قَالَ: **فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-**

فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ». صَحِيحٌ [خ]

مَا يُقَالُ عِنْدَ الجِمَاعِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا». صَحِيحٌ [خ - م]

مَا يُدْعَىٰ بِهِ لِلْمُتَزَوِّجِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَّأَ الْإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ، قَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ». حَسَنٌ [د - ت]

مَا يَقُولُهُ مَنْ تَزَوَّجَ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوِ اشْتَرَىٰ خَادِمًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ». حَسَنٌ [د]

قَالَ أَبُو دَاوُدَ: زَادَ أَبُو سَعِيدٍ: «ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ» فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ.

مَا يُقَالُ لِمَنْ لَبِسَ ثَوبًا جَدِيدًا

عَنْ أُمِّ خَالِدٍ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَنَهْ سَنَهْ» -قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ-، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي ثُمَّ، أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي**». **صَحِيحٌ** [خ]

مَا يَقُولُهُ مَن اسْتَجَدَّ ثَوبًا

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، إِمَّا قَمِيصًا، أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**».

مَا يُقَالُ لِلْمَرِيضِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**». **صَحِيحٌ** [خ]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَتَىٰ مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ: «**أَذْهِبِ البَأْسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ رُؤية المُبْتَلَىٰ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَىٰ مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَىٰ بِهِ هَذَا وَفَضَّلَنِي عَلَيْهِ وَعَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقَ تَفْضِيلًا، عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ**» حَسَن.

مَا يَقُولُهُ مَنْ شَكَا وَجَعًا فِي جَسَدِهِ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي**

تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ[١] **وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**». **صَحِيحٌ** [م]

بَعْضُ صُور الرُّقَىٰ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ؛ أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَىٰ نَفَثَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَىٰ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ. صَحِيحٌ [خ - م]

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَفِي الصَّحِيحَينِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَقَىٰ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ.

طَرَفٌ مِنْ أَذْكَارِ الجَنَائِزِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». حَسَنٌ [حم]

---

(١) وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ**».

مَا يُقَالُ عِنْدُ المُصِيبَةِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا - إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**».
صَحِيحٌ [م]

الدُّعَاءُ فِي الصَّلَاةِ عَلَىٰ الجَنَازَةِ

عَنْ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ! اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**».

قَالَ: حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ. حَسَنٌ [م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ المَقَابِرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَىٰ الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**». **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ بُرَيدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَىٰ الْمَقَابِرِ، فَكَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَىٰ أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**

وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ». صَحِيحٌ [م]

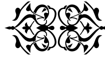
وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ. اللهُمَّ! اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ». حَسَنٌ [م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ وَضْعِ المَيِّتِ فِي قَبْرِهِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي الْقَبْرِ، فَقُولُوا: بِسْمِ اللهِ، وَعَلَىٰ مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ». سَنَده صَحِيحٌ [حم-د - ت](١)

الاسْتِغْفَارُ لِلْمَيِّتِ بَعْدَ الدَّفْنِ

عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» حَسَنٌ [د]



(١) وقد أعلَّ بالوقف علىٰ ابن عمر.

أَذْكَارُ النَّوم

قِرَاءَةُ المُعَوِّذَات وَالنَّفْثُ بِهَا

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جمع كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. صَحِيحٌ [خ]

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**» **صَحِيحٌ** [خ - م]

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ، مُتَّ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**»، فَقُلْتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، **قَالَ**: «**لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ وَلِفَاطِمَةَ: «**إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا، فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَاحْمَدَا اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ**». صَحِيحٌ [خ - م]

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِي**» **صَحِيحٌ** [م]

وَعَنْ حُذَيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ**(١) **قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ -أَوْ تَبْعَثُ- عِبَادَكَ**». **صَحِيحٌ** [ت]

وَعَنْ سُهيل قَالَ: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ! أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**». وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

آدَابُ الرُّؤيَا وَأَقْسَامُهَا

الرؤيا علىٰ ثلاثة أقسام:

١- رُؤيا صالحةٌ عن اللهِ.

٢- رؤيا تَحزين مِن الشيطان.

---

(١) وَوَرَدَ مِن حَدِيثِ البَرَاءِ بِلَفْظ: «رب . . . .».

٣- رؤيا مما يُحدِّث المرء نفسه.

أما آداب الرؤيا الصالحة فهي:

١- حَمْدُ الله عليها.

٢- أن يُحدِّث الشخص بها من يُحِبُّ.

أما آداب الرؤيا التي تكره فهي:

١- التعوذ باللهِ منها، ومن الشيطان.

٢- عدم التحدث بها.

٣- التفل عن اليسار ثلاثًا.

٤- التحوُّل عن الجَنْبِ.

٥- الصلاة بعدها.

وها هي بعض الأحاديث الواردة في ذلك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ، بُشْرَىٰ مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**». **صَحِيحٌ** [م]

عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا، وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ؛ فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ**». **صَحِيحٌ** [خ]

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّىٰ سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَىٰ الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّىٰ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَىٰ مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلاَثًا، وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

عَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**». صَحِيحٌ [م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ لِقَاءِ العَدُوِّ

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران: ١٤٧].

مَا يَقُولُهُ مَنْ خَافَ قَومًا

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص: ٢١].

وَعَنْ صُهَيبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ....**» فَذَكَرَ الحَدِيثَ وَفِيهِ أَنَّ الغُلَامَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ**». صَحِيحٌ [م].

مَا يُقَالُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ، وَأَنَا عَلَىٰ غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ المُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

مَا يُقَالُ عِنْدَ الفَزَعِ

عَنْ زَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ ﵂ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ . . .**». **صَحِيحٌ** [خ]

التَّكْبِيرُ عِنْدَ الأَمْرِ السَّارِ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ . . . . . .**» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَّرْنَا . . . .**». صَحِيحٌ [خ - م].

أَذْكَارُ السَّفَرِ

قَالَ اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَىٰ سَفَرٍ: كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ **اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ**

بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ».

وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**». **صَحِيحٌ** [م]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ، رضي الله عنه قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ**». **صَحِيحٌ** [م]

التَّكْبير عِنْدَ الصُّعُودِ وَالتَّسْبِيح عِنْدَ النُّزُولِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا». صَحِيحٌ [خ]

مَا يُقَالُ إِذَا عَثَرت الدَّابَّة

عَنْ رَجُلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «**لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ**». **صَحِيحٌ** [د]

مَا يَقُولُهُ مَنْ رَجَعَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ -وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ الغَزْوِ- يَقُولُ كُلَّمَا أَوْفَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ: كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**». **صَحِيحٌ** [خ - م]

مِمَّا يُوصَىٰ بِهِ المُسَافِر

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يُرِيدُ سَفَرًا لِيُودعه فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ، فَلَمَّا وَلَّىٰ قَالَ: اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ الْبُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرُ**». **حَسَنٌ** [حم]

مَا يُقَالُ لِلْمُسَافِرِ

عَنْ مُوسَىٰ بْنَ وَرْدَانَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ أُوَدِّعُهُ لِسَفَرٍ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ، يَا ابْنَ أَخِي، شَيْئًا عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقُولُهُ عِنْدَ الوَدَاعِ؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ قَالَ: قُلْ: «**أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ**». **حَسَنٌ** [جه]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَىٰ الرَّجُلَ وَهُوَ يُرِيدُ السَّفَرَ، قَالَ لَهُ: ادْنُ حَتَّىٰ أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا فَيَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**». **صَحِيحٌ لشواهده** [حم]

ما يُقال إذا عَصَفَتِ الريح

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «**اللهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**». **صَحِيحٌ** [م].

مَا يُقَالُ عِنْدَ رُؤيَة المَطَرِ

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَىٰ المَطَرَ قَالَ: «**صَيِّبًا نَافِعًا**». **صَحِيحٌ** [خ]

دُعَاءُ الكَرْب

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**». صَحِيحٌ [خ - م]

مَا يَقُولُهُ الصَّائِمُ عِنْدَ فِطْرِهِ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**». حَسَنٌ [د]

الدُّعَاءُ بِالبَرَكَةِ إِذَا خِيفَتِ العَين وَقولُ مَا شَاءَ اللَّه لَا قُوَّةَ إِلَّا باللَّه

قَالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: ٣٩].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَافَ أَنْ يُصِيبَ شَيئًا بِعَينِهِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَلَا تَضُرُّهُ**». حَسَنٌ لِشَوَاهِدِهِ [سني].

لاَ يُقَالُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانَ

عَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**» صَحِيحٌ [د - ن].

كَيفَ يُشمَّت العَاطِسُ وَبِمَ يُجِيب من شمته

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ -أَوْ صَاحِبُهُ- يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» صَحِيحٌ [خ].

مَا يُقَالُ لِغَيرِ المُسْلِمِ إِذَا عَطَسَ

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ﵁ قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: «**يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**». **حَسَنٌ** [ت - د].

مَا يَفْعَلُهُ مَنْ تَثَاءَبَ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ**» صَحِيحٌ [خ].

أَكْثَرُ دُعَاء النَّبِيِّ ﷺ

سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا: أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». صَحِيحٌ [خ - م].

الحَثُّ عَلَىٰ الاسْتِغْفَارِ

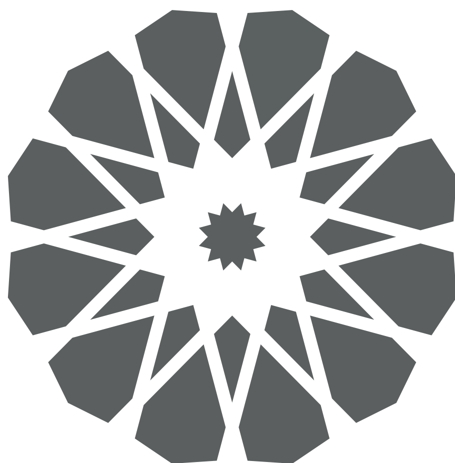
عَنِ الأَغَرِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» صَحِيحٌ [م].

كَفَّارَةُ المَجْلِسِ

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَىٰ، فَقَالَ: «**كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ**». حَسَنٌ [د - ن].

الباب الثاني عشر

السيرة النبوية



المرحلة المكِّيَّة

محمد قبل البعثة

شهد عام ٥٧١ للميلاد حادثين مستفيضي الشهرة في الجزيرة العربية، وهما غزو الأحباش لمكة بهدف هدم الكعبة، ومولد النبي محمد ﷺ، ومع فشل حملة أبرهة تفرَّد الحدث الثاني في التأثير علىٰ أوضاع الجزيرة العربية وسكَّانها.

وُلد النبي محمد ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، العشرين من شهر نيسان عام ٥٧١م، وهي السنة المعروفة بعام الفيل[١]، من أبوين فقيرين في مالهما غنيين في حسبهما وشرفهما. ينتمي أحدهما، وهو: عبد الله إلىٰ عبد المطلب بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب. والأخرىٰ، هي: آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب، بن مرة، بن كعب[٢].

توفي والده وهو في بطن أمه، فكفله عند ولادته جده عبد المطلب، ثم توفيت والدته وهو في السادسة من عمره، كما توفي جده بعد مرور سنتين، فتولَّىٰ أمره عمه أبو طالب[٣].

---

(١) ابن سعد: طبقات ابن سعد جـ١ ص١٠٠-١٠١. ابن هشام: جـ١ ص١٨١.

(٢) ابن هشام: المصدر نفسه ص١٧٨-١٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ص١٨٠-١٨٢، ١٩٥، ٢٠٤.

قضىٰ أيامه الأولىٰ فقيرًا إلىٰ العمل وهو صغير، مع أبناء عمه فكان يرعىٰ الغنم. ولما شبَّ ضرب في الأرض متاجرًا بمال غيره، فتاجر لحسب خديجة بنت خويلد، إحدىٰ شريفات مكة.

أتَّصف بالمروءة والخلق الحسن والحسب الكريم، فكان خير قومه جوارًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم عن الفحشاء التي تدنس الرجال حتىٰ لُقِّب بـ "الأمين".

كانت نقطة التحوُّل الأولىٰ في حياته قبل البعثة زواجه من خديجة بنت خويلد[(١)]. وكان الدافع بهذه السيدة إلىٰ الإقدام علىٰ هذه الخطوة هي أمانته، وصدقه، وإخلاصه، وحسن أخلاقه، التي لمستها وشعرت بها نتيجة تعاملها التجاري معه، فلم يعد بحاجة إلىٰ طلب الرزق، كما لم يعد يخشىٰ الفقر. وأتاحت له حياته الجديدة أن ينصرف إلىٰ التأمل والتفكير في حياة قومه، وفي الكون من حوله. وبدأ يميل إلىٰ الصمت، والسكون، والابتعاد عن مخالطة الناس. وقد اتَّسمت حياته في هذه المرحلة بالخروج علىٰ عادات مجتمعه في كل جانب من جوانب حياته. فنشأ في بوتقة الشرك إلا أنها لم تصهره، فلم يؤمن بعبادة الأصنام، بل كان كارهًا لها كل حياته.

كانت الهوة عميقة بين بيته الطاهر، الذي عاش فيه، وبين عالمه الواسع من حوله. فكان هناك تناقض بين بيته وبين عالمه، جعل حياته تتأثَّر، وتجنح نحو الاعتزال والتأمل.

كانت الفرصة الأولىٰ في اختبار مكانة محمد في مجتمعه عندما أعادت

---

(١) ابن سعد: الطبقات جـ١ ص١٣١.

قريش بناء الكعبة[١] إذ أنه حقن الدماء وحكم بالعدل، وأنصف بين القوم، وبذلك انطلق ليتخذ له مكانًا مرموقًا باعتراف قومه بأنه من أصحاب العدل ومن دعاة الرحمة والسَّلام.

البعثة

ازداد شعور محمَّد بالعزلة، عندما بلغ سن الأربعين. فكان ينصرف إلىٰ غار حراء، القريب من مكة، للتحنُّث، والانغماس في التفكير والتأمل، بعيدًا عن صخب الحياة في مكة. وإنما الباعث علىٰ هذا، اشتداد وحشته من سوء أوضاع الناس، والهرب منها إلىٰ الأُنس بالله تعالىٰ والرجاء في هدايته إلىٰ المخرج منها[٢].

ولما أراد الله كرامته ورحمة العباد به، وكان قد هيأه لتلقي الرسالة والوحي، كانت الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به، وهي خطوة تمهيدية لاستقبال الكلام الإلهي، ثم نزل الوحي عليه.

وكان أول من آمن بدعوته زوجته خديجة، ثم أخذت الدعوة تنتشر ببطء، فدخل في الدين الجديد أفراد قلائل في مكة، منهم علي بن أبي طالب، وكان لا يزال صغيرًا لا يتجاوز العاشرة من عمره[٣]، وأبو بكر الصديق، وزيد بن حارقة مولاه ﷺ، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص وغيرهم[٤]، كما انتشرت الدعوة بين النساء.

---

(١) أنظر تفاصيل الحادثة عند ابن هشام: جـ١ ص٢٢١-٢٢٨.

(٢) رضا، الشيخ رشيد: تفسير القرآن الحكيم جـ١١ ص١٩٣.

(٣) ابن هشام: جـ١ ص٢٨٤.

(٤) أنظر فيما يتعلق بإسلام الرعيل الأول: المصدر نفسه ص٢٨٧-٢٩٤.

ويلاحظ أن الذين آمنوا به ينتمون إلىٰ مختلف الطبقات والأعمار، والكثير منهم من الفقراء والمستضعفين. إذ أنهم أقبلوا علىٰ الدِّين بشغف نظرًا لمبادئه القريبة من الفطرة البشرية، وقد بعثت الأمل في نفوسهم، لأنها تدعو إلىٰ المساواة، وإلىٰ منح الأرقاء الحقَّ في التحرر، وإلىٰ مساعدة المحتاجين.

ولمعرفة ردود الفعل الأولية للدعوة الإسلامية، يمكن تقسيم الرعيل الأول من المسلمين إلىٰ ثلاث فئات من حيث المكانة الاجتماعية.

تتضمن الفئة الأولىٰ فتيان العائلات الكبيرة، التي تتمتع باحترام واسع في المجتمع المكي، ويتمثَّل هذه الفئة خير تمثيل: خالد بن سعيد بن العاص. وهذه العائلات هي الأكثر تأثيرًا في المجتمع بحكم مكانة العشائر التي تنتمي إليها. والجدير بالذكر أن الأشخاص الذين حملوا لواء المعارضة ضد النبي محمد ﷺ ينتمون إلىٰ هذه الفئة.

وتتضمن الفئة الثانية فتيان العائلات الأخرىٰ، التي تنتمي إلىٰ العشائر الضعيفة نسبيًا، كبني الحارث بن فهر، وبني عمير، ولا يوجد فارق كبير بين الفئتين.

وتتضمَّن الفئة الثالثة الأشخاص الذين لا يرتبطون بأي من العشائر في المجتمع المكي. إنهم خارج دائرة النظام العشائري، ويلحقون اسميًا ببعض العشائر. ويندرج ضمن هذه الفئة ما يسمىٰ بالمستضعفين، كصهيب الرومي، وعمَّار بن ياسر، وبلال الحبشي.

ظلت الدعوة سرية مدة ثلاث سنوات، أمر الله نبيه بعدها أن يجهر بها، فعاداه قومه، ووقفوا في وجهه، وعذَّبوا من أسلم من أتباعه، كما تعرَّض هو نفسه للمضايقة والأذىٰ. والواضح أن مبادئ الدعوة الإسلامية في

مكة، أقلقت القريشيين حتىٰ باتوا في اضطراب دائم، فخشوا علىٰ مصالحهم التجارية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، والاجتماعية.

ولما رأىٰ النبي محمد ﷺ ما يصيب أتباعه من العذاب، في الوقت الذي لا يستطيع فيه مساعدتهم، أشار عليهم بالهجرة إلىٰ الحبشة، خشية الفتنة، فهاجر ثلاثة وثمانون من المسلمين إلىٰ بلاد النجاشي في السنة السابعة من البعثة، ومعهم ثماني عشرة امرأة[١].

وحدث أن قوي ساعد المسلمين في مكة، واعتز الإسلام باعتناق عمر بن الخطَّاب الدِّين الجديد[٢]. فقد كان عمر رجلًا شديد المراس، وجاء إسلامه في الوقت المناسب، وأبدىٰ في خدمة الإسلام الحمية نفسها التي عارضه بها.

ولامت قريش بني هاشم لعدم ردعهم محمدًا، فاتفق أشرافها وأولو الأمر فيها علىٰ حصارهم ومقاطعتهم اقتصاديًا، واجتماعيًا. استمرت المقاطعة أكثر من سنتين[٣]، لم تؤد إلىٰ نتيجة إيجابية، انطلق بعدها النبي محمد ﷺ إلىٰ دعوة القبائل الوافدة إلىٰ مكَّة في أيام الحج، بمعنويات مرتفعة.

هجرة النبي محمد ﷺ إلىٰ المدينة

عندما جاء الوقت الذي وُجدت فيه التربة الصالحة لنمو المبادئ الإسلامية، كان المجتمع في يثرب يمر في حالة من التفكُّك، تمزقه نار الحرب، ولم تتح له ظروف أبنائه أن يتحدوا، لذلك كان بحاجة ماسَّة إلىٰ

(١) انظر فيما يتعلق بالهجرة الأولىٰ إلىٰ أرض الحبشة، ابن هشام: جـ٢ ص٦٩-٧٦.
(٢) الطبري: جـ٢ ص٣٣٥.
(٣) انظر فيما يتعلق بالمقاطعة، ابن هشام: جـ٢ ص١٠١-١٠٣، ١٢٢-١٢٥.

تغيير جذري في مبادئه ومفاهيمه، وأُسس تركيبه، وقواعد السلوك فيه، وكان يتطلع إلىٰ هذا التغيير منذ زمن، حتىٰ وجده في مبادئ الدعوة الإسلامية، فاستجاب لنداء محمد من دون تردد.

ولا شك أن اختلاف العناصر المكونة لهذا المجتمع من عرب منقسمين علىٰ أنفسهم بين أوس وخزرج، ويشكِّلون العنصر الأكثر عددًا، ويهود ينتمون إلىٰ ثلاث قبائل كبرىٰ هي بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وقبائل أخرىٰ أقل شأنًا، كان عاملًا مساعدًا في انتشار المبادئ الإسلامية، وبخاصة أن العنصر اليهودي عمد، علىٰ عادته في كل زمان ومكان، إلىٰ إتباع سياسة التفرقة بين العرب لتقوية قبضته.

وانتشر الإسلام في يثرب بين الأوس والخزرج بعد بيعتي العقبة[1]. ونصح محمد أتباعه بالهجرة إليها، ثم أذن له ربه بالهجرة، فخرج إليها بصحبة أبي بكر الصديق. ولما وصل إليها يوم الاثنين (لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول/ **٢٥** من شهر أيلول عام **٦٢٢**م)، دخلها وسط ابتهاج المسلمين[2]، واستُبدل اسم يثرب فسميت بـ «مدينة رسول الله أو المدينة المنوَّرة».

شكَّلت الهجرة إلىٰ يثرب فاصلًا بين عهدين تميَّز كل منهما بمميزات من التشريع تناسب من المرحلة التي مرَّت بها الدعوة. ولما انتهىٰ العهد المكي، كنت الهجرة فاتحة مرحلة أخرىٰ ذات طابع خاص ومميزات جديدة، في العمل والتنظيم والتشريع والتخطيط بلا تغيير في الهدف.

---

(١) المصدر نفسه ص١٧٦-٢١٠.

(٢) ابن سعد: جـ١ ص٣٣٤، ابن هشام: جـ٢ ص٢٣٦، الطبري: جـ٢ ص٣٨٨، ٣٩٢. السهيلي: ج، ٢، ص٢٤٥.

خصائص الدعوة المكية

عالج القرآن الكريم في سورة المكية قضية العقيدة، لأنها القضية الأساسية في الدِّين الجديد، والتي تتمثَّل في قاعدتها الرئيسية، الألوهية، والعبودية، وما بينهما من علاقة، إذ لم يكن من مجال لترك الوثنية علىٰ حالها، وهي تزداد يومًا عن يوم، فلا بد من المقاومة الشديدة لعبادة الأصنام وتعدُّد الأرباب. ونزلت الآيات تقاوم الوثنية وتحارب منهجها، وتهاجم تعدد الأرباب، ثم تُثِّبت بعد ذلك التوحيد المطلق لله الخالق الواحد القهَّار.

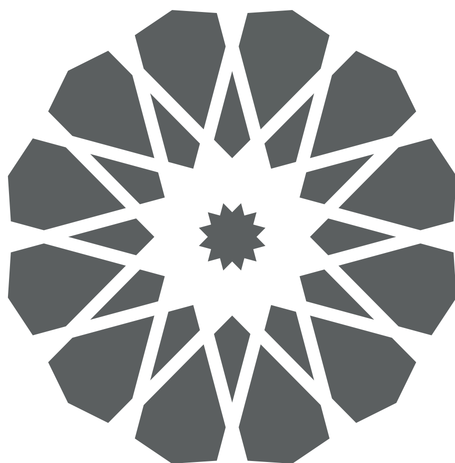
وتضمَّنت الدعوة في مكة عقيدة البعث والجزاء. فالبعث إعادة لحياة كانت، والجزاء هو النتيجة الحتمية والمنطقية للحياة الأولىٰ. وقد أنكر بعض المكيين وجود يوم يبعث الله تعالىٰ فيه العباد أحياء من جديد، فأثبت القرآن وجود اليوم الآخر، حيث يُجزىٰ كل فرد بما عمل، وأبطل نظريتهم عن الحياة والموت.

وعالج القرآن المكي قضية العبادة بوصفها عملية تربط المخلوق بالخالق، وتوجهه نحو الخير.

وتطرَّق القرآن المكي، خلال معالجته قضية العقيدة، إلىٰ القِيَم والخصال التي تقرِّب من الله، ويتمحور معظمها حول الأخلاق، ومعاملة الناس بعضهم بعضًا، والمساواة بينهم، والعفو عند المقدرة، والإصلاح، والصبر، والتغلب علىٰ البغي والعدوان.

وقد جاهد النبي محمد ﷺ ثلاثة عشر عامًا في مكَّة من أجل زرع هذه العقيدة في التربة المكيَّة وإخراج المفاهيم الفاسدة من عقول الناس.





المرحلة المدينة

أُسس الدولة الإسلامية

بناء المسجد

تبدأ المرحلة المدنية من حياة النبي محمد ﷺ بوصوله إلىٰ قباء في واحة المدينة. وكانت الهجرة تعني نشأة أول دار للإسلام، وهي إيذان بظهور الدولة الإسلامية، ولذا كان علىٰ النبي أن يحقِّق الأمن والاستقرار في الداخل ليتفرَّغ لبناء دولة الإسلام، وكان من أوائل أعماله بناء مسجد للمسلمين والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتنظيم الوضع الداخلي من الناحية السياسية.

وكان المسجد، في بادئ الأمر بسيطًا وهو عبارة عن صحن فسيح يجاور المنزل الذي أقام فيه، وقبلته إلىٰ بيت المقدس، ونظرًا لشدة تعرض المسلمين لحرارة الشمس أقام لهم النبي ظلة (سقف) من جذوع النخل[١].

ظل المسلمون منذ أن هاجر النبي إلىٰ المدينة يولون وجوههم في الصلاة شطر بيت المقدس طوال ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، ثم حُوِّلت القبلة إلىٰ الكعبة قبل معركة بدر بشهرين[٢]. فأقام النبي ظلة جديدة

---

(١) السمهودي، أبو الحسن بن عبد الله: وفاء الوفاء بخبار دار المصطفىٰ جـ١ ص٢٣٢، ٢٣٩.

(٢) أنظر نص الآية رقم ١٤٤ من سورة البقرة.

إلىٰ الجانب القبلي من المسجد، فأصبح للمسجد ظلتان، ومن أجل ذلك سُمي بمسجد القبلتين[١].

وتُعدُّ إقامة المسجد الأول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي والكيان السياسي للدولة المسلمة بوصفه المقر الرسمي لها.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

أضحىٰ للنبي محمد ﷺ عند قدومه إلىٰ المدينة أتباعٌ أقوياء، كما أضحت له مكانة سياسية بين أتباعه، وقد سمي أتباعه المكيين بالمهاجرين وأتباعه من أهل المدينة بالنصار، ثم عمل علىٰ توحيدهم برباط الإسلام.

بدأ بإصلاح ما بين الأوس والخزرج، فأزال من نفوسهم ما كان قد رسب فيها من العداوة القديمة، ثم وحَّد بينهم تحت اسم الأنصار الذين نصروه وأيَّدوا الدعوة الإسلامية. ثم اتجه إلىٰ ربط المهاجرين والأنصار بربط الأخوة ليحل جانبًا من مشكلات المهاجرين الاقتصادية، فآخىٰ بين المسلمين جميعًا، علىٰ الحق والمؤاساة، وعلىٰ أن يتوارثوا بينهم بعد الموت، بحيث يكون أثر الإخوة الإسلامية في ذلك أقوىٰ من أثر قرابة الرحم[٢].

وتُعدُّ المؤاخاة الأساس الثاني الذي اعتمده النبي محمد ﷺ في سبيل إنشاء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، لأن أية دولة لا يمكن أن تنهض وتقوم إلا علىٰ أساس وحدة الأمة وتساندها[٣].

---

(١) ابن سعد: جا ص٢٤٢. السمهودي: جا ص٢٥٨.

(٢) ابن سعد: جا ص٢٣٨. ابن كثير، الحافظ الدمشقي: البداية والنهاية ج٣ ص٢٢٦-٢٢٩.

(٣) البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية ص٢١٩.

الوثيقة الدستورية (الصحيفة)

تعدُّ كتابة الوثيقة بين المسلمين وغيرهم ممن يتكوَّن منهم المجتمع المديني، من أهم ما قام به النبي محمد ﷺ فيما يتعلَّق بالقيمة الدستورية للدولة الجديدة. فقد انهمك، خلال الأشهر الأولىٰ من قدومه إلىٰ المدينة، بإيجاد نظام جديد يوحِّد أهل المدينة بمختلف طوائفهم من مسلمين ويهود ومشركين. فأوجد صيغة للعلاقات بينهم وبين السلطة التي أراد تأسيسها، وجعلها الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية فيما بعد بمقوماتها التنظيمية والإدارية والسياسية والدينية، فربط أهل المدينة برباط موحد كفل لهم حرية العقيدة والعمل ضمن دائرة معينة. وقد أورد ابن إسحاق نص هذه الوثيقة من دون أن يذكر شيئًا عن الطريقة التي وصلت بها إليه(١).

ويمكن تقسيم نص الوثيقة إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: يحدد العلاقة بين المؤمنين، حيث استطاع النبي أن يوحِّد جميع المسلمين علىٰ اختلاف شعوبهم وقبائلهم، وأن يجعل منهم أمَّة واحدة تربطهم رابطة الإسلام.

الثاني: يحدِّد العلاقة مع المشركين. والواقع أن الوثيقة لم تفصِّل حقوق هؤلاء نظرًا لقلة عددهم، إنما أعطتهم الامتيازات نفسها التي منحتها لباقي الطوائف.

الثالث: يحدد العلاقة مع اليهود، وكان عهدًا علىٰ الموادعة والمسالمة وحرية التصرف ضمن حدود المصلحة العامة مع التسليم بالسلطة العليا لمحمَّد، والتعهد بالدفاع عن المدينة ضد قريش، وعدم مناصرة أي مهاجم

---

(١) ابن هشام: جـ٢ ص٢٤٠-٢٤٢.

لها، أَو عقد أي حلف مع المشركين المحاربين دون إذن منه، مع احتفاظهم بتنظيم شؤونهم الداخلية.

وبعد الانتهاء من كتابة الوثيقة وافق الجميع علىٰ مضمونها، ووقَّعها كل طرف، وتعاهدوا علىٰ العمل بتنفيذ مضمونها. وبذلك يكون النبي محمد ﷺ قد حصر بيده السلطتين الدينية والقضائية علىٰ المسلمين، والسلطتين السياسية والدفاعية علىٰ أهل المدينة جميعًا، وجعل من نفسه الحكم والمرجع لحل كافة النزاعات التي يمكن أن تنشأ من جراء تطبيق بنود الصحيفة. وبهذا العمل التنظيمي يكون قد تفرَّغ للأمور الخارجية.

الغزوات والسرايا الأولىٰ(١)

كانت هجرة النبي محمد ﷺ إلىٰ المدينة تحديًا لقريش، وقد خشي التجار والأغنياء في مكَّة أن يوجه إليهم جيشًا من أتباعه بغير علىٰ قوافلهم التجارية أثناء مرورها بمنعرج المدينة ليعوِّضوا بعض ما فقدوه أو تركوه بعد هجرتهم، ويشكّل هذا العمل إذا ما تحقَّق نكبة كبيرة تصيب تجارتهم، لذلك طلبوا من كبار تجار المدينة وأغنيائها من اليهود الحماية حين تمر قوافلهم في صحراء المدينة في طريقها إلىٰ بلاد الشام أو العودة منها.

أما النبي محمد ﷺ فراح يهيئ رجاله للكفاح بعد أن أذن الله له بالقتال دفاعًا عن النَّفس والعقيدة(٢)، ويُعدُّهم لخوض المعارك بتدريبهم ورفع معنوياتهم فلا يتخاذلون عند اللقاء. ثم تسلَّم زمام المبادرة وبدأ يتحدىٰ قريشًا بمهاجمة قوافلها التجارية بوصفها مصدر حياة القريشيين،

(١) الغزوة: هي ما خرج فيها النبي مع المقاتلين. والسرية، أو البعث: ما لم يخرج فيها بنفسه، وقد يُطلق علىٰ السرية غزوة كما في غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل.

(٢) أنظر الآيتين ٣٩-٤٠ من سورة الحج.

وأساس قوتهم، كما استهدف عمله هذا إنذار أعداء الدولة الناشئة من غير قريش بأن المسلمين قادرون علىٰ الرد ومستعدون للتصدي لأي عدوان.

ونفَّذ المسلمون أربع غزوات وثلاث سرايا خلال الثمانية عشر شهرًا الأولىٰ بعد الهجرة[١]، أُرسلت ست منها لمهاجمة القوافل التجارية، كانت نتائجها ضئيلة نسبيًا، إنما جذبت الأعراق المجاورين للمدينة، فواعدوا المسلمين، وكانت مساعدة هؤلاء ضرورية لنجاح حملاتهم العسكرية.

حصلت المواجهة المسلَّحة الأولىٰ بين سرية إسلامية مؤلَّفة من تسعة أشخاص بقيادة عبد الله بن جحش، وقافلة تجارية مكية يرافقها أربعة أشخاص بقيادة عمرو بن الحضرمي، في نخلة، نتج عنها مقتل قائد القافلة وأسر اثنين وفرار الرابع[٢].

والواقع أن النبي محمد ﷺ أرسل عبد الله بن جحش ليترصد القوافل التجارية ولم يطلب منه مهاجمتها، لأن خروجه كان في شهر رجب وهو أحد الأشهر الحرم، لكن ابن جحش اجتهد في تقدير الموقف، فهاجم القافلة، وعاد إلىٰ المدينة، فرفض النبي توزيع الغنيمة، ولم يقب نصيبه من الخمس، حتىٰ نزلت آية قرآنية برَّرت تصرُّف ابن جحش وأباحت مثل هذا العمل بعد تعدي أهل مكة علىٰ المسلمين[٣].

غزوة بدر

وقعت الغزوات والسرايا الأولىٰ تحت سمع وبصر القريشيين الذين وجدوا أنفسهم عاجزين عن وضع حدٍ لها، إنما استغلوا حادثة سرية نخلة

---

(١) ابن هشام: ج٣ ص١٨-٢٥.

(٢) ابن هشام: ج٣ ص٢٢-٢٥. ونخلة مكان بين المدينة ومكة.

(٣) أنظر الآية: ٢١٧ من سورة البقرة.

التي وقعت في الشهر الحرام لإثارة العرب ضد المسلمين، ومهاجمة المناطق المجاورة للمدينة، وهي الشرارة التي أشعلت الحرب بين المسلمين وقريش.

بدأ أهل مكة يشدِّدون حراستهم علىٰ قوافلهم التجارية، وعلم النبي، خلال العام الثاني من الهجرة، بقدوم قافلة كبيرة لقريش من الشام في طريقها إلىٰ مكة بقيادة أَبي سفيان بن حرب، فقرَّر أن يضع يده عليها، وانتدب أصحابه لذلك، واستطاع أن يجنِّد ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا، كانوا علىٰ درجة من الفقر بحيث لهم يتمكَّنوا من توفير أكثر من سبعين بعيرًا وجوادين لاستخدامهم في الحملة، خرج بهم من المدينة لثمان ليال مضت من شهر رمضان[1].

ويبدو أن أبا سفيان علم مبكرًا بخروج المسلمين، فتصرَّف علىٰ محورين:

الأول: أرسل إلىٰ مكة يستنفر أهلها ويطلب النجدة.

الثاني: غيَّر طريقه.

استجابت قريش لنداء أبي سفيان، فأرسلت قوة عسكرية تضم تسعمائة وخمسين مقاتلًا بقيادة أبي جهل. وتدل أهمية هذه القوة علىٰ أن أبا جهل أراد إلقاء الرعب في قلوب المسلمين ومنعهم من مهاجمة القوافل التجارية القريشية في المستقبل.

والتقىٰ الطرفان عند وادي بدر الذي يقع علىٰ مسافة عشرين ميلًا جنوبي المدينة في (السابع عشر من شهر رمضان عام **٢**هـ/ شهر آذار عام **٦٢٤**م)، أسفر عن انتصار واضح للمسلمين، وخسرت قريش سبعين قتيلًا

---

(١) ابن هشام: جـ**٣** ص**٣٢**.

بينهم أبي جهل بالإضافة إلىٰ سبعين أسيرًا[١].

شكَّلٍ هذا الانتصار حجر الزاوية في التاريخ المبكر للإسلام. فقد كان أول اصطدام جدِّي مسلَّح بين المسلمين وقريش انتصر فيه المسلمون انتصارًا واضحًا علىٰ الرغم من قلَّة عددهم وعتادهم. وعاد المسلمون إلىٰ المدينة ومعهم الأسرىٰ والغنائم. وقَتَل النبي من هؤلاء الأسرىٰ من كان شديد الأذىٰ والاضطهاد للمسلمين في مكة، في حين أطلق سراح الباقي لقاء الفدية. ونجا أبو سفيان، وعاد إلىٰ مكة لينذِر المسلمين بالانتقام[٢].

ذيول غزوة بدر

- أدرك النبي محمد ﷺ أنه كُتب عليه القتال الشامل ضد قريش، لذلك كرَّس معظم وقته لتقوية المسلمين.

- تأثَّرت قريش كثيرًا بفقدان معظم أشرافها. وتسلم أَبو سفيان زمام الأمور في مكة، فاتخذ قرارًا أوليًا بمنع الحداد مدة من الزمن كي لا يتمتع المسلمون بثمرات النصر، كما نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابه حتىٰ يغزو المسلمين[٣].

- حقق انتصار المسلمين الغاية الاقتصادية، وهي فرض حصار اقتصادي علىٰ العدو وإرباكه وإيقاع الاضطراب في صفوفه، بدليل إقدام قريش علىٰ تغيير طريق تجارتها إلىٰ الشام، فلم تعد تخاطر بسلوك طريق الشمال، واتخذت طريقًا جديدة تمر عبر مضارب بني سُليم، فأنذر النبي هؤلاء بعدم مساعدة قريش، فرفضوا ذلك معتمدين علىٰ هيبتهم وسمعتهم

(١) ابن هشام: ج٣ ص٣٣-٤٣.
(٢) المصدر نفسه: ص٥٦-٦١.
(٣) المصدر نفسه: ص١٣٦.

الحربية غير مبالين بتنامي قوة المسلمين، فاضطر النبي إلىٰ غزو مضاربهم، كما غزا قبيلة غطفان[١].

- استفاقت قريش بعد عدة أسابيع، من صدمتها، فقاد أبو سفيان قوة عسكرية من مائتي مقاتل توجَّه بها إلىٰ المدينة ليعيد الثقة إلىٰ القريشيين وليبرَّ بقسمه، فوصل إلىٰ ضواحيها، واستضافة سيد بني النضير، وأمدَّه بمعلومات وافية عن أوضاعها[٢].

ويبدو أنه توصَّل خلال ذلك إلىٰ عقد محالفة مع يهود بني قينقاع بفعل المصالح المشتركة، فنقض هؤلاء ما بينهم وبين المسلمين من كتاب الموادعة. والجدير بالذكر أن هؤلاء اليهود انزعجوا من انتصار المسلمين في الوقت الذي لم يكن بوسعهم مواجهتهم عسكريًا، لذلك أخذوا يدسُّون عليهم، ثم تحدَّوا النبي الذي صبر عليهم ولكن إلىٰ حين.

والواقع أن النبي محمد ﷺ حرص علىٰ ألا يتعرَّض لليهود حتىٰ لا يثير حفظيتهم فيتحرَّج موقفه، إلا أنه لم يستطع أن يقف مكتوف اليدين تجاه تصرفاتهم العدائية ونقضهم مضمون الوثيقة، وقد توتر الجو السياسي بين الطرفين حتىٰ وصل إلىٰ درجة الصدام، وقد أشعله مضايقة اليهود لامرأة مسلمة في سوق بني قينقاع، وقتلهم رجلًا مسلمًا، فجمع النبي أتباعه وألقىٰ الحصار علىٰ حي بني قينقاع مدة خمسة عشر يومًا حتىٰ استسلموا، فأخرجهم النبي من المدينة، فاستقروا في خيبر، وكان عددهم سبعمائة[٣].

---

(١) المصدر نفسه: ص١٣٥-١٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٣ ص١٣٦.

(٣) ابن هشام: ص١٣٧-١٣٨.

غزوة أُحُد

تمدنا المصادر بمعلومات مستفيضة، حول معركة أُحُد، وهي الموقعة الحربية التي جرت عند جبل أُحُد في (منتصف شهر شوال عام ٣هـ/ شهر نيسان عام ٦٢٥م)، وتُجمع علىٰ أنها نتيجة للهزيمة التي لحقت بقريش في معركة بدر.

فقد قاد أبو سفيان ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والأحابيش وعرب كنانة وتهامة، وخرج بهم يريد المدينة مصطحبًا معه الظعن لإثارة حماس المقاتلين، ومنعهم من القرار؛ حتىٰ بلغ أُحُد، وهو أقرب مكان من المدينة، وخيَّم في الوادي الواسع بعينين مقابل المدينة، وأعدَّ خطة عسكرية محكمة للقضاء علىٰ قوة المسلمين النامية مستعملًا كل الأساليب الممكنة، فكان علىٰ اتصال سري مع خصوم النبي في المدينة، كما لجأ إلىٰ الشعر للتحريض علىٰ القتال[١].

وتلقَّىٰ النبي رسالة من عمِّه العباس في مكة يعلمه فيها بخروج قريش، فعقد علىٰ الفور اجتماعًا مع أصحابه للتشاور، وانقسم المجتمعون إلىٰ فريقين، فريق رأي الخروج من المدينة للقاء العدو، وهم الشباب المتحمِّس للقتال، ومن لم يشهد بدرًا، وقد شكَّلوا الأكثرية العددية، وفريق آثر البقاء في المدينة للاستفادة من تحصيناتها ومناعتها، ومن مساعدة النساء والأطفال فيها، وهم كبار الصحابة، وكان هذا هو رأي النبي، ورأي عبد الله بن أُبي بن سلول[٢] كبير المنافقين وأحد زعماء المدينة المشهورين.

(١) المصدر نفسه: ج٣ ص١٤٨.
(٢) ابن هشام: ج٣ ص١٤٨-١٤٩.

ونزل النبي علىٰ رأي الأكثرية، فلبس لأمته، وحثَّ المسلمين علىٰ الصبر والثبات. وعسكر المسلمون البالغ عددهم سبعمائة مقاتل، بعد أن انسحب عبد الله بن أُبي بن سلول مع أتباعه البالغ عددهم ثلاثمائة مقاتل، وفق خطة محكمة لإضعاف قوة المسلمين؛ في أقصىٰ الوادي محتمين بجبل أُحُد(١). وبهذا العمل التكتيكي يكون النبي قد فصل جيشه عن المدينة التي باتت معزولة.

كانت خيالة قريش تشكِّل مصدر قلق له، فاحتاط لهذا الأمر ووضع خمسين رجلًا علىٰ نقاط مختلفة من الجبل وأمرهم بأن يمنعوا فرسان قريش من الالتفاف علىٰ المسلمين، وألا يغادروا أماكنهم مهما تكن نتيجة المعركة(٢).

وتعبَّأ الفريقان للقتال، وجرت بينهما معركة قاسية، وكاد انتصار المسلمين أن يكون محققًا لولا أن تغيَّر وجه المعركة فجأة. فقد ترك معظم أفراد القوة الإسلامية المتمركزين علىٰ الجبل أماكنهم، ليشاركوا في جمع الغنائم، مخالفين بذلك أوامر النبي، فاستغل خالد بن الوليد قائد ميمنة قريش هذا التصرُّف اللامسؤول، وقاد فرسانه في حركة التفاف علىٰ مؤخرة المسلمين وهم عاكفون علىٰ التقاط الغنائم. اضطرب هؤلاء لهذه المفاجأة، واختل نظامهم، بينما كرَّت قريش عليهم، وخاضت المعركة في ظروف مغايرة، ووجد المسلمون أنفسهم وقد وقعوا تحت ضربات السيوف القريشية. وقُتل حمزة عم النبي علىٰ يد وحشي، كما قُتل مصعب بن عمير، حامل اللواء، وأُصيب النبي نفسه.

---

(١) المصدر نفسه: ص١٥٠.

(٢) المصدر نفسه.

ويبدو أن قريشًا اكتفت من الحرب بتلك النتيجة، علىٰ الرغم من أن انتصارها لم يكن تامًا. وترك أبو سفيان أرض المعركة دون أن يستثمر انتصاره. وقد أمر النبي بجمع قتلىٰ المسلمين البالغ عددهم سبعين قتيلًا، فصلّىٰ عليهم ودفنهم ثم عاد إلىٰ المدينة[١].

والواقع أن الخسارة لم تنل من قوة المسلمين، وكان للنبي دور كبير في رفع معنويات رجاله، وهي اختبار لمعرفة مدة تمسُّكهم بدينهم، وصلابتهم. وكانت معركة أُحُد موضوع الآيات القرآنية من سورة آل عمران من **١٢١** إلىٰ **١٨٠**، وقد نزلت بعد المعركة، وتشكل مادة تنبيه وتنوير وتوجيه في جو كتيم، تعطي المسلمين، علىٰ مر العصور، العبرة والتربية للنفس علىٰ ضوء ما كشفته من أخطاء في التصرف، واضطراب في الموقف، وكانت فرصة للارتفاع فوق مستوىٰ الأحداث.

ذيول غزوة أُحُد

- أدرك أبو سفيان وسائر الزعماء القريشيين، قبل وصولهم إلىٰ مكة، أنهم في وضع حرج، فقد بذلوا جهدًا كبيرًا ولم يفوزوا بشيء، وأن الكارثة بانتظارهم، إلا إذا استطاعوا القيام بعمل أفضل. وكانت الإمكانية الوحيدة في نظرهم هي في إعداد جيش أقوىٰ يجابهون به قوة المسلمين، ولا يتيسر ذلك إلاَّ بالحصول علىٰ مساعدة بعض القبائل الكبرىٰ الضاربة حول المدينة، لذلك كرَّسوا جهودهم بعد أُحُد من أجل هذه الغاية.

- استخفَّت بعض القبائل بقوة المسلمين بعد أُحُد، فتجرَّأت بالاعتداء عليهم. من ذلك ما فعلت عضل والقارة، في يوم الرجيع، من الغدر

(١) انظر تفاصيل اللقاء العسكري بين الفريقين عند ابن هشام: جـ**٣** ص١٥٠-١٥٨.

بالمسلمين[١]، وبنو سُليم في يوم بئر معونة، من قتال المسلمين[٢]. وتمثل أحداث الرجيع الظروف التي كان يعيشها النبي، وتُعدُّ حادثة بئر معونة مثالًا علىٰ الصعوبات التي كان يواجهها باستمرار. أما سياسته فقد تركَّزت علىٰ استباق كل حركة معادية له.

- بلغ الاستخفاف بالمسلمين أن أقدم بنو النضير علىٰ تدبير مؤامرة للتخلُّص من النبي محمد ﷺ، فأنذرهم بالجلاء عن المدينة، ولما رفضوا حاصرهم ست ليال، وفي رواية خمسة عشر يومًا، أعلنوا بعدها أنهم علىٰ استعداد للخضوع لشروطه، فعرض عليهم التخلِّي عن أسلحتهم ومغادرة المدينة، فخرجوا إلىٰ خيبر، وسار بعضهم إلىٰ الشام[٣].

غزوة الخندق (الأحزاب)

لم يكن طرد بني النضير نهاية الصِّدام بين المسلمين واليهود، فقد استمر هؤلاء في التآمر من خيبر، ونسَّقوا مع قريش، وقاموا بدور كبير في إنشاء الحلف الذي حاصر المدينة في (هِر شوال عام ٥هـ/ شهر آذار عام ٦٢٧م)، واستمالوا غطفان[٤].

وتهيأت الأحزاب للخروج إلىٰ المدينة بقيادة أبي سفيان، وقد بلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل، وجمعتهم مصلحة مشتركة، هي القضاء علىٰ قوة محمد النامية وتشتيت أتباعه، وعسكروا خارجها، بانتظار خروج المسلمين للاصطدام بهم[٥]. لكن النبي أتَّبع هذه المرة خطة عسكرية مختلفة بعدما

---

(١) انظر تفاصيل يوم الرجيع عند ابن هشام: جـ٣ ص٢٢٤-٢٣٠.
(٢) انظر تفاصيل يوم بئر معونة، المصدر نفسه: ص٢٣٠-٢٣٣.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٤٠-٢٤٢. وقارن بابن كثير: البداية والنهاية جـ٤ ص٧٥.
(٤) الطبري: جـ٢ ص٥٦٤.
(٥) ابن هشام جـ٣ ص٢٥٩. الطبري: المصدر نفسه: ص٥٧٠.

أدرك أنه لا يستطيع تجنيد أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، وبالتالي فإن التورط في صدام مسلَّح معهم قد يعيد مأساة أُحُد، فقرر اتخاذ موقف دفاعي داخل المدينة، وحفر خندقًا في منطقتها الشمالية، وفي الأماكن التي يمكن أن تتعرَّض منها لهجوم الخيالة. وتذكر الروايات التاريخية بأن سلمان الفارسي هو الذي أشار علىٰ النبي بهذا العمل الذي لم تكن العرب تعرفه[١]. والجدير بالذكر أن الأماكن الأخرىٰ كانت محصَّنة بالجبال والنخيل والبيوت.

وحاصرت القوَّات المتحالفة المدينة قرابة أربعين يومًا دون أن تنال منها، فمال أبو سفيان إلىٰ استمالة يهود بني قريظة للسماح لقوَّاته بدخول المدينة عبر حيِّهم، وجرىٰ اتفاق بين الطرفين حدَّد دور كل منهما[٢]، وبذلك يكون يهود بني قريظة قد نقضوا وثيقة العهد مع المسلمين.

اشتد خوف المسلمين عندما علموا بهذا الاتفاق، فحاول النبي التخفيف من وطأة ذلك عليهم، فأجرىٰ مباحثات مع غطفان للانسحاب من الحلف مقابل منحها ثلث غلة المدينة، لكن كلًا من سعد بن عبادة سيد الخزرج، وسعد بن معاد سيد الأوس، رفضا هذه الخطة، وصمَّما علىٰ المقاومة[٣].

وقام، خلال ذلك نعيم بن مسعود الأشجعي الذي أسلم حديثًا وكتم إسلامه عن قومه بدور كبير في إفشال اتفاق الأحزاب مع بني قريظة. وفي الوقت نفسه، تعرَّض جيش الأحزاب إلىٰ عوامل طبيعية قاسية مثل حدوث

(١) الطبري: المصدر نفسه ص٥٦٦، ٥٧٠.
(٢) المصدر نفسه: ص٥٧٠-٥٧١.
(٣) ابن هشام: جـ٣ ص٢٦٢.

رياح شديدة، وتساقط أمطار غزيرة؛ مما فتَّ في عضدهم، وقضىٰ علىٰ معنوياتهم، فغادروا المكان متفرقين[١].

ذيول غزوة الخندق

- فشلت قريش في القضاء علىٰ النبي والمسلمين، وأضحىٰ مستقبلها مهددًا علىٰ الرغم مما بذلت من جهود، بينما قوي نفوذ النبي ﷺ في المدينة.

- تابع النبي سياسة تنفيذ الغزوات والغارات علىٰ قوافل قريش التجارية طيلة السنة الخامسة للهجرة، واتسعت شمالًا حتىٰ وصلت إلىٰ الحدود البيزنطية، واستطاع من خلالها أن يُغلق طريق القوافل التجارية من مكة باتجاه الشمال، كما استخدم محالفاته مع القبائل الضارية في الشمال لتقوية الحصار الذي فرضه علىٰ تجارة مكة.

- توقفت تجارة مكة مع بلاد الشام، وفقدت قريش الكثير من مكانتها، فلم يعد زعماؤها أو من بقي منهم يأملون بالاحتفاظ بثرواتهم ومكانتهم.

- بعدما فرغ النبي محمد ﷺ من أمر الأحزاب، استدار نحو بني قريظة، لمعاقبتهم علىٰ تآمرهم وعلىٰ ما اقترفوه في حقِّ المسلمين، فحاصرهم مدة خمسة وعشرين يومًا اضطروا بعدها إلىٰ استسلام، ونزلوا علىٰ حكم حليفهم السابق سعد بن معاذ، فحكم بقتل الرِّجال وتقسيم الأموال وسبي الذراري والنساء، ورضي النبي بهذا الحكم وأمر بتنفيذه[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٦٦.

(٢) ابن هشام: ج٣ ص٢٦٧-٢٧٦.

غزوات المرحلة بعد حصار المدينة

تقوم أهمية هذه المرحلة الزمنية الممتدة بين نهاية حصار المدينة، وصلح الحديبية، علىٰ ظهور اتجاهات جديدة في سياسة النبي محمد ﷺ، وكان قد كرَّس جهده، من قبل للنضال ضد مكَّة بهدف القضاء علىٰ نفوذ المكيين ولكن يبدو بوضوح بعد انتهار حصار المدينة أن أهدافه كانت أوسع وأجدر برجل دولة. كان الجانب الديني من الأحداث رئيسًا بالنسبة إليه، مدركًا في الوقت نفسه الجوانب السياسية القاضية بدعوة العرب جميعًا إلىٰ الإسلام.

والواقع أن جزءًا من الحوادث التي وقعت في غضون ذلك جاءت نتيجة لفشل قريش في الحصار والنيل من المدينة. حديث أولًا عقاب بني قريظة كما أشرنا، كما هاجم المسلمون مضارب غطفان، وأرسل النبي عدة حملات صغيرة ضد قبائل أخرىٰ متحالفة مع قريش، لا سيما أسد وثعلبة وبني بكر وبني كلاب وبني لحيان، بهدف إنذارها بألاَّ تحاول مهاجمة المدينة من جهة أو تُجدِّد التحالف مع مكة من جهة أخرىٰ.

صلح الحديبية

بلغ النبي محمد ﷺ أن تحالفًا عسكريًا عُقد بين قريش في الجنوب ويهود خيبر في الشمال، بهدف جعل الدولة الإسلامية الناشئة بين فكي الكماشة، والإطباق عليها عندما تسمح الظروف بذلك. ولما لم يكن بمقدوره آنذاك إفشال هذا التحالف عسكريًا، فكَّر بإفشاله سياسيًا عن طريق التفاهم مع أقرب العدوين إليه ألا وهو قريش. فأعلن في أواخر السنة السادسة للهجرة أنه يريد العمرة، فخرج معتمرًا قاصدًا مكة وساق معه

الهدي. ويبدو أن القريشيين لم يقتنعوا بنيَّاته السلمية، وتجهزوا للحرب. وعسكر النبي في الحديبية الواقعة علىٰ حدود المنطقة الحرام إلىٰ مكة، علىٰ بُعد مسيرة يوم إلىٰ الغرب منها. وجربت مفاوضات بين الطرفين، عرض النبي خلالها عدم التعرض لقوافلهم التجارية إذا رضوا أن يؤدي شعائر العمرة. وافق القريشيون علىٰ هذا العرض، واشترطوا مضي عام من السلم قبل تنفيذه. وافق النبي من جهته علىٰ هذا الشرط، وتمَّ عقد الاتفاق علىٰ الأُسس التالية:

- تضع الحرب أوزارها بين الفريقين مدة عشر سنوات.
- يعود المسلمون من مكة هذا العام دون أداء العمرة علىٰ أن يدخلوها في العام التالي.
- يردُّ النبي من يأتيه من قريش مسلمًا بدون إذن وليِّه.
- لا تلزم قريش بردِّ من يأتي إليها من المسلمين.
- للقبائل حرية الدخول في عهد الطرف الذي تختاره[١].

دُهش بعض أصحاب رسول الله ﷺ لقبوله الصلح علىٰ هذا الشكل وأصيبوا بخيبة الأمل، منهم عمر بن الخطاب، إلا أن النبي عالج هذه المشكلة بحكمة وسدادة رأي، فأجاب عمر قائلًا: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني)[٢].

والواقع أن هذا الصلح كان لصالح المسلمين، فهو يدل علىٰ ضعف قريش وتراجع قوتها، كما أنَّه اعتراف صريح منها بالمساواة بينها وبين المسلمين، وهذا تنازل مهم يسمح للقبائل بفسخ تحالفها مع مكة والانضمام

(١) ابن هشام: ج٤ ص٢٤-٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٤ ص٢٨.

إلىٰ صفوف المسلمين، كما فعلت خزاعة. والنبي من جهته كان مستعدًا لعقد الصلح مع قريش إذا تركت له حرية دعوة القبائل.

كانت المعاهدة، بشكل عام، تخدم سياسة النبي البعيدة المدىٰ، وقد عدَّ بعض المؤرخين هذا الصلح فتحًا عظيمًا للإسلام[1].

كُتب النبي إلىٰ الملوك والأمراء

أتاح صلح الحديبية للنبي حرية التحرك. ولما كانت الدعوة الإسلامية عامة، فإنه كَتَبَ إلىٰ الملوك والأمراء المجاورين يدعوهم إلىٰ الدخول في الإسلام، وهم هرقل إمبراطور الروم، والحارث بن أبي شمر الغساني، والنجاشي ملك الحبشة، وكسرىٰ فارس، والمقوقس في مصر، وهوذة الحنفي أمير اليمامة، والمنذر صاحب البحرين، وجيفر وعيّاد ابنا الجلندي وهما من الأزد، ملكا عُمان.

تفاوتت ردود هؤلاء، فمنهم من أحسن الرد كالنجاشي والمقوقس، ومنهم من أساء الرد كملك غسان وكسرىٰ فارس[2].

غزوة خيبر

نتيجة لما آل إليه وضع يهود المدينة بخاصة، وإخفاق يهود الجزيرة العربية بعامة، من النيل من النبي محمد ﷺ ودعوته؛ برز يهود خيبر تدفعهم رغبة الثأر بتحريض من زعماء بني النضير، وقرَّروا الإغارة علىٰ المدينة. كان هذا سببًا كافيًا حمل النبي محمد ﷺ علىٰ مهاجمة خيبر الواقعة إلىٰ الشمال الشرقي من المدينة علىٰ بُعد ما يقرب من ستة أيام منها، فخرج

---

(١) الطبري: جـ٢ ص٦٣٨.

(٢) ابن هشام: جـ٤ ص٢٣٢-٢٣٣.

بسرعة وسرية تامة، فوصل إليها في (شهر محرم عام ٧هـ/ شهر أيار عام ٦٢٨م) دون أن يشعر اليهود بذلك، وقد فوجئوا بوجود المسلمين وهم يحاصرونهم.

كانت خيبر تحتوي علىٰ عدة حصون أقيم كثير منها علىٰ رؤوس الجبال، وقد هاجمها المسلمون حصنًا حصنًا حتىٰ فتحوها في ظل مقاومة عنيفة من أهلها، ثم اتفق النبي معهم علىٰ البقاء في أراضيهم وزراعتها شرط أن يعطوا نصف المحصول إلىٰ المسلمين[١].

غزوة مؤتة

اهتمَّ النبي محمد ﷺ اهتمامًا كبيرًا بطريق الشمال التجارية وبخاصة منذ احتكاكه بقريش، وذلك لمضايقة تجارتها والانفتاح علىٰ القبائل الضاربة علىٰ هذه الطريق، لموقعها الجغرافي المهم في سياسته من جهة، وهدفه في توحيد العرب ثم التوسُّع شمالًا خارج الجزيرة العربية من جهة أخرىٰ.

وتدل سرية مؤتة علىٰ هذا التوجه. أما السبب المباشر لهذه الغزوة فهو إقدام شرحبيل بن عمرو الغساني علىٰ قتل رسول النبي الذي حمل كتابه إلىٰ الغساسنة، فجهز النبي سرية من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة، توجهت نحو الشمال (شهر جمادي الأولىٰ عام ٨هـ/ شهر أيلول عام ٦٢٩م) والتقىٰ أفرادها بجيش بيزنطي يضم عددًا من القبائل العربية، عند قرية مؤتة، وهي إحدىٰ قرىٰ البلقاء.

لم توفق الحملة في مهمتها، وهُزمت أمام الجيش البيزنطي الذي يفوقها في العدد. وقد عاد خالد بن الوليد بالحملة إلىٰ المدينة بعد مقتل

(١) ابن هشام: المصدر نفسه ص٣٩-٤٤.

ثلاثة من قادتها هم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة[١]، وعلىٰ الرغم من ذلك فإن الهزيمة لم تؤثِّر في كيان المسلمين، فقد كانت الدعوة الإسلامية آخذة في الانتشار، ووفدت القبائل علىٰ المدينة تعلن دخولها في الإسلام[٢].

فتح مكة

شعر المكيون بعد صلح الحديبية أن مدينتهم آخذة في الزوال، وقد انقسموا إلىٰ فريقين من حيث وضوح الرؤية السياسية: فريق يضم شيوخ مكة وأصحاب المصالح فيها، وقد أرادوا الاستمرار في النزاع مع المسلمين، وفريق يضم الشباب الذي أدرك أنه لا مستقبل له في مكة بعد تزايد قوة المسلمين وتراجع قوة المكيين.

وحديث في العام الثامن للهجرة أن أخلَّ القريشيون بشروط الصلح عندما ساعدوا حلفاءهم من بني بكر بالسلاح ضد بني خزاعة حلفاء النبي، ففجَّرت هذه القضية الصراع من جديد. فخرج النبي محمد ﷺ من المدينة في (شهر رمضان عام ٨هـ/ شهر كانون الثاني عام ٦٣٠م)، علىٰ رأي آلاف مقاتل متوجهًا إلىٰ مكة، وتمكَّن من دخولها سلمًا من أربعة محاور، باستثناء ما صادف فرقة خالد بن الوليد من المقاومة، التي سرعان ما قضىٰ عليها.

ولما دخل النبي مكة طاف بالبيت سبعًا وأمر بإزالة الأصنام، ثم خطب خطبته المشهورة معلنًا العفو العام باستثناء عدد من الأفراد نظرًا لجرائمهم الكبيرة، وأقام بها خمسة عشر يومًا، أو عشرين يومًا، رتَّب خلالها أمورها الإدارية لا سيما تحديد المنطقة الحرام، وألغىٰ كافة

---

(١) ابن هشام: جـ٤ ص٧٠-٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠٣-٢٢٠.

الامتيازات التي كانت تتمتع بها قريش[١].

غزوة حنين

استغلت هوازن ضعف سلطة قريش في مكة، فقررت ملء هذا الفراغ، وقد رأت في سيطرة المسلمين علىٰ مكة تهديدًا مباشرًا لها، فحشدت الجيوش وزحفت باتجاهها، وناصرها بنو ثقيف الذين راودهم الأمل في الاستقلال عن قريش. ومن جهته، خرج النبي من مكة علىٰ رأس عشرة آلاف مقاتل عندما سمع بهذا الزحف. والتقىٰ الطرفان في وادي حنين في معركة قاسية خلال (شهر شوال عام ٨هـ/ شهر شباط عام ٦٣٠م)، لاح النصر في بدايتها لهوازن، لكن النبي أعاد تنظيم صفوف قواته خلال إحدىٰ مراحل المعركة، ونجح في تأمين النصر النهائي. وتراجعت ثقيف إلىٰ الطائف للاحتماء بمدينتها[٢].

غزوة الطائف

توجه النبي بعد انتصاره في حنين إلىٰ الطائف وحاصرها مدة خمسة عشر يومًا، ثم فكَّ الحصار عنها لدخول الأشهر الحرم وهو عاقد العزم علىٰ العودة إليها. لكن حدث أن رأىٰ الثقفيون أنفسهم عاجزين عن التصدي للمسلمين أو الوقوف في وجههم، وبخاصة أن معظم قبائل الجزيرة العربية قد دخلت في الإسلام، فأرسلوا وفدًا إلىٰ النبي، عارضين عليه الدخول في الإسلام[٣].

---

(١) ابن هشام: ج٤ ص٨٤-٩٥.
(٢) المصدر نفسه: ص١٢١-١٣٨.
(٣) المصدر نفسه: ص١٤٨-١٥١.

غزوة تبوك

إنها محاولة للرد علىٰ الهزيمة التي لقيها المسلمون في مؤتة، ودعوة القبائل الضاربة في الشمال علىٰ الحدود البيزنطية، للدخول في الإسلام. وقد علم النبي بتجمع قوات من الروم علىٰ حدود فلسطين لقتال المسلمين، فجهز جيشًا سمي جيش العسرة، لأن التأهب والمسير كانا في وقت عسرة الناس وشدة الحر والجدب، فأنفق الموسرون ما يتجهز به الفقراء.

وخرج النبي من المدينة في (شهر رجب عام ٩هـ/ شهر تشرين الأول عام ٦٣٠م) علىٰ رأس الجيش حتىٰ وصل إلىٰ تبوك[١]، فأقام فيها أيامًا وصالحه أهلها، واستقبل فيها وفود بعض القبائل من أيلة وأذرح[٢] وجرباء[٣]، وأرسل خالد بن الوليد إلىٰ أكيدر صاحب دومة الجندل[٤]، فأسره وفتح قريته.

ويبدو أن الروم علموا بوصول المسلمين إلىٰ تبوك، فآثروا الانسحاب إلىٰ داخل الحدود مفضِّلين قتالهم قريبًا من قواعدهم، وبعيدًا عن الصحراء التي هي مجال العمل العسكري للعرب.

ولما وقف النبي علىٰ انسحابهم انصرف عائدًا إلىٰ المدينة مكتفيًا بفرض سلطانه الأسمىٰ علىٰ أمراء المناطق المجاورة، وهذه الغزوة هي آخر

---

(١) تبوك: موضع بين وادي القرىٰ والشام، الحموي: جـ٢ ص١٤.

(٢) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء. المصدر نفسه: جـ١ ص١٢٩.

(٣) جرباء: موضع من أعمال عمال بالبلقاء في أرض الشام قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، وهي قرية من أذرح. المصدر نفسه: جـ٢ ص١١٨.

(٤) دومة الجندل: هي علىٰ سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة. المصدر نفسه: ص٤٨٧.

غزواته التي خرج بها محاربًا[١].

الوفاة

خرج النبي محمد ﷺ في (السنة العاشرة للهجرة/ ٦٣١ للميلاد) إلىٰ مكة لأداء مناسك الحج علىٰ رأس أكثر من مائة ألف من المسلمين، وألقىٰ عند جبل عرفات خطبته المشهورة بخطبة الوداع التي تعدُّ دستور الإسلام، حدَّد فيها قواعد الإسلام وأُسسه ونظامه، ونادىٰ بالمساواة بين الناس، ثم عاد إلىٰ المدينة.

ولم يكد يمضي علىٰ حجة الوداع سوىٰ ثلاثة أشهر، حتىٰ مرض بالحمىٰ وتوفي (يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام ١١هـ/ ٧ حزيران عام ٦٣٢م) وهو في الثالثة والستين من العمر، بعد أن بلَّغ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة، ودُفن في بيته الذي توفي فيه في حجرة عائشة[٢].

ترك النبي محمد ﷺ عند وفاته أُمَّةٌ موحَّدة متماسكة بعدما كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام دينًا سهلًا واضحًا قويًا لا يزال باقيًا إلىٰ يومنا هذا، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة، واستطاع خلال جيل واحد أن ينتصر في العديد من المعارك، وأن ينشئ دولة مترامية الأطراف[٣].



---

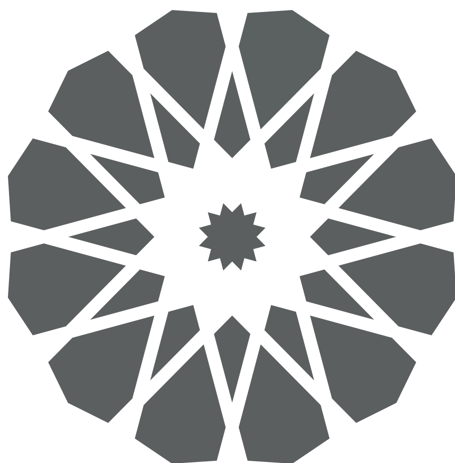
(١) ابن هشام: جـ٤ ص١٧٣-١٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٣٠-٢٣٢، ٢٤٦-٢٤٧، ٢٥٨-٢٥٩. وانظر تعليق السهيلي جـ٤ ص٢٧٠. الطبري: جـ٣ ص٢٠٠.

(٣) استفدنا السيرة من كتاب: «التاريخ الإسلامي الوجيز»، لمحمد سهيل طقوش.

الباب الثالث عشر

أهم الكبائر والمحرمات



أقسام الذنوب

ينقسم الذنب إلىٰ قسمين كبائر وصغائر، وذلك أن الذُّنوب والمعاصي تَختَلِفُ في وَقعِها في النَّفس وفي نتيجَتِها والأضرار المترتِّبة عليها، ومهما كان، فإنَّها تَشتَرِكُ في كونِها خطأ العَبدِ لِمقامِ ربِّه، وتصنيف الذّنوب إلىٰ صَغائِر، وكبائر، أخذًا بأدلة كثيرة، من أهمها قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ٣١]، إلاَّ أنَّ بَعضَها يَتَّصِفُ بالصِّغرِ نظرًا لما هو أكبَرُ منهُ، وتتفاوت بتفاوت مفاسدها، فالقَتلُ أكبَرُ من السِّحر، والشِّركُ أكبرُ من القتل . . .

والكبائر جمع كبيرة، وهي كل ذنب كثر أو عظم فساده وورد فيه وعيد أو حد من حدود الله. وهو مقتضىٰ تعريف كثير من العلماء، وهو شامل لما ورد فيه نص من لعن، أو وعيد بنار أو غضب الله ومقته وأنه لا ينظر لفاعله، أو تهديد، وشامل للكبائر المستجدة التي عَظُم فسادها. وهي كثيرة لا حصر لها، ولا زالت تستجد، ولا سيما في عصرنا هذا الذي شاخت فيه الأرض من المعاصي العظام، والآثام الجسام.



بيان أنواع الكبائر

١- **الشرك بالله**: وهو اتخاذ الند والشبيه لله من خلقه فيما يستحقه ﷻ. وصوره كثيرة جدًا لا تكاد تنحصر، فكل اعتقاد، أو قول، أو فعل؛ فيه إنكار لخصائص ربوبية الله تعالىٰ، أو يقدح في إفراد الله تعالىٰ بالعبادة، أو الاعتراض وعدم الرضا بتشريع الله تعالىٰ، أو فيه إلحاد في أسماء الله وصفاته، فهو شرك بالله. وهو أعظم الذنوب، ولا يغفره الله ﷻ، قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وهو ظلم عظيم، قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو أكبر الكبائر علىٰ الإطلاق فقد قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: ثلاثًا. الإشراك بالله . . .**» [ق]. ويحرم الله علىٰ صاحبه الجنة ويدخله النار، قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، ويحبط أعماله إن مات علىٰ الشرك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين. ومن سلم من الشرك سلمه اللَّه من النار وكان من أصحاب الجنة.

٢- **الذبح لغير الله**: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**» [م]، والكبيرة من ذلك هو الذَّبْحُ بِاسْمِ غَيْرِ اللَّهِ عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يَكْفُرُ بِهِ بِأَنْ لَمْ يَقْصِدْ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ كَنَحْوِ

التَّعْظِيمِ بِالْعِبَادَةِ وَالسُّجُودِ. كَمَن يذبح تَقَرُّبًا لِسُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ لِلْجِنِّ، أو لساحرٍ.

٣- قتل النفس المحرمة: وهو إزهاق روح بشرية معصومة الدم. وغير المعصوم هو الكافر الحربي والمرتد والزاني المحصن وقاتلُ المسلمِ عمدًا، أو الذميِّ المعصومِ عمدًا. والقتل من أكبر الكبائر، ويأتي في الترتيب بعد الشرك الأكبر من حيث الجرم. وأدلة تحريمه وجعله من الكبائر كثيرة جدًا، منها قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]، وقوله: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقوله: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» -أَيْ الْمُهْلِكَاتِ- قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**» [ق]، وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْكَبَائِرَ فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ**» [ق].

٤- الزنا: وهو وطء المرأة المحرم وطئها من غير عقد شرعي ولا شبهة، قَالَ **تعالى**: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وهو مَرَاتِبُ: فَالزنا بِأَجْنَبِيَّةٍ لَا زَوْجَ لَهَا عَظِيمٌ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ بِأَجْنَبِيَّةٍ لَهَا زَوْجٌ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ بِمَحْرَمٍ، وَزِنَا الثَّيِّبِ أَقْبَحُ مِنَ الْبِكْرِ بِدَلِيلِ اخْتِلَافِ حَدَّيْهِمَا، وَزِنَا الشَّيْخِ لِكَمَالِ عَقْلِهِ أَقْبَحُ مِنْ زِنَا الشَّابِّ، وَالْعَالِمِ لِكَمَالِهِ أَقْبَحُ مِنَ الْجَاهِلِ. والزنا في القبح يأتي بعد الشرك والقتل ولهذا قرنه الله بهما فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ

ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

٥- **السحر**: وهو أنواع كثيرة، وكلها تعود علىٰ استعانة الساحر بالشياطين سواء في التأثير أو التخييل أو الخداع، أو معرفة الغيب النسبي. قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَاتٌ ظَاهِرَةٌ عَلَىٰ قُبْحِ السِّحْرِ، وَأَنَّهُ إِمَّا كُفْرٌ أَوْ كَبِيرَةٌ، وذلك علىٰ قدر تماديه في السحر، وفي طاعة الشياطين؛ وفساده مستطير يعود علىٰ الدين والنفوس والعقول والأموال والأعراض بالفساد؛ ولهذا كان حده في الإسلام القتل.

٦- **القذف**: وهو الرمي بزنىٰ أو لواطٍ، أو شهادة بأحدهما ولم تكتمل البينة، أو نفي نسب موجب للحد فيهما. وهو من كبائر الذنوب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]. وهو من السبع الموبقات؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، وذكر منها: «**قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ**» [ق]. وحده ثمانون جلدة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

ويجب علىٰ القاذف -مع إقامة الحد عليه- عقوبة، وهي رد شهادته والحكم بفسقه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته. وتوبته: أن يكذب نفسه فيما قذف به غيره، ويندم ويستغفر ربه، لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥].

٧- **اللواط**: وهو إتيان الدبر من الذكور أو النساء؛ وقصة قوم لوط وما صنع الله بهم من تدمير خير عظة. قال ﷺ: «**لعَنَ اللهُ مَن عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط**» [صحيح-حم، يعلىٰ، حب]، وقال ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ ﷻ إِلَىٰ رَجُلٍ أَتَىٰ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا**» [حسن-ت، حب، بز]، وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**» [**حسن** - حم، ت، ن، جه]. وقال ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا**» [حسن: حم].

٨- **كفران النعمة**: والكفران النكران والجحود، ككفران نعمة الله ﷻ. وهو عدم اعتراف القلب بنعم الله والثناء عليه بها وصرفها في مرضاته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، حيث رتَّبَ اللهُ العذابَ الشديدَ علىٰ كفرانِ النعمةِ، ولا يكون إلا علىٰ كبيرة، وككفران نعمة الأخوة الإسلامية. قال ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» [ق]. وككفران نعمة الزوج، قال النبي ﷺ: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «**يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**» [ق].

٩- **الكبر**: وهو بطر الحق وجحده ونكره وغمد الناس بإنزالهم تحت منازلهم، ومنه استِعظامُ الإنسانِ نفْسَه، واستِحسانُ ما فيه مِنَ الفضائلِ وتكثره

به يحسب أنه علىٰ شيء، والاستِهانةُ بالنَّاسِ، واستِصغارُهم، والتَّرفُّعُ علىٰ مَن يَجِبُ التَّواضُعُ له. قَالَ اللَّهُ **تعالىٰ**: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أَيْ صَاغِرِينَ. وَالْآيَاتُ فِي ذَمِّ الْكِبْرِ كَثِيرَةٌ. وقَالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ**» [م]. وَقَالَ ﷺ «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَان يُسَاقُونَ إِلَىٰ سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّىٰ بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ**» [حسن - ت، ن].



من كبائر الذنوب في العبادات

١- **تَرْكُ الصلاة كِسلًا**: أي ترك الصلاة بالكلية تهاونًا لا جحودًا، وكذلك التهاون بأدائها في وقتها بحيث لَا يُصَلِّي الظُّهْرَ حَتَّىٰ تَأْتِيَ الْعَصْرُ وَلَا يُصَلِّي الْعَصْرَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ وَلَا يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِلَىٰ الْعِشَاءِ وَلَا يُصَلِّي الْعِشَاءَ إِلَىٰ الْفَجْرِ وَلَا يُصَلِّي الْفَجْرَ إِلَىٰ طُلُوعِ الشَّمْسِ، قَالَ تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مَرۡيَمَ: ٥٩-٦٠]. قَالَ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيم: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المُدَّثِّر: ٤٢-٤٣]. وقال ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ أَوْ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**» [م]، وأدلة أخرىٰ كثيرة، هذا فيمن تركها كسلًا، أما من تركها جحودًا فهو كافر مرتد. وهناك كبائر أخرىٰ لها صلة بالصلاة منها تَرْكُ وَاجِبٍ مِنْ وَاجِبَاتِ الصَّلَاةِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا أَوْ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا عِنْدَ مَنْ يَرَىٰ الْوُجُوبَ، والْمُرُورُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي، وإِطْبَاقُ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَلَىٰ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، وإِمَامَةُ الْإِنْسَانِ لِقَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَقَطْعُ الصَّفِّ وَعَدَمُ تَسْوِيَتِهِ. وَمُسَابَقَةُ الْإِمَامِ. ورَفْعُ الْبَصَرِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَالِالْتِفَاتُ فِي الصَّلَاةِ، وَالِاخْتِصَارُ، **وقال بعض العلماء بتكفير تارك الصلاة كسلًا**.

٢- **ترك الزكاة**: والمقصود تَرْكُهَا بالكلية تهاونًا، أَوْ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ وُجُوبِهَا لِغَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ قَالَ تعالىٰ: ﴿وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فُصِّلَتۡ: ٦-٧]، سَمَّاهُمْ الْمُشْرِكِينَ، وقد توعدهم بالعذاب، قَالَ

تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ**» [ق]، أَيْ وَيُوَسَّعُ جِسْمُهُ لَهَا كُلِّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ.

٣- **فطر يوم من رمضان بلا عذر**: ووجهه أنه ترك ركنًا من أركان الإسلام، وقد جاء الوعيد علىٰ من أفطر قبل المغرب فكيف بمن ترك ذلك بالكلية. قالَ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِضَبْعَيَّ، فَأَتِيَا بِي جَبَلًا وَعْرًا، فَقَالَا: اصْعَدْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أُطِيقُهُ، فَقَالَا: إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ، فَصَعِدْتُ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ فِي سَوَاءِ الْجَبَلِ إِذَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ، قُلْتُ: مَا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ؟ قَالُوا: هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِي، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهِمْ، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَمًا قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ**». [صحيح - مه، حب، ك، هق].

٤- **تَرْك الْحَجِّ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ إِلَىٰ الْمَوْتِ**: ووجهه أنه ترك ركنًا من أركان الإسلام، وفيه كبائر أخرىٰ تلحق به، منها الْجِمَاعُ فِي الْحَجِّ، وقَتْلُ الْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ صَيْدًا، وإحْرَامُ الزَّوجةِ بِتَطَوُّعِ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ الزَّوجِ وَإِنْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهَا، وَاسْتِحْلَالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَالْإِلْحَادُ فِي حَرَمِ مَكَّةَ، وإِخَافَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَإِرَادَتُهُمْ بِسُوءٍ، وَإِحْدَاثُ حَدَثٍ فِيهَا، وَإِيوَاءُ ذلك المحْدِثِ.

كبائرُ في الأخلاقِ والمعاملات

١- العجب: قال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**» [ق]. وقالَ ﷺ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» [صحيح - خد، حم، ك، هق، ش]. والعجب: هو استِعظامُ النِّعمةِ، والرُّكونُ إليها، مع نِسيانِ إضافتِها إلىٰ المنعِمِ. كالعجب بالعلم والعبادة والذكاء والجاه والصورة والنسب. ومما جاء في ذمه أيضًا: قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٧-٣٨]، وقالَ ﷺ: «**لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ الْعُجْبَ العُجْبَ**» [حسن لغيره - بز، طي، قض، هق ش].

٢- النفاق: وهو إظهار الخير، وإسرار الشرّ، **وهو نوعان**: النفاق الأكبر وهو اعتقاديٌّ، وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويُبطن ما يُناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذمِّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار، والنفاق الأصغر وهو عمليٌّ، وهو من الكبائر، ولا يُخرج من الملّة، وهو نفاق دون

النفاق الأكبر؛ ودليله قوله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» [ق]؛ وقوله ﷺ: «**آيَةُ المنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [ق]، ومجموع خصال الأصغر خمس خصال. وأهم الفروق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر: أن النفاق الأكبر يُخرج من الملّة، والأصغر لا يُخرج من الملّة. والنفاق الأكبر يُحبط جميع الأعمال؛ لأنه كفر. والأصغر كبيرة تغفر بالتوبة. والنفاق الأكبر اختلاف السرّ والعلانية في الاعتقاد، والأصغر اختلاف السرّ والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد. والنفاق الأكبر يُخلّد صاحبه في النار إذا مات عليه، والأصغر لا يُخلده. والنفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، أما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.

٣- **الحسد**: وهو بغض حلول النعمة بالمحسود أو تَمنّي زَوالِ نعمةِ المحسودِ إلىٰ الحاسدِ. وقد جاء الأمر بالاستعاذة من شر حاسد إذا حسد، قال الله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] إلىٰ قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: ٥]، وقال ﷺ: «**ولا تحاسدوا**» [ق].

وذكر النبي ﷺ من صفات أهل الجنة فقال: «**لاَ تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلا تَحَاسُدَ**» [خ]. والحاسد معترض علىٰ قضاء الله وقدره في خلقه، ومن ذلك حسد إبليس لآدم، وحَسدُ قابيلَ لأخيه هابيلَ، وحسدُ إخوةِ يوسفَ، وحسد أهل الكتاب لمحمد ﷺ.

٤- **الفرار من الزحف**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦]. وقوله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**» وَذَكَر مِنهنَّ

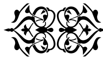
«**التَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ**» [ق]. وهذا العقوبة الشديدة المترتبة علىٰ الفرار عندَ القتال؛ لأنه يتسبب في مفاسد عظيمة تلحق بالكليات الخمس، بالإضافة إلىٰ الهزيمة، وسيطرة الباطل.

٥- **الخمر**: وهي كل ما غَطَّىٰ العقلَ وأَسْكرَه. وهي أم الخبائث، وتعادل الشرك، قَالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المَائِدَة: ٩٠]، وعن أنس بن مالك قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً: «**عَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ لَهُ وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَآكِلَ ثَمَنِهَا وَالْمُشْتَرِي لَهَا وَالْمُشْتَرَىٰ لَهُ**» [صحيح - جه، ت، بز، طب]، وقالَ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِم، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنُ الْخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِن نَّهْرِ الْغُوطَةِ. قِيلَ: وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ؟ قَالَ: نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ -أَيْ الزَّوَانِي- يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِمْ**» [صحيح - حم، يعلىٰ، حب، ك].

٦- **أكل السحت**: السحت: هو الحرام بأي وجه كان سواء أُكِل أم لم يُؤكل، وهو من الكبائر صغر أم كبر، قالَ ﷺ «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ**» [**صحيح** - مع، رز، حم، مي، ت، حب، طب، ك، هق ش]. وقَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٩]، ثم قال بعدها: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ [النِّسَاءِ: ٣٠]، ويدخل في هذه الآية كل مال حرام كالرِّبَا، وَالْقِمَار، وَالْغَصْبِ، وَالسَّرِقَة، وَالْخِيَانَةِ، وَشَهَادَة الزُّورِ، وَأَخْذ الْمَالِ بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، وأكل مال اليتيم، وقيمة كل ما حُرِّمَ بيعُه كالخمور، ومالِ النَّصْبِ، والاحتيال، والكهانة، والغش، والاحتكار، وَمَنِ اسْتَعَارَ شَيْئًا فَجَحَدَهُ، وَكمَالِ الرُّشْوَةِ، وَمُنْتَقِصِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَمَنْ بَاعَ شَيْئًا

فِيهِ عَيْبٌ فَغَطَّاهُ، ومالِ السَّاحِرِ وَالْمُنَجِّمِ وَالزَّانِيَةِ وَالنَّائِحَةِ، وَالدَّلَّالِ إِذَا أَخَذَ أُجْرَتَهُ بِغَيْرِ إِذْنِ الْبَائِعِ، وَثَمنِ تجارة البشر والأعضاء، وتجارة المخدرات.

٧- **القِمار**: وهو كل لعب فيه مراهنة مالية، يأخذ بمقتضاه الغالب من المغلوب القدر المتفق عليه. وهو لفظ مرادف للميسر، وحرمته شديدة كما قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: ٩٠-٩١]، وَسَبَبُ النَّهْيِ عَنْهُ وَتَعْظِيم أَمْرِهِ أَنَّهُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ الَّذِي نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النِّسَاء: ٢٩]، ثم قال بعدها: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ﴾ [النِّسَاء: ٣٠]، أَيْضًا هُوَ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [خ].



من كبائر الظلم: أكل أموال الناس

١- **أكل المال العام والتستر علىٰ آكله**: أي الأخذ من المال العام من غير استحقاق، وهو من الكبائر الشنيعة، التي رتب علىٰ فاعلها التحريق بالنار، وهو أعم من الغلول، أو يرادفه. وقد تساهل المسؤولون في هذه القضية الخطيرة. قالَ ﷺ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [خ]. وعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﵁: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ العَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. فَقَالَ لَهُ: «**أَفَلاَ قَعَدتَّ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُهْدَىٰ لَكَ أَمْ لاَ؟**» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ العَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ: هَلْ يُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لاَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ**» [ق]. وأما التستر عليه فقد أخرج أَبُو دَاوُد عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﵁ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ **كَتَمَ غَالًّا** -أَيْ سَتَرَ عَلَيْهِ- **فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**» [حسن - د، طب].

٢- **أكل مال اليتيم**: قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ظلمًا: أي بغير وجه

حق. وَليس الْمُرَادُ الأكل فقط بل سَائِرُ أَنْوَاعِ الْإِتْلَافِ، فَإِنَّ ضَرَرَ الْيَتِيم لَا يَخْتَلِفُ بِكَوْنِ إتْلَافِ مَالِهِ بِأَكْلٍ أَوْ غَيْرِهِ وَخَصَّ الْأَكْلَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ عَامَّةَ أَمْوَالِهِمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْأَنْعَامُ، وَهِيَ يُؤْكَلُ لَحْمُهَا وَيُشْرَبُ لَبَنُهَا، أَوْ لِكَوْنِهِ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ، وَالسَّعِيرُ الْجَمْرُ الْمُتَّقِدُ مِنْ سَعَّرْتُ النَّارَ أَوْقَدْتُهَا. **وقد سبق أنه من السبع الموبقات.**

٣- **الغلول والتستر عليه**: له معنىٰ خاص ومعنىٰ عام، فالخاص الأخذ من الغنيمة قبل القسمة، والعام: الأخذ من المال العام بغير وجه حق، وهو بهذا يرادف الأخذ من المال العام الكبيرة التي سبقت. قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١]. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ عَلَىٰ ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا. [خ]، وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قِيلَ لَهُ اسْتُشْهِدَ مَوْلَاكَ أَوْ غُلَامُك فُلَانٌ فَقَالَ: «**بَلْ يُجَرُّ إِلَىٰ النَّارِ فِي عَبَاءَةٍ غَلَّهَا**» [صحيح، حم]، وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تُوُفِّيَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ**»، فَتَغَيَّرَتْ وجُوهُ الْقَوْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ**» فَفَتَحْنَا مَتَاعَهُ، فَوَجَدْنَا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ الْيَهُودِ لَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْن. [صحيح - ط، رز، شيبة، حم، د، ن، جه، حب، ك، هق]. وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ وَفُلَانٌ شَهِيدٌ حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ فَقَالُوا فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ ﷺ: «**كَلَّا إِنِّي رَأَيْته فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ غَلَّهَا**» [م]، والأدلة في ذلك كثيرة جدًا.



الغش من الكبائر

١- **الغش**: قالَ ﷺ: «**مَن غَشَّ فليسَ منِّي**» [م]. والغشّ نقيض النّصح، وهو مأخوذ من الغشش وهو المشرَبُ الكدِر. فالشيء المغشوش هو المكدّر الذي لا صفاء فيه ولا نقاء. والغشّ ما يُخلط من الرّديء بالجيّد. والغشّ في البيع: كتم ما لو علِمَه المبتاع لكرهه. والغش في العمل: عدم إتمامه وإتقانِه. والغش في المسؤولية: إخلال بالواجب، وتضييع للحق. والغش خيانة للأمة، وضياع للأمانة، وقلب للحقائق، ومكر وكذب وظلم واحتيال وخديعة . . . ؛ فالغش: كسب الحرام من وراء شهادة مزيفة، أو بضاعة مغشوشة أو عن طريق الكذب، أو كتمان عيب في السلعة، أو البخس في ثمنها، أو التطفيف في وزنها، أو خلط الجيد بالرديء، وغيرها من الطرق المحرمة والوسائل المغشوشة . . . فمن التجَّار من تجده يحلف الأيمان المغلَّظة في تجارته، وهو يعلم أنه كاذب! ومنهم من يَغشُّ في سلعته بخلطها بما يُفسد فائدتها! ومنهم من يغشُّ في تواريخ الإنتاج وتواريخ الصلاحية! ومنهم من يضع السلع الفاسدة بقاع الصندوق ثم يضع من فوقها السِّلع الصالحة المميزة في شكلِها وجمالها! ومنهم من يصنع العسل من السكر ويحلف علىٰ أنه عسل نحل! وغير ذلك كثير من أشكال الغش وألوانه . . . والغشّ للرّعيّة من قبل المسؤول عليهم: ويعمّ هذا كل من له مسؤولية علىٰ غيره، وتقلد أمرًا من أمور المسلمين؛ قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي**

مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ. قالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وأَحْسِبُ النَّبيَّ ﷺ قالَ: والرَّجُلُ في مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ» [ق]؛ فتعطيلُ مصالح الناس وتضييعُها والتلاعبُ بها من قِبَل مَن هو مكلف برعايتها والقيام بها غِشّ وخيانة، وقد حذرَ من ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» [ق]. وقال ﷺ: «**مَنْ وَلَّاهُ اللهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ، وَفَقْرِهِ**» [صحيح - د، طب، ك]. وغش الرعية للراعي: ويكون بمدحه بما ليس فيه؛ كأن يذكروا له إنجازاتٍ لم يعملها، أو بعدم نصحه إذا رأَوْا منه منكرًا، وغير ذلك.

٢٤- الظلم: قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفُرْقَان: ٢٧]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ٥٧] وقال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥١]، وقالَ ﷺ: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [ق]. وقالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] [ق]. قالَ ﷺ فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا**» [م].

وأدلة كثيرة جدًا تجعل الظلم من الكبائر. ويُحّدُّ الظلمُ بأنه وضْعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوضعِه المختَصِّ به؛ إمَّا بنُقصانٍ أو بزيادةٍ؛ وإمَّا بعُدولٍ عن وقتِه أو مَكانِه. وهو أنواع: ظلم الإنسان لربه ولنفسه ولغيره. ويتفاوت جرمه بتفاوت أنواعه الثلاثة، فأشده ظلم الإنسان لربه، ثم لغيره، ثم لنفسه. والظلم عام تندرج تحته كبائر كثيرة لا تكاد تنحصر.

الكبائر في المعاملات المالية

١- **جباية المكوس**: وهو ما يأخذه أعوان الظلمة من المال من الناس من دون وجه حق. وهي أيضًا ما تفرضه الدولة من الضرائب علىٰ المواطنين بدون مقابل، وفي بيت المال ما يكفي للقيام بالخدمات اللازمة. وقد أشار ﷺ إلىٰ عظم هذا الجرم حين قال: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**» [م]، وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ**» [حسن - حم، مي- د، مه، طب]، وكذلك يشمله عموم قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، ثم قال بعدها: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠]. وقد عمت هذه الجريمة عموم البلدان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- **أخذ الرشوة**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ**» [صحيح - لس، شيبة، رز، حم، د، ت، جه، حب، ك]، وقال: ﷺ: «**الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي النَّارِ**» [حسن - بز، طب]، والرشوة: هي ما تعطىٰ لمسؤول للتوصل إلىٰ إحقاق باطل أو إبطال حق.

٣- **إنكار المعلوم من الدين بالضرورة**: قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾

[الزمر: ٣٢]، وقال: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ [غافر: ٥]، والمقصود بالمعلوم من الدين بالضرورة كل ما ورد في الشرع صحيحًا صريحًا محكمًا مجمعًا عليه، ويعلمه العلماء والعامة من غير افتقار إلىٰ نظر واستدلال، ومن غير قبول للتشكيك. كوجوب الوضوء والغسل من الجنابة والتيمم وانتقاض الطهارة بنحو البول، وحصول الجنابة بنحو الجماع والحيض، ووجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها، ووجوب نحو الركوع والسجود فيها . . . إلخ.

والمسائل المعلومة بالضرورة، أنواع منها الظاهرة، فهذه يكفر جاحدها إلا أن يكون حديث عهد بإسلام، أو نشأ في ديار غير إسلامية. وغير الظاهرة، وإن كانت معلومة للعلماء، فمنكرها لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة عليها. فإنكار المعلوم بالضرورة ردة من العالم، وكبيرة من الجاهل.



كبائر تتعلق بالأسرة والوحي

١- شهادة الزُّور وَقبُولها: وهي الشهادة الكاذبة في صغير أو كبير. قال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ**» [ق]. وقال ﷺ: «**أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ -وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ- فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ**» [ق].

٢- عُقُوق الْوَالِدَيْن أوْ أحَدِهِمَا وَإن عَلا وَلَوْ مَعَ وجود أقرب مِنهُ: قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وقال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ . . . الحديث**» [ق]، وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ والمنان بما أعطىٰ**» [صحيح - ن، حب، بز، ك]، وأدلة كثيرة جدًا في هذه الكبيرة.

٣- نِسْيَانُ القرآن أوْ آيَةٍ مِنهُ: والمقصود ترك العمل بما فيه؛ قال ﷺ: «**أَمَّا الَّذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ القُرْآنَ، فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المكْتُوبَةِ**» [خ]. وقوله: (فيرفضه) يترك العمل به تهاونًا.

وهناك أحاديث واردة في نسيان حفظه شديدة لكنها ضعيفة من جهة الإسناد.

٤- **اليمين الغموس**: وهي اليمين الكاذبة التي تُهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف علىٰ الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وسميت هذه اليمين غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم. قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالًا وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» [ق]، فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٧٧]. ومن أدلة أنها كبيرة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ٩٤]، ولا تجعلوا من الأيمان التي تحلفونها خديعة لمن حلفتم لهم، فتهلكوا. وقال ﷺ: «**الكَبائِرُ؟ قالَ: الإشْراكُ باللَّهِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الوالِدَيْنِ. قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قالَ: اليَمِينُ الغَمُوسُ**» [خ].

٣٢- **هجران الأقارب والمسلم العدل بلا سبب شرعي**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١] أَيْ وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ بَلَىٰ، قَالَ فَذَاكَ لَكِ ثُمَّ قَالَ**

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣]. [ق]، وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**» [ق]، وأدلة كثيرة في الرحم، منها ما يُرتِّب الثوابَ العظيمَ علىٰ صلتها، ومنها ما يرتِّبُ الوعيدَ الشديدَ علىٰ القطع. وأما هجر المسلم العدل: فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَإِنَّهُمَا نَاكِبَانِ عَنْ الْحَقِّ**» [**صحيح** - لس، حم، خد، يعلي، حب، طب]. وقال ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**» [ق]، وقال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ**» [**صحيح** - حم، د، كن].



من أعظم الكبائر: القول على الله بغير علم

١- **القول علىٰ الله بغير علم**: وهو من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب، وقد جعله الله ﷻ عديل الشرك، وتوعد عليه بالعذاب الأليم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وقال جل من قائل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، ووجهُ أنه أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثمًا؛ لأنه يتضمن الكذب علىٰ الله، ونسبته إلىٰ ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول علىٰ الله بلا علم قَالَ تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]. والكذب علىٰ النبي ﷺ داخل في الكذب علىٰ الله وهو من أشد الكبائر، وصاحبه من أهل النار، قال ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**» [ق].

٢- الحكم بغير الحق: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٤] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٥] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المَائِدَة: ٤٧]. وقال ﷺ: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ**» [**صحيح** - د، ت، جه، حب، بز، طب، ك].



من كبائر الأخلاق: التفتيش عن عيوب الناس

١- الاشتغال بعيوب الناس عن عيوب النفس: هذا المرض الخطير تندرج تحته كبائر متعددة منها الاستطالة في أعراض الناس، والغيبة والنميمة والبهتان والقذف والتجسس ... إلخ. والأولىٰ بالمرء أن ينشغل بعيوب نفسه؛ فإن النفس مطبوعة بعيوب كثيرة؛ شأنك أن تجاهد نفسك؛ كي تتخلص منها.

٢- مَحَبَّةَ الظَّلَمَةِ أوْ الفسَقَةِ: قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا**» قَالَ: لاَ شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» [ق]. وقال ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» [ق]، وقال ﷺ: «**وَلَا يُحِبُّ الرَّجُلُ قَوْمًا إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ**» [**حسن** - طب، طي]. والإسلام جاء بعقيدة الولاء والبراء وهي وجوب محبة الله ورسوله ومن والاهما، ووجوب التبرؤ من الشيطان وأتباعه من الكفار والظلمة والفسقة.



من كبائر اللسان والرياء

١- **الكَلِمَةَ الَّتِي تَعْظمُ مَفسَدَتهَا وَينتَشِرُ ضَررُهَا**: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا فَيَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**» [ق]، وقال ﷺ: «**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَىٰ يَوْمِ القيامةِ**» [صحيح - شيبة، حم، ت، كن، جه، حب، طب، ك]، وقَالَ ﷺ: «**أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**» [ق].

٢- **الفخر بالأحساب والأنساب**: قال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]. وقَالَ ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**» [م]. وكل واحدة من هذه كبيرة، وقوله: «**لا يتركونهن**» أي كلَّ التركِ، إن تتركه طائفة يفعله آخرون. وقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ**» [حسن - حم، د، ت هق]، وقَالَ ﷺ: «**كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ**» [حسن، بز]، وتشديد الإسلام في هذه الكبيرة؛ لأنها قبيحة في غاية القبح، وينتج عنها

مفاسد أخرىٰ كالكبر والإعجاب بالنفس والخيلاء، وينتج عنها نعرات عصبية تؤدي إلىٰ اقتتال وثارات، وينتج عنها عقائد باطلة كما فعل اليهود والنصارىٰ عندما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، وكما يفعل الشيعة عندما يقولون نحن سادة وآل بيت رسول الله ومن ثم يأتون بطقوس منحرفة، تخالف دين الإسلام الذي جعل المعيارية في التفاضل التقوىٰ، وصاحبها هو الأكرم عند الله، أما الأنساب فهي في الدنيا فقط لبعض الأحكام المتعلقة بالإرث والنكاح وللتعارف والصلة ونحو ذلك، أما يوم القيامة فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه؛ ولهذا وجدنا قرابات الرسل ممن كفروا تولىٰ الله فضحهم في القرآن الكريم كابن نوح وزوجته ووالد إبراهيم وزوجة لوط وعم نبينا محمد، وبالمقابل أثنىٰ علىٰ زوجة فرعون والمؤمن من قرابته لما اتصفوا بالإيمان والتقوىٰ.

٣- الرِّيَاءُ: الرِّيَاءُ مَأْخُوذٌ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَالسُّمْعَةُ مِنَ السَّمَاعِ. وَحَدُّ الرِّيَاءِ الْمَذْمُوم إِرَادَةُ الْعَامِلِ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، كَأَنْ يَقْصِدَ اطِّلَاعَ النَّاسِ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ وَكَمَالِهِ حَتَّىٰ يَحْصُلَ لَهُ مِنْهُمْ نَحْوُ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ ثَنَاءٍ. وقد ثبت في السنة أن أول من تسعر بهم النار المراؤون شهيدٌ وجَوَادٌ وَعَالِمٌ. وقال ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**» [**حسن** - شيبة، حم، مه، طب، هق].

٤- التَّبَختُرُ فِي المشي: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ**

يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» [صحيح - حم، جه، ك]. وقَالَ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ، يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [م].



من الكبائر المهلكة: الكذب الضار والانتحار

١- **الْكَذِبُ الَّذِي فِيهِ حَدٌّ أَوْ ضَرَرٌ**: قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]، وقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبَرِّ وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ**» [صحيح، شيبة، حم، خد، جه، يعلىٰ، حب]، وقَالَ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**» [ق]. وَقَالَ ﷺ: «**أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**» [ق]. وَقَالَ ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» [ق].

٣- **الانتحار**: قَالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]، وقَالَ ﷺ: «**مَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّىٰ فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّىٰ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا**» [ق].

- ومع عظم هذا الذنب إلا أنه ليس كفرًا بالله.

٣- الاتجار بالبشر والأعضاء: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تعالىٰ**: (ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره خ فبيع أي إنسان حاليا هو كبيرة عظمى أو بيع أي عضو من أعضائه وذلك أن الله كرم بني آدم عموما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وأما بيعُ الرقيقِ فقدِ انتهىٰ بانتهاءِ هذه الظاهرة.



من كبائر الأخلاق والاعتداء على الممتلكات العامة

١- **الغضب بالباطل**: قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفَتْح: ٢٦]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**»؛ فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» [خ]. ووجه جعله من الكبائر؛ لأنَّه يُخرِجُ العقلَ والدِّينَ مِن سياستِهما، فلا يَبقىٰ للإنسانِ مع ذلك نظَرٌ ولا فِكرٌ ولا اختيارٌ، ومِن آثارِ هذا الغضبِ في الظَّاهِرِ: تَغيُّرُ اللَّونِ، وشِدَّةُ رِعدةِ الأطرافِ، وخروجُ الأفعالِ عنِ الانتظامِ، واضطرابُ الحركةِ والكلامِ، حتَّىٰ يَظهَرَ الزَّبَدُ علىٰ الأَشداقِ، وتَشتَدَّ حُمرةُ الأحداقِ، وتَنقلِبَ المناخِرُ، وتَستحيلَ الخِلقةُ، ولو يرَىٰ الغضبانُ في حالِ غضبِه صورةَ نفْسِهِ لسَكَن غضبُه؛ حياءً مِن قُبحِ صورتِه؛ لاستِحالةِ خِلقتِه، وقُبحُ باطنِه أَعظَمُ مِن قبحِ ظاهِرِه؛ فإنَّ الظَّاهرَ عُنوانُ الباطنِ، إذ قُبْحُ ذاك إنَّما نشأَ عن قُبحِ هذا، فتَغيُّرُ الظَّاهرِ ثمرةُ تَغيُّرِ الباطنِ. هذا أَثَرُه في الجسدِ. وأمَّا أثَرُه في اللِّسانِ: فانطلاقُه بالقبائحِ، كالشَّتمِ، والفُحشِ، وغيرِهما ممَّا يَستحِي منه ذَوُو العقولِ مُطْلقًا، وقائلُه عِندَ فُتورِ غضبِه، علىٰ أنَّه لا يَنتظِمُ كلامُه، بل يَتخبَّطُ نَظْمُه ويَضْطَربُ لفظُه. وأمَّا أثرُه في الأعضاءِ: فالضَّربُ فما فَوقَه إلىٰ القتلِ عند التَّمكُّنِ، فإنْ عَجَز عنِ التَّشفِّي رَجَع غضبُه عليه فمَزَّقَ ثَوبَه، وضَرَب نفْسَه وغيرَه، حتّىٰ الحيوانَ والجِمادَ بالكسرِ وغيرِه، وعَدَا عَدْوَ الوالِه السَّكرانِ، والمجنونِ الحَيرانِ، وربَّما سَقَط وعَجَز عنِ الحركةِ، واعتَراهُ مِثلُ الغَشيةِ؛ لشدَّةِ استيلاءِ الغضبِ عليه. وأمَّا أَثَرُه في

القلبِ: فالحقدُ علىٰ المغضوبِ عليه وحسَدُه، وإظهارُ الشَّماتةِ بمَساءتِه، والحُزنُ بسُرورِه، والعزمُ علىٰ إفشاءِ سِرِّه، وهَتكِ سِترِه، والاستِهزاءُ به، وغيرُ ذلك مِنَ القبائحِ.

٢- تغْيِيرُ مَنَار الأرْض: قَالَ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ**» [م]. وقَالَ ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضًا ظَالِمًا، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» [م]. وَقَالَ ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تخومَ الْأَرْضِ**» [**صحيح** - رز، حم، طب، حب، بز، يعلىٰ، ك، هق]. وَوَجْهُهُ أَنَّ فِيهِ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ أَوْ إِيذَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْإِيذَاءَ الشَّدِيدَ، أَوْ التَّسَبُّبَ إِلَىٰ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ. والمراد بتغيير منار الأرض تبديل عَلَامَات حُدُودِ الأراضي المملوكة لغيره، أو المشتركة بينه وبين غيره ظلمًا واقتطاعًا لمال الآخر بغير وجه حق.

٣- الغِيبَةُ والسُّكُوتُ عَلَيْهَا رضًا وَتقريرًا: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجُرَات: ١٢]. أَيْ لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي حَقِّ أَحَدٍ فِي غَيْبَتِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ، فكما أَنَّ الْأَخَ لَا يُمْكِنُهُ مَضْغُ لَحْمِ أَخِيهِ فَضْلًا عَنْ أَكْلِهِ فكذلك لا يجوز غيبتهم. وقَالَ ﷺ: «**لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَن هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**» [**صحيح** - حم، د، طب، هق ش]. وأما إنكارها فقد وردت فيه أدلة منها: قَالَ ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**» [صحيح - حم، ت، طي، هق ش]، وشر الغيبة القدحُ في العلماء والصالحين والدعاة إلىٰ الله، وأسوأ من ذلك أن تكون ديدنًا باسم الجرح والتعديل الذي انتهىٰ زمنه، حيث وُجد لحاجة حفظ السنة وقد دُوِّنَتْ، فكان من باب الضرورات التي تبيح المحظورات وتُقَدَّرُ بِقَدرها، وأما هؤلاء فقد زين لهم الشيطان سوء

أعمالهم، فجعلوا المحرمَ واجبًا علىٰ حد زعمهم، والمبْعِدَ عن الله قربةً؛ وأخذوا يجُزِّئون الأُمَّةَ وعلماءها ويشرحونها تشريحًا، ويشتتونها تشتيتًا، يقذفون بالبدعة مَن خالفهم، ويرمون بالفسق، باسم الجرح والتعديل.



من كبائر الاعتقاد والسلوك

١- **تصديق الكاهن والعراف**: قَالَ تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**» [م]، وقالَ ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**» [صحيح - د، ت، ن، جه، ك].

٢- **مَنْ سَنَّ سُنَّة سيِّئة**: قال تعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، وقَالَ ﷺ: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**» [م]، وقَالَ ﷺ: «**وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**» [م].

٣- **اللِّعَانُ كذبًا**: قال تعالىٰ في حق الزوج الكاذب: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [النور: ٧]، وقال في حق الزوجة الكاذبة: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩].

٤- **السرقة**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. وقَالَ ﷺ: «**لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**» [ق].
والسرقة: هي أخذُ مالِ الغير خفيةً ظلمًا من حرز مثله.

من المنكرات العظيمة:
البناء على القبور والسخط على القدر

١- **اتِّخَاذُ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، وَإِيقَادُ السُّرُجِ عَلَيْهَا، وَاتِّخَاذُهَا أَوْثَانًا، وَالطَّوَافُ بِهَا، وَاسْتِلامُهَا، وَالصَّلاةُ إِلَيْهَا**: قَالَ ﷺ: «**لعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» [ق]. وقَالَ ﷺ: «**أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [ق]. وقَالَ ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**» [**صحيح** - حم، مخ].

٢- **الدِّيَاثةُ**: والدياثة، هِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ الذكور والإناث من أجل الفاحشة، سواء أقاربه أو غير أقاربه، فرادىٰ أو جمعًا. **والديُّوثُ**: هو الذي يباشر ذلك أو يرضىٰ به.

٣- **سَخَطُ المقْدُور**: التكذيب بالقدر كفر، وأما سخطه مع عدم التكذيب كبيرة من الكبائر، وذلك أنه يؤدي إلىٰ سخط الله، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**» [**حسن** - ت، جه، قض، هق ش]، وقوله: «**وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»، أي من كره بلاء الله ولم يرض بقضائه فله السخط من الله؛ جزاءً علىٰ اعتراض القدر. وله علامات تدل عليه، وهي كبائر أيضًا، منها ما سيأتي في الكبيرة التالية.



من كبائر الافتراء على القدر والتشبه بالخالق

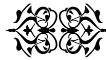
١- خَمْشُ أوْ لَطمُ نَحو الخَدِّ، وَشَقُّ نَحْو الْجَيْبِ، وَالنِّيَاحَةُ، وَحَلَقُ أوْ نَتفُ الشَّعَرِ، وَالدُّعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ: قَالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ» [ق]. وعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ - أَيْ الرَّافِعَةِ صَوْتَهَا بِالنَّدْبِ وَالنِّيَاحَةِ، وَالْحَالِقَةِ - أَيْ لِرَأْسِهَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَالشَّاقَةِ: أَيْ لِثَوْبِهَا» [ق]، وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ: «أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ كَمَا بَرِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَقَ وَلَا خَرَقَ وَلَا صَلَقَ». وقَالَ ﷺ: «اثْنَتَانِ مِنْ النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ» [م]. وَقَالَ ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» [م].

٢- تغيير خلق الله تحسينًا أو تدليسًا: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمسْتَوْشِمَاتِ، وَالمتَنَمِّصَاتِ، وَالمتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّه مَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» [ق]، ومن باب أولىٰ يدخل المتحولون عن جنسهم، ولا يشمل ذلك تصحيح جنس الخنثىٰ، وما كان للعلاج، أو إزالة عيب طارئ، أو ما كان زينة طارئة لا تبقىٰ ولا تُغيِّر أصلَ الخلقة.

٣- الغصب: وَهُوَ الِاسْتِيلَاءُ عَلَىٰ حقِّ الغيرِ ظُلْمًا. قَالَ ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ» [خ].

وقَالَ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِأَمْرِئٍ أَنْ يَأْخُذَ عَصَا أَخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ**» [**صحيح** - حم، بز، حب، هق].

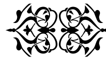
٤- تصوير ذي روح: قَالَ ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**» [ق]. والتصوير المقصود: هو تشكيل صورة سواء عن طريق النحت أو الرسم إما مضاهاة لله، أو تعظيمًا للمُصَوَّر. وعلته في الأولىٰ: أن المصوِّر يجعل نفسه ندًّا لله الخالق البارئ المصور، والعلة الثانية: أن التصوير ذريعة للشرك. وذلك أن المصوِّر زمن التشريع كان ينحت التماثيل ويبيعها للناس؛ لتعبد من دون الله، أو يرسم التصاوير في مكان العبادة؛ لتعظم وتعبد من دون الله، وهذا الأمر كان منتشرًا قبل الإسلام، فجاءت الأدلة الشديدة والكثيرة في هذا الباب؛ لتحسم هذا الأمر. ولما كان هذا الذنب أكبر ذنب ناسب أن تُرتَّب عليه أشد عقوبة. وقد جانب الصواب من ألحق التصوير الرقمي الحديث بهذه الكبيرة لمجرد اشتراك اللفظ، فاشتراك الألفاظ لا يبنىٰ عليها حكم، وإنما تبنىٰ الأحكام علىٰ العلل، ولا وجود للعلتين في ذلك من حيث الأصل.



من كبائر المخالفات الشرعية:
التشبه بالجنس الآخر

١- **تَشَبُّه النِّسَاءِ بالرِّجَال فِيمَا يَخْتَصُّون بِهِ عَرْفًا**: قَالَ ﷺ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**» [خ] وقَالَ ﷺ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْمُخَنَّثِينَ مِنْ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**» [خ]، وَالْأَوَّلُ جَمْعُ مُخَنَّثٍ بِفَتْحِ النُّونِ وَكَسْرِهَا وَهُوَ مَنْ فِيهِ انْخِنَاثٌ، وَهُوَ التَّكَسُّرُ وَالتَّثَنِّي كَمَا يَفْعَلُهُ النِّسَاءُ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْفَاحِشَةَ الْكُبْرَىٰ، وَالثَّانِي الْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ.

٢- **الدعوة إلىٰ ضلالة**: قَالَ النبيُّ ﷺ: «**وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**» [م]. ووجه جعلها كبيرة أنها تتراكم عليه الآثام بقدر ما استجابوا له في دعوته إلىٰ تلك الضلالة.



من كبائر الخيانة والبخل

١- **الخيانة**: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، وقَالَ ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» [ق]، وفي رواية لمسلم: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**»، والخيانة: هي مخالَفةُ الحقِّ بنقضِ العهدِ في السِّرِّ. وذلك بأنْ يُؤْتَمنَ الإِنسانُ فلا يَنْصَحُ بل يستبد أو يتملك ما يستودع أو يجحده. وتكون الخيانة لله ولرسوله وللنفس وللناس وبين الزوجين.

٢- **الإسبالُ خُيَلاءَ**: وقَالَ ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ**» [ق]، وقال ﷺ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**» [ق]، وقَالَ ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ** ﭬ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْت مِمَّن يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ**» [ق]، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْت رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ: «**مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَخِيلَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَالْخُيَلَاءُ: الْكِبْرُ وَالْعُجْبُ، وَالْمَخِيلَةُ مِنَ الِاخْتِيَالِ وَهُوَ الْكِبْرُ وَاسْتِحْقَارُ النَّاسِ. والحد هو الكعبان قَالَ ﷺ: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**» [خ]، وَفِي رِوَايَةٍ لِلنَّسَائِيِّ: «**إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ عَضَلَةِ سَاقِهِ ثُمَّ إِلَىٰ نِصْفِ سَاقِهِ ثُمَّ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ وَمَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**».

٣- مَنعُ فضْل الْمَاءِ عندَ الاحْتِيَاج أوْ الاضْطِرَارِ إليْهِ: قَالَ ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ . . .» [ق]، وفي رواية للبخاري: «وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ».



من كبائر الاعتداء على نظام الأسرة

١- **نشوز الزوجة**: وهو عصيانها لزوجها فيما وجب عليها من حقوقه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**». [ق]، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا وَلِلنَّسَائِيِّ: «**إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**». وقَالَ ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**» [**صحيح** - حم، ت، جه، حب].

- **ويحرم علىٰ الزوج منعه حقوق زوجته.**

٢- **سُؤَالُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا الطَّلاقَ مِنْ غَيْر بَأسٍ**: قَالَ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ**» [**صحيح** - د، ت، مه، حب]، وقوله: «**مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ**» أي من غير وقوع ضرر أو أذىٰ عليها من زوجها.

٣- **الربا**: قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوس

أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وقَـالَ ﷺ: «اجْـتَـنِـبُـوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»: وذكر منهن أكل الربا﴾ [ق]. وعن جابر رضي الله عنه قال: لَعَنَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقالَ: هُمْ سَوَاءٌ» [م]، والربا هو: زيادة أحد البدلين المتجانسين من غير أن يقابل هذه الزيادة عوض.



من كبائر آفات اللسان والاعتداء على الأعراض

١- **البغي**: وهو مجاوزة الحد الذي أباحه الله إلىٰ الاستطالة علىٰ حقوق الآخرين كبرًا وغرورًا. قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] إلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]. عاقبه الله بالخسف بسبب بغيه. وقَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**» [م]. «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ -أَيْ أَحَقُّ- مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» [**صحيح** - لس، حم، خد، ت، جه، بز، ك، هق].

٢- **النميمة**: وهي نقل الحديث بين الناس علىٰ جهة الإفساد قَالَ تعالىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وقَالَ تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] قِيلَ اللُّمَزَةُ: النَّمَّامُ. وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، قِيلَ كَانَتْ نَمَّامَةً حَمَّالَةً لِلْحَدِيثِ إِفْسَادًا بَيْنَ النَّاسِ، وَسُمِّيَتْ النَّمِيمَةُ حَطَبًا؛ لِأَنَّهَا تَنْشُرُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ النَّاسِ كَمَا أَنَّ الْحَطَبَ يَنْشُرُ النَّارَ وقَالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**» [ق]. و«**مَرَّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَقَالَ إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ -أَيْ أَمْرٍ شَاقٍّ عَلَيْهِمَا لَوْ فَعَلَاهُ- بَلْ إِنَّهُ كَبِيرٌ -أَيْ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ- أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتْنِزِهُ مِنْ بَوْلِهِ**» [ق].

٣- **البَهتُ والبُهتان**: وهي القدح في المسلم بما ليس فيه وهو أشد من الغيبة. قَالَ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» **قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ**: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» [م]، وقَالَ ﷺ: «**مَنْ بَهَتَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً حَبَسَهُ اللَّهُ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ وَلَيْسَ بِخَارِجٍ**» [**صحيح** - مع- حم، د، ك، هق- زه- طب، ش].

٤- **المَنّ بالصّدقة**: قَالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢] إلىٰ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وقَالَ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا؟ فَقَالَ: «**المَنَّانُ، وَالمسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالمنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ**» [م]. وقَالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ**» [**صحيح** - لس، شبيبة، ن، مي، حب]، وقَالَ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَاقٌّ وَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ وَمَنَّانٌ بِمَا أَعْطَىٰ**». [صحيح - حم، مه، حب، طب، ك، هق].

٥- **التحليل**: ولا بُدَّ من رِضَا الْمُطَلِّق بِالتَّحْلِيلِ وَطَوَاعِيَة الْمَرْأَةِ وَرِضَا الزَّوْجِ الْمُحَلِّلِ لَهُ. فعَنْ علي وابْنِ مَسْعُودٍ وأبي هريرة وابن عباس ﷺ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**». [**صحيح** - شيبة، حم، جه، د، هق]، وفي لفظ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ**»، قَالُوا: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**هُوَ الْمُحَلِّلُ، لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**» [**حسن** - جه، طب، ك، هق].

٦- **لعن المسلم**: قَالَ ﷺ: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» [ق]. وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَىٰ الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَىٰ قَائِلِهَا**» [**حسن** - د، بز، هق]، وقَالَ ﷺ: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [م]. وقَالَ ﷺ: «**لَيْسَ المؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**» [**صحيح** - شيبة، حم، خد، ت، يعلي، حب، طب، ك، هق]، وقَالَ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**» [خ].



من محرمات اللباس والزينة

١- لبْسُ الذَّكَر البَالِغ العَاقِلِ الحَريرَ الصِّرْفَ أوْ الَّذِي أكثرُهُ حَريرٌ مِنْ غَيْر عُذرٍ كَدَفع قمْلٍ أوْ حَكَّةٍ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ**» [ق]، زَادَ النَّسَائِيُّ: «**مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**». قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وقَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ**» [ق]، زَادَ الْبُخَارِيُّ: «**لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ**».

٢- تَحَلِّي الذَّكَر بذَهَبٍ: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الذَّهَبَ مِنْ أُمَّتِي، فَمَاتَ وَهُوَ يَلْبَسُهُ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ ذَهَبَ الْجَنَّةِ**» [صحيح - حم، طب]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَىٰ خَاتَمًا مِن ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ، وَقَالَ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ**»، فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» [م]، وعن أبي سعيد الخدري: أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِن نَّجْرَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِن ذَهَبٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَقَالَ: «**إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ**» [صحيح - حم، ن، حب].

٣- لبس المرأة اللباسَ العاريَ أمام الأجانب: قال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ**

لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» [م]، وهذان الصنفان لم يرهما في عصره؛ لعدم وجودهما ولا في القرون الماضية، حتىٰ وُجِدا في عصرنا هذا، فالصنف الأول يمثله الظلمة مِنَ العسكر، والصنف الثاني: يمثله النساء اللابسات لبسًا عاريًا، المعدات للميل، والإفساد، ونشر الانحلال والرذيلة . . . قال ﷺ: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَىٰ سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ يَنْزِلُونَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ عَلَىٰ رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ خَدَمَتْهُنَّ نِسَاؤُكُمْ كَمَا خَدَمَتْكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**» [**حسن** - حم، طب، حب، ك]، وقاتلَ اللهُ أهلَ الأهواء الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، وقاتل الله أهل الشهوات الذين يريدون أن يميل الناس ميلًا عظيمًا.



من كبائر الاعتداء على حقوق المسلمين

١- **أذية المسلم**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وأَذِيَّةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَمُعَادَاة أهل الصلاح أشد من إيذاء المؤمن العامي؛ قَالَ ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**» [خ]، أَيْ أَعْلَمْته أَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ. وفي لفظ: «**قال اللَّه: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ**» [صحيح - طب، قض].

٢- **الْيَأسُ والقنوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٣- **الغدر**: قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**» [ق]، وقَالَ ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**» [ق]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ**

أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» [خ]. والغدر هو نقْضُ العهدِ، والإخلالُ بالشَّيءِ وترْكُه، وهو ضِدُّ الوفاءِ بالعهدِ. وهو من صفات اليهود والمنافقين.

٤- **التجسس**: وَالتَّجَسُّسُ: التَّتَبُّعُ، وَمِنْهُ الْجَاسُوسُ وَالْمُرَادُ تَتَبُّعُ عُيُوبِ النَّاسِ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، ومعناه النهيُ عَنِ الْبَحْثِ عَنْ أُمُورِ النَّاسِ الْمَسْتُورَةِ وَتَتَبُّعِ عَوْرَاتِهِمْ. ودليل أنه كبيرة قَولُهُ ﷺ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَىٰ حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» [خ]، والآنُكُ: الرَّصَاصُ الْمُذَابُ. وقَالَ ﷺ أيضًا في النهي عنه: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**» [ق]. وقوله: «**تَجَسَّسُوا**» من التجسس: وهو البحث عن العورات والسيئات. «**تَحَسَّسُوا**» من التحسس: وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة عنه. وفِيهِ حَدِيث حَاطِب بن أبي بلتعة وَأَن عمر أَرَادَ قَتله بِمَا فعل فَمَنعه رَسُول الله ﷺ من قَتْله لكَونه شهد بَدْرًا. والجاسوس يترَتَّب علىٰ جسه وَهن علىٰ الْإِسْلَام وَأَهله وَقتل أَو سبي أَو نهب أَو شَيْء من ذَلِك، وهو مِمَّن سعىٰ فِي الأَرْض فَسَادًا وَأهْلك الْحَرْث والنسل فَيتَعَيَّن قَتله وَحقّ عَلَيْهِ الْعَذَابِ. والتجسس له صور متعددة منها يبلغ حد الكبيرة ومنها دون ذلك. ومنها ما يستثنىٰ من التحريم كما لو كان فيه مصلحة راجحة لدرء الشر، وأهله، وحفظ النفوس والأعراض وبقية المصالح الضرورية، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التجسس المشروع، ويستثنىٰ كذلك ما كان في الحرب مِنَ التجسس علىٰ الأعداء، والذين يكيدون الشر للمسلمين.

٥- **الخديعة**: قال تعالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. والخديعة: هي إظهارُ الخير وإبطان خلافه عن طريق الاحتيال والمراوَغ. كخِداع المنافِقينَ للنَّاس؛ بإظهارِهم للإسلامِ، وإبطانِهم للكفرِ، وكخِداع الرَّعيَّةِ للرَّاعي؛ بمَدحِه وإطرائِه بما ليس فيه، وخِداع الرَّاعي للرَّعيَّةِ؛ بظُلمِهم، وبعدَمِ إعطائِهم ما يَستحِقُّونه. والخِداع في المعامَلاتِ الماليةِ؛ كالبَيعِ والشِّراءِ ... قَالَ ﷺ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ**» [**حسن** - حب، طب، قض]، وقَالَ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**» [**حسن** - حم، ت، د، ك]، أي أنَّ المؤمن المحمود من طبعه الغَرارة، وقلة الفِطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلًا، ولكنه كرم وحسن خُلق. والفاجر: من كانت عادته الدهاء، والبحث عن الشر، ولا يكون ذلك عقلًا، ولكنه خداع وخبث ولؤم. وقَالَ ﷺ: «**أَهْلُ النَّارِ خَمسةٌ ... ذَكَر مِنهُم رجُلًا لا يُصبِحُ ولا يُمْسي إلَّا وهو يُخادِعُكَ عن أهْلِكَ ومالِكَ**» [م].

٦- **المكر والكيد**: قال تعالىٰ: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]، وقال: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١]. والمكر: هو إرادةُ مَضرَّةِ الآخرين خُفْيةً. والمقصود هنا المكر بالإسلام وأهله، والكيد لهم؛ ولما كان منبع الإسلام المدينة، قَالَ ﷺ: «**لا يَكيدُ أهْلَ المدينةِ أحدٌ إلَّا انماعَ كما يَنماعُ المِلحُ في الماءِ**» [ق]. ومما ورد في أنه كبيرة قوله ﷺ: «**الْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ**» [**حسن** -

حب، طب، قض]، أي صاحب ذلك في النار. وقَالَ تَعَالَىٰ في ذمه: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣]، وقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأَنفَال: ٣٠].

وأدلة كثيرة جدًّا. وقد تطور المكر في عصرنا هذا علىٰ الإسلام والمسلمين بكل وسيلة قذرة، ونسأل الله أن يرد كيدهم إلىٰ نحورهم.



من كبائر آفات القلوب واللسان

١- **سوء الظن**: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، فَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَهُوَ مَا تَخَيَّلْت وُقُوعَهُ مِنْ غَيْرِك مِنْ غَيْرِ مُسْتَنِدٍ يَقِينِيٍّ لَك عَلَيْهِ وَقَدْ صَمَّمَ عَلَيْهِ قَلْبُك أَوْ تَكَلَّمَ بِهِ لِسَانُك مِنْ غَيْرِ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ، وَمِن ثَمَّ قَالَ ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**» [ق]. وأسوأ الظن علىٰ الإطلاق سوء الظن بالله. قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وبعض الظن حسن ويعرف بِحُسْنِ الظن: وهو ترجيح جانبِ الخيرِ علىٰ جانب الشَّرِّ؛ لما في ذلك من إغلاق بابِ الفِتنةِ والشَّرِّ، وحماية لأعراضِ المسْلمينَ، وهو دليلٌ علىٰ سلامة القلبِ، وطهارةِ النَّفْسِ، وزَكاءِ الرُّوحِ. وكمال الإيمان بالله، قَالَ ﷺ: «**لا يَموتَنَّ أَحَدُكُم إلَّا وهوَ يُحسِنُ الظَّنَّ باللهِ** ﷻ» [م].

٢- **التطفيف**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] أَيْ الَّذِينَ يَزِيدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِبَخْسِ الْكَيْلِ أَوْ الْوَزْنِ، وَلِذَا فَسَّرَهُمْ بِأَنَّهُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطففين: ٢] أَيْ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] حُقُوقَهُمْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَزْنَ هُنَا اكْتِفَاءً عَنْهُ بِالْكَيْلِ. إذْ كُلٌّ مِنْهُمْ يُسْتَعْمَلُ مَكَانَ الْآخَرِ غَالِبًا. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] أَيْ إذَا اكْتَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِ أَنْفُسِهِمْ ﴿يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] أَيْ يُنْقِصُونَ

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [المطففين: ٤] الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥] أَيْ هَوْلِهِ وَعَذَابِهِ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] أَيْ: مِن قُبُورِهِمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ يُحْشَرُونَ فَمِنْهُمُ الرَّاكِبُ بِجَانِبٍ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ الْمَاشِي عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَبُّ وَالسَّاقِطْ عَلَىٰ وَجْهِهِ تَارَةً يَمْشِي وَتَارَةً يَزْحَفُ وَتَارَةً يَتَخَبَّطُ كَالْبَعِيرِ الْهَائِمِ، وَمِنْهُمُ الَّذِي يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ أَنْ يَقِفُوا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِمْ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَىٰ مَا سَلَفَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِن شَرًّا فَشَرٌّ.

٣- **الجدل والمراء واللدد:** وَهُوَ الْمُخَاصَمَةُ، وَالْمُحَاجَجَةُ، وَطَلَبُ الْقَهْرِ، وَالْغَلَبَةِ فِي الْقُرْآنِ أَوْ الدِّينِ لأجل الشك أو التكذيب. قَالَ اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]. وقَالَ ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**» [ق]، الألد الخصم: أي المعوج عن الحق المولع بالخصومة والماهر بها. والألد في اللغة الأعوج. وقَالَ ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ:** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]» [**حسن** - حم، جه، ت، طب، ك، هق ش]، وقال ﷺ: «**جِدَالٌ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**» [**صحيح** - شيبة، حم، يعلىٰ، طب]، وفي لفظٍ: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**» [**صحيح** - شيبة- حم، بز، ك]، وقَالَ ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**» [**حسن** - د، طب، هق]. والمقصود المراء

والمجادلة التي تكون في الدين وبغرض التشكيك فيه، ويكون عادة باتباع المتشابه، وأما المجادلة من أجل الدعوة إلىٰ الله ونشر الإسلام فهي من أفضل الأعمال.



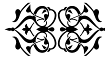
من الكبائر العقدية والاعتداء على الأنساب

١- تبرُّؤ الإنسان مِنْ نَسَبهِ: قَالَ ﷺ: «مَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ» [ق]. وقال ﷺ: «لَيْسَ مِن رَّجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيْرِ أَبِيهِ -وَهُوَ يَعْلَمُهُ- إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَىٰ قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [ق]. وقال ﷺ: «مَن ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْر أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» [صحيح - شيبة، حم، جه، يعلىٰ طب، حب]، ولفظُ أبي داود: «فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ الْمُتَتَابِعَةُ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وقال ﷺ: «أَفْرَىٰ الْفِرَىٰ مَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ» [صحيح - حم، بز، طب].

٢- الأَمْنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ بالاسترسال فِي الْمَعَاصِي: قَالَ تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا قَوْله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]» [حسن - حم، طب، هق ش]. أَيْ آيِسُونَ مِنَ النَّجَاةِ وَكُلِّ خَيْرٍ سَدِيدٍ، وَلَهُمْ الْحَسْرَةُ وَالْحُزْنُ وَالْخِزْيُ لِاغْتِرَارِهِمْ بِتَرَادُفِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ مَعَ مُقَابَلَتِهِمْ لَهَا بِمَزِيدِ الْإِعْرَاضِ وَالْإِدْبَارِ. وَمِنْ ثَمَّ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِك» [صحيح - لس، شيبة،

حم، خد، ت]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، أَيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلِهِ حَتَّىٰ لَا يَدْرِيَ مَا يَصْنَعُ.

٣- كَتمُ الْعِلْمِ: قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. وقال ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**» [**صحيح** - حم، د، ت، حب، ك، هق]. وتعليم العلم تدور عليه الأحكام الخمسة. والمقصود هنا كتمان الواجب تعليمه.



من كبائر الإصرار على المعاصي وإضاعة الأمانات

١- **تَعَلُّمُ الْعِلْمِ لِلدُّنْيَا**: قال ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». [صحيح - حم، د، جه، حب، ك]، وَمَرَّ فِي كبيرةِ الرِّيَاءِ حَدِيثُ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، وَفِيهِ: «**وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْت فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيك الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّك تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**». وقال ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ**». [حسن - جه، مي، ت، مخ].

٢- **الإِصْرارُ علىٰ المعاصي الصغيرةِ بحَيْثُ تغْلِبُ مَعَاصِيْهِ طاعَتَهُ**: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقَوْلُهُ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ ولَمْ يَعْزِمُوا عَلَىٰ أَنْ لَا يَعُودُوا إِلَىٰ المعصية، ولكن مسْتمرون علىٰ الْعَزْمِ عَلَىٰ الْمُعَاوَدَةِ وَاسْتِدَامَةِ الْوقوع في المعصية؛ وكلها مثبتة علىٰ الإنسان ومحاسب عليها فلو غلبت أهلكت.

وقال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ**

مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ» [صحيح - حم، طب، هق ش]، وقال ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**» [م]. وقد عُلم أن الصغائر تكفرها الطاعات مطلقًا، كالصلوات، والزكاة، والصوم، والحج، وأنواع من الذكر، والأدعية . . . ولكن ضبطنا الأمر هنا بضابطين: الأول: أنه مصر علىٰ فعل الصغيرة ومدمن عليها، بحيث يظهر تهاونه بربه. والثاني: أن صغائره غلبت طاعاته، وزادت عليها، فهنا تصبح كالكبيرة في إسقاط العدالة.

٣- **الإِضْرَارُ فِي الوَصِيَّةِ**: قَالَ تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [النساء: ١٢-١٤]، وقد صَحَّ عَنِ ابْنِ عباس موقوفًا وله حكم الرفع، وَرُوِيَ مَرْفُوعًا: «**الإضرار في الوصية من الكبائر**»، ثم تلا ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣-١٤] . . . الآيتين» [صحيح موقوفًا - كن، هق]. وصور الإضرار كثيرة جدًّا منها: مِنْهَا أَنْ يُوصِيَ بِأَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ، أَوْ يُقِرَّ بِكُلِّ مَالِهِ أَوْ بَعْضِهِ لِأَجْنَبِيٍّ، أَوْ يُقِرَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِدَيْنٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ دَفْعًا لِلْمِيرَاثِ عَنِ الْوَرَثَةِ، أَوْ يُقِرَّ بِأَنَّ الدَّيْنَ الَّذِي كَانَ

لَهُ عَلَىٰ فُلَانٍ اسْتَوْفَاهُ مِنْهُ، أَوْ يَبِيعَ شَيْئًا بِثَمَنٍ رَخِيصٍ، وَيَشْتَرِي شَيْئًا بِثَمَنٍ غَالٍ كُلُّ ذَلِكَ لِغَرَضٍ أَنْ لَا يَصِلَ الْمَالُ إِلَىٰ الْوَرَثَةِ، أَوْ يُوصِيَ بِالثُّلُثِ لَا لِوَجْهِ اللهِ لَكِنْ لِغَرَض تَنْقِيص الْوَرَثَةِ فَهَذَا هُوَ الْإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ.



من كبائر الإضرار بالمجتمع وبالنظام العام

١- الشحناء: قال ﷺ: «**تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا**» [م]، وقال ﷺ: «**يَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَىٰ خَلْقِهِ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ**» [**صحيح** - رز، جه، حب، وطب]، وفي لفظ: «**يَطَّلِعُ اللَّهُ** ﷻ **إِلَىٰ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لِاثْنَيْنِ: مُشَاحِنٍ، وَقَاتِلِ نَفْسٍ**» [**صحيح** - حم، جه، بز، هق ش].

٢- الصد عن سبيل الله: قال تعالىٰ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

والصدُّ عن سبيل الله قد يكون عامًّا، وذلك بالصدِّ عن الدين كُليَّةً، وقد يكون الصدُّ جزئيًّا، وذلك بالصدِّ عن بعض تشريعات الإسلام، ومحاربتها ومَنْعها، والتضييق علىٰ أهلها، كالحجاب والنقاب، والأذان

وحَلقات القرآن، والدعوة إلىٰ الله . . . ومنها تخذيل الناسِ عن فِعْل الخير واصطناع المعروف، ومنها فتْحُ باب المحرَّمات علىٰ مصراعيه بالإغراءات والشهوات، وإشاعة القول الباطل، ونشْر الشبُّهات، مع جذْبِ الناس إليها بالدعايات البرَّاقة، والوسائل الجذَّابة، وإلهاء الناس بها عن أصْل وجودهم، وأساس خَلْقِهم، ومنها: الإعراض عن أحكام الشرع، والاعتراض عليها، والتشكيك فيها، أو السعي لعلْمنتها، وتحريفها عن معانيها، ومنها: تشويه صورة الحقِّ وأهله، وهذا الفِعْل له ما بعده منَ الأفعال؛ من جُرأة السفهاء، وتسافُل الجُهلاء علىٰ أهل العلم، ودُعاة الحقِّ، وإحداث البلابل داخل المجتمع بعد ذلك.

ومنها: التضييق علىٰ صوت الحق وتكميمه، ومنعه من أن يقول كلمته الرشيدة الهادية.

٣- إباق العبد: قال ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**» [م]، وقال ﷺ: «**إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ**» [م]، وقد انتهت ظاهرة العبودية كما أراد الإسلام أن يتحرر العبيد، وقد تم ولله الحمد.

٤- التسول: وَهُوَ اتِّخاذُ سُؤالِ الناسِ الصدقةَ حِرْفَةً وَمَصْدَرًا لِكَسْبِ الْمَالِ. قال ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ يَوْمَ القِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحم**» [ق]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**» [م]. وقال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ، فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الْجَمْرَ**» **[صحيح** - حم، طب]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ لِيُثْرِيَ مَالَهُ فَإِنَّمَا هُوَ رَضْفٌ مِنَ النَّارِ يَتَلَهَّبُهُ، مَنْ شَاءَ فَلْيُقِلَّ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ**» **[صحيح** - شيبة- حب، مخ]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ، وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُدُوشًا، أَوْ خُمُوشًا، أَوْ كُدُوحًا فِي وَجْهِهِ**» **[صحيح** - حم، د، ت، ن، جه، مه، ك]، وقال ﷺ: «**مَسْأَلَةُ الْغَنِيِّ شَيْنٌ**

فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». [**صحيح** - مع، حم، طب]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ، فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْغِنَىٰ الَّذِي لَا تَنْبَغِي مَعَهُ الْمَسْأَلَةُ؟ قَالَ: «**قَدْرُ مَا يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ**»، وفي رواية: «**أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، أَوْ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ**» [**صحيح** - د، مه، هق]، وهذا هو الضابط، والحد الفاصل بين الجواز والتحريم في المسألة، ويجوز أن يسأل حاجاته التي فوق الطعام والشراب إن كانت حاجات لمن هو مثله عرفًا وليست تكثرًا وتزيدًا.

٥- الشفاعة فِي حَدٍّ مِن حُدُودِ اللهِ تعالىٰ: ﴿قال ﷺ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ﷻ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَ أَمْرَهُ» [صحيح - حم، د، طب، ك، هق]، وقال ﷺ: «**مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ، أَوْ يُعِينُ عَلَىٰ ظُلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ**» [**صحيح** - جه]. وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِم الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». [ق].



من كبائر الاعتداء على حقوق العمال والأعراض

١- تأخِيرُ أجْرَةِ الأجِير أوْ مَنعُهُ مِنهَا بَعْدَ فراَغ عَمَلِهِ: قال ﷺ: «يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ- ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَىٰ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ» [خ]، وقال ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ» [**صحيح** - جه، طب، قض، هق]، ولكن إذا سمح الأجير بتأخير أجره وهو راضٍ فلا حرج فيه ذلك، وليس بمعصيةٍ عندها.

٢- هَتكُ الْمُسْلِمِ وَتَتَبُّعُ عَوْرَاتِهِ حَتَّىٰ يَفْضَحَهُ وَيُذِلَّهُ بِهَا بَيْنَ النَّاس قال ﷺ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّىٰ يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» [**صحيح** - جه]، وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: نَادَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَتَّىٰ أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّىٰ يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ» [**صحيح** - حم، د، يعلىٰ، هق]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذَا الْمِنْبَرَ، فَنَادَىٰ بِصَوْتٍ رَفِيعٍ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَثَرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْ عَوْرَةَ الْمُسْلِمِ يَطْلُبِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَطْلُبِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ» وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَىٰ الْبَيْتِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ، وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَلَلْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ

عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكَ» [**صحيح** - حب]، وقال ﷺ: «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدَتَّهُمْ، أَوْ كِدتَّ أَنْ تُفْسِدَهُمُ**» [**صحيح** - د، يعلي، طب، حب].

وقد كثر التتبع لعورات الناس في عصرنا هذا، فكثر الفساد والإفساد.

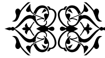


من كبائر تضييع الحقوق والتهاون بالعلم

١- **منع الميراث**: وهذه الكبيرة تتجمع فيها جملة من الكبائر: منها أن المنع ظلم، ومنها: أنه أكلٌ لمال الضعيف كاليتيم والمرأة. ومنها: أنه تعطيل لحدوده، وتبديل لفرائضه، ومنها: أنه تحريف لوصية الله. ومنها: أنه قطع للأرحام. ومنها: أنه اتباع لأمر من أمور الجاهلية المذمومة. ومنها: أنه من أعمال المفلسين يوم القيامة.

٢- **عدم العمل بالعلم**: قال ﷺ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ**». [ق]، وكان ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**» [م]، والتغليظ جاء إليه إما لأنه تَرَكَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ فَعَلَ الْمُحَرَّمَاتِ، أو لأَنَّ الْمَعْصِيَةَ مَعَ الْعِلْمِ أَفْحَشُ مِنْهَا مَعَ الْجَهْلِ. وَنَظِيرُ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةُ بِحَرَم مَكَّةَ وَنَحْوه مِنْ أَنَّ شَرَفَهُ اقْتَضَىٰ فُحْشَ الْمَعْصِيَةِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً، فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ إِذَا أَفْحَشَ فِي فِعْلِ الصَّغَائِرِ فَلَا بُعْدَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ كَبِيرَةً بِوَاسِطَةِ مَا أُوتِيَهُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَارِفِ الْمُقْتَضِيَةِ لِانْزِجَارِهِ عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ فَضْلًا عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ. ومن العلم الذي لا ينفع صاحبه ما نراه من وقوف بعض المنتسبين إلىٰ أهل العلم في صف الباطل في المعركة الدائرة بينه وبين الحق.

٣- عَدَمُ التنزهِ مِنَ البول فِي البَدَن أو الثَّوْبِ: عَن ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ بَلَىٰ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ**» [ق]. وقال ﷺ: «**أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ**» [**صحيح** - شيبة، حم، جه، بز، ك، هق]، فإذا كان هذا في البول ففي الغائط أشد؛ ولهذا يَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ فِي غَائِطِهِ أَنْ يُبَالِغَ فِي غَسْلِ مَحَلِّهِ، حتىٰ يتم التطهير مِن غَيرِ وَسْوَسَةٍ.



من كبائر تضييع الفرائض والاستخفاف بالمسلمين

١- **تَرْكُ صَلاةِ الْجُمُعَةِ مَعَ صَلاةِ الْجَمَاعَةِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ**: وقال ﷺ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ: «**لَقَدْ هَمَمْت أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَىٰ رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ**» [م]، وقال ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَةَ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**» [م]، وقال ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ**» [صحيح - حم، د، ت، ن، جه، مه، حب، ك]، وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنَيْ خُزَيْمَةَ وَحِبَّانَ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَهُوَ مُنَافِقٌ**»، وقال ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ، فَيُقِيمَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَىٰ مَنْ لاَ يَخْرُجُ إِلَىٰ الصَّلاَةِ بَعْدُ**» [خ].

٢- **السُّخْرِيَةُ وَالاسْتِهْزَاءُ بِالْمُسْلِمِ**: قَالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجُرَات: ١١]، وقال ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» [م].

٣- **خُرُوجُ الْمَرْأَةِ مِنْ بَيْتِهَا مُتَعَطِّرَةً مُتَزَيِّنَةً**: قال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**» [حسن

- حم، مي، مه، حب]، ويحمل علىٰ تحقق الفتنة. وقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا مُتَطَيِّبَةً تُرِيدُ الْمَسْجِدَ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ ﷻ لَهَا صَلَاةً حَتَّىٰ تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ مِنْهُ غُسْلَهَا مِنَ الْجَنَابَةِ**» [**حسن** - حم- د، مه، هق].



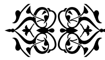
من كبائر الاعتداء على أعراض المسلمين

١- **الْبَرَازُ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ**: قال ﷺ: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ**» [**صحيح** - حم، د، طب، ك، هق]. وقال ﷺ: «**اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ**» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّىٰ فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**» [م].

أي: هذه الأمور جالبة لِلّعن مِن قِبل الناس.

٢- **سَبُّ الْمُسْلِمِ وَالاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِهِ**: قَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فِسْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**» [ق]، وقَالَ ﷺ: «**الْمُتَسَابَّانِ مَا قَالَا فَعَلَىٰ الْبَادِئِ مِنْهُمَا حَتَّىٰ يَتَعَدَّىٰ الْمَظْلُومُ**» [م]، وقَالَ ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ كَالْمُشْرِفِ عَلَىٰ الْهَلَكَةِ**» [**صحيح** - بز، طب]، وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَشْتُمُنِي مِنْ قَوْمِي وَهُوَ دُونِي، أَعَلَيَّ مِنْ بَأْسٍ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ؟، قَالَ: «**الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ**» [**صحيح** - مع، لس، حم، حب، هق]، وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**». [خ]، وقال ﷺ: «**ليس المؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعَّانِ، ولا الفاحِشِ، ولا البَذيءِ**» [**صحيح** - شيبة، حم، خد، ت، يعلي، حب، طب، ك]. وقال ﷺ: «**وإِنَّ اللَّهَ لَيُبغِضُ الفَاحِشَ البَذيءَ**» [**صحيح** - مع، خد، ت، حب، طب، هق، مخ].

٣- بُغضُ الأنْصَارِ وَشَتمُ وَاحِدٍ مِن الصَّحَابَةِ: قال ﷺ: «**مِنْ عَلَامَةِ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ عَلَامَةِ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**» [خ]، وقال ﷺ: في الْأَنْصَارِ: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ**» [ق]، وَمُسْلِمٌ: «**لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**». وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» [ق]، وقال ﷺ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [حسن - طب]، وقد جعلت الرافضة التي لا حظ لها في الإسلام سبَّ الصحابة شعارًا لها، فهم بذلك مارقون عن الإسلام، ومكذبون لله حيث نصص في كتابه العزيز أنه رضي عنهم ورضوا عنه فلا يمكن أن يلحقهم لعن ولا شقاء أبدًا، ويكفر لَاعْنُ أفاضلِ الصحابة كالعشرة المبشرين بالجنة، وقَاذْفُ مَن نزل القرآن ببراءتها وهي عائشة، أو من يسب البدريين، أو أصحاب الشجرة، لأن هذا مكذب الصريح القرآن والسنة.



من كبائر الإضرار بالآخرين والهجاء

١- إِضْلالُ الأعْمَىٰ عَن الطَّريقِ: قال ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَىٰ عَنْ طَرِيقٍ**» [**حسن** - حم، طب]. وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَّهَ أَعْمَىٰ عَنِ السَّبِيلِ**» [**صحيح** - حم، خد، هق، مخ]، ووجهه أنه داخل فِي إيذَاءِ النَّاسِ الْإِيذَاءَ الْبَلِيغَ الَّذِي لَا يُحْتَمَلُ عَادَةً، لِأَنَّ مَن يُضِلُّ الْأَعْمَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ يَتَسَبَّبُ إِلَىٰ وُقُوعِهِ فِي مَضَارَّ وَمَخَاوِفَ كَثِيرَةٍ.

٢- الشِّعْرُ الْمُشتمِلُ عَلىٰ هَجْو الْمُسلِم العدل: وَكَذَا إِنِ اشْتَمَلَ عَلَىٰ فُحْشٍ أَوْ كَذِبٍ فَاحِشٍ وَإِنْشَادِ هَذَا الْهَجْوِ وَإِذَاعَتِهِ، قَالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، والمجاهر بالمعصية يجوز هجوه بقصد زجره.

ومنَ الكبائرِ في بابِ الشعرِ الْإِطْرَاءُ بِهِ بِمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِهِ كَأَنْ يَجْعَلَ الْجَاهِلَ أَوْ الْفَاسِقَ مَرَّةً عَالِمًا أَوْ عَدْلًا، وَالتَّكَسُّبَ بِهِ مَعَ صَرْفِ أَكْثَرِ وَقْتِهِ وَبِمُبَالَغَتِهِ فِي الذَّمِّ وَالْفُحْشِ إِذَا مَنَعَ مَطْلُوبَهُ . . .

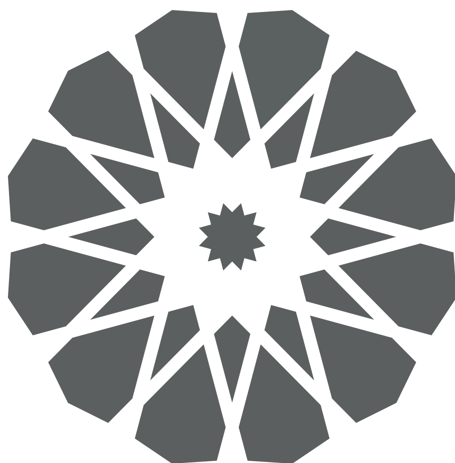


خطر الاستهانة بالذنوب

لا يوجد ذنب كبير بجانب التوبة النصوح المستوفيةِ شروطَ التوبة. ولا يوجد ذنب صغير مع الإدمان عليه وعدم الإتيان بتوبة نصوح؛ فإن الإصرار مناقض لشرط من شروط التوبة وهو العزم علىٰ عدم العود للمعصية، والإصرار خلاف ذلك. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، فالله تعالىٰ يعفو عن «**اللَّمَمَ**» وهي الصغائر التي لا يُصرُّ عليها. أما من يصرُّ عليها فيخرجها من دائرة «**اللَّمَمَ**» المعفو عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّىٰ أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَىٰ يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**» [حم]، وهذا تصوير بليغ لكيفية تجمع الصغائر حتىٰ تهلك صاحبها.





المصادر الأساسية

(١) **ظاهرة نقد الدين**، سلطان العميري.

(٢) **دلائل فصول**، محمد سمير.

(٣) **أصول الإيمان**، نخبة من العلماء.

(٤) **إن الدين عند الله الإسلام**، محمد يسري إبراهيم.

(٥) **الفقه الميسر**، نخبة من العلماء.

(٦) **منهاج المسلم**، أبو بكر جابر الجزائري.

(٧) **أحاديث الحقوق**، علي نايف الشحود.

(٨) **ومضات في تزكية النفس**، عبد الله بصفر.

(٩) **السير إلىٰ الرب من خلال أعمال القلب**، د. عبد الله إسماعيل عبد الله هادي.

(١٠) **التاريخ الإسلامي الوجيز**، محمد سهيل طقوش.

(١١) **إعلام السائر بأهم الكبائر**، عبد الله إسماعيل عبد الله هادي.

